مذكـــــرات
الحاج مُحمَّد أمين الحسَيني

إعداد وتصنيف عبد الكريم العمر

امين سر المكتب التنفيذي للهيئة العربية العليا لفلسطين

الأهـــالي

مذكرات مُحمَّد أمين الحسَيني

• مذكرات مُحمَّد أمين الحسَيني
• إعداد وتصنيف عبد الكريم العمر
• الطبعة الأولى ١٩٩٩

• **الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع**

سورية - دمشق - ص.ب: ٩٥٠٣ - هاتف: ٣٣٢٠٢٩٩ - فاكس: ٣٣٣٥٤٢٧

تلكس: ٤١٢٤١٦ - بريد إلكتروني: ahali@cyberia.net.lb

• التوزيع في جميع أنحاء العالم:

• **الأهالي للتوزيع**

سورية - دمشق - ص.ب: ٩٢٢٣ - هاتف: ٢٢١٣٩٦٢

فاكس: ٣٣٣٥٤٢٧ - تلكس: ٤١٢٤١٦

ع: ١٢٩٠/٧/١٩٩٩ ١ - ٩٢٢: الحسينيو محمد أمين ع

٢ - ٩٥٦,٤ ع م ر م ٣ - العنوان ٤ - العمر مكتبة الأسد

المقدمة

يتضمن هذا الكتاب صفحات من مذكرات رئيس الحركة الوطنية الفلسطينية، سماحة المغفور له الحاج محمد أمين الحسيني، مفتي فلسطين الأكبر - رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين - رئيس المجلس الشرعي الإسلامي - رئيس مؤتمر العالم الإسلامي. كما يتضمن الكتاب ملحقاً وثائقياً بنصوص رسمية دولية وعربية وفلسطينية تتعلق بالقضية الفلسطينية وبعض القضايا العربية والإسلامية، مع بعض الخرائط والصور الفوتوغرافية التاريخية النادرة. وجميعها تلقي الضوء على جزء من مسيرة هذا القائد التاريخي الكبير.

قسمت الكتاب إلى ثلاثة فصول:

- الفصل الأول:

ويحوي موجزاً لسيرة حياة سماحة المفتي وهجرته الاضطرارية من موطنه فلسطين حيث لاحقته سلطات الأنتداب البريطاني على فلسطين، وحاصرت بقواتها العسكرية منزله الكائن في حرم المسجد الأقصى المبارك، لإلقاء القبض عليه، محاولة بذلك وقف جهاده وكفاحه من أجل حرية واستقلال وطنه.

دامت هجرته في سبيل وطنه فلسطين لمدة ثلاثين عاماً فقد غادره متخفياً بملابس بدوية بسيطة مهلهلة في تمام الساعة السابعة من مساء الثامن من شعبان ١٣٥٦ هـ الموافق ١٣ أكتوبر ١٩٣٧، متوجهاً إلى لبنان وعاد إليه في صبيحة يوم الأربعاء العشرين من ذي القعدة ١٣٨٦ هـ الموافق الأول من آذار ١٩٦٧، حيث هبطت الطائرة التي تقل سماحته في مطار القدس قادماً من بيروت، ليستأنف جهاده وكفاحه من أجل تحرير فلسطين.

يحتوي الفصل الأول سيرته النضالية منذ غادر القدس عام ١٩٣٧ حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ومغادرته ألمانيا بعد سقوطها في أيدي الحلفاء إلى فرنسا حيث اعتقل في باريس.

ـ **الفصل الثاني:**

ويشمل الوقائع والأحداث والتطورات التي مرت بالقضية الفلسطينية، منذ عودته إلى الوطن العربي، هرباًمن السجن في باريس، متوجهاً إلى القاهرة عام ١٩٤٦.

ـ **الفصل الثالث:**

يحتوي على وقائع كفاح الشعب الفلسطيني وجهاده منذ عودة المفتي إلى مصر، وحتى حدوث نكبة عام ١٩٤٨.

انتهت المذكرات بآخر معركة في مدينة صفد وسقوطها بأيدي الأعداء بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٠.

باشر المفتي نشر مذكراته في مجلة (فلسطين) وهي نشرة دورية تشرف عليها الهيئة العربية العليا لفلسطين والناطقة الرسمية باسمها. وذلك على حلقات شهرية، صدرت الحلقة الأولى منها بتاريخ الأول من أيار ١٩٦٧ الموافق المحرم ١٣٨٧ العدد ٧٤.

واستهل مذكراته بحادث هجرته الاضطرارية من فلسطين بقوله: «لم تكن الهجرة من فلسطين من خطتي، ولاخطرت ببالي مغادرة بيت المقدس وغيرها من مدن الوطن وربوعه، وإن كانت الأقطار العربية كلها وطنا للعرب، لاعتقادي أن مكافحة الأعداء في داخل البلاد أولى وأجدى، وأنه لا يجوز لمجاهد أن يهجر وطنه أو يتزحزح عن ميدان كفاحه إلا مضطراً مرغماً لأمر هو في صالح القضية التي يجاهد في سبيلها».

ومجموع الحلقات التي تم نشرها هو ٧٥ حلقة انتهت في العدد ١٧١ ـ ١٧٢ تاريخ شهري حزيران وتموز ١٩٧٥ (عددان في عدد واحد).

وكان رحمه الله يدون مذكراته ويحضرها للنشر بخط يده، ويدفعها إلى الطباعة على الآلة الكاتبة، ثم يعود لتدقيقها ثانية ويؤشر عليها بتوقيعه قبل أن ترسل للنشر، وكان من عادته أن ينقل إلى الورق ما سبق ودونه بالمختصر في حينه من دفتر صغير يحمله في جيبه، ويدون فيه بدقه مواعيده والأحداث أو الأمور التي تتعلق بمهامه الوطنية. وكان يعد مذكراته بهذه الطريقة، آخذاً بعين الاعتبار تتابع الحلقات المنشورة في المجلة المذكورة، مع الأحتفاظ بمزيد من الحلقات الجاهزة والمعدة للنشر، للحالات التي يتعذر عليه دفعها إلى المطبعة.

انتقل المغفور له الحاج محمد أمين الحسيني إلى جوار ربه في الرابع من تموز ١٩٧٤م، وكانت مجلة (فلسطين) قد أصدرت عددها رقم ١٦٠ في الأول من تموز

١٩٧٤ م الموافق جمادى الآخرة ١٣٩٤ هـ، متضمناً الحلقة ٦٥ من مذكراته وتابعت الهيئة العربية العليا لفلسطين نشر ما تركه سماحة المغفور له الحاج أمين الحسيني من حلقات مؤشر عليها بتوقيعه، وعددها عشر حلقات انتهت في العدد ١٧١ ـ ١٧٢ كما أشرت سابقاً.

ونرى أن الحلقة الأخيرة من المذكرات ورقمها ٧٥ احتوت آخر ما دونه هو بنفسه عن معركة مدينة صفد، وسقوط المدينة كان صبيحة اليوم الثاني من رجب ١٣٦٧ الموافق العاشر من شهر أيار ١٩٤٨ م، وانتهت بذلك وثائق الراحل الكبير الموثقة. وبمعنى آخر دون المفتي بخطه ما يغطي الفترة الواقعة ما بين يوم مغادرته بيت المقدس في ١٣ أكتوبر ١٩٣٧ وحتى معركة مدينة صفد وسقوطها بيد الأعداء في العاشر من أيار ١٩٤٨، وقبل الإعلان عن إقامة كيان العدو (إسرائيل) في الخامس عشر من أيار ١٩٤٨.

هذا لا يعني بأن سماحة المفتي تقيد بتسلسل تاريخي امتد من عام ١٩٣٧ وانتهى في عام ١٩٤٨، وهو يسرد مذكراته، فقد استطرد وشرح ما تناسب مع مسيرة الأحداث التي عاصرها، أو ذات الصلة بقضيته الوطنية. فالمذكرات من أولها حتى آخرها هي مسيرة نضال وكفاح الشعب الفلسطيني.

وحرصت أشد الحرص، على نقل كل ما جاء عن حياته وسيرته الذاتية ومذكراته، بكل دقة وأمانة دون أي تدخل أو زيادة أو نقصان، ماعدا بعض الحواشي التوضيحية والتي اقتضتها ضرورة النشر ومرور الزمن.

وحرصاً على هذا التراث المشرف والقيم، وعلى المسيرة الكفاحية لشعب فلسطين، وحركته الوطنية، بقيادة المغفور له الحاج أمين الحسيني، من الاندثار مع مرور الزمن، ولإنارة السبيل أمام من فاتهم الاطلاع عليها، عمدت إلى جمعها وإصدارها في هذا الكتاب.

ولا أزعم بأني جمعت كل ما يتعلق بالرجل العظيم، فقد جمعت بالإضافة إلى مذكراته أكبر قدر من الوثائق المتعلقة بالحركة الوطنية الفلسطينية برئاسة المفتي وقيادته المباشرة لها وجميعها تبين جهاد الرجل وكفاحه فلسطينياً وعربياً وإسلامياً وستجد طريقها إلى النشر في المستقبل بإذن الله.

ويقيني بأن جمع تراث المفتي، هو جمع وحفظ لتراث فلسطين والأمة العربية والإسلامية، وينبغي أن تقوم به جماعة من الباحثين والمؤرخين المخلصين الصادقين تتوافر

على وضع كامل تاريخه وأعماله ولتغطي مرحلة من النضال زادت على خمسين عاماً من أجل الحق والحرية والاستقلال. فما زالت دفاتر المفتي ووثائقه دون جمع مدروس بقصد التوثيق والتأريخ، أشير بإلحاح إلى ضرورة جمع هذا التراث من قبل معنيين ثقات ولتقصي كل الحقائق حولها.

قمت بهذا العمل، لا لتمجيد وتخليد المغفور له الحاج محمد أمين الحسيني، فهو غني عن التمجيد والتخليد، وهو فخر لفلسطين والعرب والمسلمين ولكل أحرار العالم. فقد كان رحمه اللّه وسيظل أنبل من عمل بصدق وجد لدرء الأخطار عن فلسطين والوطن العربي، كان وسيظل أعمق الناس إدراكاً لحقيقة الخطر الصهيوني، وأكثرهم فعالية في الكفاح والنضال ضد تلك الأخطار.

لقد شاركت في تحمل نصيبي المتواضع من الكفاح مع الحركة الوطنية الفلسطينية لعدة عقود من الزمن، وكان لي شرف النضال مع شيخ المجاهدين، رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين المغفور له الحاج محمد أمين الحسيني، وبحكم موقعي في الهيئة العربية العليا لفلسطين، كنت على مقربة من القائد الكبير، والمجاهد الصادق. فقد عرفته قائداً معلماً، متواضعاً متسامحاً، رفيع التهذيب ذا وداعة ترتسم على قسمات وجهه، كانت جماهير الشعب الفلسطيني قد أنشدت وهزجت (سيف الدين الحاج أمين) إذ كان الرجل أغنية على شفاه الشباب والصبايا، والأمل الذي يداعب خيال الرجال، وكان كل من حوله يدعونه بصدق (بالوالد).

عرفته مباشرة وعشت معه سنوات طوال، ولن أتحدث عن مواقفه الوطنية وصلابته وشجاعته، فقد كتب فيه الكثير الكثير، وقيل عنه الكثير الكثير، ولكن أجد لزاماً عليَّ ووفاءً لذكراه العطرة المشرفة، بعد أن كاد يغيب جهاده وكفاحه أن أذكره وأشيد بمزاياه ووطنيته، وأن أشيد بحسن معشره ودماثة خلقه، وشديد اهتمامه وعنايته بأمور الناس الخاصة والعامة وليبقى في الذهن والذاكرة.

لقد عرف عن المغفور له المفتي بأنه الرجل المنظَّم والمنظِّم، الدقيق كل الدقة، يشرف على أمور الإدارة ويتابعها عن كثب، ويعتبر الإدارة والنظام دعامتين أساسيتين في إدارة الصراع. كان رحمه الله حضارياً، مثقفاً على مستوى رفيع عميق التفكير وقوراً، حوت مكتبته أمهات الكتب في مختلف العلوم والثقافات والأديان واللغات، رياضياً وفارساً يعشق الخيل، يجيد الرماية، وبقى حتى آخر أيام حياته يمارس الرياضة يومياً.

في هذا الظرف العصيب، وفي أيام الردة عن الخط الوطني السليم والحق المبين، لشعبنا وأمتنا العربية، وفي زمن قل فيه الوفاء لأحرار الأمة، في زمن التفريط وتفرق الكلمة والتخاذل والاستسلام للأعداء، وفي زمن التنازل عن الحقوق في السيادة على الأرض، أقدم مفتي فلسطين الأكبر، قدوة للأجيال المتحررة من عقد الخوف، والمتطلعة إلى الحرية والاستقلال، والخزي والعار ولعنة التاريخ للطغاة والمزورين والمستسلمين.

وأخيراً فإني إذ أقدم للقارىء الكريم هذا الكتاب الذي جمعته من أوراق مبعثرة كادت تندثر، ومضى عليها عشرات السنين وبذلت الجهد في الحفاظ عليها، وزيادة في الحرص عليها عزمت على نشرها لتبقى شعلة النضال مضاءة بإذن الله.

ولا يسعني إلا أن أسجل عرفاني واعتزازي بجهود جميع الأخوة الذين شجعوني على القيام بهذا العمل، أو أسهموا بإنجازه وعلى رأسهم الأخ الصديق المناضل الدكتور طلال ناجي، والذين ساهموا بجهودهم المشكورة في الإعداد الشاق والطويل لهذا الكتاب، وأخص منهم الصديق الباحث حميد مجيد الربيعي والمهندس فؤاد يوسف.

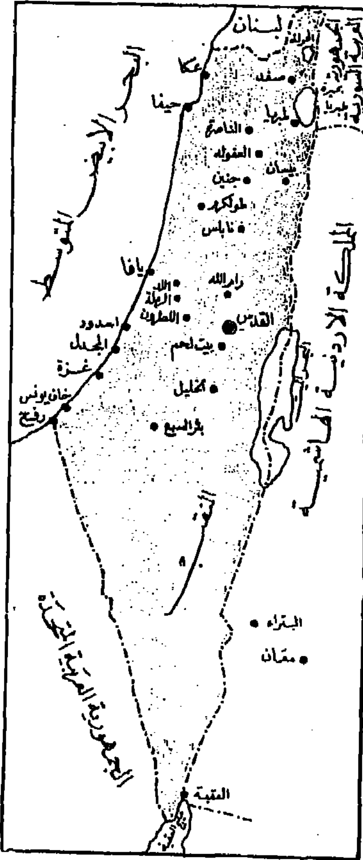
والله من وراء القصد

عبد الكريم العمر
أمين سر المكتب التنفيذي
للهيئة العربية العليا لفلسطين
دمشق في ١٩٩٩/٧/٥

الفصل الأول

محمد أمين الحسيني

عهد وميثاق



لقد قضيت عمري كلّه في خدمة قضية هذه البلاد المقدّسة، وكنت خلالها عرضة لمختلف وسائل الإغراء والترغيب حيناً، والتهديد والإرهاب أحياناً، وفي سبيل خيرها وصالح شعبها العربي تحملت مضطراً عناء السير في الدروب الشاقة الوعرة، كما تحمّلت شقاء الحياة في أشد الظروف خطراً ورهبة، وحملت وإخواني المجاهدين أمانة هذه القضية بكل ما انطوت عليه ضمائرنا من صدق وإخلاص وروح فداء، وليس من خلقي ولا في إمكاني أن أفرط في هذه الأمانة وأسلّمها للذين يريدون أن يضيعوها ويبيعوها رخيصة للأعداء، ولا أن أتنكر لتلك الصفوة المختارة من الشهداء الأبرار الذين جادوا بأرواحهم الطاهرة وأراقوا دماءهم الزكية على أرض فلسطين المقدّسة، ولن أختم حياتي بخيانة هذه الأمة في قضيتها الوطنية رغم كل ما أتوقّعه، وما لمست بوادره من مؤامرات ومكائد يحيكها الأعداء والعملاء، لي ولإخواني الصابرين المخلصين، والله خير الشاهدين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

محمد أمين الحسيني

القسم الأول

موجز سيرة حياة
السيد محمد أمين الحسيني مُفتي فلسطين الأكبر(*)

نشأته:

ولد السيد محمد أمين الحسيني في القدس عام ١٨٩٧، وتلقى تعليمه الأولي والثانوي في القدس، ودرس أيضاً العلوم الشرعية واللغتين العربية والفرنسية على أيدي أساتذة خصوصيين، ثم التحق بالجامع الأزهر بمصر، وبدار الدعوة والإرشاد التي أسسها المرحوم العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب (المنار)، وكان يحضر خلال ذلك الدروس والمحاضرات في كلية الآداب (بالجامعة المصرية)، التي أصبحت الآن جامعة القاهرة، وخلال دراسته في مصر كان دائم الاتصال برجالاتها وبزعماء العرب والمسلمين، يسمع منهم ويأخذ عنهم، ويتبادل وإياهم الآراء في شؤون الأمة العربية والعالم الإسلامي، وما يؤدي إلى نهضتهما وحريتهما وإنقاذهما من الاستعمار الأجنبي، ولما عاد إلى فلسطين، ظل على اتصال وثيق برجالات الأمة العربية والعالم الإسلامي، وفي الحرب العالمية الأولى تخرج ضابطاً في الجيش العثماني في استانبول، والتحق بالفرقة ٤٦ التي كانت مرابطة في ولاية (أزمير)، ولما وضعت الحرب أوزارها عاد إلى فلسطين، ليستقبل عهداً جديداً من الكفاح والنضال في سبيل وطنه فلسطين وأمته العربية، التي عدا عليها الاستعمار الأوروبي الغاشم، وليعمل على تأليف الجمعيات والأندية العلمية والثقافية والسياسية، وفي طليعتها النادي العربي وكلية روضة المعارف بالقدس، وبث روح النهضة والحرية في شبان العرب، وليعمل بصورة خاصة على مقاومة الانتداب البريطاني ووعد بلفور الذي نص على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود، وليقود الحركة الوطنية الفلسطينية، وسط تيارات السياسة الأجنبية الخطيرة، وليقاوم الحركة الصهيونية واليهودية العالمية، مقاومة لا تعرف هوادة، ولا تخضع لأية مؤثرات أو مغريات.

(*) نُشرت في مجلة «فلسطين» العدد رقم ١٦١ تاريخ آب ١٩٧٤.

الكفاح في سبيل فلسطين:

نشبت ثورة القدس الأولى في نيسان عام ١٩٢٠ التي قادها سماحته، على ر
فريق من شبان القدس وجمهرة الشعب الفلسطيني، خلال احتفالات موسم ال
موسى، وتشكلت محكمة عسكرية بريطانية لمحاكمة المتهمين باثارتها، وصدر الح
عليه غيابياً بالسجن عشر سنين بالاشغال الشاقة، لكنه كان قد تمكن من الافلات
قبضة المستعمرين، واتصل برجالات القبائل وزعماء العشائر، كبني صخر والحويط
وبني عطية وآل الفايز وآل الطراونة وآل المجالي وغيرهم، لتوحيد العمل في سبيل الد
عن فلسطين، ثم انتقل إلى سورية أول عهدها بالاستقلال، حيث كان مجال الع
فيها واسعاً في سبيل القضية الفلسطينية، واشترك مع عدد من رجالات فلسطين
المؤتمر السوري الفلسطيني الذي أنعقد في دمشق وأعلن استقلال سورية.

ولما أحتل الفرنسيون سورية بالقوات المسلحة وقضوا على استقلالها، اتج
سماحته إلى صحراء سورية، وعاش فيها مدة عمل خلالها على الاتصال بزع
القبائل العربية فيها، إلى ان ألغي الحكم الصادر عليه، فعاد إلى فلسطين، وتولى منص
الافتاء عام ١٩٢١ خلفاً لشقيقه المرحوم السيد محمد كامل الحسيني.

في رئاسة المجلس الإسلامي:

ثم انتخب سماحته عام ١٩٢٢ رئيسا للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، لإ
شؤون الأوقاف والمحاكم الشرعية الإسلامية، فاصلح ادارتها ونظم شؤونها، وع
على صيانة أراضي فلسطين من التسرب إلى أيدي الصهيونيين الطامعين، وق
السياسة الاستعمارية والمطامع اليهودية أشد مقاومة، واضطلع بعبء الحركة الو
الفلسطينية، اضطلاعاً كاملاً، وعمل على عقد المؤتمرات الفلسطينية، والمؤتمر
الإسلامية، وتشكيل اللجان التنفيذية، وإرسال الوفود السياسية إلى العالم الخار
والوفود الإسلامية، إلى الأقطار الإسلامية، واشترك بنفسه مراراً على رأس وفود متع
إلى الأقطار العربية والإسلامية، كمصر والعراق وسورية وإمارات الخليج وإيران والا
وافغانستان، لاطلاع العالمين العربي والإسلامي على ظلامة فلسطين، واستنهاض الع
لإنقاذها من الخطر اليهودي والاستعمار البريطاني، وبادر إلى عمارة المسجد الأقص
المبارك الذي كان في خطر الانهيار، ولما انتهت العمارة جرى الإحتفال الرس
بحضور وفود من العالمين العربي والإسلامي.

في الوفد الفلسطيني إلى لندن:

وفي عام ١٩٣٠ اشترك سماحته في الوفد الفلسطيني إلى لندن، لمفاوضة الحكومة البريطانية بشأن قضية فلسطين وتحقيق مطالب الشعب الفلسطيني، ثم توجه إلى سويسرة واجتمع بالسير اريك روموند الأمين العام للجنة الانتدابات وبعدد من كبار رجال السياسة فيها وباحثهم في شأن القضية الفلسطينية.

عقد مؤتمر العالم الإسلامي وجعل قضية فلسطين قضية عالمية:

وقد عمل سماحته جاهداً لإخراج قضية فلسطين من الحيز المحلي الضيق، الذي كانت السياسة البريطانية اليهودية تعمل لحصرها فيه، إلى نطاق العالمين العربي والإسلامي الواسع، ونجح في ذلك إلى حد كبير، إذ لم تعد قضية فلسطين قضية محلية، بل أصبحت قضية العالمين العربي والإسلامي بأسرهما، وفي سبيل ذلك دعا سماحته إلى عقد المؤتمر الإسلامي العام في بيت المقدس عام ١٩٣١، الذي حضره مندوبون من كافة الأقطار الإسلامية، للنظر فيما يهدد فلسطين، من مطامع اليهود الدينية في المسجد الأقصى المبارك، ومطامعهم السياسية الرامية إلى تحويل فلسطين إلى دولة يهودية. وكان هذا المؤتمر أول مؤتمر من نوعه يجمع عدداً كبيراً من رجالات العالم الإسلامي من مختلف الأقطار، من فلسطين، وسورية، ولبنان، والعراق، والسعودية، واليمن، ومصر، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، ومسلمي أوروبا في بلاد البلقان، كالبوشناق وغيرهم، وتركيا، ومسلمي روسيا وتركستان، ومسلمي الهند، وإندونيسيا والصين وبعض الأقطار الإفريقية الإسلامية، ولما نشبت ثورة فلسطين عام ١٩٢٩ أثبت سماحته أمام لجنة التحقيق البريطانية برئاسة السير وولتر شو، أن اليهود حاولوا رشوته بنصف مليون جنيه، ليفرط لهم في حقوق ليست لهم، في مكان البراق الشريف، وكان اليهود حينئذٍ قد طالبوا بمحاكمته، واعتبروه مسئولاً عن الثورات المتعاقبة التي كان الفلسطينيون يقومون بها ضدهم.

في وفد الصلح بين السعودية واليمن:

وفي عام ١٩٣٤ الذي نشبت فيه الحرب بين المملكة العربية السعودية، والمملكة المتوكلية اليمنية، بادر سماحته، بصفته رئيس مؤتمر العالم الإسلامي، بتأليف وفد من السادة هاشم الأتاسي رئيس جمهورية سورية الأسبق، والأمير شكيب أرسلان، ومحمد عليّ علوبة باشا، الوزير المصري والأمين العام السابق لحزب الاحرار

الدستوريين (وقد توفاهم الله جميعاً)، واشترك سماحته بنفسه في الوفد المذكور، لوقف الحرب وإصلاح ذات البين بين الدولتين العربيتين الإسلاميتين، وتوجه الوفد إلى المملكة السعودية ثم إلى المملكة اليمنية، وقد اقترنت مساعي الوفد بالتوفيق، وتم الصلح بين الطرفين، وحقنت الدماء.

في رئاسة اللجنة العربية العليا لفلسطين:

ولما حدثت ثورة فلسطين الكبرى عام ١٩٣٦ انتُخِبَ سماحته، بإجماع أحزاب فلسطين، لرئاسة اللجنة العربية العليا، التي أدارت دفة الثورة في البلاد في أشد الأوقات خطورة، واضطلع بالعبء كاملاً، واستمرت الثورة ستة أشهر كاملة، وانتهت بتدخل ملوك العرب وامرائهم، كما هو معروف، بنداء وجهوه إلى سماحته، واعدين فيه بأن تعمل بريطانيا على إنصاف العرب.

قرار تقسيم فلسطين ونجاة سماحته من قبضة الإنكليز:

ولكن حدث عقب ذلك ان وضعت اللجنة البريطانية، برئاسة اللورد بيل، تقريرها بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، فتجددت الثورة عام ١٩٣٧، وحاولت السلطات البريطانية القبض على سماحته بقوة كبيرة من رجال الجيش والبوليس البريطاني، طوقت دار اللجنة العربية العليا بالقدس، ولكنها فشلت في القبض عليه، وقيض الله له النجاة والاعتصام بداره داخل أسوار الحرم القدسي الشريف مدة أربعة أشهر، وخلال ذلك القت السلطات البريطانية القبض على بعض أعضاء اللجنة العربية العليا، ونفتهم إلى جزر سيشيل، لكن سماحته تمكن من النجاة مرة أخرى، إذ خرج خفية من فلسطين في زورق بحري صغير والتجأ إلى لبنان.

في الحرب العالمية الثانية:

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، وضغطت بريطانيا على فرنسا لتسليمها سماحته، وشعر بذلك، غادر لبنان سراً إلى بغداد، وأقام بها نحو عام ونصف (على رأس عدد من كبار المجاهدين الفلسطينيين الذين إلتجأوا إلى العراق)، دائباً على العمل في سبيل قضية فلسطين والقضايا العربية والإسلامية، إلى ان نشبت ثورة العراق عام ١٩٤١، ضد التدخل العسكري البريطاني.

في إيران وأوروبا:

ولما أوشك الإنكليز أن يحتلوا العراق، أضطر سماحته للخروج إلى إيران، مع قادة الثورة العراقية وعدد من مجاهدي فلسطين وسورية والعراق، ولما احتلت القوات البريطانية والروسية إيران تعقبته السلطات البريطانية، وأعلن الماريشال ويفل جائزة عشرين ألف جنيه استرليني لمن يرشد إليه، لكن الله تعالى سهل لسماحته سبيل النجاة، فتمكن من السفر متخفياً إلى أوروبا، بعد أن رفضت تركيا قبوله لاجئاً سياسياً، ممالأة منها للإنكليز في ذلك الحين.

وأقام سماحته بأوروبا طيلة أيام الحرب، وتمكن من الحصول من دول المحور على اعتراف باستقلال فلسطين والأقطار العربية الأخرى، إلى أن اعتقلته السلطات الفرنسية، أثر خروجه من المانيا بعد انهيارها.

الصهيونيون يطالبون بمحاكمته:

وكانت المنظمات الصهيونية الاستعمارية تسعى لتقديم سماحته إلى (محكمة نورمبرغ)، وانه حرض السلطات النازية في المانيا خلال الحرب على إبادة اليهود. وكذلك حاولت الحكومة اليوغسلافية توجيه مثل هذه التهمة إلى سماحته، بحجة عمله على تأليف فرق عسكرية مسلحة من مسلمي البوسنة. والواقع أن النازيين لم يكونوا في حاجة إلى تحريض من أحد للانتقام من اليهود، الذين خانوا المانيا في الحرب العالمية الأولى، وتواطئوا مع بريطانيا وحلفائها على القيام باعمال التخريب وبث الدعايات الضارة ضد المانيا، في ذلك الحين.

أما التهمة الأُخرى فسببها ان سماحته ساعد مسلمي البوسنة على تشكيل فرقتين عسكريتين من أهل البوسنة، للدفاع عن أنفسهم ضد هجمات العصابات الصربية، التي كانت بقيادة الجنرال ميخائيلوفيتش تفتك في مسلمي البوسنة دون مبرر، حتى قتلت عشرات الألوف من رجالهم ونسائهم وأطفالهم قتلاً ذريعاً دون تمييز، بسبب التعصب الديني، وطمعاً في الاستيلاء على ممتلكاتهم، وتأكيداً لضم البوسنة إلى بلاد الصرب نهائياً.

وقد فشلت مساعي الصهيونيين واليوغوسلافيين ضد سماحته، بسبب استنكار زعماء المسلمين والرأي العام العربي والإسلامي لهذه المساعي الأثيمة.

العودة إلى الوطن العربي ورئاسة الهيئة العربية العليا:

وأخيراً تمكن سماحته من مغادرة فرنسا سراً إلى مصر صيف عام ١٩٤٦، وكان هبوط سماحته إليها فجأة في أعقاب الحرب العالمية، مخترقاً كل وسائل المنع والرقابة، حادثاً مدوياً في العالمين العربي والإسلامي، وفي العالم الخارجي.

وكانت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية قد اجتمعت في بلودان صيف عام ١٩٤٦، وتم الاتفاق مع المنظمات السياسية الفلسطينية على تأليف (الهيئة العربية العليا لفلسطين)، لقيادة الحركة الوطنية، وقد احتفظت اللجنة السياسية، لسماحة المفتي، برئاسة الهيئة العربية العليا، وسماحته ما يزال معتقلاً في فرنسا في ذلك الحين.

وسارعت السلطات البريطانية تطالب باعتقال سماحته، وعدم السماح له بممارسة العمل السياسي لكن السلطات المصرية، في ذلك الحين، أكرمت وفادته، وأطلقت له حرية العمل، وسرعان ما التف حوله رجالات فلسطين، ورحب بمقدمه زعماء الأقطار العربية والإسلامية، وكانت دار سماحته ملتقى قادة الحركات الوطنية في العالمين العربي والإسلامي.

استئناف الجهاد:

وشرع سماحته، بعد أن تولى الرئاسة الفعلية للهيئة العربية العليا، ينظم صفوف الفلسطينيين، ويعمل على استئناف الجهاد لتحرير فلسطين، ولما نشبت حرب فلسطين بين العرب واليهود في أواخر عام ١٩٤٧، أثر صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين في ٢٩ نوفمبر من تلك السنة، شرع سماحته يدير حركة الجهاد الفلسطيني، مواصلاً العمل ليلاً نهاراً، وقام بتأليف «جيش الجهاد المقدس» بقيادة القائد الشهيد عبد القادر الحسيني، واتصل بعدد من الدول العربية لإمداد حركة الجهاد الفلسطيني ببعض الضباط والفنيين، وقد أبلى الفلسطينيون بلاء حسناً في جهادهم الذي استمر ستة شهور، كسب الفلسطينيون خلالها معظم المعارك التي دارت بينهم وبين اليهود، رغم قلة وسائل الكفاح التي كانت في أيدي المجاهدين الفلسطينيين، إذا قورنت بوفرة ما لدى اليهود منها، من امدادات الدول الاستعمارية التي كانت تساعدهم وتمدهم بكل وسائل الحرب والقتال، وبالفنيين من الرجال العسكريين.

تدخل الدول العربية:

ولما اشتركت الدول العربية في حرب فلسطين، ودخلت جيوشها أرض فلسطين فعلاً يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨، أسفر دخولها عن كارثة أليمة بسبب ما كان بينها من خلاف في الرأي حول قضية فلسطين، وبسبب ما كانت تمارسه الدول الاستعمارية من ضغط على الحكومات العربية لصالح الصهيونيين، فوقعت كارثة فلسطين وتشرد مليون عربي فلسطيني، وقامت (إسرائيل) في صميم الوطن العربي كما هو معروف.

وبعد الكارثة التي اصيبت بها قضية فلسطين، استمر سماحته يعمل جاهداً في سبيل تخفيف هذه الكارثة، متصلاً بالدول الإسلامية والعربية للدفاع عن قضية فلسطين، ولتهيئة الأسباب والوسائل لتحرير الوطن السليب.

مؤتمر العالم الإسلامي في كراتشي:

وفي عام ١٩٥١ دعي سماحته ليرأس مؤتمر العالم الإسلامي الذي أنعقد في كراتشي، وحضره ممثلون عن ٤٥ دولة إسلامية، وشعب إسلامي، وفي عام ١٩٥٢ رأس سماحته مؤتمر علماء المسلمين الديني الذي أنعقد في كراتشي أيضاً، وحضره عدد كبير من علماء المسلمين، وفي عام ١٩٥٥ شهد سماحته مؤتمر باندونغ على رأس وفد فلسطيني، وكان لمساعيه أثر بارز في حمل المؤتمر الآسيوي الإفريقي على بحث قضية فلسطين.

في لبنان مرة أخرى:

وفيما تلا ذلك من الاعوام استمر سماحته في نضاله، على رأس الهيئة العربية العليا لفلسطين، ومؤتمر العالم الإسلامي، عاملاً على إثارة قضية فلسطين في المحافل الدولية والاوساط الشعبية، وأرسل عدة وفود إلى الأمم المتحدة، وإلى الأقطار الآسيوية والإفريقية، وإلى مختلف دول أوروبا وأمريكا لخدمة قضية فلسطين.

وفي مايو ١٩٦١، زار سماحته الهند، تلبية لدعوة عظمة سلطان البهرة السابق المرحوم طاهر سيف الدين، لافتتاح الجامعة الإسلامية في مدينة سورات، وفي هذه الرحلة استقبل سماحته عدداً كبيراً من الشخصيات الإسلامية المدعويين لحضور حفل افتتاح الجامعة المذكورة، ثم زار سماحته الباكستان، وبحث مع زعمائها موضوع عقد مؤتمر العالم الإسلامي من أجلّ نصرة قضية فلسطين، ثم زار الديار الحجازية في موسم

الحج، واتصل بزعماء العالم الإسلامي لبحث القضية الفلسطينية وغيرها من قضايا العالم الإسلامي.

في شمال افريقيا والأقطار الإسلامية:

وفي نوفمبر ١٩٦١ زار سماحته المغرب، على رأس وفد فلسطيني، بناء على دعوة رسمية تلقاها من جلالة ملك المغرب السابق محمد الخامس رحمه الله، وفي نفس السنة زار تونس وليبيا، داعياً لنصرة قضية فلسطين.

وفي مايو - يونيو ١٩٦٢ رأس سماحته مؤتمر العالم الإسلامي الذي انعقدت دورته الخامسة ببغداد، بحضور مندوبين عن ٣٧ قطراً إسلامياً، وأعيد انتخابه رئيساً لهذا المؤتمر.

وكذلك اشترك سماحته في مؤتمر الرابطة الإسلامية الذي أنعقد في مكة المكرمة في موسم الحج سنة ١٣٨٨ هجرية - ١٩٦٢ ميلادية، بصفته أحد مؤسسي الرابطة الإسلامية المذكورة.

وفي نوفمبر ١٩٦٢ زار سماحته الجزائر، على رأس وفد فلسطيني، تلبية لدعوة حكومتها في عهدها الاستقلالي احتفالاً بمرور ثماني سنوات على إعلان الثورة الجزائرية.

وخلال عام ١٩٦٣ زار سماحته المملكة العربية السعودية وسورية، وفي فبراير عام ١٩٦٤ (خلال شهر رمضان) قام سماحته برحلة إلى ماليزيا، تلبية لدعوة المؤتمر الاقليمي لمسلمي ماليزيا.

وفي عام ١٩٦٤ - ١٩٦٥ رأس سماحته مؤتمر العالم الإسلامي الذي عقد دورته السادسة في (موقاديشو) عاصمة الصومال من ١٩٦٤/١٢/٢٧ إلى ١٩٦٥/١/٢.

وفي ٢٠ ذي الحجة ١٣٨٤ هـ (٢١ نيسان ١٩٦٥م) رأس اجتماع المجلس التنفيذي لمؤتمر العالم الإسلامي الذي أنعقد في مكة المكرمة.

وفي عام ١٩٦٦ استمر سماحته في عمله المبارك، في سبيل قضية فلسطين، وتنبيه الرأي العام العربي والإسلامي إلى المؤامرة الصهيونية الاستعمارية لتصفيتها.

وفي مستهل شهر آذار عام ١٩٦٧ عاد سماحته إلى الوطن الفلسطيني، بعد هجرة استمرت ثلاثين عاماً إلا بضعة أشهر، قضاها مجاهداً في سبيل قضية فلسطين، واستقبل بالحفاوة البالغة.

وفي ١٢ محرم سنة ١٣٨٧ هـ (٢٢ نيسان ١٩٦٧م) رأس سماحته اجتماع المجلس التنفيذي لمؤتمر العالم الإسلامي الذي أنعقد في كراتشي.

وفي ١٣ جمادى الآخرة ١٣٨٧ هـ (١٦ ايلول ١٩٦٧) رأس سماحته الدورة الطارئة لمؤتمر العالم الإسلامي التي انعقدت في عمان خاصة بالقضية الفلسطينية، بسبب الكارثة الجديدة التي حلت بالعالمين العربي والإسلامي، باحتلال القوات الإسرائيلية المعتدية لبقية فلسطين وبيت المقدس.

وفي السنوات التاليات اشترك سماحته في اجتماعات المجلس العام لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، مستمراً في عمله في رئاسة مؤتمر العالم الإسلامي والهيئة العربية العليا لفلسطين، ساعياً جهده لما فيه جمع كلمة المسلمين والعرب، وتوثيق الروابط بينهم، ولاسيما الدفاع عن قضية فلسطين في المحافل الدولية والإسلامية والعربية، إلى ان اختاره الله إلى جواره بعد ظهر الخميس ١٤ جمادى الآخرة ١٣٩٤ الموافق ١٩٧٤/٧/٤، فتأثرت لوفاته جماهير الشعب الفلسطيني والعالمين العربي والإسلامي، التي تقدر جهاد الفقيد الكبير، واخلاصه وصلابته وثباته، كما تقدر فداءه وانجازاته الضخمة في سبيل توعية العرب والمسلمين باخطار الاستعمار والصهيونية واصراره على التصدي للكيان الصهيوني الدخيل واقتلاع جذوره من فلسطين واستنقاذ المدينة المقدسة ومسجدها الأقصى المبارك من براثن اليهود المجرمين.

○ ○ ○

القسم الثاني

صفحات من مذكرات السيّد محمد أمين الحسيني

قدمنا في القسم الأول نبذة مختصرة عن حياة وتاريخ سماحة المفتي الأكبر لفلسطين الحاج محمد أمين الحسيني، رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى ورئيس مؤتمر العالم الإسلامي، وفيما يلي وقائع مذكراته التي خطها بيده الكريمة، وهي صفحات مضيئة من تاريخ جهاده وكفاح شعبنا العربي الفلسطيني في أحلك فترة مرت بها البلاد العربية والإسلامية، ننشرها ليحيط بها النشئ الفلسطيني والعربي وسائر المسلمين، ممن لم يتوافر له الاطلاع على النواحي الدقيقة من تاريخ القضية الفلسطينية، خاصة ويجري اليوم عملاً سياسياً يبغي طمس وقائع ونضال الشعب الفلسطيني ومواقفه الحقيقية من قيام الكيان الصهيوني، والنوايا الفعلية للاستعمار البريطاني والأمريكي من إقامة هذا الكيان في القلب من الوطن العربي، فتأتي مذكرات المفتي الأكبر لفلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الاعلى الحاج محمد أمين الحسيني لتميط اللثام عن كل حلقات التآمر التي واجهتها القضية الوطنية للشعب العربي الفلسطيني منذ ١٩٢٠ حتى ١٩٤٨، سنة النكبة، وتشتمل المذكرات على سرد وتحليل علمي عميق ورصد دقيق للاحداث والادوار التي مرت بها القضية، وأهم الوقائع التي حفلت بها حياة سماحته، والتي كانت مكرسة لإنقاذ فلسطين وخدمة قضايا الأمة العربية والإسلامية. وإلى جانب المذكرات نورد في وقت لاحق وقائع المؤتمرات واللقاءات الصحفية وبعض مراسلاته التي استطعنا الحفاظ عليها.

الهجرة من فلسطين:

لم تكن الهجرة من فلسطين من خطتي، ولا خطرت ببالي مغادرة بيت المقدس وغيرها من مدن الوطن وربوعه ـ وأن كانت الأقطار العربية كلها وطنا للعرب ـ لاعتقادي أن مكافحة الأعداء في داخل البلاد لأولى وأجدى، وأنه لا يجوز لمجاهد أن يهجر وطنه، أو أن يتزحزح عن ميدان كفاحه، إلا مضطراً مرغماً لأمر هو في صالح القضية التي يجاهد في سبيلها. وقد كنت قبيل العدوان الذي حدث بسبب قضية

(البراق)[*] مزمعاً السفر إلى أوربا، وقد أعددت العدة لتلك السفرة حتى إني حصلت على سمات السفر (التأشيرات) من ممثلي الدول التي كنت سأزورها أو أمر بها.

فلما ظهرت بوادر الشر الذي كان يبيته اليهود حينئذ، شعرت بخطورة الموقف وبضرورة بقائي في الوطن، فعدلت عن السفر وجابهت الخطر حتى انجلت المعركة عن نصر مبين للعرب، وخذلان مهين لليهود. ولما قامت لجنة برلمانية بريطانية برياسة السير وولتر شو (قاضي قضاة سابق) بزيارة فلسطين للتحقيق في أسباب تلك الثورة التي وقع فيها عدد كبير من القتلى والجرحى، حاول محامو اليهود أمام تلك اللجنة، (وكان يرأسها السير بويد مريمان، وهو محام بريطاني شهير استقدمه اليهود خصيصا من بريطانيا)، أن يحملوني وزر الدماء المهراقة، مبرهنين على ذلك بما كنت هيأته من وسائل السفر، وزاعمين أني كنت على علم بالمعركة، بل وأني بعدما أحكمت تدبيرها حاولت الخروج من فلسطين لأخلص من أوزارها، ولكن الحوادث داهمتني، بزعمهم، وحالت دون إفلاتي. وقد كان جوابي الذي رددت به على مزاعمهم، أني كنت حقاً على وشك السفر، فلما شعرت بالشر الذي بيتموه والكيد الذي كدتموه عدلت عن السفر وبقيت، وحتى لو كنت خرجت لسارعت بالعودة إلى البلاد لأواجه عدوانكم المبيت على موطني، ولأتحمل المسئولية كاملة في هذا الموقف.

وحينما قلت هذا القول، لم أكن أظن أني سأضطر لهجرة موطني بعد ثمانية أعوام، أي بعد عام من نشوب ثورة عام (١٩٣٦). تلك الثورة الكبرى التي استمرت ستة أشهر ورافقها الإضراب الفلسطيني العظيم الذي بهر العالم، ثم وقفه نتيجة لتدخل ملوك العرب وقيامهم بالوساطة لدى بريطانيا لإقناعها بإنصاف العرب الفلسطينيين. وفيما يلي الرسالة البرقية التي أرسلها إليّ ملوك العرب وهي بتوقيع المغفور لهم الملك عبد العزيز آل سعود، والملك غازي ملك العراق، والإمام يحيى حميد الدين ملك اليمن والأمير عبد الله بن الحسين أمير شرق الأردن (ولم يكن شرق الأردن قد أصبح مملكة حينئذ)، وهي مؤرخة في ٢٢ رجب سنة ١٣٥٥ هـ الموافق ١٩٣٦/١٠/٨:

«حضرة رئيس اللجنة العربية العليا، إلى ابنائنا عرب فلسطين!..

لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين. فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله، ندعوكم للاخلاد للسكينة حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا

(*) البراق: وهو الجدار الغربي للمسجد الأقصى المبارك، ويدعى البراق النبوي الشريف ويزعم اليهود زوراً بأنه حائط المبكى لإقامة هيكلهم المزعوم على أنقاضه.

صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم».

وعلى أثر ورود هذه الرسائل البرقية اجتمعت اللجنة العربية العليا لفلسطين وبحثت الحالة بحثا دقيقا وقررت وقف الاضراب العام ودعوة عرب فلسطين إلى السكينة وإنهاء الثورة ابتداء من الساعة الثامنة صباح الاثنين الواقع في ٢٢ رجب سنة ١٣٥٥هـ الموافق ١٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٦م، ووجهت بذلك نداء عاما للشعب الفلسطيني.

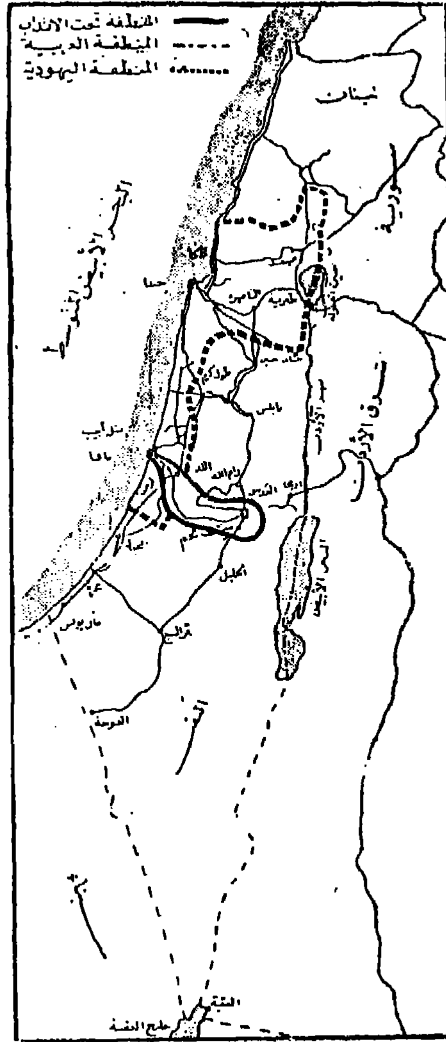
وكان مما دهش له المراقبون الأجانب أن الاضراب الذي استمر ستة أشهر كاملة شمل خلالها فلسطين بأسرها، مدنها وقراها، قد أنتهى، وكذلك أوقف إطلاق النيران في الدقيقة المحددة في منشور اللجنة العربية العليا، فدل ذلك على دقة النظام ومدى الطاعة والانسجام بين أهل فلسطين في تلك الأيام.

ولما وقفت المعركة بقيام تلك الهدنة التي كان القصد منها اتاحة الفرص للدول العربية لمفاوضة بريطانيا على حل قضية فلسطين حلاً عادلاً، رأت اللجنة العربية العليا أن تبعث بوفود إلى الأقطار العربية لمحادثة ذوي الشأن فيها فيما يتعلق بالاتصال باللجنة الملكية التي قررت الحكومة البريطانية ايفادها برياسة اللورد بيل إلى فلسطين للتحقيق في أسباب الثورة وتقديم تواصيها بشأن حل دائم لمشكلتها.. وقد أوفدت اللجنة العربية لهذه الغاية وفودا إلى الرياض ودمشق وبغداد وكانت اللجنة العربية وعرب فلسطين يميلون إلى مقاطعة هذه اللجنة البريطانية لكنهم لم يسعهم بعد استشارة الملوك والرؤساء العرب إلا النزول على رأيهم والاتصال بها.

وفي ٢٣ حزيران (يونيو) ١٩٣٧ قدمت اللجنة الملكية تقريرها إلى ملك بريطانيا، ثم تواترت الشائعات عن استكمال تقرير اللجنة على نصيحة للحكومة البريطانية بتقسيم فلسطين.

وخلال هذه الفترة قد سافرت إلى المملكة العربية السعودية مع وفد زاملني فيه الأستاذ محمد عزة دروزة، والمغفور لهما رياض الصلح والشيخ محمد كامل القصاب منتهزين فرصة الحج لمقابلة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود، ولبسط قضية فلسطين وشرح ظلامتها لحجاج بيت الله الحرام.. ومع ان قضية فلسطين كانت القضية الأساسية التي قدم الوفد من أجلها وهي شغله الشاغل وهمه الأول، فانها لم تحل دون اهتمامه بموضوع الوحدة العربية ومحادثة الملك عبد العزيز وصفوة رجال الدولة بشأن

وضرورة العمل لتحقيقها.. وقد أبدى الملك استعداده لبذل الجهد في سبيل تحقيق هذه الغاية المثلى، وعهد إليّ رحمه الله شخصيا أن أحادث الحكومة العراقية بشأنها (وكنت حينئذ على صلة حسنة بها).



خريطة مشروع التقسيم

بموجب التقرير الذي وضعته اللجنة الملكية البريطانية «لجنة بيل» سنة ١٩٣٧

وبعد عودة ذلك الوفد، ألفنا وفداً أخر لزيارة سورية زاملني فيه السادة حسن أبو السعود ومحمد اسحق درويش ومحمد العفيفي. فقابلنا رئيس الجمهورية السيد هاشم الاتاسي وأركان الدولة السورية الجديدة التي تسلمت الحكم أثر معاهدة (١٩٣٦). ولم نمكث طويلاً في سورية إذ وصلتنا اخبار مقلقة عن فلسطين تشير إلى أن بريطانيا قد ركبت رأسها وأنها ستشرع في اتخاذ وسائل الشدة والعنف وستقمع بالقوة كل حركة وطنية وتخمد كل نأمة تحررية وانها شارعه في اعتقال المجاهدين الفلسطينيين. فبادرنا بالعودة إلى فلسطين مسرعين لمجابهة هذا الموقف العدواني الاستعماري. وقد استغربت السلطات البريطانية عودتنا وكانت تظن أننا انتهزنا الفرصة للنجاة بأنفسنا من نقمتها وانقضت فترة من الزمن بذل الإنكليز خلالها أقصى جهودهم في المساومة والإغراء متوسلين بوسائل ووسائط كثيرة.

ولما فشلوا في التأثير عليّ بوسائل الإغراء والوعد، عمدوا إلى التهديد والوعيد فأرسل إليّ مدير المخابرات العسكرية البريطانية حينئذ المستر «دومفيل» عدة رسائل شفوية مع بضعة أشخاص من أصدقائه ووسطائه كان آخرها رسالة قال فيها: «إن الإنكليز في سبيل مصالحهم ومصلحة الامبراطورية يفعلون كل شيء، يبطشون ويقتلون ولا يبالون باقتراف أي عمل، فأنصحك ألا تعاند، وأن ترفق بنفسك وبآلك وبمن معك».

فلما يئسوا من جدوى الوعيد والتهديد أيضاً، عزموا على اتخاذ خطة جديدة من العنف والبطش، وقد أرهصت لذلك الصحف البريطانية واليهودية وبعض الصحف الأخرى الموالية لهم، وبادرت جريدة التايمس اللندنية الوثيقة الصلة بالدوائر الرسمية البريطانية بنشر مقال بتاريخ ١٦ تموز (يوليو) سنة ١٩٣٧م جاء فيه: «إن المفتي هو العقبة الكؤود في سبيل كل حل للمشكلة وأي تفاهم مع اليهود، وأنه لولا الخوف منه لظهر كثير من المعتدلين الذين يمكن التفاهم معهم، فيجب على الحكومة البريطانية أن لا تتركه وشأنه بل تصفيه وتعزله من رياسة المجلس الإسلامي الأعلى، وأن تبطش به وبالفريق المتصلب العنيد من المتطرفين..».

وقد كان مقال التايمس هذا، نذير دعاني إلى الحذر وإلى توقع شر الإنكليز في وقت قريب. وفعلا لم يلبث أن تحقق ما توقعته. فقد فاجأتنا السلطة البريطانية باقتحام دار اللجنة العربية العليا لفلسطين في القدس يوم (١٧ تموز «يوليو» سنة ١٩٣٧) في الساعة الخامسة مساء بينما كانت تعقد اجتماعها بحضور جميع أعضائها وكنت ارأس اجتماعها، فأحاطت بالدار قوة كبيرة من رجال البوليس البريطاني بعدما سدت منافذ

الطرق وطوقت الحي كله، وكانت مسلحة بمدافع التومي والبنادق سريعة الطلقات وعلى رأسها الضابطان ركز وفتزغرالد، من ضباط دائرة التحريات الجنائية، فقطعوا خطوط التليفون ثم اقتحموا غرفة الإجتماع وباقي غرف الدار واخذوا يبحثون عني بحثا دقيقا في كل مكان وكانت السلطات البريطانية قد أعدت مصفحة حربية لنقلي إلى ميناء حيفا حيث كان الطراد البريطاني (ريبالص) في انتظاري لنقلي إلى جزيرة موريشس في المحيط الهندي. ولكني في اللحظة الأخيرة وقبل إحكام طوق الحصار العسكري كلية تمكنت من الخروج من الدار والإفلات من الشرك والوصول إلى باب المدينة القديمة التي يحيط بها سور عال من بناء السلاطين العثمانيين لحماية القدس من هجمات الأعداء. فولجت الباب ووصلت إلى منزلي المشرف على الجدار الغربي المعروف بمكان البراق والواقع مدخله بين أروقة ساحة المسجد الأقصى المبارك العظيمة الاتساع التي تبلغ مساحتها ثلاثة وسبعين فدانا.

ولما كان المسجد الأقصى يضم في ذلك الوقت عددا من المجاهدين الفلسطينيين بالبنادق والمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية وقد كانوا على أتم استعداد لمقابلة العدوان البريطاني، فقد اضطرت السلطات البريطانية بعدما فشلت في القبض عليّ، أن تضع حراسة عسكرية قوية على أبواب المسجد الأقصى العديدة وحول أسوار المدينة القديمة لمنعي من النجاة. وظلت هذه القوة نحو ثلاثة أشهر محاصرة المسجد الأقصى فقد منعت خلالها عليّ البريد والبرقيات والاتصال بالعالم كما قطعت التليفون والكهرباء. وأخيراً جاءت بقوة عسكرية من مسلمي الهند قاصدة أن تقتحم بها أبواب المسجد الأقصى للقبض عليّ وعلى من فيه من المجاهدين ولما كان ذلك يسبب نتائج خطيرة وخسائر فادحة في الأنفس ولا سيما في هذا المسجد المبارك العظيم الذي يجب ان تتوفر له حرمته لما له من قدسية ومكانة دينية وتاريخية وأثرية، فقد قررت عندئذ فقط الخروج من القدس والمجازفة باختراق نطاق الجند المحاصر لبيتي وللمسجد من جميع أطرافه، والهجرة إلى أحد الأقطار العربية المجاورة حيث تتوفر لي حرية العمل ومتابعة حركة الجهاد والتحرر التي اوشكت أن تستأنف نشاطها بعد صدور قرار اللجنة الملكية بتقسيم فلسطين.

ولم يكن قرار الخروج والهجرة يسيراً عليّ، لأني لم أكن احب الابتعاد عن ميدان المعركة من جهة ولارتباط الإنسان الفطري بوطنه وداره من جهة ثانية. وقد شجعني على اتخاذ قراري هذا ما جاء في الآية الشريفة:

﴿قل إن كان اباؤكم وابناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها

وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾. فقد كنت أشعر براحة ودعة وطمأنينة في مسكني، فلم يكن من السهل عليّ مغادرته.

أما كيفية خروجي من منزلي، ونجاتي من نطاق الجند البريطاني الذي كان يحيط به وباسوار المسجد الأقصى والمدينة القديمة ليلا ونهارا، فقد تحدثت عنها في الصحف كثيرا في ذلك الحين، حتى أن جريدة الديلي اكسبريس خاطبتني بالتلفون من لندن بعد وصولي إلى بيروت عارضة عليّ عشرين ألف دولار لقاء كشف الطريقة التي استطعت بها اختراق الحصار العسكري البريطاني الشديد، فرفضت ذلك لأنفتي من عروضهم ولاعتقادي أن ظروف القضية الفلسطينية ووفرة أعدائها من مستعمرين ويهود، قد تضطرني للقيام بمثل هذه المغامرة مرة أخرى، وبالفعل فقد لجأت إليها بعد ذلك مراراً.

لقد كان البيت الذي أقيم به في القدس من المباني القديمة المحيطة بالمسجد الأقصى التي شادتها الدول الإسلامية السابقة لتكون رابطة ومدارس ومراكز روحية ودفاعية عن ذلك المكان المقدس. وقد اعتقدت خلال الثورات المتتالية والمعارك الدموية التي كانت تنشب في بيت المقدس، وسائر فلسطين، في عهد حكومة استعمارية ضالعة مع الأعداء، أن الحذر والحيطة ضرورة قصوى، فاغلقت أبواب بيتي ومنافذه إلا الباب المتصل بحرم المسجد الأقصى كما فتحت منفذاً سرياً يتصل باحدى الأبنية القديمة الضخمة التي انشئت في عهد المماليك والمسماة بمدرسة قايتباي وهي توصل إلى بيوت ومنافذ أخرى يمكنني سلوكها والنجاة منها عند الضرورة. وبعد دراسة السبل التي ينبغي سلوكها لاجتياز نطاق الجند البريطاني، لم تكن هناك سبيل للخروج من أي باب لشدة الحراسة والتفتيش، ولم يكن مناص من تسلق أحد الأسوار والهبوط منه إلى الخارج. وهكذا كان فقد ربط حبل متين في أعلى سور المسجد الجنوبي هبطت مع رفيق[1] بواسطته من ارتفاع عشرين متراً حتى وصلنا الأرض. وقد نبحتنا كلاب الحي منبهة أسماع الجنود الإنكليز الذين كانوا يروحون ويغدون وراء سياج المزرعة (الحاكورة) التي هبطنا إليها والتي لم يكن بد من اجتيازها. وقد رصد صاحب المزرعة[2] سير الجنود حتى سنحت لنا فرصة فخرجنا من المزرعة، وهبطنا إلى «وادي

(١) ـ المرحوم عارف الجاعوني من كبار مجاهدي القدس.

(٢) ـ كان صاحب المزرعة (الحاكورة) يعرف المرحوم عارف الجاعوني الذي افهمه ان معه أحد الأصدقاء، دون ذكر الاسم، يريد تسهيل هروبه.

الربابة» ثم صعدنا الحي العربي القائم على جبل «الشيخ الثوري» حيث كان في انتظارنا أحد الأصدقاء في سيارة أعدت إعداداً خاصاً.

وكان الخروج من القدس في الساعة السابعة من مساء الثامن من شعبان سنة ١٣٥٦ الموافق ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٧ فوصلت بنا السيارة إلى يافا رغم تعرضها للتفتيش مرارا، وكنت ارتدي ملابس بدوية بسيطة مهلهلة. ونزلنا في بيت أحد الأصدقاء[١] الخلص من سراة يافا على شاطئ البحر وكنا معه على ميعاد في تلك الليلة، وقد أعد زورقاً بخارياً لنقلنا إلى الشواطئ اللبنانية ولكن الإنكليز ارتابوا في هذا الزورق فراقبوه وحجزوه، ولما لم يكن في وسعنا الانتظار طويلاً لئلا ينكشف خبر خروجنا من القدس، فقد اضطررنا أن نركب في زورق شراعي صغير حمولته طن واحد ولا يزيد طوله على ثلاث امتار، يملكه شاب وطني مغامر من بحارة يافا الشجعان[٢] متوكلين على الله. وسار الزورق بي وبرفيقيّ الساعة الواحدة بعد منتصف الليل متسللاً ومحاذراً زوارق دوريات البوليس البريطاني البخارية التي كانت ترسل أضواءها الكاشفة إلى كل مكان، وكان زورقنا الضئيل يستتر في ظلال المباني العالية المحاذية للشاطئ كلما تسلطت عليه الانوار.

واستطعنا أن نسير ببطء شديد ونخرج من ميناء يافا ونصل إلى ميناء تل ابيب بعد ساعات وطلع علينا الصبح ونحن لم نزل أمام قرية سيدنا عليّ «وهي قلعة أرسوف التي اشتهرت في الحروب الصليبية» حيث شاهدنا سفينة حربية صغيرة تقتفي أثرنا من بعيد. وبجهد قليل سحبنا زورقنا الصغير إلى الشاطئ وأدخلناه إلى اليابسة وجلسنا بجواره حتى مرت سفينة خفر السواحل غير آبهة، ثم استأنفنا السير وكانت الريح معاكسة لنا وتجري بما لا تشتهي سفينتنا الصغيرة مما اضطرنا إلى طي الشراع واستعمال المجاذيف.

فلما جن الليل أوينا إلى صخرة قريبة من ميناء أبو زابورة وهكذا لم نقطع خلال خمس عشرة ساعة أكثر من أربعين كيلومترا.

وبعد أن نلنا نصيبنا من الراحة استأنفنا السير الليل كله وأصبحنا على مقربة من شاطئ قرية (الطنطورة) جنوبي حيفا حيث أوينا إلى ظل كهف كان يلجأ إليه المهربين عادة، فنلنا قسطاً من الراحة والطعام واغفينا قليلاً، إذ بقوة من بوليس مراقبة المهربين في

(١) ـ المرحوم يوسف ضيا الدجاني.

(٢) ـ المرحوم يوسف اللواح ومساعد له.

ذلك الشاطئ تدهمنا فهب صاحب الزورق مذعورا ولبثت انا مدثراً بعبائتي متظاهراً النوم. ولحسن الحظ كان قائد الدورية صديقاً حميماً لصاحب الزورق فقابله بلهفة وترحيب وقال له: «لقد ظنناكم مهربين فداهمناكم، ثم دعاه ودعانا إلى وليمة غذاء في بيته ولم نتخلص من دعوته الكريمة إلا بشق الأنفس»، ولم تكد قوة البوليس تبتعد عنا حتى رجعنا إلى الزورق فركبناه وأسعفتنا الرياح وتوغلنا في البحر لنبتعد عن جبل الكرمل وميناء حيفا وما فيها من سفن خفر السواحل.

ولما جن الليل كنا قد جاوزنا الشواطئ الفلسطينية وصرنا أمام شاطئ البياضة بالقرب من مدينة «صور» اللبنانية، فاتجهنا إليها وقد رأينا سيارة تقف على الطريق المحاذي للشاطئ وتوجه أنوارها إلى البحر فأدركنا أنها السيارة التي كنا قد اتفقنا مع أحد الأصدقاء على إعدادها لتحملنا بطريق لبنان إلى دمشق حيث قامت جمهورية عربية جديدة برئاسة السيد هاشم الاتاسي، وكان رئيس الوزراء والوزراء جميعاً من صفوة الوطنيين الأصدقاء كالسيد شكري القوتلي والسيد سعد الله الجابري، وغيرهما.

فلما اقتربنا من الشاطئ فاجأنا زورق بخاري فرنسي مسلح من قوة خفر السواحل اللبنانية وقاد زورقنا إلى صور ولما شرعوا في التحقيق معنا خابت آمالهم إذ لم يوفقوا في القبض على المهربين الذين كانوا في انتظارهم، ورفضت أنا أن أعرّفهم بشخصيتي وسميت نفسي «محمد الجعفري» حتى وصل مساعد مدير الأمن العام الفرنسي في لبنان واخذني بسيارته إلى بيروت حيث قابلني مدير الأمن العام المسيو كولومباني وعرفني. ومكثت في بيروت تحت حراسة الشرطة الفرنسية ولم يسمح لي بمتابعة السفر إلى دمشق، ولا بمقابلة أحد في بيروت وبعد مخابرات طويلة بين الفرنسيين والإنكليز حاول المندوب السامي الفرنسي «الكونت دو مارتيل» نقلي إلى باريس، فرفضت وقامت مظاهرات عربية حماسية في بيروت التي بذل زعماؤها الوطنيون جهودا مشكورة أدت إلى بقائي في لبنان وإقامتي بقرية «الذوق» على مسيرة ١٨ كيلومتر من بيروت إلى الشمال حيث بقيت تحت اشراف البوليس عامين كاملين إلى أن نشبت الحرب العالمية الثانية.

لقد كان المساعدون الأساسيون في هذه المغامرة، والذين يعود إليهم بعد الله الفضل في اختراق النطاق الإنكليزي الشديد، وإنقاذي من براثن المستعمرين، ثمانية ابطال اثنان من القدس، واثنان في الطريق بين القدس ويافا، واثنان من يافا، واثنان في البحر، ولقد أدى كل واحد منهم دوره بكل اخلاص وحماسة وكتمان. ولم يفه أحدهم بكلمة عما فعله حتى الآن. ولم يمن ولم يتبجح، ولم ينل أحد منهم أجراً مادياً

على عمله، حتى صاحب الزورق فقد قدمت إليه خمسين جنيها حين فارقته في «صور» أجرة لزورقه وجهده العظيم، وما عانا في ثلاث ليال وثلاثة أيام من مشاق وأخطار، فأبى قبولها وأقسم أن لا يأخذ أي أجر مني. إلا بعد عودتي إلى القدس.

فما أعظم هؤلاء المخلصين وأمثالهم من المؤمنين العاملين الذين لا يقبلون أجراً إلا من رب العالمين. فلهم جميعا. من قضى نحبه ومن ينتظر، أخلص دعائي وأطيب تحيتي واحترامي.

ثورة فلسطين الكبرى وإضرابها التاريخي ١٩٣٦ - ١٩٣٩:

قبل اضطراري للهجرة من فلسطين، حدثت فيها أحداث مهدت لاستئناف الثورة التي أوقفت استجابة لدعوة ملوك العرب وتعهدهم بالسعي لدى بريطانيا لتحقيق مطالب الفلسطينيين. ولكن صدور تقرير لجنة اللورد بيل بتقسيم فلسطين جاء مخيبا للآمال، فرفضه الفلسطينيون وعلى رأسهم اللجنة العربية العليا التي أرسلت إلى الحكومات العربية مذكرة مسهبة بالاستنكار والإصرار على تحقيق الميثاق العربي الذي يقرر للفلسطينيين استقلالهم وسيادتهم.

واول جواب ورد على اللجنة العربية كان من السيد حكمت سليمان رئيس الوزارة العراقية حينئذ باستنكار التقسيم والتعهد بمقاومته. ثم أعلن تصريحا شديدا عقب ذلك بأن العراق سيحطم أكبر رأس عربي يقبل التقسيم.

ثم وردت برقيات كثيرة بتأييد عرب فلسطين، والوعد بمناصرتهم، والحض على الثبات والاستمرار واستنكار التقسيم، من المغفور لهم الملك عبد العزيز آل سعود، والأمام يحيى حميد الدين ملك اليمن، ومحمد باشا محمود زعيم المعارضة بمصر حينئذ، ومن رئيس الوزارة السورية محمد جميل مردم بك. ومن علماء الأزهر، ونجد والعراق، ومن كثير من زعماء الأقطار العربية في المشرق والمغرب، وزعماء المسلمين في الهند والأفغان وإيران وغيرهما.

وقامت مظاهرات كبيرة في البلاد العربية قاطبة ضد التقسيم.

وفي اغسطس سنة ١٩٣٧ عرضت الحكومة البريطانية مشروع التقسيم على عصبة الأمم المتحدة في جنيف وطلبت الموافقة عليه. ولكن لجنة الإنتداب، وكان يرأسها يومئذ المركيز «تيودولي» الايطالي، لم توافق على تقرير لجنة بيل التي أوصت بالتقسيم. غير أن الحكومة البريطانية أعادت الكرة فعرضت التقرير بعد نحو شهر من هذا التاريخ،

بواسطة وزير خارجيتها مستر أيدن على مجلس عصبة الأمم، فانبرى وزير خارجية مصر واصف غالي (باشا) وعارض المشروع بقوة ودافع دفاعاً مجيداً عن قضية فلسطين وحقوق شعبها وأكد اهتمام مصر الشديد بها لما يربطها بفلسطين من روابط كثيرة. وتبعه السيد توفيق السويدي وزير خارجية العراق فعارض المشروع بقوة، ثم عارضه فروغي خان وزير خارجية إيران، وممثلو الأفغان والبانيا وايرلندا.

وكان يمثل ايرلندا حينئذ رئيس وزرائها المشهور «ديفاليرا» فلما أبرقت له شاكرا موقفه الشريف الحر أجابني ببرقية جاء فيها: «إن التقسيم أفظع الوسائل وأشنع الأسلحة التي يمزق بها الاستعمار قلوب الشعوب المظلومة».

ومن الحوادث المهمة التي حدثت خلال هذه الفترة انعقاد مؤتمر بلودان العربي في ٨ سيتمبر (ايلول) سنة ١٩٣٧ وقد أنعقد المؤتمر برئاسة ناجي باشا السويدي وانتخب لنيابة الرئاسة الأمير شكيب أرسلان ومحمد عليّ علوبه واشترك فيه أربعمائة وخمسون عضواً من صفوة رجال الأمة العربية وقرروا: «أن فلسطين جزء لا ينفصل من الوطن العربي وأن العرب جميعا يرفضون مشروع التقسيم وإنشاء دولة يهودية فيها...» ثم اقر المؤتمرين ميثاقاً أقسموا عليه وقوفاً بحماسة رائعة جاء فيه: «إن المؤتمرين يقسمون ويتعهدون أمام الله والتاريخ والشعوب العربية والإسلامية ان يستمروا في الكفاح إلى أن يتم إنقاذ فلسطين».

جاءت هذه الحوادث وغيرها من أمثالها، مؤيدة الفلسطينيين في موقفهم من رفض التقسيم وزادتهم تصميماً على الكفاح، ومهدت السبيل امامهم لاستئناف ثورتهم على الاستعمار والظلم، وكانت بريطانيا من جانبها، مصممة على المضي في خطتها الغاشمة فشرعت في أعمال العنف والشدة بادئة باعتقال عدد كبير من الوطنيين، وازدادت عنفا بعد مقتل المستر «اندروز»[1] حاكم لواء الجليل الذي كان من حكام الإنكليز الذين طغوا في البلاد فقد اطلق عليه بعض الفدائيين الفلسطينيين النار في مدينة «الناصرة» فأردوه قتيلاً.

وعمدت بعد ذلك السلطة البريطانية إلى حل اللجان القومية الفلسطينية، واعتقال كثير من أعضائها، ثم حلت اللجنة العربية العليا وقبضت على من استطاعت من أعضائها ونقلتهم إلى «سيشل» وهم السادة أحمد حلمي باشا والدكتور حسين الخالدي ويعقوب الغصين وفؤاد سابا. ومن غير أعضائها السيد رشيد الحاج ابراهيم،

(١) - في ٢٦ أيلول ١٩٣٧ أقدم مجهولون على قتل أندروز حاكم الجليل ومرافقه في مدينة الناصرة.

وجعلت أفكر فيما ينبغي عمله للافلات من قبضة الفرنسيين إذا ما أصروا على موقفهم وأخذت مع صديقي الفلسطيني الذين ساعدني على الخروج من فلسطين، ورافقني في سفري بالزورق من يافا إلى لبنان، نبحث افضل الطرق وأضمنها للخلاص من ذلك المنزل المحروس حراسة قوية من خارجه برجال البوليس ومن داخله بعدد من الضباط الذين يقضون ليلهم في الغرف المجاورة لغرفتي. ورأينا أننا مضطرون لاتخاذ طريقة الهبوط بالحبل مرة أخرى! وفعلاً جاء صديقي بحبل لربطه بنافذة غرفتي الواقعة في الدور الثالث للهبوط به وقد كانت الامطار الغزيرة في تلك الاوقات تساعد على النجاة في ظلام الليل.

ولكننا والحمد لله لم نحتج إلى القيام بهذه المغامرة، إذ لم يلبث الكولونيل الفرنسي أن أبلغني ظهر اليوم الثاني ان المندوب السامي الفرنسي لا يرغمنا وأنه يسمح لنا بالاقامة بلبنان تحت اشراف إدارة الأمن العام. فتنفست الصعداء، وحاولت مرة أخرى أن يسمح لي الفرنسيون بالاقامة بسورية ولكنهم لم يوافقوا على ذلك، ولا على الاقامة ببيروت أو طرابلس وبعد محاولات شتى وافقوا على الاقامة بقرية «ذوق مكايل» من منطقة «كسروان» وهناك استأجرت داراً، وشرع إخواننا من العاملين معنا يفدون علينا ويستأجرون الدور المجاورة لدارنا بالتدريج، حتى صارت تلك المنطقة اشبه بحي خاص بنا، مما ساعدنا كثيرا على تحقيق اغراضنا، ومقابلة من تقضي الحاجة بمقابلته، والاجتماع به سراً من قادة المجاهدين وكبار رجال الحركة الوطنية بفلسطين والأقطار العربية، رغم الحراسة القوية، والرقابة البوليسية، التي فرضتها السلطات الفرنسية على ذلك الحي. على ان ضباط البوليس كانوا يسمحون لبعض ذوي الشأن بزيارتنا بعد الاستئذان من المسيو كولومباني مدير الأمن العام.

وكان ممن تفضل بزيارتنا في احرج الاوقات، في «الذوق» وفي «قرنايل» التي كنا نقضي فيها شهور الصيف في الجبل، فخامة السيد شكري القوتلي حاملا الينا الاعانات والمساعدات، وكان يقطع المسافات ماشيا على قدميه، متعرضاً للاخطار في سبيل الله والمصلحة العربية.

وقد زارنا خلال العامين اللذين قضيناهما في لبنان، وباحدى الطريقتين السرية والعلنية، عدد من كبار رجال الأمة العربية، منهم الفريق عزيز على المصري، وحمد الباسل باشا، ورشيد عالي الكيلاني، والشيخ بشارة الخوري، ورستم حيدر، وتوفيق السويدي، وسعد الله الجابري، وفارس الخوري، ونوري السعيد، وامين باشا العمري رئيس أركان الجيش العراقي، وغبطة بطريرك الموارنه بولس المعوشي وكان حينئذ

وأعلنت إلغاء رئاسة المجلس الإسلامي الاعلى، وسلمت ادارته إلى لجنة ثلاثية، إثنان منها من البريطانيين برئاسة مستر كركبرايد للإشراف على شؤون الأوقاف والمحاكم الشرعية الإسلامية. وكذلك حلت جميع المؤسسات العربية الوطنية بفلسطين.

وعلى أثر ذلك عقدت منظمات الجهاد العربية عدة اجتماعات سرية قررت فيها استئناف الثورة ووضعت الخطة وحددت يوم ١٥ اكتوبر سنة ١٩٣٧ موعدا لتنفيذها. وكان خروجي من فلسطين قبل هذا التاريخ بيومين، أي في ١٣ اكتوبر، وقد كنت أعلنت بياناً لينشر في اليوم المحدد، دعوت فيه الأمة لاستئناف الجهاد واستمرار الكفاح إلى أن تفوز بالحرية والاستقلال.

وقد كنت أبديت رغبتي لصفوة من قادة المجاهدين، في الخروج من القدس إلى إحدى المناطق الجبلية المنيعة في فلسطين للمشاركة الفعلية في الجهاد، إذ كنت قد مارست الجندية عندما كنت ضابطا في الجيش العثماني طول مدة الحرب العالمية الاولي، ولكن أولئك القادة، بعد دراسة عميقة للموضوع، عارضوا هذه الرغبة بقوة قائلين ان وجودي في أي منطقة من مناطق الثورة، يجعلها هدفاً مركزاً للأعمال العسكرية البريطانية ومهاجمتها بالطائرات والمدافع والمصفحات وكل ما لدى الأعداء من وسائل حتى يقضوا عليها. ولا سيما أن فلسطين بلاد صغيرة الرقعة تقطعها السيارة خلال ساعتين، وليس فيها أية منطقة لا يستطيع جيش الأعداء اقتحامها بوسائله الحربية الوافرة ولا تصلح الا لحرب العصابات التي هي حرب الكر والفر، هذا بالإضافة إلى قلة ما لدى المجاهدين من وسائل للدفاع وضعف التسلح، فنزلت عند رأيهم واتفقنا على خطة العمل، ووسائل الاتصال وغير ذلك من الشؤون التي تتطلبها ثورة بعيدة الاجل وعلى ان تكون سورية مركز وقيادة الحركة.

ولأجل تحقيق هذه الغاية طلبت من السلطة الفرنسية عندما وصلت إلى بيروت ان تسمح لي باستئناف سفري إلى دمشق لكن الفرنسيين رفضوا ذلك وكلفوني أن أسافر إلى باريس في سفينة فرنسية راسية في الميناء، وجاء مدير الغرفة العسكرية للمندوب السامي الفرنسي الكونت دومارتيل، وهو ضابط فرنسي برتبة كولونيل يبلغني هذا على انفراد في المنزل الذي أقمت به مؤقتاً وهو منزل المغفور له الدكتور سامح الفاخوري رئيس المجلس الإسلامي في لبنان، فرفضت هذا التكليف بإصرار، وأيّدني في موقفي الدكتور الفاخوري الذي رفض هذا التكليف أيضاً، بصفته رئيس المجلس الإسلامي في لبنان. وشاركنا في هذا الرفض عدد من وجوه اللبنانيين. وسرعان ما قامت مظاهرة في بيروت باستنكار محاولة السلطات الفرنسية إبعادي إلى فرنسا.

مطرانا، وسامي الصلح، ورياض الصلح، وعبد الحميد كرامي، وعادل أرسلان، وحسين العويني، وعمر الداعوق، وحمدي الباجه جي، ونبيه العظمة، وعمر بيهم، وآل سلام، ومحمد طلعت حرب باشا، ومدحت باشا يكن، ورشيد باشا الناصر الوزير المفوض للملكة العربية السعودية في سورية، وأمين الريحاني، وكثيرون من اعيان لبنان وسورية ومصر وزعماء مسلمي الهند والأقطار الإسلامية الأخرى. على أن عملنا الأساسي كان يتركز في أعمال الجهاد، وكان البحث والحديث مع قواد المجاهدين يضطرنا إلى قضاء الليل ساهرين فلا ننام إلا بعد صلاة الفجر.

ولهذه المناسبة أذكر أنه زارني في «الذوق» مندوب من قبل الأمير طلال «ولي عهد الأردن» يحمل رسالة منه، تتضمن رغبته في أن يشاركنا بشخصه في الثورة، على الظلم والاستعمار، فشكرت له ذلك أجزل الشكر وارجأت الجواب النهائي على رسالته إلى أن نبحثها مع رجال القيادة الذين قابلوها بالإعجاب والشكر، وكان الرأي أن ادخار الأمير طلال للمستقبل أولى وأجدى للمصلحة العربية العامة من المجازفة به في هذه المعركة. وأذكر بهذه المناسبة أيضاً أني قابلت الأمير طلال عام ١٩٥١ في مطار القاهرة صدفة، وكان يصحبه ضابط من ضباط «البريغادير» جلوب[1] كمرافق له «ياور» في الظاهر ورقيب يحصي عليه انفاسه في الحقيقة، فلما تلاقينا وتبادلنا التحية، أمر الضابط بأن يتأكد من موعد قيام الطائرة فلما خرج أقبل عليّ قائلا: «إنهم يراقبوننا باستمرار، وإني على العهد، لا أتغير، ولا أحيد عن طريق الاخلاص للأمة».

وبعد استقرارنا في لبنان، شرعنا بالاشتراك مع عدد من إخواننا العاملين الذين أقاموا في دمشق، في تنظيم الأعمال وتوزيعها على اللجان والهيئات المختصة. وقد عملت كلها بنشاط وانسجام واخلاص وكتمان، وكانت الأعمال تدار من بيروت ودمشق معاً.

* * *

ولم يمض أسابيع قليلة على تجدد الثورة حتى ألتهبت فلسطين كلها بنيرانها التهاباً شديداً، وأخذت صحف العالم وإذاعاته تردد صدى هذه الثورة الفريدة ووقائعها البارزة بما لم يسبق له مثيل من العناية والاهتمام. ولم يكن يمر أسبوع دون أن تقع معركة كبرى يحشد لها الإنكليز ألوفاً من جنودهم لمقاتلة رجال العصابات الفلسطينية الذين كانوا يهاجمون المعسكرات وينسفون طرق المواصلات وخطوط السكك

(١) جون باجوت غلوب آخر قائد إنكليزي للفيلق العربي ـ الجيش العربي الأردني ـ أقصي عام ١٩٥٦.

الحديدية ومحطاتها ببسالة نادرة، وشملت هجمات المجاهدين أنابيب شركة بترول العراق البريطانية الممتدة من كركوك إلى حيفا بالتفجير والإحراق، وغير ذلك من الأعمال العظيمة التي اضطرت وزير المستعمرات البريطانية أن يعترف بخطورتها وقوتها وشجاعة الثوار الذين تدفعهم عقيدتهم الوطنية لركوب الاخطار كما اضطرت الصحف البريطانية للاعتراف بأن «حفنة صغيرة من العرب الضعاف العزل في فلسطين تقوم بمقاومة تبهر العالم بما فيها من بأس واستماتة وتثير الحماسة بين العرب من كل أنحاء الأقطار العربية».

في أواخر عام ١٩٣٨ بلغت الثورة اوجها الأعلى وسيطر المجاهدون الفلسطينيون على معظم أنحاء فلسطين حتى كادت المقاومة البريطانية المسلحة تنحصر في داخل مدن فلسطين الكبرى وأجليت معظم الاسر البريطانية إلى خارج فلسطين.

وبلغت جرأة المجاهدين ان دخل بعضهم سراي الحكومة في مدينة جنين واقتحموا غرفة الحاكم البريطاني (موفت) وأردوه قتيلا وانصرفوا غير آبهين برجال الجند والبوليس والحرس الذين كانوا منتشرين داخل السراي وخارجها.

وشملت حركة الجهاد أهل القرى والمدن على السواء، رجالاً ونساء، شيباً وشباناً.

واستمرت نار الثورة مشتعلة عامين كاملين من تشرن الأول (أكتوبر) عام ١٩٣٧ إلى تشرين الأول عام ١٩٣٩، أي إلى ما بعد إعلان الحرب العالمية الثانية، وقد سطر المجاهدون الفلسطينيون خاصة والشعب العربي الفلسطيني عامة في ثورتهم هذه أروع آيات البسالة والفداء في سجل القضية العربية، بل في تاريخ الحركات الثورية التي قامت في سبيل الحرية والخلاص من ربقة الظلم في العالم كله.

لقد كان عرب فلسطين الذين لا يتجاوز عددهم مليون ونصف المليون نسمة يقارعون في ثورتهم هذه الامبراطورية البريطانية واليهودية العالمية معا بكل ما تملك هاتان القوتان العظيمتان من عدد وعدة وجنود وحشود، وأموال ووسائل عسكرية وسياسية واقتصادية. كانوا يقارعون تلك القوى العالمية وهم قلة لا تكاد تذكر في العدد والسلاح والمال، وفي كل وسائل الحرب والقتال، وكان إيمانهم ويقينهم هو الذي يدفعهم للاستماتة في سبيل غايتهم المثلى وهدفهم الأسمى.

وجاء في كتاب الفه الجنرال هنري ميتلاند ولسون الذي اشترك في مقاتلة عرب فلسطين قبل أن يتولى قيادة القوات البريطانية في مصر ثم في منطقة البحر الابيض المتوسط، ذكر مستفيض لبطولة عرب فلسطين في تلك المعارك الدامية ومن قوله:

إن خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يعتصمون في الجبال ويقومون بحرب العصابات لا يمكن التغلب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح.

وقد كان هتلر زعيم المانيا النازية معجباً أشد الإعجاب بكفاح عرب فلسطين وبسالتهم التي بهرته حتى أبدى إعجابه هذا للسيد خالد أبي الوليد القرقني مستشار المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود في مقابلة رسمية له عام ١٩٣٨، كما أنه «أي هتلر» وجه خطاباً إلى الالمان في السوديت الذين كانوا يحاولون الخلاص من حكم تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٣٨ والانضمام إلى المانيا جاء فيه ما معناه: «يا المان السوديت! اتخذوا من عرب فلسطين قدوة لكم، إنهم يكافحون إنكلترا أكبر امبراطورية في العالم، واليهودية العالمية معاً ببسالة خارقة وليس لهم نصير أو مساعد. أما انتم فإني أمدكم بالمال والسلاح، وإن المانيا كلها من ورائكم؟».

بالغت السلطات البريطانية في اتخاذ وسائل البطش والارهاب لقمع الثورة وحشدت في فلسطين على التوالي أربع فرق عسكرية أي ما يعادل خمسين ألف جندي بريطاني وعززتهم بقوات الطيران والمدفعية وجندت بالأضافة إلى قوات البوليس الاصلية في فلسطين نحو عشرة آلاف بوليس إضافي من العرب واليهود حتى بلغ مجموع القوات المجندة لقمع الثورة نحو سبعين الفاً، عدا قوات الحدود وقوة شرق الأردن التي كانت تحت قيادة «جلوب» الإنكليزي. واقترفت من وسائل الارهاب والقسوة والتعذيب ما لا يكاد يصدق ان حكومة مدنية تقترفه في الأهلين في المدن والقرى. وقد أربى عدد الشهداء خلال عامي ١٩٣٨ - ١٩٣٩ على ستة آلاف شهيد عدا مئة وخمسين حكمت عليهم المحاكم البريطانية بالإعدام شنقاً، وشنق كثير منهم في شهر رمضان وهم صائمون كالشهيد الشيخ فرحان السعدي البالغ من العمر ٧٥ عاما والشهيد خليل أبو لبن وبلغ عدد الجرحى عشرات الالوف وبلغ عدد المعتقلين الذين اعتقلوا مدة طويلة أو قصيرة نحو خمسين الفاً. ونسفت السلطات أحياء برمّتها في بعض المدن الكبرى مثل يافا وجنين وفي كثير من القرى، واتلفت مواد التموين ونهبت الأموال والأمتعة، وعانى كثير من المعتقلين المسجونين أشد أنواع التعذيب الوحشي كالكي بالحديد المحمى بالنار، وقلع الاظافر، والحبس في الثلاجات وتعليق المسجونين من أرجلهم وملئ بطونهم بالمياه، وجلدهم بالسياط حتى تتفجر أجسادهم دماً، وما إلى ذلك من اساليب القسوة التي اشتهر بها الإنجليز.

وقد تعاقب على قيادة القوات البريطانية في فلسطين خلال الثورات التي استمرت من عام ١٩٣٦ - ١٩٣٩ أشهر قواد بريطانيا العسكريين كالجنرال دل وويفل وهاننج

وولسون ورتشي وغيرهم. استقدمت بريطانيا من الهند أحد خبرائها المشهورين في قمع الثورات ومقاومتها هو «السير تجارت» فأشار ببناء قلاع عسكرية في شتى أنحاء فلسطين، وإغلاق الحدود المشتركة بين فلسطين وسورية ولبنان وشرق الأردن بمانع من الأسلاك الشائكة والألغام، ولكن المجاهدين قاموا بعمل عظيم إذ اقتلعوا هذا المانع من أساسه وأزالوا هذا العائق الذي يعترض سبيل اتصالهم بإخوانهم المجاهدين في سورية ولبنان.

سرت الثورة من فلسطين إلى شرق الأردن حيث قتل عدد من الضباط والجنود الإنكليز في معارك قرب اربد وعجلون، وتطوع عدد من الأردنيين والسوريين واللبنانيين والمصريين وانضموا إلى حركة الجهاد مع إخوانهم الفلسطينيين، وبدأ في مصر عطف بالغ على حركة الثورة الفلسطينية ظهرت آثاره واضحة في صحفها، وفي الاجتماعات التي كانت تعقد في الجمعيات والاندية، وفي المذكرة التي وقعها مائة وسبعون نائباً من البرلمان المصري على اختلاف أحزابهم باستنكار المظالم البريطانية في أهل فلسطين.

وأخيراً في انعقاد المؤتمر البرلماني في مصر الذي دعت إليه لجنة برلمانية مصرية برئاسة المغفور له الأستاذ محمد عليّ علوبة باشا وشهده ممثلون للأقطار العربية والإسلامية الآتية وهي: مصر وسوريا والعراق ولبنان والهند والمغرب واليمن وفلسطين ومسلمو يوغوسلافيا، ومهاجروا العرب في امريكا، وقرر المؤتمر تأييد ميثاق فلسطين القومي، ورفض الانتداب والوطن القومي اليهودي، واستنكار تقسيم فلسطين والمظالم التي تقترفها بريطانيا في شعب فلسطين العربي لارغامه على الخضوع، وتمجيد هذا الشعب المجاهد، وقرر المؤتمر أيضاً إرسال وفد إلى لندن لاعلام الإنكليز بقراراته. وكان الوفد مؤلفاً برئاسة الأستاذ محمد عليّ علوبة وعضوية السيدين شودري خليق الزمان وعبد الرحمن صديقي وهما من أبرز رجال مسلمي الهند.

وتبع ذلك عقد المؤتمر النسائي العربي في القاهرة الذي قام بنشاط مشكور في سبيل فلسطين وأعلن استنكاره للمظالم البريطانية وللسياسة الجائرة التي تسير عليها بريطانيا في فلسطين وتأييده وتمجيده لجهاد الشعب العربي الفلسطيني.

ثم أخذت تبدو من الحكومة المصرية التي كان يرأسها المغفور له محمد محمود باشا مظاهر اهتمام بالغة بقضية فلسطين وأعلنت ذلك في البرلمان المصري، كما قامت بعدة اتصالات بالحكومة البريطانية والحكومات العربية بشأنها.

كان اليهود في فلسطين، جاهدين في حبك الدسائس، وإثارة الفتن بين العرب، ولديهم إدارة خاصة لذلك في «الوكالة اليهودية» رصدت لها مبالغ طائلة لإنفاقها في هذه السبيل، وكان في طليعة خططهم، إثارة النعرات الطائفية بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين، وقد ظهرت جهودهم في فترة الثورة بشكل واسع، فكانوا يسخرون بعض المأجورين لتوزيع النشرات، وإيقاظ الفتنة في جميع المناسبات، إلى أن دفعوا بعض المأجورين إلى قتل المهندس ميشيل متري رئيس جمعية العمال بقصد إثارة فتنة طائفية، ولكن الوعي العربي في فلسطين حال دون بلوغهم غايتهم، إذ قام بعض رجال الجهاد الوطني من المسلمين، بإنزال أشد العقاب بالمعتدين، وبذلك قضوا على الفتنة في مهدها.

ولم يكن مستغرباً من اليهود في فلسطين أن يقوموا بمثل هذه الفتن وأن يعيثوا في الأرض فساداً فهذا ديدنهم، وطبعهم وفيه صالحهم، ولكن الذي لم نكن نتوقعه من الإنكليز أن يعملوا على تأليف عصابات من المسلمين لتفتك بالمسيحيين، وليستغلوا هذه الدماء المراقة لقلب الثورة الوطنية الخالصة، إلى فتنة داخلية تشوه جمال حركة الجهاد وتنشر الفوضى والخراب في البلاد وهذا ما وقع.

زارني سراً، وفي ساعة مبكرة من أحد الأيام، ضابط فلسطيني كان يعمل في المخابرات (الاستعلامات) البريطانية في مدينة يافا، وكان موثوقاً به من رؤسائه الإنكليز وبعد أن استكتمني اسمه عن كل أحد أخبرني أنه جاء بيروت سراً بحجة الاستشفاء في مستشفى الجامعة الأمريكية ثم تسلل من المستشفى ليطلعني على خطة خطيرة للإنكليز للقضاء على الثورة وتشويهها وقلبها إلى فتنة طائفية عمياء.. وتفصيل الخبر أن الإنكليز استأجروا عدداً من المجرمين أخرجوا بعضهم من السجون ووضعوهم تحت قيادة كبار المجرمين وخصصوا لهم مرتبات شهرية وأسلحة وجعلوا منهم عصابات مسلحة وعهدوا إليها بمهاجمة القرى المسيحية وقتل أفرادها، ونهب أموالها، وزاد محدثي على ذلك أنه قام بنفسه بأمر المخابرات البريطانية بتسليح إحدى هذه العصابات وكانت مؤلفة من عشرين شخصا بقيادة المدعو «أبو نجيم» وكان كل فرد من أفرادها يحمل ورقة باللغة الإنكليزية تدل على انه يعمل مع الإنكليز فلا يتعرض له الجيش الإنكليزي بأذى عندما يصادفه، وقال أيضاً ان عدة عصابات تم تشكيلها في جبال رام الله للاعتداء على قرى المسيحيين كالطيبة وبير زيت وجفنة وغيرها، وأن أكبر هذه العصابات قد شكلت من مائة مسلح في منطقة القدس وبيت لحم بقيادة مجرم شهير كان محكوماً عليه بالسجن المؤبد فاطلق الإنكليز سراحه بعد أن اتفقوا معه على خطة

العمل زاعمين أنه فر من السجن، ووكلوا إليه وإلى عصابته مهمة مهاجمة المسيحيين في القدس وبيت لحم وبيت جالا وغيرها، وقد شرعت هذه العصابات فعلاً في المهمة التي عهد بها الإنكليز إلى رجالها، وهي مهمة العدوان والفتك والسلب والنهب...

ورغم كل ما عهدته في السياسة البريطانية من قسوة ومكر سيء فقد هزني هذا النبأ، وأيقنت بصحته من مقدمات هذه الخطة الشيطانية ودلائلها التي وصلت الينا من فلسطين، وسرعان ما اتخذت قيادة الثورة الوسائل الضرورية لمكافحة هذه العصابات المجرمة وإخماد نار الفتنة التي كانت المخابرات الإنكليزية قد بدأت باشعالها، وكان الشهيد عبد القادر الحسيني حينئذٍ لا يزال يعالج في لبنان من الجرح الذي أصيب به في موقعة (الخضر)[1] التي استشهد فيها زميله القائد سعيد العاص، لكنه برغم ذلك أخذ على عاتقه مهمة القضاء على هذه العصابات وخف إلى فلسطين على رأس قوة كبيرة من المجاهدين فعمد أول الأمر إلى مهاجمة عصابات الاجرام، في شمال القدس فبددها ومزق شملها، ثم توجه إلى الجنوب فقضى على عصابات الفتنة وأعاد الأسلاب والمنهوبات التي نهبتها العصابات من بيت لحم إلى أصحابها وشكل محكمة عسكرية وطنية لمحاكمة المجرمين الذين باعوا أنفسهم لشيطان الاستعمار.

لكن هذه الحركة البارعة الموفقة كلفته ثمناً غالياً إذ لم يلبث الإنكليز ان هاجموه بقوة كبيرة من المشاة والمدفعية والمصفحات والطيارات في قرية «بني نعيم» فصمد لهم ومن معه من المجاهدين صموداً رائعاً إلى ان أصيب بجراح خطيرة كادت تودي بحياته فنقله المجاهدون إلى دمشق حيث بقي مدة طويلة قيد المعالجة، وقد استشهد في تلك الموقعة ابن عمه المهندس عليّ الحسيني وآخرون من خيرة المجاهدين.

أوردت هذه الحادثة كدليل على دسائس المستعمرين الشريرة ووسائلهم الحقيرة التي يتوسلون بها لتحقيق مآربهم، ولتحذير الأمة العربية من الفتن والمؤامرات الخطيرة التي لا تتورع دوائر المخابرات الأجنبية عن الالتجاء إليها لبلوغ غايتها.

ولنرجع إلى الثورة وأثرها في قضية فلسطين: لم يلبث أن ظهر الأثر البالغ للثورة على الحكومة البريطانية، إذ اخذت بعض الصحف والدوائر البريطانية وحتى اليهودية ترى صعوبة تنفيذ التقسيم، ثم عمدت بريطانيا إلى ايفاد «لجنة فنية» إلى فلسطين

(١) الخضر: قرية جبلية صغيرة من قضاء بيت لحم جرت فيها معركة بين قوات جيش الجهاد المقدّس والإنكليز بتاريخ ١٩٤٦/١٠/٤ واستشهد فيها المناضل القائد سعيد العاص من قادة الثورة السورية الكبرى وثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩.

لدراسة مشروع التقسيم دراسة عملية، ووصلت اللجنة في صيف عام ١٩٣٨، فتقدم إليها اليهود بشهاداتهم، لكن العرب قاطعوها.

وأذاعت اللجنة العربية العليا بياناً أعلنت فيه عدم موافقة العرب على أي حل لا يتفق وميثاقهم القومي، وقامت مصر وسورية والعراق بتأييد اللجنة العربية في موقفها.

وبعد أن طافت اللجنة بفلسطين وشرق الأردن عادت إلى لندن وقدَّمت تقريرها المحتوى على دراسات متعددة للتقسيم. وكانت نتيجة ذلك أن أصدرت الحكومة البريطانية بياناً اشارت فيه إلى تقرير هذه اللجنة وأنها بسبب ذلك أصبحت مضطرة إلى العدول عن مشروع تقسيم فلسطين، وأنها ستدعوا إلى عقد مؤتمر في لندن تحضره الحكومات العربية وممثلون عن العرب واليهود للوصول إلى حل ملائم لقضية فلسطين!

وهكذا نجحت الثورة في القضاء على مشروع التقسيم وأدنت العرب من تحقيق آمالهم والقى وزير المستعمرات بياناً في مجلس العموم البريطاني تحدث فيه عن تقرير اللجنة الفنية، واضطر فيه إلى الاعتراف بأهمية ثورة العرب في فلسطين وانها تقوم على اسس وطنية سليمة ذات أسباب مبررة.

ثم تمت اتصالات بين الحكومة البريطانية والحكومات العربية (سوريا والمملكة العربية السعودية والعراق واليمن وشرق الأردن)، وحاولت الحكومة البريطانية ان تتجاهل اللجنة العربية العليا وتفرض ممثلي فلسطين فرضاً وأصرّت بصورة خاصة على عدم حضوري شخصياً للمؤتمر، لكن الفلسطينيين اشترطوا لقبول الاشتراك في المؤتمر عدة شروط أهمها عدم الجلوس مع اليهود، وإطلاق سراح المعتقلين في سيشل، وعدم تدخل بريطانيا في حرية الفلسطينيين في اختيار ممثليهم مما أضطر الحكومة للتراجع أثر الموقف القوي الذي وقفه الفلسطينيون وأن تترك للجنة العربية العليا حرية اختيار ممثلي فلسطين، وقد أضيف إليهم بناء على رغبة بعض الحكومات العربية ومراجعتها، أعضاء آخرون من الفلسطينيين (يمثلون حزب الدفاع)[1] رغبة في وحدة الصفوف وجمع الكلمة، أما أنا شخصياً فلم أكن راغباً في السفر إلى لندن للاشتراك في المؤتمر ولم أشأ أن أجعل من قضيتي الشخصية صخرة تتحطم عليها المفاوضات التي كان البعض يعلقون عليها آمالاً كباراً.

وهكذا تألف الوفد وسافر إلى لندن، وعقد المؤتمر في أوائل عام ١٩٣٩ لكنه فشل بسبب تعنت الإنكليز من جهة، وتدخل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لصالح

(١) حزب الدفاع: رئيسه راغب النشاشيبي، وهو حزب المعارضة الفلسطينية.

اليهود من جهة أخرى، وقررت الحكومة البريطانية، بعد محاولات اتصلت خلالها وزارة المستعمرات بالحكومة المصرية لمشاورة الوفود العربية التي عادت من لندن دون الوصول إلى نتيجة حاسمة، وسنت سياسة جديدة لفلسطين اشتمل عليها «كتاب ابيض» صدر في ١٧ مايو ١٩٣٩، وخلاصة هذه السياسة تشكيل حكومة فلسطينية مستقلة خلال عشر سنين بشرط موافقة العرب واليهود على تشكيلها، وأن ترتبط هذه الحكومة بمعاهدة صداقة مع الحكومة البريطانية وأن يشكل مجلس تشريعي، إذا سمحت الظروف بذلك، وأن تحدد فترة انتقال يعطي خلالها أهل فلسطين نصيباً متزايداً في حكم بلادهم، وأن يسمح «لآخر مرة» بدخول ٧٥ ألف مهاجر يهودي إلى فلسطين خلال خمس سنوات، ثم لا يسمح بعد ذلك بهجرة أخرى إلا بموافقة عرب فلسطين، وأن تعالج مشكلة الأراضي بإصدار تشريعات من شأنها منع انتقال الأراضي لليهود أو إباحتها وفقاً لظروف مناطق فلسطين المختلفة.

وعلى أثر صدور الكتاب الابيض اذاعت اللجنة العربية العليا بياناً انتقدت فيه السياسة والاسس التي اشتمل عليها، كما ان الحكومات العربية المشتركة في المؤتمر لم توافق على هذه السياسة وكذلك أذاعت الوكالة اليهودية بياناً برفضه لأن سياسته بزعمها منافية لحقوق الانسان الطبيعية في فلسطين «الوقف الازلي للشعب اليهودي».

وظلت الثورة مستمرة بعد صدور الكتاب الابيض بضعة أشهر وأعلنت اللجنة المركزية للجهاد وقواد الثورة العزم على متابعة الجهاد إلى أن تعدل الحكومة البريطانية عن سياستها الملتوية وتسلم بحقوق العرب.

وخلال ذلك، وفي صيف عام ١٩٣٩ اشتدت الأزمة الدولية في أوروبا وتقاربت السياستان البريطانية والفرنسية لمقاومة المانيا النازية، وانتهزت بريطانيا الفرصة لحمل السلطات الفرنسية في سورية ولبنان على زيادة الضغط على الفلسطينيين، المجاهدين منهم والعاملين في الشؤون السياسية وغيرها وأخذت تطاردهم وتشتد في مراقبتهم وتصادر اسلحتهم، ثم اعتقلت عدداً منهم في دمشق وفي طليعتهم عضو اللجنة الأستاذ محمد عزة دروزة وسجنتهم بعد محاكمة عسكرية، وكان للقنصليتين البريطانيتين في دمشق وبيروت دور بارز في هذه المأساة الاخيرة.

ولما نشبت الحرب العالمية الاخيرة في أواخر سبتمبر ١٩٣٩ ازداد الضغط البريطاني على فرنسا لمطاردة الفلسطينيين والقضاء على ثورة فلسطين التي اقضت مضجع بريطانيا وازعجتها أيما ازعاج، وألحت بريطانيا على حليفتها فرنسا كي

تسلمني إليها لاعتقالي في إحدى الجزر النائية، وأعدّت السلطة الفرنسية معتقلاً في قلعة (تدمر) في بادية الشام لقادة المجاهدين واعتقلت عدداً منهم فيه، كما اعدت معتقلاً آخر في مدينة «بكفيا» بلبنان للسياسيين من الفلسطينيين، وشددت الحراسة العسكرية عليّ في دار اقامتي «بالذوق» وأخذت تنتهز الفرصة الملائمة لتلبية طلب الإنجليز تسليمي إليهم.

اشتدت المراقبة علينا بنشوب الحرب العالمية الثانية، وكانت مراقبة مشتركة ظاهرها فرنسي وباطنها إنكليزي، وقد نشطت المخابرات البريطانية في لبنان نشاطاً عظيماً في مراقبتنا وتقصى أخبارنا، مستخدمة كثيراً من موظفي حكومة الانتداب الفرنسي في لبنان، ومن بينهم عدد من كبار موظفي الأمن العام، وأحاطتنا بالجواسيس والعيون من كل جانب وسخرت كثيراً من حولنا لمراقبتنا كأصحاب الدكاكين المجاورة والباعة المتجولين، حتى رعاة الغنم.

وقد علمتنا التجارب المريرة الماضية كثيراً من دهاء الإنكليز ومكر اليهود السيء، وخطر دوائر الاستخبارات (المخابرات البريطانية) التي هي في حقيقتها دولة سرية عظيمة تعمل في الخفاء، وفق نظام وخطط مرسومة، وتنفق أموالاً كثيرة، وتستخدم ألوفاً من الموظفين تختارهم من صفوة رجالها، وأذكى عمالها، الذين يتفانون في خدمة الامبراطورية البريطانية وتستخدم بالأضافة إليهم عددا كبيراً من أصحاب المطامع الشخصية، وطلاب المناصب، والراغبين في الإثراء الذين يحبون المال حباً جماً، ومن المغامرين والموتورين والطامعين والطامحين كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء، ومن بينهم أمراء ووزراء وسفراء وزعماء.

ولقد عرفت بعض هؤلاء كالبرنس أوتو المطالب بعرش النمسا الذي زار مصر عام ١٩٤٧، ونزل ضيفاً على الاميرة السابقة شويكار، ثم حاول الاتصال بي لإقناعي بالتفاهم مع اليهود ولما عرفت قصده اعتذرت للوسطاء من عدم مقابلته، وعرفت وزيراً مفوضاً لدى إحدى الدول الاوروبية يعمل لصالح المخابرات البريطانية في إحدى عواصم أوروبا، فلما اكتشفت تلك الدولة امره، أعلنت حكومته بأنه غير مرغوب فيه وطلبت سحبه من بلادها، وتستخدم المخابرات البريطانية عدداً من صغار الناس وذوي المهن الوضيعة، فقد عرفت من بينهم مشعوذاً دجالاً يفتح البخت، وآخر ماسح أحذية كان يقف بباب الحرم القدسي، وثالثاً كان يتسول بباب المسجد الأقصى فيتسقط الاخبار ويسأل الصدقات، ورابعاً كفيف البصر كان يرابط داخل المسجد الأقصى متجسساً على المدرسين والوعاظ ينقل أحاديثهم إلى رؤسائه، ونساء كن يدخلن

البيوت شاكيات كثرة العيال وقلة المال، وغير ذلك مما لا يتسع له المجال.

ويتستر رجال المخابرات بالتجارة أو الصحافة، أو السياحة، ويتظاهر بعضهم بالقيام بالمشروعات العمرانية، والثقافية، والعلمية الخالصة، ويتظاهر بعضهم باعتناق الإسلام ليخدع الناس، وقد عرفت كثيراً من هؤلاء كجمال الدين دن الإنكليزي، الذي تظاهر باعتناق الإسلام وأقام بحي الأزهر، سنين طويلة وقد زارني عام ١٩٥٢ في بيتي وأعلمني أن ممن اهتدوا على يده، واعتنقوا الإسلام بواسطته، شمس الدين مارساك ونور ا لدين مارساك وغيرهما، ومن المؤسف ان مثل هذه المخادعات كثيراً ما انطلت على العرب والمسلمين.

ولقد كانت المخابرات البريطانية تتعاون مع المخابرات اليهودية، على العرب، وقد اكتشفنا في صيف عام ١٩٣٨ وكنا في المصيف في الجبل، مؤامرة لنسف بيتنا في الذوق، فاضطررنا لمضاعفة الحراسة، وقبل ذلك في القدس أحبطت مؤامرة يهودية لاغتيالي داخل المسجد الأقصى من قبل بعض رجال الجركس المقيمين في إحدى قرى فلسطين فلما اكتشفنا المؤامرة وأحبطناها، وعلم أهل القرية الجركسية بالأمر، قبضوا على المتآمرين وقضوا عليهم، واكتشفنا مؤامرات كثيرة للاغتيال أو النسف سيأتي ذكرها في أماكنها من المذكرات.

فعلى الأمة العربية ان تعرف أن المخابرات من أخطر الدوائر التي يعتمد عليها الاستعمار بصورة عامة، والاستعمار البريطاني بصورة خاصة، فهي الموجهة لحركة الاستعمار، وهي العين التي يسير بنورها، وهي اليد التي تدير عناصر الطابور الخامس من جواسيس ودعاة ومرجفين ومخربين.

وفي الفترة الاخيرة من أيام إقامتنا بلبنان شددوا المراقبة علينا، وبثوا العيون والارصاد حولنا وكانوا يخشون ان نفلت من ايديهم، وكثيراً ما كانت قوات الأمن العام تفاجئنا ليلاً بين حين وآخر على أثر وشاية من الإنكليز، كما حدث في مصيفنا في «قرنايل» في ايلول عام ١٩٣٩، إذ داهمتنا في الساعة الثانية بعد منتصف الليل قوات مسلحة من رجال الأمن العام، فاحاطوا بالبيت، لكن حرسنا الخاص المؤلف من عدد من مجاهدي فلسطين الاشداء، والمعزز بحرس آخر من رجال «قرنايل» الاشاوس الذين أقاموا حولنا حراسة مسلحة قوية خلال شهور الصيف، عملاً بالتقاليد العربية الشريفة التي تقضي بحماية ضيف الحمى والذود عنه، تضافروا على منعهم من دخول البيت رغم تأكيد قائدهم انه يريد مقابلتي، وكادت تقع ملحمة بين الفريقين، وقد ايقظتني

اصواتهم العالية، فسمحت لقائدهم بالدخول، فلما رآني وسألته عما يريد اجاب بأن مهمته أن يتحقق من وجودي لأن نبأ وصل إلى الحكومة بأنني غادرت لبنان، فارسله رؤساؤه ليستطلع الأمر، ثم انسحب معتذراً.

وقع هذا الحادث بعد أيام من نشوب الحرب، واشتداد الرقابة علينا، وقد أخذ الإنكليز يلحون على حلفائهم الفرنسيين بتسليمي إليهم لنفيي إلى جزيرة «موريشس» في المحيط الهندي، الأمر الذي ضاعف عزيمتي على الخروج من لبنان، ولكن المهمة كانت عسيرة وكان لا بد من اتخاذ الوسائل الكفيلة بالنجاة دون أن يتنبه لها الأعداء المسيطرون.

وقد اضطرنا ضغط المخابرات البريطانية وملاحقتها الشديدة لنا، أن نقوم بدفاع ومقاومة من نفس العمل، فانشأنا دائرة خاصة لمقاومة التجسس وخصصنا لها المال الضروري، وأفدنا من ذلك فوائد كبيرة ووصلنا إلى نتائج عظيمة، واستطعنا ان نحصل على معلومات دقيقة لما كان يدور بين السلطات البريطانية في لندن وسلطات الانتداب البريطاني في فلسطين، وبين السلطات الفرنسية في لبنان بشأن التدابير التي تقرر اتخاذها لاعتقال رجال اللجنة العربية العليا وغيرهم من زعماء فلسطين المؤيدين للثورة في قرية «بكفيا» (لبنان)، وقادة المجاهدين وضباطهم في «تدمر» (سورية) إلى نهاية الحرب.

في لبنان:

وقد رسمنا خطة العمل لإنقاذ أعضاء اللجنة وغيرهم، من العاملين السياسيين، ومن قادة المجاهدين الذين تقرر اعتقالهم، وكنا قد اطلعنا على أسمائهم جميعاً، وعملنا على تهريبهم من لبنان إلى الأقطار المجاورة كالمملكة العربية السعودية والعراق، وتركيا، ونجحنا في خطتنا دون ان نثير انتباه الأعداء.

وقد حدث حادثان طريفان خلال فترة الاستعداد للخروج من لبنان أولهما انني كنت حددت يوم ٥ اكتوبر ١٩٣٩ لمغادرة لبنان بعد أن أعددت العدة لذلك لكن دولة السيد سامي الصلح، وكان حينئذ رئيساً لمحكمة الاستئناف العليا، فاجأني بدعوة للعشاء في مصيفه بصوفر يوم ٣ تشرين الأول، وعند وصولي وجدت أنه قد دعا أيضاً مدير مخابرات الجيش الفرنسي مسيو «برتران». وفيما نحن نتحدث على المائدة، وجه السيد سامي الحديث إلى المسيو برتران وأخذ يندد بسلوك السلطات الفرنسية نحوي وتشددها معي مما حز في نفوس اللبنانيين ومس كرامتهم، ثم وجه حديثه اليّ قائلا: اننا

نأسف لأننا لم نستطع أن نقوم في لبنان بما يجب علينا نحوك من العناية، وارى من الضروري ان تسافر فوراً إلى مصر أو العراق حيث يستطيعون هناك القيام بذلك!! قال هذا بنية حسنة وبسائق الغيرة والمودة، دون أن يكون له أي علم بأنني عازم على السفر بعد يومين... وقد سبب لي هذا الحديث حرجاً شديداً لأنه قد يحبط خطتي من أساسها، وينبه إليها رجال المخابرات الفرنسية، ولكني اجبته بما هون عليه الأمر، وانبرى المسيو برتران من ناحيته للدفاع عن حكومته محاولاً التماس العذر لها بسبب ظروف الحرب المشتعلة.

وفي تلك الليلة اضطررت لتبديل خطة السفر وتأجيله اسبوعا آخر أي إلى مساء ١٣ تشرين الأول.

أما الحادث الآخر: فقد كان المرحوم السيد فؤاد حمزة وكيل خارجية المملكة العربية السعودية دعاني يوم ٦ تشرين الأول للغداء في منزله برأس بيروت مع عدد من المدعوين بينهم السيد حسين العويني، والمسيو باليرو وزير فرنسا المفوض في المملكة السعودية (وكان قبلاً ممثلاً لفرنسا في القدس) وكانت لي به معرفة سابقة فذكر لي انه سيزورني في «الذوق». ورأيت مبالغة مني في اخفاء أمر سفري ان ادعوهم إلى الغداء عندي في اليوم التاسع من الشهر فوافقوا على تلبية دعوتي، ثم طرأت مهمة للمسيو باليرو في دمشق فابلغني بواسطة السيد فؤاد حمزة رجاءه تأجيل الدعوة إلى ١٥ اكتوبر، ولم يكن في استطاعتي ان اقول أنني مسافر يوم ١٣، فلما بلغه خبر سفري بعد ذلك دهش وقال: هذا مستحيل، فإنني مدعو عنده بعد غد..

في الساعة السابعة من مساء ١٣ تشرين الأول ١٩٣٩، وبعد عامين كاملين من إقامتي بلبنان، غادرت بيروت إلى بغداد. ومن غريب الصدف أن خروجي من بيروت كان في نفس الساعة واليوم اللذين خرجت فيهما من القدس، وهو الثالث عشر من تشرين الأول، قبل عامين كاملين، ولم اتعمد اختيار اليوم والساعة لمغادرة بيروت ولكنها الصدف والظروف، وكنت متفائلاً بهذه الصدفة ومتوسلاً إلى الله تعالى أن يسهل لي سبيل النجاة في هذه المرة كما سهلها في المرة الأولى.

كان لبنان في ذلك الوقت مركزاً «لجيش الشرق» الفرنسي الذي عين لقيادته الجنرال «فيجان» وكانت بيروت مركز هذه القيادة، ولا يمضي يوم دون ان تمر أمام منزلنا الوف الجنود وحشود المدافع والمصفحات والدبابات وما إلى ذلك من آلة الحرب، وكانت الطرق بين لبنان وسورية تعج بالجنود، والمخافر مملوءة برجال الشرطة

وضباط البوليس، والعيون والأرصاد يحصون على الناس أنفاسهم ويرقبون حركاتهم وسكناتهم، وكنا قد تمكنا من ترحيل معظم المجاهدين والعاملين من إخواننا إلى بغداد، وتمكن بعض الذين اعتقلهم الفرنسيون في «تدمر» من الفرار من السجن مجازفين بارواحهم في الصحراء ووصلوا إلى العراق في أشد حالات الارهاق والاعياء.

كان منزلي في الذوق من ناحيته الخلفية تعلوه أشجار باسقة ومتصلاً بالمنازل المجاورة التي يقطنها إخواننا. وكان بعض رفاقنا الخلص، وبعض رجال حرسنا، يشاغلون حرس السلطات الفرنسية ويقدمون لهم طعام العشاء، وكان الليل قد أرخى سدوله عندما سرت على قدمي بصحبة رفيق لي مسافة ابتعدنا بها عن المنزل ثم جاوزنا الحي كله مصعدين في الجبل (إلى حيث كان ينتظرنا أحد إخواننا المخلصين مع سيارة، فركبناها) وتمكنا من اجتياز بعض المخافر وتخطي البعض الآخر ما بين الذوق وبيروت، وبين هذه ودمشق مسافة ١٣٥ كيلومتراً، وفي دمشق كان ينتظرنا رفاق آخرون في سيارة اعدت خصيصاً ومعهم دليل خبير في معابر الصحراء وعندما كنا نجتاز «جسر تورا» خارجين من دمشق أطلق رجال المخفر النار على سيارتنا لاننا لم نطع إشارتهم لنا بالوقوف لكن الله سلم ولم يصب أحد منا بسوء...

وكان سائق سيارتنا يتخطى الأماكن المأهولة والطرق المألوفة وبعد نحو ساعة كانت سيارتنا تجتاز آخر مراحل العمران موغلة شرقاً في الصحراء مسيرة نحو ألف كيلومتر، إلى بغداد.

كان سائق سيارتنا ينأى بها عن معالم الطرق التي تسلكها السيارات عادة بين دمشق وبغداد، ولم يكن هنالك طريق معبد، وكانت السلطات الفرنسية قد أعدت، عدا مخافر الحدود، قوة سيارة بالمصفحات تطوف الصحراء لمنع حوادث التسلل والتهريب ونحو ذلك، وقال السائق أنه يعرف ذلك القسم من الطريق جيداً واشار على الدليل أن يأخذ قسطاً من النوم ليتمكن من إرشاده فيما بعد في القسم الآخر، وكان كل شيء يسير سيراً حسناً عندما شاهد السائق أنواراً بعيدة قال انها تنبعث من مضارب بعض قبائل البدو الذين يعرفهم، ولم يكد يعرج بالسيارة نحوهم حتى وجدنا انفسنا وسط مضارب قوة الصحراء وقد أحاط بنا عشرات من الجنود المسلحين، وأخذ قائدهم وهو عربي من «دير الزور» يوجه الينا عشرات الاسئلة، فانتحلنا صفة تجار الاغنام وادعينا اننا ذاهبون إلى «تدمر» ولكنه لم يقتنع باقوالنا، وبقينا سواد تلك الليلة (وكانت ليلة أول رمضان سنة ١٣٥٦) نحاول عبثاً اقناع الرجل ان يخلي سبيلنا، ولما اصر على أن يرسل قوة مسلحة ترافقنا إلى «تدمر» لتنظر السلطة في شأننا، رأيتني

مضطراً للمجازفة فانتحيت بالرجل جانباً، وعرفته بنفسي وذكرت له الأسباب التي تضطرني للسفر خلسة ومتنكراً من سورية ولبنان وهما تحت الحكم الفرنسي، إلى العراق، فبهت الرجل وسقط في يده، وكان عربياً شهماً كريماً، فلم يلبث بعد تردد وحيرة أن سهل لنا سبيل السفر وأطلق سراحنا مشكوراً، وقد عرض نفسه للخطر ووظيفته للضياع في سبيل القضية التي نعمل لأجلها.

ومن غرائب المصادفات في هذه الرحلة أن صاحب السيارة التي حملتنا من دمشق حتى الصحراء، كان شهماً كريماً وضع نفسه وسيارته الخاصة في خدمة القضية، منذ نشوب ثورة فلسطين إلى منتهاها دون أي اجر، هو البطل المرحوم السيد محمود الطبال.. من مدينة «دير الزور».

كما أن قائد جند الصحراء الذي لم يستطع المال اغراءه، ولكن المروءة والشهامة اسلستا قياده وهو «السرجان صال» كان أيضاً من «دير الزور» فما أغرب هذه المصادفة، وما أطيب هذه البلدة «دير الزور».

ولما تنسمنا الحرية مع نسيم صباح أول رمضان المبارك أطلق السائق العنان للسيارة ضارباً بها عرض الفلاة، متجنباً مضارب البدو، وليس لنا من رفيق الا طير الجو ووحش البيداء مرددين قول القائل:

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذْ عوى وصوتُ إنسانٍ فكدتُ اطيرَ

في العراق:

وصلت بغداد يوم ١٥ تشرين الأول ١٩٣٩ فنزلت في بيت أحد الأصدقاء دون أن تعلم الحكومة العراقية بوصولي وكنت في حاجة ملحة للراحة والنوم الذي حرمت منه بضع ليال، وفي تلك الفترة كان الأخ المرحوم أمين التميمي الذي سبقنا إلى بغداد قد قابل بعض رجال الحكومة العراقية وقادة الجيش وجس نبضهم بشأن قدومي إلى العراق وموقفهم من الإنكليز واطمأن إليه.

وفي ضحوة اليوم التالي ذهبت مع بعض الأصدقاء إلى البلاط الملكي وكان سيادة رشيد عالي الكيلاني رئيساً للديوان، فاستقبلنا بترحاب عظيم، وبعد دقائق قابلنا سمو الوصي الأمير عبد الاله الذي رحب بنا وأبلغ رئيس الوزارة السيد نوري السعيد بوصولنا، ثم استقبلنا نوري السعيد في دار رئاسة الوزراء، وبادرني بالسؤال عن الطريق الذي سلكته للوصول إلى بغداد دون أن تعلم الحكومة، وكيف ساعدني الفرنسيون

على الخروج من لبنان إلى العراق فاكدت له أن الفرنسيين لا يعرفون شيئاً عن رحلتي ولو عرفوا لحالوا دون سفري، ورغم ما بدر من نوري باشا من حسن الاستقبال والترحيب فقد ظهرت على محياه علامات القلق لوصولي، وقد توالت علينا الدعوات من سمو الوصي ورئيس الوزراء والوزراء وأكرموا وفادتنا وغمرونا بمظاهر اللطف والكرم.

وكان قد سبقني بالوصول إلى بغداد نحو مائتين من قواد الثورة وكبار العاملين المجاهدين الفلسطينيين وقوبلوا أحسن مقابلة من إخوأنهم العراقيين ومن السلطات العراقية التي سهلت لهم أمر اقامتهم مع عائلاتهم وكفلت شؤون معيشتهم الضرورية، وكان العراق يلتهب غيرة على قضية فلسطين وحماسة لها وعطفاً على أهلها ومجاهديها، وقد استقر رأينا على ان لا يتدخل الفلسطينيون خلال اقامتهم بالعراق في الشؤون الحزبية أو السياسة المحلية وأن لا يتسببوا في أي حرج أو ازعاج للسلطات العراقية، وهذا وفقاً للخطة التي ألتزمناها في كل قطر حللنا به من الأقطار العربية، حتى انني وإخواني اعتذرنا من عدم تلبية الدعوات الكريمة التي وجهت الينا من الهيئات والجمعيات وعلية القوم في البصرة والموصل وغيرها من كبريات المدن العراقية.

لكن الإنكليز ساورهم قلق شديد من وصولي وإخواني المجاهدين إلى العراق، وكانت السفارة البريطانية في بغداد تبادر بالاحتجاج لحكومة العراق على كل حركة من حركاتي، حتى حضوري الحفلات الحكومية أو الشعبية، وعلى عادة الإنكليز فقد أحاطتنا دوائر مخابراتهم بالجواسيس والرقباء وأخذت تتربص بنا الدوائر.

وكان في وزارة الداخلية العراقية مستشار بريطاني واسع النفوذ هو مستر «ادمونس»، وقد أخبرني المرحوم اللواء أمين باشا العمري، وكان قائد الفرقة الأولى حينئذ، أن ادمونس هذا يدبر خطة سرية لاختطافي على حين غرة بقوة من الجند، ثم اعتقالي خارج العراق، فلم استغرب الخبر لأن للإنكليز سوابق في مثل هذه الأعمال فقد اختطفوا المرحوم ياسين باشا الهاشمي عندما كان رئيساً لمجلس الشورى الحربي بدمشق عام ١٩٢٠ أيام الحكومة العربية الأولى لسورية في عهد الملك فيصل الأول وذهبوا به إلى معسكرات الجيش البريطاني في صرفند (بفلسطين) واعتقلوه مدة من الزمن.

وقبل ذلك اختطف الإنكليز في العراق الزعيم العراقي المشهور السيد طالب باشا النقيب الذي كان وزيراً للداخلية، فقد دعاه المندوب السامي البريطاني لشرب الشاي

في داره فلبى الدعوة وفيما هو خارج من الدار أحاط به الجنود البريطانيون المسلحون واقتادوه إلى سيارة مصفحة عسكرية كانت تنتظر بالباب ومن هناك أوصلوه إلى البصرة حيث حملته سفينة حربية بريطانية إلى الهند واعتقلوه فيها مدة طويلة، ورأيت اللواء أمين العمري يحدث زميله المرحوم العقيد صلاح الدين الصباغ قائد الفرقة الثانية في ذلك ويسترعي نظره إلى المذمة وسوء السمعة التي تلحق بالعراق لو تمكن ادمونس من تنفيذ خطته.

ومنذ تلك الليلة صارت «دورية» قوية من الجيش العراقي تجوب شارع الزهاوي حيث كان فيه منزلي وترابط على مداخله لمنع المستشار البريطاني من تحقيق مؤامرته.

ومن ناحية ثانية فقد حدثت مؤامرة أخرى يهودية ـ بريطانية من قبل عصابة (أرجون زفاي ليؤمي) الارهابية بالتعاون مع السلطات البريطانية، وجاء ذكر هذه المؤامرة في كتاب عنوانه: (أهي ميونيخ ثانية؟) الفه النائب البريطاني ريتشارد كروسمان (المعروف بميله إلى اليهود) وعضو لجنة التحقيق الانجلو أمريكية، والنائب ميشال فوت وهو بريطاني أيضاً، فقد جاء في الصفحة العشرين منه ما ترجمته حرفياً: (عندما وقعت الحرب، عرض زعيم الأرجون الهدنة على سلطات الانتداب البريطاني فقبلتها واستمرت إلى يوم حادث «ستروما» ١٩٤٢، وقد أخلي سبيل زعيم الأرجون وبعض الأعضاء فخرجوا من السجن وخدموا في مهمات خاصة، وفي مايو ١٩٤١، أثناء الثورة العراقية، اخذ فريق من متطوعي الأرجون بما فيهم الزعيم «رازيل» بالطائرة إلى الحبانية وهو المطار الذي كان في يد البريطانيين قرب بغداد. وكانت مهمة هؤلاء ان يتسللوا إلى داخل بغداد متنكرين بالزي العربي وأن يقوموا بنسف منشآت النفط وأن يخطفوا المفتي، وقد قتل «رازيل» خلال تلك العمليات ودفن بمظاهر التكريم العسكري في المقبرة العسكرية البريطانية في الحبانية..).

وانتهزنا فرصة إقامتنا بالعراق ورجونا سلطات الجيش العراقي أن تدرب المجاهدين الفلسطينيين تدريباً عسكرياً فلبت الرجاء وشرعت في تدريبهم بعناية مشكورة، كما انها قبلت عدداً من الشبان في دورة ضباط الاحتياط في الكلية الحربية العراقية حيث دربوا فيها تدريباً عسكرياً وافياً.

وكان أهل العراق، كسائر العرب، معجبين بانتصارات الالمان المتوالية على بريطانيا وفرنسا، ويرجون لهم النصر المؤزر على الحلفاء الذين استغلوا الأمة العربية في الحرب العالمية الأولى استغلالاً لئيما، ثم نقضوا العهود التي قطعوها للعرب في معاهدة

١٩١٦، باستقلال الأقطار العربية، وقسموا الوطن العربي فيما بينهم ومنحوا اليهود فلسطين، فكان العراق شديد النقمة على بريطانيا وحلفائها متمنياً النصر لأعدائهم عملاً بالقاعدة المأثورة «عدو عدوك صديقك» كما أن الالمان في تاريخهم لم يعتدوا على العرب ولم يسيئوا إليهم، فكانوا يستمعون بآذانهم وقلوبهم إلى إذاعة برلين وهي تعرب عن اطيب الاماني للعرب ولكنها في الوقت نفسه تنكر على الحكومة العراقية مسارعة رئيسها نوري باشا السعيد إلى قطع علاقاتها السياسية بالمانيا دون مبرر بمجرد إعلان الحلفاء الحرب على المانيا يوم ٣ سبتمبر عام ١٩٣٩، وانه بالأضافة إلى ذلك أمر بالقبض على الرعايا الالمان المقيمين بالعراق وسلمهم إلى السلطات البريطانية حيث اعتقلتهم في الهند إلى نهاية الحرب، وكانت إذاعة برلين تكرر الشكاوي باستمرار وتدلل بها على ان العراق لا يتمتع باستقلال صحيح، كان العراقيون ولاسيما عناصرهم الوطنية والمثقفة وفي مقدمتهم قادة الجيش العراقي يتأثرون كثيراً من سرد هذه الحقائق الأليمة وينحون باللوم على حكومة نوري السعيد، ويرون ان صالح العراق والعرب في أن لا يمكنوا الإنكليز وحلفاءهم من استغلالهم في هذه الحرب العالمية الثانية كما استغلوهم في الحرب الماضية ثم غدروا بهم، وأن الخطة المثلى هي الوقوف عند حدود المعاهدة العراقية المعقودة عام ١٩٣٠، التي نصت على أنه ليس لبريطانيا أن تحشد جيشها في العراق ولا أن تجعل منه ساحة حرب، ولا ان تلزم العراق بدخول الحرب إلى جانبها أو قطع العلاقات مع أعدائها، بينما كان نوري السعيد وأصحابه يرون عكس هذا الرأي، ويلحون على دخول الحرب إلى جانب الإنكليز واجابتهم إلى كل ما يطلبون.

لا أود الاسهاب في سرد ما وقع في العراق من حوادث، لذلك اقتصر على ذكر بعض الحوادث التي شاهدتها بنفسي أو ساهمت فيها بشيء من جهدي كالحوادث الآتي ذكرها:

كان الجيش العراقي على باب معركة دموية داخلية عندما استقالت وزارة نوري باشا السعيد في فبراير سنة ١٩٤١، وكان المرشح لتأليف الوزارة حينئذٍ هو السيد رشيد عالي الكيلاني رئيس الديوان الملكي، وحدث لهذه المناسبة خلاف شديد بين فريقين من قادة الجيش، إذ كان فريق منهم يرى ادخال نوري باشا السعيد وطه باشا الهاشمي في الوزارة بينما كان فريق آخر يعارض في ذلك، وأشتد النزاع بينهما إلى درجة وقف عندها كل فريق منهما بسلاحه، الأول في معسكر الرشيد بالرصافة، والآخر في معسكر الوشاش بالكرخ.

كان ذلك ليلة ١٨ فبراير، ثم أسفر الصراع عن اقالة كل من الفريق حسين فوزي باشا رئيس أركان الجيش واللواء أمين باشا العمري قائد الفرقة الأولى، وعلى أثر ذلك رفض السيد رشيد عالي الكيلاني تأليف الوزارة فالفها مرة أخرى نوري السعيد، فقلقت لهذا الحادث كثيراً وذهبنا ضحى يوم ١٩ فبراير إلى البلاط الملكي فوجدنا فيه عدداً كبيراً من زعماء العراق ووزرائه يباحثون السيد رشيد عالي فيما وقع.

وفي مساء ذلك اليوم زرت أنا والمرحوم أمين بك التميمي[١] نوري السعيد في بيته، فبسط لنا تفاصيل الحادث، ولما سألناه عن سبب استقالة وزارته، قال أن الإنكليز ينصحوننا الا نطيل عمر الوزارة أكثر من عام، لأن كثيراً من العناصر التي لا تحقق الوزارة رغباتها ومطالبها تحقد عليها وتتكتل ضدها، فينبغي فسح المجال لوزارة أخرى تعقد عليها الآمال.. وهكذا دواليك.

ثم عتب علينا نوري باشا لأننا لم نتقدم لحسم الخلاف بين إخواننا رجال العراق، ولما أجبته بأن خطتنا هي أن لا نتدخل في الشؤون المحلية والحزبية، قال إن هذه هي شؤون في صميم القضية العربية ولاسيما في ظروف الحرب هذه وانتهى الحديث بنا إلى ضرورة السعي لجمع كلمة الزعماء والأحزاب في هذه الظروف العصيبة، والوصول إلى صلة وتفاهم وتعاون بينهم، وتشكيل وزارة ائتلافية تمثل جميع الأحزاب، ويختار سمو الوصي رئيسها، وأن توضع اتفاقية في هذه المقترحات يوقع عليها جميع الرؤساء السابقين وتودع لدى الوصي لتنفذيها.

وعلى أثر ذلك زرنا رؤساء الوزارات السابقين زعماء الأحزاب وحدثناهم في شأن هذه المقترحات كما قابلت رئيس الديوان السيد رشيد عالي فسمو الوصي الذي ارتاح إليها وشجع على تحقيقها وبذلنا بعد ذلك مساعي كثيرة لدى الرؤساء لتصفية الجو، وكلل الله المساعي بالنجاح فاجتمع أولئك الرؤساء وهم السادة: رشيد عالي الكيلاني، ناجي السويدي، نوري السعيد، عليّ جودت الأيوبي، جميل المدفعي، توفيق السويدي، ناجي شوكت، والسيد محمد الصدر رئيس مجلس الاعيان، ووقعوا الاتفاقية التي سلمتها أثر ذلك إلى الوصي فقبلها شاكراً.

وعلى أثر ذلك صفا الجو في العراق مدة من الزمن واطلق سراح الوزيرين السابقين

---

(١) أمين عادل التميمي: ١٨٩٢ ـ ١٩٤٤ من مواليد نابلس وأحد قادة الحركة الوطنية الفلسطينية. توفي منفياً من قِبَل الإنكليز في روديسيا عام ١٩٤٤.

صبيح نجيب وابراهيم كمال اللذين وجهت اليهما تهمة الاشتراك في مؤامرة لقتل المرحوم رستم حيدر وزير المالية.

ثم ألف السيد رشيد عالي وزارته التي الغت الاحكام العرفية فور تأليفها، ونالت ثقة الجيش والشعب لوقوفها في وجه المطالب الاستعمارية، التي كانت ترمي إلى تسخير العراق لمصالح بريطانيا، وبعد فترة من الوقت تمّ الإفراج عن السيد حكمت سليمان رئيس الوزارة الأسبق على أثر مساع موفقة بذلت في هذه السبيل في عهد الوزارة الكيلانية الأخيرة.

وحدث بعد ذلك أن حاول الإنكليز حشد جيوشهم في العراق، وحمله على قطع الصلات السياسية مع إيطاليا كما فعلت وزارة نوري، ولكن الوزارة الكيلانية التي كانت متجاوبة مع الشعب والجيش رفضت ذلك وآثرت الوقوف عند نصوص المعاهدة العراقية البريطانية ورأت أن مصلحة العراق في تجنب دخول الحرب، وفي وقوفه على الحياد، ولعل هذا كان أول صوت ارتفع في البلاد العربية داعياً إلى التزام خطة الحياد.

وحينئذ نشب خلاف شديد بين المواطنين المخلصين وبين الإنكليز واتباعهم وتطورت الأمور ونشأت ازمات وزارية عديدة، ولعبت المخابرات البريطانية ادواراً خطيرة كان للمستر دومفيل مدير مخابرات الجيش البريطاني نصيب كبير فيها، إلى أن نشبت الحرب بين العراق وإنكلترا في شهر مايو سنة ١٩٤١، بعدوان الإنكليز وفقاً لخطة غادرة مبيتة كشف الستار عنها مستر تشرشل في تصريحه الذي القاه في مجلس العموم البريطاني على العراق بقوله:

«إن الحكومة البريطانية كانت عازمة على إرسال قوات بريطانية إلى العراق في يونيه (حزيران) ١٩٤٠ أي قبل ذلك التاريخ بعام كامل، ولكن حاجتها إلى هذه القوات لنجدة جيوشها في الصحراء الغربية لصد قوات المحور الزاحفة حينئذٍ هو الذي حال دون تحقيق تلك الرغبة».

والواقع أنه لم يكن لاحد من المسؤولين في العراق حكومة وشعباً أية رغبة في محاربة الإنكليز أو مخاصمتهم، بل كانوا يريدون التزام المعاهدة العراقية البريطانية التزاماً كاملاً وتجنب كل اصطدام، لكن الإنكليز كانوا مصممين على تسخير العراق بثرواته ومواصلاته الجغرافية والاستراتيجية تسخيراً كاملاً لصالحهم وكانوا يريدون من العراق أن يحقق المطالب الآتية:

١ ـ قطع العلاقات السياسية مع دول المحور.

٢ ـ فتح أبواب العراق للجيوش البريطانية في تنقلاتها والسماح باحتشادها في أية جهة من العراق كما تشاء.

٣ ـ دخول العراق الحرب إلى جانب بريطانيا وإرسال فرقتين أو أكثر من الجيش العراقي للقتال مع قواتها العسكرية في ليبيا أو البلقان.

وقد أكد هذه المطالب مستر أيدن وزير خارجية بريطانيا بحزم عندما زار مصر في ربيع عام ١٩٤١، واجتمع بالسيد توفيق السويدي وزير خارجية العراق حينئذٍ في القاهرة، وزاد على ذلك قوله: «أنه غير مرتاح إلى موقف قادة الجيش العراقي».

ولا عجب فقد كان القادة العسكريون، متعاونين مع الزعماء المخلصين من رجال السياسة، يعارضون تلك المطالب لمخالفتها للمعاهدة العراقية ـ البريطانية كما أنها ضارة بمصالح العراق، ومن أجل ذلك كان الإنكليز يرغبون في الخلاص من هؤلاء الزعماء والقادة.

وقد كانت لي صلات وثيقة وقديمة ببعض هؤلاء، فقد عرفت السيد رشيد عالي وتوثقت الصلة بيننا حينما زرت العراق عام ١٩٢٣، مع المرحوم محمد عليّ علوبة باشا في طريقنا إلى الهند، وكان رئيس الوزراء حينئذٍ فلقينا منه ترحيباً وحفاوة وعناية فائقة، أما القادة الثلاثة السادة محمود سلمان وصلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد، فقد عرفتهم عام ١٩١٥ أثناء الحرب العالمية الأولى، وكنا جميعاً ضباط في الوية الفرقة السادسة والاربعين العثمانية وكنت أنا والسيد محمود سلمان في فوج واحد، وكنا جميعاً متفقين في الآراء والمبادئ وبقيت وشائج الود متصلة بيننا إلى أن التقينا عام ١٩٣٩، خلال الحرب العالمية الثانية في بغداد وقد جئت إليها مهاجراً، فالفيتهم وقد أصبحوا من كبار قادة الجيش العراقي، وكانوا يلتهبون حمية وحماسة ورغبة صادقة في خدمة العراق والعروبة ويتطلعون إلى من يتعاون معهم في هذا الميدان، وقد حاولوا ذلك مع نوري السعيد في بادئ الأمر، ثم التفوا حول طه باشا الهاشمي الذي كان وزيراً للدفاع عندئذٍ حتى كان الإنكليز يطلقون عليهم عبارة «الحلقة الذهبية»[1]. ولكن آمالهم قد خابت إذ لم يلقوا تجاوباً جدياً في هذا الميدان، فاتجهوا نحو السيد رشيد عالي الذي كان يعتنق نفس الفكرة والمبادئ فالتفوا حوله وتعاونوا معه باخلاص لصالح العراق والقضايا العربية كلها، وتعاهدوا على السير بإخلاص ورويّة في خضم هذه الحرب العاتية.

(١) الحلقة الذهبية أو المربع الذهبي ـ المتوّج بـ طه باشا الهاشمي وهم: فهمي سعيد، كامل شبيب، صلاح الدين الصباغ، قادة فرق المشاة في الجيش العراقي ومحمود سلمان قائد سلاح الجو.

وأذكر أن اجتماعاً عقد في بيت المرحوم محمود سلمان الذي كان قائد القوة الجوية لتقرير خطة يسير عليها العراق والأقطار العربية خلال الحرب، وأن البحث الطويل أنتهى فيه إلى تقرير ما يأتي:

١ ـ التزام نصوص المعاهدة العراقية البريطانية وتجنب الخصام مع إنكلترا، والتمسك بالحياد.

٢ ـ تجنب إغضاب دول المحور (وقد كانت حينئذٍ في اوج انتصاراتها).

٣ ـ بذل الجهود لتسليح الجيش العراقي وزيادة عدده وعدم التفريط فيه.

٤ ـ تجنب الدخول في الحرب والحرص على ألا تستنزف القوى العربية في سبيل بريطانيا لأن انتصارها ليس في صالح العرب ولأنها ستنقلب عليهم كما فعلت بعد الحرب العالمية الأولى ولن تقيم أي وزن لتعهداتها بشأن قضية فلسطين.

٥ ـ التريث إلى أن تنجلي حالة الحرب واتجاهات الدول المتحاربة حتى إذا ما ظلت بريطانيا راكبة رأسها وماضية في سياستها الاستعمارية وتحيزها لليهود، واشتركت روسيا واليابان في الحرب مع المانيا وإيطاليا وأصبحت الفرصة سانحة، فانه يتحتم حينئذٍ على الأقطار العربية كلها أن تقف موقفاً حاسماً من الإنكليز.

٦ ـ عند سنوح الفرصة المنتظرة تعلن الثورة بصورة خاصة في فلسطين لإنقاذها من براثن الاستعمار والصهيونية.

وكانت السفارة البريطانية في بغداد تبعث بمذكراتها واحتجاجاتها المتلاحقة، إلى الحكومة العراقية لوجودي في بغداد وصلاتي الوثيقة بعدد من الاحرار المخلصين، حتى أن نوري باشا في وزارته اقترح عليّ بلباقة ولطف ان اسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية للاتصال برجالها الرسميين وكسب عطف الشعب الاميركي على قضية فلسطين، ولما قلت له ان هناك كثيراً من الموانع تحول دون ذلك، تعهد بتذليل تلك الموانع.

وفي ربيع عام ١٩٤١ وصل إلى بغداد الكولونيل «دونافان» مبعوث الرئيس الأمريكي روزفلت إلى الأقطار العربية لاقناع زعمائها بضرورة التعاون مع انكلترا في هذه الحرب، وابلغني السيد توفيق السويدي وزير الخارجية حينئذٍ أن دونافان يطلب مقابلتي، فلما قابلته أبلغني أنه يحمل رسالة كلفه الرئيس الأمريكي روزفلت أن يبلغها

المسؤولين في البلاد العربية وهي تتلخص في ضرورة التعاون مع انكلترا في هذه الحرب وإرجاء المطالب القومية إلى ما بعد انهائها لأنه لا يجمل بنا ان نطالبها بشيء خلال الحرب! وقد اجبت دونافان بأن إنكلترا لا تعطي شيئاً من تلقاء نفسها لا في السلم ولا في الحرب وأن العرب سيعملون جاهدين على تحقيق مطالبهم في جميع الظروف والحالات.

وكان لانتصارات المانيا المتتالية، ولهزائم بريطانيا وحلفائها المتلاحقة، تأثير عظيم على العراق وسائر العرب الذين كانت هذه التطورات الحربية تنعش آمالهم، وقد وقر في نفوسهم أن بريطانيا وحلفاءها من المستعمرين هم سبب البلاء وأساس الداء فيما نزل بالأمة العربية من نكبات.

وأصبحوا يعتقدون أن كل ضعف يصيب بريطانيا وحلفاءها هو قوة لهم، وأن أعداءها هم أصدقاؤهم ولم يقتصر تأثير هذه التطورات على الناقمين منهم على الاستعمار، بل تناول أيضاً أنصار بريطانيا وأصدقاءها من بعض النواحي.

فقد حدثني نوري السعيد بعد عودته من مصر، وكان حينئذٍ وزيراً للخارجية في الوزارة الكيلانية، عن نتيجة رحلته إلى القاهرة، ومقابلته للجنرال ويفل القائد العام البريطاني، وغيره من المسؤولين البريطانيين، عسكريين ومدنيين، كاللورد كيلرن السفير البريطاني، أنهم كانوا في حالة قلق واضطراب، ولما حادثهم بشأن القضية العربية كان العسكريون منهم يحيلونه على المدنيين، وكان هؤلاء أيضاً لا يجيبونه جواباً شافياً، مما جعله يعتقد ان سوء الحالة الراهنة في بريطانيا والقذائف الالمانية المستمرة على بلادهم أحرجها وحيرها واذهلها فلا تكاد تتبين سبيلها.

وقد حدثني بعد ذلك في بيته بجانب الكرخ خلال جلسة طويلة مستطلعاً رأيي في عودة العرب إلى تركيا وربط أنفسهم بها مرة أخرى، فأعربت عن اعتقادي، بأن تركيا الحاضرة قد تباعدت كثيراً عن العرب وقطعت الروابط التي كانت تربطها بهم.

وحدث بعد ذلك ان زارني طه باشا الهاشمي، وحدثني ملمحاً بفكرة الاتصال بالمانيا، وأن يكون ذلك بواسطة المنظمات الفلسطينية، إذ من غير المناسب أن تقوم بذلك الدول المرتبطة مع بريطانيا بمعاهدات كالعراق، ثم أسرَّ إليّ أن نوري السعيد يرى هذا الرأي، وأن يتم ذلك الاتصال بواسطتي، فأجبته: نحن الفلسطينيين لا نملك الأسباب والوسائل لذلك، والواقع انني لم أكن مطمئناً لبعض العناصر التي كانت معنية بهذا الأمر.

وبعد ذلك اشتد الصراع بين المخلصين من رجال العراق الداعين إلى الحياد والتزام حدود المقاطعة العراقية والبريطانية، والمشفقين على العراق والعرب أن يسخروا وتستغل بلادهم في سبيل الاستعمار، وبين الإنكليز وأنصارهم الذين كانوا يحاولون تسخير العراق والعرب لصالح بريطانيا، دون أي تأكيد منها لصالحهم أو ضمان لاستقلالهم وحريتهم.

وفي غضون تلك الفترة قدم بغداد الكولونيل «نيوكمب» الذي عرف بصلته هو وزميله «لورانس» بالثورة العربية الأولى التي حمل لواءها المغفور له الملك حسين بن عليّ شريف مكة على أساس اعتراف بريطانيا باستقلال جميع البلاد العربية بموجب عهود مكماهون المقطوعة للحسين والتي نقضتها بريطانيا قبل أن يجف مدادها، جاء «نيوكمب» مندوباً من قبل اللورد لويد وزير المستعمرات للاتصال بالزعماء الفلسطينيين والعراقيين، والبحث معهم في القضايا العربية عامة وقضية فلسطين خاصة، وحملهم على التعاون مع بريطانيا وحلفائها، واتصل نيوكمب بوزير الخارجية نوري باشا الذي دعاني وبعض أعضاء اللجنة العربية لبحث مهمته، وتتلخص في ان يعلن الفلسطينيون اعترافهم بالكتاب الابيض ويتعاونوا مع الإنكليز على أساس السياسة التي حددها ذلك الكتاب.

لم أقابل نيوكمب ولكن مساعيه لم تسفر عن نتيجة لأن بريطانيا عجزت حتى عن تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض لمقاومة اليهود لها.

ولهذه المناسبة أثار أحرار العرب في العراق فكرة الوحدة العربية ضالتهم التي كانوا ينشدونها باستمرار، وقد لمست منهم منذ وصولي إلى بغداد الشعور بالحاجة إليها والرغبة في تحقيقها، وكانوا يرون أن الحرب العالمية الثانية قد تكون مواتية للعمل على تحقيقها، وأنه ينبغي البدء بالعمل على ازالة ما بين المملكة العربية السعودية والعراق من جفاء، وكان الخلاف في ذلك الحين قائماً على الحدود، وشؤون بعض القبائل التي تقطن كلتا المملكتين، من عشائر شمر، وطلبوا مني أن أساهم بما أستطيع في هذا الأمر الذي سبق أن عرضه وفدنا على المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٩٣٧، فرحب به وشجعنا على المضي فيه، وعهد جلالته إليّ حينئذٍ بمحادثة الحكومة العراقية بشأنه، فاستعنت بكل من السيد رشيد عالي الكيلاني، وطه باشا الهاشمي اللذين قاما بمساع حثيثة لدى سمو الوصي وأعضاء الوزارة، وتم إرسال وفد عراقي لمقابلة الملك عبد العزيز فعمل على تصفية المشاكل وازالة الخلاف.

ومن طريف ما عرفته بعد عودة الوفد، ان مستر «دومفيل» مدير المخابرات البريطانية، دس نفسه خلسة في الطائرة، للتجسس على الوفد واقامة العراقيل في سبيل مساعيه لوحدة العرب وجمع كلمتهم.

وقد كان لدومفيل هذا نشاط كبير في العراق وبيوت عديدة في مختلف أحياء بغداد يستقبل كل صنف من الناس في بيت منها، وكان يجيد اللغة العربية باللهجة العراقية، ولم يقتصر نشاطه على العراق بل عمل في فلسطين بضع سنين كما عمل في لبنان ومصر، ولقد عرفته في فلسطين، إذ زارني مرتين بواسطة الأستاذ عيسى البندك في ديوان المجلس الإسلامي الاعلى بالقدس منتحلاً صفة مراسل جريدة الديلي اكسبرس وقدم إليّ اسئلة عديدة بشأن قضية فلسطين أجبته عليها، وفي المرة الثانية جلس بالقرب من مكتبي وكان عليه بعض الرسائل فجعل يمعن النظر فيها ويتابع سطورها، مما أسترعى انتباهي، ولكن زيارته الثالثة والاخيرة فضحت أمره إذ جاء لمقابلتي مع الأستاذ عيسى أيضاً، وكان عندي بعض الزائرين فطلب منه الموظف المختص ان ينتظر في غرفة الاستقبال، ولكنه دخل غرفة سكرتير المجلس المجاورة لغرفتي، وانتهز فرصة خلوها فبادر يقلب الاوراق والملفات ليطلع على ما يهمه منها، وبينما كان منهمكاً في ذلك دخل فجأة سكرتير المجلس، وكان حينئذٍ الأستاذ جمال الحسيني، فاوسعه تأنيباً وتقريعاً وطرده، فخرج دون أن يقابلني، ثم ظهر بعد ذلك أنه المستر دومفيل مدير مخابرات الجيش البريطاني.

وبعد أن جئت إلى مصر أوروبا قَدُمَ دومفيل لزيارتي في بيتي بحلمية الزيتون، وهنأني بعودتي من أوروبا، ومما قاله لي: نحن الإنكليز لا نلومك على خصومتك لنا، بل نحترمك لأننا نعلم انك انما تعمل في سبيل بلادك، ولكننا نلومك على ذهابك إلى المانيا وتعاونك معها، فإن هذا خطأ كبير، فرددت عليه بقولي إنه يكون خطأ بل خيانة لو صدر عن إنكليزي، أما صدوره عن عربي أنزلت بريطانيا في وطنه من الظلم ما لم يعرف التاريخ له مثيلاً فلا يكون خطأ بل هو صواب وسداد.. فافحم.

وأغرب ما حدث من دومفيل هذا أنه بعد ما قضى في أعمال المخابرات البريطانية في لبنان مدة من الزمن جاء إلى مصر عام ١٩٥٠ في حالة كئيبة وملابس رثة مدعياً ان الإنكليز اقالوه من منصبه لفرط ميله إلى العرب... وأنه أصبح في بؤس شديد، وأقام في غرفة حقيرة على سطح إحدى العمارات في مصر الجديدة ليوهم الناس بصحة مزاعمه، وكان يقترض ثمن فنجان القهوة من بعض معارفه.

ولما بلغني خبره وحالة فقره وعوزه قلت: أنها قديمة ومعروفة سبقه إليها مستر سترلنج مدير المخابرات البريطانية الشهير في سورية فقد لجأ إلى حلب إلى المغفور له سعد الله الجابري رئيس الوزارة السورية حينئذٍ وكان في مثل حالة دومفيل في ملابسه المهلهلة وفي غرفته الحقيرة على السطح، وزاد عليه بأنه كان يصطحب امرأته وكانت في مثل حالته البائسة، والتمس من السيد الجابري عملاً لامرأته، فاشفق عليه وأمر بتعيينها ممرضة في مستشفى ليعيشا من مرتبها الضئيل.

ثم تبين فيما بعد أن هذا البائس سترلنج كان يعمل مديراً للمخابرات البريطانية في بادية الشام وبادية العراق ويتصل بالعشائر السورية والعراقية ويعمل على إثارة الفتن بينها، وعلى تسخيرها بواسطة من يستطع اشتراءهم من شيوخها ورؤسائها، وينفق في سبيل ذلك عن سعة أموالاً وفيرة، ولما فضح أمره هجر حلب إلى دمشق واخذ يقوم فيها بمهمته ولكنه في حالة أخرى من اليسر والبذخ. إلى ان ضاقت به سورية ذرعاً، واطلق عليه بعض الوطنيين النار فجرح جروحاً بالغة غادر سورية على اثرها إلى غير رجعة.

ولعل قصة سترلنج لم تكن قد وصلت إلى القاهرة عندما استطاع دومفيل أن يخدع الناس وما أكثر من تنطلي عليهم مثل هذه الحيل بيننا معشر العرب.

تتابعت الأحداث الخطيرة في العراق وبرز في ميدانه فريقان يختصمان، أما أحدهما فالإنكليز واتباعهم الذين ربطوا مصائرهم بهم، والإنكليز يعرفون قيمة العراق الاقتصادية والجغرافية والاستراتيجية وما فيه من ثروات عظيمة فهم يطمعون في الاستيلاء عليها، ويرغبون في تسخير العراق واستغلاله لصالحهم في الحرب والسلم، وأما الآخر فصفوة الاحرار المخلصين الذين يقدرون هذا القطر العربي الذي كانت عاصمته بغداد مركز الخلافة الإسلامية في دولة العباسيين، التي بلغ العراق خلالها شأناً عظيماً من العمران والحضارة، والذي ذكر المؤرخون عنه أن المسافر من بغداد إلى «الرقة» والمسافة بينهما تزيد على خمسمائة كيلومتر، كان لا يسير إلّا في ظلال الاشجار الباسقة، والذي تبلغ مساحة أراضيه اليوم نحو (١٧٤) ألف ميل مربع، أي قرابة ضعف مساحة بريطانيا بما فيها اسكتلندا وويلز وشمال أيرلندة، وقد قدر المهندس العالمي الشهير «ويلكوكس» ان فيه من الأراضي الخصبة نحو ثمانية عشر مليون فدان، يستطاع ريها في يسر وسهولة من نهري دجلة والفرات وروافدهما العديدة، أضف إلى ذلك ما يتدفق فيه من نفط غزير، تتسرب أكثر خيراته إلى خزائن الشركات الاستعمارية، وهذه الشركات تحاول ان تستحوذ على ثروة أخرى تضارع ثروة البترول

العراقي إن لم تزد عليها، وهي مناجم الكبريت الغنية المترامية على مسافة لا تقل عن ثلاثمائة كيلو متر في شمال العراق، وغير ذلك من الثروات الظاهرة أو المدفونة في باطن الارض.

من أجلّ هذا الاقليم الواسع الغني، الذي كانت ثروته من أهم أسباب جشع المستعمرين وتكالبهم عليه، بذل الإنكليز جهوداً جبارة في الإبقاء على سيطرتهم عليه منذ احتلوه في أواخر الحرب العالمية الأولى، بمختلف الوسائل والاساليب، من حكم إنكليزي مباشر، إلى انتداب، إلى معاهدة، إلى غير ذلك (تغيرت الأسماء والقصد واحد).

منذ وصولي بغداد في الثاني من رمضان عام ١٣٥٨ الموافق ١٥ تشرين الأول سنة ١٩٣٩ إلى يوم خروجي منها مساء ٢٩ مايو سنة ١٩٤١ أي خلال عام واحد وسبعة أشهر ونصف، تولت الحكم في العراق ست وزارات.

ووقعت أحداث خطيرة كمقتل المرحوم رستم حيدر وزير المالية واستقالة وزارة نوري السعيد، فالفتنة التي حدثت بين فريقين من رجال الجيش، فتأليف الوزارة السعيدية مرة أخرى، ثم تأليف الوزارة الكيلانية ثم دخول إيطاليا الحرب إلى جانب المانيا في العاشر من يونيو سنة ١٩٤٠، وما نشأ عن ذلك من ضغط بريطانيا على العراق لقطع العلاقات السياسية مع إيطاليا، وجره إلى الحرب بجانبها (جانب بريطانيا) ورفض العراق ذلك، فَسَفَر وزير العدلية السيد ناجي شوكت إلى انقره ومقابلته لفون بابن سفير المانيا في تركيا، وتصرفات سفير بريطانيا في العراق السير بازل نيوتن وتدخله السافر في كثير من الظروف والحالات، فالأزمات التي احدثتها الاصابع الاستعمارية لإحراج الوزارة الكيلانية واستقالة بعض أعضائها، وأحداث الفتن في البلاد، كمفاجأة الوصي الأمير عبد الاله بالخروج من بغداد إلى الديوانية في ٣٠ يناير سنة ١٩٤١ فاستقالة الوزارة الكيلانية على أثر ذلك، بسبب تدخل الأيدي والمصالح الأجنبية كما ورد في برقية استقالتها إلى الوصي في الديوانية، وتأليف وزارة طه باشا الهاشمي واستمرار الضغط البريطاني والدسائس الاستعمارية، ومحاولة تبديل قادة الجيش وتغيير مراكزهم، فاستقالة وزارة طه الهاشمي، فخروج الوصي من بغداد (مرة ثانية) في ٢ إبريل سنة ١٩٤١ في زورق بخاري نقله إلى (الدورة) ثم نقله بسيارة إلى (الحبانية)، ثم بطيارة إلى (البصرة) ومنها إلى المدرعة الحربية (كوك شيير) يوم ٤ نيسان، فتأليف حكومة الدفاع الوطني برئاسة السيد الكيلاني، التي عقدت اجتماعاً لمجلس الأمة في العاشر من إبريل، قرر فيه تعيين

الشريف (شرف) وصيا على العرش وتأليف الوزارة الكيلانية الرابعة على أثر ذلك.

استمرت الدسائس والمؤامرات على نشاطها لربط العراق بعجلة السياسة البريطانية والسيطرة على شؤونه الخارجية والداخلية وتوجيهها وفق مصلحة بريطانيا في تلك الحرب الضروس، وتبعاً لذلك أحتدم الصراع بين فريق الوطنيين المخلصين، وفريق الإنكليز الذين كانوا يدفعون اتباعهم لمقاومة الوطنيين تحت ستار الاعتدال.

وقد كان في الاستطاعة التخفيف من حدة الخلاف لولا أن الإنكليز كانوا يحولون دون الوفاق جاهدين لايقاظ الفتنة، وقد سنحت بعض الفرص لتقريب وجهات النظر، وكاد يتم الوفاق في بعض الظروف لولا أن احبطه الإنكليز وحالوا دونه.

وحدث أن أصدر مستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية أمراً في ٨ إبريل سنة ١٩٤١، بإرسال فرقة عسكرية هندية إلى البصرة، وطلبت السلطات البريطانية السماح لها بالمرور عبر الأراضي العراقية وفقاً للمعاهدة التي تنص على السماح للقوات العسكرية البريطانية بالمرور عبر العراق غربي نهر الفرات خلال ثمانية أيام فقط دون ان تمكث في الأراضي العراقية أكثر من ذلك، ولم تكن السلطات العراقية من مدنية وعسكرية مطمئنة لمرور هذه القوة البريطانية في مثل هذه الظروف، وكانت تخشى المكائد البريطانية المعروفة، فعارضت في مرورها ونشأت من ذلك أزمة خطيرة.

وخلال ذلك قدم بغداد الأستاذ جورج انطونيوس[1] الذي كانت بيني وبينه معرفة سابقة وصداقة، فعلم بالأزمة من السفير البريطاني الجديد كورنواليس الذي عين خلفاً للسفير السابق السير بازل، فزارني وابدى لي مخاوفه من تفاقم الأمر وحدوث اصطدام تكون له عواقب سيئة على العراق وطلب مني أن اتوسط له بمقابلة سريعة مع رئيس الوزراء السيد رشيد عالي، ففعلت وتمت المقابلة في وقت قصير بذلنا خلالها أقصى الجهد لحمل السلطات العراقية على تجنب الصدام فوافقت على ذلك مبدية كثيراً من التسامح رغم تخوفها من غدر الإنكليز والشبهات التي كانت تحوم حول أسباب قدوم تلك الفرقة في مثل تلك الظروف.

وكانت السفارة البريطانية في بغداد قد تعهدت رسمياً للحكومة العراقية بأن تمر الفرقة الهندية خلال الوقت المحدد وأن تغادر العراق دون المكث فيه.. الخ وفي ١٧ و

(١) جورج أنطونيوس: تولد ١٨٩٢، دير القمر، لبنان. مهندس خريج جامعة كامبردج، عمل في فلسطين مساعداً لمدير المعارف، وفي خدمة القضية الفلسطينية، وسكرتيراً للوفد العربي إلى مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٩٣٩.

١٨ إبريل سنة ١٩٤١، تم نزول الفرقة المذكورة في البصرة، ولما طالبت السلطات العراقية السفارة البريطانية باحترام نصوص المعاهدة، واحترام تعهداتها وتأكيداتها القاطعة بخروج الفرقة الهندية من العراق كان الجواب على ذلك ان استقدمت بريطانيا قوة عسكرية أخرى انزلتها في ميناء البصرة يوم ٢٩ إبريل.

ولما احتجت الحكومة العراقية على هذا العمل بشدة، كان جواب بريطانيا أن أمرت قواتها باحتلال البصرة، وعينت لها حاكماً عسكرياً بريطانياً، وأرسلت جانباً من قواتها المدرعة إلى مطار الحبانية العسكري الذي كان في يد الإنكليز، وهو لا يبعد عن بغداد باكثر من ثمانين ميلاً، فعل الإنكليز ذلك قبل ان يقع بينهم وبين القوات العراقية أي اصطدام.

وهكذا قدمت بريطانيا دليلاً جديداً على نكثها بالعهود والمواثيق، وأن المعاهدات في نظرها ليست أكثر من قصاصات ورق لا قيمة لها إلا بمقدار ما تفيده منها.

وقد سمعت من الأستاذ انطونيوس، قبل وقوع الحرب بين العراق وبريطانيا، تقديراً وثناء على الحكومة العراقية ورجال جيشها، وإعجاباً بموقفهم السلمي وتقديراً لجهودي المتواضعة في هذا السبيل، ثم بلغني فيما بعد عندما كنت في فرنسا، وطالبت بعض الدول المعادية بتقديمي إلى محكمة «نورمبرج» لمحاكمتي كمجرم حرب، إن الأستاذ جورج انطونيوس كان قدم تقريراً وافياً عن حوادث العراق خلال الأزمة المذكورة وما تلاها من مواقف وحوادث، وأنه أورد في تقريره دلائل قاطعة على نيات السلطات العراقية السلمية، وأنها لم تكن تسعى إلى الحرب بل كانت تحاول اجتنابها (وسيأتي ذكر هذا التقرير والحوادث التي يشير إليها في مكان آخر من هذه المذكرات).

وعندما جئت مصر بعد عودتي من فرنسا، اجتمعت بالدكتور فاضل الجمالي في دار المفوضية العراقية بالقاهرة عام ١٩٤٧، وسألته بحضور كل من المغفور له السيد تحسين العسكري وزير العراق المفوض حينئذ، والأستاذ السيد رجائي الحسيني[١] عن مبلغ علمه بتقرير انطونيوس هذا فقال: «نعم سمعت بهذا التقرير وأعلم ان الحكومة العراقية طلبت مراراً من الحكومة البريطانية الحصول على نسخة منه، ولكنها لم تستجب إلى الطلب حتى الآن».

(١) رجائي الحسيني: من القدس، سياسي نشط في الحركة الوطنية الفلسطينية، وزير في حكومة عموم فلسطين ١٩٤٨.

وحبذا لو ظهر هذا التقرير ونشر فإن فيه من الحقائق ما يدفع كثيراً من التهم الباطلة التي حاول الإنكليز الصاقها بالسلطات العراقية حينئذٍ، وبالأبرياء، الذين لم يكن لهم أي ذنب إلا إخلاصهم لوطنهم، ورفضهم الاستجابة لمطالب المستعمرين الرامية إلى استغلال بلادهم واستعباد امتهم.

وأعود فأذكر باختصار ما وقع بعد ما ظهر من خداع الإنكليز وإدخالهم قواتهم العسكرية إلى العراق، واحتلالهم البصرة كما ذكرنا آنفاً، فقد فاجأت قاذفات القنابل البريطانية بقنابلها يوم الجمعة في ٢ مايو سنة ١٩٤١، وحدات الجيش العراقي المرابطة على نحو خمسة وعشرين كيلومتراً من مطار الحبانية، في المنطقة التي لم يكن للإنكليز بها أية صلة وفقاً للمعاهدة، كما شرعوا يضربون الجيش العراقي بقنابل مدافعهم، وعندئذٍ عقدت الحكومة العراقية مجلس الدفاع الاعلى وقررت القيام بواجب الدفاع عن البلاد والذود عن الشرف والكرامة مهما كلف الأمر، وعلى أثر ذلك قررت الحكومة إعادة الصلات الدبلوماسية مع المانيا، وبهذا العدوان على العراق، تم للإنكليز تحقيق خطتهم الغادرة المرسومة للسيطرة على العراق، وهي الخطة التي فضحها تشرشل بتصريحه في مجلس العموم في شهر يونيه عام ١٩٤١، وقد أوردنا نصه في مكان سابق.

وقد تولى تشرشل تبرير هذا العدوان الغادر على العراق، فقد جاء في المجلد الثالث الصفحة ٢٢٤، من مذكراته عن الحرب العالمية الثانية قوله: «أنه كان على العراق ألا يكتفي بقطع صلاته السياسية مع المانيا، بل أن يعلن الحرب عليها، وحينما انضمت إيطاليا إلى المانيا فإن العراق لم يقطع صلاته السياسية معها، كما أن العراق آوى مفتي فلسطين الذي لجأ إليه وساعد على إثارة الشعور ضد بريطانيا».

وجاء في الصفحتين ٢٢٥ و ٢٢٦ من مذكرات تشرشل نصوص برقيات أرسلها إلى وزير الهند بلزوم إرسال الفرقة الهندية إلى البصرة، وبعد ذلك أرسل برقية أخرى إلى الجنرال ايسماي جاء فيها ما نصه حرفيا:

«يجب أن ترسل الجيوش إلى البصرة بأسرع ما يمكن، وعلى أقل تقدير يجب الإسراع بإرسال الألوية الثلاثة».

جاء في الصفحة ٢٢٧ من مذكرات تشرشل، إن الجنرال ويفل قائد القوات البريطانية في الشرق الاوسط، استنكر العدوان على العراق ببرقية هذا نصها:

«لقد نبهتكم مراراً عديدة إلى أنه لا تمكن مساعدة العراق من فلسطين في الظروف

الحاضرة، والححت عليكم بوجوب تحاشي الاصطدام في العراق، إن قواتي موزعة إلى أقصى حد في كل مكان، ولا أستطيع أبداً المجازفة فيما لا يجدينا أي نفع...»

ولكن تشرشل ظل مصراً على عناده وأبرق إليه بما يلي: الجنرال ويفل:

«لم يكن لنا مناص من التدخل في العراق فان علينا ان نؤسس قاعدة في البصرة وأن نراقب هذا الميناء للمحافظة على بترول إيران».

وهذا دليل آخر على بغي إنكلترا وسبب عدوانها على العراق، أنه للمحافظة على البترول في كل من العراق وإيران.

ومما يسترعي النظر قول الجنرال ويفل: (إنه لا يمكن إرسال قوات بريطانية من فلسطين إلى العراق). ولكن الجنرال جلوب استطاع مع الأسف الشديد ان يقود بعض القوات العربية لمقاتلة الجيش العربي العراقي، كقوة الحدود، وقوة البادية وغيرها، وأن يؤثر تأثيراً سيئاً جداً في سير المعركة.

ومن الحق والانصاف الا نختم هذه القصة الأليمة دون أن نذكر أن بعض وحدات الجيش الأردني رفضت الانقياد إلى رغبة الإنكليز، وحينما وصلت الحدود العراقية تمردت وحولت رشاشاتها عليهم، وهددت بإطلاق النار إن لم يسمح لها بالعودة، وقد اعترف الإنكليز أنفسهم بهذا الحادث وسجله المؤلف الإنكليزي الن. ا. م. في الصفحة ٦٩ من كتابه المسمى «الانسحاب إلى النصر».

ولا أسهب هنا في تفصيل معركة العراق. وأكتفي هنا بذكر بعض الحقائق الموجزة لما فيها من عبرة وموعظة.

لقد ظهر أن بريطانيا التي تعهدت بتسليح الجيش العراقي ومساعدته على النمو والقوة وفق معاهدة ١٩٣٠، لم تفِ بعهدها بل بالعكس أقامت كل العراقيل في سبيل تسليحه، وحينما وقع الإنقلاب الذي قام به حكمت سليمان وبكر صدقي عام ١٩٣٦ وطالبت الحكومة العراقية حينئذٍ بريطانيا بالتسليح دون جدوى، اشترت من المانيا وإيطاليا بعض الطائرات الحربية وكمية من الأسلحة والذخائر، وعقدت مع المانيا صفقة كبيرة لتسلح الجيش العراقي بشروط حسنة جداً، فقد كانت الأسعار رخيصة والاقساط طويلة الاجل، وقد أطلعني السيد حكمت سليمان عندما التقيت به في طهران في يونيه عام ١٩٤١، على جانب من تفاصيل تلك الصفقة التي حال دون تنفيذها مصرع القائد المرحوم بكر صدقي حينئذٍ في مطار الموصل، ومما يؤسف له أن زميلاً ورفيقاً عسكرياً له (وهو من أنصار المستعمرين المعروفين) بادر على أثر مصرعه

في المطار إلى الاستيلاء على حقيبة أوراقه ثم سلمها بما فيها من الوثائق السرية واتفاقيات الأسلحة، إلى السفارة البريطانية في بغداد...

وفيما بعد طالبت إحدى الحكومات العراقية، بريطانيا باصرار بتسليح الجيش العراقي، ولما يئست منها، اشترت بعض الطائرات الحربية من الولايات المتحدة الأمريكية بعد مَطل وتسويف طويل، وأخيراً وصلت الطائرات الحربية المطاردة من أمريكا إلى مطار بغداد واستقبلت بحفاوة وابتهاج ولكن الدهشة عقدت الالسن عندما ظهر أن هذه الطائرات لم تكن تحمل أي سلاح.. ووعدت امريكا أن ترسل الأسلحة الخاصة بهذه الطائرات في أمد قصير، ولكن انقضى الامد القصير والامد الطويل وبقيت الطائرات دون سلاح، فلا هي اجدت في الحرب ولا صلحت للنقل.

ومن طريف ما فعلته بريطانيا في العراق خلال الحرب، أنها وضعت يدها على مصنعين لصنع البنادق والذخيرة، كانت الحكومة العراقية انشأتهما بعد جهود حثيثة، واستولت عليها بصفة الاستعارة، وبعد أن استغلتهما مدة الحرب لم تلبث ان قضت عليهما وعفت على آثارهما.

وهذا الحادث يذكرني بمثيل له في مصر فإن بريطانيا التي تعهدت لمصر في معاهدة ١٩٣٦، بتسليح جيشها ودعمه، واضطرت إلى تسليح فرقة واحدة منه قبيل الحرب العالمية الثانية، عادت خلال الحرب فاستعادت من الحكومة المصرية هذا السلاح واستردت بالشمال ما أعطته باليمين، رغم انقضاء سنين طويلة على معاهدتي بريطانيا مع العراق ومصر بتسليح جيشهما، فإنها لم تفِ بعهودها.

وكما أن موقف المستعمرين كان واحداً من حيث مقاومتهم لتسليح العراق فإن موقفهم كان واحداً أيضاً من حيث قيامهم بضغط اقتصادي شديد على الحكومات الوطنية، فإنهم في العراق قاموا بمثل ذلك الضغط إذ امتنعوا عن شراء التمر، وهو عماد ثروة العراق، بقصد إيجاد ازمات اقتصادية وفتن داخلية وزعزعة المركز المالي العراقي، لكن الحكومة العراقية في ذلك الحين، استطاعت أن تعقد صفقات موفقة مع اليابان لبيع التمر والقطن، وبأسعار أعلى مما كانت تدفعه بريطانيا، وهكذا انفرجت الأزمة وباءت سياسة الضغط الاستعماري بالفشل.

ولعل فيما اوردته عبرة للمخدوعين من العرب والمسلمين، الذين لا يزالون يجرون وراء سراب الاستعمار، يمنون أنفسهم ويخدعون شعوبهم، بالوصول إلى القوة

والسلاح بواسطة الأعداء الالداء، الذين يرون في قوتنا خطراً عليهم، وفي ضعفنا قوة ومصلحة لهم.

وعلى أثر تحرج الحالة في منطقة القتال بجبهة بغداد، فكرت الحكومة العراقية وقيادة الجيش العراقي في الانسحاب إلى منطقة الموصل واتخاذها مركزاً للدفاع والمقاومة، وبناء على ذلك توجه الشطر الباقي في بغداد من المجاهدين الفلسطينيين وهم نحو ثمانين مجاهداً، إلى الموصل وأقاموا بها ثلاثة أيام انتظاراً لتعليمات السلطات العراقية.

ولما كانت حركة العراق في ذلك الحين حركة عربية خالصة فقد تجاوبت معها الأقطار العربية وأيدتها بحماسة رائعة وتقدم من كان بالعراق حينئذٍ من احرار العرب معلنين تطوعهم واستعدادهم لمشاركة إخوأنهم العراقيين.. وفعلاً توجه عدد من المتطوعين السوريين من جهات دير الزور والبوكمال، لنجدة العراق وقتال الإنكليز، ولكن الاحداث توالت في العراق بأسرع مما كان منتظراً، ولم تتمكن الحكومة العراقية وقيادة الجيش من الانتقال إلى الموصل واضطررت لمغادرة العراق إلى الحدود الإيرانية، ثم الالتجاء إلى إيران.

كان للطابور الخامس أثر كبير في الفشل الذي منيت به حركة العراق، وكان هذا الطابور يتألف من عناصر كثيرة اهمها اليهود في العراق. فقد ذكر لي الأستاذ جورج انطونيوس أثناء المعركة أن أفراداً من اليهود الموظفين في مصلحة التليفونات يسجلون المحادثات التليفونية المهمة والرسمية على اسطوانات ثم يقدمونها إلى السفارة البريطانية في بغداد، وكذلك الموظفون اليهود في مصلحة البريد والتلغراف فانهم يبادرون بإرسال ما تصل إليه أيديهم من البرقيات والرسائل إلى السفارة.

عدا اليهود كانت عناصر عديدة أخرى غير عربية تعمل لصالح الاستعمار البريطاني. والعنصر العربي الوحيد الذي كان يعمل لصالح الاستعمار، تلك الفئة التي ربطت حاضرها ومستقبلها بالإنكليز وكثيراً ما كان أحد كبراء هذه الفئة يجاهر بقوله: والله لو جلا الإنكليز عن العراق مساء لما لبثنا فيه إلى الصباح خوفاً من أن يبطش بنا أهل العراق!

وكان رأس جميع هذه العناصر والمحرك لها ادارة المخابرات البريطانية التي كانت متغلغلة في كل مكان. وحسبك أن تعلم أن مستر ادمونس وهو من دهاة الإنكليز في العراق. كان مستشاراً لوزارة الداخلية مدة طويلة وقد غدا أيضاً مستشاراً لوزارة

الخارجية عندما كان نوري باشا السعيد وزيراً لهذه الوزارة عام ١٩٤٠ فكان مستشاراً للوزارتين في وقت واحد.

وكان ادمونس رغم أنه مستشار وزارة الداخلية، يسعى جاهداً لإثارة الحركة الكردية في العراق وايقاع الشقاق بين العرب وإخوأنهم الاكراد ويتظاهر بمحبة الاكراد ويتمنى لو أنه ولد كردياً! ويزعم انه خليفة الميجر (صون) الإنكليزي في بعث الأمة الكردية وانعاش لغتها التي كان ادمونس يجيدها. وكذلك كان الإنكليز يحرصون على إثارة الآشوريين «التياريين» واليزيديين وغيرهم من الطوائف غير المسلمة في العراق وعلى المباعدة بين المسلمين أنفسهم من أهل السنة والشيعة وفقاً لخطتهم الاستعمارية المعروفة «فرق ثم أحكم» ورغبة في توطيد أقدامهم واستمرار نفوذهم وسيطرتهم على هذا القطر الغني الواسع من العالم العربي.

وكان لزاماً على العراق أن ينشئ «ادارة مخابرات» قوية جديرة بإحباط مؤامرات الأعداء، وهذا ما استرعيت له نظر طه باشا الهاشمي عقب وصولي بغداد، وكان حينئذٍ وزيراً للدفاع ونافذ الكلمة في الحكومة العراقية. وقد دهشت لما علمت منه ان الحكومة العراقية حتى عام ١٩٤٠ أي بعد مضي عشر سنين على الاعتراف باستقلال العراق لم تؤسس ادارة مخابرات، لا عسكرية ولا مدنية واقترحت عليه إنشاء هذا الجهاز الذي لا غنى عنه لأية حكومة.. فرد عليّ قائلاً أنه لا يجدر بنا ان نفعل كما كان السلطان عبد الحميد يفعل من التجسس على الناس، فقلت له لعل عناية السلطان عبد الحميد بالمخابرات كانت من أجلّ أعمال هذا السلطان الذي ضاق الأعداء والمستعمرين ذرعاً بنباهته ودهائه ولست أعني التجسس على المواطنين الصالحين فان ذلك منهي عنه بقول الله تعالى: ﴿ولا تجسسوا...﴾ وقد توسع كثير من المسلمين في هذا المعنى واخطأوا في فهم المراد منه وأصبحوا في عماية عمياء وغفلة محزنة عما يراد بهم من شرٍ وأذى.

ومنذ دبرت المنظمات اليهودية والفارسية المجوسية مؤامرات اغتيال الخلفاء الخطيرة في ذلك العهد وما بعده من العصور التالية في تاريخ الإسلام ونحن سادرون في غفلتنا، ولم تنبهنا العبر ولم تفدنا الاحداث الخطيرة والتجارب المريرة مع ان الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أعلم الناس وافهمهم لأوامر الله تعالى التي جاء بها القرآن الكريم اتخذ الحيطة والحذر، وبث العيون والارصاد لمعرفة أخبار الأعداء وتتبع حركاتهم وأعمالهم كما فعل في غزوة بدر، ثم في غزوة الخندق التي تواطأ فيها المشركون مع اليهود على غزو المدينة المنورة وحاصروها وغير ذلك من المواقف الكثيرة

التي تواترت عنها الأخبار دالة على عظيم الفطنة وشديد الحذر. وبدأ حينئذٍ ان طه باشا قد أقتنع بقولي وبعد بضعة أشهر زف إليّ البشرى بأنه استطاع ان يرصد في ميزانية وزارة الدفاع ألفاً أو ألفين من الدنانير لإنشاء ادارة مخابرات.. فلما سمعت منه هذا المبلغ الضئيل ايقنت انه لم يدرك أهمية هذا الأمر ومبلغ خطورته!

ولكن رجالاً آخرين من العراقيين المسؤولين أدركوا أهمية المخابرات واستطاعوا بذلك ان يكشفوا جانبا من خطط الأعداء واسرارهم. فمن ذلك الحادثة الطريفة الآتية:

التقطت المخابرات العراقية مساء الخميس أول مايو سنة ١٩٤١ محادثة تليفونية بين المعسكر البريطاني في الحبانية والسفارة البريطانية في بغداد جاء فيها «إن المستر بيلي سيعقد زواجه على مس كورنواليس غداً» وبيلي هذا كان مفتشاً بريطانياً في دائرة مصلحة البريد والتلغرافات، ومس كورنواليس هي ابنة السفير البريطاني الذي تم تعيينه أثناء الحوادث الاخيرة وكانت العبارة التي التقطت هي: Will Engage ومعناها عقد زواج في الظاهر، ولكن لها معنى آخر في الاصطلاح العسكري هو «الالتحام أو الهجوم». فانتبهت القيادة العراقية إلى المقصود من تلك العبارة، واتخذت الحيطة، ولم تؤخذ على غرة، وبالفعل فقد قام الإنكليز بهجوم مفاجئ على الجيش العراقي، في الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي الجمعة ٢ مايو دون أي انذار.

ومن الحق أن نقول أن الغفلة عن أهمية المخابرات كانت عامة في أكثر الأقطار العربية، وقد ذكرت في مناسبة سابقة بعض أعمال دومفيل، وأنه تولى أعمال مدير مخابرات الطيران في الجيش المصري في العهد السابق، وأذكر الآن ما هو ادهى من ذلك، فقد قابلت في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥١، وزير الحربية المصرية بالنيابة أثناء اشتداد الأزمة بين مصر والإنكليز في قناة السويس بعد إلغاء معاهدة عام ١٩٣٦. وعرضت عليه استعداد الفلسطينيين للقيام بما يجب عليهم حيال مصر العزيزة في ذلك الموقف. وجرى خلال تلك المقابلة بحث عن المخابرات الأجنبية والطابور الخامس، فأسر إليّ الوزير بما ادهشني، وهو ان المدير العام لمخابرات الجيش المصري، كان حتى الاسبوع الماضي إنكليزيا، وإن الوزير أخرجه قبل أسبوع فقط.

استطاع الطابور الخامس، الذي ذكرت طرفاً من جهوده الخطيرة آنفاً، أن يصيب العراق بأذى كبير. وقد انضم إليه بعض الخائنين الذين ربطوا أنفسهم بعجلة السياسة البريطانية وعملوا لصالح الاستعمار، واستطاعوا إغراء بعض النفعيين والانتهازيين ومن التف حولهم، وبذلك قدموا أعظم مساعدة للجيش البريطاني، الذي كان له في العراق

قاعدتان عسكريتان، احداهما الحبانية بالقرب من بغداد، والأخرى «الشعيبه» بالقرب من البصرة، وفقاً للمعاهدة العراقية البريطانية التي حددت عدده وأماكنه. ولكن الإنكليز لم يأبهوا بما نصت عليه المعاهدة، وأخذوا رغم احتجاجات السلطات العراقية المتتالية، يزيدون جيشهم بأعداد كبيرة تدفقت من الهند وغيرها، من القوات المعززة بالمصفحات والدبابات والمدافع الضخمة وقوات الطيران، التي لم يكن ما يماثلها لدى العراق، الذي لم يكن ينوي الحرب، بل كان همه منحصراً في الحياد والتزام نصوص المعاهدة. وقد تمكن الإنكليز بعد احتلال البصرة بجيشهم واسطولهم من إمداد قواتهم في الحبانية بقوات كثيرة مؤلفة من وحدات آلية فيها المصفحات والمدافع بقيادة الجنرال كنجستون، ترافقها وحدات أخرى.

وكانت الحكومة العراقية قد بذلت جهدها للحصول على أسلحة للجيش من بعض الدول الصديقة، فوصلها بعض الطائرات الحربية الألمانية والإيطالية، رغم المسافات الشاسعة ومقاومة الطائرات الإنكليزية لها، في طريقها إلى العراق، وكان لوصولها أثر كبير في تقوية النفوس وإنعاش الأمل ولكن لم يكن لها الأثر الفعّال المنتظر ولم يمكن الانتفاع بها في المعركة ضد الإنكليز، لأن العراق الذي يتدفق البترول من أرضه، قد حرمته الشركات الاستعمارية من إنشاء مصفاة للبترول الخاص بالطائرات، فكان يستورد بعض حاجة القوة الجوية العراقية من «عبادان» في إيران، فلما وقعت الواقعة بين العراق وإنجلترا، لم يكن في استطاعة العراق تموين طائراته ولا الطائرات الأخرى القادمة لمساعدته من المانيا وإيطاليا بالبنزين الخاص بها، وهكذا ظلت معطلة عن العمل تقريباً. وحدث نحو ذلك من الأحداث التي ادت إلى نتائج محزنة لا محيص عنها في كل صدام يقع بين امبراطورية جبارة باغية ودولة صغيرة ناشئة مسالمة.

وفي ١٩ مايو قامت القوات البريطانية في الحبانية، بهجوم شديد على الوحدات العراقية المدافعة عن «الفلوجة» واحتلتها، وقد حاولت بعض القوات العراقية استردادها بهجوم قامت به يوم ٢١ مايو وكادت تنجح ودخلت الفلوجة بالفعل، ولكنها لم تستطع الاستيلاء على المدينة، لعدم وجود قوة آلية وطائرات تعزز وحدات الجيش، وهكذا مني هذا الهجوم بالفشل.

وفي ٢٧ مايو زحفت القوات البريطانية على بغداد، فلقيت مقاومة استمرت حتى مساء ٢٩ منه، إذ قررت الحكومة العراقية وقادة الجيش الانسحاب من بغداد إلى المناطق الجبلية في شمال العراق، لاستئناف الدفاع عنها. ولكن الدسائس الاستعمارية بالأضافة إلى تفوق القوات البريطانية الكبيرة وعدم الحصول على مدد، لم تمكن الجيش

العراقي من الاستمرار في المقاومة، واضطرت الحكومة العراقية وقادة الجيش للخروج من العراق بطريق (خانقين) إلى الحدود الإيرانية، التي اجتازوها يوم ٣٠ مايو ١٩٤١.

ولا بد من الإشارة هنا إلى الموقف المشرف الذي وقفه المجاهدون الفلسطينيون من معركة العراق، فقد سارعوا إلى مشاركة إخوأنهم العراقيين في محنتهم، باذلين دماءهم وأرواحهم في سبيل الدفاع عن حرية العراق، وقام فريق منهم بقيادة المجاهد السيد عبد القادر الحسيني بمقاتلة القوات الإنكليزية في موقع «صدر أبو غريب» قتالاً شديداً أبلوا فيه أحسن البلاء.

أشرت فيما سبق لظروف الحرب العالمية الثانية وانتصارات المانيا المتتالية على الدول الغربية المستعمرة التي أوسعت العرب ظلماً وارهاقاً ونقضت عهودها التي قطعتها لهم في الحرب العالمية الأولى. ولم تكتف بذلك بل توجت ظلمها للعرب وعدوانها عليهم بوعد بلفور، الذي قطعته بريطانيا لليهود، بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، رغم أنوف العرب جميعاً، فكان من الطبيعي أن تتجه أبصار العرب إلى الالمان الذين اعتبروهم أصدقاءهم، لأنهم أعداء أعدائهم من المستعمرين واليهود، كما ان المانيا لم تسبق منها إساءة إلى العرب، بل كانت سياستها من قبل مخالفة لسياسة الدول الغربية الاستعمارية، مما حمل الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وبعده على أن تمد يدها إلى المانيا، وتتحالف معها، كما حدث في الحرب العالمية الأولى.

وكان أهل العراق، كغيرهم من العرب، يتجهون إلى المانيا بأبصارهم وافئدتهم، ويعقدون عليها آمالاً كباراً، وينتظرون منها النجدة والفرج، حتى بلغت الحماسة لها في بعض البلاد العربية أن كان أهلها يهتفون في أهازيجهم بمثل هذه الكلمات: (الله حي، الله حي، الحاج محمد هتلر جاي).

وكنا في هذه الظروف نبحث أحوال الأمة العربية، مع الصفوة المخلصة من أحرار العرب في العراق، بالتعاون مع الحكومة الكيلانية، ونتدارس الأوضاع السياسية والعسكرية، ونحاول انتهاز فرصة الحرب للعمل لصالح الأمة العربية، وتحطيم أغلالها وتحقيق وحدتها من براثن المؤامرة اليهودية الاستعمارية، وانتهى البحث والتفكير، إلى محاولة الاتصال بالالمان للتعاون معهم على الوصول إلى هذه الأهداف الوطنية. وكان السيد عثمان كمال حداد من شبان العرب النابهين من أهل طرابلس ومن الذين عملوا معنا بإخلاص في سبيل قضية فلسطين والقضايا العربية، مقيماً معنا ببغداد في ذلك الحين، ونظراً لإجادته عدة لغات اوروبية فقد كلفناه بمهمة الاتصال بالالمان، وحمل بعض

وقد أصدرت السلطات الالمانية الأمر السري الآتي:

سري رقم ٤١/٤٤٧٧٢ (سري).

رئاسة الفوهرر

٢٣ مايو ١٩٤١.

الفوهرر والقائد الاعلى للقوات المسلحة.

أمر رقم ٣٠

١ ـ حركة التحرير العربية في الشرق الاوسط، هي حليفنا الطبيعي ضد إنكلترا، ومن ثم كانت الأهمية الخاصة المعلقة على تحرير العراق، إذ من شأن ذلك ان يشد، فيما وراء حدود العراق، من ازر القوات المعادية لإنكلترا في الشرق الاوسط، ويعطل مواصلات إنكلترا، ويحد من حرية السفن الإنكليزية، بكل ما ينطوي عليه ذلك من تهديد في النواحي الحربية الأخرى.

أما إذا كانت مواقع الإنكليز فيما بين البحر الابيض المتوسط والخليج الفارسي ـ فيما يتصل بشن حملة قناة السويس ـ ستتعرض لحل نهائي فيما بعد، وأما كيف يتم ذلك ـ فهذه مسألة لا تستوجب النظر إلا بعد «بارباروسا»(١).

٢ ـ وتلخيصاً للقرارات الفردية التي سبق ان أصدرتها آمر:

ـ بمساعدة العراق.

ـ إيفاد بعثة عسكرية إليها.

ـ القيام بحركات مساعدة عن طريق قوة الطيران.

ـ شحن الأسلحة.

٣ ـ تكون البعثة العسكرية ويكون اسمها السري المصطلح عليه: (ساندر ستاب ـ ف) تحت رئاسة قائد الطيران فيلمي ـ ويكون عملها:

آ ـ تقديم المشورة والمعونة للقوات العراقية المسلحة.

ب ـ ان تحاول بقدر الامكان ايجاد اتصالات عسكرية، مع القوات المعادية لإنكلترا، حتى ولو كانت فيما وراء حدود العراق.

ج ـ جمع التجارب والمعلومات، ووضع الأسس للقوات الالمانية المسلحة في

---

(١) ـ باربا روسا: عملية عسكرية المانية سرية.

تلك المنطقة، أما الترتيبات التي تقابل هذه الأعمال، فيقوم بتنظيمها رئيس أركان القيادة العليا للقوات المسلحة ولتنظيم تسلسل القيادات يتبع ما يأتي:

آ ـ جميع أعضاء القوات المسلحة، التي ترسل إلى العراق، تكون تحت أمرة رئيس البعثة العسكرية.

ب ـ يأتمر رئيس البعثة بأوامر رئيس أركان القيادة العليا للقوات المسلحة، أما الأوامر والخطط الخاصة بوحدات الطيران، فتصدر عن القائد العام لقوات الطيران وحده دون سواه.

ج ـ اتصالات رئيس البعثة العسكرية قاصرة على مصالح الخدمات العسكرية في العراق، أما المفاوضات التي تجري مع حكومة العراق في شأن من شؤون البعثة، فيتولاها ممثل وزارة الخارجية في العراق.

أما الأوامر العسكرية التي قد يترتب عليها أثر سياسي خارجي، فعلى رئيس البعثة العسكرية الحصول فيها على إذن سابق من ممثل وزارة الخارجية.

د ـ تكون لأعضاء البعثة العسكرية في البداية، صفة المتطوعين على نحو ما حدث مع فرقة (كوندور) ويلبسون زي المناطق الحارة ويضعون عليها شارة العراق، كذلك يحمل هذه الشارة أعضاء قوة الطيران الالمانية.

٤ ـ قوة الطيران:

تكون أعدادها محدودة، على أن تقوم ـ زيادة على مجرد خدمة الاغراض العسكرية ـ بالعمل على تقوية الروح المعنوية بين قوات العراق المسلحة وشعبه، ودعم روح المقاومة فيهم.

٥ ـ شحن الأسلحة:

يصدر رئيس أركان القيادة العليا للقوات المسلحة، الأوامر الضرورية في هذا الصدد (يكون الشحن من سوريا على أساس الاتفاقية التي عقدت مع الفرنسيين لهذا الغرض، وكذلك من المانيا).

٦ ـ توجيه الدعاية في الشرق الاوسط، هو من اختصاص وزارة الخارجية، وهي تتعاون في ذلك مع القيادة العليا للقوات المسلحة *WFST/WPR* وتكون

الفكرة الرئيسية التي تقوم عليها هذه الدعاية:

إن انتصار المحور من شأنه ان يؤدي إلى تحرير بلدان الشرق الاوسط من نير الإنكليز، وبالتالي، إلى حق هذه البلدان في تقرير مصيرها، لذلك كان واجب كل من يقدر الحرية ان ينضم إلى الجبهة المعادية لإنكلترا.

٧ ـ في حالة استخدام القوات الايطالية المسلحة في العراق، يكون التعاون معهم على أساس التعليمات المذكورة آنفاً، وستبذل محاولة لوضعهم تحت أمرة رئيس البعثة الالمانية العسكرية.

التوقيع: «ادولف هتلر»

قبل أن نطوي صفحة حوادث العراق الأليمة، لنفتح صفحة إيران وما صادفنا فيها من وقائع، أرى أن أسطر بعض العبر التي رافقت هذه الحوادث، أملاً ان يكون في ذكرها فائدة للأمة العربية عبرة لأولي الالباب، ولا سيما للذين يضطلعون بالشؤون العامة، ومن في يدهم الأمور في الأقطار العربية.

لقد وضح من الحوادث التي سردناها آنفاً عن معركة العراق، وما اعتزمته المانيا من مساعدة للعراق والعرب، أن فرصة ثمينة نادرة سنحت للأمة العربية حينئذٍ، وانها لو استطاعت انتهازها لجنت ثمراتها، ولخطت خطوات واسعة في سبيل استقلالها، ووحدتها، ولقضت قضاء مبرماً على الكيان الصهيوني في فلسطين، واحبطت المؤامرة الاستعمارية اليهودية.

ولا ريب عند كل من شهد تلك الحوادث عن كثب، إن من أهم العناصر التي فوتت تلك الفرصة الذهبية على الأمة العربية، بضعة أفراد من أبنائها استماتت بعضهم في مناصرة الاستعمار في سبيل منافعهم الخاصة ومناصبهم، وتخاذل بعضهم الآخر خوراً وجبناً، ونقطة الخطر في هذا أن بعض الناس ما يزالون يستخفون بالجرائم الوطنية التي يقترفها أولئك الافراد، ويهونون من شأنها، ظانين أنها حوادث فردية وليس لها أثر مذكور في حياة الأمة وكيانها ومستقبلها، وهذا خطأ عظيم، فقد برهنت حوادث العراق على أن أفراداً معدودين استطاعوا بمساعدة الأعداء الاجانب أن يوقعوا بامتهم أعظم النكبات وأن يستشري داؤهم، وتنتشر عدواهم انتشاراً تمنى معه حركة استقلالية تحررية مباركة كحركة العراق بالفشل والخذلان، وأن يؤثر هذا الفشل تأثيراً سيئاً جداً في النهضة العربية في سائر الأقطار، وأن يحرم الشعب العراقي ثمرة كفاحه المجيد، وقد كان أول شعب عربي ثار على الاستعمار بعد الحرب العالمية الأولى منذ عام ١٩١٩

وقاوم الظلم البريطاني في ثورته الرائعة التي كبدت الإنكليز خسائر فادحة، وسجلت صفحات خالدة في وقائع الرميثة، وأبو صخير، والحلة، والدغارة، وبعقوبة، وكركوك وغيرها التي أرغمت السلطات البريطانية على تبديل سياستها الاستعمارية وتشكيل حكومة وطنية في العراق.

لقد استطاع الاستعمار ان يقلب الوضع، بمساعدة أفراد معدودين من اتباعه الظاهرين والمستترين، الذين تظاهر بعضهم بالوطنية المتطرفة، وارتدوا لباساً مزيفاً من الحماسة المصطنعة، ليفتحوا له الثغرات، ويهيئوا له الوسائل والمبررات، ويحبطوا خطة الأمة التي وضعتها للخلاص من قيود الاستعباد والاستعمار.

ولقد عرفت شخصاً من هؤلاء استطاع أن يفسد عملية كانت ناجحة، ويحبط صفقة خطيرة عقدتها دولة عربية مع إحدى شركات بيع الأسلحة عام ١٩٥٣، عندما كانت أبواب الجبهة الشرقية لا تزال موصدة في وجوه الدول العربية، فقد استطاع وزير مفوض لاحدى الدول العربية ـ عرف بولائه للمستعمرين الذين بوأوه هذا المنصب ـ أن يخدع القائمين بامر الصفقة، وأن يحبط المشروع، واليكم تفصيل ذلك:

في يوم الاربعاء ١٤ يناير سنة ١٩٥٣ زارني في منزلي الضابط الالماني الشهير «اوتو سكورزيني»، الذي قام بعملية اختطاف موسوليني يوم ١٢ سبتمبر عام ١٩٤٣ بطائرة صغيرة، من الحصن القائم على قمة جبل «ساسو» بإيطاليا، وهو جبل شاهق صعب المرتقى، بمغامرة فذة تحدثت عنها الصحف والعالم طويلاً في ذلك الحين، وحدثني سكورزيني حديثاً طويلاً عن اعتقالاته ومتاعبه التي لقيها بعد احتلال الحلفاء لالمانيا، وكيف خلص من ايديهم وسافر إلى إحدى البلاد الاوروبية، وعمل فيها موظفاً في إحدى شركات إنتاج الأسلحة، وانه كان مكلفاً بالاشراف على اتمام الصفقات وشحن الأسلحة التي تبيعها تلك الشركة، وكانت إحدى الدول العربية قد تمكنت من عقد صفقة مع شركة سكورزيني المذكورة، لاستيراد كمية من مختلف الأسلحة كانت في أشد الحاجة إليها، وكان الوزير المفوض، لاحدى الدول العربية، بصفته العربية وما تظاهر به من شدة الغيرة على صالح الدول العربية والمقت الشديد للاستعمار، قد استطاع أن يخدع القائمين بامر الصفقة ويطلع على سرها ويبلغه فوراً إلى المراجع الأجنبية الاستعمارية، التي تدخلت وضغطت فأحبطت المشروع، وهكذا فشلت صفقة السلاح، وطار سكورزيني إلى عاصمة الدولة العربية المتعاقدة على الصفقة، ليبحث مع أولي الأمر فيها عن الأسباب المؤدية إلى كشف سر تلك الصفقة، التي كان سكورزيني وشركته يعتقدون انها في طي الكتمان، وزاد سكورزيني على

ذلك قوله انه بعد وصوله العاصمة بيومين ونزوله في أحد فنادقها، فوجئ بابن ذلك الوزير المفوض يصل إلى الفندق ويستأجر الغرفة المجاورة لغرفته.. ويتعقبه، مما جعله يوقن من حقيقة الدور الذي مثله ابوه في هذه القصة.

في إيران:

خرجنا من بغداد نحو منتصف ليل ٢٩ مايو سنة ١٩٤١، وفي النفس حسرات، وفقاً للقرار الذي اتخذ في هذا اليوم، بالانسحاب إلى المنطقة الجبلية في شمال العراق، للتحصين فيها ومواصلة القتال، ونقلت الحكومة العراقية خزانة ماليتها إلى تلك المنطقة بصحبة وزير المالية ورئيس أركان الجيش اللواء أمين زكي، واعدت الحكومة العراقية قطاراً خاصاً رافقنا فيه رئيس الوزارة السيد رشيد عالي وسائر الوزراء، وبعض الضباط والمرافقين، وعدد من رجال الجهاد والوطنية من فلسطينيين وعراقيين وسوريين.

ولما وصلنا صباح ٣٠ مايو إلى مدينة (خانقين) آخر الحدود العراقية، أردنا أن نتابع سفرنا إلى «الموصل» ولكننا أبلغنا هناك أن الجسور (الكباري) القائمة على طريق الموصل قد نسفتها الطائرات البريطانية، وأن لا مناص من دخول الحدود الإيرانية خوفاً من الوقوع في أسر القوات البريطانية، وأن في الامكان بعد ذلك العودة إلى شمالي العراق ثانية من طريق «راوندوز»، باعتبار إيران دولة جارة وصديقة، وأن للحكومة الالمانية فيها نفوذاً كبيراً حينئذٍ، ولم يلبث أن ظهر بعد ذلك أن نبأ نسف الجسور مغلوطاً ومن إشاعات الطابور الخامس، كما أن نبأ النفوذ الالماني في إيران كان مبالغاً فيه، ولذلك لم يعد في الامكان بعد دخولنا إيران تنفيذ الخطة، بالرغم من حسن استقبال السلطات الإيرانية للقادمين من العراق، وقد نقلتنا السلطات الإيرانية إلى بلدة «قصر شيرين» ومنها إلى «كرمانشاه» ثم إلى مدينة همذان (التي ينسب إليها بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات)، ومنها إلى «قزوين» فطهران، وكان يرافقنا عقيد في الجيش الإيراني أصبح فيما بعد جنرالاً هو الجنرال «عبد الله مسعود»، وكان وصولنا إلى طهران يوم ٣ يونيو فنزلنا بفندق «الفردوسي» بعض الوقت ثم استأجرت بيت «محمد عليّ مجد» في محلة «ولي آباد»، وكنا، كما اسلفت، نعتقد أن الحكومة الإيرانية موالية لألمانيا، وأن في إيران مئات من رجال البعثات الالمانية، فنية، وعسكرية واقتصادية، ولكننا بعد وصولنا إلى طهران شَعَرنا أن تبدلاً حدث في الوضع بسبب الخلاف الذي ظهرت بوادره بين المانيا وروسيا، ورأينا الحكومة الإيرانية تطالبنا بأدب واحترام، بأن نلتزم شروط اللاجئين السياسيين، وأن لا نقوم بأي نشاط سياسي.

لم يكن دخولي إيران للمرة الأولى، بل سبقت لي زيارتان إليها كانت أولاهما عام ١٩٢٤ عن طريق البصرة، إلى المحمرة، والناصرية، والاهواز التي تسمى الآن بـ (خوزستان). وكانت الزيارة الثانية عام ١٩٣٣، أثر زيارتي والمرحوم محمد عليّ علوبة باشا الهند موفدين من المؤتمر الإسلامي، فبعد ما قضينا في الهند خمسة أشهر عاد المرحوم علوبة (باشا) بحراً إلى مصر، وعدت بالسيارة من الهند إلى أفغانستان ثم إلى لوجستان فإيران، فالعراق، فشرق الأردن، ففلسطين في رحلة استغرقت أكثر من شهر قطعت فيها آلاف الكيلومترات، ودخلت إيران عن طريق زاهدان، فخراسان، فمدينة «مشهد الرضا» وهي المعروفة في التاريخ بمدينة «طوس» التي توفي فيها الخليفة هارون الرشيد ودفن فيها في ضريح انشأه ولده المأمون، وفي عهده توفي الأمام موسى الرضا من آل البيت، فدفنه المأمون بجوار ابيه الرشيد في نفس الضريح العظيم الذي يعرف اليوم «بمشهد الرضا» وحوله مسجد عظيم يعد من أعظم المساجد في العالم، وله قبة ومئذنتان مصفحتان بالذهب، وفيه دار للكتب لم أر لها نظيراً من حيث احتواؤها على مصاحف اثرية قديمة، وكتب تاريخية نفيسة جداً، ومما رأيته من النفائس النصف الأول لمصحف شريف بالخط الكوفي على رق غزال، وقد كتبه بخط يده (محمد بن الحسن بن الحسين بن الأمام عليّ رضي الله عنه). والنصف الآخر من هذا المصحف محفوظ في متحف المسجد الأقصى بالقدس (فلسطين) بنفس الشكل والخط، والكاتب هو نفسه.

وفي مشهد أيضاً زرت عدا هذين الضريحين، قبر الشاعر الفارسي الشهير «الفردوسي» صاحب «الشاهنامه»، وقد احتفلت الدولة الإيرانية بانقضاء ألف سنة على وفاته ثم غادرت مشهد إلى «نيسابور» حيث زرت قبر «عمر الخيام» الشاعر الإيراني المعروف، ومنها تابعت السفر إلى طهران، فوصلتها في نوفمبر سنة ١٩٣٣، وهنا حدثت لي حادثة طريفة، فقد كنت أحمل من صديقي السيد باقر الكاظمي سفير إيران في بغداد (التي زرتها في طريقي إلى الهند في إبريل عام ١٩٣٣) كتاب تعريف إلى وزير الخارجية بواسطة مدير ديوانه، وإذا به السيد باقر الكاظمي نفسه وقد أصبح وزيراً للخارجية، فكان الكتاب منه وإليه، وهذا من الصدف النادرة، وفي زيارتي هذه لإيران، تفاهمت مع السلطات الإيرانية التي أبدت عطفاً عظيماً على قضية فلسطين، وسهلت لي عقد اجتماعات كثيرة مع كبار المجتهدين والعلماء والزعماء الإيرانيين الذين احتضنوا قضية فلسطين، وكان من نتيجة ذلك ان تقدم وزير خارجية إيران، الكاظمي نفسه، بعرض القضية الفلسطينية على عصبة الأمم في صيف عام ١٩٣٣

للمرة الأولى، ثم قام بعرضها للمرة الثانية رئيس وزراء إيران ووزير خارجيتها فروغي عام ١٩٣٧، بامر من جلالة الشاهنشاه المرحوم رضا بهلوي، الذي أبدى هو وحكومته اهتماماً وعطفاً أكيداً على قضية فلسطين، كان موضع شكر الفلسطينيين وتقديرهم.

شاء الله أن تكون زيارتي الثالثة هذه لإيران، في ظروف تختلف اختلافاً كلياً عن ظروف الزيارتين الاولين، فقد نشبت الحرب بين المانيا وروسيا في ٢٣ يونيه ١٩٤١، أي بعد وصولنا إلى طهران باقل من ثلاثة أسابيع، فأسفنا كثيراً لهذا الحادث وتشاءمنا منه، وقد كنت مطلعاً على ما كان الإنكليز يبيتونه لإيران، فقد كان القائد العراقي العقيد المرحوم صلاح الدين الصباغ ذكر لي بعد وصولنا إلى طهران، انه أطلع على خطة عسكرية بيتها الحلفاء لاحتلال إيران، وذلك عندما دعي - كمندوب عن الجيش العراقي - لحضور اجتماع عسكري عقده الحلفاء عام ١٩٤٠ برئاسة الجنرال «فيجان» بصفته قائداً عاماً لجيوش الحلفاء في الشرق الاوسط حينئذ، فكان مما تقرر في هذا الاجتماع، وضع خطة عسكرية مفصلة لاحتلال إيران، واقترح عليّ العقيد صلاح الدين الصباغ أن أبلغ الحكومة الإيرانية خبر الخطة المذكورة، ورسم لي خريطة بتفاصيلها وطلب إليّ كتمان اسمه، فرأيت الواجب يقضي عليّ القيام بذلك نحو هذه الدولة الإسلامية، فقابلت وزير الخارجية الإيرانية السيد «العامري» وابلغته الخبر معززاً بالخريطة التي تبين الطرق التي ستسلكها القوات البريطانية من جنوب إيران وغربها، وأكدت له ان هذه المعلومات وصلتني من مصدر وثيق جداً فتقبل الوزير حديثي شاكراً، ولكنه قال لي إنه ليس بيننا وبين إنكلترا خصومة، ولذلك فانني لا أتوقع منها أي عدوان.

وعلى ذكر وزير الخارجية «آقاي عامري» الذي قابلته عدة مرات، أذكر أني سألته مرة عن نسبته هذه «عامري»، فقال اني انتسب إلى بني عامر قبيلة «قيس وليلى» الذي يعرض الآن فيلم سينمائي عنها في دور السينما بطهران (وهي نفس رواية مجنون ليلى التي نظمها المرحوم أحمد شوقي).

ولم تكد تنقضي بضعة أسابيع على حديثي السابق مع وزير خارجية إيران حتى وقع العدوان البريطاني على إيران وفق الخريطة العسكرية التي سلمتها إلى الوزير تماماً.

وعلى أثر إعلان المانيا الحرب على روسيا في ٢٢ يوينو، ونظراً لمعرفتنا السابقة بخطة بريطانيا لاحتلال إيران، فقد قررنا في اجتماع عقدناه في «بلبند» في (شمران) إحدى ضواحي طهران ومصيفها المشهور، ألا ندّخر وسعاً في مغادرة إيران إلى تركيا،

وراجعنا السفير التركي «سعاد بك» ليستأذن لنا حكومته، لتسمح لنا بالإقامة بتركيا، ومضى بعض الوقت حتى جاءت الموافقة من أنقره بالسماح للسيد رشيد عالي وبعض أفراد آخرين بالسفر إلى تركيا، وبالاعتذار من عدم السماح لي ولاسرتي بالاقامة بتركيا كلاجئ سياسي، وكان وزير الخارجية التركية حينئذٍ «سراج اوغلو».

وكان من الذين سمحت لهم تركيا بدخول بلادها والاقامة بها، كل من المرحومين الشهيدين ناجي باشا السويدي وزير مالية العراق حينئذٍ واحد زعمائه السياسيين، وأمين بك التميمي عضو المجلس الإسلامي الأعلى بفلسطين ومن أبرز رجالها الوطنيين، الذين صاحبوا قضية فلسطين منذ بدايتها إلى أن توفاه الله في منفاه بروديسيا «جنوب افريقية». وكان سماح تركيا لهما بسبب كونهما من كبار الموظفين في العهد العثماني السالف، ولكنهما تريثا في السفر إلى تركيا إلى أن فوجئت إيران بالاحتلال الإنكليزي الروسي.

ومن الغريب أن هذين السيدين الوطنيين الكبيرين، اللذين تخرّجا معاً من جامعة استانبول، وعملا معاً في الدوائر الادارية في السلطنة العثمانية، وكانا صديقين حميمين في حياتهما، قد لقيا المصير في أواخر أيام جهادهما الرائع في سبيل العروبة والحرية، فإن الإنكليز عندما دخلوا إيران، ألقوا القبض عليهما مع كثير من رفاقهما، ونفوهم إلى روديسيا «جنوبي افريقيا» حيث وافاهما الاجل المحتوم، وقضيا شهيدين كريمين في سبيل الأمة العربية وعزتها واستقلالها، وكان من الذين نفاهم الإنكليز إلى روديسيا وتوفوا فيها، المجاهد الشهيد المرحوم عارف الجاعوني، أحد افذاذ المجاهدين الفلسطينيين المخلصين المتفانين، تغمدهم الله جميعاً برحمته الواسعة وجزاهم أجر المجاهدين الصادقين، قال تعالى: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفوراً رحيما﴾.

وفي أواخر يوليه عام ١٩٤١ علمنا من السفير الالماني الهر «ايتل» أن الحكومتين البريطانية والروسية قدمتا انذاراً نهائياً إلى الحكومة الإيرانية، بطلب تسليم أربعمائة الماني كانوا يعملون في إيران كمهندسين في مصانعها، بحجة أنهم «جواسيس»، فاجابت حكومة الشاه رضا بهلوي بأنها لا تستغني عنهم، وأنهم رجال فنيون لا علاقة لهم بالسياسة، وأصرّ الحلفاء على انذارهم وأصرّت إيران على موقفها وظهرت بوادر الحرب.

وعلى أثر ذلك عقدنا اجتماعاً حضره الوزراء والقواد العسكريون ولفيف من أعيان

العراقيين والسوريين والفلسطينيين، تدارسنا فيه الوضع الحاضر، وقررنا على اثره ايفاد السيدين ناجي باشا السويدي وأمين بك التميمي لمقابلة وزير الخارجية الإيرانية، فبحثا معه موقفنا كلاجئين سياسيين فاجابهما الوزير مطمئناً: (إنكم لاجئون سياسيون وضيوف لدينا ولا تسمح القوانين الدولية ولا يسمح شرف إيران بتسليمكم إلى خصومكم فاطمئنوا).

في شهر اغسطس ١٩٤١، شرعت الطائرات قاذفات القنابل البريطانية تحلق في سماء طهران، وعقب ذلك اقتحام القوات البريطانية المناطق الجنوبية من الأراضي الإيرانية، من نفس الطرق التي ذكرها لي القائد صلاح الدين الصباغ وسلمت خريطتها إلى وزير خارجية إيران «اقاي عامري»، فاحدث ذلك ذعراً كبيراً في البلاد، وشرع بعض الناس في الجلاء عن طهران.

وكنا جميعاً في موقف شديد الحرج، لأن تركيا اعتذرت من عدم قبولها التجاءنا إليها، كما أن الالتجاء إلى المملكة العربية السعودية لم يعد ممكنا، لأن المناطق الجنوبية من إيران التي ينبغي اجتيازها للوصول إلى المملكة العربية السعودية، قد شرع الإنكليز في احتلالها، فرأينا أن نلجأ إلى أفغانستان، وذهبت إلى السفارة الأفغانية فقدمت كشفاً باسم عدد من الوزراء والقواد وغيرهم من المجاهدين وكبار الوطنيين بطلب الالتجاء إلى أفغانستان، فابرقت السفارة على الفور بهذا الطلب إلى «كابل» وقد تفضلت الحكومة الأفغانية بإجابة طلبنا وقبول التجائنا جميعاً إلى بلادها، وكنت واثقا من جواب أفغانستان ثقتي بشهامة الشعب الأفغاني الشجاع، واستعداده الدائم للفداء في سبيل مثله العليا، وأضرب على ذلك مثلاً واحداً من امثال كثيرة:

فقد قام المجاهد الأفغاني الكبير «فقير آيبي» الذي كثيراً ما تحدثت عنه البرقيات والصحف، في تلك الأيام، بغارات على حدود الهند مما يلي أفغانستان، بالقرب من «مضيق خيبر»، وقد أزعجت غاراته في تلك الجبال الشاهقة الإنكليز كثيراً، فلم يجدوا محيصاً عن مفاوضته لاسترضائه، فكانت شروطه للصلح معهم ما يأتي:

١ ـ أن يعدلوا سياستهم بشأن فلسطين التي تعرض المسجد الأقصى والأماكن المقدسة الإسلامية للخطر، ويرفعوا الظلم النازل بإخوانه أهل فلسطين.

٢ ـ أن يعاد إلى مسلمي البنجاب المسجد الذي استولت عليه طائفة «السيخ» الهندية في مقاطعة البنجاب.

٣ ـ وكان الطلب الثالث خاصاً بمصلحة محلية في منطقة الحدود.

وعلى ذكر هذا المجاهد الأفغاني «فقير ايبي» أذكر انه كتب إليّ من أفغانستان رسالة وصلتني في برلين أبدى فيها استعداده هو وعشيرته للجهاد في سبيل فلسطين.

والمجاهد «فقير آيبي» هو أحد زعماء جمعية المجاهدين التي تألفت في منطقة بختونستان وهي المنطقة الجبلية التي تقع بين الهند وافغانستان، وقد كانت قبل إنشاء دولة باكستان منطقة حيادية مستقلة، تسكنها قبائل كبيرة معروفة بشدة البأس (مسعودي، ومهمند، ووزيري وغيرها)، ويقدر عدد افرادها بنحو ستة ملايين، وقد قابلت في زيارتي الأولى لافغانستان عام ١٩٣٣ الأمين العام لجمعية المجاهدين التي تألفت من زعماء هذه القبائل، حينما أعلنت الخلافة العثمانية الجهاد، على أثر نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤، وقد التحق بها عدد من علماء الهند ومجاهديها، حالما علموا بإعلان الجهاد، وكان لجهود هذه الجمعية أثر كبير، في ازعاج الحكومة البريطانية في الهند، وقد اطلعني أمينها العام على اعداد مجلة كانوا يصدرونها باسم (الجهاد) وقد كتب تحت اسم (الجهاد) إحدى آيات القرآن الكريم التي تحث على الجهاد وشعار:

ونحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حيينا أبدا

وهذا البيت كان يردده صحابة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم... وقد اطلعني أمين هذه الجمعية على نسخة من جريدة التايمز وفيها تصريح للمستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية حينئذٍ ألقاه في مجلس العموم البريطاني رداً على اللوم الذي وجهه إلى حكومته بعض النواب بسبب سقوط «كوت العمارة» واسر الجيش البريطاني، بقيادة الجنرال تاوزند، الذي حاصره فيها الجيش العثماني بقيادة القائد الشهير نور الدين، وقد جاء في رد الرئيس البريطاني قوله: إن حكومة الهند لم تستطع إنجاد القوات البريطانية المحصورة في كوت العمارة بسبب الحالة الخطيرة من الهياج الذي سيطر على مسلمي الهند وعلى قبائل الحدود الشمالية الغربية.

(وسيرد تفصيل ذلك في مكان آخر من هذه المذكرات، عن هذه المنطقة وقبائلها والدور الذي لعبته في كل من الحرب العالمية الأولى، والثانية، ومقدار حماسة هذه القبائل لقضية فلسطين ورغبتهم الشديدة للجهاد في سبيلها).

ومع أنني كنت أرى أفغانستان بعيدة عن ميدان حركتنا ونشاطنا، وأنه لا يتوفر لنا العمل فيها من أجل قضيتنا في ذلك الظرف، لكنني كنت احاول العمل لنجاة رفاقنا، وقد أرتبت بنشاط موظف في السفارة الأفغانية، وعرفت فيما بعد انه هندي الاصل،

ويعمل سراً في المخابرات البريطانية، ومن المحقق أنه أطلع المخابرات على خطتنا ورغبتنا في السفر إلى أفغانستان، وقد كان لاطلاع الإنكليز على هذه الخطة فائدة كبرى، لأنهم ركزوا جهودهم في البحث عني في الحدود الشرقية والشمالية الموصلة إلى أفغانستان، وبثوا فيها العيون والأرصاد، فكان ذلك مما ساعد على تضليلهم ونجاتي من قبضة يدهم.

وكنت على صلة حسنة بالسيد «فيض محمد خان» من أعلام أفغانستان، منذ كان وزيراً للخارجية، عندما زرت أفغانستان للمرة الأولى عام ١٩٣٣، وكان قد مر ببغداد قبيل حوادث العراق الاخيرة وزارني في بيتي ببغداد ورأى فيه عدداً من الحراس الأفغانيين الاشداء الذين رافقوني من فلسطين إلى لبنان فالعراق، فسر بهم كثيراً، وفي زيارته هذه أبدى لي عتب الحكومة الأفغانية على مصر والعراق لتأخرهما في مبادلتها التمثيل الديبلوماسي، فقد كانت أفغانستان أرسلت وزيرها المفوض إلى القاهرة منذ عهد بعيد، لكن مصر حينئذٍ لم تقابلها بالمثل بحجة أن ليس لها مصالح تجارية في الأفغان، وكذلك كان موقف العراق، كأن العلاقات بين الدول الإسلامية لا تكون إلا مادية!.

فحدثت بذلك رئيس الوزارة العراقية السيد رشيد عالي، فوافق على تلبية رغبة الأفغان، وكتبت أيضاً إلى رئيس وزراء مصر، حينئذٍ المرحوم حسن صبري باشا، فلم ألبث حتى تلقيت جوابه بالموافقة، وهكذا تم تبادل التمثيل الديبلوماسي، وكان لذلك أثر حسن لدى حكومة الأفغان التي لم تتردد في الاستجابة لطلبنا أن نلتجئ إليها في تلك الظروف الحرجة، كما هو ديدنها في جميع مواقف الشهامة والبطولة والكرامة.

لكن سرعة الزحف على طهران لم تمكن احداً من الخروج منها، وكنت قد أعددت لي ولسائر إخواننا مخابئ عديدة حذراً من مباغتة الأعداء لنا.

وفي أواخر اغسطس شعرنا بالمراقبة الإنكليزية تشتد علينا، وكان للإنكليز في إيران في ذلك الحين نفوذ كبير وتغلغل خطير في الدوائر الحساسة، وكانت السفارة البريطانية تحتل منطقة واسعة جداً في العاصمة ذات حدائق فسيحة واسوار منيعة، وكان نفوذها في دوائر الأمن العام الإيراني كبيراً.

وكنت قد تلقيت تحذيراً من السيد توفيق السويدي رئيس الوزارة العراقية الأسبق وكان حينئذٍ في إيران، بأن الإنكليز مصممون على اعتقالي وناقمون أشد النقمة عليَّ، فأضفت هذا التحذير إلى معلوماتي السابقة عن هذا الأمر.

ويوم ٢٨ اغسطس، علمنا أن أسرة الشاهنشاه رضا بهلوي غادرت طهران عصر ذلك اليوم، ثم لم نلبث أن علمنا بخروج الشاهنشاه نفسه في الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم من العاصمة إلى «أصفهان» فكان ذلك نذيراً بدنو الخطر.

وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، جاء من أبلغني أن قوات الاحتلال الروسية قد وصلت «كرج» على بعد بضعة عشر كيلومتراً من طهران وأنهم سيصبحون فيها، وأن الإنكليز قادمون إليها مسرعين، وعندئذٍ أرسلت السيد حداد ليوقظ الشريف شرف ورئيس أركان الجيش العراقي اللواء أمين زكي باشا، ودعاهما إلى الخروج معنا فوراً إلى المكان الذي أعددناه لاختفائنا، ثم أرسلت رسولاً خاصاً ليبلغ القواد والأشخاص الآخرين الذين يخشى عليهم من بطش الإنكليز وانتقامهم، ان يسارعوا إلى مخابئهم السرية.

وقد أبطأ السيد كمال حداد في العودة إليّ فقلقت لابطائه، ولما عاد أخبرني ان الوصي ورئيس الأركان تأخرا في الخروج ريثما أتما وضع أمتعتهما في السيارة، وأن رجال الشرطة قد طوقت المكان وحالت دون خروج أحد منه، ولكنه استطاع ان يتسلل ويصل إليّ، وعندئذٍ أسرعنا بالخروج سراً من باب الحديقة الخلفي بسيارته إلى دار السفارة اليابانية، ومكثنا فيها بقية تلك الليلة واليوم التالي نترقب الحوادث..

وفي اليوم التالي تم احتلال العاصمة الإيرانية ودخلها الروس من الشمال والإنكليز من الجنوب، وتعذر علينا الخروج منها، ولم يكن مناص من التربص والاختفاء إلى أن يصبح الخروج من إيران ممكناً، واستمر القلق والاضطراب في العاصمة بضعة أيام.

ثم حدثت مفاوضات بين الإنكليز والسلطات الإيرانية، وعمل الإنكليز على التفاهم مع الشاه، وزينوا له العودة إلى العاصمة، فعاد، ولما أخذت الحياة العادية ترجع إلى حالتها الطبيعية، أصدرت الحكومة الإيرانية بياناً دعت فيه جميع الشخصيات العربية المقيمة بإيران، إلى الاطمئنان والظهور. ومن المؤسف أن معظم إخواننا استجابوا لهذه الدعوة، فخرجوا من مخابئهم وعادوا إلى بيوتهم، فلما ظهروا قابلهم رئيس الوزارة ووزير الخارجية، وسألاهم عني، وأكدا لهم ان ليس عليّ ولا عليهم أي ضرر أو خطر، وطلبا إليهم إبلاغي ذلك، ولما بلغني ذلك لم أقبل الظهور، وعاودت تحذيري لهم ألا يطمئنوا إلى هذه التأكيدات التي توعز بها السلطات المحتلة، وأن يعودوا للاختفاء، ولكنهم مع الأسف لم يأبهوا لنصحي وتحذيري إلا بعد أن أصبحوا في قبضة القوات العسكرية البريطانية.

ولما دخل المارشال «ويفل» القائد العام للقوات البريطانية طهران، أذاع بياناً (بأن السلطات البريطانية تدفع مكافأة قدرها خمسة وعشرون ألف جنيه استرليني لمن يقبض، أو يقدم معلومات تؤدي إلى القبض على المفتي حياً أو ميتاً). ولم يكن يعلم بمكاني إلا عدد محدود جداً، كان أحدهم الوطني المجاهد السوري خالد رمضان، الذي كان يقود سيارتي ويقيم معي في المخبأ، وقد صحبني من العراق إلى إيران، ثم تبعني إلى المانيا في أشد الاوقات حرجاً، وكان هذا الشاب يخرج من المخبأ لبعض الضرورات فيرى إعلان «ويفل» المغري، دون أن تختلج في نفسه أية خلجة بغير شعور الإخلاص والوفاء مع أنه كان يتقاضى مرتباً متواضعاً.

وبقينا في ذلك المخبأ أياماً، كان الإنكليز خلالها قد قلبوا للشاهنشاه رضا بهلوي ظهر المجن، أصروا على خلعه عن العرش ونفيه إلى جزر موريشس، وكنت خلال هذه المدة قد فرضت على نفسي رياضة صحية وطعاماً قليلاً، حتى خف وزني وتبدل شكلي بعض الشيء، فلما بدلت زيي استطعت أن أخفي ملامحي.

وكان مدير الشرطة العام في طهران «آقاي مقدادي» يلحّ عليَّ، وكان يلحّ على الحكومة الإيرانية باعتقالي، وقد طلب المارشال ويفل الشاه شخصياً، أن يبذل الجهد في تسليمي إلى السلطة العسكرية البريطانية، كما علمت بذلك من يوسف ذو الفقار باشا سفير مصر في طهران سابقاً، الذي غمرني بكرم أخلاقه وشهامته.

وكان يبعث برسائلي إلى إخواننا المجاهدين الفلسطينيين في ا لقاهرة في الحقيبة الدبلوماسية، وقد طلبت حينما تأزم الوضع وأشتد الخطر، مقابلته في بيته أو في أي مكان يختاره، فلم يكن منه إلا أن سارع إلى مقابلتي في البيت الذي كنت أقيم به في محلة. (ولي آباد) وقد ترك سيارته في مكان بعيد، ومشى نحو كيلومترين على قدميه، رحمه الله رحمة واسعة.

ولم ألق من أمثاله في الشهامة وكرم الأخلاق في تلك الآونة العصيبة إلا السيد فيض محمد خان (وزير خارجية الأفغان الأسبق) وكان سفيراً لدولته حينئذٍ في أنقرة، فكان يأتي إلى طهران بين وقت وآخر ويزورني، ويلح عليَّ بأن أكلفه بما قد أحتاج إليه، وكان يتفضل بحمل رسائلي وايصالها إلى أصحابها، قائلاً بالفرنسية ما معناه إني حامل رسائلك: «Je suis votre courrier»

وكان مدير الشرطة العام في طهران «آقاي مقدادي»، يلح على إخواننا، ليدلوه على مكان اختفائي، ويعرض جائزة الخمسة والعشرين ألف جنيه عليهم، وقد قال المقدادي

لأحدهم: ألا تُعلمني أين المفتي؟ فقد تكبدنا بضعة ملايين «تومان» في سبيل البحث عنه دون جدوى.

وذات يوم شعرنا بدورية مختلطة من البوليس الحربي الإنكليزي والروسي والإيراني ترابط بباب المخبأ، وقد شرعت تطوق المكان الذي كنا فيه، فسارعنا بالخروج في اللحظة الاخيرة، ونجونا من الطوق بعد جهد، ولجأنا إلى مكان آخر كنا أعددناه من قبل احتياطاً، ولبثنا فيه خمسة أيام هيأنا خلالها وسائل السفر والخروج من إيران، وفي الساعة التاسعة من مساء ٢٣ ايلول (سبتمبر) خرجت من طهران في سيارة إيرانية مع عدد من المسافرين، لم يكن أحد منهم يعرفني، وسلكت السيارة طريقها إلى الحدود التركية مارة بكرج فقزوين فزنجان، فتبريز في اذربيجان، وكان الروس يحتلون تلك المنطقة ويفتشون المسافرين تفتيشاً دقيقاً، وقد كنت عرضة لتفتيش صارم في قزوين إذ اعترضت طريق سيارتنا دورية عسكرية وقادتها إلى مقر القيادة العسكرية الروسية، ومكثت هناك عشرين ساعة، ثم استأنفنا السفر إلى زنجان حيث بقيت ليلة كاملة، ولما دخلنا تبريز حجزنا مع قوافل أخرى خمسة أيام في معسكر روسي للتفتيش، ثم سمح لنا الروس باستئناف السفر.

وقد حدث لنا حادث طريف في الطريق بين زنجان وتبريز، فقد رأينا جاسوساً يهودياً عرفناه في طهران يعمل في المخابرات البريطانية، وكان ينظر الينا في ريبة ويراقبنا رغم تخفينا، وكان سائق سيارتنا أرمنياً إيرانياً شديد الذكاء ويتكلم اللغة الروسية، وقد ظهر لنا خلال الرحلة شدة كره ضباط الروس للإنكليز، ولا سيما لرجال مخابراتهم، وغضبهم عليهم لتدخلهم في شؤون المنطقة التي كان الروس يحتلونها، فطلبنا من السائق الأرمني أن يبلغ الضابط الروسي حقيقة أمر هذا الجاسوس، فسرعان ما اعتقله، وأرسله إلى مركز قيادة المخابرات الروسية، للتحقيق في امره، وبذلك نجونا من شر ذلك الجاسوس، الذي كان يتربص بنا الدوائر، ويتبعنا منذ أيام، ويوشك أن يوقع بنا.

وقبل أن نبلغ الحدود الإيرانية ـ التركية قاربنا سفوح جبال أرارات الشهيرة المكسوة بالثلوج والتي ترتفع عن سطح البحر أكثر من خمسة آلاف متر.

وكان أشد حرج لقيناه في هذه السفرة، على الحدود الإيرانية ـ التركية، فقد أخذ الروس ـ باشراف ضابط مخابراتهم ـ يتفرسون في وجوه المسافرين إلى تركيا، ويدققون في فحص جوازاتهم، ولا أزال أتذكر نظرات الارتياب التي كان ضابط المخابرات الروسية ينظر بها إليّ، والاسئلة الكثيرة التي كان يوجهها إليّ وهو يفحص أوراقي، وقد

اشتبهوا بعدد من المسافرين، فكنت في عدادهم، ثم حصرت الشبهة في سبعة أشخاص، فكنت منهم أيضاً، فانزلنا الروس لاستكمال التحقيق من السيارات، التي تابعت سفرها إلى الأراضي التركية، وفيها حقيبة ملابسي ونقودي، ولم يبق معي إلا خمسة وعشرون «تومانا» أو ما يساوي جنيهاً وربع جنيه، واشد ما آلمني ان افتقدت «البالطو» الذي حملوه معهم في السيارة، وقد شعرت بالبرد القارس في تلك المناطق الجبلية التي تكسوها الثلوج، ولكن الله أنقذني من الموقف، بواسطة دبلوماسي ياباني سخره لي، واستغرق سفري في الأراضي الإيرانية بضعة عشر يوماً، كانت كلها في مناطق الاحتلال الروسي، وبدلت خلالها عدة سيارات مع ركاب مختلفين.

ولما سمح لي بالسفر واتجهت إلى الحدود التركية، سمح لي بعد الاجراءات المعتادة بالمرور من الأراضي التركية، فكانت المنطقة الأولى التي اجتزناها أراضي ولاية «ارضروم» بالقرب من جبال «ارارات» آنفة الذكر، ولما وطئت قدماي الأراضي التركية، ورأيت الجيوش مرابطة على الحدود، جاشت في نفسي ذكريات عديدة عن هذه البلاد التي أقمت بها سنين طويلة، بصفتي ضابط في الجيش العثماني، أيام الحرب العالمية الأولى، وها أنذ أعود إليها بعد أربع وعشرين سنة.

لم اكشف عن نفسي للسلطات التركية، وتجاهلت معرفتي باللغة التركية، وفي تركيا اختلفت وسائل السفر، فكانت السيارات حيناً، والخيل والدواب أحياناً، إلى أن وصلنا ولاية «سيواس» فركبنا القطار إلى أنقرة حيث بقيت عدة ساعات تجولت خلالها في شوارعها، ثم توجهت إلى استانبول فاقمت بها أربعة أيام، ثم إلى «ادرنه» ومنها إلى الحدود البلغارية، وقد استغرقت رحلتي منذ خروجي من طهران إلى أن وصلت بلغاريا اثنين وعشرين يوماً.

ومن طريف ما حدث أنني عندما كنت في استانبول استجم من عناء السفر سمعت في الإذاعة تصريحاً للمستر أيدن وزير الخارجية البريطانية حينذاك، رداً على أسئلة بعض النواب في مجلس العموم بشأني بقوله فيه: إن المفتي، الذي هو العدو الأول للامبراطورية البريطانية، قد أصبح في قبضة يدنا، وأن المكان الذي يختفي فيه في طهران مطوق بقواتنا الآن).

ومع أني كنت عندئذٍ في استانبول، وعلى مسافة شاسعة من المكان الذي عناه أيدن في إيران، والذي كانوا قد احاطوه بالجنود، لظنهم اني لا ازال فيه، فقد رأيت من الاحوط أن أغادر استانبول فوراً إلى بلغاريا، رغم حاجتي الشديدة إلى الراحة، محاذرة

من ضغط الإنكليز على الحكومة التركية في تلك الظروف القاسية من سني الحرب.

وقد سبب لي اجتياز الحدود التركية إلى بلغاريا بعض القلق، للدقة التي كانت تفحص بها اوراق المسافرين، ولما وصلت الأراضي البلغارية شعرت بالطمأنينة لنجاتي من براثن الإنكليز وأصدقائهم، ولما دخلت إحدى غرف النوم في القطار المسافر إلى صوفيا، حمدت الله كثيراً وتوجهت إليه بالصلاة والدعاء، على ما هيأ إليّ من أسباب النجاة.

ولما أَصبتُ بعض الراحة شعرت بحزن شديد وألم عميق، فقد فكرت في الحالة التي كنت فيها، وإنني كنت خائفاً أترقب، منذ كنت محاصراً في بيتي بالقدس، وانني لم أشعر بشيء من الطمأنينة الا عندما خرجت من الأقطار التي يسمونها «دار الإسلام»؟ حزنت وحز في نفسي أن يستطيع طغيان الاستعمار تغيير الاوضاع وتبديل الأحوال، وأن يجعل منّا غرباء في بلادنا، مشردين في اوطاننا، وقد ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وذرفت عيناي دمعتين حزناً على «دار الإسلام» أن تصبح مناطق نفوذ للاستعمار والمستعمرين واخذت اردد في نفسي «اين هي دار الإسلام»؟

لابدّ لي قبل سرد بقية الرحلة من ذكر ما أصاب إخواننا الذين غادرناهم في إيران، فإن سلطة الاحتلال البريطانية اعتقلتهم جميعاً.

وبعد نحو شهر نقلتهم إلى الجنوب، حيث ألقتهم في غياهب «سجن الاهواز» فلاقوا فيه كثيراً من العنت والعذاب، ولكنهم لم يهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا، بل صبروا صبر الكرام، ثم نقلوهم إلى روديسيا في جنوب افريقيا، وكان الوصي ومعظم الوزراء العراقيين كناجي باشا السويدي والسادة موسى الشابندر ورؤوف البحراني ومحمد عليّ محمود وأخوه عبد الجبار ومحمد يونس السبعاوي واللواء أمين زكي باشا، والعقداء محمود سلمان، وفهمي سعيد، وكامل شبيب، والسيد صديق شنشل والمحامي داوود السعدي وغيرهم، ومن الفلسطينيين السادة أمين التميمي، وجمال الحسيني والدكتور داوود الحسيني، وعارف الجاعوني، ومحمد شعيب البرناوي، ومن السوريين عثمان كمال حداد، والدكتور أمين رويحه وغيرهم.

وبعد مدة استقدمت السلطات العراقية، بإيعاز من الإنكليز، العقداء الثلاثة والوزير محمد يونس السبعاوي من روديسيا، ثم العقيد صلاح الدين الصباغ من حيث كان لاجئاً، وأعدمتهم جميعاً ظلماً وعدواناً.

«بخارست»، وقبل هذا التاريخ بثماني عشرة سنة أي في عام ١٨٩٨، عندما زار القدس قيصر المانيا ويلهلم الثاني، كان ماكنزن مرافقاً للقيصر في هذه الزيارة.

ثم استأنفت السير إلى هنغاريا ومكثت بعض الوقت في عاصمتها «بودابست» وهي مؤلفة من مدينتين أو من حيين هما «بودا» و «بست»، ويقطن هذه المدينة عدد وافر من اليهود ولهم فيها نفوذ عظيم حتى أن بعض الناس يطلقون عليها «يودابست» أي مدينة اليهود....

وبودابست هذه، هي مسقط رأس الزعيم اليهودي الدكتور «ستيفن وايز» الذي كان يتولى رئاسة المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، هذا في الظاهر أما في الباطن فقد كان يتولى مركزاً خطيراً جداً وهو مركز «الرئيس الاعلى للمنظمة اليهودية العالمية السرية» وهي جمعية «حكماء صهيون» التي يدعى رئيسها «الجالس على عرش داوود» وهي أعلى وأخطر منظمة يهودية في العالم، وإليها يرجع اليهود في جميع شؤونهم الرئيسية، ولها السيطرة والتوجيه ورسم الخطط الأساسية في شؤون اليهود السياسية والروحية والاجتماعية. وليس من السهل معرفة هذه المنظمة وأسماء رئيسها وأعضائها إلا نادراً كما حدث عندما اكتشف بعض كبار الباحثين في الشؤون اليهودية سر «بروتوكولات حكماء صهيون»، ونشروها واحدث نشرها ضجة كبيرة في العالم.

وقد هاجر الدكتور الحاخام وايز، من بودابست، في شبابه إلى امريكا وعاش فيها بقية حياته إلى أن مات أخيراً في نيويورك التي هي أكبر مركز يهودي إذ تقطن فيها جالية يهودية يزيد عدد أفرادها على ثلاثة ملايين فهي أكبر جالية يهودية في العالم. وهذا من أهم الأسباب التي جعلت نيويورك مقراً «للأمم المتحدة».

ولم يكن اتخاذ نيويورك مقراً للأمم المتحدة إلا بجهود الصهيونية العالمية ذات التأثير الكبير على دولة الولايات المتحدة الأمريكية، وبهذا أفاد الصهيونيون فوائد كثيرة لما للبيئة اليهودية وجوها الصهيوني من أثر ضاغط على أعضاء الأمم المتحدة ووفودها الدائمة المقيمة لدى الأمم المتحدة في نيويورك. وحبذا لو تضافرت جهود الدول المدركة لذلك من أعضاء الأمم المتحدة على السعي لنقل مقر هذه المنظمة العالمية الكبرى، إلى بلد آخر في دولة محايدة كسويسرا أو النمسا.

وبعد زيارة قصيرة لبودابست تابعت السفر بالقطار إلى إيطاليا، وكان قصدي من هذه الزيارة الاتصال برجال دولتي المحور لاستئناف المباحثات التي بدأناها في العراق

مما أسترعى نظري واستغربته كثيراً عند بدء العدوان البريطاني على إيران، اختفاء بعض المواد الحيوية من الاسواق، وفي مقدمتها البنزين، مع ان إيران كانت تنتج حينئذٍ ستة عشر مليون طن من البترول سنوياً، ولكن الشركات الأجنبية تتحكم في الأقطار التي تمنى بسيطرتها كما تشاء مصحلتها ومصلحة الاستعمار.

لقد كان ايراد شركة البترول البريطانية - الإيرانية في عام /١٩٤١ - ١٩٤٢/ (٦٢) مليون جنيه استرليني، لكن حصة الحكومة الإيرانية من هذا المبلغ، كانت مليوناً ونصف مليون فقط، وكان عليها ان تحرس انابيب البترول، وتنفق على اصلاح العطب الذي يصيبها، من حصتها الضئيلة.

وهذا مثل لسيطرة الشركات الاستعمارية وتحكمها الظالم، فهي لا تكتفي بأرباحها الهائلة وسيطرتها الغاشمة، بل تزيد عليها، قيامها بأعمال المخابرات والتجسس على أوسع نطاق، فقد كان لشركة البترول البريطانية في إيران فرع للمخابرات في كل محطة من محطاتها، لا يقل خطراً وأهميةً عن القنصليات والمعاهد الأجنبية، التي كانت مبثوثة في كل نواحي البلاد الإيرانية.

وشأن الشركات الأجنبية في إيران شأنها في غيرها من الأقطار العربية والشرقية، فإن موظفاً من رجال المخابرات البريطانية يدعى الكابتن «وطسون» كان يعمل في منطقتي غزة وبئر السبع خلال الحرب الاخيرة، فلما جلا الإنكليز عن فلسطين عام ١٩٤٨، انتقل وطسون مفتشاً في إحدى شركات البترول في الإسماعيلية، وظل يقوم بعمله السابق ويتصل بجواسيسه ورجاله أنفسهم ويتجول في سيناء وقطاع غزة بحجة التفتيش على أعمال تلك الشركة الأجنبية.

في أوروبا - إيطاليا وألمانيا:

انطلق القطار يطوي بنا الارض طياً في بلاد البلغار، ثم في سائر البلقان، وقد أسترعى نظري في الشعب البلغاري الطابع الشرقي الذي لا يزال واضحاً على هذا الشعب في العادات والتقاليد، والملابس، والطعام، فقد دخلت مطعماً في بلغاريا فحسبتني في مطعم الحاتي بالقاهرة، فهناك الكباب ولبن الزبادي وكثير من ألوان الطعام المألوفة، ثم دخلت رومانيا وقضيت يوماً وليلة في عاصمتها «بخارست». وهنا تذكرت بطولة الفرقتين ٢٣ و ٢٥ من الجيش العثماني وقد كان معظم جنودهما من الفلسطينيين بقيادة المارشال الالماني الشهير «فون ماكنزن» الذي تولى قيادة الجيوش الالمانية والنمساوية والعثمانية في البلقان في الحرب العالمية الأولى واستولى على

وقد توفي في روديسيا كل من السادة ناجي السويدي، وامين التميمي، وعارف الجاعوني، فقضوا شهداء غرباء تغمدهم الله جميعاً برحمته ورضوانه.

ولم يكن لهؤلاء الشهداء الأبرار والمعتقلين من ذنب إلا الإخلاص لأمتهم، ومقاومة الظلم والاستعمار.

وكان ممن أصابهم العنت والإرهاق الشديد اسرتي التي كانت تصحبني أو تلحق بي في اسفاري إلى لبنان والعراق وإيران، فقد لقيت كثيراً من الأذى وسوء المعاملة، حيث اضطررت إلى تركها في إيران ثم في العراق بعد عودتها من سجن الاهواز، أذكر ذلك كشاهد على فظاعة هؤلاء المستعمرين الأشرار الذين تجردوا من كل عاطفة انسانية.

لقد حوصر بيتي في طهران، ومُنع أهلي من الخروج منه نحو شهر، ثم نُقلت أسرتي تحت الحراسة العسكرية إلى جنوب إيران حيث زجوا بها في سجن الأهواز المعروف بأنه من أقذر السجون، والمخصص للمجرمين العاديين، وكان عدد أفرادها عشرة ما بين سيدات واطفال، فحشروهم جميعاً في غرفة واحدة مقفلة، محرومة من كل الوسائل الصحية، وكانت بينهم طفلة لم تتجاوز الثالثة من عمرها وقد ادهشها السجن المغلق فتسأل أمها: أماه لماذا هذه الدار ليست لها أبواب؟، وكان بجوار الغرفة عدد كبير من السجينات والسجناء المجرمين، وبعد ما لبثت الأسرة في هذا الجحيم والعذاب الأليم ٥٢ يوماً، صدر الأمر بنقلها إلى البصرة في عربة لوري، وفي طريق غير معبد، مدة سبع ساعات، حتى وصلت البصرة وقد أصيب أفرادها جميعاً بكثير من الجروح والرضوض، وفي البصرة حجزت في إحدى مخافر الشرطة طول اليوم، ثم نقلت بالقطار إلى بغداد مسافة تزيد على ٦٠٠ كيلومتر، وكان القطار قذراً جداً لشدة الزحام، وقد رفضت السلطات البريطانية أن تسمح حتى للأطفال والمرضى من اسرتي بالركوب على حسابها في الدرجة الأولى أو الثانية، فوصلت إلى بغداد في أشد حالات المرض والاعياء، وهناك حاولوا حجزها في مركز البوليس للمبيت فيه، لترحيلها في الصباح، من بغداد إلى القدس مسافة ألف كيلومتر عبر الصحراء فرفضت النزول في مركز البوليس وتمردت، وتجمع الناس من أهل بغداد، وحدث شغب وتذمر خشيت السلطة عاقبته، فسمحت لها بالذهاب إلى بيتنا في شارع الزهاوي حيث استدعي الطبيب فوراً لمعالجتها من المرض والاعياء الشديد، وقرر الطبيب أن السفر في هذه الحال يعرض حياة أفرادها للخطر والهلاك، فمكثت بضعة أيام في بغداد، تحت حراسة البوليس، ثم نقلتها السلطة إلى القدس.

مما أسترعى نظري واستغربته كثيراً عند بدء العدوان البريطاني على إيران، اختفاء بعض المواد الحيوية من الاسواق، وفي مقدمتها البنزين، مع ان إيران كانت تنتج حينئذٍ ستة عشر مليون طن من البترول سنوياً، ولكن الشركات الأجنبية تتحكم في الأقطار التي تمنى بسيطرتها كما تشاء مصحلتها ومصلحة الاستعمار.

لقد كان ايراد شركة البترول البريطانية - الإيرانية في عام /١٩٤١ - ١٩٤٢/ (٦٢) مليون جنيه استرليني، لكن حصة الحكومة الإيرانية من هذا المبلغ، كانت مليوناً ونصف مليون فقط، وكان عليها ان تحرس انابيب البترول، وتنفق على اصلاح العطب الذي يصيبها، من حصتها الضئيلة.

وهذا مثل لسيطرة الشركات الاستعمارية وتحكمها الظالم، فهي لا تكتفي بأرباحها الهائلة وسيطرتها الغاشمة، بل تزيد عليها، قيامها بأعمال المخابرات والتجسس على أوسع نطاق، فقد كان لشركة البترول البريطانية في إيران فرع للمخابرات في كل محطة من محطاتها، لا يقل خطراً وأهميةً عن القنصليات والمعاهد الأجنبية، التي كانت مبثوثة في كل نواحي البلاد الإيرانية.

وشأن الشركات الأجنبية في إيران شأنها في غيرها من الأقطار العربية والشرقية، فإن موظفاً من رجال المخابرات البريطانية يدعى الكابتن «وطسون» كان يعمل في منطقتي غزة وبئر السبع خلال الحرب الاخيرة، فلما جلا الإنكليز عن فلسطين عام ١٩٤٨، انتقل وطسون مفتشاً في إحدى شركات البترول في الإسماعيلية، وظل يقوم بعمله السابق ويتصل بجواسيسه ورجاله أنفسهم ويتجول في سيناء وقطاع غزة بحجة التفتيش على أعمال تلك الشركة الأجنبية.

في أوروبا - إيطاليا وألمانيا:

انطلق القطار يطوي بنا الارض طياً في بلاد البلغار، ثم في سائر البلقان، وقد أسترعى نظري في الشعب البلغاري الطابع الشرقي الذي لا يزال واضحاً على هذا الشعب في العادات والتقاليد، والملابس، والطعام، فقد دخلت مطعماً في بلغاريا فحسبتني في مطعم الحاتي بالقاهرة، فهناك الكباب ولبن الزبادي وكثير من ألوان الطعام المألوفة، ثم دخلت رومانيا وقضيت يوماً وليلة في عاصمتها «بخارست». وهنا تذكرت بطولة الفرقتين ٢٣ و ٢٥ من الجيش العثماني وقد كان معظم جنودهما من الفلسطينيين بقيادة المارشال الالماني الشهير «فون ماكنزن» الذي تولى قيادة الجيوش الالمانية والنمساوية والعثمانية في البلقان في الحرب العالمية الأولى واستولى على

«بخارست»، وقبل هذا التاريخ بثماني عشرة سنة أي في عام ١٨٩٨، عندما زار القدس قيصر المانيا ويلهلم الثاني، كان ماكنزن مرافقاً للقيصر في هذه الزيارة.

ثم استأنفت السير إلى هنغاريا ومكثت بعض الوقت في عاصمتها «بودابست» وهي مؤلفة من مدينتين أو من حيين هما «بودا» و «بست»، ويقطن هذه المدينة عدد وافر من اليهود ولهم فيها نفوذ عظيم حتى أن بعض الناس يطلقون عليها «يودابست» أي مدينة اليهود....

وبودابست هذه، هي مسقط رأس الزعيم اليهودي الدكتور «ستيفن وايز» الذي كان يتولى رئاسة المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، هذا في الظاهر أما في الباطن فقد كان يتولى مركزاً خطيراً جداً وهو مركز «الرئيس الاعلى للمنظمة اليهودية العالمية السرية» وهي جمعية «حكماء صهيون» التي يدعى رئيسها «الجالس على عرش داوود» وهي أعلى وأخطر منظمة يهودية في العالم، وإليها يرجع اليهود في جميع شؤونهم الرئيسية، ولها السيطرة والتوجيه ورسم الخطط الأساسية في شؤون اليهود السياسية والروحية والاجتماعية. وليس من السهل معرفة هذه المنظمة وأسماء رئيسها وأعضائها إلا نادراً كما حدث عندما اكتشف بعض كبار الباحثين في الشؤون اليهودية سر «بروتوكولات حكماء صهيون»، ونشروها واحدث نشرها ضجة كبيرة في العالم.

وقد هاجر الدكتور الحاخام وايز، من بودابست، في شبابه إلى امريكا وعاش فيها بقية حياته إلى أن مات أخيراً في نيويورك التي هي أكبر مركز يهودي إذ تقطن فيها جالية يهودية يزيد عدد أفرادها على ثلاثة ملايين فهي أكبر جالية يهودية في العالم. وهذا من أهم الأسباب التي جعلت نيويورك مقراً «للأمم المتحدة».

ولم يكن اتخاذ نيويورك مقراً للأمم المتحدة إلا بجهود الصهيونية العالمية ذات التأثير الكبير على دولة الولايات المتحدة الأمريكية، وبهذا أفاد الصهيونيون فوائد كثيرة لما للبيئة اليهودية وجوها الصهيوني من أثر ضاغط على أعضاء الأمم المتحدة ووفودها الدائمة المقيمة لدى الأمم المتحدة في نيويورك. وحبذا لو تضافرت جهود الدول المدركة لذلك من أعضاء الأمم المتحدة على السعي لنقل مقر هذه المنظمة العالمية الكبرى، إلى بلد آخر في دولة محايدة كسويسرا أو النمسا.

وبعد زيارة قصيرة لبودابست تابعت السفر بالقطار إلى إيطاليا، وكان قصدي من هذه الزيارة الاتصال برجال دولتي المحور لاستئناف المباحثات التي بدأناها في العراق

ثم في إيران، لتحقيق استقلال الأقطار العربية الواقعة تحت الاحتلال أو السيطرة الاستعمارية، فلما وصلت روما وعرفت الدولة الايطالية بقدومي، اتصل بي بعض رجال وزارة الخارجية الايطالية والسفارة الالمانية بروما، وزارني الكونت بيسمارك مستشار هذه السفارة وهو حفيد بيسمارك السياسي الالماني الشهير، ولما أعلمته برغبتي في السفر إلى المانيا أبلغ حكومته هذه الرغبة فرحبت بها.

وبعد بضعة أيام من وصولي روما قابلت الدوتشي موسوليني في قصر فينيسيا الشهير الذي كان موسوليني يلقي خطبه المثيرة من شرفته المطلة على ساحة فينيسيا، التي كانت تغص بمئات الالوف من الايطاليين، وقد جاء بعض رجال الخارجية إلى فندق «اكسلسيور» وصحبوني إلى القصر، وهناك استقبلني البارون «انفوزو» وزير الخارجية بالنيابة، لأن الكونت شيانو وزير الخارجية كان غائباً في زيارة لبرلين، وصحبني إلى الغرفة الفسيحة التي اتخذها موسوليني مكتباً له، وهي في سعتها اشبه بقاعة محاضرات، استقبلني موسوليني على باب غرفته الفسيحة وقال: إنني أرحب بكم باسمي وباسم الشعب الايطالي والدولة، وأهنئكم لنجاتكم من براثن اعدائكم في هذه الرحلة الشاقة الطويلة، ثم سار معي إلى كرسيين متقابلين أمام مكتبه فاجلسني على أحدهما وجلس على الآخر، وظل السنيور انفوزو وكيل الخارجية واقفاً على قدميه طول مدة المقابلة، وكان من عادة موسوليني ألا يجلس الوزراء في حضرته أثناء المقابلات الرسمية، ومع ان الكونت شيانو وزير الخارجية كان اقرب المقربين إلى الدوتشي وكان أيضاً زوج ابنته فقد ظل واقفاً على قدميه في إحدى مقابلاتي لموسوليني مدة ساعتين كاملتين..

وكان ذلك خلال مقابلة أخرى لموسوليني حين فتكت العصابات الصربية التي كان يقودها الجنرال ميخايلوفتش بمسلمي البوشناق (سكان البوسنة والهرسك ويني بازار) وقتل منهم نحو مئتي ألف نفس، وسيأتي تفصيل هذا في فصل قادم من هذه المذكرات.

أفتتح موسوليني الحديث بعد تهنئته لي بالنجاة، بسؤالي عن الطريق الذي سلكته حتى وصلت البلقان، وأصغى باهتمام بالغ إلى حديثي عن القضية العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة، وكان موسوليني يتكلم الفرنسية بطلاقة كما كان يتكلم عدة لغات أجنبية، وقد استرعى نظري في هذه المقابلة لموسوليني قوة شخصيته وطموحه البعيد، وكان يخفيهما بلباقته ودهائه وسعة ثقافته، واطلاعه على سياسة الشرق الادنى، وبعد نظره في تجنب الاشتباك مع روسيا، كما سيأتي ذكره، وكان

محدثاً بارعاً، واضح العبارة، ولاسيما حين يتحدث عن تاريخ الرومان وامجادهم الغابرة التي كان مصمماً على بعثها رغم ما كان بادياً على الشعب الايطالي من الميل إلى الدعة والرخاء وبغض الحروب والعزوف عن روح المغامرة وركوب الاخطار، وكان هتلر معجباً بموسوليني وقد اخذ عنه نظام الحكم وسار على منواله.

بسطت لموسوليني مطالب العرب الرئيسية وهي الاستقلال الكامل والسيادة التامة في جميع أقطارهم، وإنقاذ فلسطين من المؤامرة الاستعمارية اليهودية، والغاء الوطن القومي اليهودي فيها، ولما قلت له: إن مقاومتنا للوطن القومي اليهودي لم تكن بحافز من التعصب الديني بل كانت دفاعاً عن كياننا، وذوداً عن بلادنا، وأن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في الأقطار العربية هي علاقات وثيقة بين مواطنين متحدين متعاونين، أجابني قائلاً: إني أعلم هذا وأعلم الكثير عن أحوالكم، ولاسيما دينكم، وقد درست القرآن والتاريخ الإسلامي وأعرف تسامح الدين الإسلامي، ولكن هؤلاء لا يعلمون، قال هذا واشار باصبعه إلى البارون انفوزو الذي كان واقفاً على قدميه.

واستأنف موسوليني حديثه قائلاً: إن مطالبكم جديرة بالاحترام والتحقيق وإن إيطاليا مستعدة أن تعترف بذلك وتساعد على تحقيق استقلال الأقطار العربية، أما الوطن القومي اليهودي فلكم كل الحق في مقاومته ونحن معكم في ذلك، فاليهود في إيطاليا لا يزيد عددهم على ستة وأربعين ألفاً من ستة وأربعين مليون إيطالي، أي واحد في الالف من مجموع الأمة الايطالية التي منحتهم كل الحقوق وساوتهم بافرادها، ولكنهم رغم ذلك ليسوا موالين لها، فكل واحد منهم جاسوس عليها وداعية ضدنا، وموال لأعدائنا، فهم طابور خامس في بلادنا، ولذلك فإن موقفنا منهم سيكون مثل موقفهم منا.

وأضاف موسوليني: إننا نعتبركم أصدقاء لدول المحور في هذه الحرب التي سيكون لنتيجتها أثر كبير على مستقبلنا ومستقبلكم أيضاً، ولذلك فإننا نرغب في أن يقوم التعاون بيننا وبينكم على أساس الاخلاص والثقة، ومن أجلّ هذا التعاون أرحب بكم، لقد وصلتم في الوقت المناسب الملائم للاهتمام بمنطقة الشرق الادنى التي أعتبرها أهم منطقة، وإني شديد الاغتباط بوصولكم وإقامتكم لدينا.

ولما عرف أني أعتزم استئناف السفر إلى برلين قال لي: أرجو أن توجه نظرهم هناك، ولاسيما الفوهرر إلى أهمية منطقة الشرق الادنى لاسيما قناة السويس، فإنها «حلق»

الامبراطورية البريطانية فمنها نستطيع أن نخنقها ونخمد انفاسها، إنها أهم من كل جبهة.

وكان موسوليني كما علمت فيما بعد معارضاً في فتح الجبهة الروسية، وكان ينصح باجتناب الدخول في قتال مع روسيا الواسعة الأرجاء التي تنسحب جيوشها أمام الأعداء حتى تورطهم في ثلوجها ووحولها ثم تردهم على اعقابهم كما فعلت بجيش نابليون وغيره من الغزاة.

ولما انتهت المقابلة وقمت مودعاً، سار معي موسوليني إلى نهاية القاعة الواسعة وهو يكرر عبارات المجاملة والترحيب ويوصي البارون انفوزو بالعناية بي وتحقيق رغباتي، وفيما نحن خارجون أبدى لي انفوزو استعداده الكامل لتنفيذ أوامر الدوتشي بشأن تحقيق رغباتي فوراً فلما سمعت كلامه أجبته شاكراً حفاوة الدوتشي وعنايته الفائقة، وأن ما أطلبه هو تسهيل سفري إلى برلين حالاً، فنظر إليّ انفوزو باستغراب وقال: بهذه السرعة؟ لماذا لا تقيم لدينا؟ فأجبته أن لا بد من سفري الآن وانني سأعود إلى روما عندما تبسنح الظروف.

وقد وجدت أنهم أعدوا لي منزلاً في إحدى ضواحي روما هو فيلا «سكارلاتي» وأنهم نقلوا إليها حقائبي من الفندق الذي نزلت فيه، وفي اليوم التالي زارني في هذه الدار الكونت بيسمارك مستشار السفارة الالمانية آنف الذكر والهر دورتنباخ من كبار موظفي السفارة، ورحب الكونت بيسمارك باسم السفير ماكنزن حفيد المارشال ماكنزن الشهير.

مكثت في تلك الفيلا يومين فقط قبل سفري إلى برلين ولم أعد إليها إذ خصص لإقامتنا في روما قصر آخر هو «فيلا كولونا» الشهيرة القائمة على جبل مونتي ماريو المشرف على مدينة روما، ولهذا القصر قصة لها علاقة تاريخية بفلسطين والقدس، فإن رأس أسرة «كولونا» كان من كبار قواد الحروب الصليبية وقد حمل معه عندما عاد من القدس إلى روما العمود، الذي يقال أن السيد المسيح عليه السلام جُلِدَ عليه، وقدّمه هدية إلى البابا فمنحه البابا لقب «برنس كولونا» وتوارثت الاسرة هذا اللقب مع الثراء العريض والنفوذ الكبير منذ ذلك التاريخ.

وأخيراً اقترن أحد افراد أسرة كولونا بسيدة لبنانية من أسرة سرسق الشهيرة في بيروت، فلعبت هذه السيدة «سنيورة كولونا» دوراً خطيراً في سياسة إيطاليا خلال الحرب العالمية الأخيرة، فقد كانت شديدة الذكاء والدهاء واللباقة بالأضافة إلى ثقافتها

العالية، وكانت تعمل لصالح الحلفاء ففتحت قصرها الفخم في روما للأمراء والنبلاء والوزراء والأثرياء من أصحاب المراكز الرفيعة، وكان الكونت شيانو وزير الخارجية من بين الذين يحضرون موائدها الشهية وحفلاتها الانيقة فكانت تبالغ في الحفاوة به وتحيطه بهالة من الأصدقاء والصديقات وتروي له من أنباء الحلفاء ما يدل على وفرة الانتاج والتفوق في وسائل الحرب التي يتوقف على نتائجها مصير العالم ومصير إيطاليا بصورة خاصة وتصور له انه هو (شيانو) الرجل المرتقب للمستقبل والشخص المرجى لخير إيطاليا لما يمتاز به من صفات، ويتبوأ من مكانة..

وقد استطاعت هذه السيدة اللبنانية ان تبلغ بتأثيرها على شيانو حداً جعله وهو صهر موسوليني واقرب المقربين إليه، يقف في طليعة أكثرية أعضاء المجلس الاعلى الفاشيستي الذين خذلوا موسوليني في اجتماع المجلس المذكور يوم ٢٥ يوليو ١٩٤٣، ففي ذلك اليوم عندما ذهب موسوليني إلى مقابلة الملك عمانوئيل قبض عليه كما هو معروف وظل معتقلاً في أماكن سرية إلى أن استطاع الضابط الألماني الشهير «سكورزيني» إنقاذه من الحصن الواقع على قمة جبل ساسو يوم ١٢ سبتمبر ١٩٤٣.

ولما أعلن موسوليني بعد ذلك الجمهورية الإيطالية الفاشية في شمال إيطاليا، حاكمت هذه الجمهورية، الذين تمكنت من القبض عليهم من المشتركين في تلك المؤامرة على الدوتشي وعلى نظام الفاشيست، أمام محكمة عسكرية حكمت عليهم بالاعدام، وكان من بينهم الكونت شيانو صهر موسوليني، وقد حاولت زوجته «ايدا» ابنة موسوليني جهدها ان تنقذه من هذا المصير، فباءت بالفشل.

وأعود إلى مقابلتي الأولى لموسوليني فقد بعث في نفسي الارتياح أنه أجاب بسرعة ودون أي تردد على مطالبتنا للأمة العربية بالاستقلال والسيادة الكاملة قائلا: إني والحكومة الايطالية على أتم استعداد لتلبية رغبتكم والاعتراف بهذه المطالب والتعاون على تحقيقها مع الحكومة الالمانية التي أعتقد أنها على استعداد لذلك أيضاً، وقد تم لنا فعلاً، بعد المحادثات التي جرت مع الحكومتين الألمانية والإيطالية، الحصول على تصريح رسمي خطي بهذا الشأن موقع عليه من وزيري خارجية دولتي المحور المذكورتين (كما سيأتي تفصيله مع نص الكتابين في هذه المذكرات).

* * *

استرعى نظري خلال زياراتي لروما ثم في تجوالي في كثير من البلاد الايطالية، النفوذ العظيم الذي تتمتع به الكنيسة الكاثوليكية، وما لها من التأثير الكبير على الرعايا

الكاثوليك في العالم، فإن موسوليني الذي استطاع بمساعدة حزبه الفاشيستي السيطرة على إيطاليا، في جميع شؤونها السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، سيطرة كاملة قرابة ٢٢ سنة، والذي قدم لها قدراً وافراً من الخدمات العظيمة في العمران والاقتصاد وجعل لها مكانة مرموقة في السياسة العالمية، والذي عني عناية خاصة بتربية النشئ الحديث فيها تربية فاشيستية، فأسس نظام «الباليلا» لتربية الأطفال تربية عسكرية رومانية، وأنشأ لهم معاهد خاصة انتظمت ما يربو على ستة ملايين طفل، ثم أنشأ مدارس ابتدائية تحيا حياة عسكرية بحتة، (وقد زرت بعض هذه المعاهد ولمست روح الحماسة فيها، والتربية الفاشستية الخاصة التي يربون عليها)، أن موسوليني هذا رغم دهائه وبراعته، وسلطانه لم يستطع أن يناوئ السيطرة الروحية للكنيسة على نفوس الشعب الايطالي، ولم يسعه منذ بدء حكمه، إلا أن يستجيب لمطالب «الفاتيكان»، ويعقد معه معاهدة وقعها مع الكردينال غاسباري، ويعترف بسلطاته الرسمية كدولة مستقلة ذات سيادة، لديها السفراء الاجانب، حتى في أشد أوقات الحرب حرجاً، فقد كان سفراء أمريكا وإنكلترا وغيرهما من ممثلي الدول المحاربة لإيطاليا يقيمون بمدينة الفاتيكان التي تجثم على صدر «روما» وتحتل أحد أحيائها، والتي لا تزيد مساحتها على ٤٨ فدانا، ويتمتع فيها أولئك السفراء بجميع الامتيازات الدبلوماسية، ويتخابرون بالبرقيات الرقمية «الشيفرة»، فينقلون إلى دولهم إنباء إيطاليا ودول المحور وأسرارها العسكرية التي يطلعون عليها بسهولة، بسبب إقامتهم في صميم العاصمة الايطالية، كما أن الأموال الهائلة، وملايين الدولارات الأمريكية كانت تتدفق على خزائن دولة الفاتيكان من الجاليات الكاثوليكية في امريكا وغيرها، في الوقت الذي تدهورت فيه قيمة العملة الايطالية، حتى صار الدولار الواحد يساوي مئات من الليرات الإيطالية، وبذلك استطاع عملاء الحلفاء أن يشتروا كثيراً من الذمم، ويطلعوا على الاسرار العسكرية، وعلى أنباء السفن حاملة البنزين إلى المارشال رومل الذي بلغت حملته يومئذٍ العلمين، وكادت تجتاح القوات البريطانية في مصر وفلسطين وتقضي القضاء المبرم على الوطن القومي اليهودي، وكانت قوات رومل الآلية «الميكانيكية» في أشد الحاجة إلى البنزين، لكن السفن التي تحمله إليها من إيطاليا كانت تغرق في البحر أو تقاد إلى «مالطة»، ولا يصل منها إلى حملة رومل إلا القليل النادر الذي لا يفي بالحاجة، وبذلك شلت حركة رومل، وأعطيت الفرصة الكافية للقوات البريطانية بقيادة الجنرال مونتجمري ان تتجمع في وجه فيلق رومل الافريقي وتصده، وقد كان هذا الوضع الناشئ من وجود سفارات للحلفاء وما يتبعها من دوائر مخابرات وعملاء في

الفاتيكان، أي في داخل العاصمة الإيطالية، من أكبر أسباب فشل حملة روميل وما تلاها من هزائم المحور في الشرق الادنى، ورغم كل ذلك لم يستطع موسوليني أن يقوم بأي عمل حازم حيال دولة الفاتيكان التي كانت تعمل جاهدة في مكافحة دول المحور ولاسيما المانيا لأنها كانت تعتبر انتصارها خطراً على الكنيسة الكاثولوكية.

ذلك لأن قداسة البابا بيوس الثاني عشر كان «قاصداً رسولياً» في برلين، في أول عهد الحكم الهتلري لالمانيا عام ١٩٣٣، واطلع على مبادئ هتلر النازية، وجرت بينه وبين هتلر بشأنها مناقشات عديدة، واعتقد بخطر هذه المبادئ على العقيدة الكاثوليكية، فكان من أشد أعداء النازية، والد خصومها ووجه جميع منظمات الكنيسة الكاثوليكية في العالم لمقاومة المانيا والدول المتفقة معها.

فمن ذلك أني استغربت كثيراً عندما زرت عام ١٩٤٣ «كرواتيا» التي حررتها دولتا المحور من حكم يوغوسلافيا ومنحتاها الاستقلال الكامل، وساعدتاها على إنشاء ١١ فرقة عسكرية كاملة خلال بضع سنين، بينما لم تمكن إنكلترا مصر أو العراق خلال عشرات السنين من إنشاء ثلث هذه القوة العسكرية ـ استغربت ما رأيته من مظاهر عداوة الشعب الكرواتي لالمانيا ودول المحور، ولما سالت عن أسباب ذلك، علمت أن السبب الرئيسي، هو تأثير الفاتيكان الديني على الشعب الكرواتي الكاثوليكي المذهب.

وليست هذه القوة، قوة الكتلة الكاثوليكية بالشيء اليسير، بل إنها منظمة عالمية ضخمة جداً، فهي تنتظم نحو ٢٦ دولة، بعضها في أوروبا وأكثرها في امريكا الجنوبية، كما تشمل سائر المنظمات الكاثوليكية ذات الشأن في سائر اطراف العالم كاليسوعية «الجزويت» التي اشتهرت بقوتها ودقة نظامها، وعرفت بأنها المنظمة الوحيدة التي استطاعت ان تضاهي الماسونية وتتغلب على المنظمات اليهودية السرية التي لا تطمئن إليها الكثلكة، ولهذه المناسبة أذكر أني قرأت كتاباً فرنسياً عن اليسوعية وتشكيلاتها، ومما جاء فيه ان مؤسس اليسوعية ايغناس دي لويولا اقتبس نظامها من بعض الطرق الصوفية الإسلامية..

ولقد زرت الفاتيكان مراراً بصورة غير رسمية، وتجولت في أنحاء هذه الدولة التي تقل مساحتها عن نصف كيلومتر مربع، فشعرت بأن لها رغم ضآلة حجمها وصغر رقعتها، أثراً عظيماً ووزناً ثقيلاً في الميزان الدولي، وفي ذلك عبرة لمن يريد ان يفيد من التنظيم والتكتل فائدة لا يحققها الارتجال، ولا تعززها الفوضى.

وصفوة القول أني لمست خلال الاعوام الخمسة التي قضيتها في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، إن الكتلة الكاثولوكية الملتفة حول الفاتيكان، هي قوة عالمية عظيمة ذات قيمة كبيرة في «الميزان الدولي» وأنها ساهمت بسبب كبير في مقاومة المانيا ودول المحور، وبالتالي في نتيجة الحرب العالمية الثانية.

ومما يدل على مكانة هذه الكتلة وقوتها، أنها استطاعت إنقاذ أسبانيا ورئيسها فرانكو، حينما عزمت بعض دول الحلفاء، عقب الحرب العالمية الثانية، على اقتحامها، وتبديل نظام الحكم فيها، عقاباً لها على وقوفها محايدة ومنحازة لألمانيا أحياناً خلال الحرب، فهبت واضطرت الولايات المتحدة للاستجابة لها، وبذلك صينت الدولة الاسبانية من العدوان.

* * *

وقد كتبت من فرنسا حيث كنت معتقلاً عقب الحرب، إلى عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية حينئذٍ، استرعي نظره، لأهمية الفاتيكان، واقترحت عليه أن يحمل مصر وغيرها من الدول العربية على تبادل التمثيل السياسي معه، ولم يكن لأية دولة عربية حينئذٍ سوى لبنان من تمثيل سياسي مع (الفاتيكان)، وقد أطلع عزام باشا، انطون باشا الجميل رئيس تحرير الأهرام يومئذٍ على كتابي فنشره في الجريدة المذكورة.

لم تجد إيطاليا في ليبيا غير الرصاص والرمال على أن أعظم ما كان يرينا ويقلقنا من إيطاليا، موقفها الغاشم من القطر العربي الليبـي المجاهد، وقد صارحنا رجال إيطاليا المسؤولين مراراً بشعورنا هذا، وذكرت مرة للسنيور «فيتيتي» وكيل الخارجية الايطالية، في المأدبة التي أقامها لنا، إن استمرار إيطاليا على احتلالها ليبيا واستعمارها لها سيظل أكبر حائل دون اطمئنان العرب خاصة والمسلمين عامة لها، فأجابني قائلا: حقا إن ما وقع في ليبيا سبب لنا متاعب كثيرة فعندما كانت السياسة الايطالية تتأثر في الماضي كثيراً بالسياسة البريطانية قبل عهد الفاشيست، خدعتنا إنكلترا وفرنسا فاستولتا على أغنى وأغلى أقطار شمال افريقية وأغرتانا باقتحام ليبيا عام ١٩١١، فلم نجد فيها رغم الجهود المضنية والخسائر الفادحة في الانفس والأموال، «غير الرصاص والرمال»، ولم نجن من ذلك إلا بغض العرب ومقت المسلمين لنا، ولابد لنا من تبديل الموقف بعد هذه الحرب بما يرضي الليبيين ويضمن لنا استعادة صلات الود والصداقة مع الأقطار العربية.

* * *

في زيارتي الأولى لروما وفيما تلاها، اتصلت بعدد من زعماء ليبيا الباسلة التي جاهدت أشرف جهاد وأطوله، وضحت في سبيل استقلالها وكرامتها بنحو نصف سكانها الابطال، بين شهيد وشريد وكان من أبرزهم الشهيد عمر المختار والتي صبرت صبر الكرام حقبة من الدهر تزيد على ثلث قرن، فكانت بجهادها الرائع الطويل المدى، أول قطر عربي أثار اهتمام الاوروبيين، واسترعى انظارهم إلى كفاح العرب ونهضتهم.

فكان ممن اتصلت بهم من الليبيين في روما المرحوم ا لامير سليمان القرمانلي (أمير ليبيا)، والسيد محمود المنتصر رئيس وزرائها السابق، والدكتور وهبي البوري وزير خارجيتها الحالي وغيرهم، وجرت بيننا في «فيلا كولونا» وفي بيت الأمير سليمان القرمانلي أحاديث كثيرة حول جهاد ليبيا ومستقبلها، وكانت أحاديثهم مشوبة بحزن عميق لما أصاب بلادهم واهليهم من بلاء وشقاء، وأذكر أن الدكتور وهبي البوري زارني مع عدد من شبان ليبيا عام ١٩٤٢ للتهنئة بعيد الاضحى، فلما رأى استبشارنا ومن معنا من فلسطينيين ومصريين وعراقيين وغيرهم، بانتصارات المارشال رومل، وهزائم البريطانيين في طبرق وغيرها، ووصول رومل إلى العلمين قال: «اننا نتقدم اليكم بالتهنئة لما تنتظره بلادكم العربية من فرج وفوز، أما نحن الليبيين فاننا نشارككم في الابتهاج رغم أنه ليس لنا في هذا النصر أي أمل أو رجاء»، فتأثرت جداً من كلماته واجبته: ﴿لا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾، وإني أوكد لكم إن جهاد ليبيا وتضحياتها العظيمة لن تذهب سدى، وستجدونها في المستقبل رصيداً محفوظاً لكم كالمال المودع في المصرف لحسابكم الخاص، فلا بد لكم من الفوز في النهاية، فتستقل بلادكم، وتنالون اجر جهادكم.

ولم ينقض على حديثي بضع سنوات حتى حقق الله لليبيا استقلالها، فكان لنا باستقلالها عزاء عن الكارثة الأليمة التي حلت بفلسطين، وكنت على أثر هذه الكارثة مريضاً في مشفى المواساة بالاسكندرية، في صيف عام ١٩٥٠، فوصلني كتاب من الدكتور البوري مهنئاً بعيد الاضحى أيضاً ومذكراً بما قلته له في مثل هذا العيد قبل بضع سنوات في روما وقد جاء فيه: (ولا أراني في حاجة إلى التذكير بما وعظتمونا حينئذٍ من البعد عن اليأس والأطمئنان إلى وعد الله بنصرة المجاهدين)، فاجبته شاكراً ومؤكداً بأني أبعد الناس عن اليأس، وإني واثق كل الثقة بوعد الله ونصره، وأنا أكرر اليوم للمجاهد السيد البوري الذي أصبح وزير خارجية ليبيا ثم هو اليوم رئيس الوفد الدائم للملكة الليبية في الأمم المتحدة، إني الآن أعظم ثقة وأكبر رجاء مني في أي وقت مضى بنصر الله، وبان الصهيونيين والمستعمرين جميعاً سيخرجون قريباً مذمومين

مدحورين من فلسطين وسائر بلاد العرب والمسلمين «انهم يرونه بعيداً ونراه قريباً».

وأذكر لهذه المناسبة، أن وفداً ليبياً برئاسة مفتي طرابلس الغرب المرحوم الشيخ (ابو الإسعاد) قدم مصر عام ١٩٥١، لمحادثة جامعة الدول العربية بشأن استقلال ليبيا، وقد دعوت هذا الوفد إلى وليمة في بيتي في مصر الجديدة، فلما دار البحث عن القضية الليبية عرفت ان الوفد منقسم إلى رأيين، كان أحدهما يرى ان يناط أمر القضية الليبية بجامعة الدول العربية، والآخر كان يميل إلى إبعاد القضية عن الجامعة، فلم أشارك في الحديث إلى ان أحتدم النقاش بين الفريقين، وحينئذٍ طلب بعضهم رأيي في هذا الموضوع وتحكيمي فيه، فاجبتهم بقولي: (على الخبير سقطتم) وبينت لهم بعض تجاربنا المرة الأليمة مع الجامعة في قضية فلسطين، وما أصابها من أذى كبير بسبب وضع الجامعة واختلاف كلمة أعضائها، وضعف بعضها أمام الضغوط الأجنبية وغير ذلك مما أضرّ بقضيتنا كثيراً، بعد انتزاعها منا رغم إرادتنا وإبعادنا عن معركتها الحاسمة عام ١٩٤٨، وتسليم شؤونها إلى خصوم القضية الالداء كالجنرال كلوب في الشؤون العسكرية، والجنرال كلايتون في الشؤون السياسية، ولم تكتف الجامعة بذلك فأصدرت قراراً في شهر نيسان سنة ١٩٤٨، أي قبيل انتهاء الانتداب البريطاني ودخول الجيوش العربية فلسطين، عهدت فيه إلى الجنرال سبيرز بشؤون الدعاية لقضية فلسطين وحولت إليه أثنين وخمسين ألف جنيه، وبذلك أسلمت مقاليد القضية الفلسطينية في آخر أدوارها إلى أشد أعدائها، وأخيراً نصحت لهم بأن يتولوا قضيتهم بانفسهم، ولا يسمحوا لغيرهم بالتدخل فيها، مع الاستعانة بالدول العربية وجامعتها دون ان تكون لها السيطرة عليها، فلما سمعوا هذا الرأي استحسنوه واتفقوا عليه، وخرجوا وهم على كلمة سواء ورأي واحد.

* * *

غادرت روما يوم ٨ نوفمبر ١٩٤١، متوجهاً إلى برلين بالقطار، ومررت من ممر «برينر» الشهير الذي كان يجتمع فيه هتلر بموسوليني، فوصلت إليها في ٩ منه، وألفيت في محطتها رئيس التشريفات وزير الدولة الدكتور «اوتومايستر» الذي رحب بي باسم الفوهرر هتلر والحكومة، والدكتور «ملتشرز» مدير القسم الشرقي في وزارة الخارجية، والدكتور «غروبا» وزير المانيا المفوض في العراق، وغيرهم من رجال وزارة الخارجية، فاستقبلوني مرحبين، وصحبوني إلى قصر «شلوس بيلفو» التاريخي الذي بني عام ١٧٨٥ والقائم في حي «تيرغارتن».

وبعد يومين من نزولي فيه، قامت طائرات الحلفاء بغارة ليلية على برلين، فأيقظني الموظف الالماني المسؤول، وهبط بي إلى مخبأ القصر، وقد أنشئ على عمق عشرات الأمتار في جوف الارض، فألفيته عبارة عن بيت كامل يحتوي على أحسن الرياش، وعلى غرف للنوم مزودة بالأسِرّة والفرش الوثيرة، وقاعات للطعام والاستقبال والتدخين، وغير ذلك من وسائل الراحة والتدفئة، وعلى قاعات أخرى للمستشفى والعمليات الجراحية وآلات التصوير باشعة رونتجن وغير ذلك.

وقد مكثت ضيفاً في قصر «شلوس بيلفو» نحو اسبوعين زارني خلالها عدد كبير من رجال وزارة الخارجية الالمانية، وغيرهم من كبراء العرب والمسلمين والشرقيين، من نزلاء المانيا في ذلك الحين، ومن بينهم «غلام صديق خان» وزير خارجية الأفغان الأسبق، والزعيم الهندي المشهور «سبهاس شاندرابوز» وبعض زعماء أذربيجان والقوفاز، وغيرهم من مسلمي روسيا.

وهذا الزعيم الهندي المقدام شاندرابوز، كان من أكبر المناوئين للاستعمار البريطاني في الهند، وقد تعددت الزيارات بيني وبينه، وأقام في المانيا إلى عام ١٩٤٤م، ثم اتفق مع الالمان على السفر في غواصة إلى الشرق الأقصى، ليعمل على مناوأة الاستعمار في الهند وبورما وغيرها من مناطق الاستعمار البريطاني، وقد لقي مصرعه في طائرة كانت تقله في بورما، وقد حدثني بتفصيلات الحادث ضابط باكستاني كبير اجتمعت به في باكستان عام ١٩٥١، وكان في نفس الطائرة المنكوبة، وسقط فيها وأصيب بجراح خطرة، وكان مصرع «شاندرابوز» خسارة كبرى للهند.

ثم انتقلت إلى منزل في حي «غوته شتراسه» في ضاحية «تسلندورف» التي تبعد ستة عشر كيلو متراً عن برلين، وفي اليوم التالي من وصولي إلى برلين دعاني وزير الدولة رئيس التشريفات الدكتور مايسنر إلى حفلة شاي في بيته، حضرها عدد من رجال الدولة الالمانية، ثم دعاني الهر «فورمن» مدير السياسة الخارجية للغداء، ثم الهر «فون وايسزيكر» وكيل وزارة الخارجية وسكرتير الدولة إلى غداء في منزله، وجرت مع كل منهما مباحثات مستفيضة عن قضية فلسطين والقضية العربية، وعن مطالب العرب الاستقلالية.

عندما وصلت إلى برلين كان وزير الخارجية الهر «فون روبنتروب» غائباً عنها في صحبة الفوهرر في «المقر العام» في بروسيا الشرقية، فلما عاد روبنتروب استقبلني في ٢٠ نوفمبر ١٩٤١، في مقر وزارة الخارجية في «ويلهلم شتراسه» مقابلة استغرقت

ساعة ونصف ساعة، كان روبنتروب خلالها بادي الابتهاج، شديد الترحيب، واستهل حديثه معي بقوله: لقد كنا نسمع منذ عهد بعيد بكفاحكم، وكنا دائماً نعجب بكم، وننظر إلى مغامراتكم، كما ننظر إلى أساطير التاريخ.

ولما دار البحث حول القضية الفلسطينية، قال روبنتروب إن هذه القضية على جانب عظيم من الأهمية، فهي قضية عالمية خطيرة ذات أثر كبير على أمن العالم ومستقبله، وتجب معالجتها بكل عناية وحلها بالعدل الذي لا يقيم الإنكليز أي وزن له، فان هذه البلاد «فلسطين» عربية محضة، ولا يجوز أن يكون حل مشكلتها الا على هذا الأساس مهما كانت الظروف.

ثم تناول حديثنا حركة العراق، فابدى الوزير إعجابه الكبير وتقديره العظيم لهذه الحركة العربية الباسلة، ثم قال: «كنا نتمنى لو ان هذه الحركة تأخرت إلى ظرف آخر أكثر ملاءمة، إذن لأمكننا أن نساعدها مساعدة عسكرية فعالة، لأن بعد المسافة كان عائقاً كبيراً حال دون الإمداد، ورغم ذلك ورغم انشغالنا بتوطيد احتلالنا لجزيرة كريت، وغيرها من بلاد شرق أوروبا، فان الفوهرر أمر بإرسال أقصى ما يمكننا من الطائرات الحربية والمساعدات العسكرية، وقد كنا اعددنا كمية من الأسلحة الفرنسية الخفيفة من رشاشات وبنادق وذخائر لإرسالها إلى العراق، وكنا نعلم أن كل ذلك لا يفي بالحاجة بالنسبة لقوات الأعداء ومعداتهم في الشرق، وقد تألمنا كثيراً لما وقع لأولئك الأصدقاء الشجعان في العراق، الذين كنا نود ادخار قواهم إلى أن يأزف الوقت الملائم».

وقد فهمت من حديثه، ثم ايد لي ذلك بعدئذٍ أحد المطلعين، أنه كان حانقاً على الدكتور غروبا وبعض مساعديه، لما بلغه من أنهم حرضوا القائمين بحركة العراق على الاستعجال بها، فاكدت للوزير ان الاستعجال بالحركة لم يكن من العراقيين، وعلى العكس فان الوزارة العراقية الكيلانية وقادة الجيش كانوا راغبين في الابتعاد عن كل احتكاك بالإنكليز إلى أن يأزف الوقت الملائم، وبعد أن يتم مع دول المحور اعتراف باستقلال البلاد العربية، واتفاق كامل على الأسس السياسية والعسكرية ولكن الإنكليز كانوا يرون في هذه الوزارة وفي قادة الجيش عقبات، تحول دون تنفيذ رغباتهم في تسخير العراق وجيشه وكل ما فيه من ثروة ووسائل مواصلات، لمصالحهم الاستعمارية، واتخاذ البلاد العراقية قواعد لحشد الجيوش البريطانية، خلافاً لنصوص المعاهدة العراقية ـ البريطانية، وهم الذين دبروا هذه الفتنة وقاموا بالعدوان الغادر على العراق، وقد استرعيت نظره إلى التصريح الذي ادلى به مستر تشرشل عقب العدوان

على العراق وقوله: «إن بريطانيا كانت عازمة على إرسال قوات بريطانية إلى العراق في يونيو ١٩٤٠م، ولكن حاجتها إلى تلك القوات، لنجدة جيوشها في الصحراء الغربية، هي التي حالت دون تحقيق تلك الرغبة حينئذٍ» (وهو التصريح الذي أشرت إليه سابقاً).

ثم حدثني الوزير عن الموعد الذي حدد لي لمقابلة الزعيم هتلر، وبحث معي في المطالب والأهداف التي نرمي إليها، من اجلّ تحرير فلسطين والأقطار العربية كلها، فشرحت له تصميم الأمة العربية على الخلاص من الاستعمار والصهيونية ونيل استقلالها وتحقيق سيادتها ووحدتها، وأعربت له عن الامل في أن تساعد المانيا وحلفاؤها الأمة العربية على بلوغ أهدافها وتحقيق مطالبها، وفي عقد معاهدة، تعترف فيها المانيا وحلفاؤها، باستقلال جميع الأقطار العربية، والقضاء على النفوذ الاستعماري فيها، ومحق الوطن اليهودي في فلسطين.

ثم أوضحت له أن التصريح السابق الذي اذاعته الحكومة الالمانية عام ١٩٤٠، وسمعناه في بغداد ليس كافياً، واننا بالاشتراك مع رئيس الوزارة العراقية الكيلانية، أرسلنا اليكم كتاباً في ذلك الحين مع السيد كمال حداد، وطلبنا منكم ان تصدر الحكومة الالمانية تصريحاً أشد قوة ووضوحاً، لأن الأمة العربية التي خدعها الإنكليز في الحرب الماضية، ونقضوا العهود التي قطعوها لها، وفسروها كما شاءت أهواؤهم الاستعمارية، تريد في هذه المرة عهوداً صريحة صادقة منكم، وقد وصلنا على أثر ذلك كتاب من نائبكم الهر فون وايسزيكر، مؤرخ في ٣ إبريل عام ١٩٤١، يحتوي على عبارات أصرح، تدل على حسن نياتكم، ولكننا بالاشتراك مع رئيس الوزارة العراقية الكيلانية، لم نر ذلك الكتاب وافياً بما تتطلبه الأمة العربية، (وقد اوردت نص هذا الكتاب فيما سبق).

فقال الوزير: «اننا عازمون عزماً أكيداً على الاعتراف باستقلال البلاد العربية، والمساعدة على تحقيق أهدافها بدون أي تردد، ولكن الفوهرر لا يرى من المصلحة الادلاء بتصريحات قد تؤثر على مجرى الحرب، وتثير بعض الأمم التي لا نرى من المصلحة اثارتها في الظروف الحاضرة»، ولما سألته عن تلك الأمم التي يعنيها قال: «تركيا مثلاً التي تدعي ببعض مطالب في الأراضي المجاورة لها من سوريا، فقلت له أن من الأفضل لتركيا ان تجاور دولة صديقة ليست لها مطامع، من ان تجاور دولة قوية كفرنسا، وفي إمكاننا ان نرسل إلى تركيا من يطمئنها، ويسعى إلى التفاهم معها على هذا الموضوع»، فقال: «يمكنكم ان تصارحوا الفوهرر بجميع آرائكم هذه

وإني أؤكد لكم انه ونحن جميعاً متجاوبون معكم في الأسس، ومتعاونون في تحقيق أهدافكم».

ولقد أعجبني روبنتروب في صراحته، وبعده عن التكلف، ورقته ولطفه، ولقد شعرت برغبته الأكيدة في التعاون مع العرب وتحقيق أهدافهم، كما أعجبني منه أدبه وحسن استماعه.

وقد جرت لي بعد هذه المقابلة أحاديث كثيرة في هذه المسألة، مع عدد من كبار رجال السياسة الالمان، أذكر منها الحديث الآتي لما اشتمل عليه من عبرة وتذكرة.

فقد قابلت الهرفون وايسيزيكر نائب وزير الخارجية الالمانية، وحدثته في هذا الشأن، وكانت على حائط غرفته خريطة مفصلة، فأشرت إلى الأقطار العربية واسترعيت نظره إلى اتساع رقعة هذه الأقطار، الممتدة من شاطئ المحيط الاطلنطي إلى حدود إيران، وعلى كثرة عدد سكانها، وما توافر لها من ثروة طبيعية، وموقع جغرافي ممتاز، يضاف إلى ذلك شعور العرب الودي نحو المانيا، ورغبتهم في انتصارها على اعدائهم المستعمرين واليهود.

فاجاب فون وايسيزيكر قائلاً: لا ريب في أن هذه الأقطار العربية عظيمة جداً، ولكن عندما توازن بين قوى الأمم، لا تنظر إلى اتساع الرقعة ووفرة العدد فحسب، ولكنها قبل أي اعتبار، ولاسيما في زمن الحروب، إنها تهتم بعدد الفرق العسكرية المسلحة لدى كل جانب، أن لدى تركيا اليوم نحو ثلاثين فرقة جاهزة، ويمكنها أن تزيدها عندما يدق النفير العام إلى خمسين، بينما لا تملك جميع الدول العربية أكثر من سبع فرق نظامية.

أما ما تملكه الأقطار العربية من طاقة وموارد، فهي عظيمة جداً حقيقة، ولكنها ويا للأسف مسخرة لصالح الأعداء، بما فيها من مؤن ومواصلات وثروات وأيد عاملة ومواقع إستراتيجية، رغم أنوف أهلها، الذي نعرف ان عواطفهم وميولهم معنا، ولكن جهودهم وثروتهم يستغلها الأعداء، ولا يتعاون معنا من العرب إلا أنتم. (يقصد المقيمين في المانيا).

فلما قال كلامه هذا، خطرت على بالي كلمة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، لمن قال له «إن قلوبنا معك يا أمير المؤمنين»، فأجابه «حقاً إن قلوبكم معي ولكن سيوفكم مع معاوية». ولو عرف وايسيزيكر هذه القصة لاوردها..

وقد حز في نفسي قول هذا الرجل، إن الاعتبار في موازنة القوى بين الأمم، إنما

يكون لعدد الفرق العسكرية، قبل أن يكون لوفرة العدد أو سعة الرقعة، ورأيت ان أورد هذا الحديث لما فيه من عبرة بالغة للأمة العربية، التي لا ينقصها وفرة العدد، ولا سعة الارض، ولا الثروة العظيمة، ولا المواقع الجغرافية، وانما تنقصها العزيمة والتنظيم واستغلال تلك الثروة والطاقة، وإنشاء الجيوش المحاربة، والمصانع الحربية، ونحوها من وسائل القوة والمنعة.

وقد قدر لي بعد ذلك أن أنقل حديث فون وايسيزيكر، بشأن الحساب الصحيح الذي تقيم له الأمم الواعية وزناً ـ وهو عدد الفرق المحاربة وقيمتها الحربية ـ إلى كثير من رجال الأمة العربية المسؤولين، لاسترعي أنظارهم إلى أن كثرة عدد العرب وسعة بلادهم لا قيمة لها، إلا بنسبة ما تملك من قوى عسكرية محاربة حقاً.

كانت مقابلتي لأدولف هتلر، فوهرر المانيا، وزعيم الرايخ الثالث، في الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر يوم الجمعة ٢١ نوفمبر ١٩٤١م، ولم أكن أتوقع أن يكون استقبالي في دار المستشارية الشهيرة استقبالاً رسمياً، بل كنت أتوقع مقابلة خاصة مع الفوهرر، ولكنني لم أكد أصل إلى الساحة الواسعة أمام دار المستشارية، وأترجل من السيارة أمام مدخل الدار الفخم، حتى فوجئت بعزف الموسيقى العسكرية، وبحرس شرف مؤلف من نحو مائتي جندي الماني، مصطفين في الساحة، وطلب إليّ مرافقي من رجال وزارة الخارجية أن أستعرض الحرس، ففعلت، ثم دخلنا دار المستشارية، وسرنا في أروقتها الطويلة بأبهائها الفخمة، إلى أن انتهينا إلى قاعة الاستقبال الكبرى، كان هناك رئيس تشريفات رئاسة الدولة، فاستقبلني، وبعد نحو دقيقة أدخلني إلى غرفة الفوهرر الخاصة، استقبلني هتلر استقبالاً حاراً، بوجه طلق وعينين معبرتين، وبسرور ظاهر، ودعاني إلى الجلوس تجاهه، وكان يحيط به عدد من كبار رجال حاشيته، وفي مقدمتهم ترجمانه الدكتور شميدت، كان هتلر يتكلم بالألمانية، وكان الدكتور شميدت يترجم لي كلامه إلى اللغة الفرنسية.

استهل هتلر حديثه مرحباً وقائلاً: إنني سعيد لسلامتكم ولوجودكم في بلاد المحور، ولقد تلقيت بسرور عظيم خبر نجاتك من أيدي عدونا المشترك، وبعد تلك الرحلة الخطيرة الطويلة من طهران إلى برلين، ولقد كنت في قلق عليك، واعتبرت نجاتك نصراً وبشرى، واني مطلع على تاريخ حياتك، ومقدر لكفاحك في سبيل وطنك وأمتك، ولقدومك لإبداء رغبة الأمة العربية، في التعاون معنا، في الكفاح ضد الأعداء المشتركين، كما إنني مقدر كل التقدير، لكفاح عرب فلسطين، ذلك الكفاح الشعبي

العظيم، الذي قاموا به ضد الامبراطورية البريطانية واليهودية العالمية، دون نصير، إلا إيمانهم بحقهم ودفاعاً عن وطنهم!

ثم سكت هتلر، ليفسح لي مجال الحديث، فشكرته على ترحيبه وشعوره الطيب وكلماته اللطيفة، وعلى الحفاوة البالغة التي لقيتها منذ وصولي إلى برلين، ثم تطرقت إلى ذكر أواصر الود القديمة الوثيقة بين المانيا والأقطار الإسلامية والعربية، منذ عهد السلطان عبد الحميد، وأن المانيا في ماضي تاريخها، لم يسبق لها أن اعتدت على أي قطر من الأقطار العربية أو الإسلامية، كما أنها اليوم تكافح أعداءنا المشتركين: اليهودية العالمية، والدول الاستعمارية، التي تضطهد العرب، وهذه اوثق رابطة تربطنا بكم، وهنا ذكرت له الآمال التي تعلقها الأقطار العربية على المانيا، وأنها تتمني لها النصر لتحقيق تلك الآمال، وشرحت له جهود الأمة العربية للخلاص من الاستعمار والصهيونية، وما تتطلبه وتسعى إليه من تحقيق مثلها العليا، وما عاناه العرب من بغي الدول الاستعمارية، وفي مقدمتها انكلترا، التي خدعتهم في الحرب الماضية، ونكثت عهودها لهم، ثم احتلت بلادهم، ولم تكتف بذلك، بل منحت اليهود وعداً بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، ليجعلوا منها مركزاً لمطامعهم، وراس جسر لزحفهم وتوسعهم، ومحطة وثوب لهم على الأقطار العربية المجاورة. ثم بسطت له قضية فلسطين، وجهاد شعبها العربي، وتصميمه على إلغاء الوطن القومي اليهودي ومحو آثاره، ثم تطرقت إلى قضايا الأمة العربية، من استقلال وسيادة ووحدة، وطلبت عقد معاهدة رسمية صريحة، بين العرب والمانيا ودول المحور، تشتمل على هذه المطالب الأساسية، وإعلان تصريح رسمي بذلك في الإذاعة، لتطمئن الأمة العربية إلى مستقبلها، وتقبل بهذه الطمأنينة على التعاون معكم، في مكافحة الأعداء المشتركين.

كان الفوهرر حسن الاستماع، شديد الانتباه لحديثي، فلما انتهيت منه، أجاب عليه بهذه العبارات، التي أوردها نقلاً عن مذكراتي التي سجلتها في ذلك الحين فور خروجي من المقابلة، قال:

(إن خطط كفاحي واضحة، وهي أولاً أني أكافح اليهود بدون هوادة، ويدخل في هذا الكفاح ما يقال له «الوطن القومي اليهودي بفلسطين» لأن اليهود إنما يريدون أن يؤسسوا دولة مركزية، لأجل مقاصدهم التدميرية، ونشاطهم الهدام إزاء دول العالم وشعوبه.

وإنه من الواضح ان اليهود لم يقوموا بعمل انشائي في فلسطين، فإن ادعاءهم هذا

كذب وإن كل الأعمال الانشائية التي اقيمت في فلسطين، يرجع فضلها إلى العرب لا إلى اليهود. إنني مصمم على أن أجد حلاً للمشكلة اليهودية، خطوة فخطوة، وبدون انقطاع، وإنني سأوجه الدعوة اللازمة إلى جميع البلاد الاوروبية، ثم إلى البلاد التي هي خارج أوروبا، في هذا الشأن.

وإن مهمتي الأساسية، ورسالتي الأولى في الحياة، هي تصفية قضية اليهودية العالمية، فان اليهودية العالمية، بمنظماتها الواسعة، ونياتها السيئة نحو العالم تشكل خطراً هائلاً يهدد الانسانية جمعاء) وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد دخلت الحرب حينئذٍ ضد المانيا فقال: (أليس من الغريب أن يتعاون الخصمان المتناقضان في المبادئ والأهداف، أقصى اليمين (أمريكا) مع أقصى اليسار (روسيا)! إنه تناقض مبين، ولكن اليهودية العالمية استطاعت بوسائلها الشيطانية ان تجمع بين النقيضين، الرأسمالية والاشتراكية المتطرفة، وتقرنهما بحبل واحد وتسوقهما معاً لخدمة أهدافها، وتحقيق أغراضها في مقاومتنا، لكن هذا لا يمكن أن يستمر طويلاً، لأنه غير طبيعي».

واستطرد هتلر قائلاً: «إننا الآن في صراع الحياة أو الموت، وأن هذا الصراع سوف لا يفصل بين الوطنية الاشتراكية واليهودية فحسب، بل إن قيادة هذا الكفاح الناجحة، ستأتي بالمساعدة الصحيحة الايجابية للعرب، الذين هم واقفون فقط، لأن التطمين العاطفي لا فائدة فيه مطلقاً، ولكن الضمانات التي تدعمها قوة ظافرة، فقط هي التي يكون لها قيمة حقيقية، ففي الحرب العراقية، مثلاً كان عطف الشعب الالماني بأجمعه نحو العراق، وكان من قصدنا أن نقدم المساعدة للعراق، ولكن الظروف منعتنا من امداده بالمساعدة الحقيقية، إن الشعب الالماني رأى في القائمين بحركة العراق زملاء لآلامه لأن الشعب الالماني عانى كما عانوا، وإن كل المساعدات التي قدمناها للعراق لم تكن كافية لمساعدته ضد القوة البريطانية، إنني في هذا الصراع، الذي سيفصل في مصير العرب، لا أستطيع إلا أن أتكلم كرجل ذي عقيدة، وكزعيم عسكري وكجندي، وكل من وجد نفسه منسجماً في هذا الكفاح العظيم، وساهم في مساعدته ونجاحه، فانه يخدم القضية العربية، وكل تأويل خلاف ذلك الآن، يعني اضعاف الوضعية العسكرية، ولا يمكن أن يفيد القضية العربية، ولذلك يجب أن نحسن تمييز الخطوات التي تفيدنا، إزاء اليهودية العالمية وإنكلترا وسائر خصومنا، من الخطوات التي تضرنا، فإذا انتصرنا في هذه الحرب فان ساعة تحقيق اماني العرب تكون قد حانت أيضاً.

إن الموقف الآن هو كما يأتي: إننا نقوم بكفاح جبار في سبيل افتتاح الطرق إلى

شمالي القوفاز، والصعوبات في هذا ناشئة عن وسائل النقل، بسبب الخطوط الحديدية المدمرة والطرق، وكذلك بسبب الشتاء والثلوج، فإذا استعجل في هذا الظرف بإعطاء تصريح يتضمن سوريا، فان العناصر الموالية لديغول في فرنسا ستقوى، وهذا سيكون سبباً لانحلال فرنسا، وهؤلاء الناس أي (الفرنسيون) سيعتقدون أن موقفهم مع بريطانيا سيكون أكثر ملاءمة لهم والفصل في قضية سوريا، سيتخذونه مثلاً يطبق على الامبراطورية الفرنسية، وسيقوى موقف ديغول في المستعمرات، فإذا أعطي تصريح الآن فستنشأ مصاعب في غرب أوروبا، وستكون سبباً في مشاغلة بعض قوى الدفاع، وسبباً لمنعنا من دفع جميع القوى إلى الشرق. سأقول لكم الآن شيئاً أرجو ان يبقى مكتوماً لديكم:

أولاً: سأستمر في كفاحي إلى أن تدمر اليهودية الدولية تماماً.

ثانياً: وفي أثناء هذا الكفاح، وعندما تصبح فرق الدبابات الالمانية، وأسراب الجو، واقفة في منحدرات جنوبي القوقاز، يكون قد حان الوقت الملائم لإذاعة التصريح الرسمي، لأن ساعة تحرير العرب تكون قد دقت، إن المانيا ليس لها في البلاد العربية أية مطامع، إلا القضاء على القوى التي تحمي اليهودية العالمية.

ثالثاً: انني سعيد لنجاتكم، ولأنكم الآن عند دول المحور، وستاتي الساعة الملائمة التي توجهون فيها القوى العربية، لتحرير العرب، وحينئذٍ لا أبالي برد الفعل الذي يحدثه التصريح الرسمي في الشعوب الأخرى.

رابعاً: في رأيي أنه في تقدمنا هذا، يكون قد بدأ انهيار عالم الدولة البريطانية. إن الطريق من «روستوف» إلى إيران فالعراق، هو أقصر من الطريق من برلين إلى روستوف، وأننا نأمل أن نقتحم هذا الباب في السنة القادمة، إنني أقدر تشوق العرب إلى هذا التصريح، ولكن أحب أن تحيطوا علماً، بأني لم أعط قط أي تصريح رسمي، منذ تسلمي مقاليد الحكم في المانيا، إلى ما بعد خمس سنوات، عندما أصبحنا من القوة بدرجة نستطيع معها أن ندعم تصريحاتنا بقوة السلاح».

فلما ادركت أن هتلر لا يرغب الآن في إعلان التصريح الرسمي الذي طلبته منه، بالاعتراف باستقلال الأمة العربية وسيادتها ووحدتها، وأنه يرى إرجاء ذلك إلى ما بعد انتهائه من فتح القوقاز، واطمئنانه إلى موقف المانيا العسكري، اقترحت عليه عقد اتفاق

أو معاهدة سرية بين المانيا والعرب، بدلاً من التصريح العلني فقال: «إن اتفاقاً أو معاهدة سرية يعرف بها إشخاص عديدون، لا تبقى سراً مكتوماً، ولا تلبث أن تُعرف، لقد أصدرت في حياتي قليلاً من التصريحات.. على عكس الإنكليز الذين أصدروا تصريحات وقطعوا عهوداً كثيرة، ولم يفوا بها، ولكني إذا أصدرت تصريحاً أو عهداً ما، فإني أفي به، لقد قلت مرة لمارشال فنلندا، بأني سأساعد وطنه إذا هاجمه العدو مرة أخرى، وهذه الكلمة كانت أكثر تأثيراً من أي تصريح خطي.

والخلاصة إنني أريد أن أصرح لكم بما يأتي: عندما نصبح في جنوبي القوفاز، يكون قد حان وقت تحرير العرب، وفي إمكانكم أن تعتمدوا على كلمتي هذه».

كان هتلر يتكلم بقوة وحماسة مع تؤدة ورزانة، وكان في حديثه واضح النبرات، فصيح الالفاظ، ويشدد على مخارج بعض الكلمات، كما يفعل القارئ أو الخطيب العربي، عند لفظه حروف القلقلة، وحينئذٍ يدنو من محدثه متجهاً إليه، محدقاً بعينيه، محركاً يديه وعضلات وجهه، فيشعر المستمع له أنه يعبر عما يعتقده من صميم قلبه.

استمرت مقابلتي لهتلر ساعة وخمساً وثلاثين دقيقة، فلما ودّعته وخرجت، كان يساورني القلق، لأنه لا يرى إصدار تصريح وقطع عهد رسمي للعرب في الظروف الحاضرة، خشية أن يحدث ذلك رد فعل في بعض الأقطار الأخرى، التي لا تريد المانيا إثارتها الآن، بينما كنا في حاجة إلى ما يطمئن الأمة العربية، ويحفزها إلى التعاون مع هذه الجبهة، لذلك لم أشعر بالارتياح إلى هذه النقطة من حديثه، وإن كنت مطمئناً إلى خطته الأساسية، من حيث تصميمه على الكفاح المستمر ضد الصهيونية العالمية وانصارها المستعمرين، وقد كان هتلر مؤمناً بمبادئه، مندفعاً في خطته، ولم يكن منافقاً كبعض من عرفنا من ساسة الإنكليز الذين كانوا يتظاهرون بالتدله في حب الأمة العربية أو أية أمة يريدون اصطيادها، بل كان صريحاً في خطبه السياسية وأحاديثه الخاصة، بأنه لا يهمه إلا صالح الرايخ الالماني، وإنه لا يحب ولا يبغض ولا يبالي بشيء، إلا في سبيل الشعب الالماني، فهو لا يرى في هذا الموقف أن يستجيب إلى مطالبنا بإعلان تصريح وقطع عهد رسمي، لأن ذلك ضار بصالح الشعب الالماني، إذ يحدث رد في بعض الدول كفرنسا وتركيا.

ولذلك لم نر بدأ من المبادرة إلى بحث هذه المشكلة ومعالجة هذه العقبة الكأداء مع المختصين من رجال وزارتي الخارجية الالمانية والايطالية، وعلمنا أن مندوب المانيا السامي في فرنسا الهر «ايبتز» ـ وهو المسؤول عن العلاقات الالمانية الفرنسية ـ من أشد

العناصر المعارضة لإعطاء العهد والتصريح اللذين نطالب بهما، فانتهزنا فرصة قدومه إلى برلين، ودعوناه إلى العشاء مع بعض المختصين بالشؤون العربية والشرقية من رجال الخارجية الالمانية الذين هيأوا لنا هذه الفرصة، وجرى خلال هذه الدعوة حديث طويل، بذلنا خلاله قصارى الجهد في إقناعه بأن صالح المانيا يتطلب ألا تقتصر على إرضاء الأمم المعادية فحسب بل الأولى من ذلك استرضاء الشعوب الصديقة كالعرب، وقد شعرنا حين انصرافه من تلك السهرة الطويلة في منزلنا في «كورمه لانكه» إن حديثنا ترك اثراً حسناً في نفسه وأنه خفف من غلوائه.

ما كان إصرار هتلر على إرجائه إعطاء تصريح رسمي للأمة العربية، أو عقد معاهدة، ليثني عزمنا عن مواصلة السعي للحصول على ذلك، والعمل على تذليل العقبات القائمة في هذا السبيل، ولم نكتف بمراجعة الهر ايبتز، مندوب المانيا السامي في فرنسا، والهرفون وايسزيكر نائب وزير الخارجية الالمانية، والهر فورمن مدير السياسية الخارجية، وغيرهم من كبار رجال السياسة الخارجية في المانيا وإيطاليا، بل أضفنا إليهم سفير اليابان في المانيا الجنرال «اوشيما» الذي عرفناه ليلة احتفال المانيا في الرايشستاغ (مجلس الأمة الالماني) احتفالاً رائعاً بدخول اليابان الحرب إلى جانب دولتي المحور، الذي استهلته بهجومها الخاطف على «بيرل هاربر» في ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١، وقضائها على هذه القاعدة العسكرية المهمة وما فيها من بوارج وسفن حربية وغيرها من قوات امريكية.

وقد شهد هذا الاحتفال هتلر وجميع وزرائه، وكبار قادة المانيا العسكريين، وجميع السفراء، ورجال السلك الدبلوماسي، وقد دعينا لشهود هذه الحفلة التي كان ضيف الشرف فيها، سفير اليابان الجنرال اوشيما، فتعارفنا تلك الليلة.

ثم تبادلت والجنرال اوشيما الزيارات، وطلبت منه بذل جهوده في سبيل حصولنا على ما طلبناه من تصريح وعهد من دول المحور، وكان الجنرال اوشيما من أعظم الذين يعنون بالشؤون الشرقية والعربية من رجال اليابان، فلبى طلبنا في هذا الأمر كما ساعدنا في كثير من المواقف التي سيرد تفصيلها في هذه المذكرات.

وفي تلك الفترة وصل برلين السيد رشيد عالي الكيلاني، فتعاونا على العمل في هذا الشأن، وبذلنا قصارى جهودنا في سبيله، فقدمنا إلى حكومات المحور مشروعات عديدة للتصريح والمعاهدة بين دول المحور والعرب، منها مشروع مؤرخ في ٥ رمضان سنة ١٣٦٠(٢٨ سبتمبر ١٩٤١) ثم شفعناه بمشروع آخر أدخلنا عليه بعض

التعديلات، بعد بحث طويل مع المختصين من رجال وزارة الخارجية، وفيما يلي نص هذا المشروع المقترح على دول المحور لإصدار تصريح رسمي أو معاهدة:

تعلن دولتا المانيا وإيطاليا، بصفة رسمية، عن سياستهما تجاه الأقطار العربية على النحو التالي:

١ ـ تعترف المانيا وإيطاليا باستقلال الدول العربية التي ظفرت باستقلالها فعلاً وهي: مصر، العراق، العربية السعودية، اليمن.

٢ ـ تعترف المانيا وإيطاليا باستقلال الأقطار العربية الموضوعة في الوقت الحاضر تحت الانتداب البريطاني كفلسطين والأردن، أو هي رازحة تحت الحكم البريطاني كالسودان والكويت والبحرين وقطر ودبي والشارقة وأبو ظبي وغيرها من إمارات الخليج ومسقط وحضرموت والمحميات في جنوب اليمن.

٣ ـ تعلن المانيا وإيطاليا انهما لا تعارضان أي عمل تقوم به سوريا ولبنان في سبيل الحصول على استقلالهما الكامل.

٤ ـ تعلن المانيا وإيطاليا بطلان جميع التحفظات البريطانية فيما يتعلق باستقلال مصر والسودان.

٥ ـ لا تثير المانيا وإيطاليا أية اعتراضات في سبيل استقلال الدول العربية استقلالاً تاماً، كالاعتراضات التي يهيئها نظام الوصاية الذي ابتدعته عصبة الأمم والدول الاستعمارية كوسيلة لاخفاء مطامعها الاستعمارية.

٦ ـ تعترف المانيا وإيطاليا بحق الدول العربية في تحقيق وحدتها القومية وفقاً لمصالحها ورغباتها، وتتعهد دول المحور الا تثير اية اعتراضات في سبيل الدول العربية في جهودها لتنفيذ أية خطة تستهدف تحقيق الوحدة العربية.

٧ ـ تعترف المانيا وإيطاليا بعدم شرعية الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وبان لفلسطين وغيرها من الأقطار العربية الحق في حل المشكلة اليهودية في فلسطين وفي البلاد العربية الأخرى بما يتفق ومصلحة العرب.

٨ ـ ليس لالمانيا وإيطاليا في الأقطار العربية أي مأرب أكثر من ان ترى الأمة العربية جمعاء تتمتع بالحرية والاستقرار والرفاهية، وتؤدي دورها التاريخي في هذا العالم، وأن يكون تعاونها الاقتصادي مع دولتي المحور على أساس مصالح الفريقين، وعلى قدم المساواة، وهما تطالبان الدول العربية باحترام

الحالة الراهنة (استاتوكو) في فلسطين وغيرها فيما يتعلق بالشؤون الروحية، وضمان الحرية في ممارسة الشعائر الدينية.

وكان يسبق هذه المشروعات محادثات ومناقشات طويلة، وأخيراً استطعنا بعد نحو ستة أشهر، وفي ٢٨ إبريل ١٩٤٢، ان نحصل بعد موافقة هتلر، على تعهد رسمي من كل من المانيا وإيطاليا موقعاً عليه من فون ريبنتروب وزير الخارجية الالمانية والكونت شيانو، وزير الخارجية الايطالية.

وهذه الترجمة الحرفية لكتاب فون ريبنتروب من اللغة الالمانية إلى اللغة العربية:

التصريح الرسمي من وزير الخارجية الالمانية باستقلال البلاد العربية وإلغاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين

برلين ٢٨ إبريل سنة ١٩٤٢.

وزارة الخارجية - إلى صاحب السماحة السيد محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر.

صاحب السماحة:

جواباً على كتابكم الذي ارسلتموه إليّ هذا اليوم، بالاشتراك مع سيادة رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني، وتأكيداً لمحادثاتي معكم، فاني أتشرف بابلاغكم ما يأتي:

إن الحكومة الالمانية، تقدر كل التقدير، ثقة الأمة العربية في دول المحور وأهدافها، واستعدادها للمشاركة في الكفاح ضد العدو المشترك، حتى يتحقق النصر النهائي، كما أنها تدرك تماماً ما أوضحتموه من الأهداف القومية للاقطار العربية في الشرق الأدنى، التي تقاسي الآلام تحت نير الاضطهاد البريطاني في الوقت الحاضر.

ولذلك فاني أتشرف بأن اؤكد لكم، باتفاق تام مع الحكومة الايطالية، إن استقلال وحرية البلاد العربية المضطهدة الآن تحت الحكم البريطاني، هما هدف من أهداف الحكومة الالمانية.

وبناء على ذلك فان المانيا مستعدة لتقديم كل ما تستطيعه من مساعدة للاقطار العربية في الشرق الادنى الرازحة تحت نير الاضطهاد البريطاني، وأن تعترف بسيادتها واستقلالها، وتوافق على وحدتها، إذا كانت مرغوباً فيها ممن

يعنيهم الأمر، وعلى القضاء على الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

وعلى كل حال، فمن المتفق عليه ان يظل نص هذا الكتاب ومحتوياته سراً مكتوماً، إلى ان يتقرر خلاف ذلك، بتفاهم من الجانبين.

وتفضلوا سماحتكم بقبول أبلغ احترامي الاكيد.

رينتروب

وقد تسلمت كتاباً آخر مماثلاً لهذا النص من الحكومة الايطالية موقعاً من الكونت شيانو وزير الخارجية.

ومن امعان النظر في نص هذا العهد الذي قطع لنا من قبل دولتي المحور يظهر أنهما كانتا تتحاشيان ذكر أي شيء عن قضايا المغرب العربي والشمال الافريقي قاطبة، بدليل أنهما قصرتا العهد على البلاد العربية في الشرق الادنى، خشية غضب الدول الاوروبية التي انشبت مخالب استعمارها في شمال افريقيا، وفي مقدمتها فرنسا واسبانيا، كما أن لإيطاليا نفسها مطامع خاصة في تونس زيادة على احتلالها القطر الليبي.

ولكن جميع ذلك لم يمنعنا من الاهتمام الجدي بقضية المغرب العربي منذ بدء وصولنا إلى أوروبا، وبذل أقصى الجهود في سبيلها.

بعد وصولي إلى برلين بنحو أربعة أسابيع أي في شهر ديسمبر سنة ١٩٤١ زارني الدكتور الشيخ تقي الدين الهلالي واسترعى نظري إلى ضرورة السعي لإنقاذ بطل المغرب الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي من أسر الفرنسيين، ولما كنت أعتبر هذا المجاهد العظيم لا بطل الريف والمغرب فحسب، بل بطل العرب والمسلمين، فقد بادرت بتقديم مذكرة إلى وزارة الخارجية الالمانية بينت فيها ما للأمير الخطابي من مكانة رفيعة في قلوب العرب والمسلمين، وما يكون لإطلاق سراحه من أثر جميل في نفوسهم ورجوت من الحكومة الالمانية المبادرة بإطلاق سراحه، والتعاون معه في هذه الحرب، وأوضحت ما ينتظر ان يكون للتعاون معه من نتائج كبيرة.

ولكني لم أكد اكتب هذه المذكرة وأشرع في مباحثة المختصين من رجال الخارجية الالمانية، حتى لمست معارضة شديدة في ذلك، خشية اغضاب الفرنسيين ولاسيما جماعة حكومة فيشي، وكذلك الحكومة الاسبانية التي كانت أول دولة قاومها الأمير عبد الكريم، وكان الالمان حينئذٍ يخطبون ود اسبانيا، ويبذلون قصارى جهدهم في

استرضائها، ولذلك ابلغونا أنهم لا يستطيعون إثارة هذا الموضوع في الحالة الحاضرة، كما طلبوا إليّ إرجاء البحث في موضوع إطلاق سراح «احرار تونس» السادة: (الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف والشيخ يوسف الرويسي والدكتور تامر ورشدي ادريس وحسين التريكي ورفاقهم)، الذين كانوا معتقلين في سجون فرنسا، إلى فترة أخرى، ولم تكن الفترة أقل من سنة من ذلك التاريخ، سمحوا لنا بعدها بالبحث في موضوعهم فقدمنا مذكرات بشأنهم وأطلقوا بعد ذلك سراحهم.

أما القضية المغربية فقد سنحت الفرصة لإثارتها في أوائل عام ١٩٤٢، بمناسبة ما بلغ الدوائر السياسية الالمانية من اشاعات وارهاصات عن تحفز القوات الأمريكية لاحتلال البلاد المغربية، وقد وصلتني رسائل عديدة من بعض زعماء المغرب الأقصى في هذا الشأن، وقد ذكر أحدهم في رسالته أنباء في غاية الخطورة عن الاستعدادات الخفية التي تبذل في المغرب، للاحتلال الاميركي، وزاد على ذلك تحديد اليوم الذي سيتم فيه نزول القوات الأمريكية على شواطئ المغرب وهو يوم ٨ نوفمبر عام ١٩٤٢، فكتبت بذلك مذكرة إلى وزارة الخارجية الالمانية، شرحت فيها الأنباء كما وصلت إليّ، وحذرتها من المفاجأة المتوقعة، ولكن وزارة الخارجية على ما يظهر لم تابه بذلك، وظنت أن هذه الأنباء إنما هي إشاعات لا أساس لها، ومضى على ذلك بعض الوقت فسافرت إلى روما.

ولم ينقض على ذلك وقت طويل حتى وقع الاحتلال الأمريكي في اليوم المحدد الذي ذكرته، وإذا بكبير من رجال الخارجية الالمانية يطير إلى روما ويزورني في بيتي، ويعلمني انه جاء خصيصاً من برلين لمقابلتي، ويسألني كيف استطعت معرفة اليوم الذي وقع فيه الاحتلال الاميركي، فقلت له:

انما اطلعت على ذلك من الرسالة التي وصلتني من المغرب، كما جاء في مذكرتي إلى وزارة الخارجية، وشعرت من ذلك الحين أن الالمان بدأوا يهتمون بمذكراتي عن الشمال الافريقي، فانتهزت الفرصة وطلبت إليهم أن تعمل دول المحور على التعاون مع المغرب العربي كله، أي (المغرب الأقصى والجزائر وتونس)، على صد الحملة الأمريكية التي صحبتها رائحة الصهيونية واليهودية العالمية، التي بادر زعماؤها، وفي مقدمتهم الدكتور وايزمن، باظهار الفرح والاستبشار باحتلال هذه البلاد، وصرح وايزمن بأن الجزائر التي يقيم فيها نحو مائة وأربعين الفاً من اليهود، «إنها هي الجسر الموصل بين نيويورك والقدس». وكان محافظ نيويورك اليهودي الشهير «لاغوارديا» قد رافق الحملة الأمريكية مديراً للتموين.

وذكرت للالمان ان التعاون مع المغرب العربي لا يكون إلا بتحرير المغرب العربي كله، واطلعتهم على بعض الرسائل التي وردت إليَّ حينئذٍ من بعض زعماء تلك البلاد الشقيقة.

وتطورت المحادثات والمذكرات التي قدمتها إلى وزارة الخارجية حتى أصبح لها ملف ضخم، وكان من أهمها مذكرة قدمتها في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤٢ شرحت فيها مطالب عرب المغرب بما خلاصته:

أن تقوم دول المحور:

١ ـ بتحرير المغرب العربي المؤلف من الريف والمغرب الأقصى والجزائر وتونس، والاعتراف باستقلاله وسيادته، ووحدته.

٢ ـ تعقد الدولة المغربية المتحدة المستقلة معاهدة مع دول المحور، وتصبح حليفة لها على قدم المساواة والتعاون المتبادل.

٣ ـ بموجب هذه المعاهدة تقدم دول المحور إلى جيش الدولة المغربية كل ما يحتاج إليه من أسلحة وذخائر ومهمات.

٤ ـ بما ان عدد سكان هذه البلاد المغربية يناهز خمسة وعشرين مليوناً، ففي الإمكان أن يصبح مقدار ما تستطيع تجنيده بنسبة ١٠٪ (وهي النسبة المعروفة لجميع الجيوش)، حوالي المليونين ونصف المليون من الجنود الممتازين بالشجاعة والصبر، والمشهورين بتاريخهم الحربي المجيد ووقائعهم المشهودة كمعركة فردون وغيرها.

٥ ـ يتعاون هذا الجيش المغربي مع جيوش المحور، في صد العدوان عن الشمال الافريقي.

٦ ـ إن اعتراف دول المحور باستقلال المغرب وتعاونها مع الدولة المغربية المستقلة، سيؤدي حتماً إلى انهيار القاعدة العسكرية التي أرتكز عليها الحلفاء في خططهم الحربية في الشمال الافريقي وعلى شواطئ البحر الابيض الإفريقية، لأن الجنود العرب المغاربة المجندين في الجيوش الإفريقية سينحازون إلى جانب المحور ويحاربون في صفوفه. وحينئذٍ يضطر الحلفاء إلى جلب جنود لهم من أماكن نائية كأمريكا والامبراطورية البريطانية، وذلك يكبدهم نفقات طائلة ومشقات عظيمة في نقلهم ونقل مؤونتهم ولوازمهم، وجميع احتياجاتهم.

وقدمت بعد ذلك بشهرين مذكرة أخرى مؤرخة في ١٦ يناير سنة ١٩٤٣ بشأن المغرب.

توالت بعد ذلك مذكراتنا للحكومة الالمانية بشأن قضية المغرب العربي، وعنيت الحكومة بدراستها، كما رحبت بها الدوائر العسكرية والحزب النازي بصورة خاصة، لكن وزارة الخارجية الالمانية رأت ضرورة مشاورة دول المحور خاصة، والدول الأخرى التي يعنيها الأمر عامة، وعهدت بذلك إلى الدكتور «بروفر» وكيل وزارة الخارجية للشؤون الشرقية وكان «بروفر» هذا من كبار الساسة الالمان المطلعين على شؤون الأقطار العربية والإسلامية، حتى ان حكومة الهند الحاضرة استعانت به عقب انتهاء الحرب، فظل يعمل لديها بضع سنين، وهو يتكلم اللغات العربية والتركية والفارسية وكان وزيراً مفوضاً لالمانيا في مصر.

ولقد التقيت بالدكتور بروفر كثيراً لبحث هذا الموضوع، واتفقنا على الاجتماع في يوم محدد كل اسبوع ليطلعني على نتائج مخابراته، وبعد ثلاثة أشهر كانت النتائج الآتية كما لخصها لي:

إن حكومة الرايخ الالماني الحاضرة ترحب بالفكرة لأنها تتفق ومبادئها وخططها ومصلحة الرايخ، فالسياسة الالمانية الراهنة لا ترمي إلى الاستعمار خارج أوروبا لأنها في دراستها العميقة لأسباب انهيار الامبراطوريات الكبرى، أيقنت أنها إنما كانت بسبب ترامي أطرافها، وتباعد أجزائها عن مركزها، مما أدى إلى ضعف قلبها فانهيارها، ولذلك فإن السياسية الالمانية اليوم تستهدف التوسع في داخل أوروبا كبولونيا وأوكرانيا، وبلاد البلطيق وليس في برنامجها قط الاستعمار في افريقية أو آسية، بعكس الدول الاوروبية الاستعمارية التي ترى شمال أفريقية أقرب مناطق الاستعمار إليها.

ولذلك فان هذه الدول عارضت بشدة تأليف الدولة المغربية الكبرى المقترحة، ورغم أن المانيا ترى في ذلك مصلحة لها، وقوة عسكرية ذات شأن تعضدها في الحرب الحاضرة، فانها لا ترى من صالحها ان تتحدى جميع هذه الدول، ومنها إيطاليا، وفرنسا، واسبانيا، والبرتغال وبلجيكا (ولم يذكر إنكلترا لأنها كانت في صفوف الأعداء) لأن لهذه الدول مستعمرات ومصالح كثيرة تدعيها في القارة الإفريقية، فهي تخشى من تأليف الدولة المغربية الموحدة أن يؤثر على مصالحها ويهدد استعمارها بالزوال.

ولما ذكرت للدكتور بروفر، ان المغرب العربي مصمم على نيل استقلاله على كل حال، وإنه لا يبالي في سبيل هذه الغاية أن يبذل كل ما في وسعه، وأن يركب أي مركب صعب، وقد تتطور الأمور فيتعاون في سبيل استقلاله مع الشيوعية، أجابني قائلاً: أن هذه الدول الاوروبية ترى أن الإسلام أشد خطراً عليها من الشيوعية، لأن الشيوعية تمكن معالجتها وصد خطرها برفع مستوى المعيشة في الشعوب وتوزيع العدل الاجتماعي، وغير ذلك من الوسائل، بينما ترى هذه الدول في الإسلام عقيدة زاحفة يخشى خطرها على أوروبا التي نخرت المدنية الفاسدة عظامها، واضعفت نواحيها الخلقية والروحية والعسكرية، فهم يخشون إذا تألفت هذه الدولة المغربية المتحدة أن يكون لها شأن عظيم، ويتوهمون أنها لا تلبث أن تثب على أوروبا مرة أخرى ويعيد التاريخ نفسه.

وقد حدث خلال فترة مشاورة المانيا للدول الاوروبية بشأن مشروع الدولة المغربية الموحدة أن زارني الاميرال «كاناريس» الرئيس العام للمخابرات في الجيش الالماني، في بيتي في برلين، واقترح عليّ ان نسافر معاً إلى تونس ثم إلى غيرها من أقطار المغرب العربي لمقابلة زعمائها، فقلت له لا أستطيع ذلك إلا بعد أن توافق الحكومة الالمانية على مشروع تأليف الدولة المغربية بصورة رسمية، فنذهب عندئذٍ معاً للعمل على عقد المعاهدة الالمانية المغربية، كما حدث في تعهدكم الرسمي لنا بشأن الأقطار العربية الشرقية.

وحدث بعد ذلك أن زارني الاميرال «كاناريس» مرة أخرى ولكنه جاء هذه المرة إلى روما ومعه الجنرال «لاهوزن» والاميرالاي مايار ريكز، وجنرالان من الجيش الايطالي، وجلسوا معي جلسة طويلة في «فيلا كولونا» وحاولوا حملي على توقيع رسالة بالموافقة على إرسال القوات العربية التي دربها الجيشان الالماني والايطالي إلى تونس للاشتراك في الحرب، فلم اوافق على طلبهم رغم الالحاح والضغط الشديد، وبينت لهم أن دول المحور لم تقطع عهداً للمغرب العربي بالاستقلال، فلا نستطيع أن نخدع إخواننا هناك. أما إرسال هذه القوات إلى الشرق العربي فإني أوافق عليه بعد أن قطعتم لنا عهداً رسمياً باستقلال تلك الأقطار.

ولمناسبة الحديث عن كاناريس، فقد سبق له أن دعانا إلى منزله في أواخر عام ١٩٤٢، ودعا أيضاً السيد رشيد عالي الكيلاني وكثيرين من رجال الحكومة الالمانية، وكان كاناريس لطيفاً رقيقاً في دعوته وأحاديثه.

وكان كاناريس ارستقراطي النزعة ولا يحب هتلر، كما كان ميالاً إلى أن تكون المانيا مع دول الحلفاء ضد روسيا.

وقد أتهم كاناريس بخيانة المانيا لأنه أحبط جهود هتلر لإدخال اسبانيا في الحرب إلى جانب المانيا عام ١٩٤٠ وكان هتلر حريصاً على ادخالها، ولكن كاناريس نصح فرانكو سراً بأن لا يدخل الحرب، وأن يطلب من هتلر مطالب باهظة مقابل دخوله الحرب، كما أتهم كاناريس بأنه كان سبب زج المانيا في محاربة روسيا.

ولقد حوكم كاناريس وأعدم في بلدة فلوسنبورغ قبل انتهاء الحرب بنحو اسبوعين وذلك في شهر إبريل من عام ١٩٤٥.

* * *

عندما قامت حركة العراق عام ١٩٤١، تقدم عدد من الطلاب العرب في المانيا للتطوع، فلبت الحكومة الالمانية طلبهم وشرعت في تدريبهم، فلما وصلنا إلى برلين، شجعنا هذه الفكرة وطلبنا من الالمان توسيع نطاق هذه العملية حتى تنتظم جميع العرب في بلاد المحور، وقد حدث في ذلك الحين ان عدداً من العرب الذين أخذهم الإنكليز ليكونوا عمالاً في اليونان، وقعوا أسرى في أيدي الالمان، وكان معظمهم من الفلسطينيين، فاتفقنا مع السلطات الالمانية على إخراجهم من معتقلات الاسرى، إلى ميادين التدريب العسكري، وكان الالمان قد أنشأوا في اليونان مدرسة حربية تخرج منها نحو مائتي ضابط، كما أنشأوا ميادين تدريب لتخريج ضباط صف، وأقاموا دورة خاصة في «دنهاك» (لاهاي) بهولاندا لتدريب نحو ستين من الشبان العرب على أعمال «المغاوير» الفدائيين وعمليات النسف والتفجير، ولما انتهت هذه الدورة وتخرجوا منها، تلتها دورات أخرى، في مناطق عديدة للتدريب على أعمال المغاوير واللاسلكي، وعلى مختلف الأسلحة، تخرج منها عدد كبير من شبان العرب في معسكرات المانيا وإيطاليا، كانوا هم النواة الأولى لتكوين قوات عسكرية عربية في بلاد المحور.

واذكر، لهذه المناسبة، أن «الجنرال فيلمي» الذي كان قائداً للجيش الالماني في البلقان كان يشرف على هذه المدرسة التي انشأها الالمان في اليونان، وكان على اتصال بنا ويزورنا بين حين وآخر لاستشارتنا في شؤون الطلاب العرب وحل المشاكل الكثيرة التي تنشب بينهم.

وفي إحدى زياراته تناول الحديث شؤون الطلاب العرب الذين يتدربون في تلك المدرسة وهم نحو ٢٠٠ شخص، فشكا الجنرال من المتاعب التي يثيرها الطلاب العرب

في المدرسة والخلافات القائمة بينهم وقال: إن تحت قيادتي مئتي ألف جندي، ولكنهم لا يسببون لي من المتاعب بقدر ما يسببه مئتا طالب عربي في هذه المدرسة!

لقد جاء القائد الالماني، مع الأسف، معبراً عن حقيقة واضحة، وواقع أليم، فان ما أشتهر به العرب من الخلاف والنزاع فيما بينهم، جماعات وافراداً، قد سبب لهم كثيراً من المتاعب والمصائب، وقعد بهم عن بلوغ غايات كثيرة عظيمة الأهمية في ماضي تاريخهم وحاضرهم، وحبذا لو اقلع العرب عن غلوائهم في المنازعات والخصومات وعمدوا إلى حل مشاكلهم بالحسنى تخلقاً بالأخلاق الكريمة وعملاً بالآية الشريفة: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾.

ولقد كان في تأليف هذه القوات العربية خير جواب على ما جاء في مذكرات مستر تشرشل في موضوع تأليف الفيلق اليهودي، إذ يقول: (لقد نصحني ويفل بعدم تشكيل ذلك الفيلق اليهودي خوفاً من إثارة شعور العرب، ولكني تحديت ويفل وكتبت إلى الدكتور وايزمن بالسماح بتشكيل الفيلق، ولم ينبح كلب عربي واحد...).

ولقد بلغ مسامعنا حينما كنا في المانيا تصريح أصدرته بريطانيا عن إنشاء هذا الفيلق اليهودي، كما بلغنا ما يقوم به اليهود من الاستعداد الحربي واعمال التدمير والنسف في فلسطين، وللرد على ذلك بذلنا قصارى جهودنا لمضاعفة التجنيد والتدريب والاستعداد للمعركة التي كنا نتوقعها بين العرب واليهود في فلسطين بعد أن تضع الحرب أوزارها وبعد مراجعات عديدة بواسطة الهر هملر، وافق الزعيم هتلر على مساعدتنا في المعركة المقبلة في فلسطين، فقررت الحكومة الالمانية إنشاء فيلق عربي، وقد أعلن هذا القرار يوم ٢ نوفمبر ١٩٤٤، في الاجتماع الذي عقد في برلين لمناسبة ذكرى وعد بلفور المشؤوم، كما وافقت على مساعدتنا بالسلاح في المعركة المقبلة وأعدت مستودعاً كبيراً لهذا الغرض من الأسلحة الخفيفة الممتازة الخاصة بحروب العصابات التي توصل الالمان إلى اختراعها بعد ابتلائهم بحروب العصابات في البلقان وروسيا ولاسيما في يوغوسلافيا، وقد شهدنا التجارب التي أجريت لجميع هذه الأسلحة، كما وضعت السلطات الالمانية تحت تصرفنا عدة طائرات كبيرة من ذوات المحركات الأربعة لنقل هذه المواد الحربية إلى فلسطين لإيداعها مستودعات سرية ولتدريب المجاهدين الفلسطينيين عليها ليكونوا على استعداد للمعركة المرتقبة، وقد عهد بتنظيم هذه العملية وتنفيذها إلى الهر «شولنبرغ»

الشهير الذي كان ساعد «هملر» الايمن كما عهد إلى ضابطين من مجاهدي فلسطين وثلاثة ضباط من الخبراء الالمان بالسفر في الطائرة الأولى التي أرسلت إلى فلسطين مع شحنة نموذجية من هذه الأسلحة والمعدات، وللبدء في تنفيذ الخطة التي كانت مقتصرة على تخزين هذه الأسلحة والذخائر، وتدريب المجاهدين الفلسطينيين عليها، والاتصال اللاسلكي لإرسال بقية الشحنات واستقبالها، وتجنب الاصطدام والاحتكاك بالسلطات البريطانية خلال الحرب والاقتصار على الاستعداد إلى ما بعد الحرب العالمية.

وقد سافرت الطائرة الأولى فعلاً ووصلت إلى فلسطين وهبط ركابها الضباط البواسل بالمظلات من ارتفاع ألفي قدم في «اريحا» بقرب القدس (وسيأتي تفصيل ذلك في مكانه من هذه المذكرات)، وكنا حريصين كل الحرص على نجاح هذه الخطة لأن الأسلحة التي أعدت لمعركة فلسطين كانت مؤلفة من عشرات الالوف من البنادق والرشاشات والأسلحة الخفيفة الملائمة لحروب العصابات في جبال فلسطين، ومن كمية كبيرة من المهمات والذخائر، وهذا عدا كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر ادخرت في جزيرة «رودس»، وأخرى وعددها ثلاثون الفاً من البنادق والرشاشات ادخرت في الأراضي الليبية تمهيداً لنقلها إلى ميدان فلسطين.

ولم تقتصر أعمال التجنيد والتدريب في بلاد المحور، على العرب، بل تجاوزتهم إلى أهل البوسنة والهرسك وغيرهما من مسلمي يوغوسلافيا الذين كانوا خلال الحرب عرضة لمجازر وحشية اوقعتها فيهم عصابات (الشتنيك) الصربية حتى بلغ عدد القتلى منهم مائتي ألف نسمة، وكذلك قمنا بمساع حثيثة لدى السلطات الالمانية حتى اعترفت باستقلال (البانيا) ووافقت على تأليف قوات عسكرية من أهلها لحمايتها، ومن الأعمال الناجحة التي وفقنا إليها، السعي لاستقلال إندونيسيا بمساع بذلناها لدى حكومة اليابان، (وسيأتي تفصيل هذه الأمور كلها في مكانها الخاص من هذه المذكرات إن شاء الله).

* * *

كان لـهملر في المانيا شأن عظيم، فهو رئيس الحرس الوطني، ووزير داخلية الرايخ، والقائد العام لفرق الـ S.S الشهيرة، وكان يشرف على شؤون الأمن العام والغستابو والمخابرات العامة في الرايخ الالماني والأقطار الاوروبية التي احتلتها الجيوش الالمانية خلال الحرب وكانت القوات المسلحة التي تحت ادارته تربو على المليون، من

الجنود الممتازين، وقد قابلت هملر مراراً فاعجبت بذكائه ودهائه وسعة اطلاعه.

وكنت خلال اقامتي في المانيا أُدعى سنوياً إلى مقر هملر حيث كان مقره خلف الجبهة الحربية مباشرة بجوار هتلر، فكان الجنرال ـ برغر ـ مساعد هملر في قيادة قوات ـ اس. اس ـ يدعونا إلى العشاء عنده في القيادة الساعة السابعة مساء، وبعد العشاء مباشرة نركب قطاراً يتجه بنا إلى ناحية مخالفة للجهة التي ننوي السفر إليها، وبعد أن يقطع مسافة، يبدل اتجاهه في إحدى المحطات إلى مقر هملر وكان في الأكثر في بروسيا الشرقية، فنصل إليه بعد ظهر اليوم الثاني، فنقضي في ضيافته يوماً وليلة أو يومين نلتقي خلالها في مواعيد الغداء والشاي والعشاء عدا اللقاءات الخاصة، وقد لحظت ان بعض ضباط الحرس عنده، ينقلبون أثناء الطعام إلى خدمة المائدة فيلبسون ثياب ـ الغارسونات ـ ويقدمون الطعام على مائدته، حرصاً على أن لا تلتقط أثناء الطعام كلمات أو بحوث قد ينقلها المستخدمون العاديون.

وكان هملر يستقبلنا بترحاب وبشاشة لا يتفقان مطلقاً مع سمعته التي تتردد في الخارج، وحينما يسمع المرء أحاديث هملر في السياسة، أو التاريخ، أو غير ذلك من العلوم، لا يسعه إلا أن يعجب به، وعند الطعام لا يكون على مائدته أي شراب من الاشربة الكحولية، وقد رأيت مرة على مائدته شراباً أزرق اللون، فلما رآني أنظر إليه بادرني بقوله: لا تقلق فإننا لا نستعمل الكحول أبداً، إنه شراب الفرامبواز (أي التوت البري) نحن مثلكم لا نشرب الخمور...

وكانت معظم أحاديثنا معه تدور حول السياسة العامة العربية والإسلامية، وبصورة خاصة حول الفرقتين البوشناقيتين اللتين ساهمنا في تشكيلهما لحماية المسلمين البوشناق في ولايتي البوسنة والهرسك، الذين تعرضوا لمجازر وحشية من قِبل العصابات الصربية، وحول الفرقة الثالثة التي ساهمنا في إنشائها في البانيا.

ورغم الحالة الحربية الخطيرة التي كانت تغمر المانيا خلال الحرب العالمية الثانية، كنا نصادف في مقر هملر كثيراً من العلماء والباحثين، وبعض قادة الجيش الالماني.

فقد صادفنا عنده مرة جنرالاً المانياً شاباً كان قائداً لفرقة الفرسان الوحيدة التي بقيت تحارب على الخيول، لأن سائر فرق الفرسان انقلبت إلى فرق دبابات، أما هذه فقد استبقوها لمقاومة فرق الفرسان القوزاق الروسية، وحينما عرفونا بقائد هذه الفرقة، قالوا لنا انه اصغر جنرال سناً في الجيش الالماني، وكان مرحاً مهذباً مثقفاً واسع الاطلاع في شؤون الفروسية وانواع الخيول، فذكر الفروسية عند العرب والخيول

الاصيلة العربية، وما يشعر به الفارس من العزة والخيلاء وهو على صهوة جواده وعندئذٍ ذكرت له البيت العربي المعروف للمتنبي:

أعزُ مكانٍ في ألدُّنيا سرجٌ سابحٍ وخيرُ جليسٍ في الزمان كتابُ

ثم وصف المعارك التي تخوضها فرقته ضد القوزاق الروس الذين اثنى على فروسيتهم، والأخطار التي يتعرض لها رعيل الفرسان أثناء الهجوم وقال: إن على الفارس المقتحم ان يوجه جواده نحو الهدف بشجاعة، وإذا أحتدم القتال وقابل طلقات الرصاص التي تشبه وابل المطر فعليه أن يغمض عينيه لفترة أثناء اقتحامه إلى أن تصطدم الخيل بخيل العدو فيستعمل حينئذٍ السيف والمسدس، ومهما كانت المعركة شديدة الخطر إلا أن النصر على الأعداء يعوضه عن كل المتاعب والمخاطر كما إن صهيل الخيل حينئذٍ يرن في أذنه كأبدع الانغام فيشعر بنشوة لذيذة من العزة والفخر، فقلت له حينئذٍ: إن وصفك هذا يذكرني ببيت شعر عربي قديم:

أطْيَبُ الطيِباتِ قَتْلُ الاعادي وأختِيالٌ على ظُهورِ الجيادِ

فلما ترجم له المعنى أُعجب به كثيراً، وبعد تفكير قال لا ريب في أن هذا من أطيب الطيبات ولكن أسمح لي ان أقول ان هنالك شيئاً هو من طيبات الحياة وهو لقاء الحبيب، قال ذلك بخجل معتذراً، فقلت له أن البيت الذي ذكرته لك آنفاً يليه بيت آخر من نفس القصيدة ولكني لم اشأ ان أذكره لك وهو:

وحَبيبٌ يأتي على غيرِ وعدٍ وحبيبٌ يأتي على مِيعادِ

فدهش لذلك كثيراً.

وحينئذٍ تحدث هملر مثنياً على علو كعب العرب في الفروسية والشعر.

وفي إحدى جلسات الشاي على شاطئ بحيرة هناك، أستعرض معنا بعض السيارات البرمائية التي تسير كالسيارات العادية، فإذا وصلت الماء، استعمل سائقوها بعض الآلات فتتحول السيارة إلى زورق بخاري يخوض عباب الماء، بعد أن ترتفع العجلات إلى أعلى الزورق الذي تبرز في مؤخرته دفة الزوارق المعروفة.

ومن أحاديث هملر الطريفة التي سمعتها في إحدى الزيارات قوله أثناء بحثه عن تاريخ المانيا، ان الحروب الدينية السالفة بين الكاثوليك والبروتستانت في القرون الوسطى المظلمة أطاحت بالشعب الجرماني، كحروب المائة عام، وغيرها من الحروب،

فقد خفضت عدد الشعب الالماني من خمسة وثلاثين مليوناً، إلى خمسة ملايين.. وإن الشعب الألماني المحارب الشجاع كان دائماً أكثر شعوب أوروبا خسائر في هذه الحروب، ثم قال: لقد كان هناك فرصتان لنا ولأوروبا قاطبة للنجاة من هذه المذابح، ولكنا اضعناهما، أما الأولى فحين الزحف العربي من الغرب (من الاندلس) واما الثانية فحين الزحف العثماني من الشرق، ومن المؤسف أن الشعب الالماني في كلا الزحفين كان له النصيب الأكبر في صدهما، وفي حرمان أوروبا من النور الروحي والحضارة الإسلامية الزاهرة.

وفي مناسبة أخرى كنت أبدي استغرابي من تشويه الاخبار وقلب الحقائق، وضربت على ذلك مثلاً حادثاً وقع في برلين تحت أبصارنا، ولكن الاذاعات الأجنبية نقلته مخالفاً كل المخالفة للحقيقة والواقع، وقلت: كيف يكتب الناس التاريخ إذن؟

فقال: نحن لا نبالي بهذه الاذاعات التي تقلب الحقائق، فإنه لا يكتب التاريخ إلا الغالب المنتصر، يكتبه كما يشاء، وأن ابرع الناس في قلب الحقائق وتحريف الكلام هم اليهود، فان المؤرخين المحققين يؤكدون ان نيرون لم يكن ظالماً جباراً احرق روما ووقف ضاحكاً مبتهجاً بمشاهدتها وهي تحترق، بل كان في الحقيقة من خيرة اباطرة الرومان، لكنه كان الخصم الالد لليهود في ذلك العهد فشوهوا سمعته كذباً وافتراء.

وفي مناسبة أخرى وصف هملر الخلق اليهودي وقسوة قلوب اليهود في معرض حديثه عن يهود هولندا فقال: «حينما أخذنا جميع يهود هولندا إلى المعتقلات باستثناء عدد منهم سبقت لهم خدمات لألمانيا وجيشها، أختفى بعضهم فلم نستطع العثور عليهم إلا بعد أن أعلنا أننا ندفع عشرة فلورينات (وهي العملة الهولندية) لكل من يدلنا على يهودي مختف، فعندئذٍ تقدم الينا كثيرون يدلوننا عليهم طمعاً في هذا المبلغ الضئيل، ومن العجب أنه لم يكن بين هؤلاء الدالين هولندي واحد، لقد كانوا جميعاً يهوداً واشين بابناء جلدتهم....»

وقد كنت أسمع من هملر كل مرة ما يدل على شدة حقده على اليهود، يتهمهم بأنهم ظالمون، ويزعمون أنهم مظلومون، ويقول أنهم موقدو نيران الحروب، وأنانيون ونحو ذلك، ويبين مقدار الأذى الذي انزلوه بالمانيا في الحرب الماضية، وأنهم دائماً يوقدون نار الحرب ثم يستغلونها لمصالحهم المادية، دون أن يخسروا فيها أي شيء، ولذلك فإننا صممنا في هذه الحرب على ان نذيقهم وبال اعمالهم مقدماً، فقد أبدنا حتى الآن حوالي ثلاثة ملايين منهم. (وكان حديثه هذا في صيف عام ١٩٤٣)

فاستغربت هذا الرقم ولم أكن أعلم شيئاً عن ذلك من قبل، وقد سألني هملر، لهذه المناسبة، كيف تفكرون في تصفية القضية اليهودية في بلادكم؟ فأجبته: إننا لا نريد منهم الا ان يعودوا إلى البلاد التي جاؤوا الينا منها، فقال: لن نسمح لهم بالعودة إلى المانيا أبداً.

وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩٤٣ عقدنا اجتماعاً كبيراً في برلين لمناسبة ذكرى وعد بلفور المشؤوم في دار «اللوفت وافه» (أي سلاح الطيران)، وقد شهده عدد كبير من زعماء الالمان وقواد الجيش وألقيت في الاجتماع كلمة عن الظلم البريطاني الغاشم بإعطاء وعد بلفور وتنفيذ هذه السياسة الظالمة التي لم يعرف لها نظير في التاريخ، فإن إنكلترا لم تكتف باحتلال بلادنا بل وهبتها لآخرين وعملت على اخراجنا منها.

وفي هذا الاجتماع تلقينا برقية من هملر تدل على ما في قلبه من حقد على اليهود وعطف على العرب، وهذه ترجمتها إلى العربية:

«إلى المفتي الأكبر أمين الحسيني

لقد كتبت الحركة الوطنية الاشتراكية، على علمها، منذ نشوئها، الكفاح ضد اليهودية العالمية، ولذلك فقد كانت تتابع دائماً، وبعطف خاص، كفاح العرب المحبين للحرية، ولاسيما في فلسطين، ضد اليهود الدخلاء، وإن تقدير مبلغ خطر هذا العدو، والكفاح المشترك ضده، يؤلفان أساساً متيناً للحلف الطبيعي بين المانيا الوطنية الاشتراكية الكبرى وبين المسلمين المحبين للحرية في العالم بأسره.

واني، بهذا الشعور، ولمناسبة تصريح بلفور المشؤوم، ابعث اليكم بتحياتي القلبية لكفاحكم الموفق حتى النصر النهائي».

«هاينريش هملر»

وفي صيف عام ١٩٤٣ افضى إليّ بنبأ أكد لي أنه لم يطلع عليه أكثر من عشرة اشخاص من المسؤولين في الرايخ الالماني، وهو اختراع القنبلة الذرية التي ستضمن النصر لهم، وأضاف قائلا: إننا نعلم ان الحلفاء شرعوا أيضاً في إعداد قنبلة ذرية لهم، ولكننا سبقناهم بثلاث سنوات، وسنصل إلى النتيجة قبلهم.

واثناء إقامتنا بأوروبا خلال الحرب، اجتمعنا مرتين بالوزير «روزنبرغ» الذي كان يسمى فيلسوف الحزب النازي، وقد وجه الينا دعوة لزيارة معهد الدراسات الإسرائيلية

في «فرانكفورت» في ١٢ إبريل ١٩٤٣، فمكثنا هناك ثلاثة أيام اطلعنا خلالها على أعمال ذلك المعهد الذي كان يضم نحو خمسمائة من العلماء والباحثين والموظفين والكتاب والمترجمين، وسيرد ذكر ما شاهدنا في هذا المعهد من وثائق وخرائط وبحوث ودراسات، ومباحثاتنا مع رئيسه الدكتور «ريشتهوفر» في محله الخاص من هذه المذكرات.

وزرنا أيضاً معسكرات الشباب الهتلري ومكثنا أياماً في زيارتها ودراسة انظمتها ومشاهدة تدريباتها الرياضية والعسكرية في الارياف واعالي الجبال وسط الثلوج، واعجبنا بنظام التدريب العسكري المحتم على كل الماني دون استثناء، فان كل شاب لا بد له من الحصول على شهادة تدريب عسكري لمدة عام قبل حصوله على اية وظيفة في دوائر الحكومة أو الشركات، وبدونها لا يقبل في الجامعات ولا المعاهد العلمية.

وحبذا اتخاذ مثل هذا النظام في جميع الأقطار العربية ليكون جميع القادرين فيها جنوداً مدربين جاهزين للدفاع عند الحاجة، فإن أكثر أمم العالم يتبع اليوم هذا النظام الذي نحن أحوج إليه من كل واحد.

وخلال الحرب حدثت أحداث خطيرة أخرى كالمحاولة التي قامت بها اليهودية العالمية عام ١٩٤٤ لتهجير يهود شرق أوروبا إلى فلسطين، وموافقة المانيا على ذلك، كما يفعلون اليوم بمحاولتهم حمل الدول الشرقية كروسيا ودول البلقان وشرق أوروبا على تهجير من فيها من اليهود إلى فلسطين المحتلة، وقد قاومنا هذه المحاولة فكتبنا إلى ريبنتروب وهملر وهتلر، ثم إلى حكومات إيطاليا وهنغاريا ورومانيا وبلغاريا وتركيا وغيرها واستطعنا إحباط هذه المحاولة، مما جعل اليهود يرمونني بتهم فظيعة ويحملونني مسؤولية القضاء على أربعمائة ألف يهودي لم يستطيعوا الهجرة إلى فلسطين حينئذٍ، ويطالبون بمحاكمتي في «نورمبرغ» كمجرم حرب (مما سيرد ذكره في مناسبات أخرى من هذه المذكرات مع نصوص الكتب المتبادلة وصور بعضها الفوتوغرافية).

وسيرد في مكان آخر من هذه المذكرات حوادث كثيرة وخطيرة شاهدتها حينئذٍ كالغارات الجوية الهائلة على برلين وسائر المانيا، واصابة بيتي مراراً بالتصدع والهدم والحريق واستشهاد فريق من رفاقنا وفي مقدمتهم المرحوم الدكتور مصطفى الوكيل الذي قام بدور عظيم في مساعدتنا على الاتصال بمصر أثناء الحرب، والخطط التي تم الاتفاق عليها بين المانيا ومصر لمكافحة الاستعمار البريطاني والقضاء عليه، والصور الفوتوغرافية للرسائل الرسمية المتبادلة حينئذٍ، ثم الأسباب الخفية للصراع الهائل بين

المانيا واليهود، وما كان لمشروع الوطن القومي اليهودي بفلسطين من أثر كبير على ذلك منذ الحرب العالمية الأولى، وغير ذلك من الحوادث الخطيرة، كالايام الاخيرة التي سبقت انهيار المانيا ودول المحور، وكالمؤامرة التي دبرت لاغتيال هتلر، ثم خروجنا منها في آخر يوم إلى سويسرة، واعتقالنا في فرنسا، ثم خروجنا منها، وما تلا ذلك من أحداث عظيمة ومآس أليمة، وعبر بالغة، وكذلك لا بد من سرد الادوار التي مرت بها القضية الفلسطينية منذ أول عهدها، وجهاد شعبها، وكل ما يمس تلك الحوادث التاريخية من وقائع وعبر، وسترد بالتفصيل في ظروف ومناسبات أخرى ان شاء الله.

المساهمة في نصرة مسلمي البوسنة:

قبل الحديث عن المساعي التي قمنا بها في بلاد المحور لتجنيد وتدريب أهل بوسنة وهرسك وغيرهما من مسلمي يوغوسلافيا ليدفعوا عن أنفسهم اذى العصابات الصربية التي اوقعت مذابح وحشية في مسلمي يوغوسلافيا خلال الحرب العالمية الثانية حتى أربى عدد القتلى منهم على مئتي ألف نسمة، نرى من المفيد ان نورد هنا خلاصة تاريخية عن سكان تلك البلاد وتعدد عناصرها وأديانهم، وكيف اعتنق الإسلام فريق منهم، وشدة الحساسية الدينية في تلك الاقاليم من البلاد الاوروبية.

كان عدد مسلمي يوغوسلافيا في الحرب العالمية الأولى مليونين، أما الآن فقد ازدادوا إلى نحو مليونين ونصف مليون، وهم ينتمون إلى ثلاثة اجناس: السلاف (الصقالبة) والالبان، والترك، فالسلافيون منهم يقطنون المنطقة الوسطى من يوغسلافيا وهي بوسنة وهرسك وسنجاق يني بازار وهم نحو ثلث عدد السكان ويقارب عددهم مليونا وربع مليون، أما الالبان فيقطنون المناطق المجاورة لدولة البانيا، (وهي مقدونيا ومقاطعة قوصوه - متوخيا)، وأما الترك فهم في أقصى الجنوب المتاخم لليونان، ويصعب تحديد عدد المسلمين الأتراك والالبان والسلافيين في سنجاق يني بازار لأنهم اخذوا يغادرون وطنهم مهاجرين إلى تركيا بعد الحرب العالمية الاخيرة.

ويرجع تاريخ توطن الشعوب السلافية في البلقان إلى القرن السادس الميلادي عندما احتشدت قبائل سلافية في الضفة الشرقية من نهر الدانوب آتية من جنوب روسيا وأخذت تجتاز النهر للنهب والسلب، ولما عجزت الدولة البيزنطية عن صد جموعهم المتدفقة إلى أراضيها لانهماكها في محاربة العرب الذين انتشروا فاتحين في صدر الإسلام، إضطرت بيزنطة للاستعانة بإولئك السلافيين لصد الزحف الإسلامي وسمحت لهم بالاستقرار في أراضيها، على ان بعض أولئك السلافيين كانوا يفرون من

الجيش البيزنطي إلى العرب أو يقعون في اسرهم، ولعل منهم (الصقالبة) الأربعة الذين رافقوا الصحابي الجليل أبا ذر الغفاري في سفره من دمشق إلى المدينة المنورة.

ولما استولى الاتراك العثمانيون على معظم البلقان في القرنين الرابع عشر والخامس عشر أصبحت مملكة صربيا ومملكة بوسنة وامارة هرسك اجزاء من الدولة العثمانية، ولم يتمكن الصرب من استعادة استقلالهم نهائياً الا بقرار مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ الذي قرر أيضاً بشأن بوسنة وهرسك أن تحتلهما وتديرهما مملكة النمسا والمجر، أما الكروات الذين يقطنون القسم الشمالي الغربي من يوغوسلافيا الحالية فلم تمتد الفتوحات العثمانية إلى جميع اجزاء بلادهم وكانوا اضطروا في أوائل القرن الثاني عشر للانضمام إلى دولة المجر والاعتراف بسيادة ملوكها، وكذلك السلوفين الذين في أقصى شمال يوغوسلافيا الحالية فقد ارتبطوا بدولة النمسا والمجر إلى سنة ١٩١٨ حينما انشئت دولة يوغوسلافيا (أي دولة السلافيين الجنوبيين) التي اطلق عليها هذا الاسم منذ سنة ١٩٢٩ وأصبحت مؤلفة من ثلاثة عناصر: الصرب - والكروات - والسلوفين.

وكان اجداد هؤلاء السلافيين في البلقان وثنيين متشددين في وثنيتهم فلم تنجح المساعي في حملهم على اعتناق النصرانية إلا بعد منتصف القرن التاسع الميلادي، فصار الكروات والسلوفين من اتباع الكنيسة الكاثوليكية والصرب من أتباع الكنيسة الارثوذكسية.

أما سكان بوسنة الواقعة بين النفوذ الغربي الكاثوليكي والشرقي الارثوذكسي فقد انتشر بينهم المذهب (البوغوميلي) أحباء الله الذي يستمد أصوله من المانوية وهي مزيج من المسيحية والفارسية والبوذية، ثم تأثرت بالإسلام وانتشرت في جنوب أوروبا (البلقان وإيطاليا وفرنسا) بأسماء مختلفة.

فلما اخذت دعوة (البوغوميلي) تنتشر من بلغاريا في إمارة صربيا في أواخر القرن الثاني عشر خاف أولو الأمر فيها فشو المذهب الجديد فجردوا حملة عسكرية على اتباعها فاحرقوا كتبهم ودمروا مساكنهم وصادروا ممتلكاتهم وقطعوا لسان زعيمهم واوقعوا فيهم نكالاً شديداً إلى حد إحراق بعضهم، فالتجأ فلول البوغوميلي إلى إمارة بوسنة حيث وجدوا من أهلها رحابة صدر ولين جانب وعطفاً ورعاية من الأمير (كولين بان) أدى إلى انتشار هذا المذهب بسرعة.

ولقيت دعوة البوغوميلي مقاومة شديدة من السلطات الدينية في روما إلى حد أنها طلبت من ملوك المجر تجريد حملات عسكرية على اتباعها، لكن هذه الحملات، على

شدتها وتكررها، أخفقت فقد ظل البوغوميلي صابرين على المحنة طيلة ٢٥٠ سنة إلى أن فتح الاتراك العثمانيون صربيا، فلجا إليهم البوغوميلي طالبين حمايتهم وتحريرهم من شقائهم، لكن حملة تيمورلنك على تركيا الآسيوية اخرت اجابة هذا الرجاء إلى سنة ١٤٦٣ عندما استولى السلطان محمد الفاتح على بوسنة واعتنق أهلها البوغوميلي الإسلام، وظروفهم المذكورة وما أشتهر به هذا السلطان العظيم من تسامح ديني تعتبر قرائن واضحة على إسلامهم بدون إكراه.

كانت ولاية بوسنة وهرسك خلال العهد العثماني كجمهورية ذات استقلال ذاتي في الدولة شأنها شأن الأقطار العربية في ذلك العهد من تاريخها من حيث مشاركة أهلها في ادارة شؤونها مشاركة فعالة، وكان المسلمون البوشناق من أشد رعايا الدولة العثمانية اخلاصاً لها وتفانياً في خدمتها، ونبغ كثير منهم في الفنون العسكرية والادارية فنالوا أعلى المراتب وأسمى المناصب، وتقلد ٢٤ منهم منصب الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) في الدولة العثمانية، وبرز كثير منهم في قيادة الجيش والاسطول فكان السلاطين يقدرونهم حتى زوجوا بعضهم بناتهم، ومما يدل على اعتزازهم بهم كلمة السلطان سليم الأول حين بلغه خبر مقتل الصدر الأعظم سنان باشا البوشناقي قائد الحملة التركية على مصر: سنة ١٥١٧ «كسبنا مصر وخسرنا سنان!».

إن المسلمين البوشناق في اخلاصهم للدولة العثمانية وطاعتهم لأولي الأمر فيها لم يكونوا يعرفون حداً يقفون عنده إلا إذا تبين لهم أن الدولة ترى، لسبب من الاسباب، التفريط في حماية وطنهم، مثال ذلك ما حدث في سنة ١٧٣٧ فقد علم والي بوسنة من مصادر موثوقة أن دولة النمسا عازمة على الاعتداء على بوسنة بقوات عظيمة، فلما أبلغ الوالي الصدر الأعظم ذلك رأى الصدر الأعظم عدم مقاومة ذلك العدوان لأن تركيا كانت مشتبكة في الحرب مع روسيا فلا تطيق الحرب في جبهة أخرى، فاجتمع أعيان بوسنة بدعوة من الوالي للتشاور في هذا الأمر الخطر فاجتمعت كلمتهم على استنكار تفريط الصدر الأعظم، ولو مضطراً، في حق وطنهم وقرروا مخالفة أمره وأعلنوا النفير العام والاستعداد لصد العدوان، فلما اجتاز الجيش النمساوي اللجب حدود بوسنة في عدة نقاط تصدى له البوشناق فدارت معارك دامية اشتركت في بعضها النساء البوشناق فكان النصر حليفهم وكافأ السلطان زعماء بوسنة وقادة الدفاع عنها بأعلى الرتب والاوسمة، ونال أحدهم وهو محمد بك فدائي لقب (الغازي) الذي كان أشرف الالقاب واعلاها واندرها في الدولة العثمانية.

وتكررت مثل هذه البطولة سنة ١٨٧٨ حين قرر البوشناق بطلان قرار الدول

العظمى في مؤتمر برلين بوضع بوسنة وهرسك تحت ادارة النمسا والمجر الثنائية فهبوا على بكرة ابيهم يقاومون بأسلحتهم البسيطة الفيالق النمساوية المزودة باحدث الأسلحة في ذلك الوقت وظلوا وحدهم دون سائر المواطنين يكبدونها خسائر فادحة طيلة ثلاثة أشهر.

كان المسلمون البوشناق يعتزون بالإسلام ويتمسكون بآدابه وقد نبغ فيهم كثير من العلماء المتبحرين في العلوم الإسلامية والمتضلعين في اللغات العربية والتركية والفارسية وتركوا آثاراً قيمة فيها، ونجد تراجم بعض هؤلاء العلماء والادباء منهم في سفر نفيس نشره سنة ١٣٤٩ هـ العالم البوشناقي المرحوم محمد بن محمد خانجي من خريجي الأزهر بعنوان «الجوهر الاسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة».

ولأهل بوسنة المسلمين أوقاف غنية وقفها أثرياؤهم على مختلف الجهات الخيرية وفي مقدمتها التعليم، فكانت مدن بوسنة وهرسك تزدان بمدارس ومعاهد إسلامية تزخر بالطلبة، وقد أقيم في سنة ١٩٣٢ احتفال عظيم بمرور أربعمائة سنة على إنشاء أشهر هذه المدارس وهي مدرسة الغازي خسروبك في سراييفو، وفي السنة التالية انشئت مدرسة ثانوية خاصة بالبنات من أموال وقف هذا الواقف العظيم والحق بها القسم الداخلي للوافدات إلى هذه المدرسة من سائر مدن بوسنة وهرسك، وقد زرت مدرسة خسروبك واجتمعت بأساتذتها وطلابها وأعجبت بفصاحتهم العربية.

وفي سنة ١٨٨٧ قامت سلطات الإحتلال النمساوي المجري في بوسنة وهرسك بإنشاء «مدرسة القضاء الشرعي» ليتخرج منها قضاة الشرع في المحاكم الشرعية التي بقيت اختصاصاتها في حدود الأحوال الشخصية والأوقاف إلى نهاية الحرب العالمية الاخيرة، وفي سنة ١٩٣٥ جرى تحويل هذه المدرسة إلى «الأكاديمية الإسلامية» للدراسات الإسلامية العالية فكان يلتحق بها المتخرجون من مدرسة الغازي خسروبك ومن المدرسة الشرعية الثانوية وكانت تنفق عليها دولة يوغوسلافيا الملكية.

ولم يكتف المسلمون البوشناق بما يتزود به شبانهم من العلوم الإسلامية في المناهل الثقافية ببلادهم بل كانوا يوفدون خريجيها إلى المدارس العالية في استانبول خلال العهد العثماني من تاريخهم، ثم استبدلوا بها، بعد إزالة الخلافة الإسلامية، الجامع الأزهر في مصر.

وكان المسلمون البوشناق قد بلغوا درجة عالية من وعي إسلامي شهد لهم به المرحوم الأمير شكيب أرسلان الذي زارهم عدة مرات قبل نشوب الحرب العالمية

الاخيرة وشاهد ما أنشأوا من مؤسسات وجمعيات ثقافية وخيرية وما كانوا ينشرونه من صحف ومجلات دينية وادبية، وكان تعلقهم بالرابطة الإسلامية يحفزهم إلى توثيق صلتهم بالعالم الإسلامي فكانوا يوفدون مندوبين إلى مؤتمرات إسلامية عالمية واقليمية كالتي عقدت في القدس والقاهرة وجنيف، وكان وفدهم الذي شهد مؤتمر العالم الإسلامي المنعقد في القدس عام ١٩٣١، مؤلفاً من السادة الدكتور محمد سباهو الوزير السابق في حكومة يوغوسلافيا وسالم افندي مفتيش مفتي سراييفوا ومحمد افندي موغاييش قاضي المحكمة الشرعية العليا في سيراييفو والحاج مصطفى مرهميش.

وكان اعتماد المسلمين البوشناق في نشاطهم الديني والثقافي على موارد أوقافهم الغنية مضافاً إليها ما كانت تقدمه الحكومة خلال الاحتلال النمساوي المجري وفي عهد يوغسلافيا الملكية من مساعدات إلى الطائفة الإسلامية أسوة بغيرها من الطوائف الدينية في البلاد، وكانت واردات الأوقاف الإسلامية في يوغسلافيا الملكية تبلغ ما يساوي حوالي ٥٥,٠٠٠ جنيه استرليني وكانت المساعدة الحكومية للطائفة الإسلامية تقارب نصف هذا المبلغ.

لكن هذه الظروف والأحوال تغيرت كثيراً بعد الحرب العالمية الاخيرة فقد أقفلت السلطات جميع المدارس والمعاهد الإسلامية وحلت الجمعيات الإسلامية وعطلت الصحف والمجلات الإسلامية وألغت المحاكم الشرعية ومنعت تطبيق الشريعة الإسلامية في الأحوال الشخصية على المسلمين، وصادرت معظم الأوقاف من الأراضي والمباني واستولت على بعض المساجد واستعملتها كمخازن وهدمت بعضها، وبتطبيق قانون التأميم الصادر في سنة ١٩٥٨ نزعت ملكية حوالي ١٥٠٠ مبنى من مباني الأوقاف مع أراضي تبلغ مساحتها ما يزيد عن ٣٥٠٠ دونم.

وكانت مدرسة الغازي خسروبك من ضمن المدارس الإسلامية التي جرى اغلاقها والاستيلاء على مبانيها ثم سمحت السلطات باعادة فتحها هي وحدها ولكن في غير مبناها الاصلي.

ولا يزال المسلمون يسعون جاهدين لدى السلطات لاسترداد ذلك المبنى، والجدير بها أن تلبي طلبهم.

من اعياد الصرب القومية في يوغوسلافيا «عيد ٢٨ يونيو» الذي يحتفلون فيه بذكرى معركة قوصوه سنة ١٣٨٩ التي اشتبكوا فيها مع الاتراك العثمانيين وأغتال أحدهم خلالها السلطان مراد الأول، وقبض الاتراك على اميرهم «لازار» فاعدموه

وانتهت المعركة بهزيمة الصرب وأنصارهم وبضياع استقلال امارة صربيا، ومع ان الاتراك سمحوا لهم بنوع من الاستقلال الذاتي، الا أنهم كانوا يتطلعون إلى الثأر من الاتراك ويستغلون الفرص المواتية للثورة عليهم فكانت السلطات التركية تتخذ اجراءات صارمة لقمع عصيانهم، وكان زعماؤهم إذا فشلوا في مؤامراتهم يحملون عشرات الالوف منهم على الفرار من الوطن والالتجاء إلى بلاد المجر والكروات.

هذا هو سبب جميع المواقف العدائية التي وقفها الصرب من المسلمين والتي بلغ بهم التطرف في بعضها حد التصميم على ابادتهم، فمن ذلك مجزرة مسلمي الجبل الاسود بامر اميره الاسقف دانيال في أوائل القرن الثامن عشر التي لم ينج منها الا من استطاع منهم الفرار أو افتدى نفسه بالردة عن الإسلام، وكذلك مأساة مسلمي صربيا باجلائهم عن اقليمها منذ حوالي مائة سنة.

أما المسلمون البوشناق فكان مثل هذا المصير ينتظرهم سنة ١٨٧٥ حين كشف أحد وزراء صربيا في ذلك الوقت عما يجب أن يكون هدف الثورة على الحكم التركي في بوسنة وهرسك بالنسبة إلى المسلمين فيهما: «أما الردة عن الإسلام فوراً أو الهجرة فوراً، وإلا فإعمال السيف في رقابهم». غير ان فشل تلك الثورة وقرار مؤتمر برلين بوضع بوسنة وهرسك تحت ادارة دولة النمسا والمجر الثنائية، حالا دون تنفيذ تلك الخطة الرهيبة.

ولقد تجدد مثل هذا التصميم على الخلاص من البوشناق على لسان رئيس الحكومة الصربية خلال الحرب العالمية الأولى فقد قال وهو يشرح نيات الصرب وحكومتهم بحضور بعض زعماء الكروات «إذا اجتاز جيشنا نهر «درينا»، (وهو الحد الفاصل بين صربيا وبوسنة) يمهل البوشناق ٢٤ أو ٤٨ ساعة على الأكثر للعودة إلى دين أجدادهم، فمن أبى ضرب عنقه، أسوة بما عملنا في صربيا من قبل».

لكن الزعماء الكروات لم يوافقوا على تلك الخطة لأن معنى تنفيذها تقرير مصير بوسنه وهرسك لصالح الصرب وقوميتهم وتهديد كيان الكروات بانفرادهم فيها كأقلية، فلذلك وللاعتبارات الدولية أضطر الرئيس الصربي إلى اعادة النظر في خطته الرهيبة، وأكتفى الصرب في معاملتهم للمسلمين البوشناق، بعد إنشاء يوغسلافيا الملكية، بما هو دون الابادة الفورية من مختلف الإجراءات التعسفية.

وبالرغم من قرار مؤتمر الصلح بضمان حقوق الاقليات القومية والدينية في دول البلقان والزامه لتلك الدول باحترامها فان الصرب لم يتورعوا من خرق ذلك الضمان

الدولي فكانت سلطاتهم تستولي على أملاك الأوقاف الإسلامية وتهدم المساجد وتجرد حملات عسكرية على القرى الإسلامية ولاسيما في سنجق يني بازار والمناطق الإسلامية في جنوب يوغوسلافيا.

للإحاطة بأسباب المذابح التي اقترفت في المسلمين البوشناق منذ سقوط يوغوسلافيا الملكية تحت الاحتلال الالماني في ربيع سنة ١٩٤١ نذكر، بالأضافة إلى ما سبق ذكره، الحقائق التالية:

كان المسلمون في بوسنة وهرسك في أوائل القرن السابع عشر ثلاثة أرباع السكان، ولعوامل متعددة لا مجال لذكرها هنا أصبحت نسبة السكان في أوائل عهد الاحتلال النمسوي المجري كما يلي:

الصرب أكثر من الخمسين. المسلمون أقل من الخمسين. الكروات أقل من الخمس.

وفي عهد الإحتلال ما بين ١٨٧٨ ـ ١٩١٨ ادت كثرة هجرة المسلمين من بوسنة وهرسك إلى تركيا وبعض الأقطار العربية ومنها فلسطين، إلى هبوط عدد المسلمين إلى أقل من الثلث. ولتفوق المسلمين على غيرهم في المواليد عادت نسبتهم بعد الحرب الاخيرة فتحسنت كثيراً.

نشأت القومية الصربية في السكان الارثوذكس في بوسنة وهرسك في القرن التاسع عشر على أساس انتمائهم للكنيسة الارثوذكسية كإخوأنهم في صربيا والجبل الاسود شرقي بوسنة وجنوبيها، وكذلك نشأت القومية الكرواتية في السكان الكاثوليك في القرن نفسه على أساس انتمائهم للكنيسة الكاثوليكية كإخوأنهم في كرواتيا الواقعة غربي بوسنة وشماليها، أما المسلمون فيهما فقد ظلوا بوشناق كما كانوا.

وتبلورت الخلافات القومية في بوسنة وهرسك قبيل انتهاء الحكم العثماني فيهما، فكان من مظاهرها ان قاتل الارثوذكس يدعمهم إخوأنهم الصرب في صربيا والجبل الأسود، الاتراك فلما فشلوا وتقدمت فيالق الجيش النمساوي المجري لاحتلال بوسنة وهرسك، وكان بعض فرق ذلك الجيش مؤلفة من كروات كرواتياً، استقبلها الكروات في بوسنة بحرارة، بينما استمات البوشناق في مقاومة تلك الفيالق وحدهم، دفاعاً عن حريتهم ووطنهم.

وكانت ثروة بوسنة وهرسك وموقعهما الجغرافي يثيران أطماع القوميتين الصربية والكرواتية، وكان الصرب يمنون أنفسهم بانتزاعهما من دولة النمسا والمجر، فلما أعلنت

هذه الدولة سنة ١٩٠٨ انتهاء السيادة الاسمية للسلطان العثماني عليهما وضمهما نهائياً إلى املاكها، ثارت ثائرة الصرب ثم أقدم بعض المتطرفين منهم على أغتيال ولي عهد النمسا والمجر الارشيدوق فرديناند وزوجته، وقد رأينا حينما كنا في سراييفو المكان الذي أغتيل فيه ولي العهد، فكان مصرعه السبب المباشر للحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤.

وقبل نهاية تلك الحرب لم تكن للصرب والكروات دولة تضمهم معاً، وفي خلال القرن التاسع عشر نشأت في كرواتيا حركات كان لبعضها أهداف قومية ودينية بعيدة المدى، وكان زعماؤهما على اتصال بزعماء الصرب على أمل إنشاء دولة تضم جميع سلاف الجنوب، لكن الفرصة لم تسنح لهم إلا حينما بدت علائم تفكك دولة النمسا والمجر في الحرب العالمية الأولى، فنشطت مساعي زعماء السلاف الجنوبيين ومفاوضاتهم في شأن الأسس التي ستقوم عليها الدولة المشتركة.

لكن هذه المسألة انتهت عندما أعلن ولي عهد صربيا، نيابة عن والده المريض، في ١٩١٨/١٢/١ إنشاء مملكة الصرب والكروات والسلوفين المتحدة، وذلك يعني الآن ضم جميع بلاد السلاف الجنوبيين التي كانت خاضعة لدولة النمسا والمجر، إلى مملكة صربيا، فاعتبر الكروات اليوم المذكور يوم بدء كفاحهم في سبيل حقهم بتقرير مصيرهم فقاطعوا الجمعية التأسيسية، ثم سقط ثلاثة من زعمائهم قتلى برصاص أحد النواب من القوميين الصرب المتطرفين سنة ١٩٢٨، فرد الكروات على ذلك باغتيالهم الملك الكسندر الصربي سنة ١٩٣٤.

وتوالت المآسي والفواجع في يوغسلافيا إلى أن سقطت تحت الضربات الالمانية الأولى في ربيع سنة ١٩٤١، ووافق الالمان وحلفاؤهم الطليان على قيام الحركة الكرواتية المتطرفة «اوستاشي» بإنشاء دولة كرواتيا وضم بوسنه وهرسك إليها.

كان من السهل التنبؤ بالموقف الذي ستتخذه الدولة الكرواتية من الصرب القاطنين في اقليمها، وبالسياسة التي ستتبعها في بوسنة وهرسك، وهي تأمين الرجحان للقومية الكرواتية فيهما نهائيا، بتطهيرهما من الصرب على اعتبارهم عنصراً دخيلاً فيهما، وبإطلاق شعارات تؤكد اوثق الصلات التي تربط المسلمين البوشناق بالكروات، وأن المسلمين هم صفوة الشعب الكرواتي.

وكان من الواضح كذلك أن الصرب لن يقبلوا البتة بأن تمتد سيادة الدولة الكرواتية إلى بوسنة وهرسك، حتى ولو لم تمسسهم تلك الدولة بسوء.

فلم يكن بد من ان يؤدي هذا الخلاف بين القوميتين ـ بعد ضم بوسنة وهرسك إلى كرواتيا ـ إلى اصطدام هائل بينهما، تكبد المسلمون البوشناق أكبر الضحايا خلاله في بوسنة الشرقية، ثم اتسع نطاق عدوان الصرب على المسلمين في مناطق أخرى، فأصبحت بوسنة ميداناً لمجزرة كبرى عندما أصدر الجنرال دراجا ميخائيلوفيتش قائد العصابات الصربية تعليمات إلى تلك العصابات بتاريخ ١٩٤١/١٢/٢ توضح ان القصد من كفاح الصرب هو «ايجاد حدود مشتركة مباشرة بين صربيا والجبل الاسود وبين صربيا وبلاد السلوفين بتطهير سنجاق يني بازار من المسلمين فيه، وتطهير بوسنة وهرسك من المسلمين والكروات فيهما».

وعلى أثر ذلك بدأت العصابات الصربية تشن هجماتها الوحشية بقيادة ميخائيلوفيتش على مسلمي يوغسلافيا الذين كان عددهم يربو على مليونين خلال الحرب العالمية الثانية.

وعلى أثر اجتياح الجيش الالماني ليوغسلافيا واحتلالها اعتصم ميخائيلوفيتش مع صفوة من ضباط جيشه وجنوده في الجبال الشاهقة، وتربص فيها حتى سنحت له الفرصة بانتقال القوات الالمانية إلى الميدان الروسي، فانقض بعصاباته الوحشية المسماة بـ (الشيتنيك) (وهي تعمل لفكرة صربيا الكبرى وإبادة كل من في البلاد من العناصر إسلامية كانت أو مسيحية عدا الصرب الخلص)، على الشعب البوشناقي المسلم الاعزل وامعنوا فيه فتكاً وقتلاً حتى أربى عدد القتلى على مائتي ألف..

وقد كنت في روما يوم ١٩ كانون الأول عام ١٩٤٢ حينما أتصل بي السيد مصطفى بوصولاجيتش البوشناقي الطالب في جامعة روما وأنبأني بالمجزرة الوحشية التي اقترفت في المسلمين في منطقتي بوسنة وهرسك من قبل عصابات الشيتنيك الصربية. ثم تتالت الأنباء المحزنة والمفصلة عن الفظائع الرهيبة الجارية هناك.

ولما كان بعض زعماء البوشناق قد اشتركوا في المؤتمر الإسلامي الذي أنعقد في القدس عام ١٩٣١ وكان لي بهم صلة ومعرفة سابقة فقد أبرقوا إليّ في برلين مستنجدين ثم وصلتني رسائلهم شارحة تلك الفظائع الوحشية التي نزلت بهم. وبعدئذ وصلني وفد من هرسك برئاسة مفتيها حافظ عمر افندي جابيتش ومن أعضائه الشيخ أحمد افندى قره بك وغيره وحدثني عما يجري في تلك البلاد من إبادة للمسلمين، وعلى أثر ذلك بادرت بمراجعة وزارة الخارجية الالمانية واطلعت وكيلها الهر فون وايسيزيكر على الحالة هناك وعلى البرقيات المرسلة من زعماء بوسنة الذين يطلبون

السماح لوفد منهم بأن يأتي إلى برلين لمقابلتي فيها. فابدى شديد اسفه وقال إن تلك المناطق هي في (المجال الحيوي) لإيطاليا فلا يمكننا ان نقوم بعمل جدي قبل الرجوع إليها.

فسافرت في اليوم التالي إلى روما وطلبت مقابلة الدوتشي موسوليني، فقابلني فوراً في قصر فينيسيا، وحضر المقابلة الكونت شيانو وزير الخارجية. فذكرت لموسوليني انباء المجازر الفظيعة التي تقترف في المسلمين في تلك المناطق التي تحتلها نحو تسع فرق ايطالية وفرقتان المانيتان من قوات المحور وقلت له: لو حدث جزء يسير من هذا في الشرق للاوروبيين لقامت الضجة العظيمة والدعايات والتهم. فابدى اهتماماً شديداً ونظر إلى شيانو الذي كان واقفا على قدميه خلال محادثتي مع موسوليني (وكان العرف المتبع لدى موسوليني إن وزراءه لا يجلسون في حضرته بل يظلون وقوفا على الأقدام مهما طال الحديث) وقال له: «إن هذا الموضوع خطير، فاتصل بالسفير الالماني في روما (وكان حينئذ الهر فون ماكتزن نجل القائد الالماني فون ماكتزن الذي كان قائداً عاماً لقوات المانيا وحلفائها في البلقان في الحرب العالمية الأولى). واتخذا جميع الوسائل مع السلطات الايطالية والالمانية لوقف هذه الحالة المؤسفة».

فلما رجعت إلى برلين وصلتني انباء تدل على أن المجازر مستمرة وأن عدد القتلى بلغ مئتي ألف، وأن أكثر من هذا العدد أصبحوا بلا مأوى في تلك الاصقاع الشديدة البرد، كما علمت أن السلطات الالمانية لم تسمح لوفد من بوسنة بالقدوم إلى برلين. فقابلت فون وايسيزيكر مرة أخرى وطلبت منه السماح لي بزيارة تلك البلاد، فقال ان هذا متعلق بالدولتين الكرواتية والايطالية، فقابلت سفير كرواتيا «بوداق» وحدثته في الموضوع، ومن أجلّ اطمئنانه اقترحت عليه أن نسافر معاً إلى «زاغرب» عاصمة كرواتيا فالى «سراييفو» عاصمة بوسنة. فوافق أول الأمر على ذلك لكن وزارة الخارجية الالمانية ظلت على موقفها السلبي.

فاتصلت حينئذ بالجنرال «برغر» رئيس أركان جيش الصاعقة «اس. اس ss» واقنعته بضرورة السفر واعلمته بموافقة السفير الكرواتي، فاعد لي الجنرال برغر طائرته الخاصة العسكرية وثمانية من الضباط الالمان لمرافقتنا، ثم لحق بنا سفير كرواتيا في برلين المسيو بوداق فسافرنا وبرفقتنا بعض إخواننا من رجال مكتبنا في برلين إلى «فيينا» يوم ١٤ مارس ١٩٤٣ وكان يوما غزير المطر شديد البرد، ثم إلى «زاغرب» حيث أنزلتنا الحكومة الكرواتية في ضيافتها وقابلت رئيس دولتها «بوغلافنيك بافيليتش» ورئيس

وزرائها «جعفر بك كولينوفيتش» وقد أدب لنا رئيس الدولة بافيليتش مأدبة عشاء وأبدى اهتمامه بالموضوع الذي نسافر من أجله وعطفه على مهمتنا وتبرع بمليون «كونه» كرواتيه لمساعدة المنكوبين، وكذلك ادب لنا رئيس الوزراء مأدبة أخرى وكذلك ادب لنا وزير الدولة «حقي حاجيتش» الذي تولى أمر الاتصال بي خلال اقامتي في زاغرب.

وفي اليوم التالي وصل بالطائرة إلى زاغرب الكوماندانور ماالليني من وزارة الخارجية الايطالية (وقد تولى في أواخر عهد موسوليني وكالة الخارجية) يصحبه مندوب من وزارة الخارجية الالمانية. وقد حاولت الحكومة الكرواتية، بالاشتراك مع سفيري المانيا وإيطاليا في «زاغرب» أن يثنوا عزمي عن السفر إلى بوسنة بحجة الحرص على حياتي من المجازفة في تلك البلاد المضطربة والمملوءة بالعصابات الدموية الخطيرة، ولكن اصررت على السفر وكتبت إليهم كتابا سجلت فيه (اني اتحمل مسؤولية كل ما قد يصيبني من تهلكة في زيارتي لبلاد بوسنة رغم نصائح الرجال المسؤولين في كرواتيا وممثلي المانيا وإيطاليا)، وأمضيته وسلمته إليهم، ثم استأنفت السفر إلى «سرايفو» أي «بوسنة سراي» ورافقنا في السفر الشيخ عاكف خانجيش مفتي الجيش الكرواتي. ولكن عاصفة ثلجية أرغمت طائرتنا على أن تعود إلى «زاغرب»، وبعد بضعة أيام عاودنا السفر، ولما وصلت طائرتنا إلى بوسنة سراي لم تستطع الهبوط لشدة العاصفة الثلجية، فعادت إلى «بانيا لوقة» ولما خرجنا من المطار، دهشنا لما شاهدنا أهل بانيا لوقه يلبسون العمائم والطرابيش، ونساؤهم يرتدين الحجاب، وشعرنا كانا نجتاز شوارع القدس القديمة، أو سوق الحميدية في دمشق. وبقينا في بانيا لوقة ثلاثة أيام دعانا خلالها إلى الطعام فضيلة مفتيها الحاج حافظ مصطفى نورقيتش، وهو رجل عالم فاضل ويحسن اللغة العربية، فلما جلسنا إلى المائدة قال معتذراً عن بساطة الطعام لا تؤاخذونا فقد غلا قِدرنا (بكسر القاف) على قَدرنا (بفتحها)!.

وفي الليلة الثانية من إقامتنا في بانيالوقة حدثت حادثة طريفة، زادتني اعجابا بالنظام العسكري الالماني وبسالة رجاله: فقد لحظ الضباط الالمان المرافقون لنا ان المدينة اكتظت بعصابات الشتنيك الصربية المسلحة فأوجسوا منهم خيفة واتصلوا بالقيادة الالمانية القريبة احتياطاً للطوارئ وفي الليل بينما كنا في الفندق قطعت الانوار الكهربائية فجأة في المدينة كلها وصرنا في ظلام دامس فنهض حينئذ الضباط الالمان الثمانية وحمل كل منهم مدفعه الرشاش ووقف أحدهم أمام باب غرفتنا ونصب الآخر رشاشته على رأس سلم الفندق، ووقف الباقون على أبواب الفندق ونوافذه، وأنذر

رئيسهم حاكم المدينة الكرواتي ليعمل فوراً على إعادة النور. ولم يمض نصف ساعة حتى عاد النور وانقشع الظلام.

وأخيراً غادرنا بانيالوقه إلى بوسنة سراي واجتمعنا فيها بزعماء بوسنة وهرسك، وبعد البحث معهم ومع قيادة القوات الالمانية في كيفية المحافظة على حياة البشانقه والدفاع عنهم ومنع وقوع المذابح فيهم، وافقت الحكومة الالمانية على تجنيد الشبان منهم وتدريبهم وتسليحهم بشرط الدفاع عن أنفسهم وعائلاتهم داخل بلادهم. وقبل أن أغادر بوسنة كان قد تم تسجيل نحو سبعة آلاف متطوع.

ولما عدت إلى برلين تم الاتفاق مع الحكومة الالمانية على تأليف فرقة عسكرية بوشناقية سميت باسم «فرقة خنجر» وتولى قيادتها الجنرال الالماني «زاوبر تسفايغ». ثم تلا ذلك إنشاء فرقة أخرى باسم «فرقة قاما» وبلغ عدد جنود الفرقتين نحو ٣٧ الفا كما تألفت قوات محلية أخرى من شرطة ودرك وحرس (مليس) بلغ مجموعها كلها قرابة مائة ألف مقاتل، وبذلك استطاع أهل بوسنة وهرسك ان يدفعوا عن أنفسهم الخطر الماحق الذي كان يهددهم.

ولم يكن من سبيل لحماية المسلمين في تلك البلاد من الإبادة إلا بالتفاهم مع السلطات الالمانية والتعاون معها، فتم الاتفاق على مايلي:

١ ـ تجنيد عدد من الشبان المسلمين في مقاطعات بوسنة وهرسك «وسنجق يني بازار» لتأليف قوات عسكرية، وقوات للأمن العام والشرطة:

٢ ـ يناط بهذه القوى حماية النفوس والأموال من المعتدين عليهم داخل بلادهم في المناطق المذكورة.

٣ ـ لا تكلف هذه القوات بالقيام بأي عمل عسكري خارج بلادهم، ولا بأية مهمة أخرى غير الدفاع عن أنفسهم واملاكهم.

٤ ـ تتعهد الحكومة الالمانية بتسليح هذه القوات وتدريبها، وبابقاء الأسلحة مع افرادها خلال الحرب وبعدها.

٥ ـ تكون القوات العسكرية تابعة لجيش (الـ أس.أس).

وقد قامت القوات البوسنوية التي أربت على مائة ألف من أشجع الجنود، بمنع المجازر عنهم وعن جميع مسلمي البلقان وشرق أوروبا وعددهم نحو ستة ملايين، وغدا الجنرال ميخايلوفيتش وغيره من طغاة البلقان يدارونهم ويتوددون إليهم. ولما ظهر في تلك البلاد، رئيس يوغسلافيا الحالي (يوزيب بروز تيتو) وأشتد خطره، تم

التفاهم بين الالمان وميخالوفيتش، على مقاومة تيتو، فامد الالمان ميخايلوفيتش بالسلاح والعتاد فلما شعر ميخايلوفيتش بالقوة عاد سيرته الأولى من الفتك بالمسلمين ولكن بالسلاح الالماني هذه المرة، ولما أعلمني البوسنيون بذلك قابلت الجنرال برغر واطلعته على حقيقة ما يقوم به ميخايلوفيتش، فاهتم للأمر ولما تأكد، أعطى أمراً سرياً للمعامل الالمانية المختصة بأن تصنع عتاداً للبنادق والمدافع التي يتسلمها ميخايلوفيتش، بطريقة فنية تؤدي إلى إفساد تلك الأسلحة، وإبطال مفعولها وقد تم ذلك فعلاً.

وهذا الحادث يذكرني بما شاع عن الجنرال غلوب (أبو حنيك) حين كان يؤمر بإطلاق المدافع على المواقع اليهودية في القدس وسواها، فيضطر لإطلاقها، فكانت القنابل لا تترك أي أثر غير الدخان والصوت لأنها صنعت بصورة خاصة لكي لا تصيب المراكز الصهيونية بأضرار. وكذلك فعل ويفعل المستعمرون الضالعون مع الصهيونيين، حينما ينخدع بعض العرب فيعتمد على مصنوعاتهم ومستشاريهم وخبرائهم، وإن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار.

لقد درب الجيش الالماني افراد الفرقة البوسنوية الأولى (خنجر)، وقد ذهبنا لزيارتها بعد التدريب في قرية «نوى هامر» في مقاطعة سيلزيا، ومكثنا أربعة أيام في زيارتها، وكانت مجهزة تجهيزاً كاملاً بانواع الأسلحة والمدافع، وكان قائدها الجنرال «زاوبر تسفايغ» الالماني يرافقنا في زيارتنا لكل فوج من افواج الفرقة. وكانت تابعة لجيش (أس.أس S.S) المشهور. وقد اعجبنا بروح الجندية الرائعة، وبالنظام الدقيق.

وقد أسترعى نظرنا في زيارتنا للمستشفى، أنه حين كنا ندخل اية غرفة من غرف المستشفى كان رئيس الغرفة يصيح بالتحية العسكرية واشارة الاستعداد، فكنا نرى الجنود الجرحى وهم في أسرة نومهم يبدون حركة الاستعداد والتحية حسب استطاعتهم، وهم مستلقون في اسرتهم. ولما لاحظنا للجنرال زاوبرتسفايغ ان هذا قد يضر بصحة الجنود، أكد لنا أنهم إنما يفعلون ذلك حسب استطاعتهم ودون أن يؤثر في صحتهم.

وعند البدء في تأليف الفرقة زارنا قائد كبير مسؤول عن «التموين الروحي» في الجيش الالماني للوقوف على رأينا في موضوع التموين الروحي للفرقة البوسنوية وقال: إن العقيدة والإيمان ضرورة أساسية في كل جيش، فإن الجندي الذي لا يتمتع بالإيمان المتين ولا يرتبط بعقيدة ولا يدري لماذا يقاتل ويضحي بروحه، لا يمكن الاعتماد عليه،

ولدى جميع الأمم الواعية دوائر خاصة بالتموين الروحي في جيوشها، لأنه ضرورة قصوى كالتموين المادي، بل أكثر أهمية، وإن الجيوش التي لا تعتنق عقيدةً وإيماناً، لا يكون مصيرها الا الهزيمة والخزي. وعلى أثر ذلك البحث اتفقنا على إنشاء معهد للائمة لتوزيعهم على وحدات الفرقة. وقد أنشئ هذا المعهد في مدينة «غوبن»، واختير له عدد من علماء البوشناق لتوجيه هؤلاء الائمة. وقد قمت شخصيا بالقاء بعض المحاضرات في هذا المعهد، كما أن المرحومين الشيخ حسن أبو السعود[1] والدكتور مصطفى الوكيل[2] كانا يلقيان المحاضرات والدروس في هذا المعهد الذي تخرج منه الأئمة لجميع افواج الفرقة. وكان المعهد يعنى إلى جانب التدريب الروحي بالتدريب العسكري الوافي، بحيث أصبح كل أمام ضابطاً مدرباً مجاهداً. وقد كنا في زياراتنا للمعهد أو لافواج الفرقة، نحادثهم ونأكل معهم من طعامهم. وكانت أحاديثنا تتطرق إلى قضية فلسطين فكانوا يتحرقون إلى الجهاد في فلسطين.

وبالفعل فقد جاء عدد من ضباطهم وجنودهم وساهموا في معارك فلسطين ببسالة رائعة، ولو اتسع مجال الجهاد حينئذ، ولم تحل المؤامرات الأجنبية، والتيارات الاستعمارية دون استمرار جهاد فلسطين، لرأينا عشرات الالوف من هؤلاء الجنود البواسل البوسنويين، وغيرهم من المجاهدين المسلمين، يساهمون معنا في تحرير فلسطين وإنقاذ الاماكن المقدسة. ورجاؤنا عظيم بأن الفرصة التي اضاعتها علينا المؤامرات والتوجيهات الأجنبية ومنحت اليهود فرصة عشرين سنة من الوقت للاستعداد والتأهب، في حين منعت الفلسطينيين من الاستمرار في عملهم الفدائي ووضعت القضية الفلسطينية في ثلاجة كما صرح جيمس غرانت وكيل الخارجية الأمريكية في ٣٠ نيسان سنة ١٩٦٣ لن تضيع مرة أخرى وإن المجال سيفسح لأهل الجهاد المخلصين من عرب ليقوموا بواجبهم نحو فلسطين.

وكذلك انشأنا، بالتفاهم مع الالمان، معهداً آخر في «درسدن» لتخريج الأئمة الأذربيجانيين والقوقازيين وغيرهم، وبذلك أربى عدد المجندين في بلاد المحور من عرب، وبوسنويين، وأذربيجانيين وغيرهم، على مائتي ألف مقاتل، ليكافحوا دول الاستعمار، وليردوا على غرور تشرشل ووقاحته وغطرسته التي دل عليها قوله السابق عن الفيلق

---

(١) الشيخ حسن أبو السعود: من رجالات الحركة الوطنية الفلسطينية ومن عائلة مقدسية عريقة، عضو الهيئة العربية العليا لفلسطين.

(٢) الدكتور مصطفى الوكيل: شاب وطني مصري ينتمي إلى حزب مصر الفتاة سترد تفاصيل عنه في هذه المذكرات.

اليهودي «لقد تحديت ويفل وكتبت إلى وايزمن بالسماح بتشكيل الفيلق اليهودي ولم ينبح كلب عربي واحد...» (كما ورد في مذكرات تشرشل).

أسترعى نظري في مسلمي البوشناق، ثقافتهم الإسلامية، وأخلاقهم الكريمة، واقبالهم على حفظ القرآن الكريم وتجويده، رجالاً ونساءً، واذكر ان اعيان سراييفو اقاموا حفلة شهدها نحو سبعين قارئاً متقناً للقرآن، فلما سمعت تلاوة كثير منهم اعجبت بهم كل الإعجاب فهم لا يقلون عن أحسن القراء في مصر، كما أن بعض النساء كن يحفظن القرآن كله، مثل كريمات الوجيه مصطفى آغا مرهميش وغيرهن. وقد زارني في برلين عام ١٩٤٣ وفد بوشناقي كان من أعضائه سيدة حافظة للقرآن، وهي في الوقت نفسه مهندسة متخرجة من جامعة برلين وقد تلت هذه المهندسة قسما من آيات القرآن الكريم تلاوة لا تقل في جودتها واتقانها وحسن أدائها عن أحسن القراء.

وقد زرنا في سراييفو المعهد الإسلامي الشهير مدرسة غازي خسروبك، التي تخرج القضاة والعلماء، وسائر رجال الدين. ولهذه المدرسة فضل كبير في نشر الثقافة الإسلامية. ولا ندري ما فعل الدهر بها اليوم. فقد بلغنا أنها تحولت عن وجهتها الأساسية.

وقد صلينا الجمعة في جامع سراي بوسنه الكبير (جامع الغازي خسروبك) فسمعنا من الخطيب الذي كان يلقي الخطبة بالعربية الفصحى، ما أثار اعجابنا. وقد تكلم بعد الصلاة كل من الشيخ محمد خانجيتش والأستاذ قاسم دوبراجه، فأحسنّا كل الإحسان، وأعجبنا بكلامهما العربي الفصيح ومعانية الرائعة، وبراعتهما في الإلقاء.

لقد عرف البوشناق بالشجاعة النادرة. شهد لهم بذلك كل من عرفهم، ولما سمع هتلر بإنشاء الفرقة البوسنوية الأولى قال: اني عرفت جنودهم في الحرب العالمية الأولى فقد كانوا من أبسل الجنود في الجيوش النمساوية. وكانت قيادة الجيش النمساوي حين تحتدم المعارك وتشتد الحاجة إلى اختراق جبهة، تستدعي الجنود البوسنويين الشجعان، فكانوا يقتحمون الميدان بشجاعة عظيمة، وحين يقتربون من الأعداء يستلون «قاماتهم» (والقامة سيف قصير صقيل ذو حدين) ويعضون عليها بنواجذهم حتى إذا التحموا بالعدو نقلوها إلى ايديهم فابلوا بها أحسن البلاء، وهذه شهادة هتلر شخصيا فيهم وقد قال انه رأى ذلك منهم رأي العين.

لقد رأينا من كرمهم شيئاً كثيراً. ومن عادة الشجاع الذي يجود بنفسه أن يكون جوّاداً بماله أيضاً كما أن من عادة الجبان أن يكون شحيحاً. وهم يعنون بإكرام الضيف بسخاء، ويطهون طعامهم على الطريقة الشرقية على نسق أهل استانبول. يتقنونه كل الاتقان. وقد كان يصحبنا إلى ولائمهم نحو ثمانية من ضباط الطائرة الالمان. فكنت الحظ ان عددهم يتناقص بعد كل وليمة، ولما سألت عن سبب ذلك علمت أن الطعام اللذيذ الذي كانوا يتناولونه في هذه الولائم كان يغريهم إلى حد الإفراط فيه فيمرضون الواحد بعد الآخر.

كان كثير من ضباط القوات البوسنوية وجنودها يتحسسون بالقضية الفلسطينية ويتمنون لو يتاح لهم الجهاد في فلسطين، ومثلهم أيضاً كان التركستانيون الذين اسرهم الجيش الالماني خلال الحرب العالمية الثانية، يتحرقون للجهاد في البلاد المقدسة الفلسطينية. ولو تمكن هؤلاء جميعا من الوصول إلى معركة فلسطين لرأينا منهم الألوف في الميدان ولجاهدوا خير جهاد. ورغم المصاعب والعقبات التي حالت دون قدوم جمعهم الكبير، فقد تمكن بعضهم من تذليل الصعاب والوصول إلى فلسطين والاشتراك في معركتها، وقد أبلوا البلاء الحسن في الحرب وأبدوا بسالة رائعة واراقوا دماءهم الزكية على ثرى فلسطين خلال المعارك العديدة التي خاضوها، وخاصة معارك يافا والقسطل والمالكية وترشيحا وسعسع والكابرة والشجرة وغيرها.

خاض رجال القوات البوسنوية معارك فلسطين بشجاعة واخلاص، وقدموا فداء لها عدداً كبيراً من الشهداء والجرحى الابطال، فقد سقط في معركة القسطل الشهيرة الشهيدان على بولوباشش وهابرودى تابوكوويش، وفي معركة يافا الشهيد كامل بودروغ، كما استشهد في معركة المالكية كل من أمين خليلويتش ومحمد راميش وحسن بشيش ومنيب بينو ومصطفى اامويتش.

ومن الجرحى البوسنويين السادة شوقي مفتيش الذي جرح مرتين إحداهما في القسطل والأخرى في المالكية، ورفعت بكريش الذي قطعت يده في معركة الشجرة وسافر بعد الحرب إلى المانيا، وموشان شابا نوفيتش واسماعيل كو كوروزوفيتش اللذان جرحا في يافا، وشيفكوباشيش الذي فقد عينه في معركة يافا، وقد جرح في يافا أيضاً محرم بيرقدار الذي يعمل الآن في الجيش السوري برتبة نقيب ونذير فرلياك الذي يعمل أيضاً في الجيش السوري برتبة ملازم أول.

ولم تقتصر المساعي في المانيا على الاهتمام بقضية البوسنة والهرسك، وإنشاء معهد

لتخريج الائمة لوحداتها. بل بذلت مساع حثيثة في سبيل عدة قضايا عربية وإسلامية. كقضايا المغرب العربي، والبانيا، وإندونيسيا.

* * *

وكان الالمان قد انشأوا معهداً حربياً لتخريج شبان العرب الذين كانوا يدرسون في الجامعات الالمانية، وطلبوا أن يدربوا تدريبا عسكريا وافيا ليكونوا ضباطا يعملون لتحرير البلاد العربية. وقد دخل هذا المعهد الحربي الذي أنشأه الالمان في اليونان بعد احتلالهم لها حينئذ، نحو مائتي شاب، كان يشرف على تدريبهم ضباط من جيش الجنرال «فيلمي» قائد القوات الالمانية في البلقان. وكان الجنرال فيلمي يستشيرني والسيد رشيد عالي الكيلاني في شؤون هؤلاء الشبان العرب ومشاكلهم الكثيرة، فكان يرسل رئيس أركان حربه «اوبيرست مايار» لمقابلتنا، وأحيانا كان يأتي بشخصه لمحادثتنا في شأن المعهد وطلابه العرب.

وقد أنشأ الالمان معهداً لتدريب الشبان العرب من الطلاب والأسرى الذين كانوا في المانيا، ولما تم تدريبهم ألّفوا عدة كتائب عسكرية عربية. ولما علمنا بما يفعله الصهيونيون في فلسطين من نسف وطغيان وتخريب، طلبنا من الحكومة الالمانية إنشاء دورات خاصة للتدريب على أعمال المغاوير (الكوماندوس) والفداء والنسف والتفجير، فأجابونا إلى ذلك، فأرسلنا ستين شاباً إلى هذه الدورة التي استمرت بضعة أشهر في ضاحية «دنهاك» في هولندة، وكان معظمهم من الفلسطينيين وكان بعضهم من المغرب العربي. ولما تمّ تدريبهم، سافرنا إلى «دنهاك» لحضور حفلة تخريجهم، وهناك جرى استعراضهم أمامنا، فقاموا بتجارب كثيرة من أعمال المغاوير والفدائيين، وكان هؤلاء الفدائيون المغاوير نواة المعارك التي نشبت بين عرب فلسطين واليهود عامي ٤٧ و ٤٨. فقاموا باعمال رائعة وادهشوا الإنكليز ببراعتهم وتفوقهم الفني. وقاموا بنسف شارع بن يهودا في القدس، وعمارة جريدة بالستين بوست، ودار الوكالة اليهودية والقنصلية الأمريكية وغير ذلك.

ولما تم لنا تدريب عدد كبير من الشبان في المعاهد الحربية وفي هذه الدورة الفنية، قررنا إرسال بعضهم إلى فلسطين، للاعداد للمعركة الحتمية الاكيدة القادمة فقابلت عدداً من المسؤولين الالمان، كالجنرال برغر وهملر، ليحصلا على موافقة الفوهرر (هتلر) وانقضى بضعة أشهر إلى أن نجحنا في ذلك فهيأوا لنا مخزناً واسعاً جداً، جمعوا فيه كل ما يحتاج إليه الفدائيون والمغاوير من أنواع الأسلحة المناسبة لاعمال المغاوير (الكوماندوس) من عشرات الالوف من الرشاشات والبنادق وانواع المتفجرات الفنية

والقذائف المضادة للمدرعات وغير ذلك من الوسائل الحربية واجهزة الاتصالات اللاسلكية وخصصوا لنا اربع طائرات من ذوات الاربعة محركات (وكان هذا النوع من الطائرات قليلاً حينئذ) وفي صيف عام ١٩٤٤ ارسلنا طائرة تحمل قسماً من هذه الأسلحة والمعدات والاجهزة، وفيها خمسة اشخاص بقيادة المجاهد الشيخ حسن سلامة، فهبطت الطائرة في جزيرة رودوس، فتجهزت منها بالوقود واتجهت إلى فلسطين على ارتفاع شاهق، إلى أن وصلت إلى المكان المقرر، فهبط من فيها بالمظلات بما معهم من المعدات والأسلحة والاجهزة في الغور الغربي من نهر الأردن بالقرب من أريحا، وكانت مهمتهم منحصرة في:

١ - اعداد المخازن لتلقي الأسلحة المكدسة في المخزن ببرلين.

٢ - الاتصال اللاسلكي بنا لإرسال بقية الأسلحة والمعدات.

٣ - تدريب الشبان وإعدادهم للمعركة.

وارسلنا طائرة أخرى بقيادة المجاهد العراقي السيد (جاسم كرادي) الذي قاد المتطوعين العراقيين عام ١٩٣٦ في جبال جنين (فلسطين).

وكنا اعددنا أيضاً مخازن في الصحراء الغربية على أثر حملة رومل وضعنا فيها نحو ثلاثين ألف قطعة من السلاح مع ذخائرها، ولكن فشل حملة رومل حال دون الافادة من هذه الأسلحة.

كما أن الإنخداع بوعود الإنكليز وأضاليلهم، والغفلة التي رانت على قلوب العرب بسبب تضليل عملاء الاستعمار ادت إلى ان الذين اعتمدوا وكلفوا بإيواء المجاهدين الهابطين بالمظلات، وإخفاء ما حملوا من أسلحة، امتنعوا عن الدخول في هذه المغامرة، بحجة أن الإنكليز بدّلوا موقفهم بعدما حدث من اليهود في فلسطين حينئذ من اعتداء على بعض الضباط الإنكليز وقتلهم، ونسف بعض المباني الرسمية البريطانية في البلاد، (كدوائر المهاجرة والشرطة). وقد كان بعض عملاء المستعمرين من الذين يتظاهرون بالوطنية والاخلاص، قد أكّدوا لهؤلاء المخدوعين أن السياسة الإنكليزية تبدلت، وأنها أصبحت مستعدة كل الاستعداد لإنصاف العرب، وضرب اليهود! ومن المحزن ان بعض العرب ينخدعون بمثل هذه الوعود، رغم أنهم جربوها مراراً ولا يزالون يخدعون أنفسهم ويصدقون أعداءهم ويلدغون من جحورهم مراراً.

ها نحن اليوم بعد التجارب المريرة، واللدغات الكثيرة، لا نزال نجد بعض العرب يمنون نفوسهم بالحلول السلمية، ويحسبون السراب ماء، ولم يوقنوا حتى اليوم، أن

المؤامرة المبيتة بين ا ليهود والمستعمرين على فلسطين، لا علاج لها إلا بالحزم والتصميم والقوة والفداء. وإن لا علاج لقضية فلسطين الا العلاج الذي شفيت به الجزائر وفيتنام، وأن اللغة الوحيدة التي يفهمها الصهيونيون والمستعمرون، انما هي لغة القوة والجهاد، والاستماتة والفداء، وأن معركتنا مع الصهيونيين ومن يدعمهم ويؤيدهم من المستعمرين هي معركة مفروضة علينا فرضا، وليس لنا فيها خيار، فلا مناص لنا من قبول تحدي الأعداء، والصمود لهم، وبذل النفوس والأموال في سبيل الله، وإنقاذ البلاد المباركة والاماكن المقدسة. وإن كل تأجيل للمعركة هو عبارة عن منح الأعداء فرصة للاستعداد وذلك ما فعله العرب بمنحهم الصهيونيين فرصة عشرين سنة كاملة أي من ٤٨ إلى ١٩٦٧ وهو ما لا تفعله أية أمة واعية، وما كان ليفعله العرب أيضاً لولا ضغط الدول الاستعمارية الضالعة مع الأعداء.

فلا سبيل للحياة الكريمة الا بالتضحية والفداء ولا سبيل للفوز والنصر إلا بالاستماتة. فالمستميت لا يموت، ومن طلب الموت توهب له الحياة. سنة الله في جميع الأمم وفي كل زمان ومكان، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

* * *

لمسنا في المانيا الروح العسكرية، المنبثقة من صميم نفوس الشعب الالماني وتقاليده العريقة منذ الطفولة فقد كنا نشاهد الأطفال، لا يكادون يلعبون إلا العاباً عسكرية من مشية منتظمة وحركات يقلدون بها الجنود في المعارك ونحو ذلك، وإذا مشى بجانبك الماني مهما كانت سنه فان أول ما يفعله بصورة تكاد تكون آلية، أن ينسق خطواته مع خطواتك وإذارأيت جماعة من الالمان يسيرون معاً رجالاً كانوا أو نساء، تلاحظ أنهم يمشون مشية عسكرية، بتنسيق خطواتهم معاً، ولو كانوا مدنيين.

وكان الالمان في ذلك العهد يتدربون تدريباً اجبارياً عاماً، فالطلاب الذين يتمون دراستهم الثانوية، لا يسمح لهم بدخول الجامعات إلا إذا اتموا دورة تدريبية كاملة وحصلوا على شهادة رسمية بذلك، ولا يسمح لأحد أن يتولى أية وظيفة من وظائف الدولة، ووظائف أية شركة ما لم يبرز شهادة التدريب الرسمية، وبهذه الطريقة يقبل الشعب الالماني على التدريب العام. هذا عدا التجنيد الاجباري العام. ويساعد على ذلك روح الجندية الفطري في الشعب الالماني قاطبة.

دعينا لزيارة مراكز الشبيبة الهتلرية التي كان يترأسها (بالدور فون شيراخ) الذي أصبح بعد ذلك حاكماً للنمسا. فرأينا في هذه المعاهد كثيرا من نشاط الشبان

وتدريبهم العسكري. ورأينا كيف يعودونهم على الكفاح والتقشف والخشونة والجلد والصبر وتحمل المشاق والمكاره، ورأينا تدريبهم في مناطق جبلية شديدة البرودة، كيف يذللون الصعاب ويقتحمون الغابات المغطاة بالثلوج، في جو شديد البرد بلغت درجته نحو خمس عشرة تحت الصفر.

سنت الحكومة الالمانية في عهد هتلر قانوناً، يجند كل شاب الماني، ويفرض عليه قبل بلوغه سن الجندية، أن يقضي عاماً كاملاً في العمل مجاناً لمصلحة الدولة والشعب، فيحمل فاساً، أو مجرفة أو غيرها من الادوات الزراعية، ويعيش عيشة الجندية. فيعمل في تجفيف المستنقعات ونحوها من المشروعات الزراعية وغيرها، دون ان يتقاضى أي أجر. ويبلغ جيش العمل ملايين من الشبان الذين كانوا يعملون لصالح الدولة... ولقد ادخلنا في جيش العمل هذا بضعة شبان من العرب ليتدربوا في هذا الجيش ولينقلوا طريقة جهوده المفيدة إلى البلاد العربية.

حاول موسوليني ان يبعث الروح الرومانية في نفوس الشعب الايطالي، فأنشأ نظام «الباليلا» وحشد الأطفال الصغار في مدارس خاصة، تربي النشء الايطالي تربية عسكرية قوية، ولقد زرنا بعض مدارس «الباليلا» فرأينا الأطفال في حياتهم اليومية يعيشون عيشة عسكرية بحتة، ويرتدون ملابس الجندية وقد سمعنا بعض اناشيدهم الحماسية العسكرية تكاد تزلزل الارض من تحت اقدامهم.

وبالرغم من أن موسوليني بذل أقصى جهوده طيلة حكمه لإيطاليا، أكثر من عشرين عاماً، فانه لم يستطع إثارة الروح العسكرية الرومانية الشهيرة في التاريخ، في نفوس الشعب الايطالي بالمقدار الذي كان يهدف إليه. وقد ظهر ذلك جلياً، في أوائل الحرب العالمية الثانية، حين اصطدم الجيش الايطالي بالجيش اليوناني، وبالرغم من أن فرق «القمصان السود» الايطالية كانت أبسل من غيرها، فانها لم تستطع الصمود في وجه الجيش اليوناني، مما أضطر هتلر لأن يرسل بعض الفرق الالمانية إلى اليونان.

ولاريب في أن الشعب الايطالي ميال بفطرته إلى العمران، والهندسة، والفنون الجميلة ونحوها، كما جاء في خطاب موسوليني بعد أن تم تجفيف المستنقعات في بعض المناطق الايطالية الذي جاء فيه:

«هذه هي المشروعات العمرانية المفيدة، هي التي أفضل الكفاح لتحقيقها، وهذه هي الحرب التي أرجح خوضها». ولكل شعب فطرته.

* * *

رؤي عند تأليف فرقة «خنجر» البوسنوية أن يكون لكل وحدة كبيرة فيها أمام ديني، تسند إليه مهمة التوعية الدينية والتعبئة الروحية لأفرادها، بالإضافة إلى قيامه بأداء الشعائر الدينية معهم. وبعد التفاهم مع الرئاسة الدينية للطائفة الإسلامية، قام المرحوم الشيخ محمد بانجه عضو مجلس كبار العلماء في بوسنه وهرسك باختيار ١٧ شاباً من المتخرجين من مدرسة «الغازي خسروبك» ومدرسة «القضاء الشرعي» بسراي بوسنه والازهر بمصر. ولما تم تجنيد هؤلاء الائمة وصلوا إلى برلين واقاموا في إحدى ضواحيها، حيث عقدت لهم حلقة دراسية استمعوا خلالها إلى محاضرات، تعاونت في إلقائها عليهم مع المرحومين الشيخ حسن أبو السعود والدكتور مصطفى الوكيل وبعض العلماء الالمان.

وبعد ذلك جرى تدريبهم تدريباً عسكرياً ثم توزيعهم على ألوية الفرقة، فما لبث قوادها ان تبينت لهم القيمة الكبيرة لعمل هؤلاء الأئمة وتأثيرهم في معنويات الجنود، فتمنوا ان يكون لكل وحدة من الوحدات الصغيرة في الفرقة أمام خاص بها، وأقتنعت القيادة العليا لسلاح س.س. بوجاهة هذه الفكرة، فاستشارتني في طريقة تحقيقها، فأشرت بإنشاء معهد لتخريج الائمة لهذه الوحدات الصغيرة، واختيار الملتحقين به من بين جنود الفرقة وضباط الصف فيها الذين سبق لهم الإلمام بالعلوم الدينية في المدارس الإسلامية في وطنهم. فلما تمّ التفاهم على ذلك، اخترنا أربعة من علماء البوشناق (اثنان منهم من ائمة الفرقة هم: حسن سليمان جوزو وحارث قورقوت، والآخران من المدنيين هما: صالح حاجي عليش ومصطفى بوسولاجيتش) ليكونوا أساتذة في هذا المعهد، الذي أنشئ في مدينة «غوبن» وتخرج منه ٥٠ إماماً في دورتين، استمرت كل منهما أربعة أشهر. ولقد قمت بزيارة هذا المعهد عدة مرات لتفقد شؤونه والاجتماع بالأساتذة والطلبة فيه. وألقيت فيه عدة محاضرات.

* * *

ذكرت آنفاً ما شهدته من روح العسكرية الالمانية وتقشف الشعب الالماني خلال الحرب العالمية الثانية، وأضيف إلى ذلك الآن كيف إننا كنا نشعر بحالة الحرب السائدة في بلاد الرايخ الالماني التي تلمسها في الشوارع والاسواق، وتحس بها في البيوت الخاصة والاماكن العامة، وفي كل مكان من المدن والقرى، فلا يستطيع أحد ان يشتري سلعة أو طعاماً أو ثياباً الا بالبطاقات الرسمية التي يحملها، والتي هي موزعة على جميع افراد الشعب دون فرق أو تمييز، فلا يستطيع أحد أن يشتري أكثر من كسوتين في العام احداهما شتوية والأخرى صيفية وحسب. ومهما حاولت وبذلت

من المال فانك لن تستطيع ان تشتري كسوة ثالثة ولا تستطيع الحصول على أية سلعة إلا بمقدار ما تملك من بطاقات محددة. وليس للسوق السوداء أي مجال، فتشعر بحالة الحرب مسيطرة على كل شيء، وفي كل مكان في المانيا.

وكل طاقات الدولة والشعب كانت مصروفه في سبيل الجهد الحربي، فلا سبيل إلى الحصول على الأشياء الكمالية، ولا مجال للقيام بأية مشروعات عمرانية كالمباني وشق الطرق ونحو ذلك الا لأسباب عسكرية، ولا ينفق مال إلا في سبيل الجهد الحربي، إلا ما كان في الشؤون الضرورية لحياة الشعب الالماني.

وكانت حالة التقشف خلال الحرب ترى جلية واضحة في المأكل والملبس والمركب، وفي كل شأن من شؤون الحياة والمعيشة. وكنت اشاهد كثيرين من كبار رجال الدولة وعيالهم يركبون الدراجة العادية بدلاً من السيارة لتوفير البنزين.

وكان الالمان يروضون أنفسهم ويعوّدون أجسامهم على الخشونة والتدريب الشاق. ومن ذلك أنهم كانوا يحملون اطفالهم على المشي حفاة خلال أشهر الصيف، لما في ذلك من التخشن والفوائد الصحية وتدريب الأطفال على الجلد وشظف العيش.

وقد لمس الالمان بعد تغلغلهم في اصقاع روسيا المكسوة بالثلوج، والشديدة البرودة ـ حتى أنها زادت على خمسين درجة تحت الصفر في شتاء عام ١٩٤٢ أن الروس أكثر منهم تقشفاً وتخشناً، وأشدّ منهم صبراً وجلداً واحتمالاً لوطأة البرد الشديد، فضاعف الالمان حينئذ جهودهم في ترويض شعبهم على التقشف والتخشن.

ومما يحز في النفس أن نرى هذا الفرق العظيم والبون الشاسع، بين الالمان خلال الحرب في تقشفهم وتخشنهم وتلبسهم لحالة الحرب وانكبابهم عليها، وبين ما نعيش فيه اليوم من رخاء العيش وبلهنية الحياة، ونحن في حالة حرب ضروس مصيرية مع الصهيونيين الباغين المعتدين، إذ نرى الأمة العربية في جميع اقطارها لا تكاد تشعر بأنها في حالة حرب مع عدو شديد الخطر، واسع الحيلة، عظيم التصميم على باطله وكيده، بل هي سادرة في اللهو والعبث، وممعنة في البذخ والترف والاسراف في المأكل والمشرب والملبس واللذات، والاستمتاع بسائر المباهج وما يقال له «كماليات»، وتشييد القصور والتفاخر في الأموال والأولاد، فلا تقشف ولا تخشن، ولا تدرب على السلاح ولا استعداد لحرب الأعداء، بل لا شعور بخطر الحرب ولا توفر على العمل للاخذ بأسباب القوة والمنعة، فكأننا لم نسمع بقول الله تعالى ﴿وتّبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾. وقوله جل شأنه: ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾.

وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا﴾ وقوله عز وجل في لزوم الاستعداد للعدو والاحتراز منه، حتى في حالة الصلاة، مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وإذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم، فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾. وقوله: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم، ان تكونوا تالمون فأنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون﴾. وقد شغلنا باكتناز الأموال، وتنمية الثروات، وإنشاء العمارات والقيام بالكمالي من المشروعات غير آبهين بالخطر المحدق والعدو المتربص، شأننا في ذلك شأن من ينشئ حديقة له فيها من كل الثمرات، ثم يتركها دون حراسة ولا سور، فتصبح نهباً مقسماً وصيداً سهلاً للأعداء الطامعين.

لقد كان الشاعر العربي الجاهلي لقيط الأيادي أعقل وأبصر وأبعد نظراً من الأمة العربية في جيلها الحاضر، في قصيدته التي قالها قبل أربعة عشر قرناً، محذراً قومه من الأعداء نورد منها ما يأتي:

يا أيهُا الراكبُ المُزجي مَطيتَّهِ	إلى الجزيرةِ مُرتاداً ومُنتَجِعا
أبْلِغْ إياداً وخلّلِ في سُراتِهِمْ	إني أرى الرأيَ إنْ لم أُعْصَ، قد نَصعَا
يالَهفَ نفسيَ إنْ كانت امورُكُمْ	شَتى وأُحكِمَ أمرُ الناسِ فاجْتمَعَا
أما تخافون قوماً، لا أبا لكمُ	أمسَوْا إليكمْ كأمثال الدَبا سَرعَا
في كلِّ يومٍ يَسنّون الحِرابَ لكمْ	لا يَهْجَعون إذا ما غافلٌ هَجعا
لا الحرثُ يَشْغَلُهم بل لا يَرَوْنَ لهمْ	من دونِ بَيضَتِكم رِيّا ولا شِبعا
وأنتمْ تحرثُون الأرضَ عن سَفَهٍ	في كلِّ مُعتَمَلٍ تبغونَ مُزْدَرَعا
مالي أراكُمْ نياماً في بُلَهْنيةٍ	وقد ترونَ شِهابَ الحربِ قد سَطَعا
فاقنُوا جيادَكُمْ واحمُوا ذِمَارَكُمْ	واستشعِروا الصبرَ لا تستشعِروا الجَزَعا
لا تُثمِروا المالَ للأعداءِ إنّهُمْ	إنْ يَظهروا يَحتووكمُ والتِّلادَ مَعا
واللهِ ما انفكَتْ الأموالُ مذْ أبدٍ	لأهلها ان أُصيبُوا مرةً تَبَعا
ياقومُ بيضتُكم لا تُفجَعَنَ بها	إني أخاف عليها الأزلَمَ الجَذَعا
هو الجلاءُ الذي يجتثُّ أصلَكُمْ	فمن رأى مثلَ ذا رأياً ومَن سمِعا

قوموا قياماً على أمشاط أرجُلِكم ثم أفزعوا، قد ينَالُ الأمر مِن فَزِعا
وقـلـدُّوا أمـرَكُـمْ لـلـه دَرُّكُـمُ رَحْبَ الذراع بأمرِ الحربِ مُضطَلعا
مُـشَّـردَ الـنومَ تـعـنـيـه أمورُكُـمُ يَرومُ منها إلى الأعداء مُطّلعا
ولـيـس يـشـغَـلُـه مـالٌ يُـثـمِّـرهُ عنكمُ ولا ولدٌ يبغي له الرِّفعَا
لقد بذلتُ لكم نُصحي بِلا دَخَلٍ فاستيقظوا ان خيرَ العلم ما نفعا

إن المشروعات العمرانية الضخمة في الأقطار العربية، والنهضة الاقتصادية والصناعية والنفطية وغيرها، تدعوا إلى الإعجاب، وتبعث الغبطة في النفوس أول وهلة، ولكنها في الوقت نفسه تبعث القلق الشديد في نفوس بعيدي النظر، الذين يخشون ان تصبح غنيمة باردة في أيدي الأعداء إذا لم تكن لها حصون تصونها وجيوش تحميها.

إن اليهود الصهيونيين، منذ وطأت أقدامهم أرض فلسطين وهم يسيرون على طرق خاصة من حياة التقشف والتوفير والعزوف عن الكماليات والترف والتبذير، ويخصصون فائض أموالهم للانفاق على التسليح والتحصين والتدريب وبناء القواعد العسكرية وكل وسائل القوة، التي ضمنت لهم حتى الآن الفوز على العرب في هذا المعترك. وما يزالون سائرين على هذا النهج، لكي يضمنوا تحقيق أطماعهم التوسعية في أقطار عربية أخرى غير فلسطين. فما أجدر العرب بأن ينتبهوا من غفلتهم، ويبادروا بإعداد جميع وسائل القوة والتعبئة الروحية والخلقية والعسكرية، والتدريب العام والتجنيد الاجباري (الإلزامى) وجمع الصفوف بعد جمع القلوب.

أولم يأن لنا ان نعتبر بعد كل ما نزل بنا من نوازل، وحاق بنا من كوارث وفقدنا من أموال وممتلكات وثروات في فلسطين وغيرها من الأراضي المغتصبة؟ ألا إن في ذلك لعبرة لأولي اللألباب.

مَـنْ لم تـفِـدهُ عِـبـرا أيـامَـهُ كان العمى أولى به من الهُدى

لقد سبق لنا أن أنذرنا الحكومات العربية، وحذرناها من مطامع الصهيونيين التوسعية، ودعوناها إلى الأخذ بأسباب القوة والمنعة والاستعداد لصد العدوان اليهودي، لأن الحرب بين العرب والصهيونيين واقعة لا محالة مرة أخرى، فقد قدمنا إلى مراجع عربية عليا عام ١٩٥٢ مذكرة خاصة جاء فيها ما يلي حرفيا:

«الحرب مع إسرائيل آتية لا ريب فيها، وفي أقرب مما يظن، وستكون حربا لا هوادة

فيها ولا رحمة. وهذه الحوادث التي تقع كل يوم على الحدود (وقد سجل الاحصاء ٩٦٦ حادثا خلال عام واحد) هي نذر تسترعي الانظار، وتنذر اولي الابصار. وقد استعد اليهود استعداداً كبيراً، فدربوا الرجال والنساء من سن ١٨ ـ ٤٥ للنساء وإلى سن ٥٠ للرجال، وشرعوا في إنشاء المستعمرات المحصنة على طول الحدود. ومهما حاولت الدول العربية تجنب هذه الحرب أو تأخيرها، فلن تضمن ذلك لأن زمام المبادرة انما هو في أيدي «إسرائيل» ومن يسيطر عليها من الدول الاستعمارية الكبرى كأمريكا وإنكلترا. ولهؤلاء جميعا، من يهود ومستعمرين، خطة موحدة، بل مؤامرة مبيته مدروسة ومتفق عليها منذ أمد بعيد، يسيرون في تنفيذها خطوة خطوة، ولا يتراجعون عنها إلا إذا لمسوا منا يقظة واستعداداً كاملاً يحسب حسابه.

ولذلك ينبغي القيام بما يأتي:

١ ـ أن تبادر الدول العربية إلى الاستعداد الجدي لتحصين حدودها وتقوية جيوشها وإنشاء القرى المحصنة على حدودها، كما يفعل اليهود، وتوفير جميع أسباب القوة على أوسع مدى مستطاع.

٢ ـ أن تنتبه كل الانتباه، ولاسيما مصر، للطابور الخامس المتربص بها في داخل البلاد، والمنبث في كل ثغرة منها وأن تحذر العناصر التي يخشى من تعاونها مع الأعداء، والتي تعتقد أن من صالحها وعقيدتها ان تساعد الأعداء، فتدرس أحوالهم درسا عميقا وتسبر غورهم، ثم تعمل على إحباط خططهم العدوانية ودسائسهم وفتنتهم المنتظرة، وشل حركتهم التي يتوقع ان يقوموا بها حينما تنشب الحرب.

في مصر عدد كبير من اليهود يقدر بنحو ٨٩ الفا، منهم نحو ٢٠ ألف يهودي أجنبي ومجموع الاجانب نحو ٣٠٠ ألف وفيها عدد أخر من المتمصرين، أو الباقين على جنسياتهم، وكذلك عناصر أخرى رباهم الاستعمار في احضانه خلال ٧٠ سنة، واشترى قلوبهم وعقولهم

ولئن اكتشف البوليس المصري عصابة صهيونية واحدة أو أكثر فان هنالك ألوفاً من المنظمات السرية والخلايا الخفية.

٣ ـ الاهتمام الجدي بمعرفة كل ما يجري في داخل «إسرائيل»، وحقائق أحوالها، ومقدار قوتها، ومواطن الضعف فيها، وتعيين الأهداف التي يمكن باصابتها التأثير عليها وتحطيم قواها.

٤ ـ إعداد خطة مغاوير (كوماندوس) واسعة، والقيام بدراسة فنية تتناول الجسور (الكباري) والطرق، والمعامل والمطارات، والثكنات، ومستودعات الأسلحة والذخائر والمؤن، ومصانع تكرير البترول في حيفا، وجميع المراكز الحساسة في داخل البلاد وعلى حدودها ثم تجهيز كافة الوسائل والرجال المدربين لتنفيذ خطة الفداء المذكورة فور تلقي الأمر من القيادة، لايقاع الارتباك والذعر في صفوف الأعداء وقطع مواصلاتهم.

٥ ـ تدريب أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين تدريباً عسكرياً وفنياً، للقيام بتنفيذ خطة المغاوير والفداء المذكورة اعلاه، ليقوموا بحروب عصابات داخل البلاد في المناطق الجبلية، والمواقع المنيعة، وفي جبال النقب. والفلسطينيون خبيرون بطرق بلادهم، ومعابر جبالهم ومواقعها، كما أنهم حاقدون، متألمون، وشجعان، بارعون في حرب العصابات، كما شهد بذلك قواد الإنكليز أثناء ثورات فلسطين.

٦ ـ إن لـ«إسرائيل» حدودا طويلة جدا متاخمة لمصر، ولفلسطين التي تحت إدارة الأردن وللبلاد الأردنية والسورية واللبنانية. وأكثر حدودها في فلسطين والأردن وسوريا ولبنان مناطق جبلية، والمناطق العربية أعلى في مواقعها من المنطقة الإسرائيلية ومسيطرة عليها، فإذا عهد إلى منظمات مؤلفة من الشبان الفلسطينيين المدربين المقيمين حول هذه الحدود، بمهام عسكرية، وباعمال المغاوير (كوماندوس) فانهم يحققون نتائج باهرة تؤثر كثيرا على مجرى الحرب.

٧ ـ تكليف قيادة المنظمات الفلسطينية دراسة الأهداف الحساسة في داخل «إسرائيل» وعلى طول حدودها وتجهيز كل ما ينبغي لتنفيذ خطة أعمال المغاوير وأحداث الذعر، فور تلقي اشارة القيادة العليا.

٨ ـ يمكن تنفيذ هذا البرنامج بنفقات ووسائل قليلة، لا تتناسب مع النتائج العظيمة التي تنتج عنها، ويمكن الشروع بها فورا على جميع حدود «إسرائيل».»

وبعد ذلك قدمنا إلى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية مذكرة في عام ١٩٥٥ جاء فيها مايلي:

«.. ان المؤامرة الاستعمارية اليهودية التي تستهدف الوطن العربي كله بادئة

بفلسطين كرأس جسر، للوثوب منه إلى سائر الأقطار العربية، قد دخلت في دور جدي خطير إن لم تواجهه الأمة العربية، حكومات وشعوباً، مواجهة جدية حازمة، بتصميم واستماتة كتصميم الخصوم أو أشد، فإن الكارثة التي حلت بفلسطين ستحل لا سمح الله بالأقطار العربية».

وبعد أن طالبنا في المذكرة بتجنيد الفلسطينيين، طالبنا «باتخاذ الوسائل الكفيلة بتعبئة الأمة العربية في كافة اقطارها، تعبئة روحية وعسكرية واقتصادية، ومصارحة شعوبها بخطورة الموقف، ووجوب الأهبة والاستعداد والتضحية بالأموال والانفس، للذود عن حياتها وكيانها وكرامتها، والمبادرة بوضع انظمة التقشف في سبيل توفير المال للجيش ووسائل الدفاع، كما فعلت السلطات اليهودية في فلسطين المحتلة منذ ثماني سنين، من تعبئة روحية وعسكرية، وسن انظمة اقتصادية نفذتها على الشعب اليهودي، وفي مقدمتها «قانون التقشف والتقتير» الذي حرم البذخ والإسراف والإنفاق على الكماليات، وتوفير الأموال لتسليح الجيش وتجنيد اليهود رجالاً ونساء... الخ»....

الموقف النازي من اليهود:

استيفاء لبحث المطامع اليهودية في فلسطين والأقطار العربية ومساعي زعماء الصهيونية بعد مؤتمر بال، لدى السلطان عبد الحميد، للسماح لليهود باستيطان فلسطين ورفضه القبول بمطالبهم واغرائهم، وما تبع ذلك من تآمرهم على السلطان وعلى دولة الخلافة الإسلامية، نورد فيما يلي تلخيصاً لمساعي زعماء الصهيونية لدى كل من الدولتين الالمانية والإنكليزية وحلفائهما، للموافقة على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود، ونجاح تآمرهم مع بريطانيا وحلفائها للحصول على وعد بلفور بعدما فشلت مساعيهم لدى المانيا وحلفائها لرفض الدولة العثمانية وتشددها في معارضتهم، ونبدأ ببيان أوضاع اليهود في المانيا وأسباب الخصومة التي نشأت بين الالمان واليهود أثر الحرب العالمية الأولى.

كان اليهود قبل الحرب العالمية الأولى، يتمتعون في المانيا بارغد عيش، وكان المقيمون بها من اليهود يصفون المانيا بأنها «جنة الدنيا»، وكان مركز اليهودية العالمية، في المانيا قبل انتقالها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ذلك بأن الالمان شعب نشيط جاد كثير الانتاج في الزراعة والصناعة والتجارة والاختراع، وفيهم من البساطة وطيبة القلب ما مكن اليهود من استغلالهم على أوسع نطاق، فكان يهود المانيا يسيطرون على الشؤون المالية والاقتصادية والصحفية، وكانوا يملكون معظم العمارات الكبيرة في

برلين وغيرها من المدن، ويملكون أو يديرون معظم الشركات التجارية والصناعية، وكان معظم المصارف المالية خاضعاً لنفوذهم، ولهم العدد الاوفر والنفوذ الأكبر بين رجال القضاء والمحاماة واساتذة الجامعات. وحسبك أن تعلم أن المقر الأساسي لأسرة روتشيلد اليهودية الشهيرة كان في المانيا بمدينة «فرانكفورت ماين» ثم توزع افرادها في عدد من العواصم الاوروبية، وحينما زرنا فرانكفورت عام ١٩٤٣ شاهدنا من جملة ما شاهدناه البيت الأساسي القديم لجد أسرة روتشيلد.

ولأسرة روتشيلد المقام الأشهر عند اليهود، فقد كان البارون روتشيلد أول من بذل المال الوفير على إنشاء المستعمرات اليهودية في فلسطين مثل ريشون لوزيون، وزخرون يعقوب وغيرهما، كما أن بلفور وزير خارجية بريطانيا عندما أعلن تصريحه باسم الحكومة البريطانية في ٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧ بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، كان التصريح موجها إلى اللورد روتشيلد.

وفي عام ١٩١٦ خلال الحرب العالمية الأولى، عقد في برلين مؤتمر قمة برئاسة قيصر المانيا ويلهلم الثاني للدول التي اشتركت في الحرب بزعامة المانيا القيصرية، حضره امبراطور النمسا والمجر فرانسوا جوزف، وملك بلغاريا بوريس، والصدر الأعظم للدولة العثمانية طلعت باشا نيابة عن السلطان محمد رشاد الذي لم يستطع الحضور لمرضه، فكان من أهم أحداث هذا المؤتمر أن القيصر الالماني عرض على الدول الحليفة لالمانيا حينئذٍ مشروعاً باسم اليهودية العالمية التي استغلت ظروف الحرب حينئذٍ والانهاك الذي أصاب الفريقين المتحاربين بعد انقضاء ثلاث سنوات على إعلان الحرب، فطلبت ان يقطع لها وعد بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين!.

وقد حرص القيصر حينئذٍ على أن يحمل زملاءه على الاستجابة للطلب بحجة أن لليهودية العالمية نفوذاً كبيراً في العالم، وأن اليهود قد وعدوا، إذا ما استجيب طلبهم، أن يقدموا إلى المانيا وحلفائها مساعدات عظيمة تحقق لهم النصر في الحرب، وأضاف القيصر إلى ذلك قوله: إننا نعلم أن اليهودية العالمية تقدمت إلى اعدائنا الإنكليز وحلفائهم بالطلب نفسه لكنها أميل الينا لأن فلسطين هي في حوزة حليفتنا الدولة العثمانية، والتفت القيصر إلى طلعت باشا وحضه على أن لا يألوا جهداً في حمل دولته على الاستجابة للطلب...

كانت كفّة المانيا وحلفائها في الحرب حينئذٍ ارجح من كفة اعدائهم، لأن

الهجوم البريطاني على «جناق قلعة» الدردنيل، مني بالفشل، واصيبت القوات البريطانية بكارثة أخرى في كوت العمارة بالعراق باستسلام ١٦ ألفاً من قواتهم بقيادة الجنرال طاوتسند كما أن جبهة روسيا القيصرية اصيبت بضربتين قاصمتين، احداهما الهزيمة العسكرية الساحقة التي أصابتها بها جيوش الماريشال هندنبورغ، والأخرى الضربة الداخلية التي انزلتها بها الشيوعية بزعامة «لينين» حتى اضطرت روسيا أن تتحفز للانسحاب من الحرب، وفي الجبهة الغربية كانت الجيوش الالمانية قد اوغلت كثيراً في الأراضي الفرنسية وقامت بمعركة «فردون» الشهيرة حتى أصبحت المانيا قاب قوسين أو ادنى، من النصر. وهذا ما جعل قيصر المانيا يلح على طلعت باشا بضرورة موافقة الدولة العثمانية على طلب اليهود، فلما رجع طلعت إلى استانبول دعا مبعوثي القدس «نوابها» في مجلس المبعوثان العثماني لمقابلته، وحدثهم في الأمر فرفضوا العرض رفضاً قاطعاً، ثم عرض الأمر على المقام السلطاني وعلى الجهات العليا في الدولة. فكان الجواب أن دولة الخلافة لن توافق بأي شكل من الاشكال على التفريط في هذه البلاد المقدسة، وأن الدستور العثماني يفرض صيانة جميع الأراضي العثمانية والمحافظة عليها. وهكذا فشل المشروع اليهودي المعروض على المانيا وحلفائها.

أخبرني بهذا الحادث فيما بعد المرحوم السيد سعيد الحسيني نائب القدس حينئذٍ فقد روى لي هذه المعلومات بتفاصيلها واطلعني على نص العهد باللغة التركية الذي تقدم اليهود بطلبه من الدولة العثمانية بواسطة قيصر المانيا، فإذا به شديد الشبه بنص وعد بلفور، وكأنه هو.

أما الدولة البريطانية فبادرت بالموافقة على المشروع اليهودي واعدة بمنح اليهود ما لم تكن تملكه من بلاد ليس لها فيها أي حق، وطالبت اليهود خاصة بالعمل على زج الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب، ولم يكن ذلك سهلاً حينئذٍ لأن هذه الدولة كانت ملتزمة «شرعة مونرو» التي تقضي عليها بأن تلزم الحياد خارج البلاد الأمريكية، وتمنعها من التدخل في شؤون غير الشؤون الأمريكية.

ولكن نفوذ اليهود في الولايات المتحدة، وما لهم من وسائل الدعاية الواسعة والتأثير المالي والسياسي استطاع إثارة هذه الدولة التي أعلنت إنذاراً قالت فيه ان إغراق سفينة واحدة من قبل الغواصات الالمانية سيحمل أمريكا على دخول الحرب، وهذا ما جعل المانيا تحرص على أن لا تدع من جانبها أي سبب أو حجة للحرب مع أمريكا التي تملك قوى كبيرة وموارد عظيمة ولم تنهكها الحرب، فسحبت المانيا غواصاتها من

الطرق البحرية التي تسلكها السفن الأمريكية. إلا أن هذا لم يحل دون زعم الإنكليز واليهود أن غواصة المانية أغرقت السفينة «سكس» التي كانت تعمل في القنال الإنكليزي لنقل ركاب عاديين بين «كاليه» في فرنسا و«دوفر» في بريطانيا، وقد نقل هذا الخبر الكاذب المضلل إلى أمريكا مع الزعم بأن كثيرين من ركاب هذه السفينة الأمريكية قد غرقوا. وكان هذا الحادث من أقوى الأسباب التي اثارت الرأي العام الاميركي واستفزت أمريكا لدخول الحرب، وبعد دخول أمريكا الحرب بمدة قصيرة تبين ان هذا الخبر لا صحة له وانه مختلق من قبل اليهود والإنكليز وأن السفينة سكس ما تزال حية تسعى في القنال الإنكليزي، وأنه لم يغرق أي اميركي.

يقول هتلر: إنه لم يكن يرى أي فرق بين أي مسيحي وأي يهودي الماني أو نمسوي، ولذلك دهش حينما رأى تبدل موقف اليهود في المانيا بعد وعد بريطانيا لهم، فقد اندفعوا يعيثون فسادا وتخريباً في المانيا والجيش الالماني خاصة، وفي بلاد الدول الحليفة لها عامة، وينشرون دعاية واسعة جداً ليوهنوا قوى الشعب والجيش، فيشيعون أن لا فائدة ترجى من الاستمرار في الحرب لأن الرئيس الاميركي ولسون أعلن خطته السلمية العالمية ونقاطه الأربع عشرة التي تقضي بالمساواة بين الغالب والمغلوب، فكان لذلك أثر بالغ في نفوس الالمان العسكريين منهم والمدنيين، وفي الوقت ذاته شرعت المنظمات اليهودية في القيام باعمال تخريبية واسعة لتدمير المواصلات وقطع التموين عن الجيش، وباعمال الجاسوسية في مختلف اماكنها ووسائلها، وبكل ما من شأنه تدمير المانيا وحليفاتها.

وقد لمسنا حينئذٍ ما قام به اليهود في بلادنا الفلسطينية من أعمال التخريب والتجسس على الجيش العثماني بواسطة منظمات التجسس اليهودية التي كان من أهم عناصرها فتاة يهودية تدعى «سارة اهرنسون» وقد حدثني بذلك تفصيلاً، الجنرال التركي جواد رفعت اتيلخان الذي كان مديراً للمخابرات الحربية في الجيش العثماني الرابع، وألّف كتاباً خاصاً في هذه القضية نشرته مجلة «فلسطين». كما سمعت مثل ذلك من المرحوم الدكتور حسن فؤاد آل ابراهيم باشا من سراة حلب الذي كان رئيس أطباء في الجيش العثماني المرابط في حيفا فقد روى لي أنه عندما كان يتناول طعام الفطور صباحاً في منزل في جبل الكرمل بحيفا خلال أيام الحرب، وكان يقيم بذلك المنزل قبله بعض اليهود، شاهد حمامة تحلق في المنزل وكان فيه بعض الحمام فاسترعى نظره وجود شيء معلق في إحدى رجليها، فطلب ممن عنده ان يمسكوا الحمامة فلما أمسكوها وجدوا في رجلها رسالة بالشفرة فارسلوها إلى

مخابرات الجيش العثماني، فإذا بها رسالة موجهة من مخابرات الجيش البريطاني إلى الجاسوسة اليهودية سارة اهرنسون، وكان هذا الحادث سبب الارشاد إلى الجاسوسة والقبض عليها.

وقد كان لاعمال اليهود التخريبية والجاسوسية، ولزج الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب أثر كبير في اندحار المانيا وحرمانها من النصر.

رأي هتلر ذلك عندما كان يحارب في صفوف الجيش الالماني فاثارت تلك الحال استغرابه ولم يفقه الأسباب التي حفزت اليهود إليها، ولذلك فانه عندما ألف حزبه الوطني الاشتراكي بعدما وضعت الحرب اوزارها، شكل دائرة خاصة لدراسة القضية الإسرائيلية.

وزاده دهشة انه رأى كثيراً من زعماء اليهود الالمان يواصلون بعد انتهاء الحرب جهودهم الخثيثة لتخريب المانيا ونشر الفوضى فيها وجلب الشيوعية إليها مثل كارل ليبكنيشت زعيم الثورة الشيوعية في برلين عام ١٩١٨ - ١٩١٩ وروز لوكسمبورغ وقد تعاونت مع كارل المذكور تعاوناً وثيقاً... ويوجين ليفني الذي نصب نفسه دكتاتوراً شيوعياً على بافاريا عام ١٩١٩ وكيرت ايزنر الذي كان من أكبر دعاة الشيوعية ما بين اعوام ١٩١٧ - ١٩١٩ وكلهم من زعماء اليهود في المانيا، ولم يأل الشيوعيون جهداً في العمل لايقاع المانيا في شلل اقتصادي عام وانحلال سياسي واجتماعي ساعدهم عليه اندحار المانيا في الحرب وما لحق بها من خراب ودمار وخسائر هائلة في المدن والمصانع والأنفس والثمرات، ولم يكد هتلر يستولي على الحكم في المانيا عام ١٩٣٣ حتى بادر بإنشاء معهد دراسة القضية الإسرائيلية في فرانكفورت..

وفي أثناء إقامتنا بأوروبا أيام الحرب اجتمعنا بالوزير الالماني روزنبرغ الذي كان يوصف بأنه فيلسوف الحزب النازي، فقد وجه الينا روزنبرغ دعوة في عام ١٩٤٣ لزيارة معهد دراسة القضية الإسرائيلية، فقمت وبعض إخواني الذين كانوا مقيمين بالمانيا في ذلك الحين بتلبية تلك الدعوة وزرنا فرانكفورت يوم ١٢ نيسان «إبريل» من ذلك العام وقضينا فيها ثلاثة أيام قمنا خلالها بزيارة ذلك المعهد وتفقدنا اقسامه ومكاتبه واطلعنا على أعماله، لقد كان المعهد يضم نحو سبعين استاذاً من العلماء المتخصصين في علوم التاريخ والنفس، والتربية، والسلالات، والاجتماع وما إلى ذلك من الابحاث وقد اختيروا من مختلف البلاد الاوروبية، من المان ونمسويين وهنغاريين

وسويديين وفرنسيين وغيرهم، وكان المعهد يضم غيرهم نحو ٦٠٠ موظف من مديرين وكتاب وتراجمة واحصائيين ونحوهم مما تتطلبه أعمال المعهد.

وكان من أهم المواضيع التي كلف هتلر علماء المعهد بأن يوافوه بدراسات عنها المواضيع التالية:

١ ـ ما هو سبب أن اليهود ليس لهم ولاء لأية امة أو لأي أحد، ولماذا يحدثون الازمات السياسية والاقتصادية ويثيرون الحروب والفتن، ويفسدون الأخلاق في المجتمعات العالمية ويعيثون في الارض فساداً؟

٢ ـ كيف تمكن معالجة اليهود من هذه الأمراض وكف شرهم واذاهم عن الناس؟ وهل يمكن أن يعالجوا بالتربية والثقافة، أو بعلم النفس، أو بحسن المعاملة، أو بالارتباطات الاجتماعية من زواج وتعاون ومعاشرة وما إلى ذلك؟

٣ ـ إذا لم تنجع هذه الوسائل في اصلاحهم فكيف السبيل إلى اصلاحهم وكف اذاهم عن البشرية؟

لقد كان هذا المعهد بإدارة الدكتور «ريشتهوفر» الذي استقبلنا هو والمسؤولون تحت ادارته، بالترحيب الكبير والعناية الخاصة وجرت لنا معهم مباحثات اطلعونا خلالها على بعض ما وصلوا إليه من دراسات واحصاءات دقيقة واسعة من جملتها احصاء لجميع أصدقاء اليهود واعدائهم في العالم، وقد ضمت مكتبة المعهد جميع الكتب والصحف والمجلات التي تحدثت عن اليهود أو ذكرت شيئاً عنهم.

واهم ما اطلعونا عليه، بالنسبة إلى قضيتنا وقضايانا العربية خارطة عثروا عليها في خزانة روتشيلد الحديدية تحدد ـ مملكة إسرائيل ـ كلها ما بين النيل والفرات، فأخذنا نسخة منها وعربناها ونشرناها في ذلك الحين.

وفي اليوم الأول من زيارتنا للمعهد أقيمت لنا ولإخواننا الذين رافقونا، حفلة خطب فيها مدير المعهد مُرحباً وقد دهشنا لما اورده في خطابه من معلومات دقيقة عن قضيتنا مما دل على سعة اطلاعه عليها، ومما قاله: اننا نعرف تاريخ حياتكم، فانتم أقدم عهداً منا في مقاومة الصهيونية وأثبت قدماً، وقد بذلتم في سبيل قضيتكم من الجهود الصادقة ما يسجله لكم التاريخ.. وافاض في الحديث عن ذلك..

وقد استمر المعهد في العمل منذ عام ١٩٣٣ إلى عام ١٩٤٥. وكانت لديه مكتبات ضخمة ومراجع علمية عظيمة القيمة والفائدة، وقام بدراسات واسعة

وإحصاءات دقيقة. وكان يصدر نتائج بحوثه مرتين في الشهر بخمس عشرة لغة، بعد زيارتنا للمعهد طلبت منا ادارته ان نخصص لها مندوبا عربياً يشرف على إصدار نسخة باللغة العربية من دراسات المعهد. فكلفت الدكتور عادل مسكي من افاضل السوريين بالاقامة بالمعهد، وتم بعد ذلك صدور نسخة باللغة العربية.

وقد كان من اجوبة المعهد على بعض ما ورد في اسئلة هتلر الثلاثة ما يأتي:

١ ـ إن اعتقاد اليهود بأنهم شعب الله المختار، وإن الدنيا إنما خلقت من أجلهم، وإن من عداهم من الأمم ـ الغوييم ـ إنما هم حيوانات ليس لهم حق التملك أو الرئاسة، قد مكن فيهم روح الانانية الشديدة، والتفوق والاستعلاء والغرور والكره للناس، والحقد عليهم.

٢ ـ إن التجارب التي تمت لاستصلاحهم، كالعدل، وحسن المعاملة، والتزاوج، ووسائل الاصلاح الاجتماعية، وتوثيق الاواصر العائلية ونحوها، لم تؤد إلى نجاح حتى الآن.

يقول الالمان أنهم عاملوا اليهود بالحسنى والعدل والمساواة، ومكنوهم من اليسر والعيش الكريم، وساووهم بانفسهم، وفسحوا لهم مجال العمل في الميادين الاقتصادية والثقافية، والاجتماعية، لكن اليهود لم يقابلوا الحسنى بمثلها وجحدوا كل ذلك وقطعوا كل الاواصر، وأشد ما يحزّ في نفوس الالمان أن اليهود غدروا بهم وانحازوا لاعدائهم وحرموهم من النصر في الحربين العالميتين وأنزلوا بهم ضرراً عظيماً في ادق مواقفهم الحيوية الحاسمة لمجرد وعد بريطانيا لهم بمنحهم وطناً قومياً في فلسطين، وهذا الغدر كلف اليهود ثمناً باهظاً جداً..

كانت كفة المانيا والمحور، راجحة أوائل الحرب العالمية الثانية، وقد اجتاحت القسم الأكبر من أوروبا مثل تشيكوسلوفاكيا، والنمسة، وهنغاريا، وفرنسة وبلجيكا والنروج وهولندا والدانيمارك وبولونيا ويوغوسلافيا واليونان ومعظم مناطق البلقان، كما احتلت مناطق كثيرة من البلاد الروسية وغيرها، وقد خلبت انتصارات الالمان الباب الناس ونالت اعجابهم بجيوشها الباسلة واسلحتها الفتاكة، وتفوقها في الفنون الحربية والتكنولوجية، مما جعل كثيراً من الناس يعتقدون بأنها ستنال النصر المبين، وقد بذلت في سبيل ذلك قصارى جهدها، فجندت حتى نهاية الحرب نحو عشرين في المائة من مجموع شعبها البالغ ثمانين مليوناً في المانيا والنمسا، أي ستة عشر مليون جندي.

ولكن وفرة عدد أعدائها، وتفوقهم العددي والمالي والصناعي، وتمكن اليهود من

إقحام الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب ضد المانيا كما فعلوا في الحرب العالمية الأولى، واضطرار الالمان أن يحاربوا في جبهات متعددة وغير ذلك من الأسباب والاخطاء هو الذي أدى بالمانيا إلى خسارة الحرب.

واعتقد ان السبب الأكبر لخسارة المانيا الحرب انما كانت دوائر مخابرات الأعداء، من يهودية وإنكليزية واميركية وسواها، تلك المخابرات التي استطاعت اكتشاف الأماكن الخفية للمعامل الحربية، التي كانت تصنع الأسلحة السرية وفي مقدمتها مفاعلات القنابل الذرية، التي كانت تعول عليها المانيا في إحراز النصر النهائي. وقد سمعت من هملر في صيف عام ١٩٤٣ ما يدل على ثقته بالنصر، حين دعاني إلى شرب الشاي على شاطئ بحيرة في بروسيا الشرقية، وكان يشهد تجربة مصفحات اخترعوها عامئذٍ تستطيع عبور الانهار، وتمخر في الماء كما تسير في البر وتتسلق الجبال، وقد أشرت إلى هذا الاجتماع عندما تحدثت عن اجتماعاتي به سابقاً، فلما أبديت إعجابي بها قال لي: إن لدينا مخترعات أخطر وأهم كثيراً من هذه المصفحات. وسافضي اليك بسر لم يطلع عليه أكثر من عشرة اشخاص في جميع الرايخ الالماني، وذلك إننا تقدمنا كثيراً في علم الذرة وسيكون السلاح الذري أعظم سلاح يضمن لنا النصر، لقد وصل إلى علمنا أن الإنكليز والاميركيين أيضاً شرعوا في محاولة الحصول على أسلحة ذرية ولكننا سبقناهم بثلاث سنوات، وسنصل إلى السلاح الذري قبلهم بثلاث سنوات على الاقل.

لكن مخابرات الحلفاء استطاعت اكتشاف مكان المفاعلات الذرية في بروسيا الشرقية، بواسطة جواسيسها الذين دخل قسم كبير منهم البلاد الالمانية، تحت ستار العمال الاجانب الكثيرين الذين كانت المانيا في أشد الحاجة إليهم، لأنها اضطرت لتجنيد العمال الالمانيين وسوقهم إلى ساحة الحرب، حتى بلغ عدد العمال الاجانب في المانيا سبعة عشر مليوناً، فاندس الجواسيس بينهم وتمكنوا من اكتشاف الأماكن السرية لهذه المعامل الذرية، وكانت في (بنيمندي) على ساحل بحر البلطيق في شرق المانيا، ولما تأكد الحلفاء من ذلك صبحوها بغارة جوية هائلة دمرت المصانع والمفاعلات الذرية وقتلت عدداً من علماء الذرة الالمان وبذلك تمكن الحلفاء من إعاقة الالمان عن انتاج القنبلة الذرية.

وعلى أثر ذلك أضطر الالمان لنقل هذه المصانع إلى جزيرة تقع أمام شاطئ الدانيمارك وحفروا نفقاً تحت البحر يبدأ من الشاطئ الدانيمركي وينتهي بأرض الجزيرة حيث انشأوا معاملهم الذرية تحتها، وظنوا أنها أصبحت في نجوة، واستانفوا جهودهم

لانتاج القنبلة الذرية ولم يكادوا يتقدمون بعض التقدم في أعمالهم حتى اكتشفت مخابرات الحلفاء هذه الأماكن الجديدة وقامت طائراتهم بقصفها بالقنابل فدمرتها مرة أخرى، وهكذا عاقت إنتاج القنبلة الذرية التي كان الالمان يعولون عليها في إحراز النصر، وبذلك وأمثاله استطاعت مخابرات الحلفاء حرمان المانيا من النصر، وقد سمعت كثيراً من أعمال المخابرات الأجنبية ولكن المجال لا يتسع لسردها.

وأكتفي بحادث واحد منها وهو أن المخابرات الأجنبية استطاعت أن تشتري الاميرال كاناريس المدير العام لدوائر المخابرات في البلاد الالمانية، وقد أتهم كناريس بخيانة المانيا وحوكم لعدة تهم منها انه أحبط مساعي هتلر لادخال اسبانيا في الحرب بجانب المانيا عام ١٩٤٠، ومنها أيضاً أنه كان سبب زج المانيا في محاربة روسيا، وقد حكم عليه بالإعدام وأعدم في مدينة فلوسنبورغ في إبريل عام ١٩٤٥. وذلك قبل انتهاء الحرب بنحو أسبوعين.

قرأت كثيراً من المقالات والمطبوعات من كتب ورسالات لكتاب عديدين ينشئون باللغة العربية، ولكنهم يستوحون ما يكتبون من مصادر أجنبية ويزعمون أنهم عرب يدافعون عن القضايا العربية، فالسنتهم عربية وقلوبهم أجنبية. وقد زعم أحدهم ان سفري إلى المانيا خلال الحرب العالمية الثانية كان هو السبب الذي حمل دول الحلفاء على التجني على العرب والتحيز لليهود.. وأنه لولا سفر الذين سافروا من العرب إلى المانيا حينئذٍ لدعمت أمريكا وانكلترة العرب في قضية فلسطين وسائر القضايا العربية ولقاومتا المطامع اليهودية ولم تطلقا أيدي الصهيونيين في فلسطين!

وقد نسي الكاتب المذكور أو تناسى، هو وامثاله ممن عمرت جيوبهم واقفرت افئدتهم، ان العرب في الحرب العالمية الأولى حصلوا على معاهدة واضحة من انكلترة وأن كثيراً منهم حاربوا في سبيلها إخوأنهم في الدين الاتراك العثمانيين، وبرغم ذلك نقضت إنكلترا عهدها لهم وأخلفت وعدها وباعتهم من الصهيونيين بأبخس الاثمان.

ولذلك لا أرى بدأ من ان أورد هنا ما سبق ان أشرت إليه في بعض المناسبات من الأسباب التي حملتني على السفر إلى المانيا في تلك الظروف القاسية والمشحونة بالاخطار والمشاق فان الإنكليز لما أعيتهم الحيل لمحاولة إغرائي وجذبي إلى جانبهم بوسائل كثيرة من وسائل الاغراء بالمال وبأعلى المناصب، وبطرق مختلفة من الترغيب والترهيب، ويئسوا مني ومن إخواني العاملين الصادقين، عمدوا إلى الشدة والعنف والدسائس والمؤامرات وتحريض المناوئين، واللدد في الخصام بمحاولة القتل والاغتيال

(وسيرد ذكر بعض هذه الوقائع في مكان آخر من هذه المذكرات). فلما ضاقت السلطة البريطانية ذرعاً بي وحاولت اعتقالي في دار اللجنة العربية العليا لفلسطين بالقدس وطوقتها بقوة كبيرة من رجال البوليس البريطاني المسلحين يوم ١٧ تموز (يوليو) عام ١٩٣٧ وفشلت في تلك المحاولة، ونجوت بفضل الله والتجأت إلى بيتي الحصين في جوار المسجد الأقصى المبارك، عمدت السلطة إلى محاصرة منطقة الحرم الشريف مدة ثلاثة أشهر من ١٧ تموز إلى ١٣ تشرين الأول (اكتوبر) ووضعت على الابواب قوات بريطانية مسلحة، ثم قررت اقتحام الحرم الشريف بالقوة المسلحة لاعتقالي. ولما كان الحرم الشريف محروساً بعدد وفير من المجاهدين الفلسطينيين، قررت الخروج من منزلي، وأن أتفادى إهراق الدماء في ذلك المكان المبارك بالمجازفة بالخروج. وكتب لي الله السلامة ووصلت لبنان حيث اقمت عامين كاملين تسعرت خلالهما الثورة في فلسطين بكل شدة وعنف، ثم نشبت الحرب العالمية الثانية، فطلب الإنكليز من الفرنسيين تسليمي إليهم لاعتقالي، فاضطررت لهذا السبب أن أغادر لبنان خفية والجأ إلى العراق، ثم لما نشبت الثورة في العراق ودخل الإنكليز بغداد، اضطررت للرحيل إلى إيران، فلما احتلتها جيوش الحلفاء وأعلن الماريشال ويفل القائد البريطاني العام جائزة قدرها خمسة وعشرون ألف جنيه استرليني لمن يدل أو يقبض عليّ حياً أو ميتا، اضطررت أن أخرج من إيران خفية وأن أجتاز تركيا وبلاد البلقان وغيرها من البلاد الاوروبية إلى أن وصلت المانيا فمكثت فيها أربع سنوات ونصف سنة.

واعتبرت المانيا بلداً صديقاً لأنها لم تكن دولة مستعمرة ولم يسبق لها أن تعرضت بسوء لأية دولة عربية أو إسلامية، ولأنها كانت تقاتل أعداءنا من مستعمرين وصهيونيين، ولان عدو عدوك صديقك، وكنت موقناً، أن انتصار المانيا سينقذ بلادنا حتماً من خطر الصهيونية والاستعمار، ولذلك رفضت عندما كنت في لبنان ان اشيد بالحلفاء واتودد إليهم وأن اتحامل على المحور وهو ما حاولت سلطة الانتداب الفرنسي وغيرها في لبنان أن تحملني عليه وما فعله وأعلنه كثير من زعماء العرب حينئذٍ زلفى للمستعمرين. وفي المانيا سعيت جاهداً لتقديم العون المتواضع الذي استطيعه لقضيتنا الفلسطينية ولسائر الأقطار العربية وبعض الأقطار الإسلامية، ولدعوة كافة المخلصين لقضية فلسطين والقضايا العربية، إلى التعاون مع المانيا، لا من اجلّ المانيا ولا إيماناً بالنازية التي لا اعتنق مبائدها ولم تخطر لي ببال، بل لأني كنت، ولا ازال، على يقين بأن لو انتصرت المانيا والمحور لما بقي للصهيونيين من أثر في فلسطين والبلاد العربية.

ولو استجابت بعض الدول العربية وقامت بثورات داخلية لتزعزع مركز الإنكليز المحتلين والصهيونيين في الوقت الذي كان جيش روميل يزحف نحو العلمين، لكان لذلك أثر كبير في نجاح الالمان، ومما يؤكد ذلك أن الإنكليز شرعوا ينسحبون إلى السودان ويحرقون ملفاتهم ووثائقهم وأن اليهود أصابهم ذعر شديد وشرعوا يبيعون ممتلكاتهم وأراضيهم بابخس الاثمان ويفرون من البلاد.

وقد كانت فرصة ثمينة اضاعتها الأمة العربية بانخداعها بوعود انكلترة الزائفة التي خبرها العرب أثر الحرب العالمية الأولى حينما نقضت انكلترة عهودها لهم متآمرة مع اليهود على فلسطين وعلى سائر الأقطار العربية والإسلامية، وكان الأجدر بالعرب أن يعتبروا بما أصابهم مراراً من نكث الإنكليز وأن لا يلدغوا من جحر واحد مرتين؟.

من لم تزده عبراً أيامه	كان العمى أولى به من الهدى

لذلك كله أعتقد جازماً اني كنت على صواب في الذهاب إلى المانيا والتعاون معها باخلاص وهي تحارب أعداءنا المتآمرين على اغتصاب بلادنا وحريتنا واذلالنا واستغلالنا. ورحم الله القائل:

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم	فهل انا في ذا يأل همدان ظالم؟
متى تجمع القلب الذكي وصارما	وأنفاً حمياً تجنبتك المظالم

ذكرت آنفاً بعض حوادث البغض المتبادل والخصام العنيف الذي وقع بين الالمان واليهود، فقد كانت له أسباب قديمة وأخرى حديثة، فمن الأسباب القديمة التي يشارك الالمان فيها غيرهم من الشعوب الاوروبية، أن اليهود انتهزوا فرصة تحريم الكنيسة الكاثوليكية أعمال الربا والمعاملات المصرفية كلها على جميع معتنقي الديانة المسيحية، فاحتكروا جميع المعاملات المصرفية والمالية، وبذلك تحكموا في الشؤون الاقتصادية تحكماً مطلقاً واثرت بعض العائلات اليهودية في المانيا ثراء عظيماً كعائلات روتشيلد وواربرغ، واوبنهايمر، وراتينو وغيرها، وقد اضطرت الحكومات الالمانية وامراء المقاطعات والتجار والمزارعين إلى الاستقراض من مصارف هذه العائلات اليهودية التي ارهقت البلاد بالديون الباهظة، وعند العجز عن تسديد هذه الديون كانت تضطر لأن تعهد إلى اليهود الدائنين باحتكار الرسوم الجمركية، أو بجباية الضرائب، أما المزارعون والتجار الذين كانوا يعجزون عن تسديد القروض وفوائدها الثقيلة فكانت تصادر

املاكهم لصالح اليهود، ولما قامت النهضة الصناعية في المانيا لم يكن من سبيل لتمويلها الا من اليهود الرأسماليين أو من المصارف اليهودية مما مكن اليهود من النفوذ والسيطرة المالية في المانيا، وقد سبب جميع ذلك حقد الالمان على اليهود.

وقد حدث في هذه الفترة من النهضة الصناعية في المانيا أن تدفق المهاجرون اليهود من روسيا وبولونيا على المانيا، يحملون فكرة الثورة والصهيونية، فلم ينقض وقت طويل حتى أصبح لهؤلاء اليهود الثوريين نفوذ ملموس في المانيا، وأعلن اليهودي مردخاي الذي هو «كارل ماركس» البيان الشيوعي عام ١٨٤٨ وأصبح فرديناند لاسال اليهودي، أحد قادة الديموقراطيين الاشتراكيين.

وفي عام ١٨٦٦ قام «كوهي بليند» اليهودي في برلين بمحاولة اغتيال زعيم المانيا الداهية السياسي المشهور «بيسمارك» الذي كان حريصاً على مصالح المانيا من أن يسيء إليها اليهود وغيرهم.

وازداد نفوذ اليهود في المانيا بانضمام المهاجرين اليهود من روسيا إليهم، وكان من بينهم «روزا لوكسمبرغ» و«كيرت ايزنر - كوسمانوفسكي» و«اوجين ليفينه - نيسن» وغيرهم، إلى ان تمكن اليهوديان الماليان «واربرغ» و«بالين» من حمل قيصر المانيا ويلهلم الثاني على مقابلة ثيودور هرتسل عام ١٨٩٨ في السفارة الالمانية في استانبول خلال زيارة القيصر لتركيا، والتمس هرتسل من القيصر أن يرجوا من السلطان عبد الحميد الموافقة على فتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ولكن السلطان شرح لقيصر المانيا الأسباب الوجيهة التي تحمله على رفض ذلك الطلب، ولما وصل القيصر إلى القدس قابله فيها هرتسل مرة ثانية متسائلاً عن نتيجة الرجاء من السلطان، فاكتفى القيصر بالتحدث عن الطقس، فادرك هرتسل أن مشروعه مني بالفشل.

ولمناسبة القيصر والطقس، فقد ذكر مؤرخوا هذه الرحلة أن ويلهلم حينما وصل يافا نزل في فندق «هارتك» الالماني، وكان الفصل ربيعاً في وقت زهر البرتقال، فوقف القيصر على شرفة الفندق وتمتع بمنظر اشجار البرتقال التي كانت تحيط به من كل الجوانب على مدى بعيد وشم عبيرها الزكي وأرسل إلى السلطان عبد الحميد برقية وصف فيها هذا المنظر البديع وشذى زهر البرتقال، وقال انه ابدع منظر شهده في حياته، وفي هذا رد مفحم على تبجحات الصهيونيين الذين يزعمون أنهم هم أول من غرس البرتقال بفلسطين، ولم يكن حينئذٍ أي أثر زراعي لليهود في البلاد.

وقد كانت النتيجة الفاشلة التي مني بها هرتسل حين قابل القيصر وعلم برفض

السلطان عبد الحميد، سبباً في فتور الحركة الصهيونية، وفي توقف التبرعات لها من الرأسماليين اليهود في المانيا، فاتجهوا إلى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

وخلال الحرب العالمية الأولى التي وقعت عام ١٩١٤ أي بعد ستة عشر عاماً من زيارة القيصر للقدس، قدم الدكتور حاييم وايزمن إلى وزارة الحربية البريطانية اختراعاً كيماوياً هو غاز سام، استعمله الإنكليز ضد الجيوش الالمانية، وقد كان من نصيب ادولف هتلر (فوهرر المانيا) فيما بعد أن أصيب بأضرار من هذا الغاز، الذي كاد يفقده البصر، وحرمه من الرؤية بضعة أشهر إلى أن عولج وتم له الشفاء في عينيه، أما ما أصاب قلبه من الالم فلم يشف وكان من أسباب حقده على الصهيونيين، وعلى الوطن القومي اليهودي. ولكن العامل الأكبر في حقد هتلر خاصة والالمان عامة على اليهود ما فعلوه من زج الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب بالشكل الذي اوردناه سابقاً، ولولا ذلك لما حرمت المانيا من النصر، ولما انهار معظم حلفائها لاشتراك أمريكا في الحرب، ولانخداعهم بمشروع الرئيس ويلسون ذي الاربع عشرة نقطة المتضمن حق تقرير المصير لجميع شعوب العالم، فقد كانت المانيا تامل في الوصول إلى سلم شريف لأن جيوشها كانت لا تزال قوية متفوقة ومتغلغلة في فرنسة وروسيا.

ولكن اليهود قاموا بحركات هدامة في داخل المانيا ليرغموا الجيوش الالمانية على الانسحاب وليحملوها على الخضوع والاستسلام لشروط الحلفاء المهينة والقاسية وليرغموها على دفع تعويضات باهظة.

وكانت المانيا قبيل دخول أمريكا الحرب، قد سعت سعياً حثيثاً لإخراج روسيا من الحرب بإثارة الفتن داخل البلاد الروسية الشاسعة، ولذلك ساعدت «لينين» واعوانه، على الانتقال من سويسره إلى السويد عبر المناطق الالمانية ومنها إلى روسيا ليشعلوا نار ثورتهم فيها، ثم شعرت المانيا ان معظم الثائرين في روسيا كانوا من اليهود أمثال تروتسكي وبرونشتاين، وكامينيف، وروزنفيلد والاخوة كاغانوفيتش وزينوفيف وغيرهم، ولم تكن الحكومة الالمانية تتوقع ان اليهود سيقومون بنشر الفوضى في المانيا نفسها تحت ستار الشيوعية، وسرعان ما فاجأوا المانيا بإشعال الثورة وإيقاظ الفتنة في «كييل» ثم في «ميونيخ» حيث أعلن اليهودي «كيرت ايزنركوسمانوفسكي» «الجمهورية البافارية الاشتراكية» ولم يزل كيرت يعيث فساداً في بافاريا حتى قتله ضابط في الجيش الالماني يدعى «كونت اركو»، فخلفه فورا يهودي آخر هو «يوجين ليفينه نسن» وقام بمساعدته عدد من اليهود مثل ارنست نولر وغوستاف لاندور

واريتش ميوهام وغيرهم، وبدأوا بالقتل العام في ميونيخ، فاستنجد أهل ميونيخ بالجيش الالماني، فاضطر الجيش للانسحاب من مواقعه التي كان يحتلها في فرنسا وغيرها والعودة بسرعة إلى ميونيخ لحفظ النظام وإنقاذ بافاريا من الفوضى، كما أضطر إلى التدخل في بروسيا، وهامبروغ، وبريمن وغيرها من المناطق الالمانية التي اشعل اليهود فيها الثورة ونشروا الفوضى، وأخيراً أثاروا الفتنة والفوضى في برلين نفسها بواسطة كارل ليبكنيشت اليهودي ورزالوكسمبورغ اليهودية، وهكذا كان جميع قادة الفتنة والثورة الداخلية في المانيا من اليهود، وبذلك أرغموا الجيوش الالمانية على الانسحاب والتخلي عن مواقع ذات قيمة كبيرة للهدنة، وقد تبين بعد ذلك ان اليهودي «راديك سوبيل صن» كان مختبئاً في برلين وكان على اتصال سري بالزعماء اليهود في خارج المانيا، ليبلغ الأوامر والمساعدات إلى زعماء اليهود في داخل المانيا ليثيروا الفتنة والفوضى فيها.

وبذلك لم يكتف اليهود بحرمان المانيا من النصر، بل أضافوا إليه حرمانها من هدنة كريمة وصلح شريف، واضطروها إلى دفع كميات هائلة من التعويضات للدول المنتصرة.

ومن المهازل الطريفة التي وقعت أثناء المفاوضات على التعويضات، أن كان رئيس الوفد الاميركي من أجلّ التعويضات اليهودي فيلكس واربرغ، وكان على رأس الوفد الالماني للتعويضات أخوه اليهودي «اوتو واربرغ» وهذا الحادث الغريب يذكرنا بوضع مماثل وقع في جيش الجنرال كلوب، إذ كان أحد ضباطه الإنكليز في جيشه وكان اخوه في الجيش اليهودي في تل أبيب. وهناك وضع مماثل أيضاً في حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ إذ كان الرائد سليم حاطوم[1] ضابطاً في الجيش السوري وكان أخوه ضابطاً في الجيش اليهودي في إسرائيل....

لقد قام أولئك اليهود باشعال الثورة والفوضى في المانيا تحت ستار الاشتراكية، فلما فشلوا هب من جانب آخر اليهود الرأسماليون في المانيا ليتولوا الزعامة فيها، وبسرعة أصبح اليهودي «راتينو» وزيراً للشؤون الخارجية الالمانية، وتحكم اليهود في الشؤون الاقتصادية، وتلاعبوا بالعملة الالمانية المتداولة حتى جعلوها هباء بدون أية قيمه، واستغلوا ذلك لانفسهم، ولكن الوطنيين من الالمان لم يدعوا هؤلاء اليهود الرأسماليين يعيثون فساداً، فهبوا لإنقاذ وطنهم من براثنهم وقتلوا وزير الخارجية «راتينو» اليهودي،

(١) أعدم الرائد سليم حاطوم في دمشق بعد ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣.

وانشأوا حكومة المانية جديدة تولى فيها الدكتور «هيالمار شاخت» مشروع إنقاذ الاقتصاد الالماني من براثنهم، واصدر عملة المانية جديدة.

ولكن معركة اليهود لم تنته بفشل اليهود الرأسماليين، فقام اليهود الاشتراكيون مرة ثانية بقيادة «بول ليفي» و«مينزنبرغ»، و«روث فيشر»، و«ايسلر»، و«نوردن» وغيرهم وقد جعلوا في الواجهة شخصاً المانيا يدعى «أرنست هيلمان» بسيط العقل، لكنه كان شعبياً معروفاً لدى عمال ميناء هامبورغ، فخدعوه وجعلوه ستاراً لعبوا من ورائه، إلى أن أحبطت خطتهم فانهزموا جميعا سالمين وتركوه وحده ليموت في سجن الحكومة الهتلرية، وإن في ذلك لعبرة، فان هؤلاء الأعداء الماكرين يستغلون بعض البسطاء من أهل البلاد ويخدعونهم ويجعلون منهم آلات مسخرة في ايديهم.

ولم يرعوا اليهود في المانيا بعد هذا الفشل فاستمروا يعيثون فساداً وقد تعاون الفريقان منهم، الرأسماليون والاشتراكيون، وعملوا يداً واحدة على تدمير المانيا، وقد استولوا على الصحافة والإذاعة وإنتاج الأفلام والمسارح والملاهي وسائر وسائل الاعلام والتأثير والتسخير، وازداد عددهم فعملوا كأطباء وأساتذة وقضاة ومحامين وموظفين، وملاكين، وقادة نقابات وشرعوا يستخدمون نفوذهم وسائر امكاناتهم في الإساءة إلى الشعب الالماني وجيشه وحكومته، وقد زادوا أعدادهم في المدن الكبيرة ولاسيما في برلين وفرانكفورت وهامبروغ وغيرها. واستمرت المانيا في دفع اقساط التعويضات المرهقة إلى دول الحلفاء المنتصرة، واستمروا هم في حؤولهم دون معالجة المشاكل الاقتصادية، والأزمات المالية، وحين وقعت الازمة المالية العالمية عام ١٩٣٠ كان عدد العمال الالمان العاطلين ستة ملايين، وكانت أصابع الصهيونيين ظاهرة واكيدة في كل هذه النكبات والمؤامرات التي نزلت بالشعب الالماني، فثارت ثائرته وأشتد حقده على اليهود.

ولم يكن أمام الشعب الالماني حينئذٍ الا ان يختار بين امرين:

١ ـ الوضع المحزن المرهق الذي يعانيه ويكاد يرزح تحت اعبائه بين براثن اليهود، والدمار الاقتصادي الكامل.

٢ ـ مساعدة هتلر وانصاره من «الاشتراكيين الوطنيين» الذين أعلنوا خطتهم الصريحة بعزمهم على إنشاء دولة وطنية، تعيد بناء الاقتصاد الالماني، وتمنح المانيا القوة الكافية، للخلاص من دفع التعويضات الباهظة، واستعادة حقوق الشعب الالماني ومصالحه وممتلكاته التي نزعت منه وكرامته التي امتهنت.

فلم يتردد الشعب الالماني في اختيار ما فيه صالحه وأقبل على هتلر وانصاره إقبالا منقطع النظير لينقذ نفسه من الدمار والفوضى والفساد والبلاء المبين.

ومن يطلع على تفصيل ما أوجزنا هنا من الإساءات والنكبات الفادحة التي انزلها اليهود بالشعب الالماني، يستطيع الاحاطة بالأسباب التي أثارت هذا الشعب وزعيمه هتلر وملأتهم حقداً على اليهود.

يتبين من جميع ما ذكرنا آنفاً، من أسباب الخصام الشديد، بين الالمان واليهود، أن اليهود رغم ما أوتوا من الذكاء، والنشاط، وما بلغوا من العلم والمعرفة والثروة والبراعة والمكر والدهاء، لا يزال ينقصهم كثير من الحكمة والتعقل وحسن التبصر، وسلامة النية. وإن من أهم أسباب ذلك، ما فطروا عليه من الأنانية المفرطة، والغرور والتعالي على الناس، وشدة الحقد، والعنصرية المتعصبة، والقسوة والظلم، فان في ذلك ظلاماً للبصائر، وعمى للابصار، وبعداً عن الهدى والرشاد.

ونحن العرب أدرى الناس باليهود، الذين تحدونا وبغوا علينا بغياً خطيراً، واقتحموا علينا بلادنا المقدسة، غير آبهين بمئات الملايين من المسلمين والمسيحيين الذين تهوى أفئدتهم إلى هذه البلاد المباركة، غير مقدرين مدى ارتباطنا الوثيق بها، ومحاولين تضليل الرأي العام العالمي بتزييف التاريخ، بزعمهم أن فلسطين موطنهم التاريخي، مع أن جميع المؤرخين الثقات يؤكدون ان أجدادنا العرب الكنعانيين كانوا يقيمون بفلسطين منذ العهود القديمة، وأنهم أنشأوا مدينة القدس قبل خمسة آلاف سنة وسموها (يبوس)، فنحن أقدم منهم بها عهداً، وأطول بالاقامة بها أمداً، وأكثر منهم عدداً وأوفر مالاً وولداً. وبالرغم من جميع ذلك، فإن أنانيتهم وتعصبهم الشديد وفطرتهم الظالمة أعمتهم وأصمتهم، ودفعتهم إلى محاولة اغتصاب وطننا منا، وهذه الصفات من شأنها ان تحبط الأعمال وتهدم الأمم، فاليهود دهاة أذكياء لكنهم ليسوا بعقلاء وحكماء.

لقد كانت خسائرهم في الحرب العالمية الثانية أكثر من ثلاثين في المئة من مجموع شعبهم، في حين كانت خسائر الألمان في الحرب العالمية الثانية أقل خسائر بالنسبة لعدد نفوس شعوبهم، فلم تبلغ أكثر من ٨ بالمئة إلى ١٠ بالمئة.

وقد ظهر الدين اليهودي قبل المسيحية والإسلام بأمد طويل، ولكن الذين اعتنقوا المسيحية والإسلام هم أضعاف أضعاف اليهود، لأن التزمت والتعصب الشديد والظلم والأنانية المفرطة تنفر الأفراد والأمم، أما العدل والتسامح والتواضع وحسن النية فتجذب الأفراد والأمم، فيدخلون في دين الله أفواجاً.

لهذه الأسباب وغيرها فإني واثق كل الثقة من فشل الحركة الصهيونية الظالمة وحبوطها وانهيارها، كما أني واثق من نجاة أمتنا من براثنها والتغلب عليها ودحرها، إذا تذرعنا بالإيمان وصبرنا على الجهاد، ولم نؤخذ بأضاليل المضللين وأحابيل الانهزاميين، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

حدث خلال إقامتنا بألمانيا عام ١٩٤٣، وعقب إعداد حملة المرشال روميل للزحف على الشرق، عبر ليبيا والصحراء الغربية لمصر، حادث طريف كانت له عقابيل خطيرة بعد انتهاء الحرب، وكانت الأوضاع العسكرية الألمانية يومئذٍ في أوجها، وكان الإنكليز في حرج شديد، حتى أنهم شرعوا يحرقون ما لديهم من أوراق سرية، وشرع أنصارهم من المقيمين بمصر حينئذٍ يهجرونها ويفرون إلى السودان وأفريقية الجنوبية وغيرهما، وبلغ من فزع اليهود الذين في مصر وفلسطين أن باع فريق منهم أراضيه وأملاكه ومخازنه بأثمان بخسة جداً وفروا إلى إفريقية وإلى أوروبة وأمريكا. وكان الشعب المصري فرحاً بزحف الألمان، حتى كانت الجماهير المصرية تهتف لهتلر في مظاهراتها. ولو كان حينئذٍ في البلاد العربية منظمة سرية قديرة لاستغلت الظروف استغلالاً عظيماً لصالح القضية الفلسطينية خاصة والقضايا العربية عامة.

وأعود إلى حديث المقابلة التي تمت عصر ذلك اليوم مع روبنتروب، فقد بادرني بقوله إن هناك أمراً مهماً وسراً مكتوماً جداً نرجو أن نقف على رأيكم فيه وفي كيفية تنفيذه، وهو أن بيننا وبين الملك فاروق صلات وثيقة، وقد كتب الينا أنه مستعد للقيام بمغامرة خطيرة، وهي أن يخرج من القاهرة إلى الصحراء الغربية حين يقترب الجيش الألماني من مصر، وأن يتعاون معنا، وهو يطلب منا أن نضع له الخطة ونعين موعد التنفيذ. وسألني روبنتروب عما إذا كان لدينا شخص معتمد لحمل الرسالة الجوابية وإيصالها إلى الملك فاروق؟

وأضاف روبنتروب قائلاً: إن التفاهم مع الملك فاروق على خطة خروجه واستقباله ميسور، ولكن الموعد لا يمكن تحديده لأن ذلك متوقف على الأوضاع الحربية.. وبعد البحث قلت له أن في الإمكان إيصال الرسالة إلى القاهرة مع رجل موثوق به، كما أن في الإمكان إبلاغ الملك فاروق عن الموعد بواسطة الإذاعة الألمانية بعبارات رمزية يتم الاتفاق عليها.

وعلى هذا تم الاتفاق مع روبنتروب، ووقع اختياري على المرحوم الدكتور مصطفى الوكيل لحمل الرسالة وهو شاب مصري امتاز بإيمانه وإخلاصه وعلمه وثقافته، وقد

تعاون معنا على العمل في العراق حيث كان يقوم بوظيفة أستاذ في المدارس العالية، ثم نزح مع النازحين من إخواننا إلى أوروبا قبيل احتلال الإنكليز لبغداد، أثر ثورة ١٩٤١، وكان وكيلاً لحزب مصر الفتاة المعروف باندفاعه الوطني (وسأتحدث عنه في موقع آخر معددا مآثره التي عرفتها عن كثب، وعن حادث استشهاده في ألمانيا رحمه الله).

حمل الدكتور مصطفى الوكيل الرسالة من برلين إلى أحد أصدقائه الخلص من رجال السلك الديبلوماسي المصري في استانبول، فتسلمها هذا وسافر بدوره إلى القاهرة حيث سلمها إلى الملك فاروق يداً بيد. أما الموعد فقد تم الاتفاق على ان يحدد برسالة رمزية تذاع من الإذاعة الألمانية في برلين ثلاث مرات، بين كل إذاعة وأخرى فترة من الزمن، وكانت الأولى لاعلام الملك فاروق بأن الوقت قد أزف، والثانية لاعلامه بوجوب الاستعداد للخروج من القاهرة، والمرة الثالثة كانت لتحديد موعد خروجه بطائرة خاصة.

وزحفت قوات روميل مجتازة الأراضي الليبية، ووقفت بعض الوقت أمام «طبرق» الحصينة، ثم استمرت في تقدمها عبر الصحراء الغربية، إلى ان وصلت «العلمين» على مسافة قريبة من الاسكندرية. وكانت خطة روميل، كما سمعتها من أحد أركان حربه ان يستمر في زحفه حتى يجتاز قناة السويس وصحراء سيناء وفلسطين، ثم يوغل في زحفه حتى الحدود العراقية - الإيرانية. ولو تم ذلك لما بقي للصهيونية أثر في المنطقة العربية الشرقية. ولكن جرت الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد كان جيش روميل مؤلفاً من فرقتين المانيتين مدرعتين، ومن سبع فرق إيطالية، أي نحو ١٤٠ ألف. وكان الزحف في أول الأمر سريعاً مذهلاً، والسرعة من أهم أسباب الانتصار.

ولكن الحلفاء من إنكليز وأمريكيين تمكنوا بواسطة أجهزة إستخباراتهم أن يشتروا ضمائر بعض أمراء البحر في الأسطول الإيطالي، بما أنفقوا من الدولارات الأميريكة بغير حساب، وبذلك اطلعوا على طرق نقل البنزين ومواد الوقود الأخرى بواسطة السفن الإيطالية من أوروبا إلى شمال إفريقية، ووقف الاسطول الإنكليزي وأساطيل الحلفاء في البحر الأبيض المتوسط بالمرصاد للسفن الحاملة للبنزين، فأصبحت تغرق سفينتان من كل ثلاث سفن، كما سمعت من الكومانداتوري ملليني (الذي أصبح في أواخر الحرب وكيلاً لوزارة الخارجية وانتقل مع موسوليني إلى شمال إيطاليا). وهكذا تعطلت دبابات رومل ومصفحاته عن العمل ولم تستطع أن تنهي مهمتها لنقص الوقود، وهذا ما جعل الفرصة سانحة لإنكلترا أن تسوق الجيش التاسع والجيش العاشر لنجدة الجيش الثامن بقيادة الجنرال مونتغمري، الذي كان قسم كبير من جيشه مؤلفاً

من قبائل الباتان المسلمين المشهورين بالبسالة النادرة (وهي قبائل المسعودي والوزيري والإفريدي والمهمد وغيرها). وهكذا أوقف زحف المارشال روميل ولم يتمكن من مواصلته، ولو وصلت حملة رومل إلى أهدافها لما كانت في بلادنا قضية صهيونية ولتبدلت الحال غير الحال.

وعلى ذكر جنود الباتان وشجاعتهم النادرة التي ظهرت في صد جيش رومل، لقد سمعت ضابطاً ألمانيا يصف شجاعة هؤلاء الجنود الباتان المسلمين وصفاً رائعاً، ويقول إنه ليس لهم من مثيل إلا الجنود المغاربة الذين كانوا في الجيش الفرنسي الأول وصادموا الألمان في «كاسينوا» في شمال إيطاليا.

وعلى ذكر الجنود المغاربة، فإني أشير هنا إشارة عابرة إلى موقف هؤلاء الجنود الشجعان في معركة «فردون» الشهيرة في الحرب العالمية الأولى، حينما وقف الجيش الفرنسي أمام الألمان في زحفهم على باريس، حيث أراق نحو مئتي ألف مغربي دماءهم في سبيل الدفاع عن «فردون» وكان الأخلق والأجدر أن تراق هذه الدماء العربية في سبيل الدفاع عن حرية العرب واستقلالهم وكرامتهم.

وبالإشارة إلى موضوع الرسالة إلى الملك فاروق: لقد أسلفنا القول ان الملك تسلم الرسالة بيده، أما الشق الثاني من المشروع وهو تحديد الموعد بنشر رسالة رمزية من إذاعة برلين على ثلاث مراحل، فقد تم تنفيذ المرحلتين الأولى والثانية، ولكننا لم نوافق على إلقاء الإذاعة الثالثة قبل الاطمئنان التام للوضع العسكري، فلما تردي هذا الوضع امتنعنا عن الإذاعة لثالث مرة خشية توريط الرجل (الملك فاروق)، وظل هذا الأمر سراً مكتوماً عن كل أحد، إلى أن أحتل الحلفاء برلين، واستولى الأمريكيون والإنكليز على أوراق وزارة الخارجية الألمانية ووثائقها، فاطلعوا على الحادث، وكان حينئذٍ الديبلوماسي المصري الذي حمل الرسالة إلى الملك فاروق، مستشاراً لسفارة مصر في واشنطن فصارح الأمريكيون السلطات المصرية بالأمر، فسحبت مصر الرجل من وظيفته، وأعيد إلى القاهرة، ثم بعد ذلك نقل إلى السلك القضائي لأنه من رجال القانون.

كان هذا الحادث من الأسباب التي أثارت الإنكليز والأمريكيين على الملك فاروق، فبيّتوا له نية غادرة، وأخيراً تآمروا على خلعه، كما ازدادوا حنقاً علينا وتشدداً في مقاومتهم لنا، وقد اطلعت على تقرير لأحد الصهيونيين بحرض فيه كاتبه الدول الضالعة مع إسرائيل علينا.

من أهم الحوادث التي مرت بنا عندما كنا في ألمانيا صيف عام ١٩٤٣ حادث سقوط موسوليني في الأسر وسجنه في إيطاليا، ثم إنقاذه من الأسر على يد الضابط الألماني أوتو سكورزيني، بأمر من هتلر، وقيامه بعد ذلك بتأسيس جمهورية إيطالية في شمال إيطاليا، وقد سبق أن أشرت إلى هذا الحادث عرضاً في هذه المذكرات عندما كتبت عن وصولي إلى إيطاليا ومقابلتي لموسوليني، وإني أورد هنا بعض التفاصيل عن هذه الأحداث كما سجلتها في حينها في مذكراتي الخاصة.

لما وصلت روما عام ١٩٤١ وكان وصولي إليها مفاجأة، أنزلتني الحكومة الإيطالية في ضيافتها بفيللا «سكارلاتي» مدة يومين قبل سفري إلى برلين، ثم خصصت لإقامتنا في روما قصراً فخماً هو فيلا كولونا الشهير الذي تملكه إحدى الأسر الإيطالية العريقة، وكولونا بالإيطالية معناها «العمود». ولإطلاق هذا الاسم على القصر والأسرة قصة ترجع إلى عهد الحروب الصليبية، فقد كان أحد جدود هذه الأسرة من كبار قواد الجيوش الصليبية، وخلال وجوده بالقدس وزيارته المكان الذي حوكم فيه السيد المسيح عليه السلام في عهد بيلاطس شاهد فيه عموداً يقال أن السيد المسيح جلد عليه، فحرص القائد الصليبي على العمود وتولى نقله معه إلى روما حيث قدمه هدية إلى «البابا» فكافأه البابا على ذلك بمنحه لقب «أمير كولونا» وورثت الأسرة منذ ذلك الحين هذا اللقب، وورثت معه نفوذاً عريضاً وثراء كبيراً.

وهذا المكان الذي حوكم فيه السيد المسيح في عهد الحكم الروماني عندما كان اليهود يطالبون بتسليمه إليهم لقتله أو صلبه، أصبح فيما بعد في عهد الحكم الإسلامي مدرسة وقفية يؤمها طلاب العلم من مختلف الأقطار، وهي واقعة في جوار الحرم القدسي الشريف وفي مكان مرتفع يشرف على المسجد الأقصى المبارك والقسم الأكبر من مدينة القدس. وبمرور الزمن وتعاقب الأحداث تشعث بنيانها ودرس معظم آثارها، وفي أواخر عهد الدولة العثمانية أصبحت ثكنة عسكرية، فلما تألف المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى عام ١٩٢٠ وتولي شؤون المحاكم الشرعية والأوقاف الإسلامية قام بعمارة هذا المكان الأثري التاريخي وحوله كما كان من قبل داراً للعلم، فاستقرت فيه كلية روضة المعارف الوطنية نحو ١٥ عاماً كانت خلالها معقلاً من معاقل القضية الوطنية الفلسطينية وملتقى رجالات العالمين العربي والإسلامي، وفي قاعة محاضراتها الفسيحة انعقد أول مؤتمر إسلامي عالمي لقضية فلسطين عام ١٩٣١ وغيره من المؤتمرات والاجتماعات الوطنية، ثم استولت عليه السلطة العسكرية البريطانية عام ١٩٣٨ واتخذته مركزاً عسكرياً لمقاومة المجاهدين الفلسطينيين داخل القدس القديمة

عندما تفاقم أمر الثورة الفلسطينية وأشتد خطرها، ولما استؤنفت الثورة عام ١٩٤٧ أثر قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، استولى عليه جيش الجهاد المقدس بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني وسلمه لقيادة المتطوعين العراقيين، وأخيراً أصبح داراً للمدرسة العمرية التابعة لوزارة التربية والتعليم الأردنية.

إن السيدة إليزابيت سرسق الشهيرة التي اقترنت بالأمير اندريا كولونا وأصبحت تدعى «اليزابيت كولونا» أو السنيورة كولونا كانت لها يد طولى ودور كبير في الأحداث التي وقعت في إيطاليا في أواخر عهد حكم الفاشيست وأدت إلى سقوط موسوليني، وقد أوردت في موقع سابق طرفاً من هذه الوقائع عندما تحدثت عن مقابلتي لموسوليني، وذكرت دور السيدة إليزابيت في خدمة دول الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، فقد كانت لها صلات وثيقة بسفراء تلك الدول في الفاتيكان، واستطاعت بذكائها ولباقتها ودهائها أن تؤثر على الكونت شيانو وزير الخارجية الإيطالية وأقرب المقربين إلى موسوليني وزوج أبنته أيدا، إذ كانت تبالغ في إكرامه والحفاوة به وتدعوه إلى قصرها الفخم وموائدها الشهية مع عديد من النبلاء والنبيلات والأمراء والاثرياء، حتى أصبح قصرها يسمى (جمعية أصدقاء شيانو). وحسب القارئ أن يعرف أن دوق وندسور (الملك ادوار الثامن سابقاً) كان مع قرينته ينزلان في ضيافتها. ولما كانت شديدة الميل إلى الحلفاء فقد كانت توحي إلى شيانوا بأن دول المحور مقضي عليها بالهزيمة لا محالة، وإنه (أي شيانو) الشخص الوحيد الذي يرضى عنه الإنكليز والأمريكيون والفرنسيون، والمؤهل لأن يخلف موسوليني في الحكم وينقذ إيطاليا من سوء العاقبة، لما امتاز به من صفات ومزايا.

وهكذا انحرف شيانو عن رئيسه وحميه موسوليني وشرع بالتآمر عليه مع كل من غراندي، وبوتاي، والمرشال دوبونو، وهم أعضاء في المجلس الفاشيستي الأعلى المؤلف من تسعة أعضاء عاشرهم موسوليني، فأقدم هؤلاء الثلاثة على الغدر بموسوليني، واستطاعوا أن يحملوا أكثرية المجلس الفاشيستي الأعلى على تنحيته، واتفق هؤلاء الثلاثة على أن يتولوا الحكم، وكان الملك عمانوئيل الثالث يظهر لهم الموافقة على ذلك، بينما كان متفقاً سراً مع المرشال بادوليو على تسليمه زمام الحكم.

فلما خذل المجلس الفاشيستي الأعلى موسوليني وطلب إليه التنحي عن الحكم والدخول في مفاوضات مع الحلفاء لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وذلك في جلسة استمرت من العاشرة مساء حتى الخامسة من صباح ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٤٣، ذهب موسوليني في الساعة الحادية عشر من صباح ذلك اليوم إلى قصر الملك (فيلاسافويا) فبسط له

الموقف ثم قال له: إني سأعقد اجتماعاً للمجلس الأعلى وسنستمر في الحرب، فإن هتلر أحاطني علماً بأنباء مؤكدة عن الأسلحة الجديدة التي ستبدل وضع الحرب وتحقق النصر لألمانيا والمحور، فتظاهر الملك لموسوليني بالاقتناع وإنه دائماً موضع ثقته، وله أن يستمر في عمله، وأضاف قائلاً: وإني سأتصل بك بالتلفون في (بلاتسيو فينيسيا) أي قصر فينيسيا وهو دار الحكم.

فانصرف موسوليني من فيلا سافويا (وقد اشترت الحكومة المصرية فيما بعد فيلا سافويا واتخذتها داراً لسفارتها). وعند انصراف موسوليني استقبله كولونيل من الدرك المسمى «كارنبييري» وقاده إلى باب غير الباب الرئيسي الذي كان حرس موسوليني الخاص واقفاً به، زاعماً ان هناك مظاهرات يخشى على موسوليني منها. (وكان موسوليني معتمداً على قوى فاشستية أهمها فرقة مدرعة بسلاح ألماني كامل بدباباتها ومدافعها، ومكونة من ثلاثة ألوية يزيد مجموعها على ١٢٫٠٠٠ جندي، تقيم في «تيفولي» التي تبعد عن روما نحو ١٥ كيلومتراً. ولم تكن هذه الفرقة خاضعة للجيش بل كانت تابعة لقيادة المليشيا الفاشستية، أي لموسوليني رأساً). فاركبوا موسوليني في سيارة إسعاف مغلقة إلى ثكنة «بياسه بوبولو» حيث بقي يوماً واحداً، ثم نقل إلى جزيرة «بونزا» وظل فيها نحو عشرين يوماً ثم نقل إلى «كامبو ايميراطوري» بالقرب من مدينة «اغويلا» على قمة جبل ابينيني على ارتفاع ٢٧٠٠ متر وظل هناك نحو ثلاثة وخمسين يوماً حتى ١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣ عندما هبط الضابط الألماني «اوتو سكورزيني» كالنسر على رأس قوة جوية ألمانية فانقذه من الأسر.

ظل موسوليني في أسره على قمة هذا الجبل نحو ثلاثة وخمسين يوماً بالإضافة إلى الأيام السابقة، فتكون مدة بقائه في الأسر منذ ألقي القبض عليه إلى يوم إنقاذه نحو شهرين و ١٣ يوماً، كان خلالها مكانه ومصيره مجهولين، إلى أن استطاعت عيون الرقباء الألمان برئاسة سكورزيني اكتشاف مقره النهائي، وكان إنقاذه من نوادر قصص البطولة التي تحدث بها الناس والصحف أياماً طوالاً، كان معقتل موسوليني محروساً بثلاثين جندياً إيطالياً على رأسهم ضابط برتبة رئيس[1]، ولم يكن المكان صالحاً لهبوط الطائرات عندما انقض سكورزيني من الجو بطائرة صغيرة ذات محرك واحد من طراز «سيغونيا» وثلاث طائرات شراعيات، مجموع من فيها ٢٢ مظليا

(١) - رئيس (رتبة عسكرية): تعادل نقيب حالياً.

ألمانيا، فسارع سكورزيني إلى نقل موسوليني في السيغونيا بعد أن شل حركة الضابط والجنود الطليان وحلق به في الجو تتبعه الطائرات الشراعية إلى ان وصل به إلى ألمانيا.

لقد سبقت لي الإشارة إلى مغامرة سكورزيني باختطاف موسوليني في موقع سابق من هذه المذكرات عند الحديث عن العبرة من حوادث العراق، وقلت ان الاستهانة بالجرائم الوطنية خطأ عظيم، وضربت مثلاً على ذلك بحادثة استطاع فيها وزير مفوض لاحدى الدول العربية عرف بولائه للمستعمرين ان يحبط عملية كانت ناجحة، هي صفقة سلاح عقدتها سراً دولة عربية مع إحدى شركات بيع الأسلحة عام ١٩٥٣، عندما كانت دول الستار الحديدي الشرقية ما تزال موصدة أبوابها في وجوه الدول العربية، فقد زارني سكورزيني في منزلي بمصر الجديدة يوم ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٣ وحدثني حديثاً طويلاً عن متاعبه التي لقيها بعد احتلال الحلفاء ألمانيا، وإنه اعتقل مراراً إلى ان تمكن من الخروج إلى إحدى الدول الأوروبية، حيث عمل وكيلاً لإحدى شركات صنع الأسلحة، ثم روى كيف تعاقد باسم تلك الشركة مع إحدى الحكومات العربية، لكن الصفقة احبطت بتأثير إحدى كبريات الدول الاستعمارية التي علمت بأمر الصفقة من ذلك الوزير المفوض الذي كان يتظاهر بالمغالات في عروبته ووطنيته.

أعود إلى إتمام الحديث عن موسوليني، فلقد مكث نحو أسبوع في ضيافة هتلر ثم عاد إلى شمال إيطاليا بالقرب من ميلانو على بحيرة غاردا فأعلن الجمهورية الإيطالية الشعبية ووضع دستورها، وظل رئيساً لها حتى ٢٢ نيسان (إبريل) ١٩٤٥، أي نحو سنة وسبعة أشهر وأربعة أيام، وشكل محكمة شعبية عليا لمحاكمة أعضاء المجلس الفاشستي الأعلى، وكانت هذه المحكمة مؤلفة من قاض، وبضعة أعضاء أحدهم طبيب وثانيهم زارع، والثالث صانع، والرابع موظف، وكان رئيس المحكمة جنرالاً في المليشيا، والقاضي مساعداً له، وكان النائب العام رجلاً قانونياً (قاضيا). فصدر حكمها على جميع أعضاء المجلس الفاشيستي، ومنهم شيانو، بالاعدام باستثناء عضو واحد، فأعدموا رمياً بالرصاص. وكان شيانو هو رأس المتآمرين على موسوليني، ولم تغن عنه شفاعة زوجته (أيدا) ابنة موسوليني له.

وفي ١٧ نيسان (إبريل) ١٩٤٥ انهارت قوى المحور، فانعقد اجتماع في مركز الكردينال «شوستر» بحضور الكردينال وتدبيره وبحضور المرشال غراسياني، وحضره أيضاً الجنرال كادرونا الذي كان يقود الثوار ضد حكومة موسوليني. وكان موسوليني

حينئذٍ ما يزال في ميلانو عندما انسحب الجيش الألماني من إيطاليا، فسقط في يد موسوليني ووافق على اخلاء ميلانو من جنود ميليشيا الجمهورية الايطالية وحاول السفر إلى سويسرا مع بعض زعماء الفاشيست لكن قوات الثوار الايطاليين قطعت عليهم الطريق وحالت دون بغيتهم، والحكومة السويسرية لم تسمح لهم بدخول بلادها، لكنها سمحت لبعض الأفواج الألمانية بالدخول.

وعندئذٍ حاول موسوليني أن يدخل مع أولئك الجنود الألمان إلى سويسرا متخفياً بملابس جندي ألماني، لكن أحد قواد الثوار الطليان الكولونيل بيدرو عرفه فقبض عليه لكنه لم يمسسه بسوء وأعلم الجنرال كادرونا بأنه قبض على موسوليني، وعلى الأثر جاء الكولونيل فاليريو وتسلمه بأمر من القيادة ثم أخذه إلى مكان بالقرب من قرية دونغو وقتله، والكولونيل فاليريو هذا أصبح نائباً شيوعياً في مجلس النواب الإيطالي.

ونقل جثمان موسوليني إلى ساحة لورتيو في ميلانو وعلق من رجليه، ثم قتلوا جميع زعماء الفاشيست ووضعوا جثثهم مع جثة موسوليني في ميلانو، عدا الجنرال غراسياني الذي سلم نفسه وجيشه إلى الجيش الأمريكي، وبذلك نجا من الموت.

المساعي المبذولة لحصول إندونيسيا على استقلالها:

كنت على اتصال ببعض إخواننا الاندونسيين منذ عهد بعيد، وقد استرعى نظري في أول حجة لي، وفرة عدد الحجاج منهم، ثم لقيت في مصر صفوة من شبانهم يمتازون بالنشاط والغيرة، ويعملون لاستقلال إندونيسيا. ثم حدث ان وقع في بعض مدن إندونيسيا اختلاف شديد بين العلويين والإرشاديين[1]، ووقعت بينهم اصطدامات سقط خلالها بعض القتلى. فطلب الفريقان حينئذٍ من المجلس الإسلامي الأعلى لفلسطين إرسال وفد من قبله إلى إندونيسيا. فانتدبت وفداً برئاسة المرحوم الشيخ حسن أبو السعود وكان مفتياً للشافعية للسفر اليهم، (وجميع أهالي إندونيسيا من اتباع المذهب الشافعي) لينظر في الخلافات بين الفريقين وليعمل على إزالته، واستعد الوفد للسفر فإذا بقنصل هولندة العام في القدس، يحبط المشروع بامتناعه من إعطاء اعضائه

(١) ـ معظم الطائفة العلوية خارج سوريا والعراق وايران على منهج تقليد المذهب الشافعي السائد، ومنهم اليمنيون والعمانيون والمغاربة والماليزيون والاندونيسيون... الخ.

أما الارشاديون فهم حركة اصلاحية في اطار الدعوة العلوية، وهي قريبة من التيار الديني الحديث، وقد ظهرت في إندونيسيا منذ الربع الأول من القرن العشرين.

سمة (تأشيرة) على جوازاتهم، ويمنع الوفد من السفر، وكان القنصل يهودياً صهيونياً. وهذا ما جعلنا ندرك مدى نفوذ اليهود في هولندة.

ولئن حال النفوذ اليهودي والاستعماري حينئذٍ دون إرسال وفدنا إلى إندونيسيا فان اتصالنا بالاندونيسيين ظل مستمراً، فقد كنا على صلة وثيقة بشبانهم وطلابهم في القاهرة وغيرها. وقد قابلت صفوة من زعماء إندونيسيا حضروا المؤتمر الإسلامي الأول الذي عقد في مكة المكرمة عام ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م وكانوا وفداً برئاسة المرحوم شكرو امينوتو رئيس منظمة شركة إسلام، وهي من اقدم المنظمات الإسلامية، وقد شارك عدد من الاندونيسيين في المؤتمر الإسلامي الذي عقدناه في القدس عام ١٩٣١.

وقد كان من مقررات هذا المؤتمر القيام بجولات في الأقطار الإسلامية من أجل القضية الفلسطينية فقمت بجولة في ربيع عام ١٩٣٣ مع وفد مؤلف من محمد علي باشا علوبة والسيد على محي الدين الحسيني، فزرنا الأردن والعراق والهند والافغان وبلوخستان وايران، وقد كان سفرنا من البصرة بالباخرة في الذهاب، وعدت انا والسيد على الحسيني بالسيارة من الهند حتى القدس. وقد استمرت الرحلة كلها سبعة أشهر، فلما رجعت إلى القدس أبلغني المندوب السامي البريطاني، وكان حينئذٍ السير آرثر واكهوب، لوم الحكومة البريطانية واستياءها وتأثرها الشديد من الدعاية التي انتشرت في هذه الأقطار التي زرناها ضد سياستها وتحيزها لليهود.

ولم أكد استقر في القدس بعد عودتي من تلك الرحلة الطويلة، حتى فاجأني السفير الياباني المقيم بالقاهرة، بزيارته أياي في القدس، وقد سألني باهتمام كبير عن أسباب هذه الرحلة وعما رأيته خلالها وما تركته في نفسي من انطباعات. وكانت زيارة هذا السفير الياباني أول صلة لنا باليابانيين.

فلما انتقلنا إلى العراق أثر نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، تجددت الصلة بيننا وبين بعض الشخصيات اليابانية الرسمية التي كانت تزورني في بغداد في تلك الفترة من سني الحرب، ثم توثقت هذه الصلة في ايران عندما اختفيت بعض الوقت في السفارة اليابانية في طهران أثر الاحتلال البريطاني - الروسي لها. ولقيت من السفير الياباني فيها السيد ايشي كاوا Ichi Kawa عناية بالغة وترحيباً كبيراً.

ومكثت مختفياً حتى أعلن المرشال ويفل عن جائزة قدرها خمسة وعشرون ألف جنيه استرليني لمن يدل عليّ أو يسلمني اليهم حياً أو ميتاً، وقد طوقت دار السفارة اليابانية حينئذٍ

بعدد من رجال شرطة الجيشين البريطاني والروسي، فغامرت بالخروج من ايران إلى تركيا.

وقد وقع لي حادث خطير على الحدود الايرانية التركية بين تبريز وارضروم إذ اشتبه مدير المخابرات الروسية بجواز سفر ايراني كنت احمله فاحتجزني تحت حراسة جنود روسيين بضع ساعات. ولكن مستشار السفارة اليابانية السيد آستا اوكا Asta Oka انجدني وأكد له أن جواز سفري صحيح فاطلق سراحي، فعبرت الحدود التركية حتى وصلت استانبول ثم استأنفت سفري منها إلى بلغاريا فرومانيا فهنغاريا فالنمسا فإيطاليا إلى أن وصلت المانيا.

ولما قابلت السفير الياباني الجنرال هيروشي اوشيما في برلين لقيت منه عناية وترحيباً، لإيعاز سابق من حكومته للعناية بي، فانتهزت الفرصة في أول اجتماع خاص به وحدثته عن ضرورة ان تبرهن الدولة اليابانية على صحة اقوالها باجراء العدل في الشعوب الآسيوية، وأن لا تكون اقوالها مخالفة لأعمالها كإنكلترا التي عقدت مع العرب عام ١٩١٦ معاهدة باستقلال البلاد العربية ثم نقضتها بعد الحرب ومنحت فلسطين لليهود، فوافقني على ما قلت ووعدني بالتأييد، وكان الجنرال اوشيما من اعظم الشخصيات اليابانية نفوذاً في اليابان. فأرسلت برقية إلى وزير الخارجية اليابانية (شيغينوري توغو) اطالب فيها بالاعتراف للشعب الاندونيسي باستقلاله وفقاً لتصريحات المسؤولين اليابانيين بمساعدة الشعوب الآسيوية وأنه سيكون لذلك أحسن الأثر في الأقطار الإسلامية قاطبة، وقد وقعت البرقية بصفتي رئيس مؤتمر العالم الإسلامي وأرسلتها بواسطة السفير اوشيما معززة بتأييده.

ثم كتبت إلى المرحوم الامير شكيب ارسلان، وكان حينئذٍ مقيماً بجنيف - سويسرة - بما فعلت، وأرسلت إليه نسخة عن البرقية، فابرق هو أيضاً بمضمونها إلى وزارة الخارجية اليابانية مؤيداً طلبي.

وبعد نحو شهرين وصلتني برقية من وزير الخارجية اليابانية بالاستجابة لطلبي، وبأن الحكومة اليابانية قررت منح الحكم الذاتي (الاوتونومي) لإندونيسيا، فقمت عندئذٍ بمحادثة طويلة مع السفير اوشيما وكتبت على أثرها مذكرة إلى رئيس الوزارة اليابانية الجنرال هيديكي توجو اوضحت فيها أن الحكم الذاتي لا يحقق رغبة الشعب

الاندونيسي الذي لا يرضى عن الاستقلال التام والسيادة الكاملة بديلاً، وأن إعطاء إندونيسيا استقلالها التام سيكون له تأثير عظيم لا على الاندونيسيين فحسب، بل على سائر الشعوب الإسلامية والآسيوية.

وبعد بضعة اشهر تسلمت مذكرة موقعة من رئيس الوزارة اليابانية مشتملة على قرار الحكومة اليابانية باستقلال إندونيسيا التام.

فعندئذٍ أجبت رئيس الوزارة بمذكرة اعربت فيها له ولحكومته عن جزيل الشكر والتقدير وقلت فيها: (لقد أصبح من الواجب، التعاون الجدي مع اليابان، ولكي يكون التعاون عملياً وفورياً فإني أرجو أن تبادر الحكومة اليابانية بتسليح الاندونيسيين وتدريبهم ليحاربوا إلى جانبها).

ومرة أخرى استجابت الحكومة اليابانية لطلبي فشرعت بتسليح بعض الاندونيسيين

FROM THE GRAND MUFTI TO GENERAL OSHIMA

Der Großmufti von Palästina　　　　Bln.Zehlendorf,den 20.2.1943

An den Herrn
Botschafter General O s h i m a.
B e r l i n.

Euer Excellenz!

Habe von der Erklärung des Kaiserlich-Japanischen Aussenministers im Unterhaus am 9.2.43 Kenntnis genommen,die eine sehr kluge und weise Politik gegenüber den Muslimen und Inder aufweist

Ganz besonders freute es mich,dass wir in unser Unterredung vom 3.2. dieses Thema berührt haben.In der Anlage übergebe ich Ihnen ein Telegram mit der Bitte dasselbe an den Herrn Aussenminister Japans weiterleiten zu wollen.

In der Hoffnung,dass die freundschaftlichen Beziehungen zwischen Japan und der Islamischen Welt immer enger werden bleibe ich

mit vorzüglicher Hochachtung

صورة لرسالة السيد محمد أمين الحسيني
إلى الجنرال اوشيما السفير الياباني في برلين باللغة الالمانية

وتدريبهم، وقد نشرت إذاعة سنغافورة التي كانت تدعى (هونان) جميع هذه البرقيات واجوبتها باللغة العربية وبغيرها من اللغات وسمعناها منها، وقد أهداني سفير إندونيسيا في القاهرة الجنرال الحاج رادن عبد القادر كتاباً الفه مؤرخ اندونيسي معروف أورد فيه جميع هذه البرقيات والمساعي.

ولما انتهت الحرب العالمية الثانية نشبت ثورة عظيمة في إندونيسيا ضد الهولنديين، استخدم خلالها الثوار الاندونيسيون بعض الأسلحة اليابانية واستبسل الشعب الاندونيسي الشجاع في القتال إلى ان حصل على الاستقلال، وأنقذ بلاده من براثن الاستعمار الهولندي الطويل والثقيل الوطأة، وكانت الحكومة البريطانية تساعد هولندة حربياً وسياسياً.

ولما جرت المفاوضات بين إندونيسيا وهولندة، وضعت هذه مادة في صلب المعاهدة، تلزم بموجبها الحكومة الاندونيسية المستقلة بأن تدفع إلى البعثات الأجنبية الدينية جميع المخصصات التي كانت تدفعها اليها الحكومة الهولندية لمساعدة معاهدها،

Bln. Zehlendorf, February 20, 1943

To Ambassador General O s h i m a

<u>B e r l i n</u>.

Your Excellency:

I have taken cognizance of the declaration of the Imperial Foreign Minister in the Lower House on February 9, 1943, which discloses a very high policy with respect to the Moslems and the Indians.

I am particularly happy that we had an opportunity to discuss this subject in our conversation of February 3. I allow myself to include with this note the text of the message to be forwarded to the Foreign Minister of Japan.

In the hope that the friendly relations between Japan and the Islamic world will ever become closer, I remain

with respectful esteem

A. H.

صورة للترجمة الإنكليزية لرسالة السيد محمد أمين الحسيني للجنرال اوشيما

وقد تشددت هولندة بالتمسك بهذه المادة أكثر من تشددها بأية مادة أخرى، حتى كادت هذه المادة تعرقل المعاهدة كلها، الأمر الذي اضطر إندونيسيا للقبول بها، وقد تعهدت الولايات المتحدة الأمريكية بمضاعفة هذه المبالغ التي تدفع للبعثات الأجنبية تبرعاً منها لهذه المعاهد الأجنبية. وأن في ذلك لعبرة، تفتح الابصار والبصائر على خطورة الغزو الفكري الذي يهتم له المستعمرون أكثر من الغزو العسكري والاقتصادي، لأن الذي يسيطر على الافكار والقلوب يسيطر عَلى كل شيء في البلاد، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

THE THANKS OF JAPANESE AMBASSADOR TO MUFTI FOR BROADCAST

JAPANISCHE BOTSCHAFT
BERLIN

Berlin, den 23.Februar 1943.

Euere Eminenz!

Für Ihren Brief vom 20.d.M. spreche
ich Ihnen meinen herzlichsten Dank aus. Ich habe Ih-
rem Wunsche gern entsprochen und den Inhalt des Ihrem
gefälligen Schreiben beigegebenen Briefes telegra-
phisch an den Herrn Aussenminister nach Tokio weiter-
geleitet.

Gleichzeitig beehre ich mich, Ihrem
neulich durch Herrn Dr. Jandelli übermittelten Wun-
sche gemäss, in der Anlage eine deutsche Übersetzung
der Erklärung zu überreichen, die der Herr Japanische
Aussenminister am 9.Februar d.J. im Japanischen Abge-
ordnetenhause abgegeben hat, soweit sie sich mit der
Frage der islamischen Welt beschäftigt.

Ich benutze diesen Anlass, um Euerer

An
Seine Eminenz,
Herrn Grossmufti Muhamed Emin el Husseini,
Präsident d.Obersten arabischen Komitees,
B e r l i n -Zehlendorf.
Goethestr.31/33.

Eminenz die Versicherung meiner ausgezeich-
netsten Hochachtung zum Ausdruck zu bringen.

Oshima

Japanischer Botschafter.

صورة لرسالة الجنرال اوشيما الجوابية الموجهة للسيد محمد أمين الحسيني باللغة الالمانية

وكانت سياسة الهيئة العربية العليا لفلسطين، وما تزال، توثيق صلة فلسطين بالأقطار العربية والاسلامية والشرقية في آسيا وافريقية، ولذلك لما دعا البانديت جواهر لال نهرو إلى عقد المؤتمر الاسيوي في دلهي في شهر كانون الثاني عام ١٩٤٩ لتأييد قضية إندونيسيا، بادرت الهيئة العربية بإرسال مندوب يمثلها في ذلك المؤتمر الذي كان الأول من نوعه في تاريخ حركات التحرير الشعبية في آسيا، فشهد مندوب الهيئة المؤتمر وتولى عرض قضية فلسطين فيه وأعلن تأييد فلسطين لقضية إندونيسيا.

ولما بدأت الاتصالات والمباحثات التمهيدية بين دول كولومبو الخمس في شأن عقد مؤتمر لبحث شؤون الشعوب الشرقية وقضاياها، سارعت الهيئة العربية إلى الاتصال بتلك الدول لادراج قضية فلسطين في جدول اعمالها.

Embassy of Japan

Berlin — Berlin, February 23, 1943

Your Eminence,

I wish to acknowledge the receipt of your letter of the 20th of this month and to convey my warmest thanks. In accordance with your request I have cabled the contents of your communication to the Foreign Minister in Tokyo.

At the same time, learning through Dr. Jandalli of your interest in the statements made on February 9 by the Japanese Foreign Minister and the Japanese House of Deputies with respect to the Islamic world, I have the honor of sending you a translation of it.

I take this opportunity to express to Your Eminence my devoted feelings of esteem and respect.

Oshima

Ambassador of Japan

To His Eminence

the Grossmufti Muhamed Emin el Husseini

Chairman of the Highest Arab Committee. — Goethestrasse 31-33.

Berlin-Zehlendorff.

صورة لرسالة الجنرال اوشيما الجوابية الموجهة للسيد محمد أمين الحسيني مترجمة باللغة الإنكليزية

وبعد انعقاد مؤتمر كولومبو ضاعفت الهيئة العربية نشاطها لإثارة قضية فلسطين في المحافل الشرقية، الرسمية والشعبية، ثم استأنفت الهيئة مساعيها على أثر انعقاد مؤتمر (بوغور) في إندونيسيا في ٢٨ كانوا الأول عام ١٩٥٤ وتقريره عقد المؤتمر الاسيوي الافريقي في «باندونغ».

وقد وجدت الهيئة العربية في قرار الدعوة لعقد مؤتمر باندونغ فرصة ثمينة لتوثيق صلة فلسطين بالدول الإسلامية، والشرقية، ولابراز قضية فلسطين وما جنته السياسة الاستعمارية الغربية والمطامع اليهودية الصهيونية على الشعب العربي الفلسطيني، فضاعفت نشاطها للاتصال بدول كولومبو، ثم بالدول الأخرى المدعوة للاشتراك في مؤتمر باندونغ وأرسلت اليها مذكرات ورسائل طلبت فيها أن يسمح للشعب الفلسطيني بالاشتراك في المؤتمر المذكور بصفة مراقبين.

وقد قيض الله لي بعد ذلك عندما كنت بمصر أن أشهد مؤتمر باندونغ الذي انعقد في إندونيسيا في شهر ابريل من عام ١٩٥٥، مع الأستاذين محمد اسحق درويش[١] واميل الغوري إذ كنا وفداً فلسطينياً سافرنا إلى المؤتمر لمتابعة قضيتنا الفلسطينية التي كانت حينئذٍ في احلك أيام محنتها. لم يكن أحد يفكر في توجيه دعوة في ذلك الحين إلى وفد يمثل فلسطين في مؤتمر باندونغ، لكننا صممنا على السفر لخدمة قضيتنا ولو من وراء جدران المؤتمر، لكننا لم نكد نصل إلى باندونغ حتى عرض علينا وفد المملكة المتوكلية اليمنية برئاسة سيف الإسلام سمو الامير الحسن، بوساطة أمينه السيد عبد الله بن يحيى العلوي ان نكون أعضاء في الوفد اليمني، فقبلنا العرض شاكرين، ثم عرض علينا مثل ذلك أيضاً الوفد السوري برئاسة المرحوم السيد خالد العظم، فشكرناه واعلمناه بما سبق من دخولنا مع الوفد اليمني، وقد كان ظهور وفدنا في المؤتمر بصورة رسمية مفاجأة لكثير من أعضاء المؤتمر.

وقد نشأت في المؤتمر بعض المشاكل التي اثارها طلب «إسرائيل» ان تمثل في ذلك المؤتمر الاسيوي ـ الافريقي. وايد الطلب «انو» رئيس وزراء بورما و «جون كوتيلا والا» رئيس حكومة سيلان حينئذٍ. لكن شودري محمد علي رئيس وزراء باكستان، وعلي ساسترو اميدوجوجو رئيس وزراء إندونيسيا، عارضاً الطلب بشدة، فوقف الرئيس نهرو متردداً حائراً بين الفريقين. وكانت الدول الخمس الداعية للمؤتمر

(١) محمد اسحق درويش: ١٨٩٦ ـ ١٩٧٤ من مدينة القدس وأحد رجالات الحركة الوطنية الفلسطينية وابن شقيقة المفتي.

هي الهند وباكستان وإندونيسيا وبورما وسيلان. ورأى نهرو حسماً للمشكلة ان لا تبحث القضية الفلسطينية بتاتاً في المؤتمر لئلا تثير الخلاف بين الدول الداعية إلى المؤتمر والدول المشتركة فيه، ولكن سمو الامير فيصل رئيس الوفد السعودي حينئذٍ انذر بأنه سيغادر باندونغ مع وفده فوراً إذا لم تبحث قضية فلسطين وأيدت موقفه سائراً الدول العربية والاسلامية، فاضطر نهرو للرضوخ، لكن حضور وفد عربي فلسطيني جلسات المؤتمر كان قد اقلقه إذ خشي ان يؤدي الخلاف بين مؤيد لإسرائيل وخصم لها، إلى فشل المؤتمر، وكان سفير الهند في القاهرة علي يا ورجنك قد احتاط للأمر فلم يسهل لنا السفر وامتنع من التأشير على جوازات مرورنا بالهند رغم ما بيننا وبينه من صداقة.

ولذلك كان ظهورنا في المؤتمر وحضورنا الجلسة الرسمية الاولى، مفاجأة لنهرو وغيره من الأعضاء وحدثت في قاعة الاجتماع تساؤلات وهمسات، واتجهت الينا الابصار بشكل غريب، لكن المسألة أصبحت أمراً واقعاً، ووقف رئيس وزراء الصين الشعبية شوان لأي موقفاً محموداً فقد ايد العرب في موقفهم والقى خطاباً قوياً عن قضية فلسطين وقال: إنها من اولى القضايا التي يجب أن تبحث في المؤتمر، وقد كنت قابلته مقابلة خاصة بسطت له خلالها القضية الفلسطينية، فتحمس لنصرتها وابدى اهتماماً كبيراً لها.

وقابلت أيضاً الرئيس نهرو مراراً وكانت إحدى المقابلات بدعوة منه إلى مائدته شرحت له خلالها قضية فلسطين. وحضرت المائدة والحديث كريمته السيدة انديرا غاندي رئيسة وزراء الهند اليوم، والدكتور محمود خان وزير الشؤون الخارجية حينئذٍ، فكان نهرو حسن الاصغاء، بادي الاهتمام، لكنه كان حريصاً قبل أي شيء آخر على ان لا يحدث في المؤتمر ما قد يحبطه.

ورغم كل العقبات والموانع التي اقامتها الدول المناصرة للصهيونية في مؤتمر باندونغ، فقد أحرزت قضية فلسطين اهتماماً كبيراً في ذلك المؤتمر التاريخي العظيم إذا استمر بحث هذه القضية ومناقشتها ثلاثة أيام من أصل ستة أيام هي مدة انعقاد ذلك المؤتمر.

وخلال إقامتنا بإندونيسيا، اثناء المؤتمر وبعده، لقينا من إخواننا الاندونيسيين ترحيباً عظيماً بنا، وعناية بالغة بقضيتنا، وتقديراً كبيراً لجهودنا خلال الحرب في سبيل استقلال إندونيسيا، وقد دعتنا الحكومة الاندونيسية بعد انفضاض المؤتمر وهيأت لنا

الفرصة والوسيلة لزيارة جميع أنحاء إندونيسيا فقضينا شهر رمضان بكامله متجولين، ولقينا من عطف الاندونيسيين على قضية فلسطين ما أذهلنا، ومن عنايتهم باللغة العربية ومحبتهم للعرب ما أدهشنا، فمدارس الدولة كلها تعلم اللغة العربية، وكذلك جميع المدارس الاهلية، وهنالك نحو ألف مدرسة مختصة بتعليم اللغة العربية والدين في جميع أنحاء البلاد، أما مدينة جوكجاكرتا وهي العاصمة الثقافية فإن فيها «الجامعة الإسلامية» وهي التي تلقى الدروس فيها باللغة العربية.

ولقد تأثرنا كثيراً بروح الاخوة الإسلامية في إندونيسيا وما لمسناه من استعداد أهلها للتعاون الروحي والثقافي والاقتصادي والسياسي مع الأمة العربية، وتمنينا ان يعنى، المسؤولون في الأمة العربية عناية كافية بالافادة من هذه القوى العظيمة المتوفرة لا في إندونيسيا وحدها بل في سائر الأقطار الإسلامية، وقد أعرب عن ذلك الأستاذ فارس الخوري للدكتور محمد ناصر رئيس وزراء إندونيسيا الاسبق عندما دعاني في صيف ١٩٥٦ إلى مأدبة اقامها في بيته في بلودان تكريماً للدكتور محمد ناصر فقد عجب الأستاذ فارس من معرفة الدكتور ناصر ورفاقه الاندونيسيين للغة العربية وتحدثهم بها وقولهم إن في إندونيسيا كثيراً من المدارس التي تعلم اللغة العربية وقال إن العرب يجب عليهم أن يفيدوا فائدة عظيمة من العالم الإسلامي ويعملوا جاهدين لتوثيق الروابط الاخوية بينهم وبين مسلمي العالم، وأن لهم في هذا فوائد عظيمة اقتصادية وثقافية وسياسية وغير ذلك، وقد سبق أن أشرت إلى هذا الحادث في موقع سابق من هذه المذكرات عندما أوضحت ان قضية فلسطين هي في أساسها قضية دينية قبل أن تكون قضية سياسية، وأن كبار اهل الرأي والفكر والوطنية من مواطنينا المسيحيين يقدرون دعم المسلمين لقضية فلسطين حق قدره ويحضون عليه باقوالهم واقلامهم.

وتعود بي الذكرى أيام انعقاد مؤتمر باندونغ إلى ما كنا نعانيه في تلك السنوات من ضيق مادي رغم ما كان لنا في خزانة امانة جامعة الدول العربية من مال وفير، فقد سبق ان تعهدت الجامعة في مؤتمر بلودان عام ١٩٤٦ للهيئة العربية العليا بموازنة سنوية قدرها مليونان من الجنيهات، فلما رجعنا من المانيا إلى القاهرة دفعت أمانة الجامعة للهيئة من تلك الموازنة ١٤٧ ألف جنيه، فشرعت الهيئة العربية تعد العدة للجهاد والكفاح واشتراء السلاح، فأثار عملها هذا الأعداء المتربصين، وكان النفوذ الإنكليزي حينئذٍ قوياً جداً، فانقطع المال عن الهيئة فجأة، فبادرنا بوضع خطة لجمع تبرعات شعبية وأرسلنا وفوداً لهذه الغاية إلى الأقطار العربية والاسلامية والمهجر وجمعنا مبالغ وفيرة

وأخذت تلك الأموال ترد من تلك الأقطار ومن المهاجرين العرب في الأقطار الأمريكية، إلى الهلال الأحمر في كل من القاهرة ودمشق، فوضعت الحكومتان المصرية والسورية في ذلك الحين ايديهما على المال وحولتاه لامانة الجامعة، وهذه منعته عنا، حتى وقعت الهيئة العربية في ضيق شديد أرغمها على اغلاق كثير من مكاتبها وفروعها، وتسريح عدد كبير من العاملين فيها حتى أننا من أجل أن نتمكن من السفر إلى مؤتمر باندونغ اقترضنا نفقات السفر من بعض الأصدقاء، مع ان الأموال التي جمعتها الهيئة كانت مرصودة باسمها في امانة الجامعة.

جرى كل هذا لأن الحكومة البريطانية كانت تعتقد أن لا سبيل لخضوع الشعب الفلسطيني وامتناعه عن القتال ما دام لدى الهيئة العربية شيء من المال، ولأن التجارب الطويلة برهنت على ان الهيئة لا تلين لها قناة، ولا تؤخذ بأية رهبة أو رغبة ولذلك يجب ابعادها عن تولي قضية فلسطين، وتسليم زمام هذه القضية إلى من يخضع ويلين ويجاري السياسة الاستعمارية في رغبتها وتنفيذ مخططاتها.

وقد كشف النقاب عن هذا المخطط أخيراً مستر مايلز كوبلاند أحد موظفي وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في كتابه المسمى (لعبة الشعوب) الذي سجل فيه على الدولة الأمريكية كيف تقوم بقلب الاوضاع، وإزالة الاشخاص الذين لا يرضخون لسياستها وتستبدل بهم اشخاصاً آخرين يخضعون لسياستها وينفذون رغائبها في كثير من الأقطار، ولا ريب في ان معظم ما كانت الهيئة العربية العليا لفلسطين عرضة له من متاعب واضطهادات يرجع السبب فيه إلى تمسكها بمبادئها وعدم استعدادها لخيانة القضية الفلسطينية والتفريط في حقوق شعبها.

الهجرة اليهودية إلى فلسطين:

أشرت في موقع سابق من هذه المذكرات، إلى المحاولة الخطيرة التي قامت بها اليهودية العالمية، خلال الحرب العالمية الثانية، لتهجير يهود شرق أوروبا والأقطار الأوروبية الأخرى التي كانت واقعة تحت النفوذ الالماني، إلى فلسطين، ومقاومتنا لهذه المحاولة وإحباطها، ووعدت بأن أورد تفصيل ذلك ونصوص بعض الكتب المتبادلة وصورها الفوتوغرافية في مكان آخر من هذه المذكرات.

وفيما يلي ايضاح لبعض ما قمنا به من المساعي الحثيثة لاحباط تلك المحاولة، التي أوليناها حينئذٍ نصيباً كبيراً من الاهتمام، لأنها كانت ستغرق بلادنا بطوفان من مهاجري اليهود في ذلك الحين:

في عام ١٩٤٤ حينما كنا في المانيا، شعرنا بحركة هجرة يهودية عارمة من البلاد الاوروبية التي كان يشملها النفوذ الالماني حينئذٍ، كهنغاريا وفرنسا وبلغاريا ورومانيا، ومن دول البلقان، حتى من تركيا ومن المانيا نفسها، فبادرنا بالاتصال ببعض المسؤولين في الحكومة الالمانية، وسألناهم عن الأسباب الباعثة لذلك، فاعلمونا ان ضغط الرأي العام العالمي الذي اثاره اليهود بدعايتهم الواسعة، اضطرهم للتساهل في هذا الأمر، وأنهم سيغتنمون هذه الفرصة فيدسون بين أولئك المهاجرين عدداً من جواسيسهم... فوجهت اليهم اللوم وعتبت عليهم لذلك.

ثم كتبت مذكرة إلى الهر فون روبنتروب وزير الخارجية الالمانية مؤرخة في ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٤٤ هذا نصها وترجمتها باللغة الإنكليزية:

برلين ٢٥ يوليو ١٩٤٤

إلى حضرة صاحب المعالي وزير الخارجية - برلين

صاحب المعالي

كنت قد استرعيت انتباه معاليكم إلى استمرار المحاولات التي يقوم بها اليهود للهجرة من أوروبا بقصد الوصول إلى فلسطين، وطلبت اتخاذ الاجراءات الضرورية التي من شأنها ان تمنع اليهود من الهجرة، كما كنت قد بعثت اليكم كتاباً مؤرخاً في ٥ حزيران ١٩٤٤ بشأن مشروع مبادلة المصريين الذين يعيشون في المانيا بافراد الجالية الالمانية في فلسطين، وطلبت فيه استثناء اليهود من مشروع المبادلة هذا، ولكني علمت أن اليهود قد رحلوا فعلاً يوم ٢ يوليو ١٩٤٤، وأخشى أن تكون هناك جماعات أخرى من اليهود سوف تغادر فرنسا والمانيا إلى فلسطين، لكي تبادل بالالمان المقيمين بفلسطين.

ومن شأن هذه المبادلة التي يقوم بها الالمان أن تشجع دول البلقان على القيام بمثلها وإرسال اليهود فيها إلى فلسطين، وسوف يصعب على العرب والمسلمين عندئذٍ التوفيق بين هذه الخطوة وتصريح معاليكم يوم ٢ نوفمبر ١٩٤٣ بأن «هدم ما يسمى بالوطن القومي اليهودي في فلسطين هو جزء لا ينفصل عن سياسة الرايخ الالماني الأكبر». وسوف يبعث هذا العمل في نفوس العرب والمسلمين شعوراً بخيبة الامل.

ولهذا فاني أرجو من معاليكم ان تفعلوا كل ما يلزم لمنع هجرة اليهود إلى

فلسطين، وبهذا تعطون مثلاً حياً لسياسة الحياد التي تتبعها المانيا الصديقة والحليفة نحو الأمة العربية.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

مفتي فلسطين

محمد أمين الحسيني

«التوقيع»

Berlin July 25, 1944

To His Excellency

The Minister for Foreign Affairs

Berlin

Your Excellency:

I have previously called the attention of your Excellency to the constant attempts of the Jews to emigrate from Europe in order to reach Palestine, and asked your Excellency to undertake the necessary steps so as to prevent the Jews from emigrating. I had also sent you a letter, under date of June 5, 1944, in regard to the plan for an exchange of Egyptians living in Germany with Palestinian Germans, in which I asked you to exclude the Jews from this plan of exchange. I have, however, learned that the Jews did depart on July 2, 1944, and I am afraid that further groups of Jews will leave for Palestine from Germany and France to be exchanged for Palestinian Germans.

This exchange on the part of the Germans would encourage the Balkan countries likewise to send their Jews to Palestine. This step would be incomprehensible to the Arabs and Moslems after your Excellency's declaration of November 2, 1943 that "the destruction of the so-called Jewish national home in Palestine is an immutable part of the policy of the greater German Reich" and it would create in them a feeling of keen disappointment.

It is for this reason that I ask your Excellency to do all that is necessary to prohibit the emigration of Jews to Palestine, and in this way your Excellency would give a new practical example of the policy of the naturally allied and friendly Germany towards the Arab Nation.

Yours, etc.

صورة للترجمة الإنكليزية للرسالة الموجهة إلى وزير الخارجية روبنتروب

ثم كتبت مذكرة مماثلة، إلى الهر هاينريش هملر وزير الداخلية، الذي كان يشرف حينئذٍ على جميع البلاد المحتلة في أوروبا، مؤرخة في ٢٧ تموز ١٩٤٤ هذا نصها:

برلين ٢٧ يوليو ١٩٤٤

إلى وزير الداخلية هـ. هملر

كنت قد أشرت في كتابي إلى معاليكم المؤرخ في ٥ حزيران ١٩٤٤ إلى حديثنا بشأن شمول اليهود بمشروع مبادلة بعض المصريين الذين يعيشون في المانيا.

وقد طلبت إليكم أن تتخذوا جميع الإجراءات التي من شأنها أن تحول دون هجرة اليهود إلى فلسطين، وإن هذه الاجراءات سوف تكون متوافقة مع السياسة الالمانية بصورة عامة، وبصورة خاصة مع تصريح الحكومة الالمانية بمناسبة ذكرى وعد بلفور يوم ٢ نوفمبر ١٩٤٣ الذي جاء فيه: «إن تدمير ما يسمى بالوطن القومي اليهودي في فلسطين هو جزء لا ينفصل عن سياسة الرايخ الالماني الاكبر». كما قلتم في برقيتكم التي بعثتم بها اليّ في نفس المناسبة: «إن الحركة الوطنية الاشتراكية منذ ابتدائها قد سجلت على رايتها المعركة مع اليهودية العالمية».

وفي هذه الاثناء علمت أن اليهود قد غادروا فعلاً يوم ٢ يوليو ١٩٤٤ ويخشى أن ترحل من ألمانيا وفرنسا مجموعات أخرى من اليهود، بموجب خطة مبادلة الالمان المقيمين بفلسطين، الأمر الذي من شأنه أن يشجع دول البلقان على إرسال يهودها إلى فلسطين أيضاً، وبالأضافة إلى ذلك فان هذه الخطوة سوف يصعب على العرب والمسلمين فهمها، وسوف تبعث في نفسوهم شعوراً قوياً بخيبة الامل.

ولهذا فاني أرجوكم أن تفعلوا كل ما يلزم لمنع اليهود من الهجرة لفلسطين، وبهذا تعطون مثلاً حياً لسياسة الحياد التي تتبعها المانيا الحليفة والصديقة نحو الشعب العربي.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

مفتي فلسطين

محمد أمين الحسيني

«التوقيع»

Berlin, den 27.7.1944

An den Reichsführer SS und Reichsinnenminister

H. H i m m l e r.

B e r l i n.

Reichsführer!

In meinem, an Sie gerichteten Schreiben, vom 5.6.44 griff ich auf unsere Besprechung zurück, in der ich Ihnen damals über die Einschliessung von Juden in den Austauschplan einiger im Deutschland lebenden Ägypter berichtete.

Ich bat Sie, Reichsführer, alle Massnahmen zu veranlassen, damit die Juden an dieser Fahrt verhindert werden. Diese Maßnahmen würden auch mit der deutschen Politik im Einklang stehen, das die Reichsregierung anlässlich der Balfour Deklaration am 2. November 43 erklärte, dass "die Vernichtung des sogenannten Jüdischen National Heims in Palästina ein unabänderlicher Bestandteil der Politik des Grossdeutschen Reichs ist, und dass "die National Sozialistische Bewegung seit ihrer Entstehung den Kampf gegen das Weltjudentum an ihre Fahne geschrieben hat" wie Sie, Reichsführer, es in Ihrem Telegramm aus demselben Anlass geschrieben haben.

Inzwischen erfuhr ich, dass die Juden doch am 2.7.44 gefahren sind, und man befürchtet, dass auf Grund von Austauschplänen gegen Palästinadeutsche noch andere Judentransporte aus Deutschland und Frankreich folgen werden.

Dieser Austausch deutscherseits würde die Balkanstaaten dazu ermutigen, ihre Juden ebenfalls nach Palästina auswandern zu lassen. Ferner wäre dieser Schritt, nach der Erklärung der Reichsregierung, für die Araber und Muslime unverständlich, und würde bei ihnen das Gefühl der Enttäuschung erwecken.

Deshalb bitte ich Sie, Reichsführer, das Nötige zu veranlassen die Auswanderung von Juden nach Palästina zu unterbinden, womit Sie ein neues praktisches Beispiel der Politik, des natürlich verbündeten und befreundeten Deutschlands den Arabern und Muslimen gegenüber, geben.

Genehmigen Sie, Reichsführer, meine ausgezeichnete Hochachtung

صورة للرسالة الموجهة إلى هملر

ثم كتبت إلى سائر وزراء خارجية الدول، التي بلغني أنها ستسمح لليهود الذين فيها بالرحيل إلى فلسطين، مذكرات طلبت فيها منعهم من ذلك، وكانت على نسق المذكرة التي أرسلتها إلى وزير خارجية هنغاريا، وهذا نصها:

«إلى حضرة صاحب المعالي وزير الخارجية لحكومة هنغاريا

صاحب المعالي:

إنكم ولا ريب على علم بالصراع القائم بين العرب واليهود في فلسطين في

الماضي والحاضر، وهو صراع دموي طويل، كانت نتيجة لرغبة اليهود في اقامة وطن قومي لهم (دولة يهودية) في الشرق الاوسط، بمساعدة بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وحمايتهما، والواقع إن أمل اليهود الذي لم يضعف ابداً بالسيطرة على العالم باسره، من فلسطين ذات المركز الاستراتيجي المهم، يكمن خلف هذا كله، وكان من ضمن أهداف برنامجهم دائماً تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين واقطار الشرق الاوسط، ومهما كان الأمر، فإن قيام الحرب، وادراك دول الحلف الثلاثي مدى مسؤولية اليهود في اثارتها، ونياتهم السيئة نحو هذه الأقطار - التي حمتهم حتى الآن - كل ذلك أسباب كافية لوضع اليهود تحت رقابة شديدة، تحول دون هجرتهم إلى فلسطين.

وقد علمت مؤخراً بالجهود الإنكليزية واليهودية المتواصلة، للحصول على إذن لليهود المقيمين في بلادكم بالرحيل إلى فلسطين، عبر بلغاريا وتركيا.

كما علمت أن هذه المفاوضات كانت ناجحة، وأن بعض يهود هنغاريا قد هاجروا بالفعل عن طريق بلغاريا وتركيا، وأن مجموعة منهم وصلت فلسطين في نهاية آذار الماضي، وأن الوكالة اليهودية، التي تشرف على تنفيذ البرنامج اليهودي، قد وزعت نشرة تحتوي على معلومات مهمة بشأن المفاوضات الجارية بين الحكومة البريطانية والحكومات التي يعنيها الأمر، لإرسال يهود دول البلقان إلى فلسطين، ومن ضمن ما ورد في نشرة الوكالة اليهودية آنفة الذكر، انها تلقت عدداً من شهادات الهجرة يكفي لنقل ألف يهودي من هنغاريا.

إن السماح لهؤلاء اليهود بمغادرة بلادكم في الظروف المشار اليها سابقاً، وبهذه الطريقة لا يحل المشكلة اليهودية، ولا يحمي بلادكم من نفوذها بحال من الأحوال، لأن هذا الهرب سيمكن اليهود من الاتصال بابناء جنسهم في بلاد الأعداء، ومشاركتهم العمل بحرية لتقوية وضعهم، وممارسة قدر أكبر من المساعي الضارة بنتائج الحرب، وبصورة خاصة نحو بلدكم، لأن اقامتهم الطويلة فيها مكنتهم من معرفة كثير من أسراركم وجهدكم الحربي، هذا بالأضافة إلى الضرر الكبير الذي يصيب الأمة العربية الصديقة التي اتخذت موقفها بجانبكم في هذه الحرب، والتي تكن لبلادكم اصدق الشعور واطيب التمنيات.

ولهذا أرجو من معاليكم أن تسمحوا لي بأن استرعي انتباهكم إلى ضرورة منع اليهود في بلادكم من الهجرة إلى فلسطين، واذا كانت هناك أسباب

تستدعي اخراجهم، يصبح من الافضل كثيراً، إرسالهم إلى اقطار أخرى يكونون فيها تحت رقابة فعالة، مثل بولونيا، للوقاية من خطرهم ومنع ضررهم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

مفتي فلسطين

محمد أمين الحسيني

«التوقيع»

Rome
June 28, 1943

His Excellency
The Minister of Foreign Affairs for Hungary

Your Excellency:

You no doubt know of the struggle between the Arabs and Jews of Palestine, what it has been and what it is, a long and bloody fight, brought about by the desire of the Jews to create a national home, a Jewish State in the Near East, with the help and protection of England and the United States. In fact, behind it lies the hope which the Jews have never relinquished, namely, the domination of the whole world through this important, strategic center, Palestine. In effect, their program has, among other purposes, always aimed at the encouragement of Jewish emigration to Palestine and the other countries of the Near East. However, the war, as well as the understanding which the members of the Three-Power Pact have of the responsibility of the Jews for its outbreak and finally their evil intentions towards those countries which protected them until now — all these are reasons for placing them under such vigilant control as will definitely stop their emigration to Palestine or elsewhere.

Lately I have been informed of the uninterrupted efforts made by the English and the Jews to obtain permission for the Jews living in your country to leave for Palestine via Bulgaria and Turkey.

I Have also learned that these negotiations were successful, since some of the Jews of Hungary have had the satisfaction of emigrating to Palestine via Bulgaria and Turkey and that a group of these Jews arrived in Palestine towards the end of last March. The Jewish Agency, which supervises the execution of the Jewish program, has published a bulletin which contains important information on the current negotiations between the English Government and the governments of other interested states to send the Jews of Balkan countries to Palestine. The Jewish Agency quotes, among other things, its receipt of a sufficient number of immigration certificates for 900 Jewish children to be transported from Hungary, accompanied by 100 adults.

To authorize these Jews to leave your country under the above circumstances and in this way, would by no means solve the Jewish problem and would certainly not protect your country against their evil influence — far from it! — for this escape would make it possible for them to communicate and combine freely with their racial brethren in enemy countries in order to strengthen their position and to exert a more dangerous influence on the outcome of the war, especially since, as a consequence of their long stay in your country, they are necessarily in a position to know many of your secrets and also about your war effort. All this comes on top of the terrible damage done to the friendly Arab nation which has taken its place at your side in this war and which cherishes for your country the most sincere feelings and the very best wishes.

This is the reason why I ask your Excellency to permit me to draw your attention to the necessity of preventing the Jews from leaving your country for Palestine; and if there are reasons which make their removal necessary, it would be indispensable and infinitely preferable to send them to other countries where they would find themselves under active control, for example, in Poland, in order thereby to protect oneself from their menace and avoid the consequent damage.

Yours, etc.

صورة للرسالة الموجهة إلى وزير خارجية هنغاريا

وعلى أثر ذلك تلقيت اجوبة من أكثر الذين كتبت اليهم، وكانت في فحواها مشابهة لجواب وزير خارجية هنغاريا، الذي أبلغني إياه مندوب هنغاريا الملكي، في كتابه الآتي نصه:

برلين ٢٥ يوليو ١٩٤٤

حضرة صاحب السماحة أمين الحسيني مفتي فلسطين الاكبر

اويبين بأي تيتاو.

صاحب السماحة:

لقد أمرت أن أبلغ سماحتكم، ان وزير خارجية هنغاريا الملكي قد تسلم شاكراً كتابكم العظيم الأهمية، بشأن الاجراءات التي ستتخذ لمنع هجرة اليهود إلى فلسطين، وسوف يولي الوزير مقترحاتكم اهتمامه البالغ.

مندوب هنغاريا الملكي «التوقيع»

A M KIR KÖVET
DER KGL. UNG. GESANDTE

360/B.-1944.

Berlin, den 25. Juli 1944.

Eure Eminenz !

Ich habe den Auftrag erhalten Euerer Eminenz mitzuteilen, dass der kgl. ungarische Minister des Aeussern mit Dank Ihr sehr geschätzten Schreiben vom 22. Juni 1944 betreffend die Verhinderung der Auswanderung der Juden nach Palestina dankend empfangen hat; er wird die darin enthaltenen Vorschläge einer Erwägung unterziehen.

Mit dem Ausdruck meiner vorzüglichsten Hochachtung

kgl. ungarischer Gesandter

Seiner Eminenz

Amin El Husseini
Grossmufti von Palestina

Rubin bei Tittau

صورة لجواب مندوب هنغاريا الملكي

وكتبت أيضاً مذكرة إلى وزير خارجية تركيا، ناشدته فيها أن لا تسمح الحكو
التركية بمرور قوافل المهاجرين اليهود إلى فلسطين، عبر البلاد التركية، التي كانـ
الطريق الوحيد خلال الحرب إلى فلسطين، لتعذر السفر اليها جواً أو بحراً، وقد
إرسال جميع هذه المذكرات إلى تلك الدول بواسطة سفاراتها في برلين.

كان لهذه المذكرات نتائج ايجابية مفيدة للقضية الفلسطينية في بعض الأقط
الاوروبية، لكنها اقامت قيامة الصهيونيين، وكانت سبباً في تقديمهم شكوى عليّ إل
الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ زعموا فيها ان مذكراتي كانت سبباً في منع مئات الالوف
من اليهود من الهجرة إلى فلسطين، وأنهم كانوا عرضة للهلاك لذلك السبب
واتهموني بأني كنت السبب في هلاكهم، وقالوا في شكواهم للامم المتحدة ا
مذكرتي إلى هنغاريا حالت دون سفرهم منها وكانت السبب في موت أربعمائة ألف
(٤٠٠٫٠٠٠) يهودي!.

Berlin, July 25, 1944

A.M. Kir. Kovet
Der Kgl. Ung. Gesandte

360/B.-1944

Your Eminence,

I have been instructed to inform Your Eminence that the Royal Minister for Foreign Affairs of Hungary has received with thanks your highly esteemed communication concerning the measures to be taken to prevent the emigration of Jews to Palestine. The Minister will give the utmost consideration to your proposals.

With the expression of my highest respect

Royal Envoy of Hungary

His Eminence

Amin El Hussein
Grossmufti von Palestina

Rubin bei Tittau.

صورة الترجمة الإنكليزية لجواب هنغاريا السابق

وأثارت هذه المزاعم احقادهم، فقاموا بتلفيق شهادة اغروا «كرومي» - الذي كان مساعد (أيخمان) - بتوقيعها أمام كاتب العدل في سويسرة، وقد جاء فيها، بزعمهم، أنه رآني في برلين مجتمعاً بايخمان، وأننا كنا نضع خطة لإبادة اليهود في البلاد التي احتلتها الجيوش الالمانية في أوروبا، وكان عددهم فيها ستة ملايين يهودي، ووعدوا كرومي المذكور بإنقاذه من حكم الاعدام إذا وقع تلك الشهادة الكاذبة، ولكنهم وهم المشهورون بالنكث والتزييف والتحريف والقسوة (وشهادة القرآن الكريم فيهم اعظم شهادة) لم يفوا بوعدهم للرجل، فحكمت عليه محكمة نورمبرغ بالإعدام. وكان هدف اليهود من هذه التهمة، المطالبة بتقديمي للمحاكمة أمام محكمة مجرمي الحرب في نورمبرغ كمجرم حرب.

ولهذه المناسبة أورد هنا أن اليهود لما اختطفوا أيخمان من الارجنتين، حيث كان يقيم متخفياً بعد الحرب العالمية الثانية، وحملوه مخدراً إلى فلسطين المحتلة وحاكموه، اطلعوه على الشهادة الكاذبة التي حملوا مساعده على تأديتها، وحاولوا اغراءه وحمله على تأييد تلك الفرية، لكن أيخمان كان شهماً وشريفاً، فنفى اجتماعي به، وأكد أنه لم تكن له بي اية صلة أو معرفة شخصية.

فالواقع اني عندما أرسلت تلك المذكرات إلى المسؤولين من رجال الرايخ الالماني، والدول المشار اليها، لم أكن ابتغي ابادة اليهود، لكني كنت أسعى جاهداً لمنع طوفان الهجرة اليهودية العدوانية الرامية إلى إغراق فلسطين وإخراج أهلها منها، كما حدث بعد ذلك فعلاً بمساعدة بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

إن هجرة اليهود إلى فلسطين كانت اعظم خطر يتهددها، لأنها الأساس في بناء الدولة اليهودية الباغية، ولذلك فان الميثاق الوطني الفلسطيني الذي وضعه الفلسطينيون عام ١٩١٩، واقرته المؤتمرات الفلسطينية العربية السبعة التي عقدها الشعب الفلسطيني خلال عهد الاحتلال والانتداب البريطاني البغيض والجائر لفلسطين، وفي غضون حركة الشعب الفلسطيني الوطنية المشرفة، وجهاده الرائع طيلة ثلاثين سنة، كانت مسألة منع الهجرة اليهودية في مقدمة المطالب الوطنية، وقد ادمجت في صلب الميثاق الوطني وكانت أساس تلك المطالب وأولها وأهمها، ولذا لا يجوز ولا يحق لاحد من العرب أو غيرهم، ولاسيما الفلسطينيين، أن يبدي أي تساهل في أمر الهجرة اليهودية.

ولهذه المناسبة، أذكر أن الوفد الفلسطيني الذي سافر إلى لندن ووصل اليها يوم ٢٩ آذار ١٩٣٠ على أثر الثورة التي نشبت في ٩ آب ١٩٢٩ لمحاولة اليهود الاعتداء على

مكان البراق الشريف من سور المسجد الأقصى المبارك، بزعم انه «حائط المبكى»، وسقط بسببها بضع مئات من القتلى واضعافهم من الجرحى، كان ذلك الوفد برئاسة المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني، وكنت أحد اعضائه، وقد حاول رئيس الوزارة البريطانية مستر رامزي ماكدونالد ووزير المستعمرات اللورد باسفيل، خلال الجلسات العديدة التي دارت فيها المباحثات، اقناعنا بالموافقة على سياسة الحكومة البريطانية في فلسطين، ومنها الهجرة اليهودية، ولو بعدد قليل، مقابل تلبية مطالبنا بتأليف حكومة وطنية لفلسطين، فرفضنا ذلك بشدة، ولم نوافق على مبدأ الهجرة مهما كانت قليلة، كما رفضنا كل اقتراح أو حل يؤثر على مستقبل قضيتنا واستقلال بلادنا، واستنكرنا صك الانتداب البريطاني ونصوصه الظالمة المخالفة لكل حق وعدل.

فقال ماكدونالد إن بريطانيا غير مسؤولة عن صك الانتداب، وإن عصبة الأمم هي التي وضعته، فلما حبطت المفاوضات وغادرنا لندن في أوائل تموز عام ١٩٣٠ سافرت إلى جنيف، وقابلت الأمين العام لعصبة الأمم المتحدة حينئذٍ السر اريك دراموند، برفقة المرحوم الامير شكيب أرسلان وإحسان بك الجابري، عضوي الوفد السوري الفلسطيني المقيم بجنيف، فكان مما قلناه للأمين العام: كيف تضعون في مثل هذا العصر صكا للانتداب على فلسطين، ينطوي على ظلم فادح لا نظير له في التاريخ، فاجابنا قائلاً: إن عصبة الأمم لم تضع هذا الصك وانما بريطانيا هي التي وضعته.. ولما قلت له أن ماكدونالد رئيس وزراء دولتكم (وكان دراموند بريطانيا) قال لنا إن عصبة الأمم هي التي وضعته، نفى ذلك القول نفياً باتاً..

والحقيقة والواقع، إن الحكومة البريطانية هي التي وضعت صك الانتداب، بالاتفاق مع الجمعية الصهيونية وزعماء اليهود. وقد اكد ذلك زعيم الصهيونية حاييم وايزمن في مذكراته بقوله: «اليهودي الاميركي بنجامين كوهين، كان يتولى مع سكرتير اللورد كرزون (وزير الخارجية البريطانية حينئذٍ) وضع صك الانتداب والاتفاق على نصوصه...»

وبعد عودتنا إلى البلاد، أرسلت الحكومة البريطانية «لجنة سمبسون» لدرس اوضاع فلسطين عامة، ولاسيما مقدرتها على استيعاب مهاجرين، فلما قدمت هذه اللجنة تقريرها بعد بضعة اشهر من دراستها، ذكرت ان فلسطين مكتظة بسكانها الحاليين، وأن من تستوعبه منهم الآن هو أكثر من طاقتها (وكان عدد اليهود يومئذٍ نحو ١٧٠ الفا) كما ان ارضها لا تكاد تكفي سكانها.. واستناداً على تقرير «لجنة سمبسون» وتقرير «لجنة شو» التي سبقتها بالتحقيق عن أسباب نشوب ثورة عام ١٩٢٩، أصدرت

الحكومة البريطانية «كتاباً ابيض» قررت بموجبه منع الهجرة ومنع بيع الأراضي. فعندئذٍ قامت قيامة اليهود في العالم، وأرسلوا وابلاً من البرقيات والاحتجاجات إلى الحكومة البريطانية، وقام انصارهم وعملاؤهم في كل مكان، ولا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية، بدعمهم، وعندئذٍ أرسل وايزمن مذكرة إلى مكدونالد قال فيها: (إذا منعت الهجرة، وبيع الأراضي، فلن يكون هناك وطن قومي يهودي....)

وأسفرت الحملة اليهودية عن نكوص بريطانيا على عقبيها، وكتب مكدونالد جواباً «فسر» فيه الكتاب الأبيض آنف الذكر تفسيراً نقض كل ما جاء فيه، وسمح بالهجرة. وعينت بريطانيا الجنرال السر أرثر ووكهوب مندوباً سامياً على فلسطين، ففتح ابواب الهجرة لليهود، رغم احتجاج الفلسطينيين ومقاومتهم وثوراتهم من عام ١٩٣٣ إلى عام ١٩٣٦ حيث قام الشعب الفلسطيني بإضراب عام استمر ستة شهور كاملة، وصحبته ثورة عارمة ضارية ضاقت بها بريطانيا ذرعاً، ووقع ووكهوب في حرج شديد، ولما انحى عليه بعضهم باللائمة، لأنه فسح المجال للهجرة اليهودية التي كانت من أهم أسباب تلك الثورة، اجاب قائلاً (وقد نقل اليّ هذا الحديث المرحوم الأستاذ جورج انطونيوس، من نبهاء العرب اللبنانيين وفضلائهم، ومؤلف كتاب «يقظة العرب» وكان عندئذٍ مساعداً للسكرتير العام لحكومة فلسطين زمن الانتداب): وماذا اصنع؟ لقد قال لي رئيس الوزراء مكدونالد، بصراحة وتأكيد، عندما عينت مندوباً سامياً على فلسطين «افعل كل ما في إمكانك أن تفعله لإرضاء اليهود وخلصني من صخبهم وحملاتهم». ولما طلبت من وزارة المستعمرات ان تضع لي التعليمات لتنفيذ هذه السياسة، اوعزت اليّ بأن أرضي اليهود في مطالبهم العامة، وفي مقدمتها الهجرة، وأن ارضي العرب في مطالبهم الخاصة الشخصية!! فكانت هذه خطتي، ولكني لم استطع ارضاء كل العرب الفلسطينيين عن طريق تلبية مطالبهم الخاصة، ولاسيما الذين يتولون شؤون قضيتهم، فلم تكن لهم مطالب خاصة بل كانت مطالبهم منحصرة في الشؤون العامة لبلادهم، وكانت تلبية مطالبهم العامة فوق طاقتي ومخالفة للتعليمات التي أعطيت لي. لكن الواقع أن الجنرال ووكهوب لم يستطع إرضاء كل العرب عن طريق تلبية مطالبهم الخاصة، فقد كان فيهم ناس شرفاء، لم يكونوا يسعون وراء المطالب الخاصة، بل كان همهم مصلحة امتهم، وغايتهم خدمة قضيتهم.

ولمناسبة الحديث عن مكدونالد، أذكر أن آخر اجتماع عقده مع الوفد الفلسطيني كان في بيته (رقم ١٠ داوننغ ستريت)، وهو المنزل الذي يقيم به كل من يتولى رئاسة الوزارة البريطانية، وأن آخر ما سمعناه منه قوله: (أرجو ان لا تتكرر حوادث الاخلال

بالامن في بلادكم لأن الذين يثيرونها يقعون تحت مسؤولية عظيمة وصارمة ولاسيما رؤساء الدين وكان اليهود كعادتهم يبالغون في اتهامي وتحميلي كل اوزار الثورة الفلسطينية وما اصابهم فيها من خسائر فادحة في الانفس والأموال حتى انه لما قتل في المعركة أحد كبار ضباط (الهاغاناه) البارزين، وقف ثلاثون من اتباعه وأقسم كل واحد منهم أمام جثته بأن يثأر له مني شخصياً، وقد قاموا في ليلة دفنه بمحاولات مفاجأة للانتقام مني ولكن الله أحبط كيدهم). ففهمت من قوله هذا انه يعنيني بهذا الانذار وانه كان متأثراً بدعايات اليهود واتهاماتهم التي كانوا يوجهونها إليّ، فاجبته من فوري: (ان رجال الدين لا يخشون المسؤولية إلا أمام الله)..

بينت في فيما سبق طرفاً من المساعي التي قمنا بها في المانيا، لمنع هجرة اليهود من البلاد الأوروبية إلى فلسطين خلال الحرب العالمية الثانية، ولم تكن تلك المساعي هي الوحيدة، بل سبقتها مساع أخرى في اواخر عهد الدولة العثمانية لمنع التسلل اليهودي إلى فلسطين حينما كانت الهجرة اليهودية ممنوعة رسمياً، حتى ان الدولة العثمانية وضعت نظاماً خاصاً لهذا المنع هو نظام (الجواز الأحمر) الذي كان يعطى لكل يهودي أجنبي، فلا يسمح له بدخول البلاد إلا بعد أن تأخذ السلطات المختصة جواز سفره وتعطيه بدلاً منه جوازاً أحمر يحمله خلال تجوله في البلاد كسائح مدة قصيرة محدودة، وعند انتهائها يسترد منه الجواز الأحمر ويعاد إليه جوازه الذي كان يحمله قبل دخوله البلاد.

وكان اليهود، بوسائلهم العديدة المعروفة، يتسللون كسائحين يحملون جوازات أجنبية، فكانت الدولة تخرج كل متسلل تعثر عليه. وكان اليهود يسعون جاهدين لاسترضاء الحكام وحملهم على الاغضاء عنهم. وكان زعيم اليهود في القدس المسمى «عينتيبي» يحاول استرضاء الحكام والموظفين بالهدايا السخية، وبمصنوعات مدرسة «اليانس إسرائيليت» الصناعية، كما كان يفعل زميله «ديزينكوف» في مدينة يافا وما حولها.

فلما نشبت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤، عينت الدولة شاباً تركياً اسمه «بهاء الدين» بك حاكماً (قائمقام) لمنطقة يافا، وكان شهماً نزيهاً وماضياً، فقام باخراج الوف من اليهود الذين دخلوا البلاد بطرق غير مشروعة ولم يضعف امام اغراءات «ديزينكوف» وغيره من زعمائهم، وتقديراً لموقفه دعته صفوة من شبان القدس إلى حفلة تكريم له في منزلنا، قدرنا خلالها خطته الحازمة وحماسته الوطنية. وكان بهاء الدين مطلعاً على اخطار الصهيونية ومصمماً على مقاومتها، ومتجاوباً في هذا المجال مع خيرة شبان فلسطين حينئذٍ.

وكان أحمد جمال باشا قائد الجيش الرابع ووزير البحرية مسيطراً حينئذٍ على مناطق فلسطين وسورية ولبنان، فكان يدعم بهاء الدين ويؤيده فيما يتخذه من اجراءات. فحاول زعماء اليهود اغراءه بالمال فلم ينجحوا، إلى أن تمكنوا من اقناعه بتلبية دعوة «مس لاندو» وهي يهودية صهيونية كانت تدير «دار المعلمات اليهودية» في القدس، واغتنمت مس لاندو تلك الفرصة الذهبية فحشدت لاستقباله صفوة مختارة من الفتيات، الطالبات وغير الطالبات، فقمن امامه باستعراض رياضي. ولما انتهت الزيارة قدمت له مجموعة (البوم) تشتمل على صور الفتيات وعناوينهن.. وهكذا كانت زيارة جمال باشا لدار معلمات مس لاندو، الحد الفاصل في تحوله عن خطته السابقة الحازمة نحو اليهود، فاقصى بهاء الدين بك عن المنطقة، وتوثقت صلة اليهود بعد ذلك بجمال باشا، فمنحهم أرضاً واسعة من أراضي الأوقاف الإسلامية هي (وقف روبين) بجوار يافا بحجة استصلاحها وتجفيف مستنقعاتها، وإصدار امره إلى «مجلس ادارة» القدس باتخاذ الاجراءات القانونية لتسجيلها باسم اليهود.

لكن المرحوم السيد محمد كامل الحسيني مفتي القدس حينئذٍ، عارض في ذلك، فتأجلت الاجراءات ولما تتم حتى نهاية الحرب، وكان اليهود قد تسلموا الأرض فعلاً وغرسوا فيها مئات الالوف من أشجار الكافور (الاوكالبتوس) واقاموا فيها المزارع، فلما تولينا شؤون المجلس الإسلامي الأعلى لفلسطين، استرددنا الأرض بما فيها من مئات الالوف من الاشجار، رغم مقاومة اليهود واقامتهم الدعوى علينا، وكانت مساحة تلك الأرض تزيد عن (٣٢٫٠٠٠) اثنين وثلاثين ألف دونم.

لما وقع الاحتلال البريطاني لفلسطين في ٩ كانون الأول سنة ١٩١٧ كان عدد اليهود في جميع فلسطين لا يزيد على ٤٫٥ بالمئة (أربعة ونصف في المئة) من مجموع أهل البلاد العرب، وكان أكثرهم يحمل جوازات أجنبية فلا يحق لهم الامتلاك ولا الانتخاب، ففتحت لهم بريطانيا أبواب الهجرة على مصاريعها رغم استنكار اهل فلسطين ومظاهراتهم وثوراتهم الدامية المتتالية.

ولقد قمنا، منذ الاحتلال البريطاني، بمقاومة الهجرة اليهودية بجميع ما كنا نملك من الوسائل حينئذٍ، من احتجاجات، ومظاهرات، ثم ثورات متعاقبات، وناشدنا الدول العربية التي فيها يهود، أن تمنعهم من الهجرة، فلبى بعضها طلبنا، فقد منع المرحوم الامام يحيى حميد الدين هجرة اليهود من اليمن منعاً باتاً، حتى من كان منهم يريد زيارة عدن لا بد له من أن يكفله أناس يتعهدون بعودته إلى اليمن، فإن لم يعد اليها كانت تصادر أمواله ويعاقب كفلاؤه.

وكذلك كان موقف بعض الدول الإسلامية كافغانستان، وكنت قد زرتها في خريف عام ١٩٣٣ في عهد ملكها المرحوم نادرشاه وحدثته في قضية فلسطين وما تصيبها به الهجرة اليهودية من اخطار، فحال دون هجرة اليهود من بلاده.

لكن من أعظم بواعث الاسف ان بعض الدول العربية سمحت لليهود بالهجرة من بلادها، بضغط الدول الأجنبية، برغم المذكرات الكثيرة التي قدمناها، والمناشدات العديدة التي وجهناها اليها فزادت بذلك كمية اليهود المهاجرين إلى فلسطين زيادة عظيمة، فقد هاجر بعد الحرب العالمية الثانية مئات الوف من اليهود الذين كانوا يقيمون بالبلاد العربية دون أن تقوم تلك الدول بمنعهم، فتدفق من العراق في عهد نوري السعيد وغيره ما لايقل عن مئة وعشرين ألفاً، ومن اليمن بعد وفاة الامام يحيى خمسون الفاً، وهاجر من الشمال الافريقي ٤٥٠،٠٠٠ (اربعمائة وخمسون ألفاً).

وفيما يلي بيان بعدد المهاجرين اليهود من الأقطار العربية إلى فلسطين:

العراق	١٢٠,٠٠٠	مئة وعشرون ألفاً
اليمن	٥٠,٠٠٠	خمسون ألفاً
ليبيا	٣٥,٠٠٠	خمسة وثلاثون ألفاً
مصر	٤٥,٠٠٠	خمسة وأربعون ألفاً
المغرب	١٥٠,٠٠٠	مئة وخمسون ألفاً
تونس	٩٠,٠٠٠	تسعون ألفاً
الجزائر	١٥,٠٠٠	خمسة عشر ألفاً
المجموع	٥٠٥,٠٠٠	خمسمائه وخمسة آلاف

كان هذا الإحصاء حتى عام ١٩٦٧ وقد هاجر عدد آخر من اليهود خلال السنوات الاخيرة من بعض البلاد العربية أيضاً.

يضاف إلى ذلك اعداد من اليهود هاجروا إلى فلسطين من سورية ولبنان أما الذين هاجروا إلى فلسطين من يهود الجزائر فهم ٠١٥،٠٠٠ وأما الباقون وعددهم ١١٥،٠٠٠ فقد فضلوا الهجرة إلى فرنسا وبلاد اوروبية أخرى.

وتسرب قسم كبير منهم أيضاً إلى فلسطين. ويقدر عدد الذين هاجروا اليها من البلاد العربية بحوالي ستمائة ألف.

الشهيد الدكتور مصطفى الوكيل:

في أواخر أيامنا في المانيا، فجعنا بفقد الدكتور مصطفى الوكيل رحمه الله. ولا أذكر أني جزعت لوفاة أحد كما جزعت لفقد شهيدين فذين كانا متشابهين في كثير من الصفات والمزايا النادرة، هما الدكتور مصطفى الوكيل الذي استشهد في برلين يوم ٤ آذار عام ١٩٤٥، والسيد عبد القادر الحسيني الذي استشهد في القسطل يوم ٨ نيسان عام ١٩٤٨.

قضى مصطفى الوكيل شهيداً كريماً من شهداء الأمة العربية، بعدما كان مجاهداً عظيماً من مجاهديها وكانت حياته الغالية القصيرة شعلة وهاجة من المبادئ الشريفة، وقبساً من نور الإيمان، وقدوة صالحة للشبان الناشئين والرجال العاملين، ومثلاً حياً للوطنية الصادقة ونكران الذات في سبيل المجموع، والإيثار والفداء في سبيل المبادئ القويمة والمثل العليا وكل من عرف الشهيد الفقيد استهوته هذه الصورة الحية من صور الإيمان والفداء، والبسالة والخلق الكريم.

عرفت الفقيد الشهيد مصطفى الوكيل عندما قدم بغداد عام ١٩٤٠ للتدريس في دار المعلمين العليا، وكان يحمل اليّ رسالة تعريف من الأستاذ أحمد حسين رئيس جماعة مصر الفتاة، فأبلغني بتواضع عظيم، وحياء جم، إنه يجند نفسه في سبيل الله، وسبيل الإسلام وفلسطين والعروبة وكان يزورني حيناً بعد حين فتتناول أحاديثنا القضايا العربية والاسلامية، فوجدت فيه عقلاً راجحاً وعلماً ناضجاً وحماسة متوقدة وانكاراً للذات قل نظيره في هذا العصر المادي الذي بلغ التكالب فيه على المادة حداً ضاعت عنده القيم الروحية والفضائل الخلقية، وكان مرتبه الشهري من دار المعلمين العليا نهباً مقسماً يرسل نصفه كاملاً إلى جماعة «مصر الفتاة» التي ينتمي إليها في مصر، ويوزع شطراً منه على جمعية «الهداية الإسلامية» في بغداد، وعلى «منظمة الفتوة» العراقية، وعلى شؤون القضية الفلسطينية، ويعيش بالقليل الباقي!.

فلما نشبت الثورة العراقية في ربيع عام ١٩٤١ لتعنّت الإنكليز الذين كانوا قد أعدوا عدتهم لاحتلال العراق واتخاذه قاعدة لهم في الحرب (كما أورد ذلك تشرشل في مذكراته) تطوع الفقيد مصطفى لقتال الإنكليز دفعاً لعدوانهم على العراق والتحق بكتيبة المجاهدين الفلسطينيين بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني، ولما انتهت المعركة وخرج من العراق عدد من احرار العراقيين والفلسطينيين والسوريين وغيرهم ممن كانوا عرضة لنقمة السلطات البريطانية وعملائها، خرج الفقيد مع زملائه من مجاهدي

فلسطين إلى سورية فتركيا، ومنها إلى المانيا، وقد اتيح لي خلال إقامتنا بالمانيا ان ازداد معرفة به، وتجربة واختباراً له، فما زادتني تلك الايام على شدتها وصعوبتها إلا اعجاباً به وقدراً لأخلاقه التي من أجلها شجاعته وزهده وانكاره لنفسه، وكنت ارى فيه مثلاً لما ينبغي أن يكون عليه الشاب العربي المسلم من الأخلاق الفاضلة والتربية العالية.

وكان الفقيد خلال مدة الحرب موفور النشاط دائباً على العمل لخدمة المصالح العربية والإسلامية عامة، والمصرية خاصة، ومن اعظم الخدمات التي اداها لوطنه مصر، وكان له الفضل الكبير فيها، التصريح المشترك الذي صدر عن المانيا وإيطاليا عام ١٩٤٢ بالاعتراف باستقلال مصر، ومطالبة دول المحور بأن لا تقوم الطائرات الالمانية والايطالية بقصف المدن المصرية بالقنابل، وكذلك في مساعينا المشتركة لإنقاذ ركاب الباخرة المصرية «زمزم» وملاحيها من الأسر والعناية بهم وبغيرهم من الاسرى، وبعدد كبير من الجاليات العربية والاسلامية في المانيا، وقام برحلات عديدة شاقة، إلى تركيا والبانيا وبعض العواصم الاوروبية في سبيل خدمة مصر والأقطار الإسلامية، وعندما أخذت العصابات الصربية تعيث فساداً في بلاد البوسنة وتمعن في اهلها المسلمين قتلاً ذريعاً حتى بلغ عدد القتلى منهم نحو مئتي ألف نسمة، أصر الفقيد على التطوع في صفوف المدافعين عن مسلمي البوسنة، ولكني كلفته بالسفر إلى البانيا للمشاركة في إعلان استقلالها ولتأليف فرقة عسكرية فيها للدفاع عن مسلمي البانيا، وهناك استقبله رئيس الدولة الالبانية مهدي بك فراشيري وأنزله في بيته تكريماً له. وقد رفض الفقيد طيلة وجوده في المانيا أن يأخذ مخصصات الرجل السياسي وهي أربعة امثال المخصصات العادية وكان يكتفي بمخصصات الرجل العادي.

لقد كان كثير العمل، كبير القدر، وكان في الوقت نفسه عزوفاً عن قبول أية مادة حتى كأنه المعني بقول عنترة:

اغشى الوغى وأعف عند المغنم

وقد أشرت في مكان سابق من هذه المذكرات إلى المهمة التي اضطلع بها الفقيد عند سفره من المانيا إلى استانبول حاملاً رسالة من فونتسال روبنتروب وزير خارجية المانيا لايصالها إلى الملك فاروق. وكان الفقيد يعمل معي في برلين طيلة النهار وشطراً من الليل. فلما اشتدت الغارات الجوية على برلين لم يكن يلجأ إلى المخبأ بل يمكث في مكانه لا يتزحزح ويقول: (لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا). فكثيراً ما كان عرضة للموت لهذا الاستخفاف. ولما هدم البيت الذي كنا نقيم به في برلين لثالث مرة

وضاقت برلين على سكانها بما رحبت ولم يبق فيها مكان لم يهدم أو يتصدع، طلبت منا الحكومة الالمانية ان ننتقل منها إلى قرية «ساوة» على بعد سبعين ميلاً من العاصمة، ثم انتقلنا منها إلى «اويبين» في ساكسونيا على مقربة من حدود تشيكوسلوفاكيا واقمنا بها مع إخواننا وفي مقدمتهم الفقيد وأخذنا نتردد على برلين مرة في الاسبوع فنقيم بها بضعة أيام للعمل على إخراج من فيها من إخواننا العرب والمسلمين، واتخذنا من «المعهد الإسلامي» مكتباً لنا وأخذ إخواننا يتناوبون العمل فيه اسبوعياً ومن جملتهم الدكتور الوكيل، لكنه كان كلما ذهب لا يعود بعد انقضاء نوبته الاسبوعية إلا بالجهد، وبعد أن اطلبه بالتلفون مراراً، وكثيراً ما كان يقول لي: أرجو أن لا تضيع على فرصة مشاهدة المعارك حين تنشب في برلين نفسها بين الالمان والروس لدراسة «حرب الشوارع» التي قد نحتاج إليها في بلادنا.

وفي ليلة ٤ آذار ١٩٤٥ اغارت على برلين طائرة إنكليزية واحدة على غير العادة والقت قنبلة واحدة أيضاً مصوبة خصيصاً على «المعهد الإسلامي» حيث كان الفقيد فيه، فسقطت على بعد عشرة امتار منه، وكانت قنبلة هواء مضغوط، فدمرت البناء تدميراً كاملاً ونال الفقيد الشهادة التي كان يتوق اليها وطالما سعى لها. فلما بلغنا الخبر وكنا في «بادغشتاين» بادر كل من السيدين الدكتور معروف الدواليبي (رئيس وزراء سوريا فيما بعد) والأستاذ محمد اسحق درويش عضو الهيئة العربية العليا لفلسطين والدكتور سميح الموصلي من كرام إخواننا السوريين بالسفر إلى برلين للقيام بواجبات تكفينه والصلاة عليه ودفنه ثم تبعتهم بعد ذلك، وتم دفنه في المقبرة الإسلامية التي كانت للدولة العثمانية، ومن غرائب الصدف ان كان ضريحه بجانب ضريح مجاهد كبير مثله هو المرحوم الحاج نافع شبلي أحد فضلاء مدينة حلب ومؤسس المعهد الإسلامي في برلين، ذلك المعهد الذي كان فقيدنا الدكتور الوكيل آخر من تولى العمل فيه.

وبعد فان الفقيد الدكتور مصطفى الوكيل كان فذاً نادر المثال في الرجال، وقد بهرت أخلاقه ومزاياه كبار الرجال من الالمان فقد حدثني احدهم مرة في برلين قائلاً: «إن الدكتور الوكيل لا نظير له في خلقه وعقله وفضله وروح الفداء فيه، وما كنا نعتقد ان البلاد الشرقية تنجب مثل هذا الشاب الذي يندر وجود مثله في أرقى الأمم».

وقد تم نقل جثمان الفقيد من المانيا إلى القاهرة عام ١٩٥٤ حيث جرى له استقبال عند وصوله بالطائرة يوم ٢٢ رمضان ١٣٧٣ (٢٥ أيار ١٩٥٤) وبعد يومين من وصوله شيع جثمانه بموكب حافل في أرض مصر وطنه العزيز بعد أن ظل بعيداً عنه

تسع سنين في المانيا. وقد اشتركنا في هذا الموكب الكبير الذي بدأ من ميدان التحرير واشترك فيه رئيس الجمهورية حينئذٍ اللواء محمد نجيب ورئيس الوزراء الرئيس جمال عبد الناصر وعدد كبير من الوزراء والعلماء والفضلاء ثم بعد الصلاة على الجثمان في جامع جركس سير به إلى مدافن الاسرة حيث القيت خطب التأبين.

تغمد الله الشهيد الكريم بواسع رحمته وجعله قدوة صالحة لرجال أمته.

﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾.

لقاءات ومواقف:

لقيت في أوروبا ولا سيما في المانيا، خلال سني الحرب العالمية الثانية، عدداً كبيراً من مشاهير المسلمين والعرب والشرقيين وكثيرين من الاجانب. وسأتحدث باختصار عن بعض الذين اجتمعت بهم، وتحدثت معهم في القضايا الإسلامية والعربية والشرقية والغربية، فمنهم ملك الافغان السابق امان الله خان، وعبد القيوم خان رئيس اللجنة القومية المتحدة لتركستان، وعلي خان قان دمير من زعماء المسلمين في القوقاز في (روسيا)، وسعيد بك شامل وزير خارجية حكومة القوقاز، وحفيد الشيخ شامل المجاهد الإسلامي الكبير في القوقاز، وسوبهاس شاندرابوز أحد كبار زعماء الهند، وكمال بك اوخري رئيس أركان حرب مصطفى كمال باشا (أتاتورك) وغلام صديق خان وزير خارجية الافغان السابق، ومهدي بك فراشيري رئيس مجلس الجمهورية الالبانية، والزعيم التونسي الحبيب بورقيبة وعدد من رجال تونس المجاهدين، والدكتور معروف الدواليبي رئيس وزراء سورية فيما بعد، والدكتور تقي الدين الهلالي من علماء المغرب وفضلائه وجماعة مختارة من رجالات العراق أذكر منهم السيد رشيد عالي اليكلاني، وناجي بك شوكت من رؤساء الوزارة العراقية السابقين، واللواء ابراهيم باشا الراوي، والدكتور محمد حسن سلمان وزير الصحة السابق، ومحمد سلمان وزير النفط العراقي فيما بعد، والبشير المهذبي سفير تونس في لبنان فيما بعد والدكتور وهبي البوري وزير خارجية ليبيا فيما بعد، ومحمود المنتصر من رؤساء الوزارة الليبية فيما بعد وكثيرون غيرهم...

كان امان الله خان ملك الافغان السابق قد لجأ إلى إيطاليا بعد الثورة التي نشبت في بلاده واطاحت به، وقد التقيت به ودعاني للغداء مراراً في قصره بروما، وكان حزيناً لاغترابه عن بلاده، وسبب الثورة أن أمان الله حاول توجيه الشعب الافغاني

بالقوة إلى حالة اجتماعية مخالفة لما نشأ عليه الافغانيون، من عقيدة دينية وتقاليد اسلامية، منقاداً إلى ذلك بتحريض بعض العناصر الأجنبية، ومتأثراً بما حدث في تركيا في ذلك الحين من تغييرات في الحالة الاجتماعية.

فلما ثار الشعب الافغاني في وجه امان الله، انتهز الفرصة «باجة سقا» ـ وهو أحد رجال القبائل ـ فوثب على الحكم، وعاث في البلاد فساداً مدة من الزمن، خرج خلالها امان الله من افغانستان، وكان اخوه السردار عناية الله خان قد حاول أن يحل محل اخيه أمان الله، لكنه لم يستطع ان يثبت في وجه الثورة وكان خلال ذلك «نادر خان» أحد كبار رجال الدولة الافغانية وقوادها، يحزم امره وينظم جيشه، فتمكن من القضاء على باجه سقا وإنقاذ البلاد من الفتنة، ثم تولى الحكم في افغانستان التي دانت له وأصبح «الملك» نادر شاه، وكان مشهوراً بالحزم وحسن الادارة وفيض الشعور الإسلامي، وهو والد الملك الحالي محمد ظاهر شاه.

وتحضرني لهذه المناسبة أبيات من قصيدة اللبناني الكبير المرحوم أمين ناصر الدين، قالها في الملك امان الله خان والثورة التي قامت عليه وعصفت بملكه، وهي:

أهِب بأمان الله إن كنتَ مُسلماً	وقُلْ أرأيتَ العرشَ كيفَ تَحطَما
إذا ملكٌ لم يدعمْ الرأي ملكهُ	فغايةُ هذا الملكِ أنْ يتَهدما
أضَلكَ عن نهجِ الحصافةِ معشرٌ	قَصاراهمُ أنْ يستبيحوا المُحرما
مشيتُ، وقد ضلوا، على خطواتِهمُ	ومن يتبعْ أهلَ الضلالِ تَجَرّما
رآك بنو الافغانِ في زي ملحدٍ	على وثنِ «الاصلاحِ» صلى وسلما
وهلْ ذلك الاصلاحُ إلا مفاسدٌ	رميتَ بهنّ الشعبَ حتى تألما

كان الزعيم الهندي سوبهاس شاندرا بوز من أبرز زعماء الهند المناوئين للسياسة البريطانية والاستعمار البريطاني في الهند، وكان لاجئاً سياسياً في المانيا، فالتقيت به مراراً وتعددت الزيارات بيننا، وكان مقداماً جريئاً، وظل مقيماً بالمانيا إلى عام ١٩٤٤، ثم اتفق مع السلطات الالمانية على ان تهيئ له وسيلة السفر إلى الشرق الأقصى، للعمل على مقاومة البريطانيين في الهند وبورما، وغيرهما من المناطق التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار البريطاني. فأطلقه الالمان في غواصة إلى الشرق الأقصى، وتمكن من الوصول إلى بورما، لكن الطائرة التي كانت تقله في بورما سقطت، فقتل شاندرا بوز، وقد حدثني بذلك ضابط باكستاني كبير اجتمعت به في باكستان عام ١٩٥١ فذكر

لي تفصيلات الحادث، إذ كان هو نفسه في الطائرة المنكوبة، وأصيب بجراح خطرة من سقوطه فيها. وكان مصرع شاندرا بوز خسارة كبيرة للهند.

وممن قابلتهم في المانيا العالم المغربي المعروف الدكتور تقي الدين الهلالي، الذي عهدته استاذاً في معهد «ندوة العلماء» الشهيرة في «لكنو» بالهند، ثم لقيته في برلين بعد أن اتم دراسته في جامعتها، وقد بادرني مقترحاً عليّ ان اسعى لإطلاق سراح المجاهد الكبير الأمير عبد الكريم الخطابي، الذي كان معتقلاً عند الفرنسيين في جزيرة مدغشقر في المحيط الهندي، منذ تعاونت فرنسا واسبانيا معاً على القضاء على حركته الثورية الشهيرة في ريف المغرب، بعدما أعيا أمرها الجيوش الاسبانية، فاستعانت عليه بفرنسا التي اعدت لقتاله عدة جيوش بقيادة مشاهير قوادها، وهكذا تمكنت القوات الفرنسية والاسبانية بتعاونهما معاً من التغلب على المجاهد الكبير، فحملته فرنسا وأسرته وأخاه الأمير محمد إلى المنفى في الجزيرة المذكورة، وكان الأمير عبد الكريم قد امضى إلى ذلك الحين ١٥ عاماً في منفاه البعيد، فبادرت بمراجعة المسؤولين من رجال الحكومة الالمانية، ليسعوا لدى السلطات الفرنسية لإطلاق سراحه.

وكذلك طلبت منهم السعي لإطلاق سراح الزعيم التونسي الشهير الحبيب بورقيبة الذي كان معتقلاً في فرنسا (رئيس جمهورية تونس اليوم)، فتردد الالمان في بادئ الأمر، وقالوا أن هذا يسيء إلى فرنسا في الظروف الحاضرة، ولكني استمررت على المطالبة، وبينت لهم ما يتركه إطلاق سراحهما من أثر حسن في نفوس المسلمين والعرب.

وبعد فترة اطلقوا سراح الحبيب بورقيبة ومن معه من الرفاق التونسيين، كالدكتور الحبيب ثامر والرشيد ادريس ويوسف الرويسي وحسين التريكي وغيرهم من رجال الحركة الوطنية التونسية، وقد كانوا عندئذٍ معتقلين في فرنسا التي كانت تحت الاحتلال الالماني، وبعد إطلاق سراحهم اجتمعنا بهم مراراً في أوروبا.

أما الأمير عبد الكريم فقد اعتذر الالمان من عدم مراجعتهم الفرنسيين في أمر إطلاق سراحه فوراً، لأنه مقيم في جزيرة مدغشقر، بحجة إنه ليس في الامكان نقله في ظروف الحرب العالمية الحاضرة.

وفيما بعد قيض الله لي لقاء الأمير عبد الكريم في مصر، عندما التجأ، منتهزاً فرصة مرور الباخرة التي كانت تقله من منفاه إلى فرنسا من قناة السويس، فقرت به عيناي، وكثيراً ما كنا نجتمع خلال السنين العشر التي قضيناها في أرض الكنانة، وسأتحدث

عن هذا اللقاء والاجتماعات فيما سيتقدم من هذه المذكرات إن شاء الله.

ولقيت في المانيا العميد (الميرالاي) كمال بك اوخري «من رئاسة أركان حرب مصطفى كمال باشا» (أتاتورك) خلال حرب الاستقلال في تركيا، فروى لي كثيراً من الحوادث التي شهدها بنفسه، وشارك فيها بشخصه، وقد جلا حديثه كثيراً من الغموض الذي احاط بتاريخ تلك الاحداث الخطيرة، التي بلبلت الآراء في العالم الإسلامي، وأصابت المسلمين بصدمة كبرى في سائر الأقطار.

لقد اكد لي أن مصطفى كمال لم يكن عدواً للاسلام، ولا خطر بباله أن يناهض الخلافة الإسلامية أو يعمل على الغائها، وإن لم يكن متديناً أو متمسكاً بالتقاليد الدينية ولكن ذلك العمل انما تم منه بضغط شديد عليه من الأعداء. ونظراً إلى أهمية هذا الموضوع فسأورد خلاصة عما علمته من كمال بك اوخري وسواه من الخبراء عن هذا الرجل الذي كانت له صلة وثقى بالاحداث التي وقعت في هذه المنطقة من العالم.

لقد حدثني القائد العسكري رضا باشا الركابي - الذي تولى عدة مناصب في العهد العثماني ثم صار حاكماً عسكرياً لسورية في العهد الفيصلي القصير الامد، وتولى بعدئذٍ رئاسة الوزارة الأردنية في عهد (الامير) عبد الله بن الحسين - انه لما كان قائداً عسكرياً لموقع القدس عند إعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨، كان مصطفى كمال ضابطاً تحت قيادته، وانه كان ذكياً وناشطاً، لكنه كان يخرج أحياناً على الانضباط العسكري.

وبمضي الوقت تولى مصطفى كمال مهام عسكرية عديدة في مناطق مختلفة من بلاد الدولة العثمانية، ابدى فيها براعة وكفاءة عسكرية، وكان من ابرزها اشتراكه في معارك الدردنيل «جناق قلعة» في الحرب العالمية الاولى، ولم يلبث أن تولى قيادة منطقة «انافارطه لر» التي تعتبر من أهم جبهات الحرب في الدردنيل، وأدار معاركها إدارة عسكرية بارعة، فأمر جميع الضباط التابعين لقيادته أن يتقدموا جنودهم في اقتحام خطوط الأعداء، وقام بهجمات عديدة حاسمة على خنادق الإنكليز، فزعزع صفوفهم واوقع فيهم الخسائر الفادحة، وكان ذلك من الأسباب التي أرغمت قوات الحلفاء على الانسحاب باسطولهم القوي من جبهة الدردنيل كلها، وبذلك لمع نجمه وعلا ذكره، ثم تطورت الحرب والقت بكلكلها على كاهل الدولة العثمانية، واشترك مصطفى كمال في جبهة فلسطين قائداً لأحد الجيوش في مجابهة قوات الجنرال اللنبي عام ١٩١٨.

وعاد مصطفى كمال في أواخر الحرب إلى استانبول، دار الخلافة، يتجرع مرارة الهزيمة كغيره من القادة، فقد انتصر الحلفاء في تلك الحرب العالمية، وتمزقت الدولة العثمانية، واحتلت جيوش الحلفاء معظم اشلائها، وكانت قوات الحلفاء التي حملتها اساطيلهم إلى بحر مرمرة قد احتلت استانبول، واحتل الفرنسيون منطقة كليكيا، والايطاليون منطقة اضاليا، وسمح الحلفاء لليونان باحتلال منطقة أزمير وآيدين، فكان مصطفى كمال يزور قصر السلطان وحيد الدين حيناً بعد حين، وقد حدثني احسان بك الجابري ـ الذي كان رئيس الديوان السلطاني حينئذٍ ـ ان مصطفى كمال كان يرجو منه مرة بعد أخرى ان يرفع إلى السلطان استعداده لإنقاذ الوضع المتردي في تركيا، ويؤكد لاحسان بك انه مستطيع ذلك ومستعد له، وكان يضرب المائدة بيده مردداً قوله: «والله يا بارم» مقسماً انه يستطيع ذلك، ويكرر قائلاً: «أرجوك ان تعرض لمولانا السلطان اني استطيع ان افعل ذلك». وكان احسان بك يقوم بابلاغ السلطان طلبه مرة بعد أخرى، وأخيراً قرر السلطان تعيينه مفتشاً عاماً للجيش في الاناضول، وأعطاه أيضاً عشرين ألف دينار ذهباً يستعين بها على عمله.

بادر مصطفى كمال بلم شعث الجيش، فجمع شمله الممزق، وحشد صفوفه وقطعاته المبعثرة، وبث روح الامل في نفوس اهل الاناضول، ولم تكن محاولته سهلة، لأن الحروب الضارية لم تترك في البلاد خفاً ولا حافراً، ولا اية وسيلة من وسائل النقل، فجند النساء لنقل المؤن والعتاد في عربات خشبية صغيرة، يجررنها بايديهن إلى مراكز الجنود وخنادقهم، وضرب الجيش اليوناني ضربات ساحقة في معارك «اسكيشهر» و«واين اونو» في ولايتي أزمير وايدين، وصمد للجيش الفرنسي في كليكيا، ونظم المقاومة وحرب العصابات في سائر البلاد التي احتلتها جنود الأعداء، واستطاع طرد معظم القوات المحتلة، وبدأ يجني ثمار جهوده، وانشأ مجلساً نيابياً في الاناضول، وكان يعاونه كبار القواد، مثل عصمت باشا، وكاظم قره بكير باشا ورأفت باشا، وبذلك عادت تركيا إلى الحياة، وتنسمت نسيم الحرية والامل، بفضل استماتة شعبها وبطولته، وبفدائه العظيم في حرب الاستقلال.

قلقت دول الحلفاء ولاسيما بريطانيا من الحركة الكمالية، وانبعاث تركيا من جديد وعودتها إلى الحياة والنشاط، بعد أن كانت على شفا جرف هار من التمزق والاضمحلال، وقررت الحكومة البريطانية استئناف الحرب مرة أخرى لاخضاع الاتراك، وطلب لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا حينئذٍ من مجلس العموم البريطاني ان يوافق على ميزانية عسكرية ضخمة لاستئناف الحرب ومساعدة اليونان على تجريد

حملة عسكرية ثانية على تركيا، فوافق مجلس العموم على ذلك، وعندئذٍ أرسل مصطفى كمال، عصمت باشا (اين اونو) إلى لندن، فقابل المسؤولين من رجال الحكومة، وفي مقدمتهم اللورد كرزون وزير الخارجية، وقال لهم: لقد كنا امبراطورية عظيمة فكنتم تحذروننا، لكننا اليوم بعدما تمزقت دولتنا، لم يبق لنا إلا بلادنا التركية المحضة، ولم يعد لنا من الخطر ما تخشونه، فلماذا لا تتركوننا نعيش مستقلين في أمن وسلام؟

وعلى أثر ذلك بدأت سلسلة طويلة من المفاوضات بين تركيا وبريطانيا استمرت أكثر من عام، وكان الإنكليز وحلفاؤهم يصرون خلالها على أن تكون تركيا تحت الانتداب، وأن يعين مستشارون اجانب لكل وزارات الدولة.

وحدث خلال تلك المفاوضات في عام ١٩٢١ أن كان الوفد الفلسطيني برئاسة المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني في لندن، فزاره عصمت باشا حيث كان الوفد نازلاً بفندق «سيسل». وقد روى لي موسى كاظم باشا ما جرى بينهما من حديث، وأن عصمت قال له: إنكم أيها العرب تعرفون أننا معشر الاتراك قمنا بواجبنا الإسلامي حقبة من الدهر امتدت مئات السنين، وقد بذلنا خلالها دماءنا وارواحنا بسخاء، إلى أن وصلنا إلى ما نحن عليه من الضعف، وقد جاء دوركم الآن أيها الاخوة العرب، وقد عقدتم معاهدة مع انكلترة، أن تساعدونا وتتوسطوا بيننا وبين حلفائكم الإنكليز، بما لكم من مركز سياسي يخولكم ذلك.. فأجابه كاظم باشا: إن هؤلاء الإنكليز لا تجدي معهم معاهدات ولا محالفات، وها هم ينقضون العهود ويمنحون اليهود بقعة من اقدس بلاد العرب هي فلسطين، كما أنهم وضعوا ايديهم على العراق والأردن وغيرها من الأقطار العربية، وروى لي كاظم باشا أيضاً بعض ما سمعه من عصمت باشا عن مفاوضاته مع الإنكليز، وكانت لا تزال في اولها.

ولكن كمال بك اوخري، الذي كان على اتصال مستمر بمصطفى كمال، والذي لقيته مراراً في برلين عام ١٩٤٣، روى لي عن اوثق المصادر ما انتهت إليه المفاوضات، فقال: إن كرزون وقف وقفة المتصلب وقال لعصمت،: إننا لا نستطيع ان ندعكم مستقلين لأنكم تكونون حينئذٍ «نواة» يتجمع حولها المسلمون مرة أخرى، فتعود «المسألة الشرقية» التي عانينا منها كثيراً، واصطدمنا بها زمناً طويلاً، كان عصمت يعود للبحث والمشورة إلى انقرة التي اتخذها مصطفى كمال مركزاً لحكومته، ثم يرجع إلى لندن لاستئناف المفاوضات، وكانت تركيا حينئذٍ منهوكة القوى من الحروب الطويلة التي عانتها في معارك البلقان وليبيا ثم الحرب العالمية، فرأى مصطفى كمال الذي كان

يشعر بالحرج وخطورة الظرف والذي ذاق لذة التربع على كرسي الحكم، أن يرضـ
للضغط وأن يتعهد لانكلترة وحلفائها بكل ما يطمئنهم إلى أن استقلال تركيا لـ
يكون خطراً عليهم ولن يسبب لهم في المستقبل ما يحرج مواقفهم ويقض مضاجعهـ

وعندئذٍ املى الإنكليز شروطهم المعروفة بشروط كرزون الاربعة وهي:

١ ـ أن تقطع تركيا صلتها بالاسلام.

٢ ـ أن تلغي الخلافة الإسلامية.

٣ ـ أن تتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

٤ ـ أن تختار تركيا لها دستوراً مدنياً بدلاً من الدستور العثماني المستمد مـ
احكام الشريعة الإسلامية والقائم على قوا عدها.

وأضاف كمال بك اوخري إلى ذلك قوله أن تركيا اختارت دستور سويسـ
المدني، ونفذت شروط الإنكليز الاربعة التي امليت عليها.

وكان مما تفرع عن ذلك استعمال الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية، ومـ
اقامة الآذان باللغة العربية ومنع تعليم الدين والقرآن في المدارس، وغير ذلك مما تحدد
الشروط المذكورة.

ولهذه المناسبة أشير هنا إلى أن المؤرخ الالماني اليهودي الشهير «اميل لودويغ
ألف كتاباً عن مصطفى كمال بعنوان: «الذئب الاغبر» بالغ فيه بالثناء على الزعيـ
التركي، ووصفه بالعبقرية، وقارن بينه وبين نابليون، وفضله على نابليون من حيـ
انه اقدم على الغاء الخلافة الإسلامية، وبذلك خلص من الأعباء المرهقة لتركة الدو
العثمانية.!!.

واميل لودويغ هذا كان جاء القدس زائراً في شهر سبتمبر من عام ١٩٢٩ لتتبـ
انباء الثورة الفلسطينية الشهيرة بثورة البراق، التي نشبت في شهر اغسطس من ذلـ
العام، وطلب مقابلتي بواسطة سكرتير القنصلية الالمانية الأستاذ «ملحمة» اللبناني
فقابلته وحصل مني على حديث عن تلك الثورة واسبابها وعن القضية الفلسطينية و
نشر الحديث وجدت ان اميل لودويغ قد حرف كلامي لصالح اليهود، ونسب إلـ
اقوالاً غير صحيحة، فجاء عمله هذا شاهداً على صدق ما جاء في القرآن الكريم عـ
تحريف اليهود للكلام: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾.

إن هذا المؤرخ الالماني اليهودي يروي في كتابه عن مصطفى كمال أحاديث عديد

لا ادري مبلغها من الصحة والصدق ولا اثق باقواله بعدما بلوته ورأيت تحريفه لكلامي.

ولما كان موضوع الغاء الخلافة وشروط كرزون، وما كان لليهود من صلة واثر في ذلك يهمني كثيراً، فقد عنيت باستقصاء الوقائع وتمحيص الروايات والأحاديث عن هذا الأمر، فلقيت في القاهرة عام ١٩٤٦ بعد عودتي من أوروبا الداماد ذا الكفل باشا وهو من أصهار السلطان العثماني، فكان مطلعاً على وقائع تلك الفترة وملماً باحداثها، فأكد لي صحة رواية كمال اوخري، وزاد عليها انه كان يشاهد في تلك الفترة كبير الحاخاميين في الدولة العثمانية حينئذٍ «حاييم ناحوم» يتردد كثيراً على دوائر الدولة عارضاً وساطته، ويكثر من السفر إلى انكلترة وأمريكا، فيقابل زعماء اليهود فيهما، ويعود حاملاً لواء التشجيع على الغاء الخلافة..

وحاييم ناحوم هذا كان رئيساً لحاخامي اليهود في مدينة سلانيك، التي كانت أكبر مركز لليهود في الدولة العثمانية، حيث كان (الدونمة) يعيثون في الدولة العثمانية فساداً، ويعملون سراً على تقويض اركانها. والدونمة جماعة من اليهود تظاهروا باعتناق الإسلام وظلوا في باطنهم يهوداً، ومن مدينة سلانيك نشبت الثورة على السلطان عبد الحميد، الذي كان يرفض منح اليهود أي حق في فلسطين، وبعد الثورة أصبح ناحوم رئيس الحاخاميين في العاصمة استانبول، فلما انهارت الدولة العثمانية، وانتهى دور ناحوم فيها، لم يلبث ان انتقل إلى القاهرة رئيساً للحاخاميين، إذ ورثت القاهرة مركز استانبول في الزعامة الإسلامية، بعدما تحولت الدولة العثمانية إلى دولة تركية علمانية، وأصبح للحاخام ناحوم دور لا بد أن يقوم به فيها لتوجيه ضربة جديدة إلى الإسلام وإيذاء المسلمين. ومكث ناحوم في القاهرة بقية حياته التي قضاها في خدمة الصهيونية، وقام بأدوار كثيرة في تحقيق مطامعها في فلسطين، حتى انه كان يقيم في بيته بالقاهرة نادياً للميسر (القمار) يرصد كل ريعه للحركة الصهيونية في فلسطين. وكان ناحوم معدوداً من كبار رجال اليهودية العالمية، وكان يتقن اللغتين التركية والعربية، وقد تمكن بغفلة المسؤولين العرب أن يصبح عضواً رسمياً في مجمع اللغة العربية في القاهرة.

وقد اكد لي هذه المعلومات عن شروط كرزون وأسباب الغاء الخلافة المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام، نقلاً عن صديقه الشاعر التركي الإسلامي الشهير محمد عاكف، الذي هاجر إلى مصر في تلك الفترة، وقضى مدة طويلة في «حلوان» مجاوراً للاستاذ عبد الوهاب عزام، والشاعر محمد عاكف عند الاتراك يضارع أحمد شوقي عند العرب.

والعبرة هنا بما يمارسه المستعمرون من اساليب الضغط التي تصل إلى حد الارغام والاملاء على بعض اولياء الأمور، وفيما فعلوه مع مصطفى كمال مثل واضح، وكذلك يفعلون مع من يقعون بين براثنهم، فكثير من النكبات الكبيرة التي تصيب العرب والمسلمين، ويتم تنفيذها بأيدي بعض زعمائهم، يكون وراءها خصوم الداء ودهاة اذكياء من رجال الدول الاستعمارية الكبرى واليهودية العالمية، يضعون الخطط بدهاء وروية وسرية، ويحسنون اختيار من يرون فيهم الاستعداد والبراعة والذكاء من رجالنا، فيوجهونهم ويدعمونهم ويرفعون من شأنهم باساليب الدعاية وبكل الوسائل، إلى أن يحملوهم على تنفيذ الخطط المرسومة والمؤامرات المدبرة، ومن شمس عليهم، وابى تنفيذ مآربهم وآثر صالح امته على منفعته الشخصية وعلى كرسيه الخاص، خاصموه سراً أو علانية بكل ما لديهم من وسائل، وعملوا على تشويه سمعته وتجريحه واضعافه، وسلطوا عليه كل من استطاعوا تسخيره من بني جلدته وامته حتى أصدقاءه واقرباءه، لعلمهم بأن خصومة هؤلاء أشد نكاية وأبلغ اثراً في الرأي العام.

والمسألة الشرقية، التي ذكرها لهذه المناسبة اللورد كرزون، ذكرها قبله كثيرون من الزعماء والساسة البريطانيين وغيرهم، ومن أبرز الذين تحدثوا عنها بصراحة المستر غلادستون رئيس وزراء بريطانيا في مجلس العموم البريطاني (الذي رئس الوزارة مرتين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر) عندما ألقى خطاباً تحدث فيه عن المسألة الشرقية وقال: (ان المسألة الشرقية لا يمكن حلها ما دام هذا الكتاب موجودا!)، ورفع بيده ذلك الكتاب، فإذا به القرآن الكريم.

وقد كانت هذه الكلمة من غلادستون بمثابة إعلان حرب ضروس على القرآن واهله، لا تزال مستمرة حتى اليوم، ببراعة ودهاء، يذكيها حقد الخصوم الاذكياء.

وكان لما قامت به الحكومة الكمالية، من الغاء الخلافة دوي عظيم وأثر أليم جداً في العالم الإسلامي، إذ كان مفاجأة للمسلمين، ولاسيما لحدوثه بعد انتصار الاتراك في حرب الاستقلال على اعدائهم. ولهذه المناسبة الاليمة نظم أحمد شوقي شاعر العربية الاكبر في القرون الاخيرة إحدى قصائده البليغة، يرثي فيها الخلافة، وينبه المسلمين إلى ضرورة أسداء النصح لمصطفى كمال باشا ليرجع عن هذا الخطأ ويرأب هذا الصدع.

وفيما يلي أبيات من هذه القصيدة:

عادت اغاني العُرسِ رجْعَ نُواحِ ... ونُعيتِ بين معالمِ الافراحِ
كُفِّنتِ في ليل الزفاف بثوبه ... ودُفنتِ عند تَبَلُّج الاصباح

ضجت عليكِ مآذنٌ ومنابرٌ — وبكت عليكِ ممالكٌ ونَواح
القدسُ، وآلهةٌ، ومصر حزينة — تبكي عليك بَمدمعٍ سَحَّاح
والشام تسألُ، والعراق وفارس — امَحا من الأرض الخلافةَ ماح؟
يا للرجالِ لحُرَّةٍ مَوؤدةٍ — قُتِلتْ بغير جريرة وجُناح
ان الذين اسَتْ جِراحَكِ حرْبُهُم — قتلتكِ سِلْمُهُمُو بغير جِراح
هتكوا بايديهم مُلاة فخْرهم — مَوْشِيَّةً بمواهب الفتَّاح
نزعوا عن الاعناق خيْرَ قِلادة — ونضَوا عن الاعطاف خيرَ وِشاح
اسْتَغْفِرُ الأخلاقَ لستُ بجاحدٍ — مَنْ كُنْتُ ادفع دونَه وأُلاحي
ما لي اطَوقِه الملاَمَ وطالما — قَلَّدْتُهُ المأثور مِنْ امداحي
الحق اولى مِن ولّيك حرمة — واحق منك بنصرة وكفاح
ادّوا إلى الغازي النصيحة يَنْتَصِح — ان الجوادَ يثوبُ بعد جِماح
ان الغرورَ سقى الرئيسَ بِرَاحِهِ — كيف احتيالُكَ في صريع الراح؟
عَرَّته طاعاتُ الجموعِ ودُولَةٌ — وَجَدَ السَّوادُ لها هوى المرتاح

إلى ان يقول:

فَلَتَسْمَعُنَّ بكل أرض داعيا — يدعو إلى الكذَّاب أو لِسَجَاح
وَلَتَشْهَدُنَّ بكل أرض فتنةً — فيها يباع الدِّينُ بَيْعَ سَماح
يُفْتى على ذَهَبِ المُعِزّ وَسَيْفِه — وَهَوَى النفوس وحِقْدِها المِلحاح

نلمس في أبيات شوقي الحيرة والدهشة لما فعله مصطفى كمال من الغاء الخلافة والتنكر للاسلام، وقد ظن شوقي ان سبب ذلك يعود إلى ما اصابه من غرور، ومن طاعة الجموع، ومن تبوئه حكم الدولة، ولذلك دعا إلى نصحه بقوله:

أدوا إلى الغازي النصيحة ينتصح — إن الجواد يثوب بعد جماح

ولو اطلع شوقي على حقائق الأمور حينئذٍ لعرف ان الارغام البريطاني وشروط كرزون كانت السبب الاكبر في ما فعله مصطفى كمال، وما كان ليجدي أي نصح له بعدما أرغم على قبول شروط كرزون.

ومما يؤكد عدم جدوى النصح، أن جمعية الخلافة التي كانت تمثل مسلمي الهند،

الذين كانوا من أقوى انصار الدولة العثمانية، والذين ساعدوا مصطفى كمال مساعدات جليلة في حرب الاستقلال، أرسلوا إلى تركيا وفداً مؤلفاً من خيرة زعمائهم برئاسة مولانا محمد علي جوهر (الزعيم الكبير الذي دفن في القدس بجوار المسجد الأقصى المبارك)، فجاءوا انقرة لنصح مصطفى كمال، واقترحوا عليه ان يكون هو الخليفة، فلم ينتصح ولم يقبل عرضهم، وقد حاول أن لا يقابل الوفد، في بادئ الأمر، فاستعانوا بصديقهم أديب ثروت بك، وكان من خيرة رجال مصطفى كمال العسكريين، ومن أعضاء المجلس الوطني التركي، فجمعهم به، لكنه اعتذر من عدم قبول اقتراحهم. وقد سمعت هذا الخبر من كل من مولانا محمد علي واديب ثروت، وقد كنت اجتمعت بهما في المؤتمر الإسلامي الأول الذي عقد بمكة المكرمة سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٢٦م) وكان مولانا محمد علي عضواً في وفد الهند، وأديب ثروت عضواً في الوفد التركي، في ذلك المؤتمر.

وقد برهن الإنكليز على أنهم اساتذة النفاق السياسي في العالم أجمع، فبينما هم يشترطون على مصطفى كمال ودولة تركيا ان تلغي الخلافة وتقطع صلتها بالإسلام، ليرضوا عنها ويهادنوها ولا يثيروا في وجهها المتاعب والمصاعب، إذا بهم يتآمرون على اختطاف خليفة المسلمين السلطان وحيد الدين ويخرجوه سراً من تركيا بحماية اسطولهم ويطلقوا دعايتهم في العالم بأن خليفة المسلمين التجأ اليهم للخلاص من ظلم الدولة التركية وضغطها، وبذلك يكسبون عطف الرأي العام الإسلامي عليهم وقدره لعملهم..

وقد سجل هذا الحادث أحمد شوقي أيضاً في احدى قصائده الشهيرة حيث يقول:

أمن سرق الخليفة وهو حي   يعف عن الملوك مكفنينا؟

وعلى ذكر أديب ثروت هذا، لقد كان قائداً للفرقة الثالثة العثمانية، التي دافعت عن غزة في الحرب العالمية الاولى، والتي صدت قوى الإنكليز الكبيرة الزاحفة على فلسطين حينئذٍ وكبدتهم خسائر كبيرة، وكانت مؤلفة من خمسة عشر ألفاً، منهم عدد كبير من خيرة الجنود الفلسطينيين، وقد أشاد لي أديب ثروت قائد الفرقة ببسالة جنوده الفلسطينيين، وكيف هزموا اضعاف عددهم من الإنكليز والاوستراليين، مما دعا أحمد جمال باشا «السفاح» رغم ما هو معروف به من خصومه للعرب أن يصدر بياناً، يشيد فيه ببسالة الفلسطينيين، ويقول انها بسالة خارقة تذكر بالشجاعة التي أبداها آباؤهم من قبل، عندما حموا هذه البقاع المقدسة بقيادة صلاح الدين الايوبي، وكان

الجندي الفلسطيني يعتبر في الدرجة الأولى التي تمتاز بالبسالة والجرأة من بين العناصر المتعددة التي كانت تتألف منها جيوش الدولة العثمانية.

وقد أوردت في هذه المذكرات شهادة هتلر والجنرال ويلسون وغيرهما للفلسطينيين بالبسالة والشجاعة الخارقة، ويحزنني كثيراً أن أشير في هذه الظروف المحزنة الأليمة التي يجتازها الشعب الفلسطيني والأمة العربية إلى هذه الحقيقة، وأن اعود إلى التأكيد بأن الفلسطينيين كانوا ولا يزالون جديرين، بل هم أجدر الناس بصد اليهود الطامعين في بلادهم، المعتدين على وطنهم، وقد كنا شديدي الحرص على ادخارهم للذود عن بلادهم العزيزة عليهم، الرخيصة على غيرهم، ولكن أهواء السياسيين، من أصدقاء وأعداء، تضافرت على الكيد لهم وتشريدهم، ومحاولة استغلالهم لغير الصالح العام، واستنزاف طاقاتهم ودمائهم في سبيل أهواء غيرهم، من دول وأحزاب وأفراد، بغير نصح ولا اخلاص، وبذلك تحدث الفتن ويكون الضياع والخسران المبين.

وليست هذه الرزايا التي تنزل كل يوم بالفلسطينيين هي محض صدفة، بل هنالك خطة رسمتها عقول شياطين وادمغة مجرمين، من اليهود والمستعمرين، لابادة الشعب الفلسطيني بالاجلاء والتشريد والفتن المدمرة وشتى وسائل التفريق والتمزيق، وبالغزو الثقافي والبلبلة في الآراء والافكار والعقائد المستوردة، لتحل محل العقائد السليمة الوطيدة، وبالحزبيات المختلفة التي يمت أكثرها باقوى الارتباطات بجهات أجنبية معادية، ويرجع بعضها باصله إلى اليهودية والصهيونية، وبصورة عامة محاولة افساد أخلاقهم وعقائدهم وتصفية قضيتهم.

وقد اطلعت على ما كتبه زعيم صهيوني قديم هو «إسرائيل زنكويل» قبيل الحرب العالمية الأولى، عن الطرق التي يجب سلوكها، والوسائل التي ينبغي التوسل بها، لابعاد الشعب الفلسطيني عن وطنه فلسطين، ولاخلائه لمهاجري اليهود، فراعني ذلك حينئذٍ، وها نحن نرى اليوم رأي العين كيف يتم تنفيذ خطته والخطط الاجرامية الأخرى التي رسمتها «بروتوكولات حكماء صهيون»، في فلسطين والشعب الفلسطيني..

ولهذه المناسبة أشير إلى ما كتبه الصحفي اليهودي الصهيوني «بن آفي» رئيس تحرير جريدة «دور آرهايوم» الصهيونية في القدس في غضون ثورة فلسطين عام ١٩٢٩، من استعظام امر الفلسطينيين والعجب من جراءتهم واقدامهم واستخفافهم بالموت وهم يتصدون لقتال القوات البريطانية بالقليل مما يملكونه من بنادق قديمة بالية وذخيرة

فاسدة لتقادم عهدها، وعندما لا يجدون هذا أيضاً فهم يقاتلون بالسيوف والعصي والحجارة مقابلين بذلك قنابل الطائرات، والمدافع الراعدة، ونيران الرشاشات والمدرعات الحاصدة، لا يبالون ولا ينهزمون، بل يتسلقون الجبال لممارسة القتال في زهو وخيلاء، وكأن عروقهم تغلي فيها ا لدماء، ثم يقول: إن هذا الشعب العربي الفلسطيني هو العقبة الكأداء التي يجب علينا قبل كل شيء أن نزيلها من سبيلنا لنستطيع أن نحقق جميع أهدافنا.

هذا ما قاله بن آفي، وما قاله من قبله إسرائيل زنكويل، وما أعلنه وعمل من اجله من قبل ومن بعد كثيرون من زعماء الصهيونية، من مثل هرتسل ووايزمن وبن غوريون وستيفن وايز وسوكولوف وكيش والفرد موند (لورد ملتشت) فإن خطتهم التي اختطوها، ونيتهم السيئة التي بيتوها، أن يعملوا لإخراج الفلسطينيين من وطنهم بكل وسيلة وأن يرثوهم في هذا الوطن بما فيه من عمران وغنى وثراء، وأن تقدمه لهم الدولة البريطانية، أما أهله العرب فيكونون قد أبيدوا أو طردوا إلى الصحراء، أو إلى أي مكان آخر يجدون لهم فيه مأوى اللاجئ العاجز المستضعف، ثم لم يلبثوا أن تجاوزوا هذا المدى وبالغوا في الاجتراء على العرب، لا على الفلسطينيين وحدهم، إلى حد المطالبة بـ «إسرائيل الكبرى» من النيل إلى الفرات! وقد سبق لبن غوريون أن أعلن قوله أن فلسطين لن تتسع لهم وانها ليست سوى موطئ قدم، وجسر يجتازونه إلى العالم العربي لإنشاء إسرائيل الكبرى.

لكن الشعب الفلسطيني لم يكن لقمة سائغة للصهيونيين، وأداة طيعة في ايديهم وايدي حلفائهم الإنكليز، بل كان عقبة كاداء، وصخرة صماء في وجه مطامعهم وأهدافهم فقد حاول هؤلاء وأولئك معاً أن يخدعوا الفلسطينيين ويحملوهم على التنازل لهم عن حقوقهم بواسطة المشاركة في مجالس استشارية، ثم في مجالس تشريعية الأكثرية فيها لليهود والإنكليز لهم فيها الرأي الأعلى والقول والفصل دون العرب، ففشلوا في جميع محاولاتهم وتمسك الفلسطينيون بحقوقهم.

فلما يئس اليهود والإنكليز معاً في هذا الميدان السياسي، لجأ اليهود إلى خطة اشتراء الأرض من مالكيها الفلسطينيين، لكنهم بعد مساع حثيثة وجهود كثيرة وأموال طائلة فشلوا أيضاً في تحقيق مأربهم وتمسك الشعب الفلسطيني بأراضيه وحرص عليها، حتى أن الحكومة البريطانية عندما خرجت من فلسطين عام ١٩٤٨ وقدمت تقريرها النهائي إلى الأمم المتحدة، اوردت فيه أن كل ما تمكن اليهود من الاستيلاء عليه من الأراضي الفلسطينية لا يزيد على ستة ونصف في المئة.. وقد كان قسم كبير من تلك الأراضي

التي حصلوا عليها هبة من حكومة الانتداب البريطانية، وهكذا كان فشلهم ذريعاً في هذه المحاولة أيضاً.

عندئذٍ لجأ اليهود إلى استعمال القوة، اعتماداً على الوسائل التي اعدوها من قبل بمساعدة الإنكليز لهم من توفير السلاح، والتدريب على استعماله، وإنشاء جيش الدفاع اليهودي (الهاغاناه)، بالأضافة إلى العصابات الارهابية المسلحة كالارغون زفاي لئومي وشترن وغيرهما من عصابات البطش والارهاب، فضربهم الفلسطينيون ضربات قوية والحقوا بهم الفشل في محاولاتهم.

وأقلق اليهود، فضلاً عن ذلك، ما بدأ لهم من وحدة الشعب الفلسطيني في الرأي والاتجاه، قولاً وعملاً، وفي القيادة السياسية، والقيادة العسكرية أيضاً، فلم يكن هنالك خلاف في الاتجاهات السياسية، ولم يكن هنالك خلاف يذكر في الشؤون الحزبية، ولم تكن ثمة منظمات (عقائدية) كما هي الحال اليوم بين الفلسطينيين والعرب، حتى ان الصحافة اليهودية، وفي مقدمتها، «دور آرهايوم» و «هاآرتس» نشرتا في عام ١٩٣٦ مقالات قارنتا فيها بين وحدة القيادة السياسية والعسكرية عند الفلسطينيين، والاختلافات الشديدة في الشؤون السياسية والعسكرية عند اليهود، ونددتا بزعماء اليهود.

من أجل ذلك عمدت اليهودية العالمية، تدعمها الدول الاستعمارية، إلى تدمير الشعب الفلسطيني وفق خطة شيطانية مدروسة بالطرق والوسائل الآتية:

١ ـ العمل على تفريق كلمة الشعب الفلسطيني وتمزيق صفوفه.

٢ ـ محاولة افساد عقائده وبلبلة آرائه، وبث روح الشك بين أفراده وزعامته.

٣ ـ زعزعة يقينه بحقه وتصميمه على الجهاد ومقاومة المطامع اليهودية، ببث الآراء والعقائد المضللة والمستوردة من الدول الأجنبية.

٤ ـ ان يستبدل الشعب الفلسطيني ولاءه لوطنه واخلاصه لقضيته، بولاء لأحزاب، واخلاص لمنظمات سياسية تربطه بمنظمات أجنبية ودولية يرجع كثير منها باصوله إلى اليهودية.

٥ ـ الغزو الثقافي في المدارس والمؤسسات الأجنبية.

٦ ـ المباعدة بين الشعب الفلسطيني وكل مخلص من أبنائه.

٧ ـ استعانة الدول الكبرى ببعض الدول العربية للتأثير على الفلسطينيين وتوجيههم وجهات غير سليمة.

٨ ـ تسخير بعض الشخصيات العربية واغرائهم بالأموال الوفيرة، وتثبيتهم في المناصب الكبيرة، لاستغلال الفلسطينيين لغير صالح قضيتهم وصرف قواهم فيما يعود بالضرر على انفسهم واوطانهم.

٩ ـ الإساءة إلى سمعة الفلسطينيين وافساد علاقاتهم بإخوانهم العرب والمسلمين وحملهم على التدخل في الشؤون الداخلية مما يفسد علاقاتهم بالدول والشعوب العربية والاسلامية.

١٠ ـ عزل الفلسطينيين عن قضيتهم فترة طويلة، ومنعهم بشدة من التصدي لأعدائهم الصهيونيين وقتالهم عندما كانت قوى اليهود لا تزال ضعيفة وبدائية.

١١ ـ محاولة اليهود وأنصارهم إفساد أخلاق الشبان والشابات العرب، وتأليفهم من أجل ذلك منظمات سرية صهيونية، وغير هذا من الطرق والوسائل الخطيرة التي املتها اليهودية العالمية ومن يناصرها من الدول الاستعمارية لتمكين الأعداء من بلوغ أهدافهم باجتثاث القضية الفلسطينية من جذورها وتمزيق شمل الشعب الفلسطيني وقطع اواصره بالأقطار العربية والاسلامية وايقاعه في الفوضى والفتن.

بهذه الطرق والوسائل، حاول اليهود واعوأنهم وما زالوا يحاولون، ازالة العقبة الكأداء القائمة في طريقهم وهي الشعب الفلسطيني.

عندما احتلت القوات البريطانية فلسطين لم يكن اليهود يملكون من أراضيها أكثر من اثنين في المئة ولم يكن عددهم فيها يتجاوز ٤٥ ألفا، ولم تخرج بريطانيا من فلسطين حتى أسست لهم دولة في البلاد الفلسطينية، واوجدت من العدم المشكلة الفلسطينية التي تسمى الآن مشكلة الشرق الاوسط. وبذلك أوجدت فتنة ذهب ضحيتها حتى الآن خسائر عظيمة في الانفس والأموال، وها هي بريطانيا تتقدم اليوم لحل مشكلة فلسطين وكأنها لم توجدها، ولا يخفى أن قرار مجلس الأمن الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢، وهو أساس مشروع روجرز، قد وضعه المندوب البريطاني اللورد كارادون (وهو نفسه المستر فوت حاكم لواء نابلس سابقاً)، ان بريطانيا هي المسؤولة الأولى عن مشكلة فلسطين، وعن الفتن والمآسي الدامية التي نشأت عنها، ومع ذلك نسمع المسؤولين البريطانيين لا يبخلون بنصائحهم الثمينة على العرب واليهود بالتفاهم والوئام والتعايش السلمي ويتظاهرون في بياناتهم وتصريحاتهم بالأسف لهذا الخلاف

وما يراق فيه من دماء، والصحف البريطانية تتحدث بعبارات ملؤها الحزن والاسى عن الضحايا الابرياء داعية إلى الصلح والسلام، والمحبة والوئام.. وهي تذرف دموع التماسيح، وتبدي رغبة بريطانية الشديدة في الوصول إلى حل سلمي لصالح الانسانية.

فهي كالجزار فينا يذكر الله ويذبح

نكتب هذا لنذكر إخواننا الفلسطينيين والعرب بالحقائق وما جرته بريطانيا عليهم من مآس وكوارث، ومع ذلك ما يزال كثير من العرب يتعاملون معها أكثر مما يتعاملون مع غيرها من الدول، فيشترون منها بضائع، ويتعاقدون معها على منشآت ومشروعات وصناعات بمئات الملايين من الدنانير، ويودعون أموالهم في مصارفها ويقيلون عثرتها الاقتصادية. افلا ينظرون إلى الحكومة اليونانية وما فعلته في العام الماضي من الغائها صفقة تعاقدت عليها مع بريطانيا بمبلغ خمسة ملايين جنيه، لأن وزير الخارجية البريطانية السابق انتقد الحكومة العسكرية اليونانية في حديث له؟

إن للدول كرامتها، وللشعوب كرامتها كذلك، وكل فرد في الأمة يجب ان يكون كريماً في نفسه وأهله وقومه، والكرامة ليست الكبرياء ولا العنجهية والعنفوان، لكنها عزة النفس المكتسبة من تقوى الله ومعرفة الحق والواجب، والتعاون على البر والخير، والصبر في البأساء والضراء وحين البأس فالامة الكريمة تتألف من أفراد كرام، فترتفع بهم إلى أعلى الدرجات والمراتب الانسانية، فتصون ديارها وتحمي ذمارها ولا يطمع فيها الطامعون كما هو شأن الأمة العربية اليوم فقد ذاقت وبال امرها وعاقبة تفريطها وكان عاقبة أمرها خسراً.

وها هم اليهود الصهيونيون يغلبون الأمة العربية على أمرها، وينتزعون منها قطراً من أعز اقطارها عليها وأقدسها لديها، وأجزاء أخرى من اقطار أخرى منذ ثلاثة اعوام ونصف عام، فلا تعمل عملاً مجدياً لاسترجاع ما فقد، غير الاحتجاج والشكوى إلى من لا يسمع ولا يغني عنها شيئاً، وهي تتحسس الحل السلمي فلا تصل إليه، والصهيونيون بين هذا وذاك يطوقون مدينة القدس من اطرافها، جادين في تهويدها وكأنها ليست اولى القبلتين وثالث الحرمين، وجاهدين في سلب العرب ما يستطيعون من أموالهم وممتلكاتهم. والعرب أشداء على أنفسهم، رحماء على اعدائهم، بأسهم بينهم شديد، ولاشك في أن إسرائيل تجد في عدوانها علينا دعماً وتأييداً كبيراً من بعض الدول الاستعمارية، ولاسيما من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في الظرف الحاضر، ولكن ما يحملهما على ذلك ويغريهما بمساعدة أعدائنا، علمهما بأننا

نقول ما لانفعل، ونتظاهر ولا نعمل، وأن أمريكا وبريطانيا لو علمتا علم اليقين ان الأمة العربية في اقطارها الممتدة من الخليج إلى المحيط تتعدى القول إلى الفعل وتغضب غضباً حقيقياً من هذا الموقف العدواني الصريح البعيد عن كل حق وعدل وانها على استعداد لأن تدفع العدوان بالعدوان لكان الأمر غير ما هو عليه الآن. ولو كان موقف الأمة العربية غير موقفها هذا لما حدثت كارثة حزيران ١٩٦٧، ولما حدثت قبلها كارثة أيار ١٩٤٨، بل لما كانت «إسرائيل» في عالم الوجود.!

إن المخطط الصهيوني يقضي بأن تكون فلسطين يهودية خالصة، وقد افصح زعيمهم وايزمان عن ذلك بقوله: إننا نريد أن تكون فلسطين يهودية كما أن انكلترة إنكليزية وأمريكا اميركية، ولكن مقاومة الشعب الفلسطيني الصلبة وعزمه وتصميمه على انتزاع وطنه من الأعداء الغاصبين طيلة نصف قرن، اضطرهم ومن يناصرهم من الدول الاستعمارية للتفكير في اغراء الفلسطينيين بطعم يلقونه اليهم باسم «دولة فلسطينية» تنشأ في قسم من فلسطين، وبذلك تتم تصفية القضية الفلسطينية على أساس اعتراف الفلسطينيين بالوجود الإسرائيلي على أكثر من ثمانين بالمئة من الأراضي الفلسطينية، وقد أشارت إلى هذا المشروع الإسرائيلي - الاميركي - البريطاني بعض الصحف اليهودية كالجويش كرونيكل الإنكليزية، والنيويورك تايمس الأمريكية، فكتبت الاولى: «عن ضرورة تفاهم إسرائيل مع الفلسطينيين في المناطق المحتلة على إنشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية، وأن هناك تفكيراً جدياً في إعطاء الفلسطينيين الاستقلال الذاتي وتشجيعهم على الانفصال عن الأردن وإقناعهم بتأسيس دولة فلسطينية في القسم الذي سيتركه لهم اليهود» وقالت الثانية: «إن الوقت حان لاقناع زعماء الضفة الغربية بالعمل لصالحهم، وهناك تفكير جدي في وضع القسم الذي سيترك للعرب في الضفة الغربية تحت حماية الأمم المتحدة إلى أن يتم استفتاء الفلسطينيين فيما إذا كانوا يريدون الاستقلال بدولة فلسطينية أو الانضمام إلى الأردن، أو إلى إسرائيل، أو التعاون مع الطرفين!» وتحدث المسؤولون الإسرائيليون بمثل ذلك فقالت رئيسة وزرائهم: إن بعض أجزاء الضفة الغربية ستعاد إلى الأردن أو أنها ستحول إلى كيان فلسطيني، وأن البحث كان جارياً مع زعماء الضفة الغربية منذ عام ١٩٦٧ حول إنشاء كيان فلسطيني وأن الاحداث الاخيرة ستتضاعف أثر هذه المباحثات، مع العلم بوجود صعوبات.

وقال وزير خارجيتهم في خطابه في الأمم المتحدة بمثل ذلك مضيفاً إليه أن وحدة اقتصادية ستقوم بين دولة إسرائيل والدولة العربية.

أوردنا هذه الأحاديث لنعود إلى تحذير إخواننا الفلسطينيين والعرب وكل من يهمه امر بلادنا المقدسة، كما سبق ان حذرناهم مراراً من هذه المخادعات اليهودية الاستعمارية والشراك التي ينصبونها لاصطياد البسطاء والضعفاء وإغراء بعض الطامعين الذين قد يستهويهم اسم «الدولة الفلسطينية» ويحسبون أنهم على شيء، وأن هذا الشيء خير من لا شيء وأنهم يقبلون بالعرض الإسرائيلي، «لإنقاذ ما يمكن إنقاذه» وبذلك يصبحون آلة في ايدي الأعداء لتنفيذ مؤامرتهم على سلامة قضيتهم وتصفيتها تصفية نهائية.

إن اليهودية العالمية قد تحققت الآن أن فلسطين ليست لقمة سائغة لهم وأن الفلسطينيين ليسوا بالعقبة السهلة التي لا يصعب عليهم اجتيازها، وأنهم ما زالوا رغم تشتتهم وكارثتهم الكبرى، الخطر الأكبر الذي يهدد وجود الصهيونيين وكيانهم بالاضمحلال والزوال في يوم من الأيام، وأن الصهيونيين رغم ما تزودوا به من مختلف أنواع السلاح وما أحاطتهم به أمريكا وبريطانيا من حماية ورعاية، لا يزالون يخامرهم شعور الخوف والرهبة من القصاص العادل وهو شعور المجرم القاتل والمعتدي الغاصب، وهذا ما يجب على كل فلسطيني وعربي ومسلم أن يمارسه بكل الوسائل والسبل ليظل شبح الجريمة النكراء ماثلاً أمام أعين أولئك المجرمين الغادرين من الإنكليز والاميركيين والإسرائيليين ومن شايعهم على جرائمهم وعدوانهم من المستعمرين، ولكيلا يتذوقوا طعم الراحة والطمأنينة في وطننا السليب.

ويجب أن يوقن الفلسطينيون والعرب والمسلمون أن معركتنا مع اليهودية العالمية والاستعمار معركة طويلة الأمد كما هي مريرة وشاقة، وأن يتذكروا أن الحملات الصليبية انتهت بالرحيل عن بلادنا العربية وتركها لأهلها، وأن الصهيونية اليهودية كانت وستظل غريبة عن هذه البلاد، وأن الصهيونيين مهما بلغوا من القوة في ظرفهم الحاضر سيظلون غرباء عن هذه المنطقة العربية وأهلها، وأنهم لن يستطيعوا البقاء في هذه البلاد لأن بقاءهم مخالف للحق والعدل والمنطق، ومنطق الحق أقوى من منطق القوة الظالمة، والظلم زائل والحق باق، ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾.

أواخر الحرب العالمية الثانية في المانيا:

اشتدت وطأة غارات طائرات الحلفاء على المانيا منذ اواخر عام ١٩٤٣، وازدادت شدة عام ١٩٤٤، فكانت بعض الغارات تهاجم برلين بألف طائرة، وأحياناً بأكثر من ذلك، ملقية حممها وقنابلها المدمرة والحارقة على كل أنحاء برلين، لا فرق بين أهداف

عسكرية أو مدنية، وقد اصيبت دارنا في شارع «كرومه لانكه ـ غوته شتراسه» عدة مرات.

وكانت السلطات الالمانية المختصة تبادر بانذارنا بالغارات بالتلفون قبل وقوعها، فنذهب إلى الملاجئ القريبة، ونمكث في الملجأ حتى تنتهي الغارة، فنعود إلى الدار فنجدها في بعض المرات سالمة، وفي بعضها الآخر مصابة في بعض اقسامها، وكذلك الدور المجاورة في تلك المنطقة التي هي ضاحية من ضواحي برلين.

وفي إحدى المرات خرجنا من الملجأ، فشاهدنا داراً مواجهة لدارنا تحترق، فأسرعنا ورفاقنا لمساعدة الجيران، فلما وصلنا حديقة الدار الكبيرة، وجدنا سكانها يكافحون النيران وينقذون ما يمكنهم إنقاذه من المتاع واللباس بنظام دقيق، دون فوضى أو هلع، وبضبط نفس يدعو إلى الاعجاب وقد ادى ذلك إلى إنقاذ قسم غير قليل من أمتعة الدار الثمينة.

وقد أصيبت دارنا مراراً، وكانت ملكاً لسفير المانيا في الارجنتين، ومؤلفة من ثلاث طبقات، تحيط بها حديقة واسعة وفيها بحيرة خاصة، فكانت السلطات الالمانية تصلح الدار فوراً عند اصابتها، فنعود إلى سكناها، ومكثنا على هذه الحال إلى ان وقعت في ٢٣ نوفمبر عام ١٩٤٣ غارة جوية عظيمة دمرت معظم الدار، فلما خرجنا من الملجأ وعدنا اليها لم نجد فيها إلا جزءا صغيراً نستطيع ان نتقي به البرد، بما فيه سلم الدار، فاضطررنا وجميع رفاقنا سكان الدار أن نقضي تلك الليلة في ذلك المكان الضيق.

فلما كان اليوم التالي نقلتنا السلطات الالمانية إلى منطقة بعيدة عن الغارات الجوية على بحيرة «ساوه» التي يعيش على شواطئها اعداد كبيرة من البط والاوز وغيرها من الطيور الداجنة، فمكثنا بها نحو شهرين، ثم انتقلنا منها إلى مدينة «سيتاو» حيث قضينا نحو اربعين يوماً في فندق، ثم انتقلنا منها إلى «اويبين» وهي احدى المنتجعات الالمانية بالقرب من حدود تشيكوسلوفاكيا، فاقمنا ببيت كبير اتسع لنا ولأكثر رفاقنا، وكنا نحو عشرين رجلاً، ومكثنا في اويبين معظم عام ١٩٤٤ وشطراً من عام ١٩٤٥، ولكننا لم ننقطع عن برلين، فيقضي كل واحد منهم اسبوعاً في مكتبنا لتفقد شؤون المراجعين من عرب ومسلمين، وقضاء مصالحهم في تلك الظروف الحرجة.

فلما اشتدت الحال، وضيق الحلفاء، الخناق على المانيا، وشرعوا في الزحف على الأراضي الالمانية عام ١٩٤٥، زارنا في مقرنا في اويبين «البورغرمايستر» وهو الاسم الرسمي لحاكم المنطقة، وأبلغنا أن هذه المنطقة أصبحت منطقة خطرة، وأن السلطات

الالمانية ترغب في نقلنا إلى مدينة «بادكشتاين» وهي منتجع شهير في جنوب النمسا، وقد لحظنا عند زيارة البورغرمايستر لنا، أن السيارات التي تقله ومن معه كانت كلها تسير بالفحم، بدلاً من البنزين الذي أصبح قليلاً وغالي الثمن في المانيا، فتوجهنا إلى بادكشتاين بعد أن حولنا سياراتنا إلى سيارات وقودها الفحم، وفي طريقنا إليها مررنا بمدينة «باد اولستر» حيث مكثنا ثلاثة أيام، ثم استأنفنا السير إلى مدينة سالزبورغ، وفي طريقنا إليها وعلى مقربة منها أقمنا أسبوعاً في قصر شهير كان هتلر قد خصصه لإقامة بعض ضيوفه، وأخيراً وصلنا إلى بادكشتاين حيث أنزلتنا السلطات الالمانية في فيللا «كارلشتاين» لكنها على رحبها لم تتسع لنا جميعاً فنزل بعض إخواننا في فنادق المدينة، وكان بينهم فلسطينيون وسوريون ولبنانيون وتونسيون وايرانيون، وكانت السلطات الالمانية قد خصصت هذه المدينة للهيئات السياسية، لبعدها عن الغارات الجوية، ولعدم وجود مصانع فيها تجعلها عرضة للقصف والتدمير.

فلما تفاقم الخطر باجتياح جيوش الحلفاء مناطق كثيرة من المانيا، وأصبحت تحيط بها من كل مكان، بحث معنا بعض كبار المسؤولين الالمان عن طريقة لخروجنا من المانيا، فاقترح بعضهم إرسالنا في غواصة تقلنا إلى أحد الشواطئ العربية، وكدنا نقدم على هذه المغامرة، رغم خطورتها، لولا أننا سمعنا في الإذاعة من سويسرة في شهر نيسان عام ١٩٤٥ ان الحكومة السويسرية، وفقاً لتقاليدها، تقبل اللاجئين السياسيين في بلادها. فوجدنا في ذلك حلاً وفرجاً، وشرعنا في تهيئة وسائل السفر إلى سويسرة، وذهبنا برفقة أحد موظفي الخارجية الالمانية إلى مطار «كلاغن فورت»، وهو المطار الاخير الذي كان لا يزال في يد السلطة الالمانية، وهناك شاهدنا نوع الطائرات التي كنا سنسافر بها، فإذا بها طائرات حربية صغيرة لا تضمن لاحد سلامة، ولا تتسع كل واحدة منها إلا لراكب واحد بجانب قائدها، الذي لم يقبل ان يتحمل مسؤولية نقلنا. فاضطررنا للعودة إلى بادكشتاين وقررنا ان نسافر بطريق البر إلى سويسرة.

وكنا قد اشترينا سيارة صغيرة تسير بالبنزين الذي كان غالي الثمن جداً واشترينا صفيحة واحدة بمئة دولار اميركي، وبعد غروب شمس يوم ١٩٤٥/٥/٤ خرجنا من بادكشتاين متجهين إلى الحدود السويسرية، في ليلة شديدة البرد كثيرة الثلج، واجتزنا أكثر من مئة كيلومتر، لكن تراكم الثلوج حال دون مواصلة السير، فأردنا الاتصال بالبورغر مايستر، حاكم تلك المنطقة، وكان معنا موظف الماني، فذهب ليبحث لنا عن اقرب مركز للشرطة، لنتمكن من استعمال التلفون والاتصال بالحاكم، فوجد بعد البحث مركز شرطة، وطلب منه أن يمكننا من مخابرة الحاكم، فدله على مركز سري

للتلفون تحت الأرض، ينزل إليه بسلم وسطحه ممهد ومسوى بالارض، لئلا تراه طائرات الحلفاء، فاتينا إليه ولما طرقنا الباب خرجت إلينا فتاة مجندة، فطلبنا منها أن تصلنا بالحاكم ومع ان الساعة كانت قد جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل، فقد استطعنا الاتصال به، فاجاب طلبنا وأمر المخفر بمساعدتنا، وكلفت أحد الرفاق ان يعطي الفتاة اجر المكالمة التلفونية، فاعطاها خطأ أكثر من الاجر المقرر، فاخذت الرسم المقرر وهو مارك ونصف المارك، وردت باقي الورقة المالية.

ومما لا أنساه أن الموظف الالماني عندما قال للفتاة أن الذي يريد أن يتصل بالحاكم بالتلفون هو ضيف الفوهرر «أي ضيف هتلر» اجابت بحزن عميق أن الفوهرر قد مات. فعلمنا منها بوفاته ولم يكن الخبر قد بلغنا بعد. وقد أعجبنا بصبر تلك الفتاة التي كانت تقوم بواجبها بكل أمانة ودقة، في تلك الساعة وتلك الليلة المكفهرة اكفهراراً جوياً وعسكرياً وسياسياً.

لكن كل محاولاتنا للتقدم نحو الحدود السويسرية أخفقت لتراكم الثلوج، فاضطررنا للعودة مرة أخرى إلى بادكشتاين، وعدنا للاتصال برجال الخارجية فيها، فهيأوا لنا طائرة حربية لتنقلنا من مطار كلاغن فورت إلى سويسرة، وقضينا ليلتنا في كلاغن فورت، ولما ذهبنا في اليوم التالي إلى المطار وجدنا الطائرة الحربية في انتظارنا وفيها اثنان من الطيارين، وعند الساعة الواحدة بعد الظهر أخذنا قائد المطار وألبسنا ملابس المظليين وودعنا، وطارت الطائرة باتجاه سويسرة. وكان ذلك اليوم، يوم الهدنة، واليوم الاخير للحرب الذي استسلمت فيه المانيا، ولهذا السبب لم نصادف طائرات مقاتلة للحلفاء تتصدى لطائرتنا في الطريق، فلما وصلنا إلى «بيرن» العاصمة سمعنا صفارات الإنذار تدوي في الجو.

فلما هبطنا إلى أرض المطار واطلع الموظفون المختصون على اسمائنا، اتصلوا بالمسؤولين فجاء مدير الأمن العام إلى المطار، وبعد حديث معه، وبواسطته مع السلطات المختصة، رفضوا السماح لنا باللجوء إلى سويسرة، فقلنا لهم أننا سمعنا اذاعتكم الرسمية، وقد أعلنتم بها أنكم مستمرون في المحافظة على تقاليدكم بقبول اللاجئين السياسيين في بلادكم، فاجابوا ان هذا صحيح ولكن ثمة قائمة (كشفا) بأسماء إثنين وثلاثين شخصاً استثنى أصحابها من السماح لهم باللجوء، واسمك بينهم، ولذلك لا يسعنا قبولكم في سويسرة، ولكننا مستعدون لتزويد طائرتكم بما تحتاج إليه من الوقود وغيره، على أن تستأنفوا السفر فوراً إلى اسبانيا مثلاً بصفتها بلداً محايدا.. فسألنا الطيارين الالمانيين اللذين كانا يقودان الطائرة عن إمكان ذلك، فقالا

إن الطيران إلى أسبانيا ليس في الإمكان، لأن الحلفاء لابد أنهم عرفوا بأمرنا الآن، وستدمرنا طائراتهم ونحن في الجو. وعندئذٍ أبدينا للسلطات السويسرية استحالة سفرنا جواً، فنصحتنا بالإسراع بالخروج من بلادها، قبل أن تطالبهم سلطات الحلفاء بتسليمنا اليها، وكان المرحوم الامير شكيب ارسلان والمرحوم عبد الفتاح عسل سفير مصر في برن قد عرفا بوصولنا إلى برن، وبرفض السلطات السويسرية قبولنا، فحاولا جهدهما حملها على قبولنا، لكن مساعيهما الحثيثة الشريفة لم تؤد إلى نتيجة إيجابية.

وعندئذٍ خرجنا بالقطار إلى الحدود التي اجتزناها جواً، وهي حدود المانية ـ سويسرية، إلى مدينة كونستانزة على ضفاف البحيرة المشهورة باسمها، فوجدنا هناك بعض رجال الصليب الأحمر الذين جاؤوا لمعرفة حالتنا الصحية. ووجدنا أيضاً الجيش الفرنسي محتلاً تلك المنطقة. فتسلمنا رجال الجيش، وذهبوا بنا إلى معسكر قريب من تلك البحيرة، قضينا فيه ليلتنا.

أما قائمة الاثنين والثلاثين اسماً الممنوعة التي اشارت اليها السلطات السويسرية في حديثها معنا، فكانت تحتوي على اسماء عدد من زعماء المانيا النازية، منهم هتلر وغورنغ وروبنتروب وهملر وآخرون، وكذلك موسوليني وبفيليتش رئيس جمهورية كرواتيا وغيرهم..

قبل الانتهاء من الحديث عن إقامتنا بالمانيا ومغادرتها إلى سويسرة ففرنسا، أرى إتماماً للبحث أن أشير إلى بعض الوقائع التي حدثت قبل أن نترك بادكشتاين نهائياً، فقد توجهت والأخ الصديق الدكتور فرحان الجندلي إلى برلين، للاشراف على بناء قبر المرحوم الدكتور مصطفى الوكيل، قبل أن نغادر برلين آخر مرة، ومكثنا خلال هذه السفرة عشرة أيام بفندق ادلون الشهير، الذي كان ينزل به معظم رجال السلك السياسي للوقاية من الغارات الجوية، لأن فيه ملجأ عميق الغور يهبط إليه بنحو مئة درجة، وكانت برلين في تلك الايام هدفاً لأشد الغارات الجوية، التي كان معظمها يحدث ليلاً، فكنا نهبط إلى الملجأ ريثما تنتهي الغارة، وأخيراً جاء مندوب من الخارجية الالمانية فأنذر جميع الهيئات السياسية، وأنذرنا أيضاً بضرورة مغادرة برلين خلال يومين، لأن زحف الحلفاء قد اقترب من برلين، وأصبحت مطوقة بجيوشهم.

وكان بناء قبر المرحوم الدكتور الوكيل قد انتهى، وكانت برلين في تلك الايام، في اواخر شهر نيسان، ١٩٤٥ قد أصبحت حطاماً لا تكاد العين تقع فيها على بناء قائم، فغادرناها متوجيهن إلى بادكشتاين، ولعل سيارتنا كانت آخر سيارة غادرت برلين قبل

احتلال الحلفاء لها، ولكننا لم نستطع أن نحدد الطريق الذي يجب ان نسلكه حتى لا نقع في ايدي القوات الزاحفة، ولما سألنا المراجع الالمانية المسؤولة اشارت علينا بأن نسأل قائد الموقع العسكري في كل مكان نصل إليه، وهو يرشدنا إلى الطريق الذي يجب سلوكه، فعملنا بذلك.

وكانت طائرات الحلفاء التي اطلقوا عليها اسم (الغربان السود) وهي طائرات سود صغيرة الحجم قد انتشرت في كل مكان، فكانت تنقض قريباً من الأرض على قوافل السيارات الخارجة من برلين وغيرها، فتحرقها بمن فيها من الركاب والمتاع.

وقد شاهدنا في طريقنا عدة قوافل من السيارات محترقة بمن فيها، ولذلك آثرنا ان نسير بسيارتنا دون أن ننضم إلى احدى القوافل، وكنا عندما نرى تلك الغربان السود، نترك السيارة ونختفي في احدى الغابات، إلى أن تبتعد تلك الغربان عنا.

وحدث عند وصولنا إلى مدينة كارلسباد ان ذهب رفيقنا الدكتور فرحان ليسأل قائد الموقع العسكري عن الطريق السليم، فانتهزت الفرصة لصلاة المغرب، وفرشت عباءة كانت معي، وفيما كنت اصلي إذ بالغربان السود تهاجم المنطقة وتمر من فوقنا متخطية الحديقة أمامنا، فلم أقطع صلاتي لاعتقادي أنّ لكل أجل كتاباً. وقصفت تلك الغربان بعض المواقع في كارلسباد ثم غادرتها، فاستأنفنا السفر إلى «مارينباد»، وكنا حريصين على الاستفادة من ظلام الليل، للنجاة من تلك الطائرات الشديدة الخطر، لكن سيارتنا اصيبت بعطل قبل أن نبتعد عن مارينباد، فشرعنا في إصلاحه فلم نتمكن من ذلك حتى الفجر، وقد اشتد البرد، فذهب الدكتور فرحان ليبحث عن مكان نأوي إليه، وماء أو شاي نشربه، فوجد جماعة من اللاجئين الالمان يقيمون في مكان يشتمل على غرفة فسيحة، وقد قسموها إلى عدة أقسام لتتسع لهم، وخصصوا لكل عائلة منهم قسماً، وجعلوا الحواجز فيما بين الاقسام من الحبال أو الخيطان لا يتعدونها، واتخذوا من أحد جوانب الغرفة مطبخاً مشتركاً للجميع، وعندهم ماء ساخن، فذهبنا اليهم وأعطيناهم بعض الشاي الذي كان معنا، ففرحوا به لأن الشاي كان نادراً في المانيا حينئذٍ، ثم أعطينا الأطفال قطعاً من الشيكولاته كانت معنا، فلم يعرفوها ورفضوا أخذها لانهم ولدوا في زمن كانت فيه المانيا محرومة من الشيكولاته وأشياء كثيرة غيرها أشد ضرورة منها.

وشاهدنا شاباً مستلقياً في الفراش تبدو عليه دلائل الصحة، فعجبنا من أمره لأنه قلّما كان يشاهد شاب الماني في تلك الايام غير مجند في الجيش أو في عمل آخر من

مقتضيات الحرب، وسألناه هل انت في اجازة؟ فتبسم ورفع الغطاء عن جسمه فإذا باحدى رجليه مقطوعة من فوق الركبة، وقال: هذه اجازتي.. ولما قدم احدنا إليه سيجارة اقبل عليها بشغف ظاهر، وقال: إنني منذ عشرة أيام لم أدخن سيجارة واحدة..

وفي طريقنا من برلين إلى بادكشتاين مررنا بمدينة «نورمبرغ» فكانت خراباً يباباً، وكان عهدنا بها العمران والازدهار، والحركة الدائبة، والمنشآت الرائعة، وقد وقع عليها اختيار الحلفاء بعد الحرب لتكون مركزاً لمحاكمة زعماء المانيا وغيرهم ممن سموهم «مجرمي الحرب» وحكموا على كثير منهم بالإعدام أو بالسجن مدى الحياة.

وقد سبقت الإشارة في هذه المذكرات إلى ان اليهود، ومن يدعمهم من زعماء بعض الدول الغربية، طالبوا بمحاكمتي في محكمة نورمبرغ كمجرم حرب، بتهمة ابادة اليهود وتأليف فرقتين عسكريتين من مسلمي البوسنة (يوغوسلافيا الآن) لمحاربة الحلفاء، لكن محاولاتهم أخفقت، وسأعود إلى تفصيل هذه الحادثة في مكان آخر إن شاء الله.

كانت هذه حال المانيا في أواخر سني الحرب وعند انتهائها، غارات، ودمار، ومعارك جوية وبرية وبحرية، وحرمان. ورغم ذلك كله كان النظام والصبر والطاعة تسود الشعب الالماني، وبقي نظام توزيع الطعام سارياً. وقد أصدرت الهيئات الشعبية الالمانية بيانات ونشرات إلى الشعب الالماني تطلب منه أن يمد يد المساعدة إلى إخوانه اللاجئين والمحتاجين بسبب ظروف الحرب القاسية، وأن تكون المساعدة حسب الاستطاعة أما بالمال، أو بالملابس، أو بشريحة خبز من رغيف، أو بأي شيء يستطيعه المرء، كما طلبت من افراد الشعب مساعدة الشيوخ والعجزة وحمل العاجزين منهم عن السير، وحمل الأطفال وامتعة الذين لا يستطيعون من الضعفاء القادمين بالقطارات أو بالسيارات، وأن يرشدوهم إلى الملاجئ ويقدموا لهم كل ما يستطيعون من خدمات، حتى كنس الغرف وتنظيف الأماكن.

وصفوة القول ان الشعب الالماني شعب عظيم، جمع العلم والفن إلى الشجاعة والبسالة، إلى النظام والطاعة، إلى التعاون والفداء والإيثار، وغير ذلك من الميزات التي تحلى بها شعب انتزع اعجاب العالم وتقديره، ولا شك في أن الشعب الفلسطيني، وكل شعب يجاهد ويكافح في سبيل انتزاع حقوقه واسترداد وطنه من أيدي الغاصبين، لا بد له من التحلي بالصفات والميزات التي تؤهله للعمل العظيم الذي

اضطلع به، واهمها الصدق في القول، والاخلاص في العمل، والتعاون، والفداء، والإيثار، والصبر على المكاره، عملاً بقوله تعالى ﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾.

في باريس:

عندما اعتقلنا بين كونستانزة وباريس على الحدود السويسرية، مكثنا في المعتقل خمسة أيام، أعلمت خلالها ضابط المعتقل برغبتي في مقابلة الجنرال قائد الجيش الفرنسي لمحادثته، فقال لي الضابط إنني أعرفك منذ كنت ضابطاً في بيروت عام ١٩٣٩، إذ كنت انت مقيماً بها ثم تمكنت من السفر سراً من لبنان إلى العراق رغم حراسة السلطات الفرنسية العسكرية لبيتكم في بيروت.. وفي اليوم التالي نقلونا إلى السجن العسكري، ووضعوني في زنزانة مع شخص فرنسي هو طبيب الماريشال بيتان وصديقه. فقضيت الليل كله في تلك الزنزانة، حتى بعد ظهر اليوم التالي، إذ نظمونا في قافلة من الاسرى والمعتقلين، ووضعوا في أيدينا الاغلال، وأركبونا في سيارة نقل، وحينئذٍ تصدى رفيقنا في السفر والعمل الأستاذ محمد اسحق درويش لقائد القافلة، وقال له بلوم شديد: كيف تضعون الاغلال في يدي فلان، ألا تخجلون من ذلك؟ وبعد أخذ ورد فكوا الاغلال، وأركبونا سيارة نقل عسكرية مكشوفة، سارت بنا وسط غبار مزعج إلى ستراسبورج، فوصلناها مساء فادخلونا إلى ثكنة عسكرية انزلونا فيها، ووضعونا في غرفة فراشها من القش وفيها انبوب ماء للشرب فشعرنا بنعمة كبيرة بالنسبة للزنزانة التي كنا فيها في السجن العسكري في مدينة كونستانزة.

وعند العشاء جاءنا عريف عليه سمة الشرقيين، واحضر لي طاسة فيها حليب ممزوج بالشاي، وقدمها اليّ بيده فاخذته منه، ولكنني قبل ان اشربه علمت أنه يهودي مغربي في الجيش الفرنسي، فلم اذق منه شيئاً.. وفي اليوم التالي نقلونا إلى سجن «شيرش ميدي» الشهير في باريس، فمكثنا فيه بضع ساعات، ريثما نقلونا مع فئة من رفاق القافلة إلى دائرة الشرطة المركزية، حيث قضينا الليل فيها، وكان معظم رفاق القافلة من الفرنسيين الذين تعاونوا مع الماريشال بيتان واعتقلوا لمحاكمتهم، وقد سمحوا لعائلاتهم بزيارتهم تلك الليلة التي كانت ليلة عويل وبكاء ووداع بين أولئك الضباط وعائلاتهم إذ كان المتوقع ان يحكم عليهم بالاعدام لتعاونهم مع بيتان، وفي الصباح اخذوهم ونقلونا في سيارة عسكرية إلى ضاحية «لافارين La Varine» على بعد ١٢ كيلومتراً من باريس، وتقع على نهر المارن، وانزلونا في بيت خاص تحت الحراسة الشديدة،

وكان مكاناً شديد الرطوبة لمجاورته النهر، وقد اعلمت الحكومة الفرنسية السيد قدور بن غبريط بوصولي، وكان هو المشرف على شؤون مسجد باريس، وكان ذا صفة رسمية مغربية فرنسية، فأرسل الينا سكرتيره الفرنسي ومعه طباخ تونسي ليتولى شؤون المطبخ، فبقينا في ذلك البيت تحت الحراسة المشددة إلى أن ينظر في أمرنا.

وكانت الحكومة البريطانية تطالب بتسليمنا اليها، بصفتها دولة الانتداب على فلسطين، كما ان قيادة الحلفاء العليا التي كان على رأسها حينئذٍ الجنرال ايزنهاور تطالب أيضاً بأن تتسلمنا، لكن الحكومة الفرنسية لم تستجب لطلبهما، بحجة أن لها معنا حساباً خاصاً طويلاً، من جراء اشتراكنا في مساعدة الثورة السورية ضد فرنسا، ولمساهمتنا أيضاً بالتعاون مع الالمان خلال الحرب الاخيرة.

واعتقادي أن ما وقع في سورية من الخلاف الشديد بين الإنكليز والفرنسيين، عقب الحرب العالمية الثانية، كان من أسباب عدم تسليمنا للإنكليز، فقد أرسلت برقيات كثيرة من جهات عربية واسلامية في شأننا إلى الجنرال ديجول، وقامت مظاهرات كبرى في بيروت وبعض البلاد العربية والاسلامية تطالب بالعناية بنا، وكذلك قام زعماء مسلمي الهند يطالبون بالعناية بنا وعلى رأسهم المغفور له محمد علي جناح رئيس رابطة مسلمي الهند، وقد أرسل المغفور له امام اليمن يحيى حميد الدين برقية خاصة إلى الجنرال ديجول، يطلب منه إرسالي إلى اليمن بطائرة، لاكون في ضيافته، وحدث بعد ذلك ان زار المغفور له الملك محمد الخامس ملك المغرب باريس بدعوة من الجنرال ديجول لمشاهدة الاحتفال بيوم النصر، ففوجئ الجنرال ديجول بطلب من الملك محمد الخامس بأن يسمح له باخذي معه إلى المغرب، تحقيقاً لرغبة أعيان المغرب وعلمائه. ولما وصل بعد ذلك مولاي محمد الأمين بأي تونس قدم أيضاً نفس الطلب. فكان لجميع هذه العوامل تأثير كبير على السلطة الفرنسية، ولكن مساعي الأعداء، وفي مقدمتهم الصهيونيون لم تغفل عنا وظلت تلاحقنا بمساع جدية، وقد كادت تنجح تلك المساعي الخبيثة، فقد ورد في بعض الصحف الفرنسية، بعد وصولنا لباريس بنحو أسبوع، أن الحكومة قررت تسليمنا إلى السلطات المختصة، وفي صباح أحد الايام، بينما كنت اطل من إحدى نوافذ البيت، رأيت امام الباب سيارة عسكرية مكتوبا عليها كلمة سجناء Prisoniers فشعرت بخطر تسليمنا، وبعد أن بقيت تلك السيارة امام البيت نحو ساعتين تلقت أمراً بالانسحاب بدون ان تاخذنا، وقضينا اياماً مقلقة مؤلمة مؤرقة وفي تلك الظروف الصعبة فهمت للمرة الاولى معنى البيت القائل:

فساغ لي الشراب وكنت قبلا ... أكـاد أغـص بـالماء الـفـرات

فقد كنت فعلاً أغص بالماء القرات في تلك الآونة، وكان في باريس حينئذٍ بعض الأصدقاء في السلك الدبلوماسي، منهم دولة أحمد بك الداعوق سفيراً للبنان في باريس، والمغفور له عدنان بك الأتاسي سفيراً لسورية، ومحمود فخري باشا سفيراً لمصر، وسمو السردار ولي خان سفيراً لافغانستان، وطلب كل هؤلاء من السلطة الفرنسية معرفة المكان الذي نقيم به، والسماح لهم بزيارتي، ولكن السلطة لم تسمح بالزيارة في بادئ الأمر، إلى أن فوجئت بالمرحوم فؤاد بك حمزة سفير المملكة العربية السعودية في باريس يدخل البيت ويقابلنا، فسررت بلقائه، وعلمت منه بمساعي جميع الأصدقاء المذكورين لمقابلتي، إلى ان سمحت السلطات الفرنسية لهم بمقابلتي في بيت المسيو بونسو المفوض السامي الفرنسي السابق لسورية ولبنان، الذي عهدت إليه الحكومة الفرنسية بالاتصال بنا خلال إقامتنا في فرنسا، فذهبنا إلى مقابلتهم في حفلة شاي أقامها المسيو بونسو في بيته، وكانت تلك هي المرة الاولى التي نقابل فيها احداً غير الشرطة الفرنسيين منذ وجودنا في باريس.

أما محاولة محاكمتي في نورمبرغ فقد كانت على الصورة الآتية:

بذل اليهود الصهيونيون اقصى جهودهم لمحاكمتي كمجرم حرب في محكمة نورمبرغ، ولما كانت مواد القانون الذي اصدره الحلفاء في صفة مجرمي الحرب لا تنطبق عليّ، فقد عمد اليهود إلى تلفيق تهم تحقق لهم امنيتهم، منها انني حرضت السلطات الالمانية النازية على إبادة اليهود، وأني كنت السبب في القضاء على ملايين من اليهود، وأني حرضت على يهود يوغوسلافيا وكنت السبب في القضاء عليهم، كما أني كنت قبل ذلك المحرض على ثورة العراقيين على يهود بغداد.. ونحو ذلك من التلفيقات..

وقد استطاعوا إغراء الهر كرومي، وهو مساعد أيخمان الذي علم أن اليهود يعدونه أحد المسؤولين عن قتل اليهود في المانيا، بأن يدلي بشهادة امام كاتب عدل في سويسرة بأنه شاهدني مجتمعاً بايخمان، وسمعني وأنا احرضه واحرض غيره من الزعماء الالمان على ابادة اليهود، وجعلوه يوقع على تلك الشهادة بعدما وعدوه بإنقاذه من الإعدام.. ولم أكن أعرف كرومي ابداً ولم تكن له بي أية صلة، ولكن الأعداء اغروه بتقديم شهادته مشفوعة باليمين الكاذبة (ولكنهم رغم ذلك لم ينقذوه من الموت، فاعدم مع غيره من الذين اعدموا في محاكمات نورمبرغ). ولهذه المناسبة أعيد هنا ما سبقت الاشارة إليه في مكان آخر من هذه المذكرات من أن اليهود حينما تمكنوا من اختطاف أيخمان من الارجنتين، حيث كان مقيماً، وجاؤا به إلى فلسطين المحتلة،

حاولوا إغراءه ليؤيد شهادة مساعده كرومي باتهامي، ولكن أيخمان كان شريفاً، فأبى أن يفعل ذلك ونفى صلته بي.

وقد أغرى اليهود وزير خارجية يوغوسلافيا بأن يقدم شكوى باتهامي إلى محكمة نورمبرغ، وعلى أثر ذلك أرسلت المحكمة إلى الحكومة الفرنسية طلباً بتسليمي اليها، وجاء المسيو بونسو إلى البيت الذي كنا معتقلين فيه، وسلمنا اوراق الاتهام، فاخذناها منه للرد عليها، ودحضنا جميع التهم التي حاولوا إلصاقها بنا، وشجبنا أن نكون من مجرمي الحرب، وبذلك ردت الحكومة الفرنسية طلب محكمة نورمبرغ، ورفضت تسليمنا اليها.

ولكن الأعداء لم يرجعوا عن كيدهم، واستغلوا ظروف فرنسا في ذلك الحين وحاجتها الاقتصادية والسياسية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وانتهزوا فرصة ايفاد المسيو ليون بلوم (اليهودي) رئيس الوزارة الفرنسية سابقاً إلى الولايات المتحدة، ليطلب منها أن تمد يد العون إلى فرنسا التي كانت في حالة عسر شديد، فاختاروه لبلوغ قصدهم لما يعلمون من تأثير اليهود على السلطات الأمريكية والشعب الاميركي، فلما أرسل بلوم تقريره إلى الحكومة الفرنسية عن مهمته، ذكر فيه ان الاميركيين يطلبون من فرنسا تسليمي إلى بريطانيا، بصفتها الدولة المنتدبة على فلسطين، لنفيي إلى جزيرة موريشس، وأكد في تقريره ان هذا الأمر يهم الاميركيين كثيراً ويسهل مهمته في عونهم لفرنسا!..

وبلغني على أثر ذلك، من كل من أحمد بك الداعوق سفير لبنان، والمرحوم عدنان بك الأتاسي سفير سورية، إن السفير البريطاني زار وزارة الخارجية الفرنسية وطلب منها تسليمي إليها، وأنه بعد زيارته لها بساعة قابل السفير الاميركي، الذي لم يلبث أن قام بزيارة مماثلة لوزارة الخارجية الفرنسية، وعزز طلب زميله السفير البريطاني.

وفي تلك الفترة وصل إلى باريس الجنرال «بينيه» المفوض السامي الفرنسي الأخير لسورية ولبنان، وكان يحمل إليّ رسالة من الصديق المرحوم سامي بك الصلح رئيس الوزارة اللبنانية حينئذ، فزارني في منزلي في «بوجيفال» وسلمني الرسالة، ثم رددت إليه الزيارة في وزارة الدفاع حيث كان. وعلى أثر انتهاء زيارتي له رافقني إلى السيارة مستشاره السيد انطوان رزق من افاضل اللبنانيين الذين عرفتهم خلال اقامتي السابقة في بيروت عام ١٩٣٧ - ١٩٣٩ فسألته عن سبب زيارة سفيري بريطانيا وأمريكا لوزارة الخارجية الفرنسية في يوم واحد، وعما بلغني من أن الحديث في تلك الزيارة

كان في شأني. فأيد ذلك ملمحاً إلى أن أمريكا وبريطانيا تضغطان بشدة على الحكومة الفرنسية لتسليمي، ومشيراً إلى التقرير الذي قدمه المسيو ليون بلوم إلى الحكومة الفرنسية في هذا الشأن.

تلك الظروف والاوضاع اشعرتني بالقلق والحرج، فرأيت أنه لا بد لي من مغادرة فرنسا، ووطنت نفسي على ذلك في أول فرصة أتمكن فيها من تهيئة وسائل الخروج في تلك الظروف الصعبة، التي لم تكن وسائل السفر فيها موفورة، فقد كان معظم المواصلات الجوية عسكرياً، وكانت المواصلات البحرية خاضعة لمراقبة شديدة، ولكني صممت على الخروج من فرنسا بأية وسيلة.

وكانت إقامتنا بفرنسا في الشهور الأولى، في «لافارين»، تحت حراسة السلطات الفرنسية، لكنا لم نستطع أن نمكث في منزلنا بتلك الضاحية إلا بضعة شهور لأنها كانت شديدة الرطوبة وشعرنا بآلام الروماتيزم تسري في مفاصلنا، وانتقلنا منها بموافقة الحكومة الفرنسية إلى «لوفسيان» حيث استأجرنا داراً قائمة على مرتفعات ضاحية «بوجيفال» على بعد ١٨ كيلومتراً من باريس على طريق فرساي تحيط بها أشجار باسقة كثيرة، ولم يكن يتصل بنا خلال إقامتنا بفرنسا غير المسيو بونسو المكلف بذلك من السلطات الفرنسية. وكان مكان إقامتنا مكتوماً عن كل أحد، إلا من أذنت له السلطة بزيارتنا.

واذكر ممن زارنا المرحوم الدكتور محمود عزمي رئيس وفد مصر إلى الأمم المتحدة حينئذٍ، فكان مما قاله لي أن قبول الدول العربية للكتاب الأبيض البريطاني الصادر عام ١٩٣٩ (وهو الكتاب الذي لامني بعض الناس لرفضي اياه) قد كان خطأً، وأن تهافتهم عليه قد أعطى اليهود الحجة على أنه مجحف بهم، وقالوا أنه لو كان عادلاً لما قبله العرب، ورغم قبول العرب للكتاب الأبيض ظل اليهود رافضين له، ولذلك لم تنفذ الحكومة البريطانية شيئاً منه.

واذكر أيضاً زيارة وفد لبنان إلى الأمم المتحدة في باريس عائداً من نيويورك وقد كان من أبرز أعضائه المرحوم رياض بك الصلح، وحميد بك فرنجية متعه الله بالصحة والعافية، وقد لبى الوفد دعوتنا إلى تناول طعام الغداء وكانت فرصة سانحة انسنا فيها بهذا اللقاء، وكان ممن رافق الوفد في تلك الزيارة الصحفي المعروف الأستاذ حنا غصن، وكعادتنا رجوناهم ألا يطلعوا احداً على مكاننا، ولكن صديقاً للاستاذ غصن من محرري جريدة «لوموند» الفرنسية استطاع ان يعرف مكاننا، فلم تمض على تلك

الزيارة غير فترة قصيرة حتى أرسلت المخابرات اليهودية بضعة افراد من عصابة «ارغون تسفاي ليومي» الصهيونية لاغتيالي فاخذوا يتجسسون حول الدار لكنهم لم يستطيعوا الوصول اليها للحراسة المضروبة عليها، فتسللوا إلى المنزل المجاور وتسلقوا الاشجار الباسقة وأخذوا عدة صور للدار تمهيداً لعملية الاغتيال. وقد اعترف بهذا الحادث كاتب يهودي في كتاب نشره مشتملاً على مذكراته.

منذ وصولي إلى فرنسا أخذ اليهود على اختلاف مؤسساتهم وهيئاتهم يحرضون سلطات دول الحلفاء على محاكمتي كمجرم حرب، وهم موقنون أنني وقعت في الشرك، وأن هذه هي الفرصة السانحة للانتقام لأنني بزعمهم، شاركت في ابادة ملايين اليهود الذين قتلهم النازيون.

فقد أعلن الرئيس الاميركي الأسبق «ترومان» بتاريخ ٤٦/٢/٢٥ لوفد من اتحاد اليهود في أمريكا «إن الجريمة التي ارتكبت تحت الحكم الهتلري، والتي كان من ورائها ان قضي على خمسة ملايين وثلاثة أرباع المليون من اليهود سيلقى مرتكبوها جزاءهم العادل......».

وحوالي ذلك التاريخ أعلن الأستاذ «برودتسكي» رئيس الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية ورئيس المنظمة اليهودية في بريطانيا في تصريح له: «إن مفتي القدس يجب أن يعامل كمجرم حرب».

وفي الجلسة الاخيرة التي عقدتها بتاريخ ١٩٤٦/٣/٢ لجنة التحقيق البريطانية - الأمريكية التي أرسلت إلى فلسطين، واستمعت فيها اللجنة مرة ثانية إلى شهادة بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية التنفيذية حينئذ، وموسى شرتوك رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية يومئذٍ ووزير خارجية «إسرائيل» فيما بعد، أخذ شرتوك يحرض اللجنة المذكورة عليّ قائلاً:

«لم يكد المفتي يصل برلين حتى أخذ يذيع منها داعياً العرب إلى القيام بحملة تخريب وراء الخطوط البريطانية وانتظار اشارة منه للقيام بثورة عامة...»

«وفقاً لاعتراف أحد النازيين البارزين في نورمبرغ[1] فان المفتي كان أحد المحرضين الرئيسيين على حملة ابادة اليهود بالجملة... الخ».

(١) - يقصد شرتوك بقوله هذا الهر كرومي معاون أيخمان الذي خدعه اليهود وحرضوه على الادلاء بشهادة كاذبة ضدي مقابل إنقاذه من الاعدام، لكن ذلك لم ينجه، فقد صدر الحكم باعدامه فأعدم، كما أسلفنا.

وكانت جريدة «لوموند» الفرنسية الوثيقة الصلة بزعماء اليهود والصهيونية قد نشرت في ١٩٤٦/٢/٧ مقالاً في صدر صفحتها الاولى مملوءاً بالدس والتحريض جاء فيه: إن المفتي الذي اعتقلته السلطة الفرنسية في المانيا يقيم الآن تحت الرقابة في ضواحي باريس، وتعتبره الدوائر البريطانية والحليفة مجرم حرب بسبب اعماله الموالية للهتلرية اثناء الحرب، وأن «ادغار ماورر» مراسل جريدة «نيويورك بوست» كتب في هذا الخصوص أنه يستدل من التصريحات التي أدلى بها الدكتور رودلف كازنر، بعد حلف اليمين، إن الحاج أمين الحسيني هو الذي وضع خطة لابادة خمسة ملايين يهودي، وأنه هو الذي اقترح على هملر مراراً إبادة يهود أوروبا، معتبراً ذلك حلاً سهلاً لقضية فلسطين، ترى ألم يسمع قضاة نورمبرغ باسم هذا المفتي؟ وهل هناك موظفون بريطانيون واميركيون أو فرنسيون معارضون في كشف هذه القضية؟.

ثم أضافت «لوموند» قائلة: ومن المعلوم ان المفتي الاكبر، بعد أن دبر المذابح في فلسطين، التجأ في عام ١٩٣٨ إلى سورية والعراق، وفي بغداد كان المفتي المحرض على قيام ثورة رشيد عالي، وبعد فشل هذه الحركة لجأ إلى المانيا، حيث أصبح رئيس جيش التحرر العربي.

وكان أعوان اليهود وعملاؤهم من نواب بريطانيين وغيرهم، ولاسيما من حزب العمال الذي يحتوي عدداً غير قليل من النواب اليهود وعملاء الصهيونية، ما انفكوا منذ وصولي إلى فرنسا، يثيرون هذه المسألة في مجلس العموم البريطاني، ويوجهون الاسئلة إلى وزراء الخارجية البريطانية، لتظل المسألة حية وعالقة في اذهان ساسة بريطانيا ودول الحلفاء، فمن ذلك ان مستر بيفن وزير الخارجية رد على سؤال في مجلس العموم يوم ٤٥/١٢/١٣ «عما تم في مسألة أمين الحسيني مفتي فلسطين المعتقل الآن في أحد المنازل؟» فقال انه قدم إلى الحكومة الفرنسية طلباً في شأنه، وأنه لا يستطيع أن يضيف شيئاً إلى إجاباته السابقة في هذا الشأن.

ولما سألت النائبة المس راتبون قائلة: اليس من الصواب أن يسلم هذا الرجل إلى السلطات الفلسطينية (أي الحكومة البريطانية في فلسطين) نظراً إلى كونه انزل اعظم الضرر بقضية الحلفاء؟ أجاب المستر بيفن قائلاً «اني لا اشتهي ان اراه يعود إلى فلسطين!»

ومن ذلك إن مستر ج. هوى من نواب حزب العمال وجه سؤالاً في ٤٦/٢/٢٥ إلى مستر هكتور ماكنيل وكيل وزارة الخارجية عما إذا كان قد أسترعى نظره

المستندات التي قدمت في قضية جرائم الحرب في نورمبرغ عن الدور الذي قام به الحاج أمين الحسيني بإثارته المشروع النازي لافناء اليهود في أوروبا والتشجيع على تنفيذه؟

فرد ماكنيل بأن هناك تحقيقاً خاصاً يجري بشأن الحاج أمين الحسيني مفتي القدس، للوقوف على وثائق دقيقة عن أية أدلة خاصة بهذه المسألة قدمت إلى محكمة نورمبرغ الدولية.

وفي ١٩٤٦/٢/٢١ أذاع مراسل رويتر من مدينة كليفلاند بولاية أوهايو الأمريكية أن اليهود عقدوا مؤتمراً عاماً طلبوا في نهايته محاكمة مفتي فلسطين بصفته مجرم حرب!.

وقد أثارت دسائس اليهود ومؤامراتهم هذه، الصحافة العربية في لبنان وفلسطين ومصر وغيرها، فانبرت للدفاع عني وادحاض مزاعم الأعداء، فمن ذلك ما علقت به جريدة «النهار» بتاريخ ١٩٤٦/٢/٢٢ على هذه المؤامرة بما يلي:

ومن الطبيعي ان يرفع برودتسكي عقيرته بهذا الطلب السخيف، لأن اليهود يريدون أن يتخلصوا من الحاج أمين بأي شكل كان، ولو افتروا على المنطق والتاريخ، ولكن هل يجوز لجريدة فرنسوية كجريدة «لوموند» ولها صبغة شبه رسمية، أن تطلب مثل هذا الطلب؟

ليس الحاج أمين الحسيني بحاجة إلى من يدفع عنه هذه التهمة، فهو الزعيم العربي الأمين، الذي اراد ان يدفع عن فلسطين الخطر الصهيوني، فإذا كان قد ضم جهوده في وقت ما إلى جهود المحور، فقد فعل ذلك على قاعدة التعاون مع خصوم الصهيونية، ولا يمكن أن نوجه إليه مثل هذه التهمة الدنيئة، وقد كان الحاج أمين وما يزال أميناً على القضية العربية، يدافع عنها حيثما وجد إلى الدفاع سبيلاً، فكل تهمة يوجهها إليه اليهود وابواقهم يقابلها العرب بالاستنكار والازدراء».

وكتبت جريدة «الحياة» بتاريخ ١٩٤٦/٢/٢٥ تحت عنوان: «مؤامرة صهيونية محكمة للايقاع بمفتي فلسطين» ما يلي:

«كانت (الحياة) أول من لفت الانظار إلى نغمة المطالبة باحالة المفتي إلى محكمة نورمبرغ، وتساءلنا ما إذا كانت هناك دسيسة ضد سماحته في الوقت الذي يطالب فيه العرب بعودته إلى وطنه.

ونستطيع اليوم التأكيد بأن ذلك الطلب هو جزء من خطة دبرها الصهيونيون للتآمر

على سماحة المفتي، والحؤول دون عودته، منعاً لقيام جبهة عربية موحدة في فلسطين. وفي الوقت نفسه اوعزوا إلى مؤتمراتهم والى صحفهم في أمريكا بترديد نغمة نورمبرغ، كما استطاعوا، بفضل أموالهم، أن يبثوا تلك النغمة في صحف اوربية كبرى كجريدة «لوموند» الباريسية التي نقلنا إلى القراء ما كتبته في هذا الصدد منذ أيام، مع أنها لسان حال وزارة الخارجية الفرنسية».

ثم حضت الجريدة الحكومات العربية على القيام بمسعى جديد «يعيد إلى المفتي حريته المطلقة في الانتقال، فلا يبقى في متناول الدسائس الصهيونية».

يتضح موقف الحكومة الفرنسية من مسألة تسليمي أو إخلاء سبيلي، فيما نشرته جريدة «باري بريس Paris Presse» الفرنسية في ١٠ نيسان ١٩٤٦ (الطبعة السادسة) تحت عنوان: (فرنسا لا تريد تسليم المفتي الأكبر، الذي تحتفظ به في اقامة تحت المراقبة). وهذا ملخصه:

«أثناء التعليق على برقية من مصدر أجنبي، جاء فيها ان فرنسا سترفض على ما يظهر إطلاق سراح مفتي القدس الأكبر أمين الحسيني....»

«لقد صرح في الكي دورسي (وزارة الخارجية الفرنسية) ان الحكومة الفرنسية لم يصلها أي طلب من قبل حكومة عربية من أجل عودته إلى فلسطين أو إلى بلد ما من الشرق الاوسط.»

«إن المفتي يعيش حالياً تحت حماية فرنسا. إنه حر ويعامل بكل الاحترامات الواجبة نحو مقامه، وطبقاً لاحكام دينه، وتقوم الشرطة بحراسة مكان اقامته الواقع في مكان ما في منطقة باريس».

«وقد صرح متحدث باسم «الكي دورسي» بأن بريطانيا العظمى طلبت في الواقع من فرنسا تسليمها المفتي، غير ان بريطانيا اجابت على استيضاحات مقدمة من الحكومة الفرنسية بأن المفتي غير مذكور في القائمة البريطانية لمجرمي الحرب.. وبالنتيجة فإن فرنسا قررت أن لا تستجيب للطلب البريطاني.

وأضاف المتحدث ان طلب الحكومة البريطانية غير موافق لاحكام القانون الدولي».

ولهذه المناسبة نشرت الديلي ميل الإنكليزية بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٤٦ مقالاً جاء فيه:

«أميط اللثام في باريس عما يبدو انه تغيير في وجهة نظر الحكومة

الفرنسية، بأن المفتي ليس معتقلاً، ولا توجد قيود من أي نوع على حركاته، وهو يعيش تحت حراسة البوليس، ومنزله سر مكتوم لاعتبارات تتعلق بسلامته، وأن ناطقاً بلسان وزير الخارجية الفرنسية صرح قائلاً انه إذا شاءت أية دولة عربية قبوله أو دعوته إلى بلادها فان الحكومة الفرنسية لا تقيم اية عقبة في سبيل تنقلاته».

وأضافت الديلي ميل تحت عنوان «مفاجأة» قائلة ان الإعلان بأن المفتي «حر» في فرنسا كان له وقع مفاجئ في باريس، وربما أن الحكومة الفرنسية قد غيرت موقفها تجاهه، والمكان الذي يقيم به مكتوم كتماناً شديداً، مما جعل مراسلي الصحف يفشلون في الاتصال به، ويلازمه رجال من الشرطة لحمايته فقط، كما اوضح ذلك موظف وزارة الخارجية الفرنسية أمس.

ثم قالت الجريدة ان الحكومة البريطانية طلبت مراراً من الحكومة الفرنسية خلال مدة اقامتي بفرنسا أن تسلمني اليها، وأن السلطات الفرنسية رفضت ذلك، لأن تسليمي اليها، دون أسباب كافية، مخالف لأحكام القانون الدولي.

وعلى أثر إعلان وزارة الخارجية الفرنسية موقفها السليم من قضية حريتي، ورفضها الرضوخ لمطالب بريطانيا ومساعي المنظمات اليهودية العالمية، وجهت إلى وزير الخارجية الفرنسية كتاب الشكر التالي:

حضرة صاحب المعالي وزير خارجية الجمهورية الفرنسية

لقد اطلعت بسرور كبير على البيان المنشور في الصحف بتاريخ ٨ ابريل سنة ١٩٤٦ من قبل المتكلم بلسان وزارة الخارجية الفرنسية فيما يختص بالمعاملة التي اعامل بها في فرنسا، والذي ورد فيه أن الحكومة الفرنسية لن تضع أية عراقيل في سبيل سفري إلى إحدى البلاد العربية إذا شاءت قبولي أو دعتني إليها.

وانني إذ أتقدم بالشكر الجزيل إلى الحكومة الفرنسية على تصريحها هذا، وعلى حسن معاملتها إياي طيلة اقامتي في هذه البلاد، أود ان أشير بهذه المناسبة إلى الأسباب والظروف التي أدت إلى التجائي اليها:

١ ـ إن سبب خروجي من فلسطين ولجوئي إلى أوروبا يرجع في الاصل إلى السياسة الجائرة التي اتبعت في فلسطين منذ ثمان وعشرين سنة،

والتي تستهدف تحويل هذا الوطن العربي الآهل بسكانه منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً، إلى شعب آخر، مما يؤدي إلى القضاء المبرم على كيان هذا الوطن، ويهدد سكانه بالإبادة والفناء، وأن معارضتي الطبيعية المنطقية لهذه السياسة الغاشمة، وعدم موافقتي عليها كانت السبب الحافز للسلطة البريطانية في تلك البلاد لمحاولة القبض علي في شهر اغسطس ١٩٣٧ واعتقالي في جزيرة نائية، ولكنني نجوت من هذه المحاولة، ولجأت إلى لبنان مدة عامين لقيت خلالهما من فرنسا أحسن المعاملة، وبعد إعلان الحرب سنة ١٩٣٩ وتشديد الضغط من قبل الحكومة البريطانية من أجل تسليمي، اضطررت للجوء إلى العراق ثم إلى ايران، ولما احتلت ايران في خريف ١٩٤١ أعلن الجنرال ويفل جائزة بمبلغ ٢٥ ألف جنيه في سبيل القبض علي مما اضطرني لمغادرة ايران إلى تركيا. ولما لم تقبل هذه لجوئي اليها لم يبق لي مناص من اللجوء إلى أوروبا، فيتضح لمعاليكم مما سبق بيانه أن لجوئي إلى أوروبا يرجع إلى مطاردة السلطات الإنكليزية اياي منذ سنة ١٩٣٧، أي منذ بضع سنوات قبل هذه الحرب، وليس لأسباب تتعلق بهذه الحرب.

٢ ـ إن الزعم بأنني قد جندت المسلمين البشناق ضد الحلفاء لا يتفق مع الواقع، والحقيقة هي ان عصابات «الشيتنك» التابعة للجنرال ميخايلوفيتش هاجمت المسلمين البشناق وقتلت منهم ما ينوف على ٢٠٠ ألف من رجال ونساء واطفال، دون ان تقوم دول المحور بالدفاع عنهم رغم احتلالها لبلادهم، مما اضطر المسلمين إلى تشكيل قوات من ابنائهم، لمجرد الدفاع عن انفسهم ضد العصابات المهاجمة، وقد حول الالمان بعد ذلك قسماً من هذه القوات إلى فرقة مختلطة من البشناق المسلمين والكاثوليك، بقيادة ضباط المان، ولم يكن لي دخل في تنظيمها كما شرحت ذلك في المذكرة التي قدمتها إلى الحكومة الفرنسية في صيف سنة ١٩٤٥.

٣ ـ عند انتهاء الحرب لجأت إلى البلاد الفرنسية، حيث أقمت بها منذ نحو سنة، ولم أقم طيلة هذه المدة بأي عمل سياسي ضد أحد.

وإنني في الختام إذ أكرر شكري للجمهورية الفرنسية على حسن صنيعها،

الذي سيكون له أحسن الأثر في توثيق العلاقات بين فرنسا والبلاد العربية، أرجو أن تتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

١٢ نيسان (إبريل) ١٩٤٦.

«التوقيع»

ولهذه المناسبة، أورد هنا أن معالي الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية، أرسل حينئذٍ كتاباً إلى لجنة التحقيق البريطانية ـ الأمريكية في شأن العرب المبعدين عن أوطانهم والمشردين في مختلف بلاد أوروبا، المعتقلين منهم والمسجونين، وذلك بناء على ما قرره مجلس جامعة الدول العربية من لزوم السعي لدى الجهات المختصة في شأنهم، وقد وجه معاليه نظر اللجنة إلى ما هنالك من فوارق في المعاملة بين هؤلاء العرب وبين اليهود، إذ بينما يرزح العرب تحت نير الضيق ويكابدون آلام التشرد أو الاعتقال، يتمتع اليهود بكامل حريتهم في التنقل والإقامة حيث يشاءون، وأضاف معاليه في كتابه أن من واجبه ان يلفت نظر اللجنة إلى أمر هذا الفريق من العرب، حتى تنتهي محنتهم، ويمنح المبعدون حق التنقل والاقامة حيث يريدون والعودة إلى وطنهم (وذكر اسمي على رأس هذا الفريق).

وصرح معاليه لبعض الصحف في بيروت عند زيارته لها فقال:

«لقد أعربت من قبل عن وجهة نظري في مسألة الحاج أمين الحسيني، وقد قامت الجامعة العربية من جانبها بمساع ديبلوماسية لتسليم المفتي إلى العرب، وليس إلى بريطانيا لكي تقدمه إلى المحاكمة، واني اشكر الحكومة الفرنسية للمساعدة التي قدمتها إليه، كما إنني واثق بأنها ستوافق على طلب الجامعة العربية السماح للمفتي بالإقامة في البلد الذي يختاره».

وعندما كنت في باريس كتبت مراراً إلى معالي عزام باشا، في شأن خطر الهجرة اليهودية إلى فلسطين التي يطالب بها اليهود وتدعمهم فيها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وضرورة وقوف جامعة الدول العربية منها موقفاً حازماً، وقد تناولت رسائلي إليه أيضاً موقف اليهود من قضيتي، ومطالبتهم بتقديمي إلى محكمة نورمبرغ، وتحريضهم حكومة يوغوسلافيا على ذلك، فوردتني منه ثلاث رسائل رداً على رسائلي، كانت الاولى في ٤٥/٩/٢٥ من القاهرة، وقد أشار فيها إلى وصول كتبي إليه، وانه لم يدخر وسعاً في السعي في سبيل حريتي سواء مع البريطانيين أو مع اليوغوسلافيين، وانه أبلغ الحكومة اليوغوسلافية أسف العرب على تدخلها في طلب

محاكمتي كمجرم حرب، وأن العرب يعتبرون عملها أكبر إساءة لهم، وأن الحكومة المصرية ايدته في ذلك.. الخ.

ثم تلقيت منه رسالة ثانية من لندن في ٤٥/١٠/١٧ أشار فيها إلى وصول رسائلي، وأن المعركة مع اليهود حامية جداً، وأن وسائل العرب محدودة، ولكن عناية الله اعظم من كل شيء، وإنه يوافق على أن الأمر ليس امر هجرة ١٥٠٠ يهودي ولكنه المبدأ، ثم أشار إلى مسألتي وقال «إنه لا يدخر وسعاً فيما يستطيع عمله لإنقاذ أي عربي بل أي مسلم..»

وكانت آخر رسالة وصلتني منه قبل خروجي من فرنسا تاريخها ٤٦/٢/١٥ وقد اعرب فيها عن عاطفة شريفة ومودة صادقة، وقال «إنه بذل ما أمكنه من المساعي لتحقيق الحرية لكل العرب المبعدين، وأن الأمور مرهونة بتيسير الله، وأشار إلى ما يجده من متاعب ومشاق لا حد لها، حتى ممن ينتظر منهم العون، وأن من الصعب الوقوف بجانب الحق والحرية».

* * *

عندما غادرت المانيا بالطائرة إلى سويسرة رافقني الأستاذ محمد اسحق درويش، والأستاذ راسم الخالدي. وتخلف في بادكشتاين عدد من إخواننا الذين كانوا معنا في المانيا، من فلسطينيين وسوريين ولبنانيين وغيرهم، أذكر منهم المرحوم الشيخ حسن أبو السعود، وسعد الدين عبد اللطيف، والمرحوم سليم حسين الحسيني، وهؤلاء من القدس، والدكتور ظافر الرفاعي (من حلب) والدكتور فرحان الجندلي (من حمص) ورمزي الالاجاتي (من دمشق) والمرحوم بهاء الدين الطباع (من بيروت) ويوسف الرويسي (من تونس)، وغيرهم.

قرر إخواننا البقاء في منزلنا ببادكشتاين، في ارتقاب ما سيكون بعد احتلال الحلفاء، وبعد يومين من سفرنا دخلت البلد قوات اميركية، ترافقها قوة رمزية من الإنكليز والفرنسيين، وتسلمت القوات الأمريكية الاماكن المهمة والدوائر الرسمية، وبموجب الأوامر الرسمية الخاصة بالأجانب اتصل إخواننا بدائرة الحاكم العسكري الاميركي للاستعلام عما سيكون من أمرهم، فبادئ ذي بدء طمأنوهم، ثم اعلموهم أنهم موقوفون إلى إشعار آخر، ومنعوهم من الخروج أو الاتصال بأحد، ووضعوا حرساً عليهم مدة اسبوعين، ثم نقلوهم بالسيارات برفقة الحرس إلى مدينة سالزبورغ، ومنها إلى المطار، ثم جاءت احدى طائرات الغربان السود فانزلت ضباطاً إنكليز واصفاداً

حديدية لتقييد المعتقلين، وبعد قيد الأسماء وإنهاء عملية التسلم والتسليم، اركب إخواننا الطائرة إلى وجهة غير معلومة، وبعد طيران ساعة ونصف ساعة هبطت الطائرة بهم في مطار بروكسل، وما لبثوا ان نقلوا منه إلى السجن العسكري وألبسوا ملابس السجناء، وسيقوا إلى زنزانات مكثوا فيها شهراً يعاملون معاملة غير لائقة، وبعد تحقيق آخر في امرهم نقلوا من الزنزانات إلى غرفة واحدة كبيرة، ومكثوا في هذا السجن تسعة شهور على هذه الحال الأليمة.

كان الدكتور محمد معروف الدواليبي (رئيس وزراء سورية فيما بعد) في طليعة من عرفناهم خلال إقامتنا في اوروبة في سني الحرب من الفضلاء الشرفاء، وكان مقيماً بباريس للحصول على الدكتوراه من جامعة السوربون، ويزورنا في برلين بين حين وآخر، وظل على عهدنا به من المودة والمروءة بعد انهيار المانيا وإقامتنا بفرنسا، وقد حفزته همته ومروءته للعناية بإخواننا السجناء في بروكسل، واتفقنا على توكيل محام فرنسي للعناية بامرهم والدفاع عنهم لدى السلطات المحتلة والرسمية، وتم اختيار المحامي المسيو «اوجول» لهذه الغاية، فأخذ الدكتور الدواليبي والمسيو اوجول يواليان العناية بامرهم، ويتفقدان شؤونهم ومصيرهم. وقد اهتمت المفوضيتان السورية واللبنانية في باريس بأمر رعاياهما المسجونين من رفاقنا، وكان للوزيرين المفوضين أحمد بك الداعوق والمرحوم عدنان بك الأتاسي مساع مشكورة لإطلاق سراحهم، وقد اقترنت المساعي بالنجاح، وتمكن أولئك الإخوان من العودة إلى بلادهم..

أما إخواننا الفلسطينيون فلم تكن لهم دولة ترعى شؤونهم وتهتم لامرهم، وساءت حالهم فاضربوا عن الطعام احتجاجاً على ما كانوا يلقونه من سوء المعاملة، وعلى أثر ذلك عملت السلطات البريطانية على نقلهم من بروكسل إلى جزر سيشل بطائرة خاصة في الاسبوع الأول من شهر شباط ١٩٤٦ حيث قضوا فيها أربعة اشهر، وساءت صحة بعضهم، فسمح لهم بالسفر إلى القاهرة، وبقي الآخرون سبعة اشهر أخر سمح لهم بعدها بالسفر إلى القاهرة.

* * *

لم يسبق لي أن تحدثت عن كيفية خروجي من فرنسا إلى القاهرة وإن كانت الصحف والبرقيات تحدثت عنها كثيراً. وقد حرصت على كتمانها لبعض الاعتبارات، أما الآن فلم يعد ما يحول دون ذكرها والا ظلت هذه الناحية حلقة مفقودة في سلسلة هذه المذكرات.

لقد قام الصديق الكريم الدكتور الدواليبي بالدور الأول والجانب الاهم في تلك المغامرة التي افاضت الصحف والبرقيات في الحديث عنها حينئذٍ، فقد شاءت مكارم أخلاقه ان يعطيني جواز سفره.. واقتضى هذا تبديل الصورة وتغيير اللباس وحجز مكان في طائرة مسافرة من باريس إلى القاهرة. وكان ركاب الطائرة خليطاً من مدنيين وعسكريين. ولم يحدث عائق في مطار «اورلي» الذي قامت منه الطائرة من باريس إلى روما. وفي روما فحص المختصون جوازات سفر الركاب. وكان الجو رديئاً فقضينا الليل في أحد الفنادق. وفي الصباح استأنفنا السفر إلى ميناء «بيريه» في اليونان حيث هبطت الطائرة للتزود بالوقود، ومنها استأنفنا السفر إلى القاهرة. ولحسن الحظ لم يكن من يعرفني بين ركاب الطائرة، وفي المساء هبطت الطائرة في مطار «بن فيلد» الذي أصبح الآن مطار القاهرة الدولي، ولما تم فحص جوازات الركاب وخرجت من المطار، تنفست الصعداء وحمدت الله على السلامة وتمثلت بقول البوصيري:

عنايةُ الله أَغْنَت عن مُضاعَفَةٍ   من الدروعِ، وعن عالٍ من الأُطُمِ

ولم أشأ الركوب في سيارة الباص المعدة لنقل الركاب وآثرت الركوب في سيارة أجرة عادية فنقلتني إلى فندق ميتروبوليتان بالقاهرة..

أما اختياري السفر إلى القاهرة فقد كانت له أسباب عدة، من اهمها اننا في باريس كنا على اتصال ببعض إخواننا في القاهرة لنظل على صلة بالحوادث في تلك الظروف، وأن القاهرة كانت مركز الثقل في العالم العربي، وفيها جامعة الدول العربية، وأنها (أي القاهرة) على صلة بفلسطين حيث يتوقع استئناف الصراع الدامي بين الفلسطينيين واليهود. ومن تلك الأسباب ما يقضي عليّ الانصاف بذكره، وهو أن الملك فاروق أبدى اهتماماً وتشجيعاً لوجودي في القاهرة، حتى أن السفير المصري في باريس حينئذٍ وهو المرحوم محمود فخري باشا تلقى حضاً على هذا، وكان بعض الأصدقاء يحملون الينا رسائل من القاهرة بين حين وآخر. وكان مؤتمر بلودان قد انعقد للنظر في شؤون القضية الفلسطينية، لكنه لم يسلم من دسائس المخابرات البريطانية، ومحاولات ذوي الاغراض والاهواء. وكانت اليهودية العالمية قد جندت كل قواها للفوز في معركة فلسطين من ناحيتها السياسية والعسكرية، وحملت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على أن تلقيا بكل ثقلهما في المعركة، وكانت لهما الكلمة العليا حينئذٍ في شؤون العالم عامة والشرق العربي خاصة، بعد

انتصار الحلفاء وانهيار دول المحور. ففي تلك الحال لم يكن البقاء في فرنسا محموداً، ولم يكن يخلو من الخطر، ولذلك غامرت بالسفر إلى القاهرة، ويسر الله سبيلي اليها دون عائق.

وكنت قبل سفري قد اعددت كتاباً إلى وزارة الخارجية الفرنسية، وكلفت الأستاذ محمد اسحق درويش بايصاله اليها، أما ما حدث بعد ذلك فقد فصله المسيو فوشيه مراسل مجلة «المصور» المصرية من باريس ونشرته المجلة في عددها الصادر بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٤٦، كما يلي:

بعد ظهر يوم السبت، غادر الأستاذ محمد اسحق درويش، ابن اخت المفتي، الدار القائمة على قمة مرتفعات بوجيفال، والمشرفة على نهر السين، في طريقه إلى وزارة الخارجية، وكان يحمل إلى المسيو «بونو» مدير قسم افريقيا والشرق الادنى في الوزارة رسالة من الحاج أمين الحسيني، كان لها وقع القنبلة! فهو يبلغ الحكومة الفرنسية بأنه اضطر إلى السفر «متخفياً»، وانه لما كانت الحكومة الفرنسية قد أعلنت في شهر ابريل الماضي أنها لا تمانع في سفره من بلادها، فقد اعتبر نفسه حراً من كل قيد، وعزم على مغادرة فرنسا، وكان يود ان يغادرها جهاراً، لولا أنه شعر ان أعداءه يوالون تعقبه، وأن حياته قد تصبح في خطر، ولذا آثر أن يكون بالقرب من أولئك الذين وقف على خدمتهم حياته.

«ولم ينس سماحته أن يختم رسالته بشكر الحكومة الفرنسية على حسن ضيافتها، واسفه لما قد يجره لها رحيله من متاعب....».

ثم أشار المراسل إلى أن الحكومة الفرنسية بدأت التحقيق في الحال لمعرفة الظروف التي أحاطت بالحادث، والى ان رفاق المفتي والمتصلين به قالوا إنه لم يطلعهم على ما أقدم عليه، وأن الشعور بالقلق على حياته كان قد ازداد شدة في المدة الاخيرة، وكثيراً ما رئي أشخاص مجهولون يطوفون حول الدار، وكان كلب الحراسة وهو من كلاب الرعاة يكثر من العواء في الليل.

وأضاف المراسل أن الرسالة إلى وزارة الخارجية مؤرخة في ٢٨ مايو، ولكنها لم تسلم إلا في ٨ يونيو، واستنتج من ذلك أن السفر حدث بين المدة الواقعة بين تاريخ الرسالة ويوم تسليمها، وقد ادعت بعض الصحف أن المفتي لجأ إلى احدى السفارات الأجنبية، ولكن ثبت بعد ذلك أنه غادر الأرض الفرنسية كلها.

ونشرت المجلة في مكان آخر من نفس العدد «إن أنباء خاصة وصلت إلى الدوائر

العربية، تفيد أن الحكومة الفرنسية كانت على وشك أن تقرر تسليم المفتي إلى الحكومة البريطانية، وأن الحكومة الفرنسية اتخذت هذا القرار أثر عودة المسيو ليون بلوم من أمريكا، حيث نجح في عقد قرض كبير هناك، وأن ليون بلوم تباحث مع الحكومة الأمريكية، أو مع الاوساط المالية الأمريكية، في قضية المفتي، ثم تمكن بعد عودته إلى فرنسا من اقناع حكومته بتسليم سماحته، فيكون المفتي قد غادر فرنسا في الوقت المناسب.».

وفيما بعد نشر كاتب يهودي يدعى موريس بيرلمان كتاباً في لندن عام ١٩٤٧ عنوانه «مفتي القدس ـ قصة الحاج أمين الحسيني» تطرق فيه إلى مسألة خروجي من فرنسا فقال:

«اقام مستر داف كوبر (سفير بريطانيا في باريس عندئذٍ) حفلة بمناسبة يوم النصر في ٨ حزيران ١٩٤٦ في حديقة السفارة البريطانية في باريس، وكان المسيو بيدو وزير خارجية فرنسا أحد المدعوين.

وقد وصل متأخراً حاملاً معه النبأ المهم بأن الحاج أمين الحسيني مفتي القدس، قد اختفى من الفيلا، حيث كان يقيم تحت المراقبة منذ انتهاء الحرب.

ولم يكن اسم الحاج أمين الحسيني اسماً جديداً يحتل لاول مرة الصفحات الاولى في العالم، وكذلك لم يكن اختفاؤه الغريب «اللغز» مغامرة جديدة له، لكنه كان هذه المرة أكثر مغامراته بروزاً وإثارة، وتعاقبت التكهنات، عدة أيام، والاشاعات الواحدة تلو الأخرى، عن مكان إقامته، والسبيل التي سلكها للفرار».

ثم زعم الكاتب اليهودي أن المسيو بيدو قال انني قطعت عهداً للحكومة الفرنسية بأنني لن احاول مغادرة فرنسا، وهو زعم كاذب، فانني لم أعط أي عهد من هذا القبيل.

ثم استرسل بيرلمان فكتب عني ما أملته عليه أهواؤه وصهيونيته، حتى أن كاتباً صهيونياً آخر اسمه «جوزيف شختمان» ألف كتاباً آخر عنوانه «المفتي والفوهرر» سيأتي ذكره في مكان آخر من هذه المذكرات، انتقد في مقدمته كتاب بيرلمان هذا، وقال انه مكتوب بصورة عدائية على طول الخط، وبشكل غير لائق بالسمعة والكرامة بالنسبة للموضوع..

وقد نشرت الأهرام رسالة مطولة لمراسلها من باريس تاريخها ٣٠ يونيو ١٩٤٦ في هذا الموضوع جاء فيها:

«... وعلى أثر التصريحات الرسمية بأن فرنسا لا تعرقل سفر المفتي، يقول أخصاؤه المقربون منه أنه اعتبر نفسه حراً، يستطيع أن يسافر في الوقت الذي يراه مناسباً، وأنه أُخلي من أي تعهد سابق.

ويحتمل أن يكون المفتي قد أعرب في خطابه انه يأسف لأن وجوده سبب متاعب لفرنسا، وأن إطالة إقامته فيها يعرضه للخطر يوماً عن يوم، على الرغم من الوسائل التي تتخذها السلطات الفرنسية لحمايته إذ أن أعداءه يوالون البحث لكشف مقره».

ولهذه المناسبة أشير هنا إلى أن مسيو بونو وكيل وزارة الخارجية الفرنسية وجه كتاباً إلى مدير بوليس باريس هذه ترجمته:

(لي الشرف ان احيطكم علماً بأن سكرتير الاتحاد العربي في مصر، بعد مفاوضات مع الشخصيات الإسلامية في الشرق الاوسط، أبلغ مفوضيتنا في مصر عن خشيتهم من وقوع اعتداء على حياة الحاج أمين الحسيني المفتي الاكبر من الإرهاب الصهيوني الذي تقوم به جمعية (شترن) السرية الأرهابية.

ومع أنه ليس لدينا من المعلومات ما يؤكد هذا، فقد رغبنا في اطلاعكم على هذا الأمر لتتخذوا مع من يخصهم الأمر الاحتياطات اللازمة لحمايته ورفاقه).

عن وزير الخارجية «بونو»

«وعلى الرغم من رغبته في أن يعود إلى بلده بالطريق المشروع فان الظروف قد أكرهته على أن يحيط هذه العودة باشد التكتم، ولم ينبئ بسفره أي شخص من أصدقائه العرب.

وقد حملته الحالة في فلسطين، التي تجتاز أدق المراحل في تاريخها، على تعجيل سفره، وقد قال لوزارة الخارجية أنه لن ينسى حسن الضيافة والمعاملة الطيبة التي عاملته فرنسا بها».

وأضاف مراسل الأهرام:

«وتتساءل بعض المقامات العربية في باريس عما إذا كان لرحلة المسيو بلوم إلى أمريكا علاقة في تعجيل سفر المفتي، إذ يؤخذ من المعلومات التي تلقتها المقامات العربية ان الهيئات الصهيونية، التي ساعدت المسيو بلوم في مفاوضاته الاخيرة، انما ساعدته وهي مشترطة عليه ان يساعدها عند عودته على تحقيق مساعيها فيما يختص بالمفتي الذي يطلب الصهيونيون تسليمه.

ولم تستطع الصحف الفرنسية إلى الآن ان تستقي معلومات عن الطريقة التي غادر بها المفتي فرنسا، فالمقربون منه يقولون ان رحلته محفوفة باشد المخاطر، فلا يستطيعون ان يدلوا بأي معلومات في هذا الشأن.

وقد علمت ان الاميرة شيوه كار نقلت معها من مصر خطابات على جانب عظيم من الأهمية للمفتي، على انها لم تتمكن من ان تسلمه اياها، لأنه كان قد سافر عندما وصلت إلى باريس».

وأرسل مراسل الأهرام من باريس رسالة أخرى جاء فيها ما يلي:

صرحت لي وزارة الخارجية ان لا صحة لما قيل من ان المفتي قد تعهد بأنه لا يغادر فرنسا دون ترخيص من هذه الوزارة، فلم يقطع على نفسه أي عهد من هذا القبيل، وهو على ذلك لم يحنث بالوعد. (وهذا تكذيب لما زعمه اليهودي بيرلمان من انني حنثت بعهدي للحكومة الفرنسية).

وأضاف مراسل الأهرام إلى ذلك قائلاً: «إن المفتي أرسل مع الكتاب الذي وجهه إلى وزارة الخارجية في شأن رحيله، بطاقته الشخصية بصفته أجنبياً مقيماً بفرنسا، وبطاقة التموين الخاصة به».

كان لبنان في طليعة الأقطار العربية التي تابعت تنقلاتي، وتصدت للدفاع عني، على أثر خروجي من المانيا إلى سويسرة ومنها إلى فرنسا، وخلال وجودي في فرنسا، وبعد سفري منها إلى البلاد العربية، ولا عجب فلبنان قطر عربي اشتهر بحبه للحرية ودفاعه عن الأحرار، وقد كنت لقيت في لبنان كل ترحيب وحفاوة خلال اقامتي به عامين كاملين ما بين ١٩٣٧ - ١٩٣٩ بعد خروجي من فلسطين، وهو ما أتذكره ولا أنساه، وأقدره حق قدره.

ففي اليوم السابع من شهر أيار ١٩٤٥ تناقلت الأنباء العالمية والمحلية في لبنان خبر الطائرة التي حملتني وبعض إخواني من بادكشتاين بالمانيا إلى سويسرة ورفض السلطات السويسرية قبولي لاجئاً سياسياً وإعادتنا إلى الحدود. وفي اليوم التالي لذلك الحادث كان إعلان الهدنة بين دول الحلفاء والمانيا، فانطلق الناس إلى الشوارع يحتفلون لهذه المناسبة معلنين سرورهم لانتهاء الحرب، ولكن الصفوة من الوطنيين اللبنانيين كانوا يعلمون في قرارة نفوسهم أن انتصار الحلفاء كان يعني انتصار الصهيونية، وأن انهيار المانيا حينئذٍ كان يعني ضياع فلسطين وسقوطها غنيمة لليهودية العالمية، المتآمرة مع بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، فلم يلبثوا ان هتفوا بسقوط الصهيونية وحياة فلسطين عربية، وما لبثت الجماهير المتظاهرة أن انضمت اليهم، ولم تلبث المظاهرة الكبرى بالهدنة أن انقلبت إلى مظاهرة وطنية هادرة، وسارت الوف الجماهير هاتفة بحياة فلسطين وزعمائها المجاهدين، وظلت تطوف

الشوارع على هذا النحو إلى ساعة متأخرة من الليل.

لكن نبأ هذه المظاهرة الكبرى لفلسطين ومجاهديها لم ينشر في الصحف اللبنانية، لأن الكولونيل ستيفن المراقب العام البريطاني للصحف والأنباء منع نشره، وصدر بلاغ مقتضب اذيع في اليوم التالي جاء فيه «إن الجيش البريطاني قام بترحيل المتطوعين الفلسطينيين من لبنان.....»!!

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر أيار نشرت الصحف اللبنانية نص «عريضة» تحمل تواقيع نخبة من وجوه اللبنانيين، من النواب ورجال الأحزاب والمنظمات ورجال الصحافة والفكر، موجهة إلى رئيس الوزارة اللبنانية يومئذٍ سماحة الشيخ عبد الحميد كرامي، رحمه الله، يطالبون فيها الحكومة اللبنانية بالسعي لدى «السلطات الحليفة» لإعادتي إلى الوطن. وكذلك نشرت الصحف عرائض وبيانات أخرى كثيرة حول هذا الموضوع تباعاً.

وأبدت الهيئات والصحف الوطنية اهتماماً كبيراً لقضية فلسطين، وعقدت اجتماعات وطنية عديدة انتصاراً لها، واحتجاجاً على موقف أمريكا وبريطانيا من قضية فلسطين، وتأييدهما للقضية الصهيونية، ودعت منظمتا النجادة والكتائب إلى الاضراب تضامناً مع «الشقيقة فلسطين» وطالبت الصحف والهيئات بعودتي إلى الوطن العربي، وبإطلاق سراح إخواننا المبعدين والسجناء، وعودتهم إلى الوطن.

الشباب الوطني وقضية فلسطين

المطالبة بعودة مفتي فلسطين الاكبر

تصريح هام لدولة الرئيس سامي بك الصلح

يبدي الشباب الوطني في بيروت نشاطاً ملحوظاً حيال قضية فلسطين وقضية عودة سماحة الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين الاكبر واخوانه المنفيين بصورة خاصة والشباب الوطني سبق له ان بذل جهوداً عظيمة وقام بخدمة هذه القضية العربية في عام ١٩٣٦ اي في غضون الثورة الفلسطينية العربية الى نشوب الحرب عام ١٩٣٩ وها هو يستأنف اليوم نضاله في هذه الظروف الخطيرة التي تجتازها قضية فلسطين والجهود التي يبذلها صهيونيو العالم ويصورون باطلهم حقاً ليتمكنوا من سلب فلسطين العربية من اصحابها وينشئوا دولتهم ووطنهم اليهودي القومي وكنا قد لفتنا النداء الذي اذاعه الشباب الوطني على العالم العربي في عدد مضى والتأثير الذي احدثه في الاوساط الوطنية

ومنذ يومين قام فريق منهم بتوزيع مثال النضال العربي وظهرت بيروت وهذا رسوم جميلة لسماحة الحاج امين الحسيني الرسم من نوع في واجهات المحلات التجارية بعضها بحجم كبير وبعضها بحجم صغير الكبرى وكافة احياء المدينة. كان الشباب وقد طبع الالاف منها ووزعت في بيروت الوطني عازماً على اقامة تظاهرات وبقية الجهات اللبنانية والسورية وكان كبرى ظهر يوم الجمعة الفائت تطوف الناس يستقبلون هذه الرسوم بلهف وشوق في شوارع المدينة واحيائها ويحمل فيها عليها بين مظاهر الكائنة صاحب الرسم ويعلق المتظاهرون رسم المفتي الاكبر احترامهم له وتقديراً لشخصيته التي اصبحت وانطلقت يطلب عودته وبالاحتجاج على تصريحات الرئيس ترومن واستنكار هذيان حكومة المارشال ايتو اليوغسلافية التي طالبت بمحاكمة سماحة المفتي الاكبر؟ ومن ثم يتوجه المتظاهرون الى دار الحكومة حيث يقدمون مذكرة بهذا المعنى الى دولة سامي بك الصلح رئيس الوزارة ليرفعها الى دول الحلفاء وقابل بالفعل وفد من الشباب الوطني دولته في السراي وعرض عليه هذه الرغبة الا ان دولة الرئيس رغب اليوم التريث وافهمهم انه يعتبر مجرد ابداء هذه الرغبة كافيا لانه مهتم بهذه القضية لاسيما ودولته يقدر ويحترم سماحة المفتي الاكبر الحاج امين الحسيني وهو يسعى في سبيل عودته الى وطنه منذ زمن بعيد. فنزل الشباب الوطني عند رغبة دولة الرئيس وشكر له هذه الوطنية والاندفاع.

• • •

وقد اتصل بنا ان هيئة الشباب الوطني في بيروت متوجة في مطلع الاسبوع القادم دعوة الى كافة الهيئات والاحزاب الوطنية وكبار الشخصيات ووجهاء المدينة لعقد اجتماع عام لاتخاذ المقررات اللازمة بصدد قضية فلسطين وعودة سماحة المفتي ومعالجة الحالة الطارئة فيها

صورة زنكوغرافية لما نشرته الصحف اللبنانية عن جهود الشباب الوطني في بيروت بشان المطالبة بعودة مفتي فلسطين

الجمعة ٣ جماد الثاني ١٣٦٥ و ٣ ايار ١٩٤٦ ـ السنة الرابعة ـ العدد ٧٠١

الهدف

جريدة يومية سياسية عربية

صاحب الجريدة ورئيس تحريرها المسؤول زهير عسيران



في هذه الساعة الرهيبة ، وفي تلك اللحظة الفاصلة التي تتجلى فيها نيات السياسة الاميركية البريطانية واضحة ساطعة في فلسطين ، تشرئب الاعناق متطلعة ابداً الى ما سيوصي به زعيمها الاوحد سماحة المفتي الاكبر وما سيرتأيه من اجراءات لاحباط المؤامرة الصهيونية ـ الانكلوسكسونية ، اطال الله في عمره وعاشت فلسطين حرة عربية وهوى الاستعمار صريعاً على صخرة الحق والعدالة .

لبنان يضرب تاييدا لفلسطين

اذاعت منظمتنا الكتائب والنجادة بعد ظهر امس البيان التالي :

تضامناً مع الشقيقة فلسطين في استنكارها لتوصيات اللجنة البريطانية الاميركية تدعو منظمتنا النجادة والكتائب الشعب اللبناني الى الاضراب غداً الجمعة من الصباح الى الساعة الواحدة بعد الظهر عاشت فلسطين عاش لبنان

احدى الصور التي توضح اهتمام الصحافة اللبنانية بقضية فلسطين وانتصارها الحماسي لسماحة السيد محمد امين الحسيني

مذكرة لبنانية الى رئيس الحكومة

بطلب السماح لمفتي فلسطين بالعودة الى وطنه

رفع السادة الموقعين ادناه المذكرة التالية الى دولة رئيس الحكومة :

حضرة صاحب الدولة سماحة عبد الحميد كرامه رئيس الوزراء الاكرم

ان من يسعى لخدمة وطنه ويضحي في سبيله بماله وراحته له في نفوس الذين يقدرون محبة الوطن حرمة خاصة . ولما كان الزعيم المجاهد الحاج امين الحسيني لا يهدف من جهاده الا الى خدمة وطنه فاننا نتقدم من حكومتكم الموقرة بان تسعى لدى السلطات الحليفة باعادة هذا الزعيم العربي المجاهد .

ومن اجدر من الدول الديموقراطية بالعطف على المجاهدين الوطنيين

وتفضلوا يا صاحب الدولة بقبول اوفى الاحترام .

النواب

سامي الصلح ، رياض الصلح ، صائب سلام ، اميل لحود ، حبيب ابو شهلا ، خليل ابو جوده ، يوسف ضو ، كمال جنبلاط ، يوسف المراوي ، رشيد بيضون ، اديب الفرزلي ، فيليب تقلا ، هرتش شامليان

الاحزاب والمنظمات الوطنية

محمد جميل بيهم • بطرس الجميل • الدكتور انيس الصغير • كاظم الصلح • نسيم مجدلاني • ميشال فرعون • مصطفى المقدم • منير التصولي • انيس نجا • علي ناصر الدين • فرج الله الحلو • صلاح الدين بيهم • نعمة ثابت •

الوجهاء

محمد عمر بيهم • عمر الداعوق • انيس الشيخ • مصباح سلام • محمد علي بيهم • محمد تصولي • عبد الرحمن التصولي • الدكتور سليم ادريس • الدكتور مصطفى خالدي • المحامي عبد الله قبرصلي • يوسف ابرهيم يزبك • عبد المنعم ناحوق • فؤاد اللادقي • الدكتور جورج حنا • كمال جبر • رفيق نجا • ابرهيم الاحدب • عبد الرحمن سحمراني • حبيب شحاده • الدكتور سليمان مفرج • الدكتور مصطفى بيضون • الدكتور فيليب اشقر • حبيب سليمان • المحامي حبيب ربيز • الدكتور يوسف مزهر • الدكتور مجيد الخوري • المحامي ايليا خياط • نعيم مجدلاني • ابرهيم عوده • المحامي امين حاوي • حسن بحصلي • سعد الدين فروخ • الشيخ ندره عيسى الخوري • الدكتور فريد بدوره • شارل سعد

الصحافة اللبنانية

جبران التويني • محي الدين النصولي • فؤاد قاسم • حنا غصن • محمد الباقر • زهير عسيران • محمد السمج • رامز سركيس •

صورة زنكوغرافيـة لمذكرة الشخصيات اللبنانيـة بطلب السـماح لمفتي فلسطين بالعودة الى وطنه

وقد أثارت انباء البرقيات، القائلة أن الحكومة الأمريكية أرسلت مذكرة إلى الحكومة الفرنسية تؤيد فيها طلب الحكومة البريطانية تسليمي إليها، استياء الشعب اللبناني واستفزته، فأعلن استنكاره لذلك للمفوضيتين الأمريكية والبريطانية، وقدم «الشباب الوطني» مذكرة احتجاج إلى وزير أمريكا المفوض بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٤٦، وقد بلغ من استنكار الشعب اللبناني للموقف الاميركي ـ البريطاني أن القيت قنابل على المفوضيتين الأمريكية والبريطانية مساء ٥ آب، فأحدثت فيهما ضرراً بالغاً، وكان هذا أول حادث من نوعه يقع في البلاد العربية، ولاسيما لبنان، واعتبر هذا العمل تعبيراً عن سخط الرأي العام على الموقف البريطاني ـ الاميركي. وفي اليوم الثاني القي القبض على الوطني الشهم السيد محمد رستم طبارة وعدد من الشبان الوطنيين، وأوقفوا عدة أيام.

وكان للصحافة اللبنانية موقف نبيل في ذلك الحين، ولاسيما صحف الهدف والديار والصياد، وأصحابها الافاضل السادة زهير عسيران وحنا غصن وسعيد فريحة، التي لم تنفك عن نشر المقالات والأنباء والصور ذات العلاقة بالموضوع كما أن المظاهرات الحاشدة والإضرابات العامة كانت تحدث في كل مناسبة.

قبل تفصيل ما حدث بعد خروجي من باريس ووصولي إلى القاهرة أرى أن أشير باقتضاب إلى وقع ذلك الحادث في نفوس الصهيونيين وعملائهم وفي الدوائر البريطانية والأمريكية. فمن ذلك ما اورده اليهودي الصهيوني جوزف شختمان في كتابه «المفتي والفوهرر» من أن عضو الكونغرس الاميركي «إيمانويل كيللر» تقدم بطلب إلى وزير الخارجية «جيمس بيرنز» بأن تبادر الحكومة الأمريكية بالعمل على تقديم المفتي إلى محكمة نورمبرغ مع كبار مجرمي الحرب وأن تجري المحاكمة بالسرعة الممكنة، ثم انذر الوزير بأن المناورات الدبلوماسية البشعة قد ينتج عنها بقاء المفتي حراً طليقاً، وقال أن أي تقصير في متابعة المفتي يفسر في الشرق كله بأنه ضعف من جانب البريطانيين والاميركيين..

وأضاف شختمان أن «بارتلي ك. كروم» عضو لجنة التحقيق الإنكليزية ـ الأمريكية بشأن فلسطين (وهي المعروفة باسم «لجنة انسكوب»)، وهو من أشد انصار الصهيونية)، أرسل في ١١ حزيران ١٩٤٦ (بعد خروجي من باريس) برقية إلى وزير الخارجية الأمريكية (بيرنز) يلح فيها على الولايات المتحدة، بأن تعمل بالتعاون مع الحكومة البريطانية على اتخاذ جميع الاجراءات والتدابير الضرورية للقبض على المفتي وتسليمه للمحاكمة، وقال في برقيته: «هل لي ان اقترح بكل احترام ان تحصل وزارة الخارجية من السجلات الرسمية الموضوعة تحت تصرف الادعاء في محاكم مجرمي الحرب في

نورمبرغ، وفيينا، وكذلك من دائرة مخابراتنا الأمريكية، على صور عن الاتفاقات المكتوبة بين المفتي والحكومة النازية؟ فأجاب وزير الخارجية بأنه لا يعلم عن أية خطة للولايات المتحدة لسؤال فرنسا عن الكيفية التي غادر بها المفتي باريس. وأضاف: وليس لدى وزارة الخارجية معلومات عن هذا الموضوع وهي غير مستعدة أن تبحث فيما إذا كان المفتي مجرم حرب».

ونشر الاصلاحيون الصهيونيون في الولايات المتحدة (وهم الحزب المتطرف الذي كان يتزعمه جابوتنسكي) بياناً واجهوا فيه الحكومة الأمريكية بقوة وصراحة بسؤالها كيف تسمح لنفسها بأن تكون فريقاً في المؤامرة البشعة التي ترمي إلى تغطية أعمال مجرم الحرب الأكبر هذا وحمايته من القصاص الذي يستحقه؟ وأضاف البيان الصهيوني: إن من حق الشعب الاميركي أن يعرف لماذا لم تضع الحكومة الأمريكية اسم المفتي على لائحة مجرمي الحرب الدوليين؟

وتساءل الاصلاحيون الصهيونيون في بيانهم: «هل يعتزم الرئيس ترومان وحكومته أن يسمحوا للمفتي باقتراف اعماله الدامية ومواصلة حملته لقتل اليهود في فلسطين والشرق الاوسط؟ وأن من حق الشعب الاميركي ان يعرف لماذا لم تضع الحكومة الأمريكية اسم المفتي على لائحة مجرمي الحرب الدوليين؟ ثم طلب البيان في ختامه من مجلس شيوخ الولايات المتحدة التحقيق في أسباب رفض الحكومة الأمريكية جلب هذا العميل النازي المرعب «كذا» إلى منبر العدالة، وأن المفتي السابق سيتمم ما لم يتم من أعمال المحور...»

وكذلك فان المدعو ادغار موربر محرر صحيفة «نيويورك بوست» قد لفق ما زعم أنه أدلة وبراهين مدعمة بالوثائق تثبت انني كنت شريكاً في ابادة ملايين اليهود الاوروبيين، وأرسل موربر المذكور برقية بهذا الشأن إلى القاضي في محاكمة مجرمي الحرب، فرد عليه جاكسون بأن: «الأمر الذي عين بموجبه للعمل، وبسبب اتفاقية لندن التي تنص على محاكمة المجرمين الذين هم من دول المحور الاوروبية فقط، فان ذلك الأمر لا يشمل ادخال آسيويين في محاكمة لاحقة، وأن ذلك يتطلب صدور امر جديد من واشنطن وموافقة جميع الجهات التي يعنيها الأمر...»

وفي ٢٨ آب ١٩٤٦ أعلن دين اتشيسون وكيل وزارة الخارجية الأمريكية أن وزارة الخارجية تعد «كتاباً أبيض» عن أعمال المفتي خلال الحرب على أساس الوثائق التي عثرت عليها جيوش الحلفاء في المانيا.

وفي فرنسا طلب «سولومون غرومباخ» رئيس لجنة الشؤون الخارجية في الجمعية الوطنية الفرنسية، وهو يهودي، من الحكومة أن تقوم باجراء تحقيق تصدر في ختامه تقريراً عن اقامتي في فرنسا وكيف كانت تعاملني الحكومة الفرنسية خلالها، والطريقة التي تمكنت بها من الفرار.. واتهم غرومباخ الحكومة الفرنسية بأنها عاملتني أحسن معاملة رغم شعوري نحو المانيا ومعارضتي للبريطانيين، ثم تساءل غرومباخ: لماذا لم تعمل بريطانيا على ادراج اسم المفتي في لائحة مجرمي الحرب مع انها تستطيع ذلك؟

وبعد ذلك نشرت المراسلة الخاصة لصحيفتي «نيوز كرونيكل والايكونوميست» كلير هو للتغوريرت «كتاباً بعنوان العرب والغرب» زعمت فيه ان الموظفين الفرنسيين الذين هم ضد البريطانيين والذين يعزون ضياع دولهم في الشرق الادنى، إلى الدسائس البريطانية، هم الذين تواطأوا على خروجي من فرنسا.

وبعد هذا التاريخ بخمسة عشر عاماً نشرت صحيفة «باري بريس لانترانسيجان» بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٦٢ مقالاً افتتاحياً عادت فيه بالذكرى إلى حوادث عام ١٩٤٦ وقالت أنه في أواخر ربيع ١٩٤٦ كان «ليون بلوم» في الولايات المتحدة يتفاوض في الوصول إلى اتفاقات مالية امريكية فرنسية القصد منها إعادة إنشاء اقتصاد فرنسا، وأن بلوم أضاف «بلباقة» أن الدوائر الصهيونية الأمريكية التي يقال أن لها نفوذا مالياً في العالم، الحت عليه بوجوب تسليم المفتي إلى محاكم الحلفاء وانه ربط نفسه بتحقيق هذه الرغبة.

ولما مضت أيام على خروجي من فرنسا دون أن يظهر لوجودي أي أثر في أي قطر عربي أو أجنبي، أخذت وكالات الأنباء العالمية والصحف تنشر مختلف التكهنات. وفي فلسطين منعت السلطات البريطانية نشر أي نبأ يتعلق بي. وقد عطلت إحدى الصحف مدة أسبوعين لأنها ذكرت اسمي. وقالت برقية لوكالة اليونايتد برس من القدس أن الإذاعة البريطانية لما اذاعت نبأ اختفائي أخذ الفلسطينيون يفتحون أجهزة الراديو على لندن للاستماع إلى أنباء أذاعتها وأضافت الوكالة «إن العرب لم يساورهم أي قلق لعدم وجود معلومات حقيقية عن المكان الذي وصل إليه المفتي لأن دمشق أو مكة أو المدينة هي منزل للحاج أمين كما هي القدس كما صرح بذلك الأستاذ عوني عبد الهادي الناطق باسم اللجنة العربية العليا، وأن الجو السعيد بفرار المفتي انطبع على الشوارع الضيقة في القدس القديمة كما انطبع على شوارع المدينة الجديدة التي ازدانت بالاعلام والزهور واغصان الزيتون، وظهرت صور المفتي في كل مكان...».

وانتقدت «الايفننج نيوز» الرقابة التي فرضتها السلطة البريطانية في فلسطين لمنع نشر انباء عن وصولي وقالت ان هذا «القرار السخيف» في وقت السلم لا يمكن أن يحول دون وصول هذا النبأ إلى أسماع الذين يريدون أن يعرفوه بل الأمر بالعكس فلن تؤدي الرقابة الشديدة على الأنباء إلا إلى رواج الاشاعات وكثرة التكهنات وإثارة السخط على الذين فرضوها..

وعلى أثر ذلك اصدر مكتب المطبوعات في حكومة الانتداب البريطاني بفلسطين البيان التالي، وقد نشرته الصحف في ١٩٤٦/٦/١٢: «فهم بصورة موثوقة ان الحاج أمين الحسيني قد غادر فرنسا، وليست هناك أي معلومات رسمية عن مكان اقامته في الوقت الحاضر».

ولما كانت جلسات الجامعة العربية منعقدة حينئذٍ في «بلودان» لبحث تواصي لجنة التحقيق الانجلو ـ اميركية بشأن فلسطين والخاصة بالسماح لمئة ألف يهودي بدخول فلسطين فوراً استجابة لطلب الرئيس الاميركي ترومان، فقد توقعت بعض الدوائر ووكالات الأنباء الأجنبية، أن أكون ذهبت إلى دمشق للاشتراك في اجتماعات مجلس الجامعة، وقالت بعض الدوائر في لندن ان اشتراك المفتي علناً في تلك الاجتماعات قد يزيد موقف بريطانيا حرجاً عند بحث قرار تتخذه الجامعة بشأن تقرير لجنة التحقيق لأن خصوم العرب سيحاولون استغلال القول بأن زعيماً عربياً منفياً قد ساعد على اتخاذ ذلك القرار..

وفي لندن أعلن متحدث من وزارة الخارجية البريطانية ان بريطانيا تطالب الحكومة الفرنسية ببيان عن الظروف التي غادر فيها الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين، فرنسا أخيراً.

وفي باريس قام أحد كبار السفارة البريطانية بتحقيق رسمي لدى وزارة الخارجية الفرنسية طالباً إيضاحاً عن سفر مفتي القدس من فرنسا.

وفي واشنطن علق ناطق بلسان وزارة الخارجية الأمريكية على الأنباء الخاصة بفرار المفتي بطائرة أمريكية من فرنسا، بقوله أن الوزارة لا تعرف شيئاً عن هذا الأمر.

وأكدت الدوائر الفرنسية في باريس أن التحقيق لم يظهر أي تواطؤ من الموظفين الفرنسيين ولكن عقوبة ادارية ستلحق بقوميسير البوليس الذي كان مسؤولاً عن أمن المفتي وسلامته، لاهماله وهو موظف معروف، لأنه كان مكلفاً بحماية أعضاء المؤتمر الرباعي الاخير في قصر لوكسمبورج.

وفي ١٥ / ٦ / ١٩٤٦ أعلنت وزارة البحرية البريطانية ان المدمرة «فيراجور» اوقفت السفينة «ديفونتشر» وهي من سفن النقل على مسافة من بور سعيد وفتشتها لاحتمال ان يكون المفتي على ظهرها.. وبعد أن وصفت الوزارة في بيانها عملية التفتيش بأنها إجراء عادي فرضه فرار المفتي من فرنسا قالت: (وتتخذ الحكومة كل التدابير الممكنة لمنع المفتي من الوصول إلى الشرق الأوسط).

وفي لبنان تحدثت الصحف بإسهاب عن حادث خروجي من فرنسا وأبدى الشعب اللبناني اهتماماً للحادث لا يقل عن اهتمامه لحادث خروجي من المانيا ومطالبته الحكومة اللبنانية بالسعي لإخلاء سبيلي وعدم الحد من حريتي وإعادتي إلى الوطن العربي كما أعربت عن ذلك مذكرة زعماء لبنان وأهل الرأي والفكر فيه التي حملها الوطني الغيور الشهم السيد محمد رستم طباره أمين سر «الشباب الوطني» إلى دولة رئيس الوزارة اللبنانية. ومن الحق والواجب أن أنوه بالموقف الوطني الرائع الذي وقفه «الشباب الوطني» وامين سره السيد طباره من قضية فلسطين وتأييدها في سائر ادوارها، وهو موقف كشف عن وجه لبنان الحقيقي بدعمه شعب فلسطين في جهاده الشريف ومحنته الكبرى بالاستعمار والصهيونية.

○ ○ ○

الفصل الثاني

العودة إلى الوطن العربي

العودة إلى الوطن العربي

في مصر:

كان الذين يتوقعون قدومي إلى القاهرة من إخواننا وأصدقائنا قلائل. فلما وصلت القاهرة يوم الاربعاء ٢٧ جمادى الآخرة الموافق ١٩٤٦/٥/٢٩ لم أستقر بفندق ميتروبوليتان إلا فترة قليلة ثم توجهت في المساء إلى مصر الجديدة واجتمعت بالاستاذ علي رشدي عنان، والسيد محمد منيف الحسيني، والأستاذ على رشدي مصري صميم سبق له ان عمل معنا في المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى بإدارة المعاهد الدينية في القدس، فلما اضطرتني الأحداث لمغادرة فلسطين ووضعت السلطة البريطانية يدها على المجلس الإسلامي الأعلى استقال الأستاذ علي من عمله وعاد إلى القاهرة أما السيد محمد منيف الذي حالت ظروفه دون مرافقتنا إلى ايران وأوروبا فقد استقر بالمملكة السعودية إلى نهاية الحرب ثم عاد إلى القاهرة هو والشهيد عبد القادر الحسيني.

وقد صادف وصولي القاهرة وجود اللورد ستانسجيت على رأس وفد رسمي بريطاني لمباحثة الحكومة المصرية في قضية جلاء الجيش البريطاني عن مصر. وكان رئيس الوزارة المصرية حينئذٍ اسماعيل صدقي باشا. ولما كنت حريصاً على ألا يسبب وجودي في مصر أي حرج للحكومة المصرية عندئذٍ فقد آثرت ألا أظهر نفسي، وأن أنتظر بعض الوقت ريثما تصل المباحثات التي كانت في مرحلتها الاخيرة إلى نتيجة. ولذلك قر رأينا على التوجه إلى الاسكندرية لقضاء بضعة أيام فيها ثم العودة الى القاهرة. وفي اليوم التالي ركبنا القطار إلى الاسكندرية فقضينا بها أيام ثم عدنا إلى القاهرة وانتقلنا إلى منزل استأجرناه بمصر الجديدة، وظلت اقامتي خلال هذه المدة مكتومة عن الجميع.

وفي يوم ١١ رجب ١٣٢٥هـ (١٩٤٦/٦/١١) رددت البرقيات ونشرت الصحف نبأ مغادرتي باريس، ثم لم يلبث النبأ أن انتشر سريعاً في مصر وفلسطين وسورية ولبنان، وأخذ أصدقاؤنا الكثيرون في القاهرة يحاولون استطلاع الخبر اليقين،

وانقضت أيام أخرى دون نتيجة فاخذ القلق خلالها يساور نفوسهم، وكان الوقت قد حان للظهور وتلبية الرغبة التي ابداها الملك فاروق في وجودي بالقاهرة وأبلغني إياها محمود فخري باشا سفير مصر في باريس حينئذٍ والتي وردت الاشارة اليها في بعض الرسائل التي اوصلتها اليّ السيدة الجليلة ناجية هانم ذو الفقار، عمة الملكة فريدة وشقيقة يوسف باشا ذو الفقار والد الملكة، ولكن لم يكن من بد للتمهيد لذلك لأن وجودي بمصر حينئذٍ سيزعج السلطات البريطانية وربما دفعها إلى اتخاذ اجراءات قد تسيء إلى مصر، ولذلك اوصلنا خبر وجودي في القاهرة إلى يوسف باشا ورغبتي في زيارة قصر عابدين للاعراب عن شكري واحترامي للملك لما أبداه من اهتمام بشأني ورغبة في وجودي بالقاهرة.

وعلى أثر ذلك الاتصال توجهت إلى قصر عابدين مساء الاربعاء ١٩ رجب (١٩/ ١٩٤٦/٦) قبيل الساعة الثامنة مساء فقابلت عبد اللطيف طلعت باشا كبير الأمناء وسجلت اسمي في سجل التشريفات ثم استقبلني الملك فاروق استقبالاً ودياً للغاية اعرب فيه عن سروره بلقائي ووجودي بالقاهرة. ومما قاله لي انه كان قلقاً عليّ لما سمع بخروجي من باريس وانقضاء عشرين يوماً دون وصولي وانه اتصل بالتلفون بكل من رئيس الجمهورية السورية ورئيس الجمهورية اللبنانية سائلاً عني، فشكرت له ذلك الاهتمام والعناية الكريمة واعتذرت عن سبب تأخري في القيام بالواجب وهو حرصي على عدم احراج الحكومة المصرية وهي تقوم بالمفاوضات في مسألة الجلاء.

واستمرت المقابلة نصف ساعة أبدى الملك في نهايتها رغبته في أن أكون في ضيافته، فقابلت تلك العناية شاكراً، وصدر أمر الملك للحاشية بالانتقال فوراً إلى قصر زهراء أنشاص..

ولما ركبت السيارة التي أُعدت لي سارت بي من قصر عابدين إلى قصر القبة لكننا لم ننزل به لأن السيارة دخلت من أحد ابواب القصر ثم خرجت من باب آخر، متوجهة إلى قصر أنشاص وذلك مبالغة في الكتمان وحرصاً من الملك على أن يظل محل اقامتي غير معروف ريثما تتم الاجراءات الكفيلة بسلامتي وحريتي. وبعد ثلاثة أرباع الساعة كنا في قصر أنشاص.

لما وصلت إلى قصر أنشاص وجدت أن الملك فاروق قد بالغ في الحيطة وإعداد وسائل الحراسة، فأمر برفع الجسر المتحرك المنصوب على فرع نهر النيل، الذي تعبر عليه السيارات والمشاة إلى القصر، وأن حراسة عسكرية قوية أقيمت عليه، وكذلك مطار

أنشاص المجاور للقصر، فقد حشدت فيه قوة كبيرة من الجنود والسيارات العسكرية وكتم خبر وجودي في أنشاص عن الجميع، ريثما تتدبر السلطات المصرية الأمر مع السلطات البريطانية، فقد كان الملك يخشى ان يعمد الإنكليز إلى استعمال القوة لانتزاعي من مصر إلى حيث يشاءون، فيكون في ذلك إهانة له وسبة لمصر، وقد سبق للإنكليز أن فعلوا هذا في بعض خصوم سياستهم، مثل طالب باشا النقيب الذي اختطفوه من البصرة ونفوه إلى الهند، وياسين باشا الهاشمي الذي اختطفوه من دمشق في عهد حكم الملك فيصل بن الحسين واعتقلوه في معسكرهم قرب مدينة الرملة بفلسطين، وقد سجل حادث اختطاف ياسين الهاشمي شاعر العراق الكبير معروف الرصافي في قصيدة قال فيها:

ياسينُ إنكَ بالقلوب مشيَّعُ	هل أنت للوطن العزيز مودِّعُ؟
أخذوكَ يا بطلَ المعامع غيلةً	بيَدِ الخداع ومثلهم من يَخدَعُ

وأقمت بأنشاص ١٩ يوماً، لم استقبل خلالها إلا ولدي صلاح الدين، وولد أخي المرحوم حسين، والسيد موسى أبو السعود، ولد زميلنا ورفيقنا في الجهاد المرحوم الشيخ حسن أبو السعود، الذي كان حينئذٍ منفياً في سيشيل، والسيدين علي رشدي عنان ومحمد منيف الحسيني، والشهيد عبد القادر الحسيني.

وكان خبر وصولي إلى القاهرة وزيارتي قصر عابدين قد انتشر في القاهرة والقطر المصري، وتناولته البرقيات والصحف بالتفصيل والتعليق، فلم تبق صحيفة ولا مجلة إلا وأفاضت في الحديث عنه، وتفضل كثير من كبار كتاب مصر ورجال السياسة والادب والعلم فيها بكتابة مقالات أضفوا عليّ فيها من الإطراء والثناء ما لا أستحق بعضه، وتناولوا سابقة عملي بما شاء لهم فضلهم وكرم خلقهم من الاشادة والتنويه، أذكر منهم الاساتذة الافاضل فتحي رضوان وأحمد حسين من الاحياء، وابراهيم عبد القادر المازني ومحمد توفيق دياب ومحمد مندور وخليل ثابت ممن توفاهم الله، وانبرت الصحافة المصرية وساسة مصر ورجال حركتها الوطنية، على اختلاف نزعاتهم وأحزابهم، لنقد سياسة بريطانيا نحو القضية الفلسطينية، والتنديد بموقفها من هذه القضية عامة ومن قضيتي خاصة، والمطالبة بإطلاق حريتي لممارسة عملي الوطني، ومتابعة خدمتي لقضية بلادي دون أي ضغط أو اكراه.

وفي ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٤٦ نشرت الحكومة المصرية التي كان رئيسها اسماعيل صدقي باشا، بياناً عن وصولي إلى مصر وظهوري في قصر عابدين، وأشار

البيان إلى «ظروف هذه الزيارة وملابساتها» ومما جاء فيه العبارات التالية: «واذا كانت الحكومة المصرية قد سمحت باقامة السيد أمين الحسيني في ديارها، فهي ترجو في الوقت عينه ألا ينظر إلى هذه المسألة إلا بنفس الروح الكريمة التي انبعث عنها قرارها، واداء لواجب المجاملة لزعيم عربي ذي شخصية تتمتع بالاحترام العام..»

«ولا يخفى ان مصر اليوم تجتاز مرحلة من ادق مراحل حياتها السياسية، ترجو لها التوفيق والفلاح في ظلال الهدوء والنظام، ولا ريب في أن سماحته مقدر لذلك».

وبرغم ما اشتمل عليه بيان الحكومة من عبارات المجاملة والتقدير، فقد انتقدته الصحف المصرية والرأي العام المصري، وطالبت بأن لا يكون ثمة أي تحفظ على اقامتي بمصر، وبإطلاق الحرية التامة في العمل لصالح قضية فلسطين والقضايا العربية والإسلامية.. ولا ريب في أن صدقي باشا أراد مجاملة السلطات البريطانية، التي اقلقها وجودي في القاهرة، فقد كان السفير البريطاني دائم المراجعة للحكومة المصرية في هذا الشأن، وقد سبق لي القول أنني كنت كتمت خبر وصولي إلى مصر، تجنباً لاحراج الحكومة المصرية التي كانت تقوم بمحادثات مع الوفد البريطاني في شأن جلاء القوات البريطانية عن بلادها.

كان مجلس جامعة الدول العربية قد دعى إلى عقد دورة استثنائية في «بلودان» يوم ١٨ أيار (مايو) ١٩٤٦، ثم ارجئ الاجتماع إلى شهر حزيران المقبل، ريثما ينعقد اجتماع ملوك الدول العربية ورؤسائها في ٢٧ و ٢٨ أيار في أنشاص لبحث قضية فلسطين. وكان من بواعث تصميمي على السفر من فرنسا إلى الوطن العربي في تلك الأيام ان لا أكون بعيداً عن مجرى الاحداث الخطيرة التي كانت تعصف بالقضية الفلسطينية عندئذٍ.

كانت لجنة التحقيق المشتركة التي عينتها الحكومة البريطانية بالاتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية، والمؤلفة من أثني عشر عضواً من الإنكليز والاميركيين بالتساوي، قد أصدرت تقريرها في ٢٠ نيسان ١٩٤٦، بعدما باشرت مهمتها في أوروبا، ثم زارت القاهرة واستمعت إلى شهادة الأمين العام لجامعة الدول العربية وشهادات ممثلي الدول العربية، ثم زارت عواصم بعض الدول، واجتمعت برؤسائها وحكوماتها، ثم انتقلت إلى فلسطين واستمعت إلى شهادات بعض العرب واليهود، وقد جاء تقرير هذه اللجنة شديد التحيز إلى اليهود، وبعيداً جداً عن الحق والنزاهة والمنطق، فقد سايرت فيه رغبة الرئيس الاميركي الأسبق ترومان، صنيعة الصهيونيين، وأوصت بادخال مئة ألف من

مهاجري اليهود إلى فلسطين، كما أوصت بأن لا تكون الهجرة إلى فلسطين معلقة على رضاء العرب، بحجة عدم وجود بلاد غير فلسطين ترضى بالهجرة اليهودية إليها، وأن اليهود لا يرغبون في الهجرة إلى بلاد غير فلسطين..

كما أوصت بإبطال القوانين والانظمة التي تحدد انتقال الأراضي العربية إلى اليهود! وكان رد فعل تقرير اللجنة شديداً في فلسطين والأقطار العربية، وقوبل باستنكار عام ومظاهرات صاخبة واضرابات شاملة، ونقد شديد للذين تعاونوا من العرب مع تلك اللجنة المتحيزة وأدلوا اليها بشهاداتهم، وسخط شديد على السياسة البريطانية التي أدخلت أمريكا طرفاً في النزاع القائم بين العرب وبريطانيا في شأن قضية فلسطين، كأن الفلسطينيين لم يكفهم ظلم بريطانيا وعتوها وكيد الصهيونية العالمية ومكرها حتى تستعين عليهم بريطانياً بأمريكا.

وعلى أثر ذلك انعقد مؤتمر أنشاص في ٢٧ و ٢٨ أيار ١٩٤٦ بدعوة من الملك فاروق، وتقرر فيه التمسك باستقلال فلسطين وصيانة عروبتها، وتأليف هيئة عربية فلسطينية عليا تمثل الفلسطينيين وتنطق باسمهم، ثم تبع ذلك عقد دورة استثنائية لمجلس جامعة الدول العربية في بلودان، وقد حاولت الدول العربية أن تظهر فيه بمظهر القوة والحزم والتصميم على نصرة فلسطين، وإيلائها حقها من العناية والاهتمام، وشهد الاجتماع بعض رؤساء الحكومات العربية ووزراء خارجياتها، ورجال ذوو مكانة مرموقة من العرب، وكان أبرز القرارات التي أسفرت عنها الاجتماعات الرد على تقرير لجنة التحقيق الانجلو اميركية، والتوصية بتأليف هيئة فلسطينية عربية عليا تعتمدها الجامعة في الشؤون الفلسطينية ثم اتخذ قراراً بمفاوضة الحكومة البريطانية لحل قضية فلسطين، وفي حال فشل المفاوضات تعرض قضية فلسطين على الأمم المتحدة، ولقد جاء هذا القرار الاخير تجاوباً مع بيان وزير خارجية بريطانيا مستر بيفن، الصادر في ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٥ الذي ادخل به الولايات المتحدة الأمريكية طرفاً في قضية فلسطين، بإعلانه تشكيل لجنة التحقيق الانجلو اميركية، وتأكيده أن الحكومة البريطانية ستضع مشروع حل، يستند على توصيات اللجنة المذكورة، وتعرضه على الأمم المتحدة للموافقة عليه، وأن هذا الحل سيتخذ شكل «وصاية دولية» تحت اشراف هيئة الأمم المتحدة!

والواقع أن النتائج التي أسفر عنها اجتماع بلودان لم تكن في مستوى الآمال التي علقت عليه، لقد كانت الحماسة لفلسطين تملأ صدور القوم، والرغبة شاملة في الاخذ بالوسائل الناجعة لإنقاذها من الاستعمار والصهيونية، ودعم الفلسطينيين بالمال

والسلاح، عن طريق تشكيل الهيئة العربية العليا لفلسطين التي تقرر تأليفها، لكن وصول البريغادير كلايتون مدير مخابرات الجيش البريطاني في الشرق الاوسط إلى بلودان، مصحوباً بالمستر برايانس مساعد مدير المخابرات البريطانية في فلسطين، قد اضعف تلك الحماسة التي كانت تتأجج في الصدور، وكان باعثاً على اتخاذ القرار الخاص بمفاوضة الحكومة البريطانية، تجاوباً مع بيان مستر بيفن، وقضى كلايتون وزميله برايانس اياماً في بلودان، كانت لهما خلالها جولات في الفندق الذي عقدت فيه الاجتماعات.

* * *

لما قررت الحكومة البريطانية تشكيل لجنة التحقيق الانجلو اميركية، بدا لها أن الحاجة تدعو إلى تعاون الفلسطينيين معها، تسهيلاً لها على أداء مهمتها، وحاولت أن تقيم الدليل على ذلك بإطلاق سراح بعض المعتقلين من الفلسطينيين.

وقد بحثت الأحزاب الفلسطينية موضوع التعاون مع اللجنة المذكورة، لكنها لم تتفق على رأي موحد، فرأى فريق من الفلسطينيين التعاون مع اللجنة، وعارض في ذلك فريق آخر، واستمعت اللجنة إلى بيانات الذين تقدموا اليها من الفريق الأول. ثم غادرت فلسطين.

وعلى أثر ذلك نشأ خلاف بين أعضاء اللجنة العربية العليا أدى إلى انسحاب بعضهم وتأليفهم «الجبهة العربية العليا».

فلما اشتد الخلاف بين الفريقين، وكنت حينئذٍ في باريس، خشيت أن يؤدي الخلاف إلى إضعاف الموقف الفلسطيني بوجه عام، وأن يصيب القضية الفلسطينية بضرر بالغ ويؤدي إلى زيادة تعنت السلطات البريطانية والأمريكية واستهانتهما بالشعب الفلسطيني وقضيته، فوجهت رسائل إلى عدد من زعماء الأحزاب ورجال الحركة الوطنية في فلسطين دعوتهم فيها إلى التعاضد والتعاون ونبذ الخلاف للتمكن من مجابهة الخصوم والأعداء، وكان لتلك الرسائل أثر ملحوظ في تخفيف حدة الخلاف والانشقاق الداخلي، لكن قيام كل من اللجنة العربية العليا والجبهة العربية العليا في فلسطين استمر إلى أن انعقد مجلس الجامعة في بلودان وقرر تأليف الهيئة العربية العليا لفلسطين، وبذلك زال الخلاف وتوحدت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية.

* * *

قضيت في قصر أنشاص تسعة عشر يوماً، ثم انتقلت يوم الاثنين التاسع من شعبان (٨ تموز ١٩٤٦) بقطار ديزل خاص بالملك فاروق إلى قصر (المعمورة) خارج مدينة الاسكندرية، في جوار سراي المنتزه المقر الصيفي للملك. و(المعمورة) تحيط بها أرض فسيحة مسورة تصلها بسراي المنتزه. وبعد عصر اليوم التالي زارني الملك ترافقه الحاشية، إلا انه لم يشرك احداً منهم في مجلسنا، وكان بادي السرور، عظيم اللطف، واستهل الحديث مرحباً ومطمئناً إياي بأن الأمور انتهت على ما يرام، وانني ساكون حراً في مقابلاتي وفي السكن حيث أريد، ثم نصح بالحيطة وضرورة الحراسة، وتناول الحديث، الذي كنت سجلت أهم نقاطه في مفكرتي الخاصة يومئذٍ، شؤون مصر وفلسطين وقضايا العالمين العربي والاسلامي، ووجدت الفرصة سانحة للتحدث عما يحيق بالعرب والمسلمين من خطر الدول الاستعمارية واليهودية العالمية، وأن لا نجاة لهم إلا بالاتحاد والتعاون والتمسك بالقيم الروحية والخلقية عملاً بالآية الشريفة: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ واكدت على ضرورة العمل على استنهاض الهمم وبعث الحيوية في النفوس، وعدم التبعية لأية سلطة أجنبية أو تكتل دولي خارجي.

ثم تحدثت عما لمصر من منزلة في نفوس العرب والمسلمين، وأن مقامي بمصر لن يكون فيه أي احراج للسلطات المصرية، وتناول حديثي قضية فلسطين وضرورة رعايتها والاهتمام لها، والعمل على حماية القدس والمسجد الأقصى من المطامع اليهودية، واتبعت ذلك بالتحذير من الخطر اليهودي على مصر نفسها، مشيراً إلى ما تقترفه العصابات الصهيونية من الجرائم، كاغتيال اللورد موين في القاهرة، ونسف فندق الملك داوود في القدس، ومؤكداً على ضرورة التشدد في مقاطعة اليهود، والى تواطؤ بريطانيا وأمريكا مع اليهودية العالمية على تهويد فلسطين وابادة الشعب الفلسطيني أو تشتيت شمله، ثم أشرت إلى البرقية التي كنت أرسلتها إلى الملوك والرؤساء في مؤتمر أنشاص بما تقضي به الضرورة والمصلحة من مقاومة مشروع تقسيم فلسطين الذي اجمعت الأقطار العربية على رفضه ومقاومته.

وفي نهاية الحديث كررت الشكر للملك على كريم عنايته وضيافته، واستأذنت في الانتقال إلى مسكن خاص.

استمرت المقابلة خمساً وسبعين دقيقة، كان الملك خلالها منشرحاً للحديث وقال لي في نهايتها: «انا فرحان بيك أي بك وأريد أن استفيد من تجاربك».

وقبل أن أنتقل من المعمورة إلى منزل خاص برمل الاسكندرية، دعاني الملك إلى تناول طعام الغداء في قصر المنتزه، يوم الجمعة ٢٧ شعبان (٢٦ تموز)، فلما وصلت القصر وقابلني الملك سار بيّ إلى مكتبه الخاص، ثم فتح أحد الأدراج، واطلعني على كتاب من السفير البريطاني إلى رئيس الوزراء، جاء فيه إنه اطلع في جريدة المقطم على خبر يشير إلى انني استقبلت نائب رئيس الحزب العربي الفلسطيني وامين سر الحزب، وقد أرفق السفير قصاصة الجريدة بالكتاب، محتجاً على متابعة نشاطي السياسي الذي من شأنه إثارة المتاعب للحكومة البريطانية في فلسطين!

وعقب الملك على ذلك بقوله: لا تهتموا لذلك، ثم توجهنا إلى غرفة الطعام، وكان معنا على المائدة بعض كبار المصريين وحاشية الملك.

امتدت اقامتي بالمعمورة عشرين يوماً زارني خلالها عدد من الأصدقاء من مصر وفلسطين، كان في مقدمتهم المرحوم محمد علي علوبة باشا، وعبد الرحمن عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية، والمرحوم توفيق صالح الحسيني نائب رئيس الحزب العربي الفلسطيني، وامين سر الحزب الأستاذ اميل الغوري، والمرحوم الشيخ حسن أبو السعود الذي عاد أخيراً من منفاه في جزيرة سيشل، وكذلك الدكتور معروف الدواليبي، والمرحوم عدنان الأتاسي وزير سورية المفوض في باريس حينئذٍ، والأستاذ محمد اسحق درويش الذي ظل في باريس بضعة اسابيع بعد خروجي من فرنسا، وقد وصل الثلاثة بالباخرة من فرنسا إلى الاسكندرية يوم ٢٠ تموز، ثم أخذت وفود فلسطين تصل القاهرة تباعاً ومنها إلى الاسكندرية.

وفي يوم السبت ١٣ تموز زارني رئيس الوزراء اسماعيل صدقي باشا مرحباً ومسلماً ومطمئناً، وأبدى أطيب الشعور والعواطف، وطلب مني أن أتصل به بالهاتف عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، فيأتي اليّ سريعاً، فقابلت ذلك شاكراً، ثم بعد بضعة أيام رددت له الزيارة في مقره بدار رئاسة الوزارة في بولكلي، وتناول الحديث في الزيارتين الوضع الحاضر في فلسطين ومصر، وكان صدقي باشا يولي شؤون الأمن العام عناية واهتماماً كبيرين، لحرصه على نجاح المفاوضات المصرية البريطانية، التي كان يتولاها مع الوفد البريطاني برئاسة اللورد ستانسجيت، وكانت الدسائس البريطانية واليهودية تنسج حولي شباكاً من اكاذيب الدعاية في الصحف والاذاعات، وتنشر ما من شأنه أن يوهم السلطات المصرية ان وجودي في مصر يثير المشاكل ويهدد الأمن العام. فاكدت لرئيس الوزراء اننا حريصون كل الحرص على أن لا نسبب أي ازعاج لمصر، وأن القضية المصرية في نظرنا واعتبارنا ذات أهمية عظمى، وأن كثيراً من مراسلي

الصحف الاستعمارية والصهيونية يختلقون الأخبار لتشويه السمعة وإحداث البلبلة، وضربت له بعض الامثلة، ثم قلت له إنني في فرنسا كنت حراً في إقامتي وانتقالي، وأنه لا حق للإنكليز في محاولتهم أن يمنعوني من التمتع بحريتي وممارسة حقوقي المدنية، وهم لم يمنعوا زعماء اليهود من ذلك، وتركوهم أحراراً يتصرفون كما يشاءون، رغم ما اقترفوا من جرائم واعمال ارهابية فظيعة، أنه لا ينبغي التسليم للإنكليز بما يطلبون، ما دمنا نعمل في حدود العرف والقانون والنظام.

كان صدقي باشا من أكفأ رجال مصر في التجارة والاقتصاد والسياسة، وكان حريصاً على إرضاء الإنكليز، على امل الوصول إلى نجاح في مفاوضات الجلاء، يخلد له ذكراً في تاريخ مصر السياسي، وكانت تنقصه «الشعبية» التي تدعم مركز الزعيم المفاوض، كما كان حريصاً على استرضاء الملك فاروق، الذي كلفه بتشكيل الوزارة خلفاً لمصطفى النحاس باشا زعيم الاغلبية المصرية، ومن حيث أن الملك هو الذي اتخذ موقفاً شجعني على القدوم إلى مصر، ودعم وجودي فيها بقوة، فقد حاول صدقي باشا ان يقف موقفاً وسطاً بين الجهتين ويوفق بين الرغبتين.

انتقلت إلى منزل في رمل الاسكندرية واتخذت فيه مكتبا للعمل، ولم أشعر أن ثمة قيوداً عليَّ أو على أحد من إخواني العاملين، الذين اتصلنا بهم وشرعنا في العمل معهم، وجعل إخواننا يفدون علينا من فلسطين والأقطار العربية الأخرى.

وكان ممن وفد علينا في تلك الآونة في الاسكندرية الامير شكيب ارسلان، عائداً من سويسرة إلى وطنه لبنان، بعد غياب طويل في أوروبا، وكنت على اتصال به خلال المدة التي قضيتها في أوروبا متعاونين على العمل لخير امتنا، وكان الامير شكيب من أفذاذ الأمة العربية واعلامها، فما كرثت العرب كارثة ولا نابت المسلمين نائبة إلا جلجل صوته في الدفاع، وانبرى بقلمه يقرع الاسماع، مرشداً ومنبهاً وناصحاً ومحذراً، ومتصدياً للحملات الظالمة التي كانت تشنها الاقلام الحاقدة في الغرب والشرق، وقد خالفه أناس في بعض آرائه السياسية ومواقفه من دولة الخلافة الإسلامية والثورة العربية، لكن الأيام والكوارث الاليمة الدامية التي حاقت بالعرب والمسلمين، بعد الحرب العالمية الاولى، لم تلبث أن برهنت على سداد رأيه وصدق نصيحته، وفي ذلك يقول رحمه الله:

سيعلمُ قومي أنني لا اغشُهم ومهما استطالَ الليلُ فالصبحُ واصلهُ

لقد عرفت الفقيد الكبير شكيباً معرفة وثيقة في أوروبا وفلسطين، وتبادلنا كثيراً من

الرسائل في الشؤون العامة وكانت لنا مساع مشتركة في السياسة العربية والاسلامية. من جملتها اشتراكنا في الوفد الإسلامي إلى المملكة العربية السعودية واليمن للوساطة في الصلح بينهما عام ١٩٣٤، فكانت صحبة ظفرت بها ورفقة انست بها، وكنت بعدها اردد قول شوقي في صديقه شكيب:

صَحِبْتُ شكيباً برهةً لم يفزْ بها ... سواي، على ان الصحابَ كثيرُ

حَرِصْتُ عليها آنةً ثم آنةٍ ... كما ضنَّ بالماسِ الكريمُ خبيرُ

فلما تساقينا الودادَ وتم لي ... ودادُ على كلِّ الودادِ أميرُ

تفرقَ جسمي في البلادِ وجسمُهُ ... ولم يتفرقْ خاطرُ وضميرُ

لكن زيارة الأمير شكيب لي في الاسكندرية كانت قصيرة الأمد، إذ لم يلبث ان توجه إلى لبنان ليستقر في وطنه وبلده الذي ابعدته عنه عوادي الدهر، وما كنت ادري ان تلك الزيارة القصيرة العابرة ستكون آخر العهد به، إذ لم يلبث إلا شهوراً قلائل ثم وافته المنية، وفجع به العالمان العربي والاسلامي، وها قد انقضى نحو ربع قرن على وفاته دون أن يبرز في الأمة العربية من يملأ الفراغ الكبير الذي احدثه فقده، ويسد الثغرة الواسعة التي تركها من بعده.

معاودة النشاط:

انتهت الحرب العالمية الثانية، وخرجت بريطانيا وأميركا منتصرتين من تلك الحرب الضروس، وكان الوجود البريطاني قوياً في البلاد العربية، فلم يكن أحد يجرؤ على معارضة السياسة البريطانية، فضلاً عن تحديها، وكثير من العرب كانوا يعتزون بالصداقة البريطانية ويلوذون بحماها، ولعل الفضل في الاجتراء على الظلم البريطاني والتنديد به والتشهير بسياسة بريطانيا المعادية للعرب يعود في الدرجة الاولى إلى قضية فلسطين والشعب الفلسطيني، ورفضه الخضوع للظلم الفادح الذي اقترفته بريطانيا في الأرض المقدسة.

ففي الأسابيع الاولى من اقامتي بالاسكندرية شعرت أن بعض أصدقائي الاقدمين، قد تخلفوا عن زيارتي، وأن الذي تسلح منهم بالشجاعة جاءني زائراً سراً، وفي الليل، وكان من هؤلاء المرحوم تحسين العسكري وزير العراق المفوض في مصر عندئذٍ، ولم تكن تنقصه الشجاعة، لكن سياسة حكومته في ذلك الحين هي التي قضت عليه بذلك.

وعلى ذكر المرحوم تحسين العسكري، أذكر هنا أن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية كانت قد عهدت إليه بمهمة السعي لتسهيل عودة المبعدين والمشردين العرب، الذين ظلوا في مختلف البلاد الأوربية بعد انتهاء الحرب، وساءت حالهم لانقطاع مواردهم وعدم استطاعتهم العودة إلى بلادهم، وخصصت مبلغاً من المال لهذه الغاية، فتقبل المرحوم العسكري هذه المهمة، وقام بخدمة مشكورة في هذا المجال، وتمكن من إعادة عدد كبير من أولئك المبعدين والمشردين إلى الأقطار العربية.

شرعنا في وضع خطة للعمل تبدأ بدعوة الهيئة العربية العليا لفلسطين للاجتماع، وبدعم موقف الشعب الفلسطيني في مقاومته للسياسة البريطانية والوجود الصهيوني في فلسطين، وشرعت المخابرات البريطانية من ناحيتها في التجسس علينا ونصب شباكها حولنا، فأخذ مراسلوا الصحف الإنكليزية وغيرها، من عملاء الإنكليز والصهيونيين، يفدون علينا أو يتصلون بنا للحصول على أحاديث وتصريحات، لا يلبثون أن يشوهوها ليختلقوا علينا الاكاذيب، وكان معظم مراسلي الصحف الإنكليزية والأمريكية والفرنسية وما زالوا من اليهود يخدمون القضية الصهيونية ويعادون قضية فلسطين والقضايا العربية.

وكان من جواسيس الإنكليز ورجال مخابراتهم المشهورين مستر «دونفل» الذي عرفناه من قبل مديراً لقسم مخابرات الجيش البريطاني في فلسطين، ثم انتقل إلى العراق للتجسس على العراقيين والفلسطينيين، وكان دونفل يتخذ له عدة مساكن في البلد الواحد، مبالغة منه في الدهاء والاختفاء، ثم جاء إلى القاهرة عندما كنت فيها، ووسط بعض معارفي لزيارتي في منزلي بحلمية الزيتون، فلما انتقلت إلى ضاحية مصر الجديدة اختارها دونفل سكناً له، وفي احدى زياراته لي حاول ان يقنعني بالعودة إلى فلسطين، والإنكليز ما زالوا فيها.. وكان دونفل يزعم أن الحكومة البريطانية اعفته من الخدمة، وانه لا يملك شيئاً من حطام الدنيا، ويتظاهر بالفقر ويسكن غرفة وضيعة على سطح إحدى العمارات، ليدلل بذلك على قلة ماله وسوء حاله، ويتردد على المقهى الذي يرتاده الفلسطينيون بمصر الجديدة، فيختلط بهم ويتحدث اليهم، وعرفت فيما بعد انه كان ذا صلة بمخابرات القوات المسلحة المصرية! ومن طرائف دونفل في العراق، عندما كنت ببغداد، ان الحكومة العراقية أرسلت وفداً رسمياً إلى المملكة العربية السعودية للبحث في شؤون تهم الدولتين، وسافر الوفد من بغداد في طائرة يقودها طيارون إنكليز، واندس في غرفة القيادة مع الطيارين، كأنه واحد منهم، خلال رحلة الوفد ذهاباً واياباً، وكان دونفل يحسن الحديث باللغة العربية...

وكانت القاهرة في الحرب العالمية الثانية، وبعدها بسنوات، مركز المخابرات البريطانية في الشرق الاوسط، وكان «مكتب الصحافة» لصاحبته (سنية قراعة) يقوم في شارع سليمان باشا، وحدث في الشهور الاولى من وصولي مصر أن زعمت صاحبة هذا المكتب ان أحد موظفيها عثر، وهو في طريقه إلى دار السفارة السوفياتية بالقاهرة، على كتاب ملقى على الأرض، فالتقطه فوجده رسالة موجهة مني إلى السفارة تدل على وجود علاقات واتصالات لي بالاتحاد السوفياتي..

فاتصلت السيدة قراعة بالميرالاي (هجرس) وهو ضابط مخابرات مصري، ومن عملاء الإنكليز في وزارة الداخلية المصرية، واطلعته على الكتاب، وكان وكيل وزارة الداخلية رفعت باشا من أكبر عملاء المخابرات البريطانية في مصر. فجرى التحقيق في امر الكتاب المزعوم، وثبت للفنيين من المحققين تزوير الكتاب، لوجود اختلاف في التوقيع، ولان طريقة العثور على الكتاب كانت غير مقنعة، إذ لا يعقل أن كتاباً كهذا يكون عرضة للسقوط والتقاط المارة له كما ادعى أولئك المبطلون، لكن المهم في الأمر ان وكيل الوزارة رفعت باشا، المعروف بأنه من اعوان الإنكليز الذين ينفذون أوامرهم وتعليماتهم، اكد صحة التوقيع والكتاب، وقال انه يقرر ذلك على مسؤوليته.. إلا أن الجهات المصرية العليا لم تأخذ باقواله، وامرت بمراقبة مكتب الصحافة المذكور ومنزل صاحبته، لمعرفة الجهات التي تتصل بها والذين تتعامل معهم.

إن الله يمهل ولا يهمل، إذ لم يلبث رفعت باشا طويلاً حتى ثبتت خيانته لوطنه مصر، فقد ثبت أنه سلم الإنكليز اوراقاً مهمة سرية كانت الدولة المصرية تحرص على سريتها، وكان ذلك في عهد حكومة محمود فهمي النقراشي باشا، فاقيل رفعت من وظيفته، وما كان الله ليصلح عمل المفسدين.

وكانت هذه احدى الوسائل العديدة التي توسلت بها المخابرات البريطانية وعملاؤها لافساد علاقتنا بمصر وعدم تمكيننا من القيام بواجباتنا الوطنية في ذلك الحين، ونحن في حاجة ماسّة إلى مجال واسع للعمل في مصر والأقطار العربية.

لما جئت مصر هذه المرة كان المرحوم مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري خارج الحكم. وقد فاتني عندما تحدثت فيما سبق من هذه المذكرات عن وضع مسلمي يوغوسلافيا، وما أصيبوا به من محنة رهيبة قاسية على ايدي العصابات الصربية التي كان يقودها الجنرال ميخائيلوفيتش أن أنوّه بموقف جليل لمصطفى النحاس باشا في مساعدتهم وتخفيف كارثتهم التي فقدوا فيها مئتي ألف قتيل. وبيان ذلك أن ملك

يوغوسلافيا بطرس الثاني كان لا جئاً إلى مصر في ذلك الحين، بحكم علاقاته الودية مع بريطانيا وحلفائها في الحرب، وكذلك كان عدد غير قليل من رعاياه اليوغوسلافيين لاجئين اليها، فلما سافرت من برلين إلى بلاد البوسنة، وسعيت جاهداً لدى السلطات الالمانية لتخفيف كارثتهم وتمكينهم من الدفاع عن انفسهم، كتبت رسالة إلى النحاس باشا، وصفت له فيها حالهم على حقيقتها، والتمست منه أن يعمل ما في وسعه لمساعدتهم، وأن يحدث الملك بطرس في شأنهم، لأن مخائيلوفيتش كان من اتباعه، وأرسلت الرسالة إلى النحاس باشا بواسطة القنصلية المصرية في استانبول، فأثارت الرسالة حماسة الرئيس المصري وشعوره الانساني، وتوجه من فوره فزار الملك بطرس وحدثه في الأمر، ثم هدد بإخراج جميع الرعايا اليوغوسلافيين من مصر إذا لم يستجب الملك ويعمل على وقف المذابح في مسلمي يوغوسلافيا، وكان لذلك الموقف الحازم اثره الحاسم في نفس الملك بطرس ووقف تلك المذابح المروعة.

ولم يكتف النحاس باشا بذلك العمل الجليل، إذ حمل الحكومة المصرية على التبرع بخمسة وعشرين ألف جنيه مصري والهلال الأحمر المصري بخمسة وعشرين الفاً أخرى، وأرسل الخمسين الفا إلى الصليب الأحمر لتوزيعها على منكوبي المسلمين في يوغوسلافيا، وقام الصليب الأحمر مشكوراً بهذه المهمة الانسانية.

وقد تلقيت من النحاس باشا جواباً على رسالتي، مشتملاً على ما اتخذه من اجراءات في هذا الشأن.

أما الموقف الثاني لمصطفى النحاس الذي تمثلت فيه الرجولة والشهامة، مما تجب الاشادة به، فقد كان خاصاً بإخواننا الفلسطينيين الذين استقروا في تركيا خلال الحرب، ولم يسلموا من اذى السلطات البريطانية التي أخذت تضغط على الحكومة التركية لحملها على ارهاقهم وتسليمهم اليها أو اخراجهم من بلادها، ومارست الحكومة التركية حينئذٍ هذا الضغط فعلاً، حتى ضاق إخواننا ذرعاً، وقد حملني ذلك على الكتابة في شأنهم إلى النحاس باشا، وكان رئيساً للحكومة المصرية، فبادر رحمه الله بالاتصال بالأستاذ كامل عبد الرحيم سفير مصر في انقره في شأنهم، وكلفه إبلاغ الحكومة التركية أن مصر لا ترضى لها هذا الموقف الذي تقفه من الوطنيين الفلسطينيين، وأنها إذا ظلت مصرة عليه فان مصر على استعداد لقبولهم في بلادها على الرحب والسعة، ومعاملتهم المعاملة اللائقة الكريمة التي هم اهل لها، وقد بادر السفير بابلاغ رغبة النحاس باشا إلى الحكومة التركية التي خشيت ان يسيء موقفها هذا إلى سمعتها في الخارج، فرفعت الضغط عن أولئك الإخوان وعادت إلى معاملتهم بالحسنى.

وعلى أثر ذلك تلقيت عن طريق القنصلية المصرية في استانبول جواباً من النحاس باشا على كتابي أبلغني فيه نتيجة مسعاه الشريف الذي جاء برهاناً آخر على شرف نفسه وصدق وطنيته.

وقائع القضية الفلسطينية:

قبل المضي في تتبع وقائع القضية الفلسطينية بعد وصولي مصر عام ١٩٤٦، أرى من المفيد أن أجمُل أهم ما حدث في فلسطين من أحداث قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية ثم خلال سني الحرب التي قضيتها في أوروبا.

لقد تركت ثورة فلسطين المجيدة التي نشبت استنكاراً لسياسة بريطانيا الظالمة ومشروع تقسيم فلسطين، واستمرت زهاء ثلاث سنوات من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ وما قام به الشعب الفلسطيني، وفي طليعته المجاهدون الأبرار، من أعمال بطولية خارقة، أثراً عظيماً في العالم، وقد ظهرت آثار تلك الثورة المجيدة واضحة في السياسة البريطانية والغرب عامة كما ظهرت باشد من ذلك في العالمين العربي والاسلامي.

ففي مصر تألفت لجنة برلمانية من الشيوخ والنواب على اختلاف أحزابهم، للدفاع عن قضية فلسطين، ووقع مئة وسبعون منهم على عريضة باستنكار سياسة بريطانيا الظالمة في فلسطين والانتصار للشعب الفلسطيني في جهاده الكبير. وعلى أثر ذلك دعا محمد علي علوبة باشا إلى عقد مؤتمر برلماني في القاهرة صيف عام ١٩٣٨ شهده عدد كبير من الشيوخ والنواب من مصر وسورية ولبنان والعراق، ووفود من فلسطين والمغرب ومسلمي الهند ومسلمي البوسنة، واتخذ قرارات بتأييد ميثاق الشعب الفلسطيني واستنكار سياسة بريطانية بتقسيم فلسطين، وأرسل المؤتمر وفداً برئاسة علوبة باشا إلى لندن للدفاع عن قضية فلسطين والدعاية لها.

وفي سورية انعقد مؤتمر عربي عام في بلودان في ٨ ايلول ١٩٣٧ بمساعي اللجنة العربية العليا لفلسطين ولجنة الدفاع عن فلسطين في دمشق حضرته وفود من سورية ولبنان وفلسطين ومصر والعراق بأكثر من أربعمائة مدعو واختير لرئاسته ناجي باشا السويدي (العراق) ولنيابة الرئاسة محمد علي علوبة باشا (مصر) والامير شكيب ارسلان (لبنان) والمطران حريكة (سورية) ولامانة السر العامة الأستاذ محمد عزة دروزة (فلسطين).

وقامت جماعات الإخوان المسلمين في مصر وسورية وعلماء الأزهر وطلابه

بمظاهرات عديدة دعماً لكفاح الشعب الفلسطيني، وظهر نشاط في الأقطار العربية ولاسيما السعودية والعراق ومصر وسورية ولبنان وشرق الأردن دعماً لجهاد شعب فلسطين. وابدى المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود اهتماماً كبيراً لقضية فلسطين وقام باتصالات عديدة بالحكومة البريطانية في شأنها مستنكراً سياسة التقسيم والتهويد ومطالباً باقرار حقوق الشعب الفلسطيني في وطنه. وهب علماء نجد مطالبين بحماية فلسطين والمسجد الأقصى المبارك، وفي الهند عقد المسلمون بزعامة العصبة الإسلامية وجمعية الخلافة اجتماعات عديدة وقاموا بمظاهرات عظيمة أعلنوا فيها تأييدهم لجهاد شعب فلسطين واستنكارهم لسياسة بريطانيا الجائرة.

ولهذه المناسبة أرسل مسلمو الهند وفداً خاصاً إلى لندن لدعم قضية فلسطين على رأسه اثنان من المشاهير هما شودري خليق الزمان وعبد الرحمن صديقي فقام الوفد بمساع واتصالات مفيدة في الاوساط البريطانية والاسلامية.

واثار مندوبو مصر والعراق وإيران وأفغانستان قضية فلسطين بقوة في مجلس عصبة الأمم ولجنة الانتدابات في جنيف مؤيدين حق العرب في فلسطين ومنددين بسياسة التقسيم التي تفكر بريطانيا في تنفيذها ومطالبين بإلغاء وعد بلفور والاعتراف باستقلال فلسطين، وكان مؤيدي العرب في العصبة ايرلندة والبانيا وفرنسا، وكان من آثار اشتداد ثورة فلسطين عام ١٩٣٨ ان قدم عشرون نائباً في البرلمان البريطاني اقتراحاً إلى الحكومة بوقف الهجرة اليهودية وقفاً تاماً إلى ان تحل قضية فلسطين حلاً ملائماً.

وأذاع وزير المستعمرات بياناً عن تعيين لجنة فنية لدرس إمكانات التقسيم وقال ان الحكومة البريطانية لم ترتبط بمشروع معين.

وأذاعت اللجنة العربية العليا بياناً ردت فيه على بيان وزير المستعمرات وكذلك فعل قواد المجاهدين الذين أذاعوا بياناً مماثلاً.

فلما وصلت اللجنة الفنية إلى فلسطين صيف عام ١٩٣٨ لم يتقدم اليها أحد من العرب ببيانات. أما اليهود فتقدموا إلى اللجنة مطالبين بتوسيع القسم اليهودي الذي نص عليه التقسيم وأن يضاف إليه صحراء النقب وسهول بيسان والاحياء اليهودية في القدس، وطالب المتطرفون منهم بدولة يهودية تشمل فلسطين كلها، وطالب آخرون بأن يدخل شرق الأردن في الدولة اليهودية.

وقدمت حكومة شرق الأردن مشروعاً إلى اللجنة يشتمل على دولة موحدة تضم شرق الأردن وفلسطين ويكون فيها لليهود استقلال ذاتي في المناطق اليهودية والحق

بهجرة محددة. وقدمت اللجنة الفنية بعد عودتها تقريراً إلى الحكومة البريطانية اشتمل على دراسة موسعة واشار إلى الصعوبات العديدة التي تقوم في وجه أي مشروع من مشاريع التقسيم.

وعلى أثر ذلك أصدرت الحكومة البريطانية بياناً أعلنت فيه عدولها عن مشروع التقسيم وأنها ستبحث عن حل آخر يمكنها من الوفاء بالتزاماتها نحو كل من العرب واليهود! وقالت انها تعتزم دعوة الحكومات العربية وممثلي كل من العرب واليهود في فلسطين إلى مؤتمر في لندن للوصول إلى حل ملائم.

وكان إعلان الحكومة البريطانية عدولها عن التقسيم نصراً عظيماً للشعب الفلسطيني في جهاده واعترافاً بفوز الثورة بتحقيق أحد أهدافها وهو القضاء على التقسيم، وكذلك حقق الجهاد الفلسطيني هدفاً آخر من أهدافه هو ان تصبح قضية فلسطين قضية عربية واسلامية عامة. وخلال ذلك قام وزير المستعمرات مالكولم ماكدونالد بزيارة سرية لفلسطين درس فيها الحال عن كثب مع السلطات البريطانية، ولما عاد إلى لندن القى خطاباً عن رحلته ومما جاء فيه قوله «إن فلسطين هي اصعب بلد في العالم»، وبعد أن أشار إلى متاعب المندوب السامي والقائد العام قال «إن القضاء على الثورة ليس أمراً سهلاً وأن مركز بريطانيا صعب لما عليها من الالتزامات المزدوجة للعرب واليهود». ثم القى بياناً في مجلس العموم طلب فيه من الأعضاء عدم الاندفاع وراء العاطفة وألا يتجاهلوا الأمر الواقع في فلسطين، وأشار إلى رفض العرب لوعد بلفور وصك الانتداب منذ البداية واعترف بأن ما يحدث في فلسطين الآن هو ثورة منظمة واسعة النطاق وأن الدافع لها وطنية صادقة، وأن الشعب البريطاني لو كان في مكان الشعب الفلسطيني لضحى بكل ما يستطيع في سبيل حريته المهددة. وأخيراً أشار الوزير إلى أن الحكومة البريطانية تعتزم إجراء محادثات مع العرب واليهود، كل فريق على حدة، ثم تجمع بينهما للتوفيق ان امكنها ذلك والا عمدت إلى الحل الذي تراه مناسباً...

كانت الثورة الفلسطينية عندئذ في اوج قوتها واندفاعها حتى أن أحد زعماء اليهود «سيملانسكي» وصف حالة اليهود بأنها «حالة الخوف من الموت» وقال ان ثلاثة أحزاب يهودية في فلسطين طالبت بوقف الهجرة بسبب العطل عن العمل والازمة الخانقة وخوف المهاجرين من القدوم إلى فلسطين، حتى أن ألفي شهادة هجرة منحتها السلطة لأصحاب رؤوس الأموال من اليهود لم تجد قبولاً من أحد منهم...

ولم تستطع الوكالة اليهودية ان تدفع مرتبات معلمي المدارس فاضربوا عن التدريس، ودعا مجلس الحاخاميين اليهود إلى الصلاة «لأن سفينة إسرائيل تضطرب وتكاد تغرق في بحر عاصف». وقررت اللجنة التنفيذية الصهيونية إرسال وفد إلى لندن برئاسة وايزمن «لإنقاذ سفينة إسرائيل من الغرق».

والقى وايزمن قبل سفره خطاباً قال فيه ان هذه الساعة هي أخطر ساعة في تاريخ الحركة الصهيونية، ثم وجه وايزمن نداء من أحدى المستعمرات اليهودية، إلى يهود أمريكا لشد إزر الحركة الصهيونية وحمايتها.

وحصل اليهود بواسطة الوكالة اليهودية من الحكومة البريطانية في فلسطين على كميات كبيرة من السلاح للدفاع عن المستعمرات وكان لهم نحو ثمانية آلاف خفير لحماية مستعمراتهم عدا حماية الجيش البريطاني وقوات الشرطة لهم. ودعت جمعية المكابيين شبان اليهود للتجند للدفاع عن المستعمرات التي تهددها الثورة الفلسطينية.

وفي ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨ أعلنت الحكومة البريطانية عدولها عن مشروع التقسيم ووجهت دعوة إلى الحكومات العربية لبحث قضية فلسطين والوصول إلى حل لها فدعت مصر والسعودية والعراق واليمن وشرق الأردن (ولم توجه الدعوة إلى سورية ولبنان لأن الحكومة الفرنسية ابدت تحفظاً على دعوتهما). وكانت مسألة تمثيل الشعب الفلسطيني موضع أخذ ورد. وحاولت الحكومة البريطانية كعادتها ان يكون لها الرأي النافذ في اختيار ممثلي فلسطين وأن تتجاهل اللجنة العربية العليا لكنها أخفقت في ذلك واشترطت اللجنة لقبول الدعوة ان يكون للفلسطينيين الحق في اختيار ممثليهم وأن يطلق سراح الزعماء الفلسطينيين المعتقلين في سيشل، وأن لا يجتمع العرب مع اليهود في المؤتمر ولا تكون بين الفريقين اية صلة. وعلى هذا الأساس تم إطلاق سراح المعتقلين وكانوا السادة: أحمد حلمي عبد الباقي، وحسين فخري الخالدي، ويعقوب الغصين، ورشيد الحاج ابراهيم وفؤاد سابا ونقلتهم الحكومة البريطانية بباخرة خاصة إلى مصر.

وتدخل الإنكليز لدى عدة عواصم عربية لاستبعادي شخصياً من حضور المؤتمر. والواقع إنني لم أكن ارغب في الاشتراك شخصيا في المؤتمر.

إن قوة الثورة الفلسطينية التي أثارت اهتمام العالم كله عندئذٍ، واضطرت الحكومة البريطانية إلى التراجع، وقد ضاعفت اهتمام الدول العربية وعنايتها بقضية فلسطين فكان الوفد السعودي إلى مؤتمر لندن برئاسة الامير فيصل، والوفد المصري برئاسة

الامير عبد المنعم، والوفد العراقي برئاسة نوري السعيد، والوفد اليمني برئاسة الامير الحسين، والوفد الأردني برئاسة توفيق ابي الهدى، وكان من أعضاء الوفود رجال مشاهير مثل علي ماهر وتوفيق السويدي وعبد الرحمن عزام، وكان وفد اللجنة العربية مؤلفاً من جمال الحسيني وامين التميمي وجورج انطونيوس وعوني عبد الهادي وموسى العلمي والفرد روك. ووافقت اللجنة العربية على أن يشترك عضوان من حزب الدفاع في الوفد الفلسطيني هما راغب النشاشيبي ويعقوب فراج.

وفي أواخر كانون الثاني عام ١٩٣٩ انعقد المؤتمر في قصر سان جيمس وافتتحه رئيس الوزارة تشمبرلن، وعقد المؤتمر عدة جلسات لكنها لم تؤد إلى نتيجة لمراوغة الإنكليز من جهة ولتعنت اليهود من جهة أخرى، وأخيراً قبل المفاوضون الإنكليز وجهة النظر العربية بالموافقة على انهاء الانتداب وقيام دولة مستقلة لكنهم لم يعينوا مبدأ فترة الانتقال ولا مدتها، ثم وافقوا على جعل المدة عشر سنين قابلة للتجديد مشترطين موافقة اليهود عليها، واصر الإنكليز على ذلك فانفض المؤتمر دون نتيجة، وقبل عودة الوفود تلا عليهم الوفد البريطاني الخطة التي ستسير عليها الحكومة البريطانية وطلب منهم أن يرضوا بها ولو أنها ستصدر من الطرف البريطاني وحده.

وتتلخص الخطة البريطانية فيما يلي:

١ ـ تأسيس حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط بمعاهدة تضمن لبريطانيا مصالحها العسكرية والتجارية.

٢ ـ تضع جمعية تأسيسية فلسطينية، منتخبة أو معينة، دستوراً لدولة يضمن حرية زيارة الاماكن المقدسة وحماية الطوائف وفقاً لتعهدات بريطانيا للعرب واليهود، ومركزاً خاصاً للوطن القومي اليهودي في فلسطين، ويضمن المصالح الدولية التي تعتبر بريطانيا نفسها مسؤولة عنها..

٣ ـ فترة انتقال تسبق تأسيس الحكومة الفلسطينية تكون الدولة المنتدبة (بريطانيا) خلالها مسؤولة عن الحكم.

٤ ـ بعد عودة النظام واستتباب الأمن تتخذ اجراءات على مرحلتين لأضافة عدد من الفلسطينيين (أي العرب واليهود) إلى المجلس الاستشاري، وعدد آخر إلى المجلس التنفيذي مع بقاء المندوب السامي متمتعاً ببعض السلطات.

٥ ـ لا يمكن تحديد مراحل التطور الدستوري خلال فترة الانتقال ولا تحديد

نهاية هذه المدة لأنها تتوقف على نجاح التطورات الدستورية وتعاون اهل فلسطين (أي العرب واليهود)، ولا تتخلى بريطانيا عن مسؤوليتها في الحكم إلا بعد اطمئنانها إلى أن حسن اندماج الطوائف سيجعل قيام حكومة صالحة أمراً ممكناً.

٦ ـ تستمر الهجرة اليهودية خلال خمس سنوات حتى يبلغ اليهود ثلث السكان، وتصبح الهجرة بعد ذلك خاضعة لقرار الهيئات الدستورية خلال فترة الانتقال أو بالتشاور بين الحكومة البريطانية وممثلي العرب واليهود.

ولما لم يكن ممكناً قبول هذه الخطة فقد ادخل بعض مندوبي الدول العربية تعديلات عليها كان أهمها أن تؤسس حكومة فلسطينية مستقلة بوزراء فلسطينيين عندما تهدأ الاضطرابات، وأن تتولى جمعية فلسطينية منتخبة وضع دستور فلسطين، وأن تنتهي مسؤولية بريطانيا وتصبح فلسطين مستقلة استقلالاً كاملاً خلال عشر سنين، وإذا تعذر ذلك لأسباب خارقة يعقد مؤتمر بريطاني فلسطيني ـ عربي للنظر في الأمر.

وأما الهجرة اليهودية فتستمر بمعدلها الحالي وهو اثنا عشر الفاً في السنة مدة خمس سنين ثم تقف نهائياً إلا بموافقة العرب.

لكن الوزارة البريطانية اجرت تعديلات على هذه المقترحات وكانت الوفود العربية قد غادرت لندن فأرسلتها وزارة المستعمرات إلى مصر حيث تولى بحثها وفود الدول العربية ولما رأوا فيها مخالفة لما تم عليه اتفاقهم مع وزارة المستعمرات أجروا تعديلاً على بعض بنودها وبعد استشارة الوفد الفلسطيني أرسلت المقترحات والتعديلات إلى اللجنة العربية العليا لفلسطين في لبنان للنظر فيها وكنت عندئذٍ لم أزل في لبنان ولم أنتقل إلى بغداد فكان الرأي أنه لا بد من تعديل هذه المقترحات وأرسلت اللجنة عندئذٍ وفداً إلى القاهرة يحمل رأيها ومقترحاتها، فتداولت الوفود العربية ووضعت على أساسها صيغة جديدة أبلغتها الحكومة البريطانية.

غير أن الحكومة البريطانية لم تأخذ بالصيغة العربية الجديدة وأصدرت خطتها السياسية الجديدة في كتاب ابيض في ٧ أيار ١٩٣٩ قالت انها وضعته على ضوء محادثات مؤتمر لندن، فلما اطلعت اللجنة العربية العليا على الكتاب الأبيض أعلنت رفضها لهذه الخطة السياسية لأنها لا تحقق مطالب الشعب الفلسطيني ولا تختلف عن مقترحات لندن التي رفضها وفد فلسطين والوفود العربية بل تنقص عنها.

وعندما اطلع محمد محمود باشا رئيس الوزارة المصرية على الكتاب الأبيض سارع

بإصدار تصريح أعلن فيه انه لا يستطيع ان ينصح الشعب الفلسطيني بقبوله. وكذلك كان موقف الحكومتين السعودية والعراقية.

وأصدرت اللجنة العربية العليا بياناً رصيناً وجامعاً بالرد على كافة البنود التي اشتمل عليها الكتاب الأبيض وهي الخاصة بصك الانتداب والتزامات بريطانيا المزعومة، وبالاستقلال والدستور وفترة الانتقال، وبالحكم الذاتي والسلطة التشريعية، وبما ادعته بريطانيا من مسؤوليتها عن حماية الوضع الخاص للوطن القومي اليهودي فكان مما اشتمل عليه رد اللجنة على هذا الادعاء البريطاني قولها: «إن الشعب العربي لا يعترف بالوطن القومي اليهودي ويعتبره عدواناً صريحاً مستنداً إلى القوة على اقدس حقوقه، وإن الوطن القومي كان دائماً علة العلل والسبب الأساسي في كل ما عانته فلسطين طيلة عشرين عاماً من كوارث وثورات ودماء وخراب عام، وأكّدت اللجنة أنه لن توجد في فلسطين يد عربية ترضى أن تسجل في صلب الدستور أو المعاهدة قيام وطن قومي لليهود فيها...»

وتناول رد اللجنة العربية ما قررت الحكومة البريطانية من رغبة في استمرار الهجرة اليهودية بزعم ان وقف الهجرة في الحال يلحق الضرر بنظام فلسطين المالي والاقتصادي وبمصالح العرب واليهود (كذا)! وبحجة المساهمة في حل مشكلة اليهود العالمية (كذا) وطالبت اللجنة العربية بإصرار في ختام ردها، بمنع انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود منعاً باتاً ونهائياً.

هذه خلاصة الأسباب التي استندت اليها اللجنة العربية العليا في رفضها الكتاب الأبيض وكانت برفضها هذا تعبر عن الرأي العام الفلسطيني والعربي بصورة عامة، ويظهر مما تقدم بيانه أن الحكومة البريطانية علقت انهاء الانتداب وتأسيس الدولة الفلسطينية على رضاء اليهود ورغبتهم في الاندماج في هذه الدولة، ولكن اليهود لم يبدوا شيئاً من الرغبة في الاندماج بل عارضوه بقوة، واتخذت معارضتهم هذه أشكالاً وصوراً متعددة من الاحتجاج والاستنكار وتأليب الرأي العام الاوروبي والاميركي إلى الثورة المسلحة على الحكم البريطاني في فلسطين.

وفي هذا المجال نورد ما ذكرته الوفود العربية من أن الإنكليز اعتذروا من عدم قبولهم وجهة نظر العرب بما وقع عليهم من ضغط الرئيس الاميركي روزفلت، استجابة لرغبة اليهود، واضطرارهم إلى مسايرته للظروف الدولية الدقيقة حينئذٍ، وهذه الحجة ظل الإنكليز يدفعون بها عن غدرهم ونكثهم بعهودهم منذ نشوء المشكلة الصهيونية

وابتلائهم الشعب الفلسطيني بها، وكانت الحكومة البريطانية قد أعلنت انها ستشرع في تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض عندما تهدأ الحال في فلسطين، وقد هدأت الحال فعلاً بعد نشوب الحرب العالمية ولكن التنفيذ لم يحدث، وظل باب الهجرة اليهودية مفتوحاً على مصراعيه سواء في ذلك الهجرة التي سماها الإنكليز (مشروعة) والهجرة غير المشروعة لليهود المهربين الذين كان عددهم باعتراف السلطات البريطانية لا يقل عن عدد المهاجرين الذين كانوا يسمونهم «الشرعيين». وظل الإنكليز يسيرون على سياسة المراوغة والتخدير بضع سنوات مغتنمين فرصة الحرب العالمية الثانية التي جاءت مؤاتية لهم إلى أن نقضوا الكتاب الأبيض نقضاً كاملاً عام ١٩٤٦ باستجابتهم لطلب ترومان إدخال مئة ألف يهودي دفعة واحدة إلى فلسطين وبعودتهم إلى مشروع التقسيم مرة ثانية عن طريق ايفاد لجان تحقيق جديدة إلى فلسطين لتكون مبرراً لسياستهم الجديدة القديمة، وضربتهم القاصمة التي وجهوها إلى الشعب العربي الفلسطيني، بل إلى الأمة العربية والعالم الإسلامي أيضاً، بنقلهم القضية الفلسطينية إلى ميدان الأمم المتحدة.

اليهود ونشاطهم العسكري والسياسي:

رفض اليهود السياسة التي انطوى عليها الكتاب الأبيض البريطاني لأنها لا تحقق مطامعهم فهم يريدون هجرة يهودية واسعة النطاق، مطلقة غير مقيدة ولا محدودة، وأن تطلق لهم الحرية في الاستيلاء على الأراضي العربية، الاميرية والخاصة، وهم لا يريدون حكماً مشتركاً بينهم وبين العرب يكونون فيه أقلية. أنهم يريدون ان تكون فلسطين كلها لهم، وبتعبير آخر ان تكون فلسطين يهودية كما هي إنكلترة إنكليزية كما عبر عن ذلك زعيمهم وايزمن، بل هم يريدون (إسرائيل الكبرى) من النيل إلى الفرات، ولذلك ثاروا على سياسة الكتاب الأبيض البريطاني واخذوا يولون وجوههم شطر الولايات المتحدة الأمريكية لتكون عوناً لهم على بريطانيا مع أن بريطانيا لم تكن في يوم من الأيام موالية للشعب الفلسطيني، ولا للشعوب العربية والإسلامية. ولكنها كانت تسير مع العرب على سياسة المداورة والمراوغة ضماناً لمصالحها الاقتصادية والعسكرية في العالمين العربي والإسلامي، ولأنها بما لها من سابق الخبرة في الطرق والوسائل الاستعمارية، والسياسة العالمية كانت موقنة ان الحرب العالمية الثانية آتية وانها ستضطر إلى خوض غمارها، فلا غنى لها عن مداهنة العرب والمسلمين ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

لكن زعماء الصهيونية الذين وطنوا انفسهم على خدمة قضيتهم الباطلة التي لا

سند لها من حق ولا أساس من منطق، استطاعوا بمساعيهم الحثيثة المتواصلة أن يستنفروا المنظمات والمؤسسات اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية ويجندوا كل عناصرهم العاملة فيها للتأثير على الاميركيين لدعمهم وتأييدهم في الضغط على بريطانيا لإحباط مؤتمر لندن، ونقض الكتاب الأبيض، وفتح ابواب فلسطين لهجرة يهودية واسعة النطاق، فلما وقعت الحرب العالمية الثانية واتخذت المانيا سياستها المناوئة لليهود، انتهز زعماء الصهيونية هذه الفرصة لحمل الكونغرس الأمريكي على اتخاذ قرار بإنشاء دولة يهودية في فلسطين وإطلاق الهجرة اليهودية إليها، وكادوا ينجحون في مساعيهم لولا تريث بعض رجال الدولة ولاسيما العسكريين منهم لئلا يترك ذلك أثراً سيئاً في الأقطار العربية التي كان أكثر حكوماتها سائراً في ركب الحلفاء.. وظل الزعماء الصهيونيون يوالون مساعيهم في أمريكا وفي بريطانيا وفرنسا وكل الدول والمؤسسات والهيئات والجمعيات التي لهم فيها وجود أو عليها تأثير مستغلين العطف على اليهود من الاضطهاد النازي حتى حققوا نتائج عظيمة، واستطاعوا حمل بريطانيا على نقض الكتاب الأبيض بل على الإنجراف في التيار الصهيوني انجرافاً كان له أسوأ الأثر على القضية الفلسطينية.

توسل اليهود لبلوغ غايتهم وتحقيق مطامعهم بوسائل شتى، فاغتنموا فرصة نشوب الحرب العالمية الثانية لتقوية انفسهم، وتعزيز اسلحتهم، ومضاعفة قواتهم العسكرية، وتحصين مدنهم ومستعمراتهم، وحملوا الدولة البريطانية على تحصين فلسطين في وجه قوات دول المحور، ومن ذلك إنشاء خط ايدن وغيره من التحصينات العسكرية القوية، وجندت السلطات العسكرية البريطانية خلال الحرب الوفاً من شبان اليهود في الجيش البريطاني فدربتهم وسلحتهم واشركتهم في بعض العمليات الحربية، واستخدمت عدداً كبيراً غيرهم في مصانع الجيش البريطاني وثكناته ومستودعاته وفي الوظائف الفنية والرئيسية، واعتمدت بعض المصانع اليهودية لانتاج الذخائر والمتفجرات وغيرها من اللوازم العسكرية، وبلغ عدد الذين دربهم الإنكليز وجندوهم في الجيش البريطاني ثلاثة وثلاثين الفا (كما جاء في التقويم اليهودي السنوي «هاشانا» لعام ١٩٤٣ - ١٩٤٤)، وهذا الرقم لا يشمل عدد المجندين منهم في قوات الشرطة والدفاع السلبي ولا (الهاغانا) وهي قوة الدفاع اليهودي، ونقل اليهود بمساعدة الإنكليز كميات عظيمة من مختلف الإسلحة إلى فلسطين ووزعوها على مستعمراتهم ومنظماتهم العسكرية والارهابية.

وفي عام ١٩٤٣ طلب الزعماء الصهيونيون من السلطات البريطانية تأليف (فيلق

يهودي) والحاقه بالجيش البريطاني كوحدة مستقلة، فاستجاب لهم تشرشل الذي كان رئيس الوزارة عنئذٍ، إلا أن المرشال ويفل قائد القوات البريطانية في مصر والشرق الاوسط عارض هذا الطلب لكيلا يثير العرب. لكن تشرشل أصرّ على تأليف الفيلق وجعلته القيادة البريطانية جزءاً من الجيش البريطاني في حملته على إيطاليا عام ١٩٤٤، وبعد انتهاء الحرب عاد افراد الفيلق اليهودي إلى فلسطين ومعهم اسلحتهم الخفيفة.

وقد أورد تشرشل قصة هذا الفيلق في مذكراته عن الحرب العالمية الثانية فقال: «وقد نصحني ويفل بعدم تشكيل ذلك الفيلق خوفاً من إثارة شعور العرب، لكني تحديت ويفل وكتبت إلى الدكتور وايزمن بالسماح بتشكيل الفيلق، ولم ينبح كلب عربي واحد....»!

وقبل ان تنتهي الحرب كان اليهود قد أتموا تنظيم قواتهم وتسليحها فارادوا اغتنام الفرصة لتهويد فلسطين واقامة دولتهم فيها خشية قيام حركة عربية عامة بعد الحرب تحول دون استجابة بريطانيا وأمريكا لهم وتحقيقهما لرغباتهم، وخوفاً من ان يفقدوا بمرور الزمن عطف العالم الغربي عليهم، وهو ما حصلوا عليه بدعايتهم الواسعة عن اضطهاد المانيا النازية لليهود.

لهذه الأسباب والاعتبارات شرعت المنظمات اليهودية الارهابية في اقتراف جرائم واسعة النطاق ضد السلطات البريطانية والشعب العربي في فلسطين في آن واحد وقامت عصابتا «أرجون زفاي لئومي» و «شترن» ومن ورائهما قوة الدفاع اليهودية المعروفة بالهاغانا، باعمال اجرامية ارهابية في منتهى القسوة والفظاعة من نسف الدوائر الحكومية والفنادق ودور المؤسسات والشركات والمصالح العامة وبعض الجسور والمحطات والمخافر والقاء المتفجرات من الغام وقنابل في الاسواق والمجتمعات مما ذهب ضحيته عدد كبير من العرب وقليل من الأجانب، وكانوا بذلك يقصدون بلوغ غايتين: الأولى استعجال السلطات البريطانية لتستجيب لرغائبهم وتحقق مطالبهم، والأخرى ارهاب الفلسطينيين وحملهم على النزوح من فلسطين والتخلي عن أراضيهم وممتلكاتهم فيأخذها اليهود غنيمة باردة.

وكان من ضحاياهم اللورد موين الوزير البريطاني في الشرق الادنى، وهذا منصب استحدثه الإنكليز في زمن الحرب وجعلوا مركزه القاهرة، وبعض الضباط والجنود الإنكليز في فلسطين، وحاولوا اغتيال المندوب السامي البريطاني السر هارولد

ماكمايكل بكمين اعدوه له في طريق القدس ـ يافا فنجا المندوب وقتل سائقه وحارسه وجرحت زوجته، وحاولا أيضاً اغتيال الجنرال باركر القائد العام البريطاني في فلسطين، لكنهم أخفقوا في ذلك، أما ضحاياهم من العرب فكانوا مئات من القتلى والوفاً من الجرحى، وقد ثبت أن «للوكالة اليهودية» ذات الصفة الرسمية في تمثيل اليهود في فلسطين، وللهاغانا وهي قوة الدفاع اليهودية يداً اثيمة في تلك الجرائم، وقد كانتا تتظاهران بالحياد وأن لا صلة لهما بالأعمال الارهابية، حتى اضطرت السلطات البريطانية في فلسطين أن تقتحم دار الوكالة اليهودية في القدس وتعتقل بعض زعمائها وتفتش مكاتبها وتصادر منها وثائق ومستندات تدين زعماء اليهود وتثبت صلتهم بأعمال النسف والتدمير والارهاب، وأن الهاغانا وعصابة البالماخ[1] التابعة لها تعملان تحت اشراف الوكالة اليهودية وأن عصابة شترن تعمل متعاونة مع الهاغانا.

واعترف رئيس الوزارة البريطانية مستر (اتلي) في بيان رسمي أثر تفتيش دار الوكالة اليهودية بأن الثورة اليهودية مدبرة ومخطط لها وأن الوكالة رفضت أن تستنكر أعمال الارهاب، وأضاف ان الهيئة العسكرية اليهودية التي تدير أعمال الارهاب تضم سبعين ألفاً من الهاغانا وخمسة آلاف من البالماخ وخمسة آلاف أو ستة من الارغون، ولم يذكر عدد عصابة شترن لكن المعلومات تدل على أنهم يتراوحون بين ألف وألفين.

وقد سبق للسلطات البريطانية أن استقدمت إلى فلسطين الجنرال وينغيت الخبير البريطاني في حرب العصابات الذي كان يقود القوات البريطانية في بورما والملايو ـ استقدمته لتدريب قوات الهاغانا على حرب العصابات وطرق مقاومة الفلسطينيين إذا ما حاولوا استئناف حرب العصابات ضد القوات البريطانية.

وكان شبان اليهود يهربون السلاح بالاتفاق مع الجنود البريطانيين، ونذكر مثلاً على ذلك حادث تهريب قامت به عصابة «سركين»[2] وبعض الجنود البريطانيين لكمية كبيرة من السلاح هي ألف بندقية ورشاشة ومئات الألوف من الطلقات، وكانت نتيجة المحاكمة العسكرية الصورية التي قدموا اليها، الحكم ببراءة سركين وعصابته، ونقل الجنود البريطانيين المشتركين في الجرم إلى بريطانيا، وإقالة النائب العام العسكري

(١) البالماخ: وتعني (جند العاصفة) وهي القوة الضاربة لعصابات الهاغانا، تأسست عام ١٩٤٢ وقيادتها حتى الوكالة اليهودية.

(٢) عصابة سركين: نسبة إلى نحمن سركين (١٨٦٨ ـ ١٩٢٤) وهي عصابة صهيونية ذات نزعة اشتراكية (صهيونية عمالية) تؤمن بتصفية يهود المنفى واستيطان فلسطين.

لأنه اجترأ على اتهام الوكالة اليهودية وزعماء اليهود بأن لهم صلة باعمال التهريب والاشراف عليها!

ومثلاً آخر: فقد كتب الارهابي السفاح مناحم بيغن زعيم عصابة الارغون في مذكراته التي نشرها عام ١٩٥١ ان منظمته نقلت حمولة عشرين عربة من عربات السكك الحديدية من الأسلحة والذخائر والمتفجرات التي اودعها الجنود البريطانيون في مستعمرة (باردس حنا) اليهودية على طريق حيفا.

وسبق هذه الاحداث، ما يماثلها من أعمال تهريب السلاح سراً وجهرة كحادث تهريب المسدسات البلجيكية الكبيرة في براميل الاسمنت من بلجيكا إلى ميناء يافا باسم الزعيم الصهيوني ديزنكوف رئيس بلدية تل ابيب وغيرها من الشحنات وهي لا تكاد تحصى، وكانت السلطات البريطانية في فلسطين تتغاضى عنها، أما الأسلحة التي كانت السلطات تقدمها لليهود في المدن والمستعمرات بحجة الدفاع عن النفس فلا سبيل إلى حصرها..

أما نواة التشكيلات العسكرية اليهودية في فلسطين فهي (جمعية المحاربين القدماء) من اليهود المسرحين من جيش الجنرال اللنبي الذين سمحت لهم الادارة العسكرية البريطانية بالبقاء بفلسطين والاحتفاظ باسلحتهم، كما سمحت للشبان اليهود بتشكيل كتائب ظاهرها رياضي وكشفي وثقافي واجتماعي وباطنها عسكري من مثل منظمات المكابي، وترامبلدور والطلائع وغيرها.

شرع اليهود في اعمالهم الارهابية من مطلع عام ١٩٤٤ إلى ما بعد منتصف عام ١٩٤٧ فاسقطوا هيبة بريطانيا ودمروا ممتلكاتها في فلسطين وكثيراً من دوائر حكومتها، وشنقوا افراداً من جنودها وجلدوا عدداً من ضباطها وقتلوا كثيراً من كبار موظفيها والحقوا بها أشد الإهانات دون أن يلقوا على جرائمهم هذه عقاباً مذكوراً، وكانت جرائمهم هذه تقابل بتسامح وتغاض لا نظير لهما، وكان الذين يتصدون لمقاومة هذه الجرائم هم رجال الشرطة، أما قوات الجيش البريطاني فلم يسمح لها قط بقمع الثورة مع انها كانت قادرة على ذلك خلال اربع وعشرين ساعة كما جاء في تقرير رفعه المندوب السامي البريطاني إلى مرجعه الأعلى في لندن.

وعند مقارنة موقف السلطات البريطانية من ثورة العرب في فلسطين وموقفها من ثورة اليهود يتضح الفرق العظيم بين معاملتها لهؤلاء وأولئك. فإن اغتيال مستر اندروز حاكم لواء الجليل من قبل بعض المجاهدين العرب عام ١٩٣٧ حمل السلطات

البريطانية على حل المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى وعزل رئيسه وحل اللجنة العربية العليا ونفي اعضائها إلى سيشل والغاء اللجان القومية في المدن الفلسطينية وزج مئات من الرجال والشبان والقضاة والعلماء في المعتقلات والسجون بتهمة المسؤولية عن الثورة والارهاب، ومع أن العرب في ثورتهم لم يدمروا ممتلكات الحكومة ولا دوائرها الرسمية (باستثناء القاطرات والسكك الحديدية لقطع مواصلات الجيش) وأن ثورتهم كانت شريفة وقاصرة على مقاتلة العسكريين دون المدنيين، فانهم كانوا عرضة لأشد العذاب والنكال كنسف مدنهم وقراهم واتلاف مؤونتهم ونهب أموالهم وفرض الغرامات الباهظة عليهم وغير ذلك مما لا سبيل إلى وصفه من الأعمال المتناهية في القسوة والظلم، هذا عدا مئة وثمانية واربعين مجاهداً اعدموا شنقاً وكانت احكام الاعدام تصدر على العرب وتنفذ لاتفه الأسباب حتى الذي توجد معه أو في منزله رصاصة (فشكة) واحدة أو ظرف فارغ كان يحكم بالإعدام وينفذ فيه الحكم.. أما القتلى والجرحى من المجاهدين والمدنيين رجالاً ونساءً وأطفالاً فقد بلغوا عشرات الالوف.

ونأتي إلى تلخيص نشاط اليهود السياسي والاعلامي خلال أيام الحرب واستجابة بريطانيا وأمريكا لهم وما كان من نقض بريطانيا لسياستها المرسومة في الكتاب الأبيض:

ففي عام ١٩٤١ عرض الزعيم الصهيوني وايزمن على بريطانيا مساعدة رؤوس الأموال اليهودية لها وتعاون اليهودية العالمية معها لكسب الحرب مشترطاً موافقتها على إطلاق ايدي اليهود في فلسطين وشرق الأردن ومناطق لبنان الجنوبية بما فيها نهر الليطاني.

غير أن ظروف الحرب عندئذٍ لم تكن في صالح بريطانيا فلم تستطع اتخاذ إجراء من هذا القبيل.

وشرع اليهود من أجل دعم فكرة اقامة الدولة اليهودية يقيمون التظاهرات ويعقد زعماؤهم ومنظماتهم الاجتماعات والمؤتمرات، وأعلن بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية، في كانون الثاني ١٩٤٢، ان اليهود لا يمكنهم أن يتخلوا عن شبر من أرض فلسطين حتى قمم الجبال واعماق البحر، وأعلن بعد ذلك ان الصهيونية قد رسمت خطتها وسياستها على أساس ان فلسطين يجب ان تصبح دولة يهودية..

ثم في كانون الأول ١٩٤٢ عقد زعماء اليهود مؤتمراً في القدس أعلنوا فيه رفضهم لمشروع التقسيم وطالبوا بدولة يهودية في فلسطين.

وقام يهود أمريكا وبريطانيا باعمال مماثلة وعقدوا اجتماعات ومؤتمرات عدة كان أهمها مؤتمرهم العالمي الاستثنائي في فندق بلتيمور بنيويورك في أيار ١٩٤٢ الذي قرروا فيه جعل فلسطين دولة يهودية وإخراج العرب منها.. ثم مؤتمرهم العالمي في لندن في كانون الثاني ١٩٤٥..

وفي ٣ تشرين الثاني ١٩٤٣ قدمت اكثرية أعضاء مجلس الشيوخ الاميركي و ١٨١ عضواً من النواب مذكرة إلى الرئيس الاميركي بالعطف على اليهود وأن الغاية من تصريح بلفور هي إنشاء دولة لليهود في فلسطين (كومنولث).

وفي صيف عام ١٩٤٤ ولمناسبة انتخابات رئاسة الجمهورية عقد مؤتمر للحزب الجمهوري ومؤتمر اخر للحزب الديمقراطي لتعيين مرشح للرئاسة، فأيد كل من المؤتمرين جعل فلسطين دولة يهودية.

ووجه الرئيس روزفلت رسائل إلى زعماء اليهود في أمريكا خولهم فيها أن يعلنوا تأييده لقرار جعل فلسطين دولة يهودية، وأن حكومته لم توافق على سياسة الكتاب الأبيض البريطاني، ولما أعيد انتخاب روزفلت رئيساً عام ١٩٤٥ اكد تعهده لليهود بمساعدتهم على إنشاء دولة يهودية في فلسطين..

وفي آذار ١٩٤٤ قدمت مذكرة من بعض أعضاء مجلس الشيوخ إلى لجنة الشؤون الخارجية بمشروع قرار لالغاء الكتاب الأبيض البريطاني وإنشاء دولة يهودية في فلسطين، لكن هذه المذكرة حفظت مؤقتاً بناء على طلب جورج مارشال وزير الخارجية ورئيس أركان حرب الجيش الاميركي لاعتبارات عسكرية خوفاً من إثارة العرب وانعكاس ذلك على الموقف العسكري، فلما تغير مجرى الحرب لصالح الحلفاء أرسل جورج مارشال رسالة إلى واغنر زعيم الاكثرية في مجلس الشيوخ قال فيها إنه يؤيد الاقتراح الوارد في المذكرة نظراً لزوال الاعتبارات العسكرية التي حملته فيما مضى على معارضة بحثها!.

وفي عام ١٩٤٥ اشتدت دعاية اليهود في أمريكا بواسطة الصحف والاذاعات وشركات الأنباء لمشروع الدولة اليهودية وعقد خمسة آلاف قسيس بروتستانتي في أمريكا مؤتمراً قدموا على أثره مذكرة إلى المراجع العليا الأمريكية يطالبون فيها بفتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية.

وطالبت اكثرية كبرى من مجالس الولايات المتحدة الأمريكية بإنشاء الدولة اليهودية وفتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية حرة.

وفي بريطانيا قررت اللجنة التنفيذية لحزب العمال البريطاني ان تتبنى سياسة قيام دولة يهودية في فلسطين وتوسيع حدودها لتتسع لأكبر عدد من اليهود وترحيل العرب من فلسطين!

وفي المؤتمر الذي عقده حزب الاحرار البريطاني قرر أن يتبنى سياسة الغاء الكتاب الأبيض وإطلاق الهجرة اليهودية الواسعة إلى فلسطين.

فلما انتهت الحرب بانتصار الحلفاء اشتد نشاط اليهود السياسي في بريطانيا وأمريكا، مع استمرارهم على ثورتهم المسلحة في فلسطين. وقدم وايزمن مذكرة إلى مؤتمر سان فرنسيسكو طالب فيها بأن يكون أي حل لمشكلة فلسطين منطبقاً على وعد بلفور وحق اليهود المكتسب في وطنهم القومي وقيام دولة يهودية في فلسطين (كومنولث)، وما يقتضيه ذلك من رفع القيود عن الهجرة اليهودية وبيوع الأراضي.

واغتنم اليهود فرصة موت روزفلت وحلول ترومان محله وحاجته إلى تأييدهم فضغطوا عليه بشدة فلم يكن منه إلا الاستجابة لمطالبهم باندفاع غريب وسرعة أغرب إذ طلب من الحكومة البريطانية ادخال مئة ألف مهاجر يهودي دفعة اولى إلى فلسطين، وإعادة النظر في اوضاع القضية الفلسطينية وحلها بما يلائم أمن اليهود واستقرارهم، ولم يكن امام الحكومة البريطانية إلا الاستجابة لمطالب ترومان والاقدام على ارتكاب خيانة جديدة لعهودها ومواثيقها باقدامها على الغاء سياسة الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ الذي تعهدت بتنفيذها سواء رضي العرب واليهود أو لم يرضوا، ولكنها لم تقدم على تحقيق ذلك فوراً بل راوغت كعادتها واقترحت على ترومان تأليف لجنة تحقيق انجلو اميركية يؤخذ بتوصياتها وتبنى على أساسها سياسة جديدة يعمل بها لحل مشكلة فلسطين.

* * *

كانت الحكومتان البريطانية والأمريكية تجاملان العرب وتخادعانهم خلال أيام الحرب العالمية الثانية لاستبقائهم في صفوفهما وضمان ولائهم لهما. وكان المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود قد بعث بكتاب إلى الرئيس روزفلت بتاريخ ٧ شوال ١٣٥٧ (٢٩ نوفمبر ١٩٣٨) وجه نظره فيه إلى قضية فلسطين وحق العرب فيها وأن دعوى اليهود فيها باطلة ولا تقوم على أي أساس من حق وعدل. ومما جاء في الكتاب قوله:

«لقد ظهر لنا من البيان الذي نُشر عن موقف أمريكا، أن قضية فلسطين قد نُظر

إليها من وجهة نظر واحدة، هي وجهة نظر اليهود والصهيونية، واهملت وجهة نظر العرب. وقد رأينا من آثار الدعايات اليهودية الواسعة النطاق أن الشعب الأمريكي الديمقراطي قد ضلل تضليلاً عظيماً، أدى إلى اعتباره مناصرة اليهود على سحق العرب في فلسطين عملاً انسانياً، في حين ان مثل ذلك ظلم فاضح وجه على شعب آمن مستوطن في بلاده».

واوضح الكتاب فساد دعوى اليهود بحقهم التاريخي في فلسطين، وأن تصريح بلفور الذي يستندون إليه كان جورا وظلماً لبلاد آمنة مطمئنة، وقد أعطته حكومة لا تملك حق اعطائه وفرضه على فلسطين، وأن عرب فلسطين لم يؤخذ رأيهم فيه ولا في نظام الانتداب الذي فرض عليهم، وأن حقوق العرب في فلسطين لا تقبل المجادلة لأنها بلادهم من اقدم الازمنة وهي عربية عرقاً ولساناً وموقعاً وثقافة.

وجاء في نهاية الكتاب:

«.... إن عرب فلسطين، ومن ورائهم سائر العرب بل وسائر العالم الإسلامي يطالبون بحقهم ويدافعون عن بلادهم، ومن المستحيل اقرار السلام في فلسطين إذا لم ينل العرب حقوقهم، ويتأكدوا أن بلادهم لن تعطى لشعب غريب تختلف مبادئه واغراضه وأخلاقه عنهم كل الاختلاف»، ثم أهاب بالرئيس الاميركي وناشده باسم العدل والحرية أن يكون هو والشعب الاميركي نصراء للشعب العربي المعتدى عليه.

ثم تابع الملك عبد العزيز موقفه هذا في اتصالاته بالرئيس روزفلت كتابة ومشافهة، وفي اجتماعه به في فندق اوبرج الفيوم على شاطئ بحيرة قارون بمصر عام ١٩٤٥.

وقد أرسل روزفلت جواباً إلى الملك عبد العزيز مؤرخاً في الخامس من نيسان ١٩٤٥ جاء فيه ما يلي:

«تتذكرون جلالتكم انه في مناسبات سابقة أبلغتكم موقف الحكومة الأمريكية تجاه فلسطين واوضحت رغبتنا في ألا يتخذ قرار فيما يختص بالوضع الأساسي في تلك البلاد دون استشارة تامة مع كلا العرب واليهود. ولا شك في ان جلالتكم تذكرون أيضاً خلال محادثتنا الاخيرة أني اكدت لكم أني لن أتّخذ أي عمل، يبرهن على أنه عدائي للشعب العربي».

كان جواب روزفلت هذا دليلاً واضحاً على سياسة الخداع والتضليل التي تتبعها أمريكا نحو العرب، لأن روزفلت كما ذكرنا سابقاً تعهد لزعماء اليهود في أمريكا بتأييده لجعل فلسطين دولة يهودية، وقال لهم ان حكومته لم توافق على سياسة الكتاب

الأبيض البريطاني، ثم عاد روزفلت فاكد مرة ثانية تعهده هذا لليهود لما اعيد انتخابه للرئاسة عام ١٩٤٥.

ومما هو جدير بالذكر لهذه المناسبة أن روزفلت لما اجتمع بالملك عبد العزيز، في فندق اوبرج الفيوم بمصر، عرض عليه أن يسمح لليهود باستيطان المنطقة الواقعة في شمال الحجاز، والمشتملة على أراضي خيبر وبني قريظة وبني النضير وتيماء ووادي القرى، وأبلغه استعداد اليهود لدفع مبالغ عظيمة من المال لقاء ذلك، وكان طبيعياً أن يقابل هذا العرض المستغرب المستهجن بالرفض والاستنكار.

ولا يخفى أن اليهود يطمعون في منطقة شمال الحجاز، كما يطمعون في فلسطين، ويتطلعون إلى اليوم الذي يستطيعون فيه الاستيلاء عليها، بحجة أنهم كانوا يقطنونها قبل الإسلام، وأن المسلمين اخرجوهم منها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

وهكذا دلل روزفلت على نزعته الصهيونية وبطلان ما قاله من أنه لن يتخذ أي عمل عدائي للعرب.

وكذلك الحكومة البريطانية فانها لم تكن اقل خداعاً وتضليلاً، فلم يكد يحل صيف عام ١٩٤٥، وهو الموعد المحدد لوقف الهجرة اليهودية بعد خمس سنوات بموجب سياسة الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩، التي ارتبطت بها بريطانيا ارتباطاً رسمياً، حتى نقضت سياستها وسمحت باستمرار الهجرة اليهودية بمعدل ١٥٠٠ مهاجر كل شهر متذرعة إلى ذلك بطلب ترومان الذي خلف روزفلت بعد موته.

ثم اصدر وزير خارجية حكومة حزب العمال مستر بيفن بياناً في ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٥ جاء فيه:

«إن كل حل لمشكلة فلسطين يجب ان يأخذ بعين الاعتبار، ليس مسألة العدل والانسانية فحسب، بل الصداقة الدولية والسلام العالمي أيضاً، وأن القضية الفلسطينية هي على جانب عظيم من الأهمية، وقد أعطيت تعهدات مزدوجة لكل من العرب واليهود من بريطانيا وأمريكا، ولذلك فان الحكومة البريطانية قد دعت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لتأليف لجنة تحقيق مشتركة لبحث المشكلة اليهودية الاوروبية، وإعادة النظر في القضية الفلسطينية...».

وأضاف بيفن في بيانه ان الحكومة البريطانية بعد أن تقدم لجنة التحقيق تواصيها، ستبحث مع ذوي العلاقة (العرب واليهود) في اتخاذ تدابير مؤقتة، ثم تضع مشروعاً لحل دائم وتعرضه على الأمم المتحدة، سواء رضي به ذوو العلاقة أو لم يرضوا، وأن هذا

الحل سيكون بصورة «وصاية دولية» تحت اشراف الأمم المتحدة...الخ».

يلاحظ أن بيان بيفن اشتمل على نقاط خطيرة اولها نقض سياسة الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩، والسماح من جديد بالهجرة اليهودية، وثانيها ادخال أمريكا طرفاً جديداً في قضية فلسطين، وثالثها أنها ستحيل قضية فلسطين على الأمم المتحدة، ورابعها أن الحل الذي سيفرض لقضية فلسطين سيكون بشكل وصاية دولية تحت اشراف الأمم المتحدة.

كانت جامعة الدول العربية عندئذٍ تعقد دورتها الثانية في أيلول ١٩٤٥ في القاهرة، فوضعت رداً على بيان بيفن، لكن الرد جاء ضعيفاً ومفعماً بالمجاملة وباطراء الحكومة البريطانية وتقدير الجامعة لها لحرصها على البر بتعهداتها، ولذلك قابله الفلسطينيون والرأي العام العربي بالاستياء والامتعاض.

وفيما يلي بعض ما جاء في رد الجامعة العربية:

«... إن المجلس يقدر للحكومة البريطانية حرصها على البر بتعهداتها المقطوعة في سنة ١٩٣٩، وأن تتشاور مع الدول العربية في شؤون فلسطين، لأن مصير فلسطين يمس مصالح هذه الدول العربية في الحاضر وفي المستقبل مساساً مباشراً،

«ويشعر المجلس من بيانكم بالمجهود الذي بذلتموه في تفهم المسألة الفلسطينية، بل والمسألة اليهودية، وأدراك نواحيها المتعددة، ويقدر لكم وضع الأمور في نصابها من جهة حقوق العرب الازلية والواقعية في فلسطين».

وبعد أن أشار الكتاب إلى ما ينويه الصهيونيون من الاستيلاء على فلسطين ليكونوا أكثرية فيها (والواقع أنهم يريدون فلسطين كلها كما أثبتت ذلك الوقائع فيما بعد)، والى رغبة بريطانية في استمرار الهجرة اليهودية خلافاً لما نص عليه الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩، قال انه لا يرى «مسوغاً» لهجرة يهودية جديدة إلا الضغط السياسي الصهيوني في بريطانيا وفي بلاد أخرى صديقة (أي أمريكا)..

وجاء في الكتاب ان «دول الجامعة العربية، التي تربطها مع بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية أحسن روابط الصداقة، لا ترى مبرراً لأن تبحث لجنة التحقيق مسألة الهجرة إلى فلسطين، لأنها كانت موضوع البحث في لجان سابقة وموضوع مؤتمرات ومناقشات في العالم كله».

وعقد الفلسطينيون مؤتمراً عاماً، بحثوا فيه الوضع الحاضر الناشئ عن بيان بيفن ثم قرروا معارضته، ووضعت اللجنة العربية العليا لفلسطين نتيجة ذلك المؤتمر بياناً حازماً

وقوياً بالرد على بيان مستر بيفن، ركزت فيه على رفض الهجرة اليهودية، وتمسكت بالمطالب الوطنية الأساسية لاستقلال فلسطين وإنهاء الانتداب.

وكان مما جاء في هذا البيان: «إن استمرار الهجرة اليهودية مجحف كل الاجحاف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني ومصالحه، وانه ينقض سياسة بريطانيا الرسمية التي تعهدت بها بعدم استئناف الهجرة اليهودية إلا بموافقة العرب، وأن العرب ما فتئوا يرفضون الهجرة اليهودية إلى بلادهم، وهم اليوم يؤكدون عدم موافقتهم على اية هجرة يهودية».

وشجب البيان إرسال لجنة التحقيق الانجلو اميركية، وقال إن فلسطين سئمت سياسة ايفاد لجان التحقيق، ولا تنظر بارتياح إلى إرسال لجنة جديدة، وأن الشعب العربي الفلسطيني «لايعترف لأي شعب غريب، ولا لأية دولة أجنبية، بأي حق في تقرير مصيره، ويرفض ان تكون مصالحه وحقوقه المشروعة ومطالبه العادلة موضوع بحث وتحقيق ومساومة دولية....».

وحدث في ذلك الحين أن الملك عبد العزيز آل سعود زار مصر، فاغتنم الفلسطينيون هذه الفرصة، وجاء وفد منهم لزيارته وعرض ظلامتهم عليه، وشكوا له غدر بريطانيا ونكثها بعهودها، فأكد لهم انه سيعمل كل ما في وسعه في سبيل فلسطين وبقائها عربية، وعلى أثر انتهاء الزيارة صدر بيان مشترك بنصرة فلسطين، وأن من حق اهلها وحق المسلمين والعرب ان تبقى عربية مستقلة.

لكن الحكومة البريطانية ركبت رأسها واستمرت في غيها، فأصدرت شهادات جديدة للمهاجرين اليهود، وعينت لجنة التحقيق المشتركة بالاتفاق مع أمريكا من إثني عشر عضواً من الدولتين بالتساوي، وباشرت اللجنة عملها في أمريكا بالاستماع إلى شهادات اليهود وبعض انصار العرب في أمريكا، ثم جاءت لندن فاستمعت إلى شهادات ممثلي الدول العربية في هيئة الأمم المتحدة التي كانت مجتمعة حينئذٍ في لندن، والى شهادات اليهود وانصارهم من الإنكليز وغيرهم، ثم زارت فلسطين فالأردن وتوجه فريق من اعضائها إلى سورية ولبنان والعراق والسعودية.

وكانت بيانات العرب وشهاداتهم قوية جداً في كل مكان زارته اللجنة في الشرق العربي، ولاسيما رؤساء الدول العربية التي استمعت اللجنة اقوالهم في جلسات خاصة، ولكن ما الفائدة من كل ذلك إذا كان القاضي هو الخصم والحكم؟

وأصدرت اللجنة تقريرها في ٢٠ نيسان ١٩٤٦ فجاء مقوضاً لسياسة الكتاب

الأبيض، ومنطوياً على كل ما فيه مصلحة لليهود، في التواصي العشر التي اشتمل عليها، وفي طليعتها إصدار مئة ألف شهادة هجرة لليهود في الحال، فدلت بذلك على انصياعها لرغبة الرئيس الأمريكي ترومان واليهود في مسألتي الهجرة ونقض سياسة الكتاب الأبيض، وفي مسألة الأراضي، حيث أوصت اللجنة برفع كل القيود التي تحول دون حصولهم عليها، وفي مسألة نظام الحكم أوصت اللجنة بأن لا تكون فلسطين دولة عربية ولا يهودية، بل تظل تحت وصاية دولية طويلة الامد، ريثما يزول النزاع بين العرب واليهود بمرور الزمن.

ابتهج ترومان والصهيونيون في أمريكا بتقرير اللجنة المشتركة، وأعلن ترومان أن اللجنة استجابت لرغبته فيما أوصت به، أما الحكومة البريطانية التي اقترحت على الحكومة الأمريكية تأليف لجنة التحقيق المشتركة، فقد أخذت تراوغ كعادتها عندما رأت عظم استياء العرب من تقرير اللجنة وشدة وقعه في العالم العربي، وقالت أنها لن تتحمل مسؤوليات تنفيذ توصيات اللجنة إلا بالاشتراك مع الحكومة الأمريكية.

وقد نشأ عن هياج الرأي العام العربي حدوث مشاورات بين ملوك العرب ورؤسائهم، أسفرت عن انعقاد مؤتمر أنشاص في ٢٨ و ٢٩ أيار ١٩٤٦ فبحث قضية فلسطين ثم بحثت قضايا عربية أخرى كقضية ليبيا وقضية جلاء القوات البريطانية عن مصر، واستكمال سيادتها واستقلالها وبعض القضايا الأخرى.

وبعد انتهاء المؤتمر صدر بيان عن مداولاته وقراراته، ومما جاء في البيان: «إن قضية فلسطين ليست قضية خاصة بعرب فلسطين وحدهم بل هي قضية العرب جميعاً، وأن فلسطين عربية يتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها». وأضاف البيان «إن الدول العربية لا توافق على أي هجرة جديدة، ويعتبرون ذلك نقضاً صريحاً للكتاب الأبيض، وأنهم يأملون ان لا يتم اتخاذ تدابير ماسة بحقوق عرب فلسطين من جانب بريطانيا وأمريكا، تفادياً لرد فعل ينشأ بسبب ذلك ويفضي إلى اضطرابات قد يكون لها أسوأ أثر في السلم العام...».

وتلا مؤتمر أنشاص اجتماع بلودان الذي أشرت إليه فيما سبق، ومن المفيد ايراد بعض التفاصيل عن ذلك الاجتماع الذي كان دورة استثنائية، عقدتها جامعة الدول العربية من ٤ ـ ٨ حزيران ١٩٤٦ لبحث قضية فلسطين، أثر صدور تقرير لجنة التحقيق الانجلو أمريكية الذي أثار سخطاً شديداً في العالمين العربي والاسلامي، من حيث تحيزه إلى اليهود بإباحة الهجرة إلى فلسطين، ونقض القوانين والانظمة التي تحدد انتقال

الأراضي العربية إلى اليهود، ووضع فلسطين تحت وصاية دولية، وما إلى ذلك من تواص هي في صالح اليهود والاستعمار الأجنبي.

وبدأ الاجتماع بداية حسنة، واظهرت الدول العربية حرصها على معالجة قضية فلسطين، بما يتناسب وخطورتها، وعقدت الأمة العربية آمالاً كباراً على ما ستتخذه الجامعة في اجتماعها هذا من مقررات حازمة - رادعة. واشترك في الدورة رؤساء بعض الحكومات ووزراء خارجيتها، ووفدت على بلودان أعداد كبيرة من كبار الزائرين من رسميين وشعبيين، وتلقى المؤتمر فيضاً من البرقيات طالب فيها مرسلوها باتخاذ قرارات حاسمة وعملية.

وتلي في احدى الجلسات بيان الملوك والرؤساء في مؤتمر أنشاص، وساد الاجتماع داخلاً وخارجاً جو من الحماسة والاندفاع، واتخذت قرارات كان بعضها سرياً، ومن القرارات العلنية إرسال مذكرتين إلى كل من بريطانيا وامريكا، من الجامعة العربية ومن كل من الدول العربية منفردة بنقد لجنة التحقيق وشجب تحيزها لليهود، وطلب المفاوضة مع بريطانيا توصلاً لحل مرض، وطلب تجريد اليهود من السلاح، وإنشاء مكاتب في الدول العربية لمقاطعة اليهود في كل نواحي الانتاج والمعاملات، ورفض التقسيم بكل صوره وأشكاله، وإنشاء لجان للدفاع عن فلسطين في جميع الدول العربية، وتأليف لجنة جديدة لتمثيل الفلسطينيين ومدها بالمساعدات التي تمكنها من القيام بشؤون القضية الفلسطينية.

وكانت الجامعة العربية قد انتدبت وفداً برئاسة السيد جميل مردم رئيس الدورة الثانية لمجلس الجامعة للسفر إلى فلسطين، وتسوية الخلاف الناشب حول بعض الشؤون السياسية، ومنها مسألة مقابلة لجنة التحقيق، إذ كان فريق يدعو إلى مقاطعتها وفريق يحبذ الاتصال بها، وقد أسفرت المساعي عن اختيار لجنة فلسطينية من بين أعضاء الأحزاب الفلسطينية الستة التي كانت ممثلة في اللجنة العربية العليا، قبل ان تحلها السلطات البريطانية، وتشرد أعضاءها، وتنفي عدداً منهم إلى سيشل، لكن هذه اللجنة لم تنسجم، ولم يلبث اعضاؤها ان تفرقوا إلى أحزابهم، ثم تطورت الحال إلى ان تألفت كتلتان سياسيتان: الاولى «اللجنة العربية العليا» والأخرى «الجبهة العربية العليا». واستمرت هذه الحال إلى حين انعقاد الدورة الاستثنائية لمجلس الجامعة في بلودان، حيث تم اندماج الكتلتين في كتلة واحدة باسم (الهيئة العربية العليا لفلسطين).

وفي هذه الدورة اتخذ مجلس الجامعة قراراً بمفاوضة الحكومة البريطانية لحل قضية

فلسطين، وفي حال فشل المفاوضة تعرض قضية فلسطين على الأمم المتحدة، وهكذا استجابت الجامعة العربية لقرار مستر بيفن في تأكيده أن الحكومة البريطانية ستضع مشروعاً لحل قضية فلسطين، يستند على توصيات لجنة التحقيق المشتركة، ثم تعرضه على الأمم المتحدة للموافقة عليه.

وكانت هذه الاستجابة نقطة تحول خطيرة في القضية الفلسطينية، لما نشأ عنها من دخول الولايات المتحدة الأمريكية طرفاً ثالثاً في قضية فلسطين، وما أسفر عنه ذلك من نجاح المؤامرة الانجلو اميركية الصهيونية بتقسيم فلسطين في قرار الجمعية العامة للامم المتحدة الصادر في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧.

القرار الذي اتخذته اللجنة العربية العليا لفلسطين برفض الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩

عقدت اللجنة العربية العليا جلسة بحثت فيها نص الكتاب الابيض الذي اصدرته الحكومة البريطانية متضمناً بيان سياستها الجديدة في فلسطين.

ولقد رأت اللجنة ان هذا البيان قد بني على المقترحات التي كانت قدمتها الحكومة البريطانية في مؤتمر لندن والتي كان الوفد العربي الفلسطيني وممثلو الحكومات العربية معاً قد رفضوها بالاجماع لانها لا تحقق مطالب العرب؛ بل رأت ان الحكومة البريطانية قد تراجعت في هذا البيان عن بعض نقاط هامة في تلك المقترحات المرفوضة.

ولهذا فان اللجنة لا تسارع الى القول بان موقفها من هذه الخطة السياسية هو نفس الموقف الذي وقفه مندوبو العرب في مؤتمر لندن. وستذيع قريباً بياناً تشرح ملاحظاتها والاسباب التي دعتها الى هذا الرفض بالتفصيل.

١٨/٥/٣٩

الرئيس

التواقيع من اليسار: محمد أمين (الحسيني) ـ فؤاد سابا ـ جمال الحسيني ـ الدكتور حسين الخالدي ـ محمد عزة (دروزة) ـ الفرد روك

أما القرارات السرية لمجلس الجامعة فلم تذع، وعرف فيما بعد أنها كانت تتناول حرج موقف الحكومات العربية امام شعوبها، وعدم استطاعتها منعهم من نصرة إخوأنهم الفلسطينيين بأموالهم وأنفسهم، وإبلاغ الحكومتين البريطانية والأمريكية ان قبلوهما تواصي لجنة التحقيق المشتركة واعتزامهما تنفيذها يسيء إلى علاقتهما بالدول العربية ويضطرها إلى تدابير لا مناص من اتخاذها، وهذه التدابير سياسية واقتصادية كالشكوى منهما إلى مجلس الأمن والامم المتحدة، وكالغاء امتيازاتهما في البلاد العربية، وعدم السماح لهما أو لرعاياهما بامتيازات اقتصادية جديدة، وبمقاطعتهما مقاطعة أدبية وعدم تأيد مصالحهما الخاصة.

دور بريطانيا وامريكا في كارثة فلسطين:

تقدمت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، بطلب إلى الحكومة البريطانية لاجراء مفاوضات معها للوصول إلى حل لقضية فلسطين، وكان هذا الطلب تنفيذاً لقرار مجلس الجامعة، المنعقد في دورة استثنائية في بلودان في ٨ حزيران ١٩٤٦، بأن تدخل الدول الأعضاء التي هي صاحبة المصالح المباشرة في فلسطين في مفاوضات مع الحكومة البريطانية، باعتبارها الدولة المنتدبة، وفي حال فشل المفاوضة تعرض قضية فلسطين على الأمم المتحدة.

كانت هذه نقطة تحول خطيرة في سير القضية الفلسطينية، كما سبق منا القول، لأنها استجابة لبيان مستر بيفن وزير الخارجية البريطانية، الذي أعلن فيه ان حكومته تعتزم نقل القضية إلى الأمم المتحدة، تمهيداً لوضع فلسطين تحت وصاية دولية، واشراك الولايات المتحدة الأمريكية فيها، وبما أن الولايات المتحدة وبريطانيا كانتا مسيطرتين على الأمم المتحدة، ولهما فيها اكثرية مضمونة من الاصوات، كانت النتيجة معروفة مقدماً.

وقدمت الدول الأعضاء طلبات إلى الحكومة البريطانية في هذا الشأن، فلم تلبث أن استجابت لهذا الطلب، داعية الحكومات العربية لايفاد ممثليها إلى مؤتمر مائدة مستديرة في لندن، للنظر في قضية فلسطين.

وعلى الأثر انعقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في الاسكندرية في ١١ أغسطس ١٩٤٦ برئاسة المرحوم سعد الله الجابري وزير خارجية سورية حينئذٍ، وقررت قبول الدعوة البريطانية على ان توجه الدعوة أيضاً إلى الأمين العام للجامعة، واستجابت الحكومة البريطانية لهذا الطلب الأضافي، وتعين اليوم العاشر من أيلول ١٩٤٦ للاجتماع الأول.

وكان مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين في القدس قد طلب من المندوب السامي البريطاني أن توجه الدعوة إلى الهيئة العربية للاشتراك في المؤتمر، ولاسيما أن الحكومة البريطانية كانت قد دعت الوكالة اليهودية الممثلة لليهود إلى المفاوضة في لندن، في مؤتمر بريطاني يهودي منفصل، لكن السلطات البريطانية، رغبة منها في صدع وحدة الفلسطينيين، طلبت من المندوب السامي أن لا يوجه الدعوة إلى الهيئة العربية العليا، بل إلى افراد من الفلسطينيين اعتبرتهم ممثلين هم السادة جمال الحسيني وسليمان طوقان وموسى العلمي وانطون عطالله ويوسف هيكل، ومع أن جمال الحسيني كان نائباً لرئيس الهيئة العربية العليا فقد وجهت إليه الدعوة بصفته الشخصية!

فاعترضت الهيئة العربية العليا على شكل الدعوة وتوجيهها إلى اشخاص معينين، واصرت على أن توجه الدعوة اليها بصفتها ممثلة للشعب الفلسطيني، وأن السلطات البريطانية لا تملك حق اختيار ممثلي الشعب، ومع أن الاشخاص الذين اختارهم المندوب السامي رفضوا التكليف، وأيدوا موقف الهيئة العربية، فقد ظلت السلطات البريطانية ماضية في الرفض، واصرت الهيئة على موقفها المستمد من حقها في التمثيل.

فلما اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية يوم ١١ اغسطس في الاسكندرية، اشترك في الاجتماع عن الهيئة العربية العليا لفلسطين السيدان جمال الحسيني وأميل الغوري وطلبا ان تتمسك دول الجامعة العربية في مفاوضاتها بمطالب الشعب الفلسطيني وأن لا يبت في امر فلسطين إلا بموافقة اهلها، فاتخذت اللجنة السياسية قراراً في هذا الشأن.

ولما توجهت الوفود العربية إلى لندن، وانعقد المؤتمر في قصر لانكاستر، افتتحه رئيس حكومة العمال مستر اتلي، ثم تولى رئاسة الجلسات مستر بيفن وزير الخارجية، ودارت المباحثات أول الأمر حول مشروع اعده المستر موريسون زعيم الاكثرية في مجلس العموم، لحل قضية فلسطين، وقال المستر بيفن أن الحكومة البريطانية تريد الاسراع في حل قضية فلسطين، وتقترح ان يكون مشروع موريسون أساساً لهذا الحل، ورجا أن يدور البحث في جو من المودة وحسن التفاهم..

وفي الجلسة التالية القى بيفن بياناً ركز فيه على أهمية بريطانيا لتأمين سلامة الشرق الاوسط، وأهمية هذا الشرق للامبراطورية البريطانية، واهميتها للسلام العالمي، وتحدث عن فضل بريطانيا في إنقاذ الشرق العربي من الحكم العثماني..! لكنه نسي على ما

يبدو ان يتكلم عن ظلم بريطانيا في غمرها فلسطين بمهاجري اليهود، وتحويلها إلى بلاد تغمرها الدماء وتسودها التعاسة والشقاء! وعن استعمارها معظم اقطار الشرق الاوسط ومنها فلسطين والعراق واقطار الخليج! وعن احتلالها مصر والسودان وجنوب اليمن! وعن دسائسها المتوالية لهدم الدولة العثمانية، والدولة الإسلامية في الهند، وعن احتلال الملايو وزنجبار وغيرها!!

ثم أكّد في آخر بيانه أهمية موقف الولايات المتحدة الأمريكية، وعدم إمكان التغاضي عنه، وطلب من العرب إحلال هذه الناحية محلها من الاعتبار عندما يفكرون في حل مشكلة فلسطين، أي التسليم لأمريكا بما تطلبه من تحويل فلسطين إلى دولة يهودية واقتلاع الفلسطينيين من وطنهم وتشريدهم في الآفاق...

وفي الجلستين الاولى والثانية تحدث الأستاذ عبد الرحمن عزام والأستاذ فارس الخوري، فرفضا قبول مشروع موريسون كأساس لحل مشكلة فلسطين، لأنه ليس عملياً ولان فكرة التقسيم التي يقوم المشروع على أساسها مخالفة للوحدة العربية التي لا يتنازل عنها العرب، وهي (أي فكرة التقسيم) تبيح الهجرة اليهودية التي يرفضها العرب أيضاً، واشترك في المناقشة السيدان سمير الرفاعي وفاضل الجمالي والمستر بيفن، وأخيراً المستر هول الذي القى خطاباً حاول فيه أن يبرهن على المزايا التي يشتمل عليها مشروع موريسون، وقال إن المشكلة ليست بين العرب والإنكليز وحدهم، ولكنها تتعداهم إلى هيئة الأمم المتحدة أيضاً..

وفي الجلسة الثالثة القى كل من الأمير فيصل رئيس الوفد السعودي، وعبد الرزاق السنهوري عن الوفد المصري، وفاضل الجمالي عن الوفد العراقي، وكميل شمعون عن الوفد اللبناني، والأمير عادل ارسلان عن الوفد السوري، بيانات أعلنوا فيها شجبهم لمشروع موريسون، مؤكدين انه لا يصلح قط لأن يكون أساساً لبحث قضية فلسطين وايجاد حل لها.

وفي الجلسة الرابعة تحدث الامير سيف الإسلام عبد الله رئيس الوفد اليمني، والسادة سمير الرفاعي وعبد الرحمن عزام وفارس الخوري، مؤكدين رفضهم لمشروع موريسون، وأضاف الأخيران رفض الاقتراح الاميركي بالسماح لمئة ألف يهودي بالدخول إلى فلسطين.

وفي الجلسة الخامسة القى بيفن بياناً قال فيه أن الحكومة البريطانية لا تتمسك بمشروع موريسون، ولكنها تراه حلاً عملياً للمشكلة! وبما أن العرب كلهم يرفضونه

فهو ينتظر منهم أن يقدموا مشروعاً بديلاً، وأن يقدروا ما للناحية الدولية من الأهمية، ثم ندد بيفن بالكتاب الأبيض البريطاني لعام ١٩٣٩.

ورد السيد كميل شمعون على بيان بيفن، وندد بمشروع موريسون، وقال إن أهم ناحية فيه هي مسألة المضطهدين والمشردين من يهود أوروبا، وأن دولاً اوروبية كثيرة - رغم استعدادها لايواء المشردين من رعايا اليهود - فإنه لا يسمح لهم بالعودة إليها رغم حاجتها اليهم، في حين يراد إقحامهم في بلاد لا تريدهم ولا تحتاج اليهم، بل هي لا تحتملهم (أي فلسطين والبلاد العربية). وبعد المناقشة في بعض الشؤون تقرر أن يقدم العرب رداً على بيان بيفن الاخير قبل الادلاء بمقترحاتهم الخاصة بحل قضية فلسطين.

خلاصة مشروع موريسون الذي القاه في مجلس العموم البريطاني بشأن فلسطين في ٣١ تموز ١٩٤٦:

١ - تقسيم فلسطين إلى أربعة اقاليم: اقليم عربي، واقليم يهودي، ومدينة القدس، واقليم النقب.

٢ - يشتمل الاقليم اليهودي على المساحة الواسعة من الأراضي التي استقر فيها اليهود فعلاً، والأراضي التي تفصل بين المستعمرات اليهودية وتحيط بها.

٣ - يشتمل اقليم النقب على المثلث المترامي الاطراف من الأراضي غير الآهلة في جنوب فلسطين وراء المناطق الزراعية.

٤ - يشتمل اقليم القدس على مدينة القدس وبيت لحم وما يجاورهما، ويشكل في هذا الاقليم مجلس بلدي تكون اكثرية اعضائه منتخبة، ويعين المندوب السامي عدداً منهم.

٥ - يشتمل الاقليم العربي على ما بقي من فلسطين، ويكون عربياً خالصاً في معظمه من حيث الأراضي والسكان.

٦ - تكون الحدود الفاصلة بين الاقاليم حدوداً ادارية، ويكون لكل اقليم هيئة تشريعية وهيئة تنفيذية، ولا يكون لهما اختصاص في شؤون الدفاع والجمارك والمواصلات، ولا يتم تعديل الحدود إلا بموافقة الاقليمين المختصين.

٧ - تقوم حكومة مركزية تكون لها السلطة في شؤون الدفاع وشؤون أخرى كالمسائل التي لم ينص عليها صراحة في اختصاص الحكومات الاقليمية. والحكومة المركزية هي التي تتولى مؤقتاً ادارة شؤون اقليم النقب.

٨ ـ يكون لكل اقليم مجلس تشريعي منتخب، وهيئة تنفيذية من مجلس وزراء يعينه المندوب السامي من بين أعضاء المجلس التشريعي، وتشترط موافقة المندوب السامي على القوانين التي يسنها المجلس التشريعي، وللمندوب السامي حق الرفض (الفيتو) عندما تتعارض هذه القوانين مع مهمة الحكومة المركزية، وله أيضاً حق التدخل في شؤون الاقاليم إذا عجزت حكومة احدى المناطق عن القيام بواجباتها أو تجاوزت اختصاصاتها.

٩ ـ تظل السيطرة على الهجرة في يد الحكومة المركزية في نطاق الاستيعاب استناداً إلى توصيات الحكومة الاقليمية.

١٠ ـ قبول توصية لجنة التحقيق الإنكليزية ـ الأمريكية فوراً بهجرة مئة ألف يهودي إلى الاقليم اليهودي واستمرار الهجرة بعد ذلك، وأن يبدأ بهذا المشروع بمجرد الاتفاق على تنفيذ مشروع التقسيم.

وفي ١٩ ايلول قدم مندوبوا الدول العربية اقتراحات في بيان مشترك، رداً على بيان بيفن، يشتمل على النقاط الرئيسية التالية:

١ ـ انتهاء الانتداب وإعلان استقلال فلسطين (دولة واحدة).

٢ ـ إنشاء حكومة ديمقراطية يكون لها دستور تضعه جمعية تأسيسية.

٣ ـ ضمان تمتع اليهود بحقوقهم المشروعة والمحافظة على حقوق الاقليات.

٤ ـ وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين من الآن فصاعداً، وترك الأمر إلى الحكومة الفلسطينية المقبلة.

٥ ـ عمل معاهدة تحالف بين الحكومة المستقلة وبريطانيا لتوثيق العلاقات الودية بينهما.

٦ ـ إعطاء ضمانات كافية لاحترام قداسة الاماكن المقدسة والمحافظة عليها وضمان حرية زيارتها.

وفي الجلسة السادسة علق مستر بيفن على المقترحات العربية، مطالباً بايضاحات وتفصيلات، فتم تشكيل لجنة فرعية مشتركة من الجانبين العربي والإنكليزي لهذا الغرض، وعقدت هذه اللجنة المشتركة عدة جلسات أنهت خلالها وضع المشروع.

وفي الجلسة السابعة طلب مستر بيفن ان تعطى الفرصة للوفد البريطاني لبحث هذه المقترحات مدة اسبوعين على الاقل، فتأجل المؤتمر إلى يوم ١٦ كانون الأول ١٩٤٦

ثم تأجل مرة أخرى إلى ما بعد انتهاء دورة الأمم المتحدة في نيويورك وعطلة عيد الميلاد. وانفض المؤتمر ريثما تنعقد دورته الثانية في ٤ شباط ١٩٤٧ في لندن..

يتلخص المشروع في ان يتولى المندوب السامي تعيين حكومة مؤقتة من سبعة وزراء عرب وثلاثة وزراء من اليهود الفلسطينيين تتولى السلطات التشريعية والتنفيذية ويكون للمندوب السامي حق «الفيتو» على قراراتها خلال فترة الانتقال، وأن تجري هذه الحكومة المؤقتة انتخابات لتشكيل جمعية تأسيسية من ستين عضواً يمثلون جميع فئات المواطنين، وأن تعد الحكومة المؤقتة والجمعية التأسيسية مشروع دستور لفلسطين متقيدتين بارشادات المندوب السامي، ويتناول المشروع شؤون الانتخاب والذين لهم حق الانتخاب، وأن تكون نسبة اليهود إلى العرب نسبة الثلث إلى الثلثين، وعلى منع الهجرة منعاً باتاً، وأن تظل القيود المفروضة حالياً على انتقال الأراضي سارية، على أن لا يجري تعديل في هاتين المسألتين إلا بقانون توافق عليه اكثرية عربية في المجلس النيابي، وبعد صدور الدستور تجري الانتخابات النيابية ويتم تعيين أول رئيس للدولة الفلسطينية، وتنهي الدولة المنتدبة انتدابها وتعترف باستقلال فلسطين وتعقد معاهدة تحالف لتحديد العلاقات بين بريطانيا وحكومة فلسطين المستقلة.

لما اطلعت الهيئة العربية العليا على مشروع الوفود العربية عقدت اجتماعاً في القاهرة في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٦ تدارست فيه المشروع من جميع نواحيه، وقررت على أثره إرسال المذكرة الآتية إلى جامعة الدول العربية وإلى الدول العربية التي اشتركت في المؤتمر:

١ - تقدم الهيئة العربية العليا، باسم عرب فلسطين، إلى جامعة الدول العربية والى الدول العربية التي اشتركت في مؤتمر لندن، الشكر الجزيل على ما أولته وتوليه قضيتهم من عناية، وما تبذله من جهود للذود عن حقوقهم، ومطالبتها في مؤتمر لندن بالاستقلال التام لفلسطين العربية، مما كان له اعظم الأثر في نفوسهم.

٢ - ترفع إلى مجلس الجامعة العربية والى الدول العربية ما يأتي:

إن فلسطين هي جزء من ا لبلاد العربية لا ينفصل عنها، وقطر من اقطارها لا ينسلخ منها، وقضية فلسطين لا سبيل إلى حلها إلا كما حلت قضايا سائر الأقطار العربية على أساس الاستقلال والسيادة القومية، ولقد حاول أعداء البلاد منذ بدء الاحتلال البريطاني حتى اليوم أن يحلوا هذه القضية كما تشاء

مصالحهم الاستعمارية ومطامعهم الخطيرة، وعلى غير الأساس الذي حلت عليه سائر قضايا الأقطار الشقيقة الأخرى، فقاموا في ظروف مختلفة بمداورات ومخادعات كثيرة، وبثوا الدعايات الباطلة، فادلوا بشتى الحجج الواهية محاولين حمل عرب فلسطين على الرضوخ والاذعان لما سموه (بالأمر الواقع)، وعلى التساهل في حقوق امتهم وبلادهم، والخنوع لارادة المستعمرين والصهيونيين الذين تواطأوا معاً على تهويد هذه البلاد العربية الإسلامية المقدسة.

على ان الاستسلام والتساهل لم يفيدا اية قضية من القضايا العربية، فأحرى بهما أن لا يفيدا قضية فلسطين، التي بلغ فيها الطمع الصهيوني والجشع الاستعماري حدهما الأقصى، ولاسيما المطامع الصهيونية التي بلغت من الوقاحة في التطرف مبلغاً أعلن عنه أحد زعمائهم بن غوريون، الذي هو رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، بقوله في خطاب إذاعة من راديو باريس باللغة العبرية قبل امد قريب:

(... إن الدولة اليهودية التي نريدها الآن ليست الهدف النهائي، وليست المحطة الاخيرة لتحقيق أهداف الصهيونية، بل هي اداة للتنفيذ، ووسيلة لبلوغ الهدف، ولذلك فانها أصبحت أسرع شيء تريده الصهيونية في الوقت الحاضر...).

والتساهل مع المستعمرين المتواطئين مع الصهيونية والخاضعين لها هذا الخضوع العجيب ليس معناه إلا الاستسلام وفتح الباب على مصراعيه لتهويد هذه البلاد، ولا يأتي بأية فائدة، ولا ينجم عنه إلا الاضرار البالغة وتشجيع الفريقين المتآمرين على تهديد هذه البلاد العربية المقدسة. إن تجارب ٢٩ سنة متوالية قد زادتنا إيماناً بخطر التساهل وضرره العظيم، فاليهود الذين بدأت مطامعهم ضئيلة متواضعة، بمحاولتهم ايجاد ملجأ ديني بسيط للمتدينين منهم في هذه البلاد، لم يلبثوا عندما سنحت لهم الفرصة ان طالبوا بوطن قومي لهم في فلسطين، ثم لما اشتد ساعدهم تطورت مطامعهم وطالبوا بأن تكون فلسطين كلها وطناً قومياً لهم، ثم تكشفت نواياهم وتوضحت مطامعهم أكثر فأكثر فطلبوا ضم شرقي الأردن وبعض اقسام الأقطار العربية المجاورة إلى وطنهم القومي، ثم ازدادوا طمعاً برحابة صدور العرب وتساهلهم، وبتشجيع المستعمرين وتعضيدهم لهم، فشرعوا منذ بضعة اعوام يطالبون بإنشاء دولة يهودية؟ وها هم اليوم كما صرح أحد زعمائهم، بن غوريون المذكور، لا

يكتفون بدولة يهودية في فلسطين، بل يطمحون إلى أهداف أخطر، وما أهداف الصهيونية هذه إلا إنشاء مملكة إسرائيل الكبرى، وضم الأقطار العربية المجاورة لها من قناة السويس إلى خليج البصرة، ومن العقبة إلى الاسكندرونة، وبذلك تتم لهم السيطرة على الشرق الاوسط قاطبة، فحيال هذا الغلو والتطرف من اليهود والاستخفاف بالامة العربية من قبل الصهيونيين والمستعمرين معاً، لا يجوز للأمة العربية ان تقابلهم برحابة الصدر والتساهل، ولا أن تعترف بهذا الظلم الفادح والعدوان المستمر، الذي جعل اليهود في فلسطين يبلغون عددهم الهائل اليوم، بعد أن كانوا أقل من خمسين ألفاً عند الاحتلال البريطاني، أي حوالي ٥٪ من مجموع سكان فلسطين.

إن الأقطار العربية لم تجنح لمثل هذا التساهل في حل قضاياها، فمصر رغم انقضاء ٦٤ عاماً على احتلالها لم تعترف للمحتل بأي حق من الحقوق حتى الآن، كما ان سورية ثم العراق وسائر الأقطار العربية، لم ترضخ للامر الواقع، فما هو المبرر اذن لعرب فلسطين، وهي عضو أساسي في هذه الاسرة العربية، ان يشذوا عن هذه الخطة المثلى التي اتبعتها سائر الشقيقات العربيات، فيتحملوا وزر هذا التساهل وضرره العظيم، ويبؤوا بإثم خيانة الأمانة وعار تسليم هذه البلاد العربية المقدسة التي استشهد في سبيل الاحتفاظ بها مئات الالوف من آبائهم أمام تألب قوى الدول الاوروبية بأسرها في القرون الخالية؟

على أننا لو أردنا أن نجاري اليهود في غلوهم لوجب علينا أن نطالب باجلائهم جميعاً عن البلاد، ولكننا جرياً على سجايانا العربية في التسامح نعترف باليهود الذين كانوا قبل الاحتلال البريطاني ومن تناسل منهم كمواطنين فلسطينيين يتمتعون بحقوق المواطنين، أما الذين دخلوا منهم بالقوة، رغم إرادتنا، وأقحموا علينا اقحاماً، فأقل ما يحق لنا أن نعاملهم به عدم الاعتراف بهم كمواطنين، وبناء على هذا فإنا نرجو من الدول العربية الكريمة، حرصاً على حقوق عرب فلسطين وصيانة لمستقبلهم، أن تعمل على تعديل بعض المواد التي وردت في المشروع المقدم منها إلى مؤتمر لندن وهي ما يأتي:

إن السلطات التي يعطيها المشروع للمندوب السامي هي:

١ - (أ) تعيين الحكومة المؤقتة. (ب) حق النقض (فيتو). (ج) الزام الحكومة المؤقتة والجمعية التأسيسية بالارتباط بارشادات المندوب السامي كما جاء في

المواد (١ و ٢ و ٣ و ٤) وهي سلطات واسعة خطيرة لا تتفق مع الاصول الديمقراطية المعروفة، كما أنه لا يمكن أن يعتبر المندوب السامي محايداً لأنه خصم وفريق في القضية، ومنفذ لأوامر حكومته التي تتحمل المسؤولية الأساسية في النكبات التي اصابت فلسطين، ويخشى كثيراً أن يعمد المندوب، رغم استشارته للفريقين، إلى اختيار أعضاء الحكومة المؤقتة العرب من الاشخاص الطيعين الوصوليين، وبذلك يبني المشروع كله على أساس واه عظيم الخطر، فلا ينبغي إعطاء هذه الصلاحيات المذكورة للمندوب السامي، بل يسلك في جميع الحالات المذكورة الطرق السليمة التي اتبعت في سوريا ولبنان وغيرهما من الأقطار العربية الأخرى.

٢ ـ تأليف الحكومة المؤقتة من سبعة عرب وثلاثة يهود، كما جاء في المادة الاولى، وتأليف الجمعية التأسيسية من ستين عضواً، كما جاء في المادة الثانية، والمفهوم أن هذا المجموع سيكون مؤلفاً من ٤٠ من العرب و٢٠ من اليهود، أي بنسبة الثلثين إلى الثلث، وكل ما جاء في المشروع باعتبار اليهود الثلث لا يمكن إقراره والقبول به، إذ لا يمكن ان يعتبر جميع اليهود الموجودين الآن في فلسطين مواطنين كما شرحنا ذلك آنفاً.

٣ ـ جاء في المادة (٤) فقرة (١) ان من ارشادات المندوب السامي للحكومة المؤقتة أن تكون فلسطين دولة موحدة Unitary وبما ان هذه الكلمة تعني في الإنكليزية دولة مؤلفة من وحدة أو وحدات، فنرى أن هذه الكلمة لا تنطبق على الرغبة الطيبة التي ارادتها الوفود العربية، فنقترح أن يوضع تفسير لها لا يترك مجالاً للتأويل.

٤ ـ جاء في المادة الرابعة فقرة (٧) تعليق أمر الهجرة ونقل الأراضي على موافقة اغلبية الثلثين من ممثلي العرب في المجلس النيابي، فهذه امور خطيرة لا ينبغي التساهل فيها، لما تجره في المستقبل من الضرر العظيم على مستقبل الأمة العربية في فلسطين، كما أن مسألة الهجرة ونقل الأراضي يجب القطع فيه حالاً، دون تعليق ذلك على أي شيء، فإن عدد اليهود في فلسطين أصبح لا يمكن احتماله، كما أن الأراضي التي استولوا عليها هي من أخصب الأراضي العربية واهمها، ونعتقد أن كثيراً منها يجب إرجاعه، كالأراضي الاميرية التي منحتها السلطات البريطانية أو التي انتزعت ملكيتها، أو التي انتقلت إلى اليهود. في المناطق المحرم البيع فيها.

هذه ملاحظات عامة على المشروع الذي اطلعنا عليه، وهي ملاحظات تمثل رأي عرب فلسطين، الذين لا يستطيعون ان يحيدوا عن ميثاقهم الوطني، المتضمن الاستقلال التام والسيادة الوطنية وجلاء الجيوش الأجنبية عن البلاد.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

القاهرة ٣ المحرم ١٣٦٦

١٩٤٦/١١/٢٧

رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين

محمد أمين الحسيني

استأنف مؤتمر لندن انعقاده يوم ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٧ بحضور مندوبي الدول العربية والهيئة العربية العليا لفلسطين، ففي هذه المرة تلقت الهيئة العربية العليا دعوة رسمية من المندوب السامي البريطاني لإرسال وفد يمثل فلسطين في الدورة الثانية للمؤتمر، وكانت الهيئة العربية قد اوضحت للدول العربية وجامعتها ضرورة تمثيل الشعب الفلسطيني في الدورة الثانية للمؤتمر بعد أن حال تعنت الحكومة البريطانية دون ذلك في دورته الأولى، والتمست من الدول العربية أن تمتنع عن إرسال مندوبيها إلى المؤتمر إن لم توجه الدعوة إلى الهيئة العربية، لأنه ليس من الحق ولا من المنطق ان تبحث قضية فلسطين ويبت في مصيرها في غياب الشعب الفلسطيني.

ولا صحة لما روجته الدعايات المضللة من أن الشعب الفلسطيني رفض الدعوة إلى المؤتمر في دورته الاولى لأسباب شكلية، فالواقع إن الحكومة البريطانية ارادت عندئذ ان تتولى هي اختيار الممثلين الفلسطينيين الذين يملكون حق محاسبتها على سياستها الجائرة في فلسطين!

في هذه المرة اختارت الهيئة العربية الوفد الفلسطيني من ستة اشخاص، هم السادة جمال الحسيني، الدكتور حسين الخالدي، اميل الغوري، يوسف صهيون، الدكتور عمر الخليل، سامي طه، ثلاثة منهم من أعضاء الهيئة وثلاثة من خارجها.

وفي لندن اجتمع الوفد الفلسطيني بوفود الدول العربية، وتداول الجميع الرأي في الموقف الذي يجب ان تقفه الوفود، فكانت الوفود العربية ترى أن لا يقول الوفد الفلسطيني كلمته إلا بعد أن يسمع المؤتمر جواب الوفد البريطاني على مشروع الدول العربية الذي قدمته في دورة المؤتمر الاولى، لكيلا يتخذ الوفد البريطاني من ذلك ذريعة

لرفض المشروع، فان كان الجواب البريطاني بالرفض فعندئذٍ تقوم الوفود العربية بحركة قوية يحملون بريطانيا فيها المسؤولية، ويعلنون سحب مشروعهم وعدم الارتباط به، ويقفون مع الوفد الفلسطيني موقفاً موحداً في كثير من النقاط التي يرفضها الفلسطينيون، كمسألتي الهجرة والجنسية وغيرها. أما إذا قبل الوفد البريطاني المشروع العربي، فعندئذٍ يتقدم الوفد الفلسطيني بمطالبه المعروفة، التي اشتملت عليها تحفظاته الواردة في مذكرته إلى مجلس الجامعة (التي اوردناها فيما سبق) وتدعم الوفود العربية مطالبه.

ثم علم الجانب العربي ان الجانب البريطاني يرغب في سماع كلمة الوفد الفلسطيني في جلسة المؤتمر الافتتاحية، فلما انعقد المؤتمر رحب المستر بيفن بالوفود، معلناً افتتاح المؤتمر، ومشيراً إلى أهمية القضية الفلسطينية، ووجوب تضافر المساعي لحلها حلاً نهائياً، تحقيقاً للسلام في الشرق الأدنى، وقال ان هذه القضية لم تعد خاصة، بل غدت تهم العالم عامة والشرق الاوسط خاصة، وأن الوقت قد حان لايجاد حل لها، فإذا عجزنا عن ذلك أصبح من واجب الأمم المتحدة ان تجد هذا الحل، وقال اننا مضطرون لمباحثة اليهود، وقد حضر ممثلوهم إلى لندن، وسنجتمع بهم على حدة، إذ لا يمكن اتخاذ أي إجراء في قضية فلسطين دون الاستماع إلى وجهة نظرهم، ثم رحب بيفن بالوفد الفلسطيني، وقال إن حكومته ترغب في الاطلاع على وجهة نظر الفلسطينيين قبل البت في الأمر.

وألقى الوفد الفلسطيني كلمته وكانت عامة وشاملة في أسس القضية الفلسطينية، واستحسنتها الوفود العربية، وبدا أن المستر بيفن لم يكن راضياً عنها، ولذلك سأل بيفن عما إذا كان أحد من الوفد الفلسطيني يرغب في الكلام (ويبدو أنه كان يظن أن ثمة خلافاً في الرأي بين أعضاء الوفد) فاجيب سلباً، وأن كلمة فلسطين واحدة.

وهذه خلاصة كلمة الوفد الفلسطيني:

«إن قضية فلسطين واضحة وبسيطة، انها قضية شعب يرغب في البقاء في وطنه، وحفظ كيانه وحريته، وهذا حق طبيعي يتفق ومبدأ تقرير المصير، وسلسلة العهود والمواثيق التي قطعتها بريطانيا للعرب.

ورغم ذلك حرمت فلسطين من حقها طيلة الخمسة والعشرين عاماً المنصرمة، خلافاً لتلك العهود ولعهد عصبة الأمم المتحدة، واقيمت في فلسطين ادارة مطلقة همها الأول مساعدة اليهود في غزوهم لفلسطين، وبنيت هذه

السياسة على وعد بلفور الذي هو تعهد من جانب واحد اعطاه الإنكليز لليهود الغرباء، دون علم العرب ومن وراء ظهورهم.

واشار الخطاب إلى ارتفاع عدد اليهود بالهجرة، وتوسع نطاق ملكية اليهود للأراضي، وتمتعهم بحقوق ومزايا تجعلهم دولة ضمن دولة، وعن حرمان العرب من حكم بلادهم، وعن توسع مطالب اليهود من وطن قومي روحي إلى طلب حكومة يهودية في فلسطين، يحاولون الآن تنفيذه باعمالهم الارهابية.

وقال ان هذه الحالة دفعت العرب إلى المقاومة، وهم يرون مخاوفهم التي ساورتهم قبل ربع قرن أخذت تتحقق سريعاً، وندد بفكرة تقسيم فلسطين الذي هو ذريعة للتعامي عن معضلة نشأت عن ظلم فادح، وأكد ان الفلسطينيين مصممون على رفض التقسيم، وأن العرب وحدة جغرافية لهم وطن واحد، تقطنه امة واحدة، وأن ايجاد دولة يهودية أجنبية في فلسطين يقوض هذه الوحدة الجغرافية والقومية، ويجعلها مصدراً للاضطرابات والقلاقل الدائمة في الشرق الاوسط، وأن العرب لن يقبلوا هذه الخطة.

وختم الخطاب بالتأكيد على ان قضية فلسطين لا تحل إلا على أساس مبادئ العدل والحق الطبيعي وتنفيذ العهود المقطوعة للعرب.».

وطلب الأستاذ فارس الخوري من المستر بيفن أن يعلن رأي الحكومة البريطانية في المشروع العربي، فأرجأ بيفن ذلك إلى ما بعد اجتماع الجانب البريطاني باليهود واستماع رأيهم، لأنه، في رأيه، ليس من العدل ولا من المعقول أن يقرر شيئاً قبل ذلك، ولما ألح عليه الأستاذ فارس قال بيفن: لقد درسنا مشروعكم ولكن هناك امرين جديرين بالاهتمام: أن مشروعكم يشتمل على منع الهجرة اليهودية وإبقاء اليهود أقلية، وهذان أمران صعبان جداً ويجب درسهما، ثم أشار إلى التقسيم بقوله أنه أصبح من المستحيل أن يعيش العرب واليهود جنباً إلى جنب، ولذلك قد يكون تقسيم فلسطين إلى مناطق Cantons أحسن حل، ولاسيما أن نظام الكنتونات قد نجح في سويسرة ومناطق أخرى، ويجب أن نتعاون للوصول إلى حل، حرام أن تحمل بريطانيا وحدها هذه المسؤوليات (كذا)! ولاسيما بعد دخولها حربين انهكتا قواها وبذلت فيهما الأموال والدماء والدموع.. الخ، فرد عليه الأستاذ الخوري بقوله إن اليهود اليوم هم كاليهود الذين عاشوا في العهد القديم، فإن تقسيم البلاد بينهم وبين أهل البلاد الأصليين كان سبباً للقتال المستمر، وكذلك كانت الحال في

المملكة اللاتينية. ثم ألح على طلب الجواب البريطاني على المشروع العربي، فوعد بيفن بإعطائه خلال يومين أو ثلاثة.

وفي الجلسة الثانية للمؤتمر تلا بيفن بياناً مطولاً، اشتمل على رأي الحكومة البريطانية في حالة فلسطين من وجهة عامة، واشار إلى مباحثاته مع الجانب اليهودي، واعقب ذلك نقاش طويل كان بيفن خلاله يحاول حمل العرب على القبول باستمرار الهجرة اليهودية بأية صورة، مؤكداً أن الحكومة البريطانية لا توافق على أي حل لا يضمن استمرار الهجرة، وأن اليهود يرغبون في التقسيم، وعاد فاكد ضرورة التوفيق بين مطالب العرب ومطالب اليهود، ورد الوفد الفلسطيني على بيفن قائلاً إن الفلسطينيين يرفضون التقسيم كما يرفضون كل هجرة يهودية، وأن العالم العربي يساندهم في موقفهم، ثم تحدث رؤساء الوفود العربية بمثل ذلك.

ولما اجتمعت الوفود بعد الجلسة لبحث بيان بيفن، أسفر البحث بالاجماع عن رفض التقسيم والهجرة اليهودية، وتألفت لجنة تمثل الوفود كلها لوضع مشروع الرد، على أن يكون شاملاً رفض الهجرة والتقسيم، ومطالباً بتنفيذ المشروع الدستوري العربي الخاص بالاستقلال، فإذا قبل الجانب البريطاني بهذه الأسس دخلت الوفود في بحث التفاصيل، وإذا رفضها تعلن الوفود العربية سحب مشروعها وعدم ارتباطها به.

وفي الجلسة الثالثة تلا الأستاذ فارس الخوري رد الوفود العربية على بيان بيفن، وتلا السيد كميل شمعون بياناً مستفيضاً باسم الوفد اللبناني، وتحدث رؤساء الوفود العربية في صلب الموضوع دون الخروج على المبادئ والأسس العامة المتفق عليها، وختمت الخطب والأحاديث بكلمة من رئيس الوفد الفلسطيني، وكان وقع بيان الوفود على المستر بيفن والوفد البريطاني شديداً، لانهم كانوا يظنون أن بين العرب من يقبل التساهل إذا جد الجد، وراعهم أن يجدوا الوفود العربية يداً واحدة وعلى رأي واحد.

ومع ذلك حاول بيفن حمل العرب على العدول عن موقفهم، والتساهل في أمر التقسيم والهجرة، فأخفق، فعمد إلى محاولة الوقيعة وإثارة الخلاف بين الوفود العربية قائلاً أنه بلغه أن بعض الدول العربية ستكون مستعدة للقبول بمشروع التقسيم كحل لقضية فلسطين، ولو أنها لا تبدي الموافقة علناً في المؤتمر، وأضاف إنه يود أن يستوثق من صحة المعارضة لفكرة التقسيم، وكان هذا الكلام شبيهاً بقنبلة حاول بيفن بها أن يوقع بين العرب، فعندئذٍ وقف السيد فاضل الجمالي ممثل العراق، وأعلن أن مجلس جامعة الدول العربية، الذي هو رئيسه في دورته الاخيرة، قرر بالاجماع رفض جميع

الحكومات العربية لمشروع التقسيم، وإنه يعلن الآن باسم حكومات الجامعة كلها رفضها التقسيم، وإذا كان هناك عربي يقول بالتقسيم فإنه لا يمثل إلا نفسه.

لكن بيفن لم يكتف بقول الجمالي، واستأنف محاولته متوجهاً إلى الوفود العربية ومتسائلاً عما إذا كان هذا رأي الجميع؟ فأعلنت الوفود كلها ان هذا هو رأيها المجمع عليه. ثم كرر بيفن السؤال عما إذا كانت الوفود العربية متفقة في رفض الهجرة كاتفاقها في رفض التقسيم؟ فاجابه عبد الرحمن حقي باشا ممثل مصر، بلسان الوفود العربية، ان العرب لا يقبلون بالهجرة اليهودية قط.

واستمرت المناقشة بين العرب والبريطانيين، وأعلن الأستاذ الخوري أن العرب يصرون على منع الهجرة وعدم التقسيم، فإذا تقرر هذان الأمران فالعرب مستعدون لمواصلة البحث، لكن بيفن قال إنه سيرفع الأمر إلى الحكومة وسيدعوا الوفود إلى جلسة أخرى ليبلغهم قرارها.

وأخيراً أعلن المستر بيفن للوفود ان الحكومة البريطانية لا تستطيع قبول المشروع العربي، لأن اليهود يرفضونه، واقترح مشروعاً جديداً يتضمن وضع فلسطين تحت وصاية دولية لمدة خمسة أعوام، وتقسيم فلسطين إلى وحدات ادارية شبيهة بما اشتمل عليه مشروع موريسون، مع استمرار الهجرة بمعدل أربعة آلاف مهاجر شهرياً لمدة عامين، ثم يسمح بهجرة يهودية على أساس قدرة البلاد على الاستيعاب الاقتصادي، ويرجع في ذلك إلى رأي المندوب السامي! وبعد بحث المشروع رفضته الوفود العربية، في مذكرة قدمتها إلى الحكومة البريطانية، مؤكدة حق العرب في تقرير مصيرهم، وعدم مسؤوليتهم عن المشكلة اليهودية، ورفضهم حلها على حسابهم.

وبعد تقديم المذكرة بيومين عقد المستر بيفن جلسة أخيرة أعلن فيها انتهاء المؤتمر، وأن الحكومة البريطانية تعتزم رفع القضية إلى الأمم المتحدة.

وفي ٢٦ / ٢ / ١٩٤٧ القى بيفن خطاباً في مجلس العموم البريطاني عن قضية فلسطين، وصفها فيه بأنها قضية معقدة لا نظير لها، وأشار إلى تناقض نظام الانتداب لاشتماله على وعود متناقضة للعرب واليهود، وأن العرب تشددوا بطلب منع الهجرة واصروا على ذلك لأن مجلس العموم وافق على الكتاب الأبيض الذي اقر منع الهجرة، ثم انتقد موقف أمريكا لتدخلها في القضية وتصريحات ترومان التي زادت المشكلة تعقيداً، وأن المسألة ليست مسألة ادخال المئة ألف مهاجر، لأن اليهود يتحدثون عن هجرة الملايين، وأن بريطانيا بصفتها دولة منتدبة لا تستطيع ان تفرض حلاً نهائياً

بالقوة، ولذلك ترى نفسها مضطرة لرفع القضية إلى الأمم المتحدة لتفرض الحل الذي تراه!

التقسيم والتفريق هما ديدن السياسة البريطانية ودعامتها التي تقوم عليها، هكذا عملت في الأقطار الآسيوية والإفريقية وفي الأقطار العربية التي رزئت باحتلالها واستعمارها، فالامة العربية التي تؤلف وحدة جغرافية والتي كان معظم اقطارها يؤلف وحدة سياسية، أصبحت الآن بفعل السياسة البريطانية مجزأة إلى ثماني عشرة دولة، وقد يزداد هذا العدد في المستقبل ما دامت سياسة تمزيق الأمة العربية وتقطيع أوصالها سائرة بنجاح، وما دامت الأمة العربية غافلة عن هذه السياسة التي ترمي إلى اضعافها وتأليب بعضها على بعض، وإثارة النزاع والخصام، وحتى الحرب، بين اقطارها بل بين أفرداها.

وأضرب مثلاً على ذلك ما فعلته بريطانيا في قرية صغيرة أيام عهد الانتداب البريطاني على فلسطين هي قرية (نطاف) إحدى قرى جبل القدس التي لم يكن عدد سكانها يزيد على مئة شخص كلهم اسرة واحدة، فلما أرادوا أن يختاروا من بينهم مختاراً (أي عمدة) للقرية أبت عليهم حكومة الانتداب إلا أن يختاروا اثنين يكون كل منهما مختاراً وواضح أن القصد من ذلك كان تنازع النفوذ ووقوع الشقاق والخصام بين أفراد العائلة الواحدة!

بعد فشل مؤتمر لندن وعودة الوفود العربية اجتمع مجلس الجامعة العربية في القاهرة في اواخر آذار ١٩٤٧ لبحث القضية الفلسطينية، فنوقشت مسألة عرضها على الأمم المتحدة من قبل العرب عملاً بقرار مجلس الجامعة في بلودان، ووافق المجلس على اقتراح اللجنة السياسية بعرض القضية على أساس إعلان استقلال فلسطين.

وفي أوائل نيسان اجتمعت اللجنة السياسية في دمشق، واقترح ممثل الهيئة العربية العليا لفلسطين أن تباشر الدول العربية عرض القضية على الأمم المتحدة، تنفيذاً لقرار مجلس الجامعة في دورته الاستثنائية في بلودان، وأن يكون عرضها على أساس التمسك بالمطالب الوطنية الأساسية، دون التقيد بالمشاريع والمقترحات السابقة لحل القضية، وأقرت اللجنة السياسية هذا الاقتراح، وأوصت الدول العربية بالعمل به.

طلبت الحكومة البريطانية من الأمانة العامة للامم المتحدة عقد جلسة استثنائية لبحث قضية فلسطين، وعلى هذا وجهت امانة الأمم المتحدة الدعوة إلى الدول الأعضاء للاجتماع في ٢٧ نيسان ١٩٤٧ في ليك سكسس، وأرسلت الهيئة العربية

العليا لفلسطين وفداً إلى نيويورك، مؤلفاً من السادة أميل الغوري، رجائي الحسيني، هنري كتن، عيسى نخله، واصف كمال، ليكون إلى جانب الوفود العربية، وليباشر الدعاية للقضية الفلسطينية، لكن الوفد لم يكد يصل نيويورك حتى جوبه بحملة دعائية صهيونية مضللة من المؤسسات اليهودية والصحف الأمريكية التي يسيطر عليها الصهيونيون، ووزعت الوكالة اليهودية نشرات وكراريس على نطاق واسع بالحملة عليّ شخصياً وعلى الوفد الفلسطيني والشعب الفلسطيني واتهامنا بأننا عملاء للنازي، ومن المؤسف أن الأمين العام الاسبق للامم المتحدة (تريغفي لي) كانت له علاقة وثقى باليهود، فتولى توزيع تلك النشرات والكراريس على ممثلي الدول الأعضاء وعلى وكالات الأنباء ومراسلي الصحف...(!!).

ولما اجتمعت الجمعية العمومية للامم المتحدة في اليوم التالي، طلبت الحكومة البريطانية أن تقتصر أعمال الدورة الاستثنائية على تأليف لجنة دولية خاصة، لدرس القضية الفلسطينية ورفع تقرير عنها إلى الأمم المتحدة، وطلبت الوفود العربية ان يدرج في جدول الأعمال إعلان استقلال فلسطين، ووقف الهجرة اليهودية، وإلغاء الانتداب، لكن هذا الطلب العربي سقط ولم يحصل على أكثرية الثلثين لاقراره، لأنه لقي مقاومة من بريطانيا وأمريكا وأنصارهما، ووافقت الجمعية العمومية على الاقتراح البريطاني، واحالت مشروع تأليف لجنة تحقيق على اللجنة السياسية.

ولما اجتمعت الجمعية العمومية في اليوم التالي، تقدمت الوكالة اليهودية إليها طالبة الاستماع إلى ممثليها لعرض قضيتهم، فوافقت الجمعية العمومية بالأكثرية، وبدعم بريطاني وأمريكي، على طلب الوكالة اليهودية، على ان يتقدم اليهود لعرض قضيتهم ولكن أمام اللجنة السياسية وليس أمام الجمعية العمومية، لأنهم ليسوا دولة عضواً في الأمم المتحدة، ولما طلب وفد الهيئة العربية العليا من رئيس الدورة الموافقة على حضوره أمام اللجنة السياسية، وأيّدته وفود الدول العربية والاسلامية وبعض الدول الأخرى الأعضاء، أحالت الجمعية العمومية الطلب الفلسطيني إلى اللجنة السياسية لتتخذ هذه اللجنة ما تراه مناسباً بشأنه، فرفض الوفد الفلسطيني هذه الإحالة، رغم أن اللجنة السياسية وافقت على قبوله، لأن قرار الجمعية العمومية كان يعني أنها تعترف بالوكالة اليهودية ممثلة لليهود، ولا تعترف بالهيئة العربية العليا ممثلة لشعب فلسطين، وإبرق إلى رئيس اللجنة السياسية محتجاً، لكن الرئيس قرر المضي في جدول الأعمال، دون ان يأبه لبرقية الوفد الفلسطيني، وعندئذٍ تصدى له عدد من مندوبي الدول العربية والاسلامية وغيرها، وجرت مناقشة حامية، وهدد مندوب مصر محمود حسن باشا

بالانسحاب من اللجنة إذا أستمر تحيزها ضد شعب فلسطين، ورفض وفد الهيئة العربية العدول عن موقف المعارض، رغم الجهود المبذولة لحمله على ذلك.

وأخيراً اعترف السير الكسندر كادوغان رئيس الوفد البريطاني، بصفته مندوب بريطانيا التي تتولى الانتداب على فلسطين، بأن بريطانيا تعتبر الهيئة العربية العليا ممثلة لعرب فلسطين، كما تمثل الوكالة اليهودية اليهود، فكان هذا الاعتراف حاسماً للموقف، واتخذت اللجنة السياسية قراراً بأكثرية كبرى بدعوة الهيئة العربية العليا للظهور امامها بصفتها ممثلة لعرب فلسطين، لكن الوفد الفلسطيني اصر على ان يصدر هذا القرار من الجمعية العمومية نفسها، التي أصدرت قرارها بشأن الوكالة اليهودية، وذلك صيانة لمركز الشعب الفلسطيني، وعلى الأثر دعيت الجمعية العمومية لاجتماع فوري، اتخذت فيه قراراً خاصاً نص على ان قرار اللجنة السياسية يعبر عن رأي الجمعية العمومية تعبيراً تاماً، وابرق كل من رئيس الدورة واللجنة السياسية إلى الوفد الفلسطيني بقرار الجمعية العمومية واللجنة السياسية، فرد عليهما الوفد بأنه مستعد للتحدث أمام اللجنة السياسية.

كان هذا الحادث مثلاً واضحاً على أن التمسك بالحق يؤدي للوصول إليه، وأن التهاون فيه يؤدي إلى ضياعه، وكثيراً ما أدى التهاون إلى اضاعة الحقوق بل إلى إضاعة اوطان برمتها.

وفي اللجنة السياسية اغتنم اليهود الفرصة لعرض دعواهم الباطلة، والباسها ثوب الحق، في جو استعماري صهيوني موبوء بالدعاية اليهودية، وألقى كل من بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية والحاخام ستيفن وايز زعيم الصهيونيين الاميركيين خطاباً طلب فيه جعل فلسطين دولة يهودية، وبمثل ذلك تكلم موسى شرتوك سكرتير الوكالة اليهودية حينئذٍ، وزاد عليه تهجمه عليّ شخصياً وعلى الوفد الفلسطيني..

ودعمت الصحف الأمريكية والبريطانية، كعادتها، الموقف اليهودي وأشادت بالصهيونية، ودعت الأمم المتحدة إلى تلبية المطالب اليهودية.

وألقى الأستاذ هنري كتن باسم الوفد الفلسطيني بياناً جامعاً، طالب فيه بالاعتراف لفلسطين بحقها في الاستقلال، وأيد المطالب الوطنية، ورد الأستاذ اميل الغوري رداً قوياً على شرتوك مدحضاً التهم التي وجهها إليّ شخصياً، وإلى الفلسطينيين عامة.

وبعد مناقشات طويلة حادة قررت اللجنة السياسية تأليف لجنة دولية للتحقيق في قضية فلسطين من مندوبي أحدى عشرة دولة..

كانت الاحدى عشرة دولة التي تألفت منها اللجنة الدولية للتحقيق في قضية فلسطين هي: الهند وإيران ويوغوسلافيا وأوستراليا والسويد واورغواي ولوكسمبورغ وبيرو وغواتيمالا، وذلك وفقاً لقرار اللجنة السياسية وموافقة الجمعية العمومية على طلب الحكومة البريطانية ان تقتصر أعمال الدورة الاستثنائية على تأليف تلك اللجنة ورفع تقرير عنها إلى الأمم المتحدة. وكانت بريطانيا وأمريكا تتظاهران بالتزام موقف الحياد بين العرب واليهود خلال انعقاد الدورة الاستثنائية ولكن كل أعمالهما وتصرفاتهما خلال تلك الدورة وبعدها كانت تدل على اتجاههما نحو تقسيم فلسطين، ولم يلبث أن ظهر أن التقسيم هو أمر متفق عليه بين بريطانيا وأمريكا وانصار الصهيونية، وأنهم يعتبرونه الحل الامثل لقضية فلسطين بزعمهم. وتبع ذلك دعاية واسعة النطاق في الصحف البريطانية والأمريكية وغيرها التي تسير في ركب الاستعمار والصهيونية لدعم التقسيم وتأييد المطالب اليهودية الخاصة بإنشاء دولة يهودية في فلسطين..

وتبين لوفد الهيئة العربية العليا هذا الاتجاه واضحاً خلال وجوده في الأمم المتحدة، فاقترح على الهيئة عدم التعاون مع لجنة التحقيق موضحاً الأسباب الباعثة على ذاك في تقرير مفصل ارسله إليها. فرأت الهيئة بعد دراسة تقرير الوفد ومناقشته ان القصد من تأليف اللجنة على الشكل الذي تم لا يتعدى إصدار قرار بالتقسيم تستند إليه الجمعية العمومية وأن مهمة اللجنة لا تشتمل على إعلان استقلال فلسطين. من أجلّ ذلك قررت الهيئة مقاطعة اللجنة وقدمت إلى الدول العربية ومجلس الجامعة مذكرة تشتمل على الأسباب التي حملتها على اتخاذ قرارها هذا، واقترحت الهيئة في مذكرتها على الدول العربية مقاطعة اللجنة. لكن الدول العربية قررت التعاون مع اللجنة مبررة ذلك بأنها (أي الدول العربية) أعضاء في الأمم المتحدة فلا يجوز لها أن تقاطع لجنة معينة من قبلها! وفي نظرنا أن هذا التبرير غير وارد، فقد سبق للأمم المتحدة أن عيّنت عدة لجان للتحقيق في عدة قضايا مماثلة، فرفضت الدول التي كان التحقيق سيتناولها، أن تتعاون مع تلك اللجان، بل رفض بعضها السماح لها بالدخول إلى بلادها. وكانت الهيئة العربية قد دعت الشعب الفلسطيني إلى الاضراب العام عند مجيء لجنة التحقيق إلى فلسطين، فلما وصلت اللجنة إلى القدس يوم ١٧ حزيران ١٩٤٧ قوبلت بمقاطعة عامة من الشعب ثم عقد اجتماع وطني عام في القدس يوم ٦ تموز القيت فيه الخطب الوطنية الحماسية بالدعوة إلى الوحدة الوطنية ومقاومة الاستعمار والصهيونية واستنكار القوانين الجائرة التي تسنها حكومة الانتداب ومنها قانون نزع ملكية الغابات وتسجيل الأراضي باسم المندوب

السامي البريطاني. وكنت قد وجهت رسالة إلى إخواني الفلسطينيين لمناسبة وصول لجنة التحقيق أعلنت فيها التصميم على تحمل أعظم التضحيات في سبيل سلامة الوطن والدفاع عنه، وحذرت فيها من قيام ثورة شاملة أن لم تعترف بريطانيا وهيئة الأمم المتحدة بمطالب الفلسطينيين وحقوقهم المشروعة في وطنهم.

وخلال الأيام التي قضتها لجنة التحقيق في فلسطين استمعت اقوال الهيئات اليهودية وزارت المدن والمستعمرات اليهودية، وبعدما انهت مهمتها في فلسطين زارت عمان، ثم توجهت إلى لبنان، وقابلت في بلدة «صوفر» يوم ٢٢ تموز ممثلي الدول العربية، وتلا عليها وزير خارجية لبنان السيد حميد فرنجية مذكرة ضافية باسم الدول العربية جميعاً اشتملت على الوثائق والمستندات الدولية والتاريخية التي تثبت عروبة فلسطين وحق الشعب الفلسطيني في الاستقلال والسيادة في وطنه وبطلان دعوى اليهود، وحذرت المذكرة مما تؤدي إليه ممالأة الصهيونية والانسياق في باطلها من اضطراب الأمن في هذه البلاد.

ويوم وصول لجنة التحقيق إلى صوفر أبرقت الهيئة العربية البرقية التالية إلى ممثلي الدول العربية المجتمعين في صوفر وهم السادة: رياض الصلح وحميد فرنجية (عن لبنان) وجميل مردم وعادل ارسلان وفريد زين الدين (عن سورية) وفاضل الجمالي (عن العراق) وفؤاد حمزة (عن السعودية). وعلي المؤيد (عن اليمن) وسمير الرفاعي (عن الأردن):

(موقف ممثلي الدول العربية أمام اللجنة سيكون له أعظم الأثر في سبيل فلسطين، فالهيئة العربية العليا تناشدكم باسم عرب فلسطين ان تتفضلوا بتأييد مطالبهم بدولة عربية ديمقراطية مستقلة، والا يقبل من اليهود كمواطنين إلا الذين كانوا قبل الاحتلال البريطاني، وعدم التقيد بمشروع مؤتمر لندن كما ورد في مذكرتنا الأخيرة، وأن عرب فلسطين الذين صمموا على الاستماتة في سبيل استقلالهم وحفظ كيانهم يرجون من الممثلين الكرام موقفاً حازماً يتناسب وغلو الصهيونيين.)

أما (مذكرتنا الأخيرة) التي اشارت إليها البرقية آنفة الذكر فقد أرسلتها الهيئة العربية العليا إلى وزراء خارجية الدول العربية في ١٧ تموز ١٩٤٧ لمناسبة قدوم لجنة التحقيق إلى بيروت واجتماعها بوزراء الخارجية. وفيما يلي نص هذه المذكرة:

التاريخ ٢٨ شعبان ١٣٦٦ (١٧ يوليو ١٩٤٧)

حضرة صاحب المعالي وزير خارجية....

تتقدم الهيئة العربية العليا الممثلة للشعب العربي الفلسطيني لمناسبة زيارة لجنة التحقيق الدولية بيروت واستماعها إلى بيانات مندوبي الدول العربية الموقرة، إلى معاليكم بالبيان الآتي راجية أن يكون موضع النظر والعناية التامة من مندوب حكومتكم الجليلة عند إدلائه للجنة برأي حكومته في شأن قضية فلسطين.

١ ـ إن فلسطين جزء لا يتجزأ من البلاد العربية، ولا سبيل إلى حل قضيتها إلا على أساس الاستقلال التام والسيادة القومية، وهو الأساس الذي حلت عليه سائر قضايا البلاد العربية، ولقد كان خصوم القضية العربية من مستعمرين وصهيونيين، وما زالوا، منذ احتل الإنكليز فلسطين إلى الآن، يحاولون أن يحلو قضية فلسطين وفقاً للبرنامج الاستعماري والصهيوني، وأن يحملوا شعب فلسطين العربي على الرضوخ بشتى الوسائل والاساليب، لارادتهم ويقبل (بالأمر الواقع) فلم يلقوا نجاحاً، وأصر العرب على تحقيق ميثاقهم الوطني واعتبار بلادهم جزءاً من المجموعة العربية الكبرى.

٢ ـ إن للصهيونية مرامي خطيرة في فلسطين والبلاد العربية الأخرى الواقعة ما بين نهري النيل والفرات، فبعد ما كانوا يتظاهرون بطلب وطن قومي لليهود في فلسطين، أصبحوا يطلبون أن تكون فلسطين وطناً قومياً لهم، ثم تدرجوا من ذلك بتشجيع سياسة الاستعمار البريطاني لهم، إلى طلب دولة يهودية في فلسطين، ثم تفاقمت اطماعهم حتى أصبحت تتناول الأقطار العربية المجاورة لضمها إلى الدولة المنشودة، بدليل ما صرح به دافيد بن غوريون أحد زعمائهم الذي يرأس الآن الوكالة اليهودية في خطاب له إذاعه راديو باريس قبل نحو عشرة أشهر جاء فيه قوله:

(.... إن الدولة اليهودية التي نريدها الآن ليست الهدف النهائي وليست المحطة الأخيرة لتحقيق أهداف الصهيونية، بل هي اداة للتنفيذ ووسيلة لبلوغ الهدف ولذلك فإنها أصبحت أسرع شيء تريده الصهيونية في الوقت الحاضر..).

٣ ـ وليس من كلام اصرح من هذا في بيان أطماع الصهيونية وأنها لا تكتفي بفلسطين وحدها، ولو أردنا أن نسرد أقوال الصهيونيين الدالة على مطامعهم في تكوين دولة يهودية واسعة النطاق تشمل الأقطار

العربية الواقعة بين نهر الفرات ووادي النيل لضاق بنا المقام ولكننا نكتفي بأن نذكر في هذا المقام إنه أثناء الحرب الماضية عثر على خريطة لمملكة إسرائيل كما يريدها الصهيونيين في خزانة حديدية لعائلة روتشيلد اليهودية في مدينة فرانكفورت تشتمل على الحيز الذي تتناوله الدولة اليهودية، فإذا به يضم عدا فلسطين، شرقي الأردن وسيناء حتى نهر النيل، وجميع سورية ولبنان، والعراق حتى خليج البصرة (باستثناء المنطقة الجبلية الواقعة شمالي العراق)، والقسم الشمالي من المملكة العربية السعودية الذي يشمل المناطق الواقعة شمالي المدينة المنورة بما فيها أراضي بني قريظة وبني النضير في المدينة المنورة نفسها.

فمطامع الصهيونيين في هذه الناحية أمر واضح لا يفتقر إلى زيادة في التدليل والايضاح وهم كلما رأوا سكوت العرب عنهم ورحابة صدورهم وتساهلهم معهم، ازدادوا طمعاً وشدة، بتشجيع السياسة الاستعمارية البريطانية، ثم الأمريكية لهم، حتى أصبحوا يطمعون في أن تسيطر دولتهم المنشودة على الشرق الاوسط قاطبة، وبعد أن كان عددهم قبل الاحتلال البريطاني لفلسطين لا يبلغ خمسين الفا، أصبحوا الآن أكثر من ستمائة ألف، (تاريخ كتابة المذكرة).

٤ ـ لقد علمتنا التجارب ان التساهل لا يفيد في حل القضايا الوطنية، ولا ينتج عنه إلا تشدد المستعمرين والأعداء في مواقفهم وتعنتهم في عدوانهم، فالتساهل لم يجد شيئاً في حل قضيتي سورية ولبنان ولا في غيرهما من القضايا العربية، ولقد كان تساهل بعض العرب في شأن الكتاب الأبيض البريطاني لسنة ١٩٢٩ واستحسانه والمطالبة بتنفيذه، على حين كان الصهيونيون يجهرون باستنكاره ويجأرون بالشكوى منه ويطالبون بالغائه، سبباً في اقدام الحكومة البريطانية على خرقه وتمزيقه عملياً بفتح باب الهجرة اليهودية من جديد وادخال ١٥٠٠ مهاجر شهرياً، عدا الذين يدخلون بطرق التهريب المتعددة، وبعدم التقيد بما ورد فيه من قيود على بيع الأراضي في المنطقة الممنوعة.

٥ ـ ولذلك نرى ان اللين والاعتدال في مطالب العرب، لا يتلاءم وشدة اندفاع الصهيونيين وغلوهم في مطالبهم إلى درجة التهور والجنون، فالصهيونيون الذين هم أجانب عن البلاد وغرباء عن فلسطين، يتواقحون

في مطالبهم إلى حد المطالبة بدولة يهودية في جميع فلسطين وشرق الأردن وغيرهما، وإلى حد المن على العرب بمعاملتهم معاملة الرعايا وعدم التجاوز على حقوقهم الدينية والمدنية تفضلاً منهم وتكرماً على حين يطالب العرب، كما جاء في مشروع الدول العربية الذي قدم إلى بريطانيا في مؤتمر لندن سنة ١٩٤٦، بدولة فلسطينية لا بدولة عربية، ويعترفون لليهود بحق الثلث في الجمعية التأسيسية وفي شؤون البلاد كلها، مع أن أكثر اليهود هم عناصر أجنبية طارئة لا يعترف العرب بأن لهم حق المواطنين في فلسطين، والمشاركة في إدارة البلاد وتمثيلها.

لقد عرف الصهيونيون أن تشددهم يصل بهم دائماً إلى جل ما يبتغون، فهم لذلك يطلبون أضعاف أضعاف حقوقهم المزعومة، وظن العرب ان تساهلهم ورحابة صدورهم يستحقان تقدير العالم المتمدن وعطف بريطانيا وأمريكا، فأظهروا من اللين ورقة الجانب ما أطمع المستعمرين فيهم وجعلهم يفسرونه على غير حقيقته، فعمدوا إلى التوفيق بين مطالب الصهيونيين ومطالب العرب بفرض حل وسط تكون نتيجته أن ينال الصهيونيين ثمرة تشددهم وغلوائهم، وأن يتردى العرب في هوة تساهلهم ورحابة صدورهم.

٦ ـ لقد سبق أن أعلنت الحكومات العربية في مؤتمر لندن أنه إذا لم تقبل الحكومة البريطانية مشروع الحكومات العربية فان هذه الحكومات لا تعتبر نفسها ملزمة به.

لذلك ترجو الهيئة العربية العليا من حكومتكم الموقرة أن لا تعتبر نفسها مقيدة بمشروعها الذي قدمته إلى الحكومة البريطانية، وترجو الهيئة أيضاً من حكومتكم الموقرة أن تطالب أمام لجنة التحقيق الدولية، بدولة عربية (لا فلسطينية) يشترك فيها من اليهود الفلسطينيين أولئك الذين كانوا فيها عند الاحتلال البريطاني ومن توالد منهم دون العدد الباقي من اليهود في فلسطين الذين يعتبرهم العرب جالية يهودية طارئة دخلت البلاد بالرغم من اهلها.

وتفضلوا يا صاحب المعالي بقبول أطيب التحية واوفر الاحترام...

رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين.

محمد أمين الحسيني

هذا ولم تلبث الهيئة العربية أن أيقنت من انسياق معظم أعضاء اللجنة الدولية، وراء تحقيق رغبة بريطانيا وأمريكا والصهيونيين، وأنهم سيوصون بالتقسيم، إذ أن بعضهم أعلنوا، قبل أن تباشر اللجنة مهمتها، أنهم يرون تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية هو الحل الأمثل للمشكلة الفلسطينية! وكان من هؤلاء ممثلوا هولندة وغواتيمالا واورغواي، كما أن اللجنة عندما جاءت فلسطين نزل أكثر اعضائها بفنادق يهودية وحضروا حفلات ترفيه أقامها لهم اليهود في المستوطنات والمستعمرات اليهودية، وصدرت عنهم تصريحات صحفية لصالح الاستعمار والصهيونية، حدث هذا قبل أن تستوفي اللجنة تحقيقها وتصدر تقريرها.

وكنا قبل أن تصدر لجنة التحقيق الدولية تقريرها بالتقسيم، الذي أخذت به الأمم المتحدة فيما بعد، أوضحنا رأينا في اخطار التقسيم ومضاره، على الفلسطينيين خاصة والعرب عامة منذ أصدرت «لجنة بيل» الملكية قرارها بالتقسيم في تموز عام ١٩٣٧ وما تبع ذلك من قدوم لجنة التحقيق الانجلو اميركية عام ١٩٤٦. وكان فيما ارهصت به الصحف البريطانية من الاشارة إلى مشروع التقسيم كحل عملي معقول، ما حملنا على الاعتقاد بأن التقسيم هو الحل النهائي الذي تم عليه الاتفاق بين بريطانيا وأمريكا والصهيونية العالمية، وأنهم يعتزمون فرضه على الشعب الفلسطيني وتنفيذه بكل الوسائل، ولذلك رأينا أن نبين للرأي العام العربي والإسلامي مدى الأخطار التي تحيق بفلسطين والأقطار العربية المجاورة إذا ما تم تنفيذ تلك المؤامرة الخطيرة، فنشرنا الايضاحات التالية:

«١ـ إن التقسيم يؤدي إلى إنشاء دولة يهودية مستقلة في بقعة من أهم بقاع الوطن العربي من النواحي السياسية والاستراتيجية والدينية والاقتصادية والاجتماعية.

٢ ـ إن إنشاء هذه الدولة اليهودية المستقلة، عدا كونه خطراً هائلاً على فلسطين وسائر الأقطار العربية فإنه أيضاً:

آ ـ يحرم العرب من شطر مهم من الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، ومن منافعه وخيراته.

ب ـ يجعل منها (أي الدولة اليهودية) قواعد بحرية وجوية وبرية، تهدد باستمرار كيان الأقطار العربية واستقلالها.

ج ـ يجعل منها بؤرة للدسائس الأجنبية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية

ضد الوطن العربي.

د ـ يمهد السبيل للصهيونية العالمية والرأسمالية اليهودية بما لديها من الثروات الطائلة، ان تنشئ الاساطيل الجوية والبحرية، والجيوش البرية العظيمة بدون رقابة، وذلك من أجلّ التوسع الصهيوني في البلاد العربية المجاورة، إذ لا يخفى أن الدولة اليهودية التي تنشأ في جزء من فلسطين، لا يمكن بحال من الأحوال أن تستوعب العدد الذي تحاول الصهيونية حشده في فلسطين تحقيقاً للمطامع الصهيونية التي تمتد إلى سوريا ولبنان وشرقي الأردن والعراق ومصر الشرقية.

هـ ـ يجعل جميع الاماكن المقدسة في فلسطين، في خطر دائم.

و ـ ينشئ رأس جسر يهودي خطير على البلاد العربية، ويشكل إسفيناً يفصل بين أجزاء الوطن العربي والإسلامي، في نقطة حساسة على مفترق طرق القارات الثلاث.

ز ـ يمكن الصهيونية من تقوية نفوذها السياسي أضعافاً مضاعفة، بما تستطيع إنشاءه بصورة رسمية من مراكز التمثيل السياسي، كالسفارات والقنصليات ونحوها في جميع اطراف العالم، وبما يكون لهذه المراكز من الحصانة ومن الامتيازات الدبلوماسية.

ولذلك فمن الضروري ان تبادر الأمة العربية قبل فوات الاوان، جامعتها، ودولها، وشعوبها قاطبة، بمقاومة اية خطة جائرة كالتقسيم، واستمرار الهجرة، ونحوهما من الحلول المنتظرة من لجنة التحقيق، والممهدة لإنشاء الدولة اليهودية التي لا تنحصر اضرارها بفلسطين فحسب، بل تهدد كيان الأمة العربية بأسرها تهديداً خطيراً.

أما الرضوخ لهذه السياسة الجائرة، والظلم الغاشم الذي لم يعرف التاريخ له نظيراً، فإنه يسجل على الأمة العربية عامة، وأولي الأمر خاصة، مسؤولية عظيمة عند الله والناس، كما يصمها بالعار والخزي وذل الابد».

لما انتهت لجنة التحقيق من مهمتها في سويسرة واتمت وضع تقريرها، قدمته إلى الأمم المتحدة في نيويورك في شهر ايلول ١٩٤٧، فجاء كما توقعه النابهون والعقلاء، من العرب، مخيباً للآمال إذ أوصت أكثرية اللجنة المؤلفة من ثمانية أعضاء، بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية ودولة يهودية وفترة انتقال مدتها سنتان تظل

بريطانيا خلالهما تمارس انتدابها ويدخل فلسطين في هذه المدة مئة وخمسون ألف مهاجر يهودي.

وأوصت اقلية اللجنة المؤلفة من ثلاثة أعضاء هم ممثلوا إيران والهند ويوغوسلافيا بتأليف دولة اتحادية مركزية ذات دستور واحد ورئيس واحد وجنسية واحدة، وتتألف من حكومتين تكون كل حكومة منهما مستقلة استقلالاً ذاتياً وتنحصر الهجرة في المنطقة اليهودية وفقاً لمقدرتها على الاستيعاب، وأعطيت الدولة اليهودية من الأراضي مساحة ١٤,٢٠٠ كيلومتر مربع هي اجود أراضي فلسطين وأخصبها. وأعطيت الدولة العربية ما مساحته ١٢,٠٠٠ كيلومتر مربع، وبموجب هذا التقسيم يدخل في القسم اليهودي من الأراضي والعقارات العربية ما يبلغ ثلثي مساحة تلك المنطقة، ويدخل في القسم العربي أقل من مئة ألف دونم من الأراضي اليهودية وقسم لا يعتد به من العقارات. وهكذا يكون اليهود بجرة قلم قد نهبوا واغتصبوا ممتلكات العرب وأراضيهم، وتكون المؤامرة الاستعمارية اليهودية قد أحكمت نطاقها على القسم الأكبر والأخصب والأعظم أهمية من البلاد الفلسطينية، وبموجب هذا التقسيم يدخل في الدولة اليهودية أراضي مرج ابن عامر والجليل الشرقي ومعظم السهول الساحلية ومنطقة بئر السبع والنقب ونحو نصف مليون عربي فلسطيني، وما يزيد قليلاً على نصف مليون يهودي.

كان تقرير اللجنة في الواقع يشتمل على تقريرين أحدهما تقرير الاكثرية، والآخر تقرير الاقلية، فلما تم تقديمهما إلى الأمم المتحدة، عقدت دورتها العادية السنوية في ليك ساكسيس في أيلول ١٩٤٧، وجرى بحثهما في هذه الدورة بحضور وفود الدول العربية ووفد الهيئة العربية العليا لفلسطين.

وكانت الأنباء التي نشرت واذيعت عن تقرير لجنة التحقيق، قد أثارت ثائرة العرب في فلسطين والأقطار العربية الأخرى واحدثت قلقاً وهياجاً في النفوس. وسارعت الهيئة العربية العليا إلى تأليف وفود وإرسالها إلى العواصم الأوروبية والأمريكية للدعاية لقضية فلسطين وإبلاغ ظلامتها للعالم الخارجي على أمل أن يحدث ذلك هزة تؤدي إلى الضغط على الدول والحكومات الضالعة مع الصهيونية لكيلا يتخذ مندوبوها في الأمم المتحدة قرارات بالموافقة على التقسيم.

وارتفعت الأصوات من فلسطين والأقطار العربية والإسلامية بشجب التقسيم والمطالبة لفلسطين بالحرية والاستقلال. وتلقت الهيئة العربية فيضاً من البرقيات

بالاحتجاج والاستنكار والمطالبة بالجهاد والمقاومة والتسلح وإعلان التطوع لإنقاذ فلسطين.

وبادرت اللجنة السياسية لجامعة الدولة العربية وهي تمثل جميع الدول العربية بعقد اجتماعاتها في (صوفر) من ١٦ - ١٩ ايلول ١٩٤٧ بحضور رؤساء وزارات الدول العربية وبعض وزراء خارجيتها، وحضر الاجتماعات السيد معين الماضي عضو الهيئة العربية العليا ممثلاً لفلسطين، واتخذت بشأن القضية الفلسطينية القرارات التالية:

«أولاً - ترى اللجنة ان مقترحات لجنة التحقيق المنبثقة عن الأمم المتحدة تنطوي على إهدار فاضح لحقوق عرب فلسطين الطبيعية في الاستقلال كما تنطوي على خرق لجميع العهود التي قطعت للعرب ولذات المبادئ التي تقوم عليها منظمة الأمم المتحدة.

وترى في تنفيذ هذه المقترحات خطراً محققاً يهدد الأمن والسلام بفلسطين وبالبلاد العربية جميعاً، ولذلك فقد وطدت العزم، تحقيقاً لاستقلال فلسطين وحريتها ودفاعاً عن كيان الدول العربية، على أن تقاوم بجميع الوسائل العملية الفعالة تنفيذ هذه المقترحات وكل تدبير آخر لا يكفل استقلال فلسطين كدولة عربية.

ثانياً - لقد سبق للحكومات العربية أن حذرت لجنة التحقيق من مغبة التوصية باقامة دولة يهودية في فلسطين ومما سيؤدي إليه ذلك حتماً من اضطرابات تعم الشرق الاوسط باسره، لأن عرب فلسطين لن يسلموا بأي تدبير يكون من شأنه أن يقضي على وحدة بلادهم واستقلالها بل سيخوضون حرباً لا هوادة فيها لدفع ذلك العدوان على وحدة بلادهم، لاسيما وأنهم يعرفون ان البلاد العربية جميعاً ستقف من ورائهم تناصرهم وتمدهم بالرجال والمال والعتاد للدفاع عن كيانهم.

وان الحكومات العربية لن تستطيع أن تكبت شعور شعوبها الثائرة من جراء الظلم الواقع عليها ولا أن تقف مكتوفة الايدي أمام خطر يهدد البلاد العربية جميعاً، بل إنها ستضطر إلى مباشرة كل عمل حاسم يكون من شأنه أن يدفع العدوان ويعيد الحق إلى نصابه.

ثالثاً - لذلك ترى اللجنة أن تكاشف الشعوب العربية جميعاً بحقيقة المخاطر التي تحيط بقضية فلسطين وأن تدعو كل عربي ان يقدر خطورة هذه المخاطر

وأن يقدم لفلسطين كل ما في وسعه من معونة وتضحية وقد اتخذت اللجنة من جانبها من التدابير الفعالة ما يكفل تحقيق الأهداف العربية».

وعلى أثر صدور تقرير لجنة التحقيق أصدر وفد الهيئة العربية العليا لفلسطين لدى الأمم المتحدة بنيويورك تصريحاً جاء فيه:

«إن الوفد العربي الذي يمثل الهيئة العربية العليا لفلسطين، لم تدهشه الوصايا المجحفة التي تخالف المنطق ولا يمكن تطبيقها، والتي قدمتها لجنة التحقيق الدولية. وقد تنبأت الهيئة العربية العليا بهذه النتيجة عندما أعلنت مقاطعتها، فلجنة التحقيق قد ابتدأت أعمالها على ضوء الوثائق التي جمعتها السكرتارية العامة لهيئة الأمم المتحدة والتي تحتوي على كل ما يؤيد وجهة النظر الصهيونية، والتي لا أثر فيها تقريباً لوجهة نظر العرب، أضف إلى هذا، الشكل الذي بموجبه اجرت اللجنة تحقيقها، والتعليمات التي تلقاها فريق من اعضائها من حكوماتهم لتدعيم وجهة النظر الصهيونية وبالطريقة التي سلكها بعض الأعضاء باتصالهم بالصهيونيين، بصرف النظر عما ادلوا به من التصريحات التي تبين أنهم قلباً وقالباً مع الجانب الصهيوني، كل ذلك اقنع العرب بأن أعضاء اللجنة ليسوا على الحياد وأنهم حكم وفريق في آن واحد....»

أصبحت الضرورة تقضي بالاهابة بالعالمين العربي والإسلامي لنصرة فلسطين في محنتها، وكسب ما يمكن كسبه من تأييد العالم المسيحي وذوي الضمائر من احرار العالم، لدفع كارثة التقسيم والتهويد، فجعلنا في طليعة اعمالنا إرسال الوفود للدعاية وطلب الدعم والمساعدة للشعب الفلسطيني ليتمكن من القيام بواجبه في هذه الجائحة الخطيرة بأحسن ما يستطيع من جهاد وعمل، وقررنا أن تسير أعمال الدعاية والسياسة جنباً إلى جنب مع الاستعداد العسكري (الذي سنتحدث عنه في مكان اخر من هذه المذكرات) وتهيئة الشعب الفلسطيني للقتال دفاعاً عن وطنه، ايقاناً منا بأن لا سبيل إلى إنقاذ الوطن من المؤامرات الأجنبية والمطامع اليهودية إلا بالجهاد والفداء.

فبالأضافة إلى وفود الهيئة العربية العليا التي كانت تتولى المفاوضة وعرض القضية الفلسطينية في لندن وفي الأمم المتحدة، وكانت مؤلفة من السادة: جمال الحسيني، حسين الخالدي، أميل الغوري، عمر الخليل، يوسف صهيون، سامي طه، رجائي الحسيني، هنري كتن، واصف كمال، انتدبت الهيئة وفوداً أخرى إلى أوروبا وأمريكا والأقطار الآسيوية والإفريقية، كان منها وفد مؤلف من السيدين الدكتور معروف

الدواليبي (نائب حلب عندئذٍ ورئيس وزراء الدولة السورية فيما بعد) وراسم الخالدي، للاتصال بأعضاء لجنة التحقيق الدولية ومتابعة اعمالها في سويسرة في صيف عام ١٩٤٧، فقاما بعمل مشكور من حيث الاتصال ببعض أعضاء اللجنة وبالسيد كميل شمعون وزير داخلية لبنان حينئذٍ بصفته مندوب الدول العربية لدى لجنة التحقيق، والسيد جميل مكاوي وزير لبنان المفوض في سويسرة وبالسيد خالد العظم وزير سورية المفوض وغيرهم من الدبلوماسيين العرب. وظهر من هذه الاتصالات أن رئيس اللجنة (ساندستروم) السويدي شديد التحيز إلى اليهود، وكذلك معظم اعضائها، وفقاً للمخطط الانجلو اميركي - الصهيوني.

وقد كنت أبرقت إلى رئيس وزراء ايران آملاً منه أن يوصي ممثل ايران في لجنة التحقيق بدعم حق العرب في فلسطين، وكذلك ابرقت إلى زعيم باكستان محمد علي جناح في كراتشي وإلى البنديت جواهر لال نهرو في دلهي بأن يوصيا ممثل الهند في اللجنة السيد عبد الرحمن بمثل ذلك. (كان هذا قبل انفصال باكستان عن الهند). وأذكر لهذه المناسبة ان ممثل الهند السيد عبد الرحمن زارني في القاهرة واستعرضنا خلال هذه الزيارة قضية فلسطين في وضعها الحاضر وأظهرت له خلال الحديث اخطار المخططات الاستعمارية والصهيونية، ومنها التقسيم، على فلسطين والعالمين العربي والإسلامي.

وفي دورة أيلول عام ١٩٤٧ أوفدت الهيئة وفداً آخر إلى الأمم المتحدة مؤلفاً من السادة: جمال الحسيني، هنري كتن، عيسى نخلة، واصف كمال، ورغم ما بذلته الوفود العربية ووفد فلسطين من جهود عظيمة ومساع حثيثة فقد وافقت الأمم المتحدة على قرار التقسيم باكثرية ٣٣ صوتاً ضد ١٣ وامتناع ١١ عن التصويت.

وفي عام ١٩٤٧ انتدبت الهيئة وفداً إلى أوروبا مؤلفاً من سيادة جورج حكيم مطران طائفة الروم الكاثوليك في الجليل بفلسطين (الذي أصبح فيما بعد غبطة مكسيموس الخامس حكيم بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الكاثوليك) والأستاذ محمد العفيفي والدكتور يعقوب الخوري، فزار الوفد إيطاليا والفاتيكان وفرنسا وبلجيكا وقام فيها بدعاية طيبة لقضية فلسطين.

وفي تموز ١٩٤٧ انتدبت الهيئة وفداً مؤلفاً من السادة الاساتذة اكرم زعيتر (عن فلسطين) ونصري المعلوف (نائب بيروت حالياً) - (عن الحكومة اللبنانية) وتوفيق اليازجي (عن الحكومة السورية) فطاف الوفد دول أمريكا اللاتينية وأمريكا الوسطى

باذلاً جهداً كبيراً لدى المقامات السياسية والوطنية في تلك الأقطار وأسس في معظمها (جمعيات للدفاع عن فلسطين)، وتركت هذه الزيارة أثراً عميقاً في الجاليات العربية.

وكذلك أوفدت الهيئة إلى الأقطار الإسلامية والشرقية وفوداً أخرى منها وفدها إلى ايران عام ١٩٤٨ وكان مؤلفاً من السيدين عادل عسيران والدكتور داوود الحسيني، ووفدها الأول إلى باكستان وكان مؤلفاً من الأستاذين محمد صالح عشماوي وعليم الله صديقي، وكذلك أوفدت الأستاذ جمال الدين السنهوري إلى السودان، والشيخ محمد صبري عابدين والسيد جميل بركات إلى اليمن وعدن واريتريا، ثم اوفدت الهيئة وفدها الثاني إلى باكستان وأفغانستان وكان مؤلفاً من السادة: الشيخ عبد الله غوشه وسليم الحسيني وجميل بركات. واشترك هذا الوفد باسم فلسطين في مؤتمر العالم الإسلامي الأول الذي انعقد في كراتشي عام ١٩٤٩، وكذلك أوفدت الهيئة السيد محمد طاهر الفتياني إلى إندونيسيا واوفدت أيضاً وفداً إلى المغرب مؤلفاً من السادة الشيخ عبد الرحمن مراد وموسى أبو السعود ومحمد طاهر الفتياني، وزار هذا الوفد اسبانيا وجزر الكناريا.

وفي عام ١٩٤٨ اوفدت الهيئة وفداً مؤلفاً من السيدين جمال الحسيني وعيسى نخلة إلى دورة الأمم المتحدة فقدم مذكرات متعددة تبين وجهة نظر العرب ضد قرار التدويل وكذلك أوفدت الهيئة في عام ١٩٤٨ وفداً مؤلفاً من السادة هنري كتن وأحمد الشقيري والدكتور يعقوب الخوري إلى باريس حيث أجتمعت الأمم المتحدة.

وفي نيسان ١٩٤٩ عقدت لجنة التوفيق اجتماعاً في لوزان لبحث قضية فلسطين فاوفدت الهيئة الأستاذ عيسى نخلة للمراقبة والاتصال بالوفود العربية، ثم في أيلول ١٩٤٩ اوفدت الهيئة إلى لوزان السيدين رجائي الحسيني ويوسف صهيون بالأضافة إلى السيد عيسى نخلة واتصل الوفد بممثلي الدول العربية وقدم مذكرات متعددة إلى اللجنة المذكورة بسط فيها مطالب الفلسطينيين ووجهة نظرهم.

وفي الاجتماع الذي عقدته الأمم المتحدة في دورة أيلول لبحث قضية تدويل القدس، أوفدت الهيئة العربية وفداً مؤلفاً من السادة رجائي الحسيني واميل الغوري ونقولا جارور، فاتصل بوفود الدول العربية وغيرها وقدم إلى رئيس الدورة تقريراً عن وجهة نظر الهيئة العربية في قضية فلسطين. وبعد انفضاض الدورة زار الوفد الجاليات العربية في امريكا الشمالية والجنوبية متحدثاً إليها عن فلسطين وداعياً إلى دعمها وإنقاذها.

وفتحت الهيئة مكاتب في لندن وباريس ونيويورك بالأضافة إلى مكاتبها في القاهرة والقدس ودمشق وبيروت وبغداد، وانتدبت السيد عز الدين الشوا لادارة مكتب لندن، والدكتور يعقوب الخوري لادارة مكتب باريس، والأستاذين عيسى نخلة وواصف كمال لادارة مكتب نيويورك.

وعدا هذه الوفود، أرسلت الهيئة وفوداً عديدة أخرى في السنين السابقة واللاحقة سيأتي ذكرها في مكانها من هذه المذكرات.

شهدت الايام الأخيرة من شهر تشرين الثاني ١٩٤٧ نشاطاً عظيماً وصراعاً شديداً في دوائر الأمم المتحدة بين العرب وانصارهم من الدول التي عارضت التقسيم، وبين اليهود ومن أيدهم في باطلهم من الدول الأجنبية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. وجرت محاولة اخيرة من قبل العرب لإنقاذ الموقف عندما أيقنوا أن مشروع التقسيم سيفوز بالاكثرية المطلوبة، إذ تقدم مندوب لبنان السيد كميل شمعون، بالاتفاق مع بعض المندوبين العرب، باقتراح إلى الجمعية العمومية بتشكيل دولة فلسطينية اتحادية (فيدرالية) بدلاً من التقسيم لكن الاقتراح فشل ووافقت الجمعية العمومية على تقرير أكثرية أعضاء اللجنة الدولية الذين اوصوا بالتقسيم، وصدر القرار باكثرية ٣٣ صوتاً ضد ١٣ واستنكف ١١ عن التصويت. وهكذا قيض لمؤامرة تقسيم فلسطين ان تتخذ شكلها القانوني والدولي في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧...

وهكذا حملت أمريكا وبريطانيا بالتواطؤ مع اليهودية العالمية والمنظمات الصهيونية وزر هذه المؤامرة، وكان للرئيس الاميركي «ترومان» بالذات النصيب الأكبر من هذا الوزر والكارثة التي حلت بالشعب الفلسطيني والتي لا يزال جرحها يدمى في قلوب العرب والمسلمين رغم انقضاء خمسة وعشرين عاماً إلى أن يقيض الله لهم يقظة شاملة ووثبة مباركة وعوداً حميداً إلى القيم الدينية والخلقية، التي هي وحدها وسيلتهم لاسترداد وطنهم ومقدساتهم من أعداء الانسانية ومثيري الفتن والفساد والحروب في العالم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿كلما اوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله، ويسعون في الارض فساداً، والله لا يحب المفسدين﴾.

ولم يعد خافياً الدور الذي قامت به أمريكا لحمل كثير من مندوبي الدول، ترغيباً أو ترهيباً، على التصويت للتقسيم، فبذلك كسب الصهيونيون من الاصوات ماضمن لهم أكثرية الثلثين للفوز بقرار التقسيم، وكان من بين مندوبي تلك الدول التي غلبت على

امرها مندوب «هايتي» الذي اكد لظفر الله خان مندوب باكستان وغيره من المندوبين انه اضطر للتوقيع على القرار وعيناه تفيضان من الدمع، وأبلغ مندوب الدومينيكان الدكتور هنريكوس الوفد الفلسطينى في الأمم المتحدة انه يرى التقسيم امراً غير واقعي ولا منطقي ولا ينتج عنه إلا سفك الدماء.

لقد كنت في المانيا عندما تسلم «ترومان» منصب رئاسة الجمهورية أثر موت «روزفلت»، كان فريق من الالمان حينئذٍ مستبشراً ومتوقعاً ان يكون الخلف خيراً من السلف، لكن الواقع أخلف الظن فان ترومان لم يكد يتسلم زمام الحكم حتى انحاز إلى الصهيونيين انحيازاً بز فيه كل أسلافه فقد طالب بادخال مئة ألف يهودي فوراً إلى فلسطين، ثم وافق على إرسال لجنة التحقيق الانجلو اميركية إلى فلسطين عام ١٩٤٦ التي أظهرت تحيزاً عظيماً للصهيونيين وأصدرت تقريراً هو أبعد ما يكون عن العدل والنزاهة، إذ أوصت بادخال مئة ألف مهاجر يهودي إلى فلسطين، وقضت بأن لا تكون الهجرة اليهودية رهينة برضاء العرب، واباحت انتقال الأراضي العربية إلى اليهود، واهملت مطالب العرب وانكرت عليهم حق تقرير المصير، وقد أظهر ترومان أنه صهيوني أكثر من الصهيونيين إذ أمر الوفد الأمريكي في الأمم المتحدة بأن يصر على التقسيم، وعلى أن تكون العقبة وأراضي النقب كلها لليهود.

وقد أكد هذه الحقيقة الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان في مذكراته قائلا: «إنه عندما اشتدت معارضة العرب للتقسيم، شعر رئيس الوفد الاميركي السفير «هيرشل جونسون»، إنه يجب تخفيف حدة مقاومة العرب، ولاسيما أن مشروع التقسيم يمنح اليهود مساحات كبيرة من الأراضي وهو أمر يثير العرب، فاعتزم الوفد الاميركي ان يقوم بتسوية على أساس إعطاء العرب قسماً من أراضي النقب، مع ميناء العقبة وضمه إلى أراضي الدولة المقترحة» وأضاف وايزمان: «إنه عندما علم بذلك أصابه خوف شديد فسافر من فلسطين إلى واشنطن خصيصاً وأن ترومان استقبله يوم ١٩ نوفمبر ١٩٤٧ بعطف شديد ولطف عظيم، فحدثه وايزمان في موضوع أراضي النقب وإمكان ريّها بإحدى طريقين: أما بإسالة المياه إليها من الشمال وفقاً لمشروع «لوذر ميلك»[١] وأما من المياه الجوفية الموفورة فيها، وإذا كان لا بد من إعطاء العرب قسماً من النقب فليكن التقسيم على أساس خط عمودي (من الشمال إلى الجنوب)، لا على

(١) مشروع «لوذر ميلك» نسبة إلى خبير الأراضي والري الأمريكي «ولتر كلي لوذر ميلك» الذي استدعته الوكالة اليهودية عام ١٩٣٨ بالاتفاق مع أمريكا لدراسة المياه في فلسطين وإمكانية استغلالها لري صحراء النقب، نشر هذا الخبير كتاباً بعنوان «فلسطين أرض الميعاد» ضمّنه مشروعه الشهير.

أساس خط أفقي، وبذلك يحصل كل من العرب واليهود على قسم من الأراضي الخصبة وقسم من الأراضي الصحراوية، اما العقبة نفسها فينبغي ان تكون من حق الدولة اليهودية...»

وقال وايزمان: «انه حدث ترومان عن المشروعات العديدة التي سيقوم بها اليهود في النقب كفتح قناة من العقبة إلى البحر الأبيض المتوسط موازية لقناة السويس، وتوسيع ميناء العقبة وجعله صالحاً لاستقبال السفن الكبيرة ومرورها منه.. وأضاف وايزمان قائلاً أنه فرح جداً عندما شاهد ترومان يرجع إلى الخريطة ويتأملها باهتمام، ثم يبلغ وايزمان إنه سيتصل بالوفد الاميركي في ليك ساكسيس في هذا الشأن، وقال وايزمان أنه بعد ظهر ذلك اليوم جاء السفير هيرشل جونسون رئيس الوفد الاميركي في الأمم المتحدة وزميله الجنرال هلدرج لزيارة «شرتوك» (وزير خارجية إسرائيل ورئيس وفدها في الأمم المتحدة) وليبلغاه وجهة نظر الوفد الاميركي في شأن تقسيم النقب بين العرب واليهود وجعل العقبة من حصة العرب ولكن في تلك اللحظة اتصل ترومان بجونسون بالتلفون مدة نصف ساعة وطلب منه ان تظل العقبة والنقب كلها من نصيب الدولة اليهودية».

وأضاف وايزمان إلى ذلك قوله: «وهكذا فتح القرار الاميركي السبيل للتصويت على مشروع التقسيم في الجمعية العمومية في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ ففاز باكثرية ٣٣ صوتاً ضد ١٢».

وهكذا ظهر أن ترومان كباقي الرؤساء الاميركيين الذين تولوا الرئاسة منذ وعد بلفور، يعملون لصالح اليهود أكثر مما يعملون لصالح أمريكا. ومن المناقضات الغربية أن كلمة «ترومان» الإنكليزية تعني «رجل الحق» أو «رجل الصدق». فهل كان ترومان في موقفه من قضية فلسطين رجل حق وصدق؟!

ولهذه المناسبة أرى استيفاء لهذا الموضوع أن أورد هنا نص المذكرة التي بعث بها الملك عبد العزيز آل سعود إلى ترومان بشأن فلسطين مدافعاً عن حق العرب والمسلمين فيها ومظهراً شدة دهشته لتصريح ترومان الذي أيد فيه موقف اليهود وعدوانهم الصريح وطغيانهم وهجرتهم إلى فلسطين، مناقضاً بذلك التعهدات والوعود الأمريكية السابقة التي أكدها البيان الذي اذاعه البيت الأبيض في ١٦ اغسطس (آب) ١٩٤٦، وأن اتبع مذكرة الملك عبد العزيز برد ترومان عليها لأن نشرهما يبين بوضوح تناقض ترومان وتراجعه عن موقفه السابق كما فعل سلفه روزفلت:

«يا صاحب الفخامة...

إن الصداقة التي تربط بلادي ببلاد الولايات المتحدة، والصداقة التي تأسست بيني وبين الراحل روزفلت، والصداقة التي تجددت بيني وبين فخامتكم تجعلني شديد الحرص في المحافظة على هذه الصداقة بتغذيتها والعمل على تقويتها بكل الوسائل الممكنة، ولذلك تجدونني فخامتكم ألح وأكرر في كل مناسبة أشعر بها بما يخل بصداقة الولايات المتحدة مع بلادي ومع سائر البلاد العربية لكي أزيل ما يمكن أن يعرقل هذا الصفاء.

ولقد كتبت للراحل العظيم ولفخامتكم حقيقة الموقف في فلسطين والحق الطبيعي للعرب فيها وأن ذلك يرجع إلى آلاف السنين وأن اليهود ليسوا إلا فرقة ظالمة باغية معتدية اعتدت في أول الأمر باسم الانسانية ثم أخذت تظهر عدوانها الصريح بالقوة والجبروت والطغيان مما ليس بخاف على فخامتكم وعلى شعب الولايات المتحدة.

اضف إلى ذلك اطماعهم التي بيتوها ليس لفلسطين وحدها بل لسائر البلاد العربية المجاورة ومنها اماكن في بلادنا المقدسة.

لقد دهشت للاذاعات الأخيرة التي نسبت تصريحاً لفخامتكم بدعوى تأييد اليهود في فلسطين وتأييد هجرتهم إليها بما يؤثر على الوضعية الحاضرة فيها خلافاً للتعهدات السابقة.

ولقد زاد في دهشتي أن التصريح الذي نسب أخيراً لفخامتكم يتناقض مع البيان الذي طلبت مفوضية الولايات المتحدة في جدة من وزارة خارجيتنا أن ينشر في جريدة ام القرى باسم بيان أدلى به البيت الأبيض بتاريخ ١٦ اغسطس ١٩٤٦ وذلك البيان صريح في أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لم تتقدم بأية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين وأظهرتم املكم بحلها بواسطة المحادثات بين الحكومة البريطانية وبين وزراء خارجية الدول العربية، وبين الحكومة البريطانية والفريق الثالث، وأظهرتم فخامتكم رغبتكم في اتخاذ تسهيلات في الولايات المتحدة لايواء المشردين وفي جملتهم اليهود، ولذلك كانت دهشتي عظيمة حين اطلاعي على البيان الاخير الذي نسب لفخامتكم مما جعلني اشك بصحة نسبته لكم لأنه يتناقض مع وعود حكومة الولايات المتحدة والتصريح الذي صدر في ١٦ أغسطس ١٩٤٦ من البيت الأبيض.

وإني لعلى يقين بأن شعب الولايات المتحدة الذي بذل دمه وماله في مقاومة العدوان الغاشم لا يمكن أن يسمح بهذا العدوان الصهيوني على بلد عربي لم يقترف ذنباً غير إيمانه بمبادئ العدل والانصاف التي قاتلت من أجلها الأمم المتحدة، وكان من أركانها بلاد الولايات المتحدة وكان لفخامتكم بعد سلفكم العظيم المجهود العظيم في هذا السبيل، ورغبة مني في المحافظة على صداقة العرب والشرق مع الولايات المتحدة، اوضحت لفخامتكم بهذا البيان الظلم الذي يمكن أن يحيق بالعرب إذا بذلت أي مساعدات لهذا العدوان الصهيوني، وإني على يقين بأن فخامتكم ومن ورائكم شعب الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن يقبل أن يدعو للحق والعدل والإنصاف ويحارب من أجله بقوة في سائر أنحاء العالم ويمنع هذا الحق والعدل عن العرب في بلادهم فلسطين التي ورثوها عن آبائهم واجدادهم منذ العصور القديمة.

واقبلوا تحياتنا.....

١٥ اكتوبر ١٩٤٦»

رد ترومان على الملك عبد العزيز:

«يا صاحب الجلالة..

لقد استلمت الآن كتابكم بشأن فلسطين، الذي تلطفتم جلالتكم وحولتموه التي عن طريق المفوضية السعودية العربية بتاريخ ١٥ اكتوبر واوليت الآراء التي عبرتم عنها فيه اهتماماً كافياً.

وإني لمقدر بصورة خاصة أسلوبكم الصريح، الذي عبرتم عنه في كتابكم، إن صراحتكم تتفق تماماً والعلاقات الودية التي تقوم منذ مدة طويلة بين بلدينا والصداقة الشخصية بين جلالتكم وسلفي المختار، تلك الصداقة التي أرجو الاحتفاظ بها وتقويتها.

وهي بالذات هذه العلاقة الودية القائمة بين بلادنا، وموقف جلالتكم الودي، هي التي تشجعني على أن أدعو اهتمامكم إلى بعض الاعتبارات التي دعت هذه الحكومة إلى اتباع الطريق الذي كانت تتبعه فيما يختص بقضية فلسطين واليهود المشردين في أوروبا.

واني لمتأكد ان جلالتكم سيوافق بسهولة على أن وضع اليهود المفجع، ممن

هم ضحايا اضطهاد النازي في أوروبا، يكون قضية ذات أهمية وتأثير، لا يمكن لاناس ذوي نية طيبة وغرائز انسانية ان يتجاهلوها، وأن هذه القضية تعتبر قضية ذات صبغة عالمية، ويتراءى لي بأن كلاً منا تقع عليه مسؤولية مشتركة للعمل على ايجاد حل، يساعد أولئك المنكوبين الذين هم مضطرون إلى مغادرة أوروبا للعثور على اوطان جديدة حيث يمكنهم العيش بسلام وامان.

ومن بين الاشخاص المشردين الذين نجوا من الموت في المعتقلات في أوروبا هنالك عدد من اليهود، حالتهم فاجعة بصورة خاصة، وذلك من حيث أنهم يمثلون بقايا يرثى لها من الملايين التي اختارها زعماء النازي عمداً للقضاء عليها.

إن كثيراً من هؤلاء الاشخاص تنظر إلى فلسطين كمأوى يأملون ان يجدوا فيه ملجأ بين الناس من أبناء دينهم، ويباشرون قضاء حياة هادئة مفيدة ويساهمون في اطراد تقدم الوطن القومي اليهودي.

إن حكومة الولايات المتحدة وسكانها عاضدت مفهوم الوطن القومي اليهودي في فلسطين منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى التي اثمرت في تحرير الشرق الادنى ومن ضمنه فلسطين واقامة عدد من الدول المستقلة التي هي أعضاء في هيئة الأمم اليوم.

إن الولايات المتحدة التي ساهمت بدمها ومواردها للانتصار في تلك الحرب، لا يمكنها أن تتخلى عن بعض المسؤولية من أجلّ الطريقة التي عوملت بها تلك المناطق المتحررة أو من أجلّ مصير الشعوب التي كانت قد تحررت في ذلك الوقت. وقد اتخذت الموقف الذي لا تزال تلتزمه، ألا وهو تهيئة هذه الشعوب للحكم الذاتي ووجوب اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. وإني لسعيد بأن أشير إلى أن أكثر الشعوب التي تحررت، هم الآن مواطنون في بلاد مستقلة.

والوطن القومي اليهودي ـ على كل ـ لم يكتمل بعد، تقدمه تماماً، ولذلك فإنه من الطبيعي حقاً، أن تشجع هذه الحكومة الآن دخول عدد هام من المشردين اليهود في أوروبا إلى فلسطين، لا ليجدوا هنالك ملجأ بل أيضاً ليتمكنوا من المساهمة بمواهبهم وجهودهم في سبيل تشييد الوطن القومي اليهودي.

ولقد كان مما يتفق تماماً والتقاليد السياسية لهذه الحكومة، بأني ـ منذ عام

سبق - قد أخذت أراسل رئيس وزراء بريطانيا للإسراع في حل المشكلة الملحة أي مشكلة من تبقى من اليهود في معسكرات اللاجئين وذلك بنقل عدد هام منهم إلى فلسطين.

ولقد كان اعتقادي الذي لا أزال متمسكاً به، والذي يشاركني فيه عدد عظيم من سكان هذه البلاد، بأن ليس هنالك ما يساهم بصورة فعالة في تخفيف مصير من تبقي من هؤلاء اليهود، أكثر من السماح بدخول لا أقل من ۱۰۰,۰۰۰ منهم حالاً إلى فلسطين.

ومع انه لم يتخذ بعد أي قرار فيما يختص بهذا الاقتراح، لكن هذه الحكومة لا تزال تأمل بأنه من الممكن السير بموجب الخطة التي رسمتها لرئيس الوزراء، وفي نفس الوقت يجب أن نهتم بالطبع لبذل الجهود لفتح أبواب البلاد الأخرى - ومنها الولايات المتحدة - في وجه أولئك المساكين الذين هم الآن على أبواب شتاء السنة الثانية ولا مأوى لهم.

وأنا من جانبي قد أعلنت بأني مستعد لمطالبة كونغرس الولايات المتحدة، الذي يجب تهيئة مساعدته بموجب الدستور، ليضع تشريعاً خاصاً يقبل بموجبه إلى هذه البلاد اعداداً أضافية من هؤلاء الاشخاص علاوة على حصة المهاجرين التي تقررت بموجب قوانيننا.

وعلاوة على ذلك، كانت هذه الحكومة تعمل جاهدة - مع غيرها من الحكومات - في استقصاء إمكانيات التعويض في بلاد أخرى خارج أوروبا لأولئك الاشخاص المشردين الذين كانوا مضطرين إلى الهجرة في تلك القارة، وفي هذا الصدد كان مما شدد عزمنا أن نلاحظ تصريحات مختلف زعماء العرب واستعداد بلادهم للمساهمة في هذا المشروع الانساني، وذلك بقبولها عدداً معيناً من هؤلاء الاشخاص في بلادهم.

وانا أعتقد اعتقاداً مخلصاً بأن الايام ستثبت امكانية الوصول إلى تسوية مرضية لقضية اللاجئين تتفق تماماً والخطة التي ذكرتها اعلاه.

وأما فيما يختص بامكانية استخدام اليهود العنف في مشاريع عدوانية ضد البلاد العربية المجاورة كما تصورتموه جلالتكم، فيمكنني أن أوكد لكم بأن هذه الحكومة تقف معارضة العدوان مهما كان نوعه، أو استخدام الإرهاب في سبيل الاغراض السياسية. وبإمكاني أن أضيف أيضاً بأني مقتنع بأن زعماء

اليهود المسؤولين لا يفكرون بسياسة عدوانية ضد البلاد العربية الملاصقة لفلسطين.

ولا يمكنني أن أوافق جلالتكم ولا بصورة على أن تصريحي الصادر في ٤ اكتوبر يتناقض والموقف الذي اتخذ في التصريح الصادر باسمي في ١٦ أغسطس. أن التصريح الاخير عبر عن الأمل في الوصول إلى حل عادل لقضية فلسطين واتخاذ خطوات مباشرة لتخفيف حالة اليهود المشردين في أوروبا وذلك كنتيجة للمحادثات المقترحة بين الحكومة البريطانية وممثلي اليهود والعرب.

ولسوء الحظ إن هذه الآمال لم تتحقق، فالمحادثات التي تمت بين الحكومة البريطانية وممثلي العرب ـ قد تأجلت حتى ديسمبر دون إيجاد أي حل لقضية فلسطين أو اتخاذ أية خطوات من شأنها تخفيف حالة اليهود المشردين في أوروبا.

وفي هذه الحالة، يظهر أنه يقتضي عليّ أن أذكر بقدر ما يمكنني من الصراحة أهمية القضية ورأيي فيما يختص بالاتجاه الذي به يمكن الوصول إلى حل يقوم على العقل والرغبة الطيبة وبالخطوات المباشرة التي يجب اتخاذها. وهذا، ذكرته في تصريحي الصادر في ٤ أكتوبر.

وقد اشكل عليّ الفهم لماذا يبدو أن جلالتكم تشعرون بأن هذا التصريح يتضارب مع الوعود السابقة أو التصريحات التي صدرت عن هذه الحكومة. وربما من المستحسن أن نتذكر هنا بأنه في الماضي كانت هذه الحكومة ـ عند تلخيص موقفها عن فلسطين ـ قد أعطت تأكيدات بأنها لن تتخذ أي إجراء من شأنه أن يكون عدائياً للشعب العربي وبأنها أيضاً حسب رأيها لن تتخذ أي قرار فيما يختص بالوضع الأساسي في فلسطين دون استشارة سابقة مع كل من العرب واليهود.

وإني لا أعتبر الحاحي على السماح بقبول عدد هام من اليهود المشردين إلى فلسطين أو تصريحاتي فيما يختص بحل قضية فلسطين، يعبر بأي معنى عن عمل عدائي نحو الشعب العربي، بل شعوري نحو العرب ـ عندما افضيت بهذه التصريحات ـ كان ولا يزال ذا طابع ودي جداً، وإني ليعتريني الاسف لأي نوع من النزاع بين العرب واليهود، كما أني مقتنع بأنه لو نظر كلاهما

القضايا التي تجابههما بروح من التفاهم والاعتدال لامكن حلها لمصلحة جميع من يعنيهم الأمر بصورة دائمة.

وإني فضلاً عن ذلك، لا أشعر بأن تصريحاتي كانت باعثاً لتتخلى هذه الحكومة عن تأكيدها بأنه حسب رأيها لا يجب ان يتم قرار بشأن الوضع الأساسي في فلسطين دون التشاور مع كل من العرب واليهود. وفي بحر هذه السنة الجارية، كان هناك عدد من المشاورات مع كل من العرب واليهود. وكشخص يهتم لمصلحة بلدكم كما يهتم لمصلحة بلده اهتماماً عظيماً كما تجلى ذلك في الأمور المتنوعة التي اشرت إليها سابقاً، أغتنم هذه الفرصة لأعبر عن أملي الجدي بأن جلالتكم، الذي يحتل مركزاً رفيعاً كهذا في العالم العربي سيستخدم النفوذ العظيم الذي يتمتع به للمساعدة على إيجاد حل عادل ودائم في المستقبل القريب.

وإني حريص على عمل كل ما في وسعي للمساعدة في هذا الموضوع، كما أنه بإمكاني أن أوكد لجلالتكم بأن حكومة الولايات المتحدة وشعبها سيبقيان حماة عن مصالح العرب ورفاهيتهم كما أنهما يعلقان قيمة عظيمة على صداقتهم التاريخية.

وإني لأغتنم هذه الفرصة لأبلغ جلالتكم تحياتي الشخصية الحارة وأطيب تمنياتي لاستمرار الصحة والسعادة لجلالتكم ولشعبكم.

المخلص جداً ـ هاري س. ترومان ٢٨ اكتوبر ١٩٤٦»

الموقف من التقسيم:

كان لقرار التقسيم صدى عظيم واكتسحت العالم العربي موجة عارمة من السخط والاستنكار، وأعلن الشعب الفلسطيني الإضراب العام ثلاثة أيام متوالية مصحوباً بالمظاهرات الصاخبة، وقامت في الأقطار العربية مظاهرات واضرابات مماثلة، وفتحت الحكومة السورية باب التطوع للشباب، وأحرق المتظاهرون في عمان سيارات شركة التابلاين وهاجموا مكاتبها، وفتحت مكاتب عديدة للتطوع في كثير من البلاد العربية، وأصبحت المصادمات تحدث كل يوم تقريباً في فلسطين بين العرب واليهود يقع في كل منها قتلى وجرحى عديدون.

وفي شهر كانون الأول ١٩٤٧ عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية

اجتماعاً شهده أكثر رؤساء الدول العربية واذاعت بياناً في ١٧ من الشهر المذكور استنكرت فيه التقسيم وأعلنت العزم على مقاومته ومما جاء في البيان:

«.. وقد قرر رؤساء وممثلوا هذه الحكومات في اجتماعهم بالقاهرة أن التقسيم باطل من أساسه، وقرروا كذلك عملاً بإرادة شعوبهم أن يتخذوا من التدابير الحاسمة ما هو كفيل بعون الله بإحباط مشروع التقسيم الظالم ونصرة حق العرب، وسيرى العالم استحالة أخذ العرب بالعنف واخضاعهم للقوة أيا كان مصدرها. وسيرى العالم أن العرب حين دعوا إلى التمسك بقواعد الحق والعدل، وحين انذروا بعواقب المغامرة الصهيونية، انما كانوا طلاب حق وعدل بين الناس جميعاً، راغبين في استبعاد أسباب الفتن والاضطراب في الشرق الاوسط، حريصين على إقرار السلام في ربوعه. وسيرى العالم كذلك ان الذين عملوا على تقسيم فلسطين دون تدبر العواقب يتحملون وحدهم مسؤولية الفتن والاضطرابات التي أثاروها والتي لا يعلم مداها، أما وقد تغلبت الشهوات والاغراض حتى في الأمم المتحدة، وأغلقت أبواب الحق والعدل في وجوه العرب، فانهم قد وطدوا العزم على خوض المعركة التي حملوا عليها، وعلى السير بها حتى نهايتها الظافرة بإذن الله...».

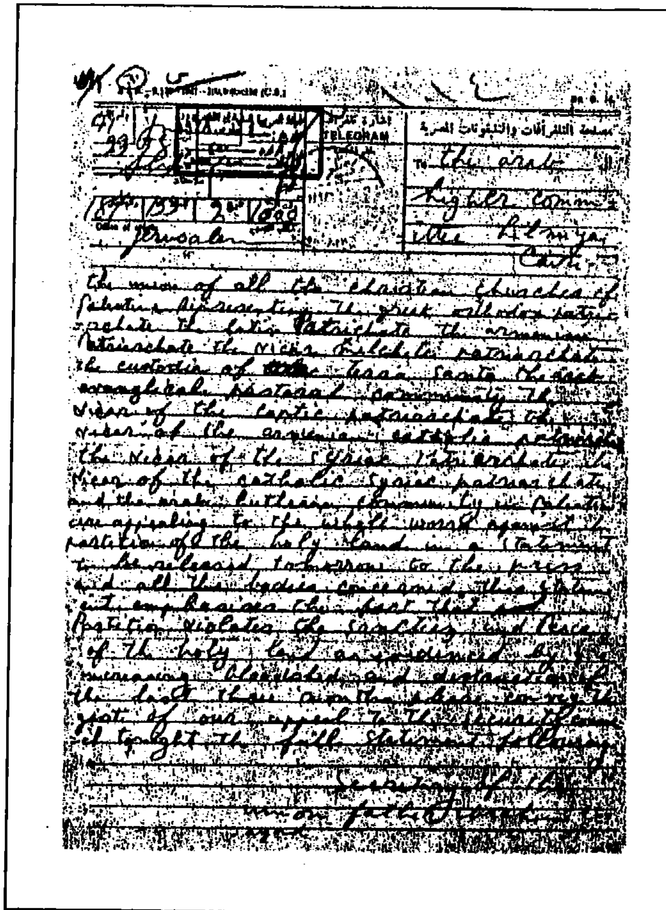
هكذا بدأ حينئذٍ روح العزيمة والتصميم على إحباط التقسيم مسيطراً على عقول العرب وقلوبهم، شعوباً وحكومات. وكنت قد تلقيت فيضاً من البرقيات من جميع المدن الفلسطينية، من الهيئات والمؤسسات، والأندية والجمعيات، والأفراد، ومن الأقطار العربية والإسلامية وبلاد المهجر، باستنكار التقسيم والدعوة إلى الجهاد، وإعلان الاستعداد للمشاركة في المقاومة بالانفس والأموال. وأشير هنا إلى برقيتين منها خاصة، الأولى من جميع رؤساء الأديان والطوائف المسيحية في القدس، والأخرى من الجبهة الديمقراطية للأحزاب الأرمينية في بيروت، مما جعلني أشعر بقوة الصدمة التي أصابت الطوائف المسيحية من قرار التقسيم كما أصابت العرب والمسلمين جميعاً، وفيما يلي ترجمة برقية رؤساء الاديان والطوائف المسيحية وصورتها.

إن اتحاد الكنائس المسيحية في فلسطين، الممثلة للبطريركية الارثوذكسية والبطريركية الأرمينية ونيابة بطريركية الروم الكاثوليك وحراسة الأراضي المقدسة (اللاتين) والكنيسة البروتستانتية (الانجيلية) الرعوية، ونيابة البطريركية القبطية ونيابة البطريركية الأرمينية الكاثوليكية ونيابة البطريركية السريانية ونيابة البطريركية السريانية الكاثوليكية والطائفة العربية اللوثيرية في فلسطين، يطلبون

من العالم بأسره، بمذكرة تذاع غداً وتوزع على الصحف وسائر الهيئات المختصة، ويظهرون فيها بأهمية واضحة الحقيقة بأن التقسيم ينافي (يناقض) قدسية وسلامة البلاد المقدسة، كما يظهر جلياً من سفك الدماء المستمر والتدمير طوال الأشهر الثلاثة الماضية، فالرجاء نقل خلاصة بياننا إلى مجلس الأمن هذه الليلة. وسيصلكم البيان بكامله.

إبراهيم عياد

سكرتير الاتحاد.



TELEGRAM

To: The Arab Higher Committee [illegible] Cairo

Jerusalem

The union of all the christian churches of Palestine representing the greek orthodox patriarchate the latin patriarchate the armenian patriarchate the [illegible] patriarchate the custodia of terra santa the arab anglican pastoral community the vicar of the coptic patriarchate the vicar of the armenian catholic patriarchate the vicar of the syrian patriarchate the vicar of the catholic syriac patriarchate and the arab lutheran community in palestine are appealing to the whole world against the partition of the holy land in a statement to be released tomorrow to the press and all the bodies concerned [illegible] emphasises the fact that partition violates the sanctity and peace of the holy land as evidenced by the [illegible] bloodshed and destruction [illegible] the last three months [illegible] the gist of our appeal to the security council tonight the full statement following

Secretary [illegible]

union [illegible]

صورة برقية رؤساء الاديان والطوائف المسيحية

وبصدور قرار التقسيم أيقن الفلسطينيون أنهم أمام حدث خطير.. لقد قضوا حتى ذلك الحين ما يزيد على ربع قرن وهم يقارعون الاحتلال البريطاني والغزو الصهيوني رغم قلة عُدَدَهُم وعددهم وضآلة مواردهم ووسائلهم، ولم يفت ذلك في اعضادهم، وهاهم الآن يرون الخطر يتفاقم، وليس لهم سبيل إلا الصبر على المكروه، وتقبل المعركة بروح الإيمان وقوة العزيمة، لقد كانوا في معاركهم السابقة يقاتلون وحدهم دون أن يكون لهم عون أو نصير من إخوأنهم في الأقطار العربية المجاورة الا ما لا يكاد يعتد به، لكنهم هذه المرة شعروا أنهم جزء من حلف عربي، وأنهم لا بد مدعومون من إخوأنهم العرب بعدما تألفت «الجامعة العربية» التي ضمت عدة دول عربية، واشتمل ميثاقها الموقع في ٢٣ آذار ١٩٤٥ على ملحق خاص بفلسطين اعتبرت فلسطين بمقتضاه مستقلة وغير تابعة لأية دولة أخرى ويحق لها الاشتراك في أعمال مجلس الجامعة، وكذلك اشتمل ميثاق اللجنة التحضيرية للجامعة العربية المعروف «ببروتوكول الاسكندرية» المعلن في ٧ تشرين الأول ١٩٤٤ على «قرار خاص بفلسطين» اعتبرت بموجبه ركناً مهماً من أركان البلاد العربية.

إن هذا الوضع الجديد للقضية الفلسطينية حمل الشعب الفلسطيني على الاعتقاد بأن فلسطين أصبحت جزءاً من حلف عربي لأن ميثاق الجامعة اعتبرها «قطراً عربياً مستقلاً» وأن بروتوكول الاسكندرية «اعتبرها ركناً مهماً من أركان البلاد العربية تجب المحافظة على أراضيه والوصول إلى إستقلاله» لذلك أخذ الشعب الفلسطيني زمام المبادرة بالقتال والدخول في معارك ضارية مع العدو ليبرهن على أنه شعب معتدى عليه، وأن له وطناً يراد اغتصابه وتحويله إلى دولة إسرائيلية خلافاً للحق والعدل والشرائع الدولية.

أخذ الفلسطينيون يتسلحون بما يستطيعون اشتراءه بأموالهم من الأقطار المجاورة كشرق الأردن، وسورية، ولبنان، وأخذت الهيئة العربية العليا لفلسطين تعنى بهذا الأمر عناية جدية قبل أي أمر آخر، فقد كنت وما ازال أعتقد أن الحل الوحيد القاطع لمشكلتنا مع الصهيونيين لا يكون إلا بالتغلب عليهم بالقوة ولقد ايقنت بهذا منذ أول ادوار القضية الفلسطينية لمعرفتي بمطامع الصهيونيين وخطورة أهدافهم وأخذت بعد وصولي مصر أوالي الاجتماع بالقائدين الشهيدين عبد القادر الحسيني وحسن سلامة وغيرهما من المجاهدين والعسكريين للحصول على السلاح من مصادره، وكان أهم مورد لنا أول الأمر السلاح الذي حصلنا عليه من مخلفات الحرب العالمية الثانية في الصحراء الغربية ما بين مصر وليبيا ثم في ليبيا نفسها، ولكن ذلك السلاح

كان الكثير منه غير صالح للاستعمال فكان المكلفون بالبحث والشراء يتخيرون الصالح منه وما يمكن إصلاحه ويدخلونه إلى الأراضي المصرية، وقد وجدنا عوناً كبيراً لنا في هذه المهمة من جماعة الإخوان المسلمين ومرشدها العام الشهيد الشيخ حسن البنا، ومن جمعية مصر الفتاة ورئيسها الشجاع الأستاذ أحمد حسين، ومن عدد من الضباط المصريين المؤمنين الذين كانوا يقدمون لنا خدمات مشكورة ومساعدات قيمة في مناطق متعددة من الأراضي المصرية، وفي مقدمتهم الضابط المؤمن العقيد رشاد مهنا.

وحدث في ذلك الحين (تموز ١٩٤٦) ان القى مستر اتلي رئيس الوزارة البريطانية بياناً في مجلس العموم عن كثرة تسلح اليهود وأنهم يملكون من القوات المسلحة والمدربة احسن تدريب ما يزيد على سبعين الفاً، وأن لديهم مخازن للسلاح تحتوي على كميات عظيمة من مختلف الأسلحة كالبنادق والمسدسات والمدافع والقذائف وعلى عشرات الاطنان من المتفجرات وغير ذلك من وسائل الحرب.

فلما عقد مجلس جامعة الدول العربية دورته الخامسة (تشرين الأول ـ كانون الأول ١٩٤٦) بحث وضع اليهود في فلسطين ووفرة تسلحهم مما يخشى أن يكون له نتائج خطيرة، كما بحث مسألة هجرة اليهود وتدفقهم على فلسطين وغير ذلك من الشؤون المهمة التي هي في صميم القضية الفلسطينية، وتداول الأعضاء فيما يجب عمله لدفع هذا الخطر. وتناول البحث قرارات بلودان السرية وموقف كل من بريطانيا وأمريكا المعادي للعرب والمشجع لليهود، واتخذ المجلس عدة قرارات من جملتها الاحتجاج على أمريكا لتدخلها في قضية فلسطين تدخلاً ضاراً بالعرب ومهدداً لكيانهم، كما قرر أمداد الشعب الفلسطيني بوسائل الدفاع عن نفسه، ورفض كل مشروع يرمي إلى تقسيم فلسطين.

وامتازت تلك الدورة بما حدث فيها من مجادلات ومناقشات بين بعض الأعضاء، وبين الأمين العام للجامعة، إذ قال بعض الأعضاء في أحدى الجلسات إننا تكلمنا كثيراً ولكن ما عملناه ليس أكثر من حبر على ورق، وهذا ما يردده الناس والصحف في فلسطين وخارجها بألم واستياء. وكان أبرز المتحدثين في هذا المجال السيد جميل مردم الذي طالب بدعم الشعب الفلسطيني في جهاده قائلاً انه إذا كان سوء الحظ وضع هذا الشعب في الجبهة الامامية فليس من المروءة للآخرين أن يقولوا لإخوانهم: اذهبوا وقاتلوا أنتم وربكم..

وقال الأستاذ حافظ رمضان رئيس الحزب الوطني أن ما عملناه غير كاف لأن اليهود ألفوا جمعيات ارهابية وهربوا السلاح وتسلحوا حتى استطاعوا أن يرهبوا انكلترة ولو كنا منذ ما رجعنا من بلودان سرنا في طريق غير الذي نسير فيها الآن واتبعنا بعض الاساليب التي يتبعها اليهود لكنا وصلنا إلى نتيجة.

ودافع الأمين العام السيد عبد الرحمن عزام عن موقف الجامعة العربية قائلاً أنه لولا جهودها وجهود الدول العربية في السنتين الاخيرتين لكانت الدولة اليهودية قائمة اليوم في فلسطين وكل تغاض عن هذا المجهود هو تضليل ونكران للحقيقة، وقال انه يجب على اهل فلسطين ان يظهروا استعدادهم للتضحية، وعلى دول الجامعة ان لا تتواني عن تقديم المساعدة..

الوحدة العربية وجامعة الدول العربية:

توحدت الأمة العربية منذ قام الكيان العربي في صدر الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ثم في عهد الأمويين، فالعباسيين، وفيما تلا ذلك من العهود حتى عهد العثمانيين، باستثناء فترات قصيرة من التاريخ، منها الفترة التي تمكن فيها الصليبيون من إنشاء المملكة اللاتينية في القدس، فلما استطاع صلاح الدين الايوبي ان يوحد بين مصر والشام كانت في ذلك نهاية المملكة اللاتينية (وقد عزت دائرة المعارف البريطانية زوال المملكة اللاتينية إلى هذه الوحدة). (راجع صفحة ٢٨٧ مجلد ٦ طبعة سنة ١٩٦٢).

وفي أواخر العهد العثماني عندما ظهرت حركة (النهضة العربية) إلى الوجود كان الذين نادوا بها، والذين أيدوها واتبعوا المنادين بها من العرب، يطالبون بالوحدة العربية، ولم يكن يخطر ببال أحد من الذين أطلق عليهم اسم (الرعيل الأول) هذه التفرقة والتجزئة التي اصابت الأمة العربية بل كانوا يطالبون بدولة عربية موحدة، حتى أن عهود بريطانيا المقطوعة لأمير مكة الشريف حسين بن علي في الرسائل المتبادلة بينه وبين السير هنري مكماهون عام ١٩١٦ نصت على استقلال جميع الأقطار العربية المنسلخة عن الدولة العثمانية.

فالوحدة العربية أو الجامعة العربية كانت هدف القائمين بحركة النهضة العربية، لكن السياسة الاستعمارية للدول الغربية كانت تعمل متعاونة مع اليهودية العالمية على نقيض ذلك الهدف، فهي من جهة كانت تعمل على تمزيق السلطنة العثمانية لأنها تقف سداً منيعاً في وجه الدول الاستعمارية، وتعمل من جهة أخرى على تجزئة الأقطار

العربية وتقسيمها إلى دويلات وامارات صغيرة ليسهل الاستيلاء عليها واستعمارها واستغلالها اقتصادياً وعسكرياً.

وهكذا أصبحت الأقطار العربية مقسمة على الشكل الآتي:

سورية، فلسطين، الأردن، لبنان، العراق، الحجاز، نجد، اليمن الشمالي، اليمن الجنوبي، الكويت، البحرين، قطر، عمان، مسقط، حضرموت، أبوظبي، الشارقة، رأس الخيمة، عجمان، الفجيرة.. وفي شمال افريقية مصر، السودان، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، الصومال، زنجبار، أما أول تقسيم أو تفريق فكان فصل آسيا العربية عن افريقية العربية، ثم بدأ تقسيم كل منهما إلى أجزاء ليسهل الاستيلاء عليها واستعمارها.

وهناك مخططات استعمارية ويهودية أخرى لتقسيم الأقطار العربية «المقسمة» إلى أجزاء صغيرة على أسس طائفية، أو عرقية، أو قبلية، فتقوم في سورية دولة علوية وأخرى سنية وثالثة درزية، وتصبح في العراق دولة شيعية وأخرى سنية وثالثة كردية ورابعة تركمانية... وينقسم اليمن الشمالي إلى دولتين: زيدية وشافعية، وتبث دعايات لإثارة العصبيات القبلية بين العدنانية والقحطانية وتحريض كل واحدة منهما على الأخرى، وينقسم السودان إلى قسمين: شمالي وجنوبي.. وهكذا دواليك...

وها هم يتبعون الآن في باكستان نفس الخطة التي اتبعوها في تقسيم بلاد الدولة العثمانية فيحدثون فتنة عمياء في باكستان لفصل باكستان الشرقية «البنغال» عن باكستان الغربية، ثم يتآمرون على تقسيم باكستان الغربية إلى عدة دول لتصبح كل مقاطعة من مقاطعاتها وهي البنجاب والسند والباتان وبلوجستان دولة مستقلة عن إخوانها.

والمستعمرون يتبعون خطة التجزئة والتقسيم وإثارة النزعات القومية والاقليمية ليتمكنوا بذلك من تحقيق مآربهم وبلوغ أهدافهم، ولما كانت باكستان بعد انفصالها عن الهند واستقلالها قد أخذت بأسباب النهوض والتقدم حتى أصبحت دولة عظيمة الشأن ذات قوة ومنعة، وارتقت علمياً وزراعياً وصناعياً وعمرانياً وارتفع عدد سكانها إلى مئة وثلاثين مليوناً، فقد أصبح المستعمرون يرون فيها خطراً يجب إزالته وقوة ينبغي القضاء عليها، وهذا هو ديدنهم وتلك هي سياستهم المعروفة: «فرق تسد».

ولما زرت الهند قبل التقسيم وكان ذلك عام ١٩٣٣ للحصول على مساعدات لعمارة المسجد الأقصى المبارك، رأيت الإنكليز فيها يتبعون سياسة فريدة لتوطيد

استعمارهم وإثارة الكراهية والبغضاء بين الأهليين وحكامهم، فالولاية أو المنطقة التي أكثر سكانها مسلمون يعينون لها حاكماً هندوكياً كما هي الحال في كشمير، والتي أكثر سكانها هنادك يعينون لها حاكماً مسلماً كما فعلوا في حيدر أباد الدكن ليظل الكره والخلاف قائماً بين الراعي والرعية، ويلجأ الطرفان إلى السادة الإنكليز في كل كارثة وملمة.

وقد شعرت فلسطين قبل غيرها من الأقطار العربية بالحاجة إلى الوحدة وقيام جامعة تجمع العرب في مختلف اقطارهم لخطورة الحال التي كانت تعانيها من تآمر الامبراطورية البريطانية واليهودية العالمية عليها، مضافاً إليهما الدول الاستعمارية الأخرى التي عضدت اليهود، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، شعر الفلسطينيون بذلك فطالبوا بالوحدة مع سورية واطلقوا على فلسطين اسم «سورية الجنوبية» وأعلنوا أمام لجنة الاستفتاء الأمريكية التي زارت فلسطين عام ١٩١٩ وهي اللجنة المعروفة بلجنة «كينغ ـ كراين»، أنهم يطالبون بالانضمام إلى سورية، وصدرت في ذلك العام جريدة في القدس باسم «سورية الجنوبية». وفي عام ١٩٢٧ أصدرنا في القدس جريدة باسم «الجامعة العربية» قبل أن تظهر جامعة الدول العربية إلى الوجود بثمانية عشر عاماً! ثم أصدرنا جريدة (الوحدة) في القدس وصدرت جريدة (الجزيرة) في يافا وجرائد أخرى..

ونص الميثاق الوطني الفلسطيني الذي وضع عام ١٩٢٢، على «استقلال فلسطين ضمن الوحدة العربية» وكذلك جعل الحزب العربي الفلسطيني مسألة الوحدة العربية هدفاً أساسياً في دستوره الموضوع عام ١٩٣٥، وكانت مسألة الوحدة، ولم تزل، هدفاً أساسياً قامت عليه السياسة الوطنية الفلسطينية واقرته المؤتمرات الفلسطينية جميعها، وأعلنته الوفود الفلسطينية التي ارسلت إلى الأقطار العربية والإسلامية والأجنبية، وجهر به الممثلون الفلسطينيون امام مختلف اللجان البريطانية والدولية.

وفي عام ١٩٣٧ الفنا وفداً كنت في عداده، ضم الأستاذ محمد عزة دروزة، والسيدين رياض الصلح والشيخ كامل القصاب، رحمهما الله، إلى مكة المكرمة، حيث اجتمعنا بالمرحوم الملك عبد العزيز ووضعنا أسساً لقيام الوحدة العربية، فوافق عليها وكلفني بمراجعة المسؤولين العراقيين في شأنها.

وقبل هذه الأحداث بعقد من السنين فكرنا في إقامة وحدة ثقافية بين شعوب الأقطار العربية ما دامت الوحدة السياسية غير ميسرة، فتكون الوحدة الثقافية ممهدة لها

وحافزة إليها، واغتنمت فرصة زيارة المرحوم الملك فيصل بن الحسين ملك العراق لفلسطين فتحدثنا في هذا المشروع واعرب عن استعداده لتنفيذه في المعاهد العلمية في العراق، ثم جرى الحديث في هذا مع اخيه المرحوم الأمير عبد الله أمير شرق الأردن عندئذٍ فابدى مثل ذلك الاستعداد، وعلى الأثر حدثت اتصالات بين فلسطين والعراق وشرق الأردن في شأن هذا المشروع.

ثم تحدثت مع المرشال اللورد بلومر المندوب السامي البريطاني في فلسطين حينئذٍ في هذا الأمر، ومما قلته له أن العراقيل التي تحول دون الوحدة السياسية للأقطار العربية لا ينبغي أن تحول دون قيام الوحدة الثقافية، وإنه يحسن بالحكومة البريطانية في فلسطين أن تساعد على توحيد مناهج التربية والتعليم مع مصر والعراق والأقطار العربية الأخرى، فأبدى موافقته على ذلك، وعلى أثر ذلك ابلغت الملك فيصل هذه الموافقة فبعث برسالة إلى المرشال بلومر في هذا الشأن.

ثم سافرت إلى مصر لهذه الغاية وقابلت كثيراً من علمائها وفضلائها وحدثتهم في هذا الشأن وعقدنا عدة اجتماعات في دار آل عبد الرزاق حضرها السادة الافاضل الشيخ مصطفى عبد الرزاق شيخ الجامع الازهر فيما بعد، وأخوه الشيخ علي عبد الرزاق الذي أصبح فيما بعد وزير الأوقاف والشيخ علي سرور الزنكلوني، والاساتذة الدكتور منصور فهمي باشا والدكتور محمد حسين هيكل باشا رئيس مجلس الشيوخ والدكتور طه حسين وغيرهم من رجال العلم واللغة والادب فطرحت عليهم الاقتراح فقبلوا الفكرة بارتياح وجرت مناقشة الموضوع في عدة اجتماعات وكاد الاتجاه يكون عاماً لدعمه وتأييده لما فيه من فائدة عامة للأمة العربية قاطبة.

ولما عدت إلى القدس واجتمعت بالسكرتير العام لحكومة الانتداب في فلسطين المستر سايمس (الذي أصبح فيما بعد حاكماً للسودان) سألني عما إذا كان المرشال بلومر موافقاً على المشروع فاجبته بالإيجاب، لكن سايمس وكبار الموظفين البريطانيين حالوا دون المشروع وكانوا حجر عثرة في سبيله.

وعلى ذكر المرشال بلومر، لقد طلب مني مرة إعارة الحكومة مدفع رمضان، الذي جرت العادة بإطلاقه في شهر رمضان المبارك وفي أيام الاعياد، لاستعماله في احتفال كانت الحكومة البريطانية في فلسطين تريد القيام به، وضحك وهو يقول: إن هذه أول مرة في التاريخ يطلب فيها مرشال عسكري من رجل دين إن يعيره مدفعاً..

كانت الحكومة البريطانية في أوائل الحرب العالمية الثانية في حاجة ماسة إلى دعم العالم العربي، حكوماته وشعوبه، لها ولحلفائها في تلك الحرب الضروس، ونظراً إلى ما تعلمه من اتجاه الأمة العربية نحو وحدة جامعة تجمع شملها الذي مزقته المطامع الاستعمارية، فقد وجدت الفرصة سانحة لها لتطلق تصريحاً سياسياً تجتذب به قلوب العرب وتحملهم على دعمها وتأييدها والسير في ركب الحلفاء ريثما تنجاب عنهم غاشية تلك الحرب، ويتمكنوا من الانتصار على دول المحور التي كانت كفتها راجحة عندئذٍ.

وقد جاءت أول بادرة للحكومة البريطانية، على لسان مستر ايدن وزير الخارجية البريطانية حينئذٍ في خطاب سياسي القاه في ٢٩ آذار ١٩٤١، في قاعة مانشن هاوس بلندن وتحدث فيه عن رغبة كثيرين من العرب في أن تتمتع الشعوب العربية بنصيب من الوحدة أكبر من نصيبها الحالي، وأنهم يأملون من بريطانيا أن تعضدهم في الوصول إلى هدفهم هذا، ثم أبدى استعداد الحكومة البريطانية لعضد أي مشروع من شأنه توثيق الروابط الثقافية والاقتصادية والسياسية بين الأقطار العربية...

وقد خدع بعض العرب بهذه البادرة من جانب بريطانيا التي لم يكونوا يتوقعونها ولاسيما لما عاد ايدن فتحدث عن مشروع الوحدة العربية في تصريح له بمجلس العموم البريطاني في ٢٤ شباط قال فيه ان بريطانيا تنظر بعطف إلى قيام العرب بتوثيق وحدتهم الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية، على أن تأتي المبادرة بذلك من جانب العرب أنفسهم..

وجاء بيان ايدن هذا بعد خطابه الأول عن الوحدة العربية، حافزاً للحكومات العربية ونواب مجالسها والمعنيين بالشؤون السياسية على زيادة الاهتمام بموضوع الوحدة، وحدثت على اثر ذلك مشاورات بين بعض الدول العربية في هذا الشأن واقتراحات حول تأليف جامعة للدول العربية.

وكان المرحوم مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية حينئذٍ، قد بعث إليّ وأنا في المانيا، برسالة عن طريق السفارة المصرية في استانبول، يستشيرني في موضوع تأليف الجامعة العربية، وقد أجبته شاكراً على رسالته وشجعته على المضي في هذا المشروع لأن الجامعة العربية يجب أن تكون الهدف الرئيسي للأمة العربية، وقد أصبحت أمراً ضرورياً وحاجة ماسة بعد انفصال الأقطار العربية عن تركيا مما جعلهم عرضة للآكلين، ونهباً مقسماً للطامعين من دول الاستعمار إن لم يجمعوا شملهم

ويؤلفوا بين قلوبهم ودولهم، على أن لا تكون الجامعة وسيلة يتوسل بها المستعمرون لبلوغ أهدافهم.

وكان بعض زعماء الأمة العربية الموجودين في أوروبا خلال أيام الحرب قد اوجسوا خيفة من دعم بريطانيا لمشروع الوحدة العربية ودعوتها إليه، ومنهم المرحوم الأمير شكيب ارسلان الذي أعرب عن رأيه قائلاً إن قيام جامعة للدول العربية بدعوة من بريطانيا في هذا الظرف لا يعدو أن يكون وسيلة من وسائل المستعمرين لتخدير الأمة العربية بينما هم يزمعون القيام بعملية جراحية يفصلون بها أحد اجزائها (أي فلسطين) عن جسمها ليقدموه إلى اليهود.

وفي ٣١ كانون الأول ١٩٤٣ القى مصطفى النحاس باشا بياناً في مجلس الشيوخ جاء فيه أنه يحسن بالحكومة المصرية ان تبادر باتخاذ خطوات رسمية في هذا الموضوع وأن تشرع في استطلاع آراء الحكومات العربية تمهيداً لمؤتمر يعقد في القاهرة لبحث هذا الأمر. وبهذا الإعلان، اتخذ الموضوع شكلاً جدياً، وبدأت الاتصالات بين العواصم العربية، ثم وجه مصطفى النحاس الدعوة إلى الحكومات العربية المستقلة عندئذٍ وهي السعودية وسورية والعراق ولبنان وشرق الأردن واليمن بالاضافة إلى مصر، لاستطلاع رأيها في الموضوع، وجرت الاستشارات مع كل حكومة لوحدها في الاسكندرية، ثم في القاهرة، وانتهت إلى الاتفاق على تأليف «جامعة الدول العربية» وأعقب ذلك دعوة أخرى من الرئيس المصري لاجتماع لجنة تحضيرية لتأليف الجامعة العربية.

ولما اجتمعت اللجنة التحضيرية في الاسكندرية بعد الانتهاء من الاستشارات، لتوقيع «البروتوكول» قررت اعتبار فلسطين قطراً عربياً مستقلاً يمثله مندوب عن فلسطين في مجلس جامعة الدول العربية ويختاره هذا المجلس لعدم وجود حكومة أو هيئة تمثيلية لفلسطين في الظرف الحاضر. وقد سجل هذا القرار في ملحق خاص لفلسطين في ميثاق جامعة الدول العربية.

وفي ٨ ربيع الآخر ١٣٦٤ (٢٢ مارس ١٩٤٥) تم توقيع ميثاق الجامعة العربية في اجتماع عقده ممثلو الدول العربية في القاهرة واختير السيد عبد الرحمن عزام اميناً عاماً للجامعة.

وفيما يلي الملحق الخاص بفلسطين في ميثاق الجامعة: «منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدولة العثمانية، ومنها فلسطين، ولاية تلك الدولة وأصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لأية دولة أخرى، وأعلنت معاهدة لوزان ان

امرها لأصحاب الشأن فيها، وإذا لم تكن قد مكنت من تولي أمورها فإن ميثاق العصبة في سنة ١٩١٩، لم يقرر النظام الذي وضعه لها إلا على أساس الاعتراف باستقلالها، فوجودها واستقلالها الدولي من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه كما انه لا شك في استقلال البلاد العربية الأخرى، وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لأسباب قاهرة فلا يسوغ أن يكون ذلك حائلاً دون اشتراكها في أعمال مجلس الجامعة، ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية أنه نظراً لظروف فلسطين الخاصة، وإلى ان يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلاً، يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعماله».

ومما يجب ذكره في هذا المجال أن الإنكليز، الذين كانوا الداعين إلى الوحدة الاقتصادية والسياسية والثقافية بين الدول العربية على لسان وزير خارجيتهم «ايدن» والذين كانوا يرمون من وراء هذه الدعوة إلى استرضاء الأمة العربة وتسخير حكوماتها في سبيل مصالحهم ومآربهم لأنهم كانوا عند ظهور أول بادرة منهم في موضوع الوحدة العربية (في آذار ١٩٤١) في حالة انهيار عسكري وعندما أعادوا الكرة في هذا الموضوع في شباط ١٩٤٣ لم يكونوا قد ضمنوا لانفسهم النصر فكانت حاجتهم إلى استرضاء العرب وبقائهم في صفهم ماسة وشديدة، قد بدلوا (أي الإنكليز) موقفهم لما أخذت كفة الحرب تميل إلى جانبهم في عام ١٩٤٤، واتخذوا موقفاً مناقضاً عندما جرت الاستشارات في شأن الجامعة العربية لما ظهر من دعم الدول العربية وشعوبها لقضية فلسطين وما جرى خلال ذلك من أبحاث خاصة لهذه القضية ووضع ملحق خاص بفلسطين في ميثاق الجامعة العربية، فقد كان ذلك نذيراً لبريطانيا بأن قضية فلسطين ستظل مصدر قلق وازعاج لها ولحلفائها إذا لم تلق الحل العادل وإذا ظل الإنكليز وحلفاؤهم على غلوائهم وتآمرهم مع اليهودية العالمية، وقد أغضب الإنكليز موقف بعض رؤساء الحكومات العربية واعضائها، لانهم لم يكونوا كما توقعوا منهم من طاعة وانقياد لهم، ولذلك أخذ الإنكليز يضعون العراقيل في سبيل قيام الجامعة وتوقيع بروتوكول الاسكندرية.

وقد حدثني الرئيس مصطفى النحاس رحمه الله عندما اجتمعت به في القاهرة في دار رئاسة الوزراء وكان قد عاد إلى تولي الحكم، حديثاً شاملاً عن المساعي والمحادثات التي قام بها مع مندوبي الحكومات العربية لتأليف «جامعة الدول العربية» وعما ظهر في المدة الاخيرة التي سبقت التوقيع على بروتوكول الاسكندرية من تدخل بريطانيا وممارساتها ضغطاً شديداً على بعض أولئك المندوبين حملهم على التردد في توقيع

البروتوكول والمماطلة في شأنه، وقال لي انه كان يعلم بعزم الإنكليز على احباط المشروع مما حمله على بذل اقصى جهده في الاجتماع الأخير لحمل جميع المندوبين على التوقيع، وقد انذرهم بأنهم إن لم يوقعوا على البروتوكول في هذه الجلسة فلن يوقعوا عليه ابداً ولن تقوم جامعة الدول العربية وقال لهم (اني اعلم ما لا تعلمون).

وقد حدث في اليوم التالي لتوقيع البروتوكول حادث كان له دوي في العالم وهو سقوط ثلاث حكومات عربية في ذلك اليوم. فقد اقيلت حكومة مصطفى النحاس، واستقالت حكومة سعد الله الجابري في سورية، وحكومة حمدي الباجه جي في العراق.

وهكذا قام الدليل على مبلغ السيطرة البريطانية على الدول العربية في ذلك الحين...

جامعة الدول العربية وقضية فلسطين:

انعقد مجلس الجامعة العربية في بيروت في ٧ تشرين الأول ١٩٤٧ قبيل صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، فانتدبت الهيئة العربية العليا ممثلين عنها في تلك الدورة الاساتذة محمد عزة دروزة ومعين الماضي وأميل الغوري. وفي تلك الدورة قرر مجلس الجامعة تأليف «لجنة فنية» من رجال عسكريين هم اسماعيل صفوة (العراق) ومحمود الهندي (سورية) وشوكة شقير (لبنان) وبهجة طبارة (شرق الأردن) وصبحي الخضرا (فلسطين) واتخذت هذه اللجنة مكاناً لها في (قدسيا) أحدى ضواحي دمشق، وعهدت الحكومة السورية إلى الفريق طه الهاشمي (العراق) أمر الإشراف على التطوع والتدريب والتجهيز، وتم إنشاء معسكر تدريب في «قطنة» قرب دمشق اشتمل على عدد كبير من المتطوعين الفلسطينيين وبعض الأقطار العربية المجاورة. وانشأت في قطنة مدرسة حربية لتدريب الفلسطينيين[1].

واتخذت الهيئة العربية العليا، بالأضافة إلى مكاتبها في القاهرة مكاتب أخرى في كل من القدس ودمشق وبيروت ولندن، وشرعت هذه المكاتب تقوم بأعمالها على أفضل وجه ممكن في معالجة الشؤون السياسية وشؤون الجهاد واعداد الشعب الفلسطيني للكفاح. وكان مكتب القدس مؤلفاً من السادة: أحمد حلمي عبد الباقي وجمال

(١) المدرسة الحربية في قطنا: أنشأت أوائل عام ١٩٤٨ في معسكرات بلدة قطنا، تخرّج منها ٦٥ مرشح ضابط وعدد من صف الضباط، عهد بإدارتها إلى ضباط فلسطينيين ممن خدموا في الجيش البريطاني برئاسة النقيب الركن حازم محمود الخالدي ومعاونه الملازم أول وجيه المدني ـ أول قائد لجيش التحرير الفلسطيني برتبة لواء عام ١٩٦٥.

الحسيني وحسين الخالدي واميل الغوري من أعضاء الهيئة، يساعدهم عدد من الشبان في دوائر العمل المتعددة، وكان مدير مكتب دمشق الأستاذ رفيق التميمي يساعده عدد من الشبان، وكان مدير مكتب بيروت السيد كمال حداد يساعده عدد من الشبان أيضاً، وقد اختير لمكتب لندن السيد عز الدين الشوا، ثم عينت الهيئة معتمداً لها في بغداد الأستاذ ذكي التميمي، وهذا بالأضافة إلى وفد الهيئة الدائم في نيويورك.

وتم إنشاء (بيت المال العربي) في القدس، لإيجاد موارد مالية سنوية للحركة الوطنية من تبرعات الشعب الفلسطيني باشراف لجنة من رجال المال والاقتصاد، وعهد بامانة بيت المال إلى الدكتور عزة طنوس، وبإدارته إلى الأستاذ يوسف عبد الله الصايغ، وقد استطاع بيت المال أن يجمع خلال عام واحد من تبرعات الفلسطينيين نحو ١٥٧ الفاً من الجنيهات ويمد بها الهيئة العربية العليا، وكانت اللجان القومية والمحلية في فلسطين تقوم بجمع الاعانات للإنفاق منها على الشؤون الوطنية وعلى أعمال الدفاع وتزويد المجاهدين بما يسد بعض الحاجة. ويقدر ما جمعه الفلسطينيون من أنفسهم لشؤون الجهاد والدفاع بما لا يقل عن مليونين من الجنيهات صرف اكثرها على اشتراء البنادق والذخائر من مختلف الجهات.

وفيما يلي بيان ما تلقته الهيئة العربية العليا من المساعدات المالية خلال تلك المدة:

جنيه	الجهة المتبرعة
١٠٤٠٠٠	من الحكومة السورية
٣٠٠٠٠	من الحكومة المصرية
١٥٠٠٠	من الحكومة اللبنانية
٤٥٠٠	من الحكومة اليمنية
١٤٣٥٠٠	المجموع
٤٦٠٠٠	من ثلاثة مصادر عربية لم تسمح بذكر أسمائها
١٥٧٠٠٠	من بيت المال العربي
١٩٨٠٠٠	من تبرعات المهاجرين الفلسطينيين والعرب
٢٠٥٠٠٠	من تبرعات الشعوب العربية والإسلامية
٧٤٩٥٠٠	المجموع العام

بهذا المبلغ القليل اضطلعت الهيئة العربية العليا بعبء الثورة الفلسطينية التي نشبت بسبب قرار التقسيم بكل متطلباتها، من سلاح وعتاد وتموين ونفقات ومعالجات وإسعاف، بالأضافة إلى نفقات المكاتب والوفود العديدة إلى الأمم المتحدة ومختلف الأقطار الاوروبية والآسيوية والإفريقية وهو مبلغ لا يمكن بوجه من الوجوه مقارنته بمئات الملايين من الجنيهات التي انفقها الصهيونيون على التسلح والاستعداد للحرب. ورغم ذلك استطاع الفلسطينيون في مواقف عديدة أن يتغلبوا على اعدائهم الصهيونيين ويوقعوا بهم الهزائم والخسائر العظيمة في الأنفس والأموال والممتلكات، مما سبقت الاشارة إلى بعضه وسنأتي على ذكر بعضه الآخر في مكانه من هذه المذكرات.

وكان مجلس جامعة الدول العربية قد بحث الوضع الخطير في فلسطين واستمع إلى مطالب الفلسطينيين بضرورة دعمهم وامدادهم بما يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم وبلادهم، وكلف بعض الخبراء العسكريين بوضع تقرير عن الطرق التي يجب اتباعها، والوسائل التي ينبغي التوسل بها لحماية فلسطين من العدوان الصهيوني، وقد جاء تقرير أولئك الخبراء وافياً بالحاجة ووافقت اللجنة السياسية في اجتماع «عاليه» في تشرين الأول ١٩٤٧ على ما جاء فيه من مقترحات، وهي تتلخص في لزوم وضع الشعب الفلسطيني في وضع مماثل لوضع اليهود من حيث تسليحهم وتدريبهم وتحصين مدنهم وقراهم تحصيناً عسكرياً فنياً وأن يكونوا الأساس في الدفاع عن بلادهم، لأنهم أعرَف بمواقعها وطرقها ومسالكها، ولأنهم أشد تصميماً واستماتة في الذود عن اهليهم وأموالهم وبلادهم، يضاف إلى ذلك أنهم أقل نفقة من المتطوعين أو الجنود القادمين من خارج فلسطين، وجاء في التقرير أيضاً أن الجيوش النظامية للدول العربية ينبغي أن ترابط على حدود فلسطين دون دخولها، وذلك لتقوية الفلسطينيين ومساعدة المجاهدين عند الضرورة بالضباط والذخائر وبعض الوحدات الفنية بصفة متطوعين.

ومما ينبغي ذكره لهذه المناسبة، ان محمود فهمي النقراشي باشا رئيس الوزارة المصرية وممثل مصر في اللجنة السياسية حينئذٍ قد سجل على ذلك القرار التحفظ التالي:

«أريد أن يعلم الجميع أن مصر إذا كانت توافق على الاشتراك في هذه المظاهرة العسكرية (أي الحشد على الحدود) فانها غير مستعدة قط للمضي أكثر من ذلك».

وأذكر لهذه المناسبة أيضاً أن تقرير الخبراء العسكريين كان موافقاً لرأي الهيئة العربية العليا ولرأيي أيضاً ولرأي قادة المجاهدين ومعظم الشعب الفلسطيني. وأن هذه هي أفضل الطرق للدفاع عن فلسطين.

وعهدت اللجنة السياسية للجامعة العربية، إلى لجنة عسكرية برئاسة اللواء اسماعيل صفوة[1]، بوضع توصيات الخبراء العسكريين موضع التنفيذ، ثم قررت اللجنة السياسية في الجلسات التالية أن تمد الفلسطينيين إمداداً أولياً بخمسة آلاف قطعة من السلاح وبمليون جنيه، ثم قررت، بعد عودتها من لبنان إلى القاهرة وتوارد الأنباء المثيرة عن موقف الأمم المتحدة من مشروع التقسيم، أن تضاعف كمية السلاح والمال للفلسطينيين لتمكينهم من الصمود في وجه العدوان اليهودي.

وكان لقرار اللجنة السياسية أثر بالغ في نفوس الفلسطينيين وزادهم حماسة واندفاعاً لقتال الأعداء، وبدأت المصادمات بينهم وبين اليهود على نطاق ضيق ثم اتسع نطاقها في أماكن متعددة من البلاد، وخرجت قوات العدو المسلحة «الهاغاناه» تطوف الشوارع مدعومة بالحماية الإنكليزية، وقام كل من العرب واليهود بمظاهرات صاخبة لإظهار القوة والاستعداد، ولم يعد في الاستطاعة كبح جماح الشعب الفلسطيني، فاجتمع مكتب الهيئة العربية في القدس بحضور عدد من اعضائها هم: أحمد حلمي عبد الباقي والشيخ حسن أبو السعود وحسين الخالدي ورفيق التميمي وأميل الغوري وقرروا الدعوة إلى الإضراب العام ثلاثة ايام متوالية منذ أول كانون الأول ١٩٤٧، اعراباً عن استنكار التقسيم واحتجاجاً عليه.

أبدى الفلسطينيون استنكارهم للتقسيم، بتظاهراتهم الصاخبة فلم يكن بد من تصادمهم مع اليهود، وشرعت العصابات اليهودية من منظمتي الارغون وشترن في اقتراف الجرائم المنكرة، وأيقن الفلسطينيون أن بريطانيا وأمريكا تدعمان التقسيم وتعتزمان تنفيذه لصالح اليهود دون هوادة.

وغير خاف أن اليهود ما انفكوا يتسلحون منذ أوائل عهد الاحتلال البريطاني، وأن السياسة البريطانية والأمريكية كانت عوناً لهم على ذلك، فأصبحت لهم قوات لا يستهان بها ولا سيما جيش الدفاع اليهودي المعروف بالهاغاناه، وقد قدر المستر اتلي رئيس الوزارة البريطانية في خطابه في مجلس العموم البريطاني في تموز ١٩٤٦ قوات

---

(١) اللواء اسماعيل صفوة: ضابط عراقي عيّنته الجامعة العربية عام ١٩٤٨ أول قائد للقوات المحاربة في فلسطين (جيش الإنقاذ).

اليهود المسلحة بما لا يقل عن سبعين الفاً وأن لديهم ذخائر وأعتدة ووسائل حربية حديثة بمقادير عظيمة.

وكانت قيادة القوات المسلحة البريطانية المعسكرة في قناة السويس تسرح الجنود اليهود الذين هم في عداد القوات البريطانية وترسلهم إلى فلسطين لينضموا إلى القوات اليهودية المسلحة ويشدوا ازرها في قتال الفلسطينيين، بدليل ما عثرنا عليه من وثائق تثبت أن الإنكليز أرسلوا سبعمائة جندي مسرح من جيشهم في القناة إلى فلسطين على أربع دفعات ما بين الخامس والثامن من شهر كانون الأول ١٩٤٧، وهذا غيض من فيض، وقد سبق لي أن أشرت إلى أن السلطات العسكرية البريطانية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، سمحت لأفراد الفيلق اليهودي، الذين أصر تشرشل على تأليفه خلافاً لنصيحة المارشال ويفل، بالعودة إلى فلسطين، حاملين أسلحتهم، وقد انضم هذا الفيلق إلى القوات اليهودية المسلحة.

وكان أكبر همنا ان نحصل على السلاح لنزود به المجاهدين الذين الفنا منهم جيش «الجهاد المقدس»، وأخذ الفلسطينيون يهرعون من سائر أنحاء فلسطين إلى دمشق وبيروت والقاهرة للتزود بالسلاح والذخائر فتزودهم مراكز الهيئة العربية بما يتوفر لديها منهما، وكثير منهم كانوا يأتون معهم بأثمان أسلحتهم.

وكانت جامعة الدول العربية قد قررت تأليف قوة مسلحة سميت «جيش الإنقاذ» قوامها متطوعون من الأقطار العربية المجاورة ومن جملتهم عدد من الفلسطينيين، وجعلت الجامعة معظم اعتمادها على «جيش الإنقاذ» وزودته بالسلاح والمال بواسطة اللجنة العسكرية التي الفتها وجعلت مركزها دمشق، وكان «جيش الإنقاذ» مؤلفاً من نحو خمسة آلاف مقسمة على ثلاثة افواج، دخل الفوج الأول منها فلسطين في شهر كانون الثاني ١٩٤٨، ثم دخل الفوجان الثاني والثالث في الشهرين التاليين، واتخذ جيش الإنقاذ معظم مراكزه في مناطق عربية ما بين نابلس وطولكرم وجنين حيث لا توجد مستعمرات ولا مدن يهودية.. واستطاع اليهود أن يوقعوا جيش الإنقاذ في مأزقين خطيرين: الأول عندما هاجمت قوة منه مستعمرة الزراعة في غور بيسان وكان اليهود قد أغرقوا أرضها بالمياه فاصيبت تلك القوة بخسائر فادحة، والثاني عندما هاجمت القوة الرئيسية لجيش الإنقاذ مستعمرة «مشمار عايمك» في مرج ابن عامر فاستطاع اليهود تطويقها وكادوا يقضون عليها لولا مسارعة اهل القرى المجاورة من الفلسطينيين إلى نجدتها وفك الطوق عنها وإنقاذها.

وفي خلال الاشهر الخمسة منذ صدور قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩ إلى قبيل جلاء الإنكليز عن فلسطين، استطاع الفلسطينيون ان يلحقوا باليهود خسائر جسيمة في مواقع عديدة وأن يسيطروا على الموقف رغم ضعف وسائلهم وقلة ما كان في ايديهم من أسلحة حديثة وذخائر ووسائل فنية عسكرية بالنسبة إلى ما كان اليهود يحصلون عليه من الأسلحة من أوروبا وأمريكا، وما كانوا يتواطأون مع الإنكليز على سرقته أو اشترائه بأثمان بخسة من أسلحة الجيش البريطاني في فلسطين ومستودعاته ومعسكراته ومن ذلك معسكرات كاملة مثل معسكر صرفند الشهير وغيره، وحصلوا في صفقة أخرى على ألف سيارة نقل كبيرة، واشترت الوكالة اليهودية من مخلفات الجيش البريطاني في الشرق الاوسط ما قيمته خمسة ملايين جنيه معدات وأسلحة مختلفة وأجهزة للأرصاد وأربعاً وعشرين طائرة للتدريب، أما نواة قوة الطيران اليهودية فكانت خمسين طياراً يهودياً كانوا في عداد فرقة سلاح الجو الملكي البريطاني في فلسطين.

وقد تم لليهود تنظيم قواتهم وتسليحها قبل أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها، فأرادوا انتهاز الفرصة وأن لا تنتهي الحرب الا وقد تحولت فلسطين إلى بلاد يهودية، وكانوا مدفوعين إلى ذلك بالدوافع الآتية:

١ ـ خشيتهم من قيام حركة عربية واسعة النطاق تضطر بريطانيا وأمريكا إلى التريث في اقامة الدولة اليهودية في فلسطين.

٢ ـ خشيتهم من أن يقوم من البريطانيين من يعارض في تحويل فلسطين إلى دولة يهودية لأسباب ترجع إلى مصلحة الامبراطورية البريطانية.

٣ ـ رغبتهم في أن تقوم دولتهم اليهودية قبل ان يزول عطف الدول الغربية عليهم، وهو ما استطاعوا الحصول عليه بدعايتهم الواسعة ضد المانيا النازية واضطهادها لليهود.

ثم شرع اليهود في القيام بحملة ارهابية منظمة واسعة النطاق في فلسطين لإرغام بريطانيا على الإسراع بتسليمهم فلسطين، وشكلوا عصاباتهم الإرهابية وأشهرها (ارغون زفاي لئومي) و(شترن) فقامتا بأعمال ارهابية عديدة وفظيعة في البريطانيين والعرب، فأما في البريطانيين فلإرغامهم على الاسراع بالتسليم كما أسلفنا، وأما في العرب فلإرهابهم وحملهم على النزوح عن فلسطين والتخلي عن ممتلكاتهم وأراضيهم.

وقد وجد اليهود والإنكليز والامريكيون أن ظروف عام ١٩٤٨ مؤاتية لتنفيذ خطتهم المبيتة لتحويل فلسطين إلى دولة يهودية واخراج اهلها العرب منها، وأنه لم تعد ثمة ضرورة لانتظار الوقت الذي يصبح فيه اليهود أكثرية في فلسطين، فتوسلوا إلى ذلك بثلاث وسائل هي: الضغط السياسي، الدعاية المضللة، والارهاب.

فأما الضغط السياسي فقد قامت به بريطانيا وأمريكا على عدد من المسؤولين العرب لانتزاع زمام قضية فلسطين من ايدي اهلها وأصحابها، وقد أدى ذلك الضغط إلى العدول عن الخطة الأساسية التي اقرتها اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في «عاليه» في تشرين الأول ١٩٤٧ للدفاع عن فلسطين، وإلى الامتناع عن تسليم المساعدات الضرورية من أسلحة وأموال للفلسطينيين مما أدى إلى اضعافهم، وعرقلة جهودهم، ومنع مجاهديهم من الاستمرار في جهادهم العظيم الذي كاد في شهر آذار ١٩٤٨ أن يقضي على قرار التقسيم، وسيرد تفصيل ذلك في مكانه من هذه المذكرات ان شاء الله.

ضاعف المستعمرون واليهود دعايتهم المضللة ضد الفلسطينيين ورجال الحركة الوطنية في داخل فلسطين وخارجها، ولاسيما في الأقطار العربية، فقد أنشأ قسم المخابرات البريطانية ـ بالتعاون مع اليهود ـ عدة مراكز دعاية ضد الفلسطينيين لتشويه سمعتهم، وتشكيك الشعوب العربية في اخلاصهم وجهادهم فتكف عن مد يد المساعدة اليهم، ولإقناع العرب بأن إنقاذ فلسطين لن يتم إلا عن طريق ادخال الجيوش النظامية إليها، ومما هو جدير بالذكر أن الإنكليز أنشأوا، من جملة ما انشأوه من مراكز الاستخبارات والدعاية في الأقطار العربية، مركزاً للدعاية في القاهرة في شارع قصر النيل، ووضعوا على رأسه رجلاً بريطانيا تظاهر بالإسلام وسمى نفسه شمس الدين مارساك (وله شقيق انتحل الدين الإسلامي أيضاً وسمى نفسه نور الدين مارساك) وملأوه بالموظفين والعملاء والجواسيس الذين بثوهم في مختلف المدن والاوساط المصرية، وكان من مهام هذا المركز بث الدعاية المعروفة بدعاية الهمس بالأضافة إلى نواحي الدعاية الأخرى.

أما في داخل فلسطين فقد سعوا جاهدين لتثبيط الهمم واضعاف النفوس وإدخال روح الوهن والهزيمة بين المجاهدين، والكيد للرجال العاملين، ومحاولة اقناع الفلسطينيين بقلة جدوى المقاومة وضرورة الاقلاع عن سياسة التطرف، والدعوة إلى التعاون مع الإنكليز، وقد ركزوا الدعاية المضللة وتشويه السمعة على صفوة الوطنيين والمجاهدين

الذين عرفوا بصلابتهم وشدة اخلاصهم ولاسيما على الهيئة العربية العليا ورئيسها مختلقين انواع الاكاذيب والمفتريات والاراجيف.

ولما شرع أهل المدن الكبرى - كالقدس ويافا وحيفا وعكا - بالعمل على تحصين مدنهم وتسليح انفسهم، تدخل الإنكليز دون ذلك محاولين اقناع الأهليين بأن بريطانيا لن تسمح لليهود باحتلال المدن الكبرى، ولاسيما المدن والقرى العربية التي خصصت للعرب بموجب قرار التقسيم!

ولهذه المناسبة أذكر أني طالبت المختصين في جامعة الدول العربية في كانون الأول ١٩٤٧ بضرورة تحصين المدن الرئيسية، وتسليح المجاهدين المدافعين عنها تسليحاً وافياً، فأجابني أحد المسؤولين بقوله: لا ضرورة لتسليح يافا البتة، لأن قرار التقسيم جعل يافا في المنطقة العربية، فلا خوف عليها مطلقاً من اعتداء اليهود، أما حيفا فإن الإنكليز لن يسمحوا لليهود باحتلالها ابداً، لانهم يريدون أن يجعلوا منها مرفأ حراً، وأن لدينا من التأكيدات ما يجعلنا نطمئن إلى ذلك!

وارتبطت أعمال الدعاية والارجاف ارتباطاً وثيقاً باعمال الارهاب الاثيم الذي قام به اليهود لترويع العرب بنسف المنازل والقاء المتفجرات في الاسواق ومراكز تجمع الأهليين، مما أودي بحياة الكثيرين من الشيوخ والنساء والأطفال وأخذ دعاة الأعداء يزينون للأهليين الهجرة إلى الأقطار العربية محافظة على سلامة ارواحهم واطفالهم، وفي الوقت نفسه أخذت تظهر دعوة من بعض البلاد العربية تنادي بضرورة نقل الأطفال والنساء والشيوخ العاجزين من فلسطين ريثما يبت في مصيرها، كما ظهرت دعاية أخرى بأن الجيوش العربية ستدخل فلسطين قريباً لتحريرها فلا داعي للقتال وتحمل الخسائر في الارواح والأموال!!

فلما نشب القتال بين العرب واليهود في اواخر عام ١٩٤٧ أثر صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، كان موقف حكومة الانتداب البريطاني موقف المتحيز إلى اليهود، المتآمر معهم، شأنها طول عهد انتدابها مدة ثلاثين عاماً، فكانت تتدخل - في كل معركة يفوز بها العرب - لحماية اليهود ومنع العرب من الاستيلاء على ممتلكاتهم ومستعمراتهم، بحجة أنها لا تزال صاحبة السلطة في فلسطين والمسؤولة عن حماية أرواح السكان وممتلكاتهم، غير انها لا تتذرع بهذه الحجة عندما تكون ارواح العرب وممتلكاتهم عرضة للهلاك والدمار. الامثلة على هذه كثيرة لا مجال لتعدادها الآن، غير أن من الحوادث ما له صلة وثقى بكارثة فلسطين، وأدى إلى هجرة عدد كبير من العرب.

واضرب لذلك مثلاً حادث هجرة أهل طبرية، فقد تم وفقاً لخطة مرسومة لتسليم هذه المدينة إلى اليهود، إذ أن طبرية تقطنها اقلية من العرب وأكثرية من اليهود، فكانت القوات البريطانية خلال المعارك تغض الطرف عن جرائم اليهود في الاحياء العربية العزلى من السلاح وتحول دون وصول المدد إليها وتسهل وصول المدد والنجدات إلى اليهود، ثم تدخلت وعملت على اجلاء العرب عن المدينة، تاركين وراءهم كل ما يملكون، بحجة أنهم أقلية يخشى عليها من الكثرة اليهودية.. وقد كان في وسع القوات البريطانية أن لا تمنع وصول النجدات إلى العرب، أو أن تحافظ عليهم كما حافظت على اليهود في البلدة القديمة في القدس وغيرها وظلت باسطة حمايتها عليهم تمدهم بالماء والطعام والسلاح إلى أن انسحبت من فلسطين!

وقد حدث معظم المذابح التي اقترفها اليهود في القرى العربية الضعيفة بين سمع القوات البريطانية وبصرها كمذابح «دير ياسين» و«ناصر الدين» و«حواسة» و«عيلوط» و«سكرير» و«الدوايمة» وغيرها، ومما يجب ذكره وتسجيله ان معظم الفظائع الوحشية في هذه القرى اقترفتها عصابتا الارغون وشترن، اللتان تضمان كثيراً من اليهود المتدينين ورجال الدين الربانيين والحاخاميين المنتسبين إلى جماعة «آغودات إسرائيل» الدينية، المعروفين بالافراط في التعصب وشدة الاحقاد، فكانوا يقتلون الأطفال والنساء والشيوخ دون رحمة، ويبقرون بطون الحوامل ويخرجون منها الأجنة زاعمين أن هذا أمر إله إسرائيل الذي أمر شعب إسرائيل حين فتح «اريحا» أن يقتل بحد السيف كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير وأن يحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها أما آنية الذهب والفضة فقد وضعوها «في خزانة الرب» كما جاء في الاصحاحين السادس والسابع من سفر يشوع.



الفصل الثالث

وقائع كفاح الشعب الفلسطيني وجهاده

الجهود المبذولة لتجنيد الفلسطينيين:

كانت مسألة تجنيد الفلسطينيين وتدريبهم على السلاح، واضطلاعهم بالمهمة الخطيرة التي القاها على كواهلهم الغزو اليهودي المسلح لبلادهم، أهم ما عنيت به منذ هبطت مصر قادماً من أوربا صيف عام ١٩٤٦ لأنني كنت على يقين من أن القضية الفلسطينية لا تحل إلا بالقوة المسلحة، وأن المطامع اليهودية الخطيرة في فلسطين والأقطار العربية المجاورة لايقضي عليها إلا باجماع كلمة الفلسطينيين على المقاومة الجدية وأن التصميم الصهيوني على طرد العرب واغتصاب فلسطين، لايدحر إلا بتصميم مثله أو أشد منه، ولذلك صرفت معظم جهدي لبسط هذه الحقيقة لإخواني وأبنائي الفلسطينيين،، ولزعماء العالم العربي والإسلامي، ثم للحصول على السلاح من أي مكان رغم الظرف الدقيق الذي كانت تجتازه قضية فلسطين أثر الحرب العالمية الثانية وسيطرة بريطانيا وأمريكا والدول المتحالفة معهما، وقد خرجت منتصرة من الحرب، وضلوعها مع الصهيونية واندفاعها في دعمها وتأييدها واتباعها سياسة عدوانية ظالمة على الفلسطينيين خاصة والعرب عامة.

وسيأتي بيان ذلك وتفصيل الاحداث والوقائع التي جرت ما بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٥٢ في مكانه من هذه المذكرات ان شاء الله، واقتصر الآن على الإشارة إلى المساعي التي قمت بها بصفتي رئيساً للهيئة العربية العليا لفلسطين لتدريب الفلسطينيين وتجنيدهم بعد كارثة فلسطين عام ١٩٤٨، وإعدادهم لإنقاذ بلادهم، والموانع والعراقيل التي وضعت في سبيل إحباط هذه الخطة التي كنا نعلق عليها أملاً كبيراً بالتعاون مع الدول العربية.

اتجهت الهيئة العربية العليا لفلسطين في تجنيد الفلسطينيين وتدريبهم وتسليحهم، ثم في تكوين جيش فلسطيني، إلى الدول العربية ومجلس جامعتها، وقدمت في ذلك مقترحاتها مع ميزانية كاملة، ولو تمت الموافقة على تأليف الجيش الفلسطيني في ذلك الحين ـ منذ كانت المعارك ما تزال قائمة بين العرب واليهود أثر

كارثة فلسطين عام ١٩٤٨ - لامكنهم تخفيف آثار الكارثة، ثم لامكنهم إنقاذ الشطر المحتل من فلسطين قبل أن يثبت العدو أقدامه في الأراضي المحتلة، ولاستطاعوا دحر الأعداء واحباط خططهم وتدمير مشروعاتهم تدميراً، ولم يكن للأعداء حينئذٍ قوات يعتد بها، ولم يكن لديهم طيارات حربية أو دبابات أو أسلحة ذات قيمة.

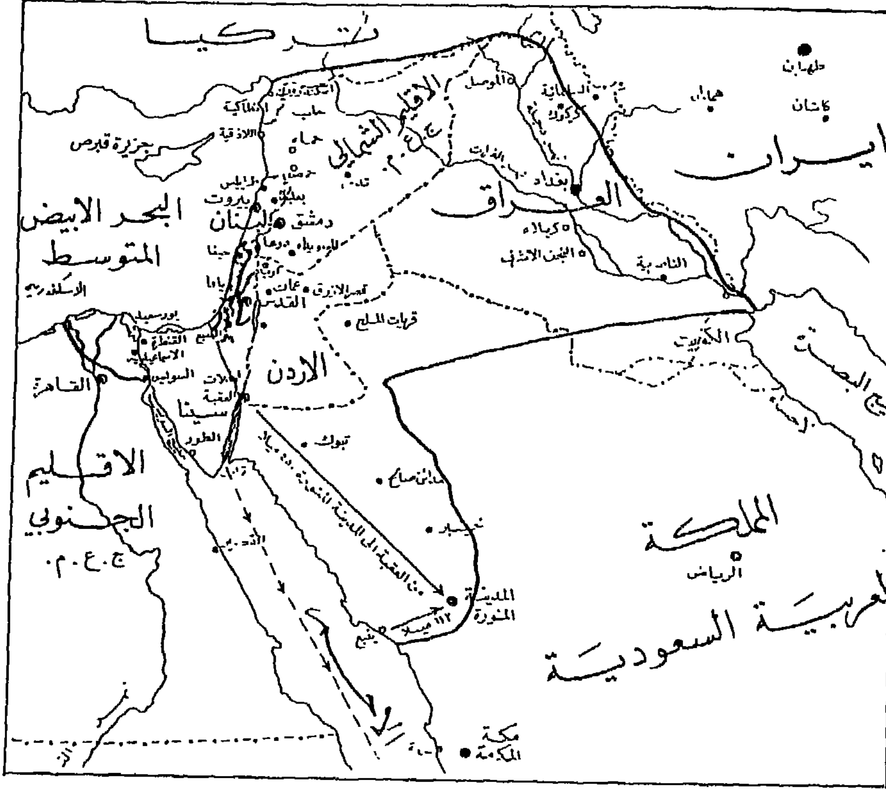
ولم يحل وقوع الكارثة دون متابعة الهيئة العربية جهودها في سبيل حمل الحكومات العربية على تدريب الفلسطينيين وتجنيدهم وتشكيل جيش فلسطيني يشارك الجيوش العربية في الدفاع عن المناطق التي أصبحت عرضة لاعتداءات مستمرة من اليهود.

ففي عام ١٩٤٨ قدمت باسم الهيئة العربية العليا لفلسطين مذكرة إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مؤرخة في ٢٣ رمضان ١٣٦٧ (٣٠ تموز ١٩٤٨) اشتملت على مقترحات لحل مشكلة اللاجئين وعلى المطالبة بتجنيد الفلسطينيين القادرين على حمل السلاح، وفيما يلي ما جاء في المذكرة خاصاً بتجنيد الفلسطينيين والدفاع عن المناطق التي لم يحتلها اليهود.

تجنيد جميع الرجال القادرين على حمل السلاح وإرسالهم إلى فلسطين بعد تدريبهم للمساهمة في الدفاع عن بلادهم، وتخصيص مرتبات معقولة للقيام بأود عائلات هؤلاء المجندين، شأنهم في ذلك شأن سائر الجنود.

أن تتخذ السلطات العسكرية العربية في فلسطين في جهادها لتحرير البلاد، جميع التدابير اللازمة والاحتياطات العسكرية الضرورية للدفاع عن المناطق التي لم يستول عليها اليهود، وقد نزح عن تلك المناطق الكثيرون من سكانها، لعدم اطمئنانهم إلى وسائل الدفاع العسكرية ولخوفهم من أن يصابوا بمثل ما أصيب به أهل دير ياسين وطبريا وعيلوط ولوبيا وغيرها.. فإذا اتخذت الاحتياطات المطلوبة فان هؤلاء النازحين سيعودون إلى مناطقهم، ويمكن حينئذٍ نقل عدد من اللاجئين الموجودين في الأقطار العربية إلى المناطق غير المحتلة من قبل اليهود.

وفي عام ١٩٥٠ أرسلت الهيئة العربية العليا لفلسطين مذكرة مستفيضة إلى الحكومة المصرية مؤرخة في ١٩٥٠/١٢/٢٨، اشارت فيها إلى الخطر اليهودي على مصر عامة وسيناء خاصة وامكان الاستفادة من اللاجئين الفلسطينيين بتحويلهم إلى مجاهدين للمساهمة في دفع العدوان اليهودي نورد منها ما يلي:



خريطة توضح حدود «دولة إسرائيل الكبرى» المزعومة

التي تصل إلى المدينة المنورة والخليج العربي والاسكندرية

بعد أن بلغت الصهيونية غايتها من تأسيس الدولة اليهودية في فلسطين بمساعدة بريطانيا وأمريكا وبعض العناصر المأجورة في البلاد العربية، أخذت ابصار اليهود تتطلع إلى تحقيق برنامجهم الاستعماري الكبير لتنفيذ فكرة الدولة اليهودية العظمى من النيل إلى الفرات، كما هو مكتوب على مدخل برلمانهم، وفي أثناء الحرب العالمية الثانية عثر في خزانة حديدية لآل روتشيلد في مدينة فرانكفورت بالمانيا على خريطة سرية توضح حدود دولة إسرائيل كما وضعها زعماء إسرائيل، وهذه الحدود تشمل الأراضي الواسعة الواقعة

بين ضفتي النيل والفرات بما فيها سيناء وفلسطين وشرق الأردن ولبنان وسورية وقسماً كبيراً من العراق، وشمالي المملكة العربية السعودية حتى المدينة المنورة نفسها.

وشبه جزيرة سيناء هي مطمح ابصارهم وهم عاملون بجد وقوة لانتزاعها من مصر لأن لهم فيها ذكريات تاريخية، ففيها نزلت التوراة والالواح، وتاه بنو إسرائيل اربعين سنة، ومنها كان دخولهم إلى شرق الأردن ففلسطين. وبالأضافة إلى هذا فان لسيناء موقعاً استراتيجياً وجغرافياً وعسكرياً فريداً في بابه، إذ انها تفصل آسيا عن افريقية وتشرف على البحر الأبيض والبحر الأحمر، وهي فوق هذا كله غنية بالمعادن والعناصر الثمينة، كالاورانيوم والبترول وغيرهما من وسائل الحرب الحديثة[١].

ولما كان من أهم أهداف السياسة البريطانية في الشرق العربي مساعدة اليهود على الاستيطان في فلسطين وما جاورها من الأقطار العربية، وعلى تأسيس الوطن القومي اليهودي فالدولة اليهودية ليتم لهم بذلك تجزئة الأقطار العربية ودق آسفين بواسطة عنصر أجنبي، بين شعوب العالم الإسلامي المنتشرة في آسيا وأفريقية، فقد عمدت الحكومة البريطانية سنة ١٩٠٦ في وزارة السير بنرمان إلى إرسال بعثة علمية فنية من العلماء والمهندسين إلى سيناء لدرس حالة هذه المنطقة وطبيعتها الجيولوجية والزراعية والجوية ومقدرتها على استيعاب السكان، وذلك تمهيداً لتوطين أكبر عدد ممكن من اليهود فيها، وقد درست تلك البعثة منطقة سيناء وعادت بتقرير ضاف ضمنته نتائج بحوثها ودراستها الوافية، ومقدار ما يمكنها استيعابه من مهاجري اليهود، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى واستطاع اليهود في أواخرها ان يحصلوا من بلفور وزير الخارجية البريطانية على تصريحه المشهور بوعد بلفور[١] في ٢ نوفمبر ١٩١٧ بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

ومع ذلك فما انفكت أبصار اليهود ترنو إلى سيناء وافئدتهم تهوى إليها، وهذا ما

(١) ـ اطلعت على كتاب باللغة الفرنسية اسمه (ماسادا) الفه أحد كتاب اليهود وقد اشتمل على بحث مطول عن سيناء واهميتها الدينية والجغرافية والحربية. ومما جاء فيه: «إن سيناء هي باب حاجز بين قارتي آسيا وافريقيا، وهي مستندة على بحرين: الأبيض والأحمر، فمن يملكها يسيطر على معظم شؤون القارتين والبحرين المذكورين».

(١) ـ نص وعد بلفور: «إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي بفلسطين، وستبذل جهدها لتحقيق هذه الغاية مع البيان الجلي بأن لا يفعل شيء يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن، ولا الحقوق أو المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى». يتبع...

حمل الوكالة اليهودية الممثلة لكافة يهود العالم والتي اعترفت لها الدولة البريطانية بهذه الصفة التمثيلية، على إرسال بعثة علمية وفنية يهودية إلى سيناء ما بين سنتي ١٩٣٥ - ١٩٣٨ قوامها علماء من أساتذة الجامعة العبرية المتخصصين في المعادن والكيمياء وعلم طبقات الارض والظواهر الجوية (الميتورولوجيا) وظلت هذه البعثة مدة طويلة تنقب عن الكنوز المدفونة في صحرائها ووضعت بعد عودتها تقارير أضافية إلى الوكالة اليهودية تؤكد وجود البترول والاورانيوم ومعادن عديدة أخرى فيها ولعل هذا من أهم الأسباب التي دفعت اليهود إلى التشدد في الاستيلاء على النقب وجنوبي فلسطين ليصلوا منه إلى سيناء ويبسطوا سلطانهم عليها.

فعندما قفز اليهود في حرب فلسطين من شاطئ البحر الأبيض إلى العقبة على البحر الأحمر اشرفوا على البحرين المذكورين وفصلوا بين الأقطار العربية والإسلامية في آسيا وافريقيا، ومزقوا عملياً جامعة الدول العربية وقطعوا الاتصال براً بين مصر وأكثر الدول العربية. وإذا قوي اسطول «إسرائيل» البحري والجوي فانهم سيعملون على قطع كل اتصال بالبحر والجو بين دول الجامعة وبذلك يقضون على آمال العرب وأهدافهم التي يسعون إليها، ويشرعون بضرب هذه الدول المتخاذلة واحدة أثر أخرى حتى تخر صريعة جاثية على اقدامهم.

فالخطر على سيناء ومصر خطر حقيقي، وليس وهمياً ولعله اقرب كثيراً مما يظنه بعض الغافلين أو المتغافلين، ولا شك في هذا الأمر الخطير هو موضع عناية حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس حكومة الشعب، وعناية معاليكم وسائر أعضاء هذه الحكومة الجليلة، ولقد شرعت القيادة اليهودية منذ اقتحام اليهود النقب ووصولهم إلى العقبة عن طريق وادي عربة، في إنشاء خط دفاع يهودي محصن سموه (خط وايزمان)

Foreign Office. November 2 nd. 1917 ....

Dear Lord Rothschild

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of his Majesty's Government the following declaration of sympathy with Jewish zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done wich may prejudice the civil and religious rights of existing non - Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by jewb in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the zionist Federation.

على طول الحدود الواقعة بين «إسرائيل» ومصر ابتداء من النقطة التي تنتهي بها حدود منطقة الاحتلال اليهودي على شاطئ البحر الأبيض حتى نقطة احتلالهم على شاطئ خليج العقبة، وإنشاء المستعمرات اليهودية على طول هذا الخط وحشد المقاتلين والفدائيين فيه للوثوب منه على سيناء لاحتلالها والتقدم منها إلى داخل المملكة المصرية.

إن عشرات الالوف من اللاجئين الفلسطينيين الذين تعج بهم منطقة غزة ويقاسون شظف العيش وذل الحياة، يمكن تحسين حالتهم وقلبهم من لاجئين إلى مجاهدين إذا عنيت الحكومة المصرية بامرهم فيدفعون الخطر اليهودي عن مصر ويكونون من خيرة العناصر الصالحة لمقاومة الغزو اليهودي المرتقب لسيناء إذا اختيرت العناصر الصالحة للجندية منهم وتم تسليحهم وتدريبهم تحت اشراف قيادة الجيش المصري.

١٨ ربيع الاول ١٣٧٠ / ٢٨ ديسمبر ١٩٥٠

الهيئة العربية العليا لفلسطين

خريطة توضح مطامع اليهود في شبه جزيرة سيناء ودلتا مصر وخليج العقبة والمدينة المنورة

وفيما كانت عيون الصهيونيين والمستعمرين تتطلع إلى سيناء، ونفوسهم منصرفة إليها بكل ما تنطوي عليه من أماني وأطماع، لما يعرفون من أهميتها جغرافياً واستراتيجياً وما تحتويه من ثروات دفينة، كان بعض ولاة الأمور في الأقطار العربية لا يقيمون لها أي وزن، حتى أن حسين سري باشا قال عنها أثناء توليه رئاسة الوزارة عام ١٩٤٩: «وما قيمة سيناء؟ إنها ليست إلا رمالا لا فائدة منها!!» حدث هذا عندما تقدم الصهيونيون بمذكرة بواسطة إحدى الدول الكبرى يطالبون فيها بتخلي مصر عن قطاع غزة، وتسليمه إليهم، ونبذ مسألة اللاجئين الفلسطينيين ظاهرياً ونحو ذلك من المطالب الصهيونية الوقحة. ولما كان موقف حسين سري غاية في الضعف والميل للاستسلام والرضوخ لما اشتملت عليه المذكرة من مطالب، فقد طلب من السيد عبد المنعم مصطفى الذي كان يتولى منصب الادارة السياسية في وزارة الخارجية المصرية، ان يقدم إليه تقريراً يمهد للاستجابة لمطالب الصهيونيين، لكن السيد عبد المنعم، المعروف بوطنيته وصلابته، امتنع عن ذلك، وبين لحسين سري الخطأ والخطورة في هذا الأمر، فرد عليه حسين سري بلهجة الأمر وعنجهية المسيطر: «انك موظف وعليك أن تكتب ما اطلب منك» فأجابه السيد عبد المنعم: «لن أكتب ما تطلب مني ولكني أكتب طلب استقالتي». فعندئذٍ تراجع حسين سري وخشي سوء العاقبة وذيوع الخبر، فصمت ولم يعد إلى مراجعته.

فهذا الحادث يضع أمامنا مثلاً من الذين تولوا مقاليد الأمور في بعض الأقطار العربية، ولم يكونوا على مستوى المسؤولية، ولا من الذين يستميتون في الدفاع عن أوطانهم بل كانوا لا يرون في سيناء إلا صحراء جرداء، ورمالاً لا فائدة منها ولا خير فيها، وإنها لا تستاهل مخاصمة الصهيونيين من أجلها!

ولقد كان هم اليهود والمستعمرين الضالعين معهم أن يبعدوا جميع الزعماء المخلصين في الأقطار العربية بمختلف الوسائل عن تولي زمام الأمور، ولا سيما في فلسطين، ليسهل عليهم بلوغ أهدافهم وتحقيق مآربهم، بواسطة الضعفاء من الحكام.

وظلت المذكرة اليهودية تنتظر الرد، إلى أن تشكلت وزارة ائتلافية مصرية اشتركت فيها الأحزاب المعروفة حينئذٍ برئاسة مصطفى النحاس باشا، وتولى وزارة الخارجية فيها الدكتور محمد صلاح الدين، ولما عرضت المذكرة اليهودية مجددا عليه، وقف الموقف الجدير بالرجل الشريف الحازم، وأجاب على تلميح اليهود وتهديدهم بالقوة للحصول على مطالبهم قائلاً: «أنا على استعداد لصدهم بالقوة، وإشعال نار حرب مقدسة يخوضها العرب والمسلمون جميعاً». فعندئذٍ طويت المذكرة اليهودية المشار إليها.

وفي ١٩٥١/١/٨ قدمت الهيئة العربية مذكرة إلى المغفور له مصطفى النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية يومئذٍ تناولت مختلف الشؤون الفلسطينية والوسائل التي يحسن إتخاذها لمعالجة قضية اللاجئين وغيرها، ثم تطرقت في البند الثالث منها إلى التنبيه على مطامع اليهود في سيناء ومصر وامكان الاستفادة من الفلسطينيين من أهل منطقة غزة ومن اللاجئين إليها في دفع الخطر اليهودي، ومما جاء في هذه المذكرة ما يلي:

«... وترجو الهيئة العربية العليا أن تلفت نظر رفعتكم إلى أن الكثيرين من الفلسطينيين الذي يعيشون الآن في منطقة غزة وخان يونس ورفح على الحدود المصرية من أهل تلك المنطقة، واللاجئين إليها يمكن تحويلهم إلى مجاهدين وجعلهم عنصراً قوياً يساهم في دفع اليهود لا عن منطقة غزة فحسب، بل عن سيناء والحدود المصرية أيضاً إذا ما أعد الصالحون منهم لذلك...»

وفي ٢٢ شوال سنة ١٣٧١ الموافق ١٤ تموز سنة ١٩٥٣ قدمت الهيئة العربية العليا مذكرة إلى الدول العربية تبين مطامع اليهود الخطرة في المسجد الأقصى المبارك، وتطالب فيها بإرسال حاميات عسكرية لحماية المسجد الأقصى ودفع أي عدوان عليه وعلى المقدسات الإسلامية الأخرى، وقد اشتملت المذكرة أيضاً على المطالبة بتمكين أهل فلسطين من القيام بقسطهم في هذا الواجب ومساعدتهم على التسلح والدفاع.

ثم بعد أيام قلائل من قيام الثورة المصرية في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ قابلت اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المصرية المسلحة في دار القيادة بمنشية البكري وكان يقف وراءه أثناء المقابلة السيد عليّ صبري وجرى بيننا حديث خاص بالقضية الفلسطينية في قطاع غزة ومصر وقدمت إليه مذكرة عن الاخطار التي تهدد ذلك القطاع كما تهدد مصر من المطامع اليهودية، ووجوب الأهبة والاستعداد لدفع تلك الاخطار لأن الحرب مع «إسرائيل» آتية لا ريب فيها، ولما كان اللواء محمد نجيب قائداً عاماً للقوات المصرية المسلحة التي دخلت فلسطين وحارب فيها بشجاعة وجرح مرتين، فقد كان متجاوباً معي فيما اشتملت عليه المذكرة من مقترحات وتحذيرات، إذ كان يتحلى بمزايا كريمة ووطنية صادقة ووعد بالعمل على تنفيذ ما يستطاع منها لأنها توافق آراءه وخطته، ومما اشتملت عليه تلك المذكرة لزوم تجنيد قوة عسكرية فلسطينية تساهم في الدفاع عن قطاع غزة.

وفيما يلي نص هذه المقترحات التي قدمتها إلى المرحوم اللواء محمد نجيب وتحدثت معه في شأنها:

«تجند قوة فلسطينية للدفاع عن منطقة غزة منعاً لسقوطها في أيدي الأعداء إذا ما تحركوا نحوها، وهذه القوة الفلسطينية تقوم بالدفاع عن غزة حتى في فترة الحصار وبذلك يستفيد الجيش المصري من عدة وجوه:

آ ـ تكون هذه القوة شوكة دائمة في جنب اليهود.

ب ـ تمتص عدداً كبيراً من قوات اليهود التي هي أمام الجيش المصري.

ج ـ تمنع حدوث الذعر الذي ينشأ عنه رحيل المهاجرين إلى الخطوط المصرية، مما يسبب الارتباك للقوات المصرية ويحول دون إستخدامها خطوط المواصلات براحة وحرية.

د ـ تتمكن الفرقة المصرية الأولى حالياً هناك من التجمع، بدلاً من بعثرة قواتها هنا وهناك.

هـ ـ في الحالة الحاضرة يمكن استخدام هذه القوة الفلسطينية كحرس أهلي، لرد اعتداءات اليهود المتوالية على اللاجئين والممتلكات العربية وبذلك يمكن تفادي المشاكل القانونية التي تنشأ عن اشتباك القوات النظامية المصرية بالقوات اليهودية.

و ـ أن تنظيم المجاهدين الفلسطينيين وتدريبهم لا يحتاج الا إلى عدد قليل من الضباط، كما أن تكاليف تجنيدهم قليلة جداً نسبياً، وهم من أشجع الجنود وأبسلهم واعرفهم بالواجب وتملاهم الرغبة في إنقاذ الوطن من خطر العدو وطغيانه.

ويمكن تجنيد عدد أكبر بالتدرج حسب الحاجة من الفلسطينيين الذين ينبغي تحويلهم من لاجئين إلى مجاهدين».

ومما يؤسف له ان موانع اقيمت في سبيل تشكيل تلك القوة الفلسطينية، ولذلك فقد قدمت إلى اللواء محمد نجيب مذكرة أخرى بتاريخ ١٩٥٣/٢/٢ (وكان يومئذٍ رئيس الحكومة المصرية) أكدت فيها على تجنيد الفلسطينيين بالأضافة إلى مطالب أخرى لصالح الفلسطينيين في قطاع غزة، وقد اشتمل البند الأول من هذه المذكرة على ما يلي حرفيا:

«١ ـ سبق للحكومة المصرية أن قررت تشكيل قوة عسكرية فلسطينية للمساهمة في الدفاع عن (منطقة غزة) وحفظ الأمن فيها تحت إشراف الجيش

المصري، وإتخذت جميع الترتيبات للبدء بتجنيد ٥٠٠ شخص، ولكن هذه الخطوة الجليلة توقفت لأسباب نجهلها، لذلك نرجو المبادرة إلى تنفيذ هذا المشروع الهام والتوسع فيه.

إن فائدة تجنيد الشباب الفلسطيني لا تقتصر على الناحية العسكرية فحسب، بل من شأنها رفع معنويات أبناء فلسطين عامة، وبث روح الصبر والامل في نفوسهم، وإشعارهم بمسؤوليتهم في الذود عن وطنهم».

وقد ظللنا مثابرين على مطالبة الدول العربية ومجلس جامعتها، وبصورة خاصة الدولة المصرية، بتجنيد الفلسطينيين، ولاسيما على أثر الهجوم اليهودي الغادر على مخيمات الفلسطينيين في غزة وسقوط عدد كبير من اللاجئين قتلى وجرحى برصاص الأعداء وقنابلهم، وتوالي الاعتداءات اليهودية المسلحة وإشتدادها على الأقطار العربية المجاورة، فعندئذٍ بادرت بتقديم مذكرتين إلى المرحوم اللواء عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المصرية المسلحة حينئذٍ، وفيما يلي نصهما:

الهيئة العربية العليا لفلسطين

الرقم س /١٣٢/٣/٦٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد اللواء أركان حرب عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المصرية المسلحة حفظه الله ـ القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، تعلمون أن قوات اليهود العسكرية قد هاجمت مخيمات اللاجئين في منطقة غزه وقتلت برصاصها وقنابلها عدداً من اللاجئين في (البريج) وسواه من المخيمات.

ولما كنا واثقين من أن سيادتكم شخصياً وكذلك السلطة العسكرية المصرية يهمكم صد العدوان اليهودي المستمر، ولما كان أهل فلسطين يرغبون في الدفاع عن أنفسهم وديارهم متعاونين في هذا السبيل مع الجيش المصري، فإن الهيئة العربية العليا ترجو من سيادتكم النظر في الاقتراح التالي:

١ ـ أن يعهد إلى فئة اللاجئين بحراسة معسكراتهم وأن يختار لهذا العمل طائفة من الشباب الاقوياء بعد تدريبهم وتسليحهم باشراف الجيش المصري.

٢ ـ ومنعاً لحوادث الغدر والمفاجأة نقترح إنشاء إستحكامات وخنادق حول جميع معسكرات اللاجئين وترتيب الحراسة فيها ليلاً ونهاراً.

إن ترتيب حرس المعسكرات بالشكل المتقدم سيحول دون تكرار حوادث الغدر اليهودي وعدوانهم على اللاجئين وقد جربت السلطات المصرية ذلك عملياً حين سمحت لأصحاب مزارع البرتقال «البيارات» في قطاع غزة بتعيين حراس مسلحين فيها لمنع إعتداء اليهود عليها مما حال دون مهاجمة اليهود لتلك المزارع على حين كانوا يهاجمونها مراراً قبل وجود الحرس، ويخربون فيها، ويكبدون أصحابها خسائر فادحة.

ونعتقد أن هذا التدبير الذي أفاد في حماية المزارع سيفيد حتماً في حماية معسكرات اللاجئين من مفاجأة عصابات اليهود لها.

وأن لنا كبير الرجاء بأن تلقى هذه المقترحات من سيادتكم كل عناية واهتمام ان شاء الله.

وتفضلوا بقبول فائق التحية ووافر الاحترام

٢٩ المحرم ١٣٧٣

٨ اكتوبر ١٩٥٣

رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين

* * *

الهيئة العربية العليا لفلسطين

الرقم س/١٣٢/٣/٦٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد اللواء أركان حرب عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المصرية المسلحة حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فان اعتداءات اليهود المتتالية التي أخذت تزداد شدة وعنفاً وتتطور تطوراً خطيراً يوماً بعد يوم، نذير بما يبيتونه من إعتداءات أشد خطراً وأبعد أثراً، وأن حوداث الاعتداءات التي وقعت في الاسابيع الاخيرة على الدول العربية المجاورة لتدل في نوعها وقصدها على الخطر الذي يهدد كيان الأمة العربية في بقية فلسطين وفي الأقطار العربية المجاورة

أصبح يسير بخطوات سريعة خطيرة.

وإنه ليرجى أن تكون الحكومات العربية شرعت تهتم لهذه الحوادث إهتماماً جدياً وأن تقف منها موقفاً حازماً تظهر فيه عزمها على اتخاذ الاجراءات العملية حيال هذه الاعتداءات الآثمة.

ومما لا ريب فيه أن أهل فلسطين يرون من واجبهم أن يساهموا في دفع العدوان اليهودي الذي يصيبهم في أنفسهم ووطنهم أكثر مما يصيب غيرهم. وقد أخذت الهيئة العربية العليا لفلسطين منذ حدوث كارثة فلسطين تنتهز كل فرصة لتلفت نظر الدول العربية إلى ضرورة تدريب الفلسطينيين واعدادهم للكفاح عند الحاجة ولقيامهم الآن بحراسة مخيمات اللاجئين وقد كانت مصر اسبق من اهتم بهذا الأمر فشرعت في تدريب فريق من الفلسطينيين في قطاع غزة واتمت تدريب خمسمائة منهم، ولكن الظروف المالية على ما يبدو حالت دون الاستمرار في اعداد قسم آخر فتوقف التدريب والتجنيد عند هذا الحد.

والهيئة العربية العليا إزاء ما تراه من ضرورة الاكثار من عدد المدربين الفلسطينيين للاستفادة منهم ترى إنه بالإمكان استمرار هذا التدريب وتخريج كثير من المدربين بنفقات قليلة وتقترح لذلك ما يلي:

إن يدرب القادرون على حمل السلاح من اللاجئين فوجاً بعد فوج، مدة التدريب المعتادة والفوج الذي ينهي تدريبه يكون قوة احتياطية ويعطى لكل فرد من افراده نحو جنيهين راتباً شهرياً وعليه أن يتكفل بسائر نفقاته على أن يقوم بدوره في الحراسة والأعمال العسكرية الأخرى التي تطلب منه، وبهذه الصورة يتم تدريب أكبر عدد ممكن بنفقات قليلة، وتصبح مخيمات اللاجئين قادرة على دفع العدوان والمحافظة على مواقعها وهذا ما يفعله اليهود في معسكراتهم الامامية التي هي اليوم معسكرات حقيقية.

هذا وأن الهيئة العربية العليا إذ تتقدم باقتراحها هذا ترجو أن يجد ما يستحقه من إهتمام لما قد يؤديه من خدمات في تخفيف بعض الاعباء عن عاتق الجيش المصري وتساهم معه في الدفاع عن الوطن العربي.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

٢٩ محرم ١٣٧٣ / ٨ اكتوبر ١٩٥٣

رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين

ولمناسبة العدوان اليهودي الوحشي على القرى العربية في ضواحي القدس، أبرقنا إلى رؤساء الدول العربية بتاريخ ١٩٥٣/١٠/٨ البرقية التالية:

«اعتداء اليهود الوحشي على قرى القدس، وقتلهم أهلها ونسفهم بيوتها ومساجدها، نذير بالمصير المنتظر للمسجد الأقصى وسائر فلسطين والبلاد العربية، ما دام العرب يقابلون هذه الاعتداءات بالخنوع، وما دام كلوب يتولى حماية البلاد، نعتبر بريطانيا وأمريكا مسؤولتين عن عدوان اليهود ما دامتا تعاضدانهم، نطالبهما بالحياد ونرجو من الدول العربية الأخذ بالحزم، ووضع حد لهذه الإعتداءات الوحشية الرامية إلى ترويع العرب فإجلائهم وإبادتهم. ونرجو تجنيد الفلسطينيين وتحصين مناطقهم للدفاع عن أنفسهم وبلادهم».

وتلا ذلك بيان أصدرناه باسم الهيئة العربية العليا بتاريخ ٨ صفر سنة ١٣٧٣(١٨/١٠/١٩٥٣) ورد فيه مايلي:

«........... فإزاء تفاقم الحال واستفحال شر اليهود وعدوانهم الذي يرمون به أولاً وقبل أي شيء آخر إلى ترويع عرب فلسطين واجلائهم عما بقي لهم من أرض، أو إبادتهم دون أن تمتد لإنقاذهم يد من العالم العربي المحيط بهم، ترجو الهيئة العربية العليا من كافة الدول العربية أن تسارع إلى العمل الجدي المنتج الذي لا يمكن دفع العدوان اليهودي المستمر بدونه، وهو تسليح الفلسطينيين وتمكينهم من الدفاع عن أنفسهم وبلادهم، والفلسطينيون على أتم استعداد للاضطلاع بهذا الواجب».

«ولعل في النتائج السيئة الأليمة التي نتجت عن الخطة التي اتبعتها بعض الدول العربية بإقصاء الفلسطينيين عن تسلم زمام قضيتهم وبحرمانهم من السلاح والعتاد، ما تحمل المخلصين من المسؤولين العرب على التبصر والإعتبار وتعديل الأوضاع ونبذ تلك السياسة الفاشلة الخاطئة، وإتباع سياسة هي أقوم وأهدى سبيلا».

عرفت كمال الدين حسين منذ كان قائدا للمدفعية في حملة المتطوعين المصريين والسودانيين التي دخلت فلسطين في أوائل عام ١٩٤٨، بقيادة البطل الشهيد المقدم (البكباشي) أحمد عبد العزيز، فقد كانت تلك أول حملة عسكرية مصرية تعاونت معنا في حرب فلسطين، وقد عهدت في (الصاغ)

كمال الدين حسين الإيمان والإخلاص والكفاءة كقائده الشهيد الباسل أحمد عبد العزيز، وكنا قد انتدبنا للتعاون معهما في تلك الحملة بعض الخبراء الفلسطينيين كالمجاهدين المرحومين صبحي الشهابي والدكتور طاهر الخطيب اللذين كانا من اخبر الناس بمنطقة غزة، كما كانا من اخلص المجاهدين واشجعهم.

فلما وقع انقلاب ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ في مصر وتولى كمال الدين حسين عمله في قيادة الثورة، زرته في منزله بمنشية البكري فقابلني مرحباً أحسن ترحيب، فقدمت إليه المذكرة آنفة الذكر، وبحثت معه مسألة تمكين الفلسطينيين في منطقة غزة من التدريب والاستعداد للقيام بما يجب عليهم من الجهاد والفداء، وبينت ضرورة ذلك وفائدته لقضيتهم ولانفسهم، فأجابني بأنه تلقى تقارير من المنطقة تفيد أن المبادئ الهدامة قد فشت بين الفلسطينيين، وأنه يخشى من نتائج ذلك ثم قال: الا ترى أن تقوية مصر تكون انفع وأجدى من هذه المحاولات؟ فأكدت له أن ما يشاع عن الفلسطينيين غير صحيح، وأن الأعداء هم الذين يذيعون عنهم هذه الإذاعات، ويحاولون تشويه سمعتهم بمختلف التهم لإبعادهم عن معركة قضيتهم لما يعرفون من خطرهم على الصهيونية، وأنهم أقوى عنصر وأكبر عقبة في سبيلها لشجاعتهم وإستماتتهم في سبيل تحرير وطنهم.

* * *

وفيما بعد قدمنا مذكرة خاصة إلى كمال الدين حسين بصفته القائد العام لكتائب الفدائيين نطلب فيها إدخال الفلسطينيين في هذه الكتائب وهي مؤرخة في أول صفر سنة ١٣٧٣ (١٩٥٣/١٠/١٠) وهذا نصها:

الهيئة العربية العليا لفلسطين

س / ١٣٢ / ٣ /٧٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الصاغ أركان حرب السيد كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة وقائد عام كتائب الفدائيين حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فإن الهيئة العربية العليا لفلسطين تتبع بإهتمام وإعجاب أنباء ما تصل إليه جهودكم المشكورة من نتائج قيمة في

إعداد كتائب الفدائيين. وهي إذ تتمنى لكم كل نجاح وتوفيق في هذه المهمة العظيمة التي تهيئ المغاوير الذادة عن حياض الوطن، والتي أصبحت جهودكم فيها موضع تقدير العالم العربي كله واعجابه، نرجو أن يكون للفلسطينيين نصيب من هذه الجهود المبرورة.

والهيئة العربية العليا التي تعرف الكثير من جهادكم في فلسطين وما قمتم به مع القائد الشهيد المرحوم أحمد عبد العزيز من أعمال فدائية مجيدة وتعلم بما كان لكم من إتصال ومعرفة بالمجاهدين الفلسطينيين تشعر بأن هذا الأمر سيكون موضع عنايتكم واهتمامكم وهي تقترح في ذلك أن تؤلف كتائب من صفوة الفلسطينيين اللاجئين في قطاع غزة وترجو أن تجدوا فيهم ما يرضيكم من إخلاص ونظام وطاعة، وأنهم سيكونون عند حسن ظنكم ويعملون بتوجيهاتكم. أمدكم الله بعونه وتوفيقه.

وتفضلوا بقبول فائق التحية ووافر الاحترام

١/صفر/١٣٧٣

١٠/اكتوبر/١٩٥٣

رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين

* * *

ثم تلا ذلك تقديم مذكرة إلى السيد (البكباشي) أركان الحرب السيد حسين الشافعي وزير الحربية والبحرية بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٧٣ (١٩٥٤/٥/٢) جاء فيها مايلي:

الهيئة العربية العليا لفلسطين

س /٢٦٣/٣/١٣٢

السيد البكباشي أركان الحرب السيد حسين الشافعي وزير الحربية والبحرية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فإن الهيئة العربية العليا لفلسطين تقدم إلى سيادتكم مذكرتها التالية المتعلقة بمنطقة غزة وبعض الشؤون الفلسطينية راجية أن تتفضلوا فتولوها عنايتكم الكريمة.

إن إعتداءات اليهود المتوالية على منطقة غزة الفلسطينية، والأقطار العربية المتاخمة لليهود، وقيام الدلائل كل يوم على طغيان اليهود وإندفاعهم وراء تحقيق

مطامعهم السياسية والاقليمية في الأقطار العربية، وما تتعرض له سيناء والدلتا من الأراضي المصرية من الخطر الواضح بسبب مطامع اليهود الخطيرة، وتعاونهم الوثيق مع الإنكليز على تحقيق الخطط الاستعمارية في مصر وسائر البلاد العربية المجاورة، كل ذلك يدل دلالة واضحة على تفاقم الاخطار التي تتعرض لها مصر العزيزة والتي تهددها كما تهدد بقية فلسطين وسائر الأقطار العربية، في سلامتها وأمنها وحريتها واستقلالها.

ولما كان الفلسطينيون يرون من أقدس واجباتهم أن يساهموا جهدهم مع مصر العزيزة على دفع هذا العدوان المتكرر ووضع حد لتلك المطامع اليهودية والاستعمارية، وأن يبذلوا دمائهم ولا يدخروا وسعاً للمساهمة بنصيبهم في هذا الواجب، وينتظرون بفروغ صبر أن تأزف الساعة المباركة التي يستطيعون فيها القيام بهذا الواجب، ولما كانت السلطات المصرية الموقرة قد شرعت في تدريب بعض الكتائب الفلسطينية في منطقة غزة، فإن الهيئة العربية العليا لفلسطين ترى لهذه المناسبة أن تعرض على سيادتكم ما سبق اقتراحه على السلطات المصرية في كثير من المناسبات من عمل «دفاع اقليمي» عن سيناء ومنطقة غزة تكون نواته القوات الفلسطينية المدربة والمسلحة المذكورة بالإشتراك مع قوات تدرب من أهالي سيناء أيضاً بتنظيم وقيادة ضباط مصريين.

ولما كانت القوات المسلحة في الجيش المصري مضطلعة بكثير من الأعمال المهمة والواجبات الخطيرة في الدفاع عن مصر العزيزة وكفالة سلامتها واستقلالها، في منطقة القناة وغيرها من الحدود المصرية الطويلة، فإن مسألة عمل دفاع إقليمي في منطقة غزة تكون عظيمة الأهمية والفائدة في الظروف الحاضرة. فإن تشكيل قوة فلسطينية كافية مدربة تدريباً حسناً ومسلحة تسليحاً وافياً، تندمج في منطقة الدفاع الاقليمي من شأنه أن يضمن سلامة سيناء وفي الوقت نفسه يخفف كثيراً من أعباء القوات المصرية في منطقة غزة، ويكون كفيلاً بدفع عدوان اليهود المتكرر على المنطقة ومخيمات اللاجئين وعلى أرواح الفلسطينيين وممتلكاتهم التي كثيراً ما تعرضت لإخطار شديدة وإعتداءات فظيعة. وقد شعرت السلطات الأردنية بضرورة القيام بدفاع اقليمي في مناطق الحدود ضد عدوان اليهود المتكرر ولذلك عملت على تشكيل قوة من الحرس الوطني الفلسطيني وكان لهذه القوة أثر واضح في رد كثير من اعتداءات اليهود رغم قلة عددها وضعف تسليحها بالنسبة إلى كثرة المهاجمين من اليهود وقوة سلاحهم...

وفي حديث لي مع اللواء عبد الحكيم عامر بتاريخ ١٩٥٥/١١/٨ سألته عن مصير مذكرتين كنت قد أرسلتهما إليه الأولى خاصة بالاخطار العسكرية التي ينطوي عليها مشروع «جونستون» لإسالة مياه الأردن إلى منطقة النقب، والأخرى خاصة بطلب تجنيد الفلسطينيين وتسليحهم وتدريبهم فأجابني عندئذٍ بأنه اهتم كل الاهتمام لما اشتملت عليه المذكرة الأولى عن الأخطار العسكرية والإستراتيجية التي ينطوي عليها مشروع جونستون وأنهم درسوا ذلك المشروع الدراسة الوافية.

أما بشأن تجنيد الفلسطينيين فقال «إنني أحب أن أؤكد أن المتطوعين الفلسطينيين قد أبدوا في المعارك الاخيرة بسالة ورجولة كانت موضع اعجابنا وتقديرنا، ونحن مهتمون جداً بتجنيد أكبر عدد ممكن من شبان فلسطين، وقد تم حتى الآن تجنيد لواء كامل يناهز عدده ثلاثة آلاف وسيزاد العدد باستمرار».

وتلا هذا الحديث مذكرة في الشؤون العربية والفلسطينية قدمتها الهيئة العربية العليا إلى الحكومات العربية بتاريخ ٤ ذي الحجة ١٣٧٥ (٢٤/٧/١٩٥٥) برقم س/٨٠٨/٢٨٩، ومما اشتملت عليه البندان التاليان:

٥ ـ العمل على تدريب اللاجئين عسكرياً وتسليحهم.

٦ ـ إنشاء قرى محصنة على حدود فلسطين تخصص لسكن شبان اللاجئين المدربين تدريباً عسكرياً كما يفعل اليهود على حدود مصر ولبنان والأردن.

وبمرور الزمن وتواكل معظم الدول العربية وتفريطها في الأخذ بأسباب القوة والمنعة تفاقم أمر الاعتداءات اليهودية وتعاظم ضررها وشرها على الحدود المصرية والسورية والأردنية بالأضافة إلى منطقة غزة التي اتخذها الأعداء ميداناً لتجاربهم العسكرية قاصدين من ذلك سبر غور قوات الدفاع في الدول العربية ولا سيما المجاورة منها لفلسطين المحتلة، فعمدت الهيئة العربية العليا إلى إرسال مذكرة إلى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية مبينة فيها ضرورة إتخاذ الوسائل الكفيلة بتعبئة الأمة العربية في كافة أقطارها تعبئة روحية وعسكرية واقتصادية، ومصارحة شعوبها بخطورة الموقف.

وفيما يلي نص هذه المذكرة التي احالتها اللجنة السياسية إلى الأمانة العامة العسكرية للجامعة العربية، وهي مؤرخة في ٢٣ ربيع الأول ١٣٧٥ (٨/١١/١٩٥٥).

الهيئة العربية العليا لفلسطين

س /٤٤٤/٣/٥٣٨

مذكرة

تقدم الهيئة العربية العليا لفلسطين أطيب تحياتها، ووافر إحترامها لحضرات السادة الأجلاء أعضاء اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية لمناسبة اجتماعهم اليوم للنظر في الإعتداءات المنكرة التي وقعت أخيراً على بعض الدول العربية وتسال الله تعالى ان يوفقهم إلى ما فيه خير الأمة العربية وجمع شملها وحفظ كرامتها، وإنقاذها من الأخطار المحدقة بها. فالإعتداءات الأخيرة على الحدود المصرية، والسورية والأردنية، وكذلك الإعتداء البريطاني على منطقة البريمي وعلى إمامة عُمان وعلى جنوب اليمن وغيرها تدل دلالة واضحة على المؤامرة الاستعمارية ـ اليهودية التي تستهدف الوطن العربي كله بادئة بفلسطين كرأس جسر للوثوب منه إلى سائر الأقطار العربية، قد دخلت في دور جدّى خطير، إن لم تواجهه الأمة العربية حكومات وشعوباً، مواجهة جدية حازمة بتصميم واستماته، كتصميم الخصوم أو أشد، فإن الكارثة التي حلت بفلسطين ستحل لا سمح الله بالأقطار العربية جميعاً ويتعرض الكيان العربي كله إلى الانهيار والدمار.

ولا حاجة إلى سرد البراهين القاطعة المؤيدة لذلك بعدما ظهرت المطامع الإستعمارية البريطانية على حقيقتها وما ظهر من تحيز الدول المستعمرة لليهود في إعتداءاتهم الوحشية. ولكن الهيئة العربية نظراً لتجاربها المريرة في مقارعة المؤامرة اليهودية الاستعمارية ترجوا اللجنة السياسية الموقرة إن تولي الأمور التالية عنايتها واهتمامها:

أولاً ـ تجنيد الفلسطينيين، الذين ذاقوا مرارة هذا العدوان الأليم قبل غيرهم، وذهبت ديارهم وأرواحهم وأموالهم ضحية لهذه المؤامرة الإستعمارية اليهودية، والذين هم شديدوا الرغبة والحماسة للمساهمة بما يتحتم عليهم من الفداء والتضحية قياماً بواجبهم المحتم في سبيل دفع هذا العدوان الغاشم، كما أنهم أعرف بمسالك بلادهم ودروبها ومواقعها العسكرية، فهم يرتقبون بفارغ الصبر اليوم الذي يستطيعون فيه القيام بهذا الواجب، ويتقدمون بالرجاء الحار إلى الدول العربية الموقرة أن تبادر

إلى تجنيدهم وتدريبهم وتسليحهم حيثما كانوا مقيمين بالبقية الباقية من فلسطين، أو لاجئين في البلاد العربية المجاورة.

ثانياً ـ لأجل صد هذا الإندفاع اليهودي الإستعماري الخطير، لا بد من إتخاذ الوسائل الكفيلة بتعبئة الأمة العربية في كافة اقطارها، تعبئة روحية، وعسكرية، وإقتصادية ومصارحة شعوبها بخطورة الموقف، ووجوب الأهبة والإستعداد والتضحية بالأموال والأنفس للذود عن حياتها، وكيانها، وكرامتها، والمبادرة إلى وضع الأنظمة التي تحمل الشعوب العربية على التقشف في سبيل توفير المال للجيش ووسائل الدفاع، كما فعلت السلطات اليهودية في فلسطين المحتلة منذ ثمان سنوات من تعبئة روحية وعسكرية، وسن انظمة اقتصادية نفذتها على الشعب اليهودي في مقدمتها (قانون التقشف والتقتير) الذي حرم البذخ والاسراف، والانفاق على الكماليات، ووفر الأموال لتسليح الجيش وتجنيد اليهود رجالاً ونساءً.

ثالثاً ـ اليقظة التامة لما تقوم به دوائر المخابرات الأجنبية في البلاد العربية من أعمال التجسس، والإرجاف، والدسائس، والمؤامرات، وإثارة الفتن والمنازعات، وسائر ضروب الفساد والتخريب، التي يساعدها فيها افراد الطابور الخامس من عملاء الاجانب ودعاة الهزيمة وأجراء الاستعمار المنبثين في كثير من ثغرات البلاد العربية والمتسللين إلى بعض الأماكن الحساسة من مراكزها، والتوصل بالوسائل الحازمة لوقاية البلاد من شرور هذه المنظمات الخفية الكامنة كالجراثيم السامة في جسم الأمة، ودرء اخطارها، وشل حركاتها، والعناية أيضاً بوسائل الدفاع المدني السلبي ضد الغارات الجوية، اتقاءً للذعر الذي حدث عام ١٩٤٨.

وتنتهز الهيئة العربية العليا هذه المناسبة، لتكرر أطيب تحياتها ووافر احترامها.

القاهرة في ٢٣ ربيع الأول ١٣٧٥.

الموافق ٨ نوفمبر ١٩٥٥.

الهيئة العربية العليا لفلسطين

* * *

وعلى أثر هذه المساعي المتوالية، واستمرار اليهود في عدوانهم على منطقة غزة، وتهديدهم لمصر والأقطار العربية المجاورة، استجابت الحكومة المصرية ففتحت باب التطوع أمام الفلسطينيين في منطقة غزة، وتم تجنيد لواء منهم تحت قيادة الجيش المصري.

ولما كنت أتوق إلى التوسع في تجنيد الفلسطينيين ولاسيما اللاجئين لتحويل الصالحين منهم إلى مجاهدين فقد قدمت في ١٩ شعبان ١٣٧٥ أول نيسان (إبريل) ١٩٥٦ كتاباً إلى الرئيس جمال عبد الناصر أرجو فيه التوسع في تجنيد الفلسطينيين وأن تطبق الحكومة المصرية عليهم أنظمة التجنيد والقوانين العسكرية المعمول بها في مصر، وفيما يلي نص الكتاب:

الهيئة العربية العليا لفلسطين

س/١٢٠/٨١٩

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

رئيس الحكومة المصرية ـ القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فإن الهيئة العربية العليا لفلسطين تقدم إلى سيادتكم، بإسم الشعب العربي الفلسطيني، خالص الشكر والتقدير لما تقوم به مصر الشقيقة الكبرى من فسح المجال أمام الفلسطينيين في منطقة غزة، للتطوع في الجندية وحمل السلاح والتدريب استعداداً للقيام بواجبهم نحو وطنهم الذي يجد في مصر العزيزة خير ذخر واقوى سند، وهي تعرب عن إغتباطها لتمكين الفلسطينيين من القيام بهذا الواجب الوطني الذي هم أولى الناس بالقيام به.

وبالنظر إلى التطورات الاخيرة، وتصميم اليهود على إعتداءاتهم الغادرة، ولليقظة والانتباه اللذين يسودان الرأي العام العربي، تسترعي الهيئة العربية نظر سيادتكم إلى ضرورة التوسع في تجنيد الفلسطينيين وتدريبهم وتسليحهم، وإتخاذ الإجراءات التي تتبع عادة في حالات الطوارئ لجعل تجنيد الفلسطينيين عاماً، وتدريب الذين هم في سن الجندية منهم، وإعدادهم للدفاع وشد ازر القوات النظامية المصرية، والقيام بجميع الأعمال التي يتطلبها الوضع العسكري وتطوراته المختلفة. وتعتقد الهيئة العربية إن الموقف يقضي بأن تطبق الحكومة المصرية الموقرة على الفلسطينيين أنظمة التجنيد والقوانين العسكرية المعمول بها

في مصر.

وفي الوقت نفسه فإن الهيئات الرسمية والشعبية في منطقة غزة، كالمجلس الإسلامي الأعلى والمجالس البلدية والغرف التجارية واللجنة التنفيذية لمؤتمر اللاجئين، تشارك الهيئة العربية في هذا الرأي وترجو العمل على تنفيذه. وقد راجعنا ممثلون عن تلك الهيئات في هذا الشأن لابلاغ رغبتهم إلى الحكومة المصرية الموقرة.

وتفضلوا بقبول خالص التحية ووافر الاحترام

١٩ شعبان ١٣٧٥.

١ إبريل ١٩٥٦.

رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين

* * *

وجواباً على ذلك تلقيت من سيادته الكتاب التالي الذي وعد فيه بأن يضع هذه الرغبة موضع الدراسة والنظر:

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الوزراء

السيد رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين

تحية طيبة وبعد

فقد وافاني كتابك الكريم الذي تنهون إليّ فيه تأييد الشعب العربي الفلسطيني للخطوة التي خطتها قيادة الجيش المصري بتدريب الشباب الفلسطيني القادر على حمل السلاح تدريباً عسكرياً تأهيلاً له للقيام بواجبه في تحرير بلاده العربية.

وترغب الهيئة في أن يتسع هذا التدريب حتى يشمل جميع الشباب الفلسطيني وأن تطبق الحكومة المصرية على الفلسطينيين انظمة التجنيد إستجابة لرغبات الهيئات الفلسطينية المختلفة.

وإني سأضع هذه الرغبة موضع الدراسة والنظر. وفق الله الأمة العربية إلى ما فيه مجدها ورفعتها.

والله أكبر والعزة للعرب

القاهرة في ١١ / ٦ / ١٩٥٦

التوقيع

رئيس مجلس الوزراء

إستيفاء لبحث المساعي التي قمنا بها لدى الدول العربية ومجلس جامعتها لتدريب الفلسطينيين وتسليحهم وإعدادهم لإستئناف جهادهم وإستنقاذ وطنهم من أيدي الصهيونيين، نورد طائفة أخرى من المذكرات والبيانات والمساعي المبذولة في هذا الشأن.

فقد إنتهزت الهيئة العربية العليا لفلسطين فرصة اجتماع الهيئة الاستشارية لمعاهدة الضمان الجماعي العربي، ورفعت إلى رئيسها اللواء محمد إبراهيم رئيس أركان حرب الجيش المصري مذكرة خاصة بالإخطار اليهودية المبيتة ضد عروبة القدس، وضرورة إتخاذ الإجراءات الفعالة لمجابهتها، وفيما يلي تلك المذكرة:

الهيئة العربية العليا لفلسطين

الرقم - س /٧٧٣/ ٧٠٨

السيد اللواء محمد إبراهيم رئيس أركان حرب الجيش المصري

ورئيس الهيئة الاستشارية العسكرية لمعاهدة الضمان الجماعي - القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فإن الهيئة العربية العليا لفلسطين تتمنى كل نجاح وتوفيق لهيئتكم الموقرة في اجتماعها وأعمالها.

وهي إذ تشعر بعظم الاعباء والمسؤوليات الملقاة على عواتقكم في تأمين سلامة الوطن العربي ومعالجة الاعتداءات والاحداث الخطيرة التي تنزل به، ترجو أن يكون من أهم ما تعنون به في اجتماعكم الحالي أمر الدفاع عن مدينة القدس، واتخاذ ما يقتضي من وسائل عسكرية جدية سريعة لدفع خطر العدوان اليهودي عنها.

وأن أخشى ما يخشاه المطلعون العارفون بالمطامع والنوايا اليهودية أن يكون تحرش اليهود بمصر وسوريا والمملكة الأردنية في الاعتداءات الاخيرة المتوالية، له إلى جانب أهدافه الظاهرة، هدف الاشغال والمداورة للتعمية وصرف الانظار عما عزموا عليه من الانقضاض على القدس القديمة والاستيلاء عليها وطرد

أهلها العرب منها. وقد يدل على هذا ما ترامى إلى الهيئات السياسية العربية أخيراً من انباء موثوقة بأن اليهود يهيئون خطة عسكرية لاجتياح ما بقي في أيدي العرب من القدس في وقت قريب جداً، وقد يكون ما يحشدونه الآن من قوى تحت ستار مناورات الخريف إنما هو معد للاستيلاء على المدينة، وجعل العالم تحت الأمر الواقع.

إن تصميم اليهود على أن تصبح القدس كلها بايديهم يجعلونها عاصمة ملكهم ويعيدون فيها بناء هيكلهم على انقاض المسجد الأقصى المبارك أمر لا يحتاج إلى دليل وبرهان فهم يعلنون على لسان المسؤولين من رجالهم السياسيين والعسكريين، وزعماء أحزابهم ورجال دينهم، في الصحف والاجتماعات وفي كل مناسبة وظرف، وقيامهم أخيراً بنقل وزارة خارجيتهم إلى القدس متحدين في ذلك هيئة الأمم وسواها، إنما هو نذير عملي بما يتلوه من خطوات عسكرية.

إن ضياع القدس ليس هو خسارة مدينة عظيمة فحسب بل هو إلى جانب ذلك نهاية محزنة لأمجاد تاريخية ومقدسات دينية عظيمة بالأضافة إلى ما يسببه ضياعها من ضياع سائر فلسطين بالنسبة لموقعها الاستراتيجي وخصوصاً في الوقت الحاضر.

فالقدس القديمة التي بيد العرب الآن هي مركز اتصال جنوب فلسطين بالأردن والبحر الميت ومركز طرق المواصلات الهامة التي تربط ما بين المناطق الشمالية والجنوبية والشرقية الباقية من فلسطين، فإذا ما اجتاحها اليهود واستولوا عليها فانهم يسيطرون على طرق المواصلات ويستولون بدون قتال على مدينة الخليل وبيت لحم وأكثر من خمسين قرية يسكنها أكثر من مائة ألف من السكان غير مئة ألف أخرى من اللاجئين إلى هذه الجهات، كما ان الاستيلاء عل القدس يسهل على اليهود الاستيلاء على المناطق الشمالية، ويجعل ضفة الأردن الشرقية في أشد خطر.

إن العالمين العربي والإسلامي وكثيراً من العالم المسيحي يتطلعون إلى جهودكم في إنقاذ الاماكن المقدسة من خطر التهويد، وكما أن اليهود في استيلائهم على القدس سيقضون على المقدسات الإسلامية وأولها أولى القبلتين وثالث المسجدين المسجد الأقصى المبارك فأنهم غير مؤتمنين أيضاً على المقدسات المسيحية.

من أجل ذلك كله ترجو الهيئة العربية العليا لفلسطين ان يكون في اجتماع هيئتكم الموقرة الحالي نصيب وافر من الاهتمام الجدي بالقدس وأن تتخذ جميع الاجراءات العسكرية السريعة الفعالة لصد اليهود عن عدوانهم المزمع على المدينة المقدسة التي يتعلق بها شرف الأمة العربية ومقدساتها وأمجادها وتاريخها.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام،

٢ صفر ١٣٧٣

١٠ اكتوبر ١٩٥٣.

رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين

* * *

ولمناسبة الاعتداء الوحشي الذي قامت به القوات اليهودية المسلحة على منطقة غزة في ٢٨ ـ ٢ ـ ١٩٥٥ وذهب ضحيته عدد كبير من الأهليين وما أكده هذا الحادث الأليم من ضرورة تدريب السكان وتسليحهم وتحصين منطقة غزة، قدمت الهيئة العربية إلى اللواء عبد الحكيم عامر المذكرة التالية:

الهيئة العربية العليا لفلسطين

الرقم س/ ٩٧/٣/١٣٢

سيادة اللواء أركان حرب عبد الحكيم عامر وزير الحربية والبحرية والقائد العام للقوات المسلحة ـ القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

وبعد فإن الهيئة العربية العليا لفلسطين تبدي استنكارها الشديد للاعتداء الوحشي الغادر الذي قامت به القوات اليهودية المسلحة على منطقة غزة مساء ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ والذي ذهبت ضحيته عشرات من الارواح البريئة، وتعرب عن عظيم المها واسفها لما وقع أثناء التظاهرات من بعض العناصر المريبة التي اندست بين المتظاهرين وحاولت استغلالهم لغايات سيئة، وتؤكد أن جميع الفلسطينيين يحملون في قرارات أنفسهم اصدق العواطف وأخلص الشكر والتقدير لما بذلته وتبذله مصر من جهود في سبيل حماية هذا القطاع العربي الفلسطيني، وتحسين حال سكانه من لاجئين وسواهم.

ولاشك أن سيادتكم بصفتكم القائد العام للقوات المصرية المسلحة تقدرون كل التقدير الأهمية العسكرية والسياسية التي تقضي بالدفاع عن هذه المنطقة وحمايتها من العدوان اليهودي ومن الدسائس الأجنبية التي تعمل حثيثاً لضم هذه المنطقة وهي البقية الباقية من فلسطين العربية، إلى إسرائيل الباغية، والهيئة العربية العليا كانت دائمة الاهتمام بهذه المنطقة نظراً لما تعلمه من وضعها الخطير ومن نيات اليهود المبيتة نحوها وقدمت مذكرات وبيانات عديدة إلى أولي الشأن في مصر قبل قيام عهد الثورة وبعده، ذكرت فيها عدة مقترحات تعتقد انها تساعد على حفظ الأمن ودفع العدوان عن المنطقة المذكورة كان في جملتها مذكرتان قدمتا إلى سيادتكم بصفتكم القائد العام بتاريخ ٨ اكتوبر سنة ١٩٥٣، ومذكرة في ٢٠ مايو سنة ١٩٥٤ قدمتها إلى سيادة البكباشي أركان حرب حسين الشافعي بصفته وزيراً للحربية اقترحت فيها، لمناسبة توالي الاعتداءات اليهودية على منطقة غزة والأقطار العربية المتاخمة لليهود، إنشاء قوة «دفاع اقليمي» عن سيناء ومنطقة غزة يكون من جملتها قوات فلسطينية مدربة ومسلحة تحت إشراف ضباط مصريين، وأن هذا العمل من شأنه أن يخفف كثيراً من أعباء القوات المصرية، ويكون كفيلاً بدفع العدوان اليهودي المتكرر على منطقة غزة ومخيمات اللاجئين، وأشارت المذكرة إلى الفائدة التي جنتها السلطات الأردنية من تشكيل قوة حرس وطني فلسطيني وإلى أثر هذه القوات، رغم قلة عددها وضعف تسليحها، في رد كثير من الاعتداءات اليهودية.

كما قدمت مذكرة أخرى في ٢٢ مايو المذكور إلى سيادة الوزير نفسه بشأن منطقة غزة اشتملت على عدة مقترحات، كان اهمها خاصاً بتجنيد الصالحين من الفلسطينيين وإلحاقهم بالكتائب الفلسطينية.

يتضح لسيادتكم مما تقدم أن الهيئة العربية العليا لفلسطين تعلق أهمية كبرى على تدريب سكان منطقة غزة الفلسطينيين وتسليحهم واشتراكهم في دفع العدوان اليهودي الغادر عن أنفسهم وأموالهم، وهي في ذلك تعبر عن رغبة الفلسطينيين أنفسهم الذين ما انفكوا يراجعونها لابلاغ رغبتهم الملحة والسعي لتحقيقها لدى السلطات المصرية، والهيئة في مذكرتها هذه، وبعدما ظهر من فظاعة اليهود في اعتدائهم الوحشي الاخير، وهو ما يخشى تكرره بصورة أشد وحشية واوسع نطاقاً نظراً لما يبيتونه من المطامع الخطيرة في الاستيلاء على منطقتي سيناء والدلتا من الأراضي المصرية، تكرر رجاءها السابق واقتراحاتها

السالفة بشأن تحصين منطقة غزة وإنشاء قوة فلسطينية مسلحة كافية لحماية هذه المنطقة، وتتقدم إلى سيادتكم بالمقترحات الآتية:

أولاً: إنشاء استحكامات وحصون عسكرية على الحدود بين مصر «وإسرائيل»، بشكل يكفل حماية المنطقة من أي عدوان يهودي مفاجئ، وإنا نسترعي نظر سيادتكم إلى أهمية الاستحكامات التي انشأتها السلطات العسكرية في سورية على طول حدودها مع «إسرائيل» والتي كان لها أعظم أثر في دفع الاعتداءات اليهودية.

ثانياً: زيادة القوات العربية المسلحة في منطقة غزة زيادة تكفل دفع أي عدوان يحاول اليهود القيام به في المستقبل.

ثالثاً: العمل على تسليح أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين بعد تدريبهم تدريباً يجعل منهم قوة فعالة في أعمال الدفاع ومساعدة القوات المصرية المسلحة في حماية المنطقة.

رابعاً: بما أن منطقة غزة هي منطقة عسكرية وينبغي ان تظل مصونة من عناصر الجاسوسية والطابور الخامس الذي يعيث فيها فساداً، فاننا نسترعي نظر سيادتكم إلى ما لهذا الأمر من الخطورة وإلى أن سلامة المنطقة المذكورة بل سلامة مصر نفسها تقضي بمعالجة هذا الأمر بما يستحقه من عناية كبرى واهتمام بالغ قطعاً لدابر العناصر الأجنبية من استعمارية وصهيونية وفوضوية، التي تعمل من نواح مختلفة على تحقيق أهدافها وغاياتها الخطيرة في هذه المنطقة الحساسة من الوطن العربي.

وتفضلوا سيادتكم بقبول خالص التحية ووافر الاحترام،،

١٤ رجب ١٣٧٤

٩ مارس ١٩٥٥

رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين

* * *

وفي ٦ شعبان سنة ١٣٧٥(١٩ مارس١٩٥٦) أرسلت إلى السيد الحاج موسى الصوراني القائم بأعمال الهيئة العربية في قطاع غزة بياناً لحث المواطنين من أهل القطاع

واللاجئين في جميع معسكراتهم على التجند للجهاد، فقام بطبعه وتوزيعه على نطاق واسع.

وفي ما يلي نص البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله. ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.

«صدق الله العظيم»

إلى إخواننا ومواطنينا الكرام في قطاع غزة:

لقد حان الوقت الذي ارتقبتموه، وأزفت الساعة التي انتظرتموها بفارغ الصبر والفرصة التي طالما طالبتم بها بإلحاح وهي اشتراككم في الدفاع عن وطنكم العزيز الذي اجتاحه العدو الغادر، وإنقاذه من براثن اليهود الصهيونيين والمستعمرين الظالمين الذين يشدون ازرهم ويساعدونهم على احتلال بلادكم واغتصاب تراث آبائكم واجدادكم وانتهاك مقدساتكم وحرماتكم، وذلك بالتقدم إلى التجنيد والتدريب على حمل السلاح الذي طالما طالبتم به تحت لواء الجيش المصري.

إن اشتراك مواطنينا الفلسطينيين من لاجئين وغيرهم من أهل قطاع غزة، في حمل السلاح والتجند لدفع العدو الغادر عن وطننا المقدس، لهو أول الواجبات عليكم، واحب الرغبات إلى نفوسكم وقلوبكم المفعمة بحب بلادكم، وأن شرف الجندية لشرف عظيم كما ان الجهاد في هذا الظرف الخطير الذي تجتازه بلادنا وقضيتنا لهو واجب محتم على كل عربي ولاسيما على كل فلسطيني لينال به العزة والكرامة في الدنيا والاجر والمثوبة في الآخرة وينقذ به الوطن من رجس الأعداء واحتلال المعتدين الدخلاء، الذين عاثوا فيه فساداً، وامعنوا في اهله طغياناً وارهاقاً.

إن الوطن يدعوكم فاجيبوا دعوته، وإن أرواح شهدائكم تناديكم فلبوا نداءها.

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾

٢٤ شعبان ١٣٧٥

٥ إبريل ١٩٥٦

مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا

محمد أمين الحسيني

* * *

وقد تلقيت من السيد الصوراني على أثر ذلك جواباً أوضح فيه أن البيان قد نشر ووزع، وكان له أحسن وقع وأبلغ أثر في نفوس المواطنين جميعاً، ولاسيما في مدينة خان يونس، إذ صادف توزيع البيان يوم تخرج فوج من شبان فلسطين فيها بعد إتمام تدريبهم العسكري، فكان يوماً مشهوداً في تاريخ تلك المدينة الباسلة.

وأشار السيد الصوراني في كتابه إلى الشهداء ضحايا العدوان اليهودي الغادر على قطاع غزة يوم ٥ ـ ٤ ـ ١٩٥٦ فقال:

«... وأما تلك الحوادث التي حلت بنا مساء يوم الخميس الموافق ١٩٥٦/٤/٥ التي كان من جرائها قتل ثمانين مواطناً وجرح نحو مئة منهم أيضاً، فقد أظهر الشعب فيها روحاً طيباً ممتازاً، وقد زادهم هذا العمل الاجرامي قوة وصلابة وتصميماً، وهم غير آبهين بتلك الخسائر في الارواح والممتلكات، منتظرون ذلك اليوم القريب الذي يحررون فيه بلادهم مهما بلغت الضحايا، وأن أملنا لمعقود عليهم لتحرير فلسطين من أيدي الغاصبين في المستقبل القريب».

بدافع من الوطنية الصادقة التي يتحلى بها الفلسطينيون المتربصون لتحرير الأراضي الفلسطينية الواقعة تحت رجس الاحتلال اليهودي، ونتيجة للاعتداءات الوحشية المتوالية على مدن القطاع ومخيمات اللاجئين العزل، فقد سارعوا إلى تقبل الدعوة إلى التجند والجهاد، وقاموا بعمليات فدائية رائعة في قلب فلسطين المحتلة، أوقعت في الأعداء خسائر فادحة، وثأرت لأرواح الشهداء الأبرياء، ورفعت معنويات الشعب الفلسطيني خاصة والعرب عامة.

وكانت اعمالهم البطولية موضع التقدير والثناء من الادارة المصرية التي اشادت بها واتخذت اجراءات خاصة نحو أسر الشهداء الفدائيين كما جاء في الكتاب التالي نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الادارة المصرية بفلسطين/ ادارة الحاكم الاداري العام

غزة ١٩٥٦/٤/٢٤ الرقم:........

لا يخفى انه على أثر العدوان اليهودي الغادر على مدينة غزة بيوم الخميس الموافق ١٩٥٦/٤/٥، واستشهاد نفر عزيز كريم من السكان الأمنيين، وتضرر عدد من المباني، من جراء ذلك العدوان الأثيم، هب رهط مؤمن من شباب هذا القطاع تملأ نفوسهم الشهامة والبطولة وتحدوهم الوطنية الصادقة والإيمان العارم بحقهم المسلوب في الجزء المحتل من وطنهم المقدس، وثباتهم على العمل لاستخلاص ذلك الحق واسترداد ذلك الوطن.

انطلق ذلك الرهط المجاهد المؤمن إلى قلب إسرائيل الآثمة يثأر لأرواح الشهداء من إخوانه ولدماء الابرياء من أهله وعشيرته، فأبلى البلاء الحسن ورد الضربة باقسى منها قتل وخرب ودمر واشاع الرعب في نفوس اليهود واثار القلق والفزع بينهم، ولم يمنعهم من ذلك تحصنهم في بيوتهم وقلاعهم ولم يمنع الأذى عنهم حماية من يقال عنهم جنود إسرائيل.

أمام هذه البطولة الفذة والتضحيات النادرة إننا نبعث بتحياتنا واعجابنا وتقديرنا مقرونة بتحيات وإعجاب وتقدير الشعب الفلسطيني المجاهد الصابر، إلى ابنائنا وإخواننا الفدائيين الكرام، سواء من قضى نحبه أو من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

وتقديراً لبيع الشهداء الأبرار لنفوسهم وارواحهم في سبيل الله والوطن، قررنا منح كل شهيد منهم أو أسير أو مفقود قطعة أرض في حدود دونماً من أراضي الحكومة.

وليس هذا ثمناً لبطولتهم فانهم قد جادوا بما لا يقدر، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، وإنما ذلك ليكون رمز العزاء لذوي الشهداء الأبرار يعبر عن تقدير الأمة لجهادهم وتضحياتهم، وليدفعنا جميعاً إلى الاستبسال في الذود عن حقوقنا واوطاننا، ويضاعف من جهودنا وبذلنا في سبيل استعادتها، وهو ما نرجو تحقيقه قريباً باذن الله والله مع الصابرين.

الحاكم الاداري العام

عبد الله رفعت

وحدث أن زار الرئيس جمال عبد الناصر مواقع كتيبة فلسطين في قطاع غزة، في عيد الفطر المبارك عام ١٣٧٥هـ (مايو ١٩٥٦) وألقى في جنودها كلمة قال فيها:

«إن اسم فلسطين لم ينته ولن ينسى، إنكم تكونون قاعدة جيش فلسطين، وأن مسؤوليتكم عميقة في معناها ودلالتها» ثم زار قيادة الجيش الفلسطيني وتفقد صفوف الجنود وألقى كلمة أخرى قال فيها:

«إني واثق بأن الجيش الفلسطيني سوف يثبت جدارته، إني أريدكم أن تعرفوا أن كل ما قيل من أن أهل فلسطين لم يحسنوا الدفاع عن وطنهم، كلام مقصود به الخداع والتضليل، لقد جربتكم بنفسي وأنا أعرف أكثر من غيري حقيقتكم، إن الذين قاتلوا منكم معي قاتلوا بشرف، والذين ماتوا منكم أمامي ماتوا بشرف، كذلك عرفت أهل فلسطين بنفسي ورأيتهم بعيني، وليس ذنبهم أنه لم يكن في ايديهم سلاح، وكانت أيدي اعدائهم مليئة به. لقد أنتهى ذلك كله الآن، لقد أصبح السلاح في ايديكم وأنا واثق أن الجيش الفلسطيني سيكتب باسم فلسطين صفحة مجيدة في التاريخ».

وعلى الأثر أبرقت باسم الهيئة العربية العليا بتاريخ ٤ شوال ١٣٧٥ (١٤/٥/١٩٥٦) برقية شكر وتقدير إلى سيادته لتقرير هذه الحقائق المشرفة عن الفلسطينيين والجهاد الفلسطيني، فتلقيت من سيادته البرقية التالية:

مصلحة التلغرافات والتليفونات المصرية — إشارة تلغرافية TELEGRAM

To سماحة محمد امين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين

مصر

تلقيت بمزيد التقدير برقية سيادتكم الرقيقة

وإني لانتهز لسيادتكم بخالص شكري

سائلاً الله أن يوفقني لتحقيق ما فيه

خير العرب والعزة العربية / جمال عبد الناصر

انشروا اعلاناتكم في هذا المكان في الرسائل البرقية التي يطلع عليها ملايين كثيرة

للاستعلام: اتصلوا بالسكرتارية العامة بمصلحة التلغرافات والتليفونات - تليفون ٧٩٠٧٩

ولما حدث العدوان الثلاثي على مصر وقطاع غزة عام ١٩٥٦، قام الفلسطينيون بدورهم المشرف العظيم في الدفاع عن الوطن وقتال الأعداء، مما حمل الرئيس جمال عبد الناصر على الاشادة بهم مرة أخرى وذلك في خطابه في المؤتمر التعاوني الثالث المنعقد في القاهرة عام ١٩٥٧. وعلى الاثر بعثت إلى سيادته بتاريخ ١٩٥٧/١٢/٧ برقية شكر لما اشتمل عليه خطابه (من الإشادة بجهاد فلسطين وموقف الفلسطينيين المشرف في الدفاع عن الوطن وقتال الأعداء في غزة وخان يونس ورفح وتنويهه بأن الشعب الفلسطيني اثبت انه شعب مجاهد متمسك بقوميته وعروبته وبحقه في الحياة ووطنه المسلوب وبقدرته على القتال وإنه قاتل في أحرج الساعات دفاعاً عن شرفه وكرامته، وإنه لم تؤثر فيه الاحداث والمحن ومؤامرات الدول الكبرى).

فتلقيت من سيادته الجواب التالي:

«تحية طيبة، وبعد فاشكر لك برقيتك الرقيقة التي أعربت فيها باسم فلسطين العربية المجاهدة عن تقديركم للخطاب الذي القيته في المؤتمر التعاوني الثالث، وبخاصة فيما يتصل منه بالشقيقة فلسطين.

وإن بطولة أبنائها مضرب الامثال لا لجيلنا فحسب بل للاجيال القادمة.

وفق الله الأمة العربية لما فيه مجدها.

والله أكبر والعزة للعرب».

رئيس الجمهورية

جمال عبد الناصر

* * *

نشرت بعض المذكرات التي قدمتها إلى الدول العربية وجامعتها، ووزرائها المسؤولين، وفضلاً عن ذلك قمت بمقابلات عديدة ومراجعات مستمرة للمسؤولين، وكنت المس رغبة بعضهم في الاستجابة والعمل، لكن الضغوط الأجنبية كانت تحول دائماً دون أي اجراء، لأن الدول الأجنبية الضالعة مع الصهيونية، كانت تعرف أهمية حرب العصابات الشعبية، ونضال الفدائيين الفلسطينيين ولاسيما انكلترا التي اصطلت بنارهم خلال الثورات الفلسطينية السابقة في عهد انتدابها البغيض على فلسطين، كما شهد بذلك عدة قواد بريطانيين اضطلعوا بمقاومة الثورة الفلسطينية وحاولوا قمعها كالجنرال «دل» رئيس أركان حرب الامبراطورية البريطانية، والمرشال «ويفل» الذي

تقلد القيادة العامة للقوات البريطانية في الشرق الاوسط في الحرب العالمية الثانية، والجنرال ولسون الذي تولى قيادة القوات البريطانية في مصر ثم في منطقة البحر الأبيض المتوسط في الحرب العالمية الثانية.

فقد جاء في كتاب الفه الجنرال هـ. م. ولسون المذكور الذي اشترك في المعارك ضد الثوار الفلسطينيين، ذكر مستفيض لبطولة عرب فلسطين خلال المعارك الدامية التي جاهدوا فيها القوات البريطانية، فيما يلي خلاصته: «إن خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يعتصمون في الجبال ويقومون بحرب العصابات لا يمكن التغلب عليهم باقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح». أي خمسة عشر ألف جندي.

وقد شهد ببسالة الفلسطينيين الصديق والعدو على حد سواء في مختلف الادوار والعهود ورفعوا اسم العرب عالياً في العالم بجهادهم. فقد ذكر المرحوم محمد رستم حيدر وزير مالية العراق ذلك عندما كان عائداً من أوروبا في بعض زياراته، فقال لي حين زارني في لبنان عام ١٩٣٨: «لقد كنا في زياراتنا الماضية لأوروبا نتحاشى التظاهر بأننا عرب، لكننا هذه المرة بعدما طبق ذكر الثورة الفلسطينية وجهاد عرب فلسطين آفاق أوروبا، أصبحنا نفخر بعروبتنا ونلقى من الاوروبيين كل احترام وإكبار».

ومن ذلك ما قاله هتلر للسيد خالد القرقني مستشار المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود في مقابلة رسمية له عام ١٩٣٨ من انه معجب كل الاعجاب بكفاح عرب فلسطين وبسالتهم.

ونوه زعيم المانيا حينئذ «هتلر» ببسالتهم في خطابه الذي وجهه إلى المان السوديت عام ١٩٣٨ قال لهم: (يا المان السوديت، انكم تبلغون ثلاثة ملايين، وترضخون لحكم تشيكوسلوفاكيا، وقد أهبت بكم أن تثوروا، وامددتكم بالأموال والرجال، وأعلمتكم أن ثمانين مليوناً من الالمان يشدون ازركم، ورغم ذلك فانكم لا تزالون متلكئين مترددين.. خذوا الدرس والمثل من عرب فلسطين، الذين ابتلوا بحكم أعظم امبراطورية هي بريطانيا، وبأخبث أمة هي الصهيونية، وليس لهم في العالم من ينصرهم أو يدعمهم، ورغم ذلك فقد ضربوا المثل الأعلى في ثورتهم على الظالمين والطامعين).

وممن شهد للفلسطينيين بالشجاعة النادرة، قائد لواء بريطاني كان يقود لواءً بريطانياً لفتح طريق موقع باب الواد بين القدس ويافا، الذي اغلقه بعض المجاهدين الفلسطينيين في وجه القوافل اليهودية والقوات البريطانية المسلحة التي كانت تقوم بحمايتها صيف عام ١٩٣٦، فقد حاول القائد اقتحام الموقع، والتحم في معركة ضارية استمرت ثلاثة

أيام مع المجاهدين الذين كانوا يعتصمون بالجبال والحراج على جانبي الطريق، ولم يستطع القائد التغلب عليهم إلا بعد استنجاده بقوات بريطانية أخرى جاءت من منطقة القدس من خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم، وقصفت الطائرات من الجو بالقنابل الحارقة التي احرقت الحرج الذي كانوا فيه، ورغم ذلك صمدوا إلى أن تغلبت عليهم كثرة الجنود ووفرة السلاح. ولما انتهت المعركة نقل البريطانيون الشهداء الفلسطينيين إلى مدخل باب الواد وجمعوا اسلحتهم وذخائرهم، فلما رأى القائد تلك الأسلحة القليلة القديمة الصدئة والذخيرة الفاسدة دعا جنوده فتحلقوا حوله فخاطبهم قائلاً: أيها الجنود! هل رأيتم هذه الأسلحة القديمة والذخيرة الفاسدة التي قاتلنا بها هؤلاء الابطال؟ (وكانت بنادق قديمة من عهد الدولة العثمانية ومن بنادق الصيد)؟ وهل رأيتم هذه البقية التافهة من طعامهم (وكانت قطعاً من الخبز الجاف والبصل)، وهل رأيتم ما وجدنا في جيوبهم من أموال؟ (وكانت بضعة قروش)، اني اسألكم هل كنتم تحاربون لو كنتم مسلحين بمثل سلاحهم وكان طعامكم مثل طعامهم؟ فاجابوه: لا. فقال: إن هؤلاء الأبطال أوقفونا ثلاثة أيام على كثرتنا وقلتهم، وعظم الفرق بين أسلحتنا وأسلحتهم، ووسائلنا ووسائلهم، إني أطلب إليكم تقدير هذه البطولة واحترامها، وعندئذٍ وقف الجنود واطلقوا النار في الهواء من بنادقهم تحية عسكرية لأولئك الشهداء الابطال.

هذه شهادة الأعداء بابطال معركة باب الواد، وغيرها من المعارك التي خاضها الجيش البريطاني في تلك الفترة الباهرة من الثورة الفلسطينية.

وقد دهش الصهيونيون من شجاعة المجاهدين الفلسطينيين فكتب «بن آفي» صاحب جريدة «دوآر هايوم» وهو أحد كبار كتابهم عدة مقالات عام ١٩٣٦ أبدى فيها دهشته من بسالة عرب فلسطين واستغرابه من صمودهم، وقد جاء في إحداها قوله: من المدهش أن يبادر هؤلاء العرب الفلسطينيون إلى ارتقاء الجبال ومحاربة الجيش البريطاني بطائراته ومصفحاته ومدافعه وهم لا يملكون إلا بعض البنادق القديمة وبنادق الصيد، وكثير منهم يحمل سيفاً أو عصا. ثم قال: إن هؤلاء الفلسطينيين هم العقبة الكأداء الأولى في سبيلنا، ولن نتمكن من تحقيق خطتنا ما لم نعالج امرهم ونتقي بأسهم.

وللإنكليز واليهود من التجارب في المعارك الحربية مع الفلسطينيين، وفي المعارك السياسية مع الهيئة العربية العليا لفلسطين، ما جعلهم يركزون جهودهم على إبعاد الفلسطينيين عن ميادين المعارك الحربية والسياسية. فضغطوا على الدول الضالعة

معهم، فاستجابت لهم وضغطت هي بدورها على بعض الدول العربية فرضخت لرغبتهم وعملت على إبعاد الفلسطينيين عن معركتهم المصيرية في ميداني الحرب والسياسة.

ولقد عرف الفلسطينيون بالشجاعة الفائقة، واشتهر جنودهم في جيوش الدولة العثمانية بالبسالة النادرة، حتى جاء تصنيف الافواج الفلسطينية في الدرجة الأولى من جيوش الدولة العثمانية، حدثني بهذا الجنرال محمد عليّ باشا الذي كان آخر قائد تركي في اليمن في الحرب العالمية الأولى، وكان من قبل ذلك المشرف على التجنيد في وزارة الحربية في استانبول.

وممن شهد لهم بذلك أيضاً أحمد جمال باشا المشهور بالسفاح والمعروف بعدائه للعرب، في الحرب العالمية الأولى، عندما اصدر بلاغاً رسمياً اشاد فيه بالشجاعة الفذة التي أظهرها الجنود الفلسطينيون في غزة أمام أضعاف أضعافهم من جنود الأعداء، وقال إنها بسالة خارقة تذكر بالبسالة التي تحلى بها آباؤهم من قبل، عندما حموا هذه البقاع المقدسة بقيادة صلاح الدين الأيوبي.

وقد اتيح لي أن اجتمع بالقائد العثماني اديب ثروت بك الذي كان قائد الفرقة الثالثة، فحدثني عن هذه المعركة فقال كان موجود فرقتنا لا يزيد عن ثلاثة آلاف جندي كلهم من ابناء فلسطين، وكنت اتولى قيادتها عندما اقتحم الجيش البريطاني مدينة غزة عام ١٩١٧ بفرقتين كاملتين من الجنود الاستراليين، وكان اسطول بريطاني يشترك في المعركة من البحر يقذف قنابل مدافعه الضخمة على غزة حتى دمرها تدميرا، ورغم ذلك صمد الجنود الفلسطينيون للحملة البريطانية الزاحفة، وقاتلوا جنودها ببسالة لا نظير لها، ثم شنوا عليها هجوماً معاكساً فهزموها شر هزيمة، وانزلوا بجنود الفرقتين الاستراليتين خسائر كبيرة وغنموا غنائم حربية كبيرة، حتى أصبح ثمن البندقية الإنكليزية في تلك المنطقة لا يزيد على ريال مجيدي واحد لوفرة السلاح الذي خلفه البريطانيون في هزيمتهم.

وقد سجل التاريخ القديم شجاعة الفلسطينيين في عهد الكنعانيين الذين خرجوا كالحثيين والفينيقيين من جزيرة العرب في موجات هجرة متعاقبة إلى سواحل البلاد العربية. وتعني كلمة «فلسطيني» في اللغة الكنعانية «الجندي المحارب». فأهل هذه البلاد الفلسطينية شجعان محاربون منذ أقدم الازمان، وهم أجدر الناس بالذود عن حماهم وصد أعدائهم.

ولعل الفلسطينيين أجدر العرب بأن ينطبق عليهم وصف عمرو بن كلثوم لقومه بني تغلب:

معاذَ اللهِ أن تنوحَ نساؤنا	على هالكٍ أو أن نَضُجَ من القتلِ
قِراعُ السيوفِ بالسيوفِ أحلنّا	بأرضٍ براحٍ ذي أراكٍ وذي اثلِ
فما أبقَتْ الأيامُ المالَ عندنا	سِوى جُذامِ أذوادٍ مُحذفةَ النسلِ
ثلاثةُ أثلاثٍ: فاثمانٌ خيلُنا،	وأقواتنا، وما نسوقَ إلى القتلِ

ففي معركة باب الواد الآنفة الذكر عرضت السلطات البريطانية شهداء المعركة الفلسطينية على القرى المجاورة ليتعرف عليهم أهلهم، فكانت الفتاة أو المرأة العربية تشاهد أباها أو أخاها أو ولدها أو زوجها قتيلاً مضرجاً بدمه فلا تذرف عينها دمعة، وكان رجال السلطة يسألونهم هل يعرفن هذا الشهيد أو ذاك، فكانت السنتهن تجيب سلباً وأكبادهم تتقطع حزناً وأسى..

إن ما عرفه الإنكليز واليهود وما خبروه من بسالة الفلسطينيين وقوة روحهم الحربي، جعلهم يتخذون كافة الوسائل المباشرة وغير المباشرة لابعادهم عن ميادين القتال، ويمارسون ضغطهم على بعض الدول العربية من أجلّ ذلك، محتجين بأن ما أوقعه الفلسطينيون في اليهود عام ١٩٤٧ في معارك صوريف والدهيشة وبيت سوريك وغيرها، وفي كثير من مناطق فلسطين الشمالية والوسطى والجنوبية وما اصابوهم به من ضربات قاسية قد أثار الرأي العام العالمي على العرب كما جاء في المذكرة البريطانية المقدمة إلى الأمانة العامة للجامعة العربية ودولها في أواخر عام ١٩٤٧!، ولذلك ينبغي منع الفلسطينيين من دخول المعركة؟!.

وقد نجح الإنكليز في خطتهم هذه، وعملوا على تعديل خطة الدول العربية، وحملوا بعضها على إدخال جيوشها إلى فلسطين وعلى إبعاد المجاهدين الفلسطينيين عن ميدان معركتهم، وكانت خطة الدول العربية التي تقررت في اجتماع عالية ـ لبنان ـ في السابع من تشرين الأول ١٩٤٧ أن يكون المعول في حرب فلسطين على ابنائها، وأن تمدهم الدول العربية بالأسلحة والذخائر والأموال وما إلى ذلك من وسائل المساعدة، وأن لا تدخل الجيوش العربية النظامية فلسطين، بل تكتفي بالمرابطة على حدودها، ولكني عندما شعرت حينئذٍ برغبة بعض الاشخاص الرسميين من العرب في إدخال الجيوش العربية فلسطين وباندفاعها في هذه السبيل، اوجست في نفسي خيفة،

وأبديت ارتيابي وخوفي من أن تكون وراء ذلك دسيسة أجنبية، وعارضت في هذا معارضة شديدة، وقدمت الهيئة العربية العليا لفلسطين مذكرات إلى الدول العربية طالبة عدم ادخال الجيوش العربية إلى فلسطين، وأن تناط المعركة بالفلسطينيين وحدهم، لكن الضغط الأجنبي كان اقوى.

واتخذت جامعة الدول العربية حينئذٍ الاجراءات التالية:

١ ـ قطعت المساعدة المالية التي قررتها في مؤتمر بلودان عام ١٩٤٦ وقدرها مليونا جنيه سنوياً ولم تدفع منها إلا ١٤٧ ألف جنيه وذلك في السنة الأولى فقط.

٢ ـ وضعت الجامعة العربية يدها على الأموال التي تبرعت بها الشعوب العربية لمعركة فلسطين، وعلى الأموال الأخرى التي قامت بجمعها وفود الهيئة العربية من العالمين العربي والإسلامي، بحجة تنسيق أعمال الجهاد..

٣ ـ اوقفت اللجنة العسكرية التي كان يشرف عليها طه باشا الهاشمي توزيع الأسلحة التي كانت اللجنة السياسية للجامعة قررت توزيعها في جلساتها المنعقدة في وزارة الخارجية بالقاهرة في صيف عام ١٩٤٧، وقد كنت حضرت تلك الجلسات بصفتي عضواً في اللجنة السياسية حينئذٍ.

٤ ـ صادرت اللجنة العسكرية الأسلحة الوفيرة التي دفع ثمنها أهل لبنان عام ١٩٤٧ لتسليح المجاهدين الذين كانوا تحت قيادة الشهيدين عبد القادر الحسيني وحسن سلامة، والتي كانت تحت اشراف (مكتب فلسطين الدائم) الذي كان مؤلفاً من عدة شخصيات لبنانية أذكر منهم دولة الحاج حسين العويني والمرحومين حسن البحصلي والدكتور سليم ادريس.

وقد شهدت مقابلة بين طه باشا والشهيد عبد القادر الحسيني في الخامس من نيسان ١٩٤٨ بدمشق في مركز اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية عندما جاء عبد القادر من ميدان المعركة في فلسطين إلى دمشق لمطالبة اللجنة العسكرية بامداده بالسلاح والعتاد، فقال عبد القادر لطه باشا: إن هذه الأسلحة اشتراها أهل لبنان تلبية لطلبنا، فلماذا اخذتموها ومنعتم تسليمها لنا؟ فاجابه طه: إن هذه أسلحة جديدة وسأعطيها إلى الافواج التي نجندها من العلويين والدروز (الذين دربوا في الجيش الفرنسي سابقاً). فقال له عبد القادر: اعطوا هؤلاء من الأسلحة المكدسة في

مخازنكم، ونحن أحق بالسلاح الذي اشتري لنا، واجدر من كل أحد بالدفاع عن بلادنا، ولكن طه باشا رفض تلبية الطلب...

وحضرت مقابلة أخرى بين طه وعبد القادر قبل استشهاده ببضعة أيام، فقد طلب مني أن أصحبه لمقابلة اللجنة العسكرية التي كانت تقيم بقرية (قدسية) في ضاحية دمشق، فلما قابلنا اللجنة وعلى رأسها طه الهاشمي، قدم له عبد القادر خرائط تبين الموقف العسكري في القدس وما حولها، وبسط له خطورة الوضع بعدما استولى اليهود على (القسطل) وهي القرية القائمة على أعلى جبل مشرف على القدس، وقال له: نحن في حاجة قصوى، من أجلّ إنقاذ القدس وطرد اليهود من القسطل، إلى بطارية مدافع، وإلى رشاشات وعتاد. فأجابه طه بأن ليس لدينا مدافع. فقال عبد القادر لقد اعطيتم القاوقجي اربع بطاريات فاعيرونا واحدة منها. فلما رفض طه ذلك قال له عبد القادر: اعطونا على الاقل بضعة رشاشات (برن) فاجابه طه: لا نعطيكم فانتم (باشبوزوق) وهي كلمة تركية تعني أنهم ليسوا جنوداً نظاميين..

فتدخلت عندئذٍ وأفهمت طه باشا أن كثيراً من قادة الجهاد المقدس، وفي مقدمتهم عبد القادر وحسن سلامة امضوا دورات عسكرية عديدة في العراق وفي المانيا، ولكن طه لم يوافق على اعطائهم شيئاً، فثار عندئذٍ عبد القادر وقذف بالخرائط التي كانت بيده في وجه طه، وقال له: إنكم تريدون قتلنا وتمهدون سبيلنا إلى هزيمة رخيصة..

وعدنا دون نتيجة إلى فندق قصر الشرق بدمشق، حيث انتحى عبد القادر ناحية، وجعل يكتب استقالته من القيادة، وعندئذٍ دخل علينا المرحوم رياض بك الصلح، فلما رأى الاستقالة في يد عبد القادر أخذ يهدئ من سورة غضبه ويسترضيه، واعداً أياه وعداً اكيداً بأنه سيسترد السلاح الذي اشتراه أهل لبنان ويرسله إليه.

وكان وقت الغداء فجلسنا إلى المائدة، وقلت لعبد القادر الذي أزمع العودة في اليوم التالي إلى القدس، مصمماً على طرد اليهود من جبل القسطل المنيع الذي أعرف خطورته: أرجو الا تجازف انت ورجالك باقتحام الجبل في هجمة واحدة لئلا تسقط منكم ضحايا كثيرة فأطلب منك وعداً بذلك، فلما لم يُجب ألححت عليه، فقال: (كيف أعدك بذلك وليس لدينا من السلاح الا أربعة رشاشات قديمة تضعف قوة رميها في أول المعركة، فإن لم نجازف باجسامنا وارواحنا فلا سبيل إلى طرد اليهود من المواقع المنيعة، ولا سبيل إلى إنقاذ القدس) فطلبت إليه أن يتريث إلى أن ينجز رياض بك

وعده بإرسال الأسلحة، فقال: إن اليهود يحصنون الجبل فيجب استرجاعه قبل أن يتموا حصونهم.

وفي ٦ نيسان غادر عبد القادر دمشق، وفي ٨ نيسان اقتحم مع رجاله القسطل وهزم اليهود واستولى على الجبل، لكنه أصيب بشظية من قنبلة مدفع «مورتر» فاستشهد رحمه الله.

وكنت في مكتب الهيئة العربية العليا بدمشق حينما جاء طه باشا واللواء اسماعيل صفوة مع المرحوم شكري القوتلي للتعزية بعبد القادر. وكان المرحوم الشيخ حسن سلامة حاضراً، فعتب على طه تقصيره مع عبد القادر، فربت طه على ظهره متلطفا، فقال له حسن سلامة: تربتون على ظهورنا وتمهدون لقتلنا!!

٥ ـ صادرت عدة دول من دول الجامعة العربية، مخازن الأسلحة التي كانت في حوزة المجاهدين الفلسطينيين، ومعامل اصلاح الأسلحة، وتعبئة الذخيرة، وقد نشرت مجلة (آخر ساعة) القاهرية صوراً لعدد كبير من سيارات النقل الكبيرة يزيد على ثلاثين سيارة وهي ملأى بالسلاح والعتاد الذي صودر من مستودعات الهيئة العربية العليا بالقاهرة، وكان ذلك في عهد حكومة النقراشي. وصودرت أيضاً كميات وفيرة في بعض الدول العربية الأخرى.

٦ ـ انتزعت جامعة الدول العربية قضية فلسطين السياسية من أهل فلسطين، وأبعدت عنها الرجال الذين كانوا يتولون زمام قيادتها السياسية ويديرون معاركها الحربية.

وكان الموقف حرجاً عندما عارضت الهيئة العربية العليا دخول الجيوش العربية واستبداد الجامعة بالقضية الفلسطينية، فقد انبثقت دعاية قوية حينئذٍ بين الفلسطينيين بأن جيوش الدول العربية السبع ستقضي على الصهيونيين وتنقذ فلسطين دون أن تكبد أهلها خسائر في الانفس والأموال، ودون أن تكلفهم جهداً وعناء، ولكن الهيئة العربية تعارض لغايات خاصة!! وقد لقيت هذه الدعاية المضللة آذاناً سميعة عند كثير من الفلسطينيين. فاخذوا يلحون علينا بالانصياع إلى الدول العربية.

ومن الإنصاف أن نورد هنا أن المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود، والمرحوم النقراشي لم يكونا راغبين في دخول الجيوش العربية فلسطين، فالنقراشي كان يرى أن مصر لا تستطيع دخول الحرب والجيش الإنكليزي جاثم على قناة السويس، لكن المرحوم الملك فاروق استجاب لرؤساء وزارات الدول العربية الذين قابلوه واقنعوه بأن

الأمر لا يعدو أن يكون (نزهة عسكرية)، أما المرحوم الملك عبد العزيز فقد استدعى رؤساء الوزارات العربية إلى الرياض ونصحهم بأن لا يدخلوا جيوشهم، فلما أصروا نصحهم بأن يرسلوا متطوعين، واستعد هو أن يرسل عدداً كبيراً من المتطوعين، فلما لم يقبلوا النصح قال لهم إنكم ستندمون.

وقد كان الضغط الاستعماري هو العامل الأكبر في تلك الخطة في إبعاد الفلسطينيين عن المعركة، وخشية من تفاقم حرب العصابات والفداء التي هي العلاج الوحيد لداء الظلم والعدوان ورد كيد الاستعمار إلى نحره.

كما كان من أكبر الاخطاء التي ارتكبتها الجهات العربية المسئولة، والتي لا تقل خطراً عن وعد بلفور نفسه، إنها منحت الأعداء الصهيونيين فرصة فريدة استمرت عشرين سنة كاملة من المهادنة والمسالمة، اغتنمها أولئك الأعداء لتثبيت أركان دولتهم واستكمال استعداداتهم الحربية كما يشاءون، دون رقيب ولا حسيب. وقد دفعت بعض الدول العربية الضالعة مع الصهيونيين ثمن تلك المهادنة والمسالمة.

ومن تلك الاخطاء أيضاً تعامل بعض الجهات العربية المسؤولة مع الدول الأجنبية الضالعة مع اليهود، وتعاونها معها تعاوناً اقتصادياً، وعقدها معها صفقات تجارية واقتصادية واسعة تعود عليها بمكاسب عظيمة تبتزها من موارد ثروة الأمة العربية.

من أهم الخطيئات التي وقعت فيها الجهات العربية المسئولة، أنها لم تقابل الخطر الصهيوني الداهم، بما يستحقه من الجد والجهد، أو لم تقدر حقيقة تهديده للبلاد العربية، ولذلك لم تتخذ الأهبة الكافية، ولا أعدت المستطاع من القوة فلم تفرض التجنيد الاجباري، ولا التدريب العام في حينه، ولا تزال بعض البلاد العربية حتى اليوم محرومة من التجنيد الاجباري والتدريب العام، ورغم النكبات التي نزلت بالعرب بسبب العدوان اليهودي، والعار الذي اذل نفوسهم وطأطأ رؤوسهم بعد نكبتي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ فإن الأمة العربية لم تأخذ العبرة الكافية، فإنك إذا جبت الأقطار العربية لا تشعر بالجو الحربي فالناس سادرون في لهوهم وبذخهم، ومنهمكون في تجارتهم، ومشروعاتهم العمرانية والاقتصادية، فهم يشيدون الابنية الخاصة، وكأنهم لا يخشون أن تسقط في أيدي الأعداء، ولا يبذلون شيئاً مذكوراً للجهد الحربي، وما أشبه الأقطار العربية المنهمكة بأعمال العمران وتنمية الثروات، بمن يزرع حديقة غناء، وله فيها من كل الثمرات، لكنه لا يسورها ولا يعين لها من يحرسها، فتكون ثمراتها في النهاية للسارقين أو الناهبين.

لقد كان الشاعر الجاهلي لقيط الأيادي، أبعد نظراً عندما حذر قومه في قصيدته التي سبقت الاشارة إليها في هذه المذكرات بقوله:

لا تثمروا المال للأعداء انهم   إن يظهروا يحتووكم والتلاد معا

فالعرب في هذا الأمر الخطير، بعكس اليهود المعتدين، الذين اتبعوا خطة التوفير والتقتير، واجتنبوا البذخ والبطر، وسائر الشؤون الكمالية ووفروا ما استطاعوا للجهد الحربي، حتى أن موازنة دفاعهم زادت ثلاثة اضعاف عما كانت عليه يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ فأصبحت ثلاثمائة وخمسين مليوناً من الجنيهات الاسترلينية، وزادوا تسليحهم كثيراً رغم أنهم كانوا منتصرين.

فيجب على الدول العربية أن تتخذ الوسائل الكفيلة بحماية هذه الثروات العظيمة لكيلا تقع غنائم باردة في أيدي الأعداء، كما وقع في البلاد الفلسطينية.

من لم تفده عبراً ايامه   كان العمى أولى به من الهدى

ومن أخطاء العرب المميتة هذا الإنقسام الذي لا يزال ملازماً لهم دون أي مبرر، أمام الاخطار الحائقة، مع أن الأحقاد تذهب عند الشدائد.

ومن أخطاء المسؤولين العرب غفلتهم العجيبة وإهمالهم العناية بمستقبل أبنائهم وتربية أجيالهم الجديدة، فرغم المخصصات الكبيرة، والأموال الطائلة، التي تنفق على التعليم، وإنشاء المدارس والجامعات، بدون خطة تربوية، ولا عناية ثقافية أو روحية، فهم يلقون باولادهم وفلذات أكبادهم في المدارس الأجنبية، أو في أيدي المعلمين المتخرجين من المعاهد الأجنبية، والمنطبعين بطابعها، والحاملين للمبادئ المستوردة من غربية أو شرقية، والمناقضة لعقائدنا ومبادئنا وثقافتنا، فهم يلقنون أبناءنا شيئاً من العلم ممزوجاً بالسم الزعاف، مع أن كل أمة واعية تعني بمستقبلها، تهتم قبل كل شيء لتثقيف أبنائها بالمبادئ الصحيحة والأخلاق الكريمة والعقائد السليمة، وتضع الشؤون الروحية والخلقية والوطنية في المرتبة الأولى، فالأمم بأخلاقها ورحم الله أحمد شوقي حيث يقول:

وليس بعامر بنيان قوم   إذا أخلاقهم كانت خرابا

ومن أهم الأخطاء، فتح أبواب البلاد العربية المجاورة لفلسطين، لتسهيل هجرتهم منها، فإن الهيئة العربية العليا لفلسطين كانت شديدة الحرص على استبقاء الفلسطينيين

في بلادهم مهما كانت الظروف، فأرسلت بلاغاً عاماً إلى جميع اللجان القومية في البلاد، تطلب منها ان لا تسمح لأي فلسطيني بمغادرة بلاده، الا لطالب يسافر للالتحاق بجامعته، أو مريض مضطر للمعالجة الضرورية، وحظرت الهيئة على أهل البلاد مغادرتها فرادى أو جماعات، حتى أن غبطة البطريرك حكيم، لما رأى اشتداد المعركة في حيفا، أبرق إلى الهيئة يطلب السماح بنقل اطفال طائفته إلى بيروت، فابرقت إليه بأن لا ينقلهم إلى خارج فلسطين، بل إلى المناطق البعيدة عن المعارك كالمنطقة الوسطى.

وكتبت إلى جميع الدول العربية المجاورة، راجياً قفل حدودها وعدم السماح لأي فلسطيني بالخروج من بلاده، وأن يعيش جميع أهلها فيها أو يموتوا فيها.

وقد أرسلت هذه المذكرات مع مندوب من أعضاء الهيئة العربية نفسها ليشرح الأسباب ويقنع المسؤولين، ولكن الضغط الأجنبي من الدول الضالعة مع اليهود ولا سيما بريطانيا، فتح الحدود والأبواب على مصاريعها، وفضلاً عن ذلك فإن المذابح الوحشية المدبرة التي قامت بها القوات اليهودية كمذبحة دير ياسين، وناصر الدين، وحواسة، وعيلوط، وسكرير، والدوايمة، وكفر قاسم، وقبية وغيرها التي ارتكبت في النساء والشيوخ والأطفال روعت الأهليين وأوقعت الذعر فيهم، واضرب على ذلك مثلاً ما وقع في مجزرة دير ياسين وهي قرية صغيرة محاطة باليهود تقع غرب مدينة القدس، فبعد أن قتل اليهود الرجال والشيوخ بلغت بهم القسوة أن جمعوا النساء الحوامل في ساحة القرية ووقف الضباط والجنود يتراهنون على ما في بطون النساء الحوامل هل هو ذكر أم انثى، ثم يعمد الجندي بحربته فيبقر بطن الحامل ويخرج الجنين على سن الحربة، ليروا هل هو ذكر ام انثى فيأخذ رابح الرهان دراهم بخسة معدودة!.

ومما يجب تسجيله هنا أن الكتيبة اليهودية التي ارتكبت هذه الجرائم الوحشية، كانت مؤلفة من رجال الدين اليهودي من حاخاميين واحبار من حزب «اغودات إسرائيل» الديني، وصدق الله تعالى إذ قال في القرآن الكريم مخاطباً اليهود: ﴿ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وأن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار، وأن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وأن منها لما يهبط من خشية الله، وما الله بغافل عما تعملون﴾.

واليهود أنفسهم، ولاسيما الذين قاموا منهم باقتراف جرائم الارهاب المنكرة، اعترفوا بصراحة، بأن الجرائم والفظائع التي اقترفوها في العرب كانت السبب المباشر

لخروجهم من بلادهم والتجائهم إلى الأقطار العربية المجاورة، فالارهابي اليهودي المجرم «مناحم بيجن» الذي كان قائدا لمنظمة «ارغون زفاي ليومي» اليهودية الارهابية السرية يقول في الصفحات ١٦٣ ـ ١٦٥ من كتابه «الثورة ـ تاريخ الأرجون» المطبوع في نيويورك ـ عام ١٩٥١: (إن مذبحة دير ياسين كان لها أثر بالغ في نفوس العرب يساوي ستة أفواج من الجنود، وأن قرية «قالونية» العربية التي كانت قد صدت كل هجوم شنته عليها قوات الهاجاناه، قد أخليت في ليلة واحدة.. وكذلك اخليت قرية «بيت اكسا»).

ثم يقول: (لقد ساعدتنا مذبحة دير ياسين على إنقاذ طبرية وحيفا بصورة خاصة.. ولم يبق من العرب الذين كانوا يقطنون المنطقة التي أصبحت «إسرائيل» وعددهم ٨٠٠ ألف غير ١٦٥ الفا. وتظهر أهمية هذا الحادث بما ينطوي عليه من مغزى اقتصادي وسياسي).

وكذلك يقول الكاتب اليهودي «ليرمان هال» في كتابه (عرب إسرائيل) الصادر عام ١٩٤٩ في نيويورك في الصفحتين ٥٢٩ و ٥٣٠ ما يأتي: «.. لقد أصبح واضحاً ان القوات الإسرائيلية كانت قاسية حتى مع غير المحاربين من العرب. فهناك على سبيل المثال عدد كبير من القرى المنسوفة والمهجورة، حيث لم يقع أي قتال أو وقع منه شيء يسير جداً.. أما بشأن الفظائع فإن إسرائيل تذكر دير ياسين باسف، حيث ذبحت الأرجون أكثر من مائتين من الرجال والنساء والأطفال، ويجب أن يضاف إلى الأسباب التي أدت إلى فرار العرب «الجنوني» من فلسطين خوفهم من وقوع حوادث جديدة مشابهة لحادثة دير ياسين».

واعترف الكونت فولك برنادوت، وسيط الأمم المتحدة، الذي اغتاله اليهود في القسم الذي احتلوه من مدينة القدس (لأنه أوصى بإعطاء القدس والنقب للعرب) في تقريره المرفوع إلى الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ رقم ٦٤٨/أ ملحق رقم ١١ في الصفحات ٦ و ٧و ١٤: (بان خروج عرب فلسطين نجم عن الرعب الذي نشأ عن اشاعات تتعلق بأعمال الإرهاب والطرد، حقيقة أو مزعومة..) ثم قال: (وهناك تقارير عديدة من مصادر موثوقة تؤكد وقوع نهب وسلب على نطاق واسع، وتخريب وتدمير قرى دون أية ضرورة عسكرية..).

يضاف إلى ذلك أن لجنة التوفيق الدولية التي شكلتها الأمم المتحدة من مندوبين عن الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا لحل مشكلة فلسطين، اوردت في تقريرها الصادر عام

١٩٥١ في باريس (وثيقة امم متحدة ا/١٩٠٥ ملحق رقم ١٦) صفحة ٣ فقرة ١٦: «إن ممثلي اللاجئين نفوا ان يكون لدعاية الدول العربية أو الهيئة العربية العليا أي تأثير على قرارهم الجلاء عن بيوتهم..».

فهذه المجازر المدبرة كانت من الأسباب التي أرغمت أهل البلاد على الهجرة، وقامت أيضاً دعاية أجنبية واسعة تحض الناس على الهجرة المؤقتة إلى البلاد العربية المجاورة، إلى أن تصل الجيوش العربية فتصد المعتدين وتعيد المهاجرين بعد اسبوع إلى بلادهم، كما وعد المسؤولين والقادة في خطبهم وتصريحاتهم! وقامت السلطات البريطانية حينئذٍ بإعداد سيارات جيشها الكبيرة وسفنها لنقل الفلسطينيين في البر والبحر إلى البلاد المجاورة، تنفيذاً لهدفها الأساسي وهو تسليم البلاد لليهود بعد اخراج سكانها، وهكذا دخل اللاجئون الفلسطينيون المخدوعون البلاد العربية المجاورة المفتوحة الابواب بتدبير الأعداء، وهم يعتقدون أنهم لا يلبثون أن يعودوا إليها مع الجيوش العربية.

فهذه المؤامرات المسلسلة التي بيتها الأعداء وخدعوا بها الاقرباء والأصدقاء كانت ضربة قاصمة لظهر القضية الفلسطينية، إذ اخرجت من فلسطين أكثر من مليون من أهلها، واخلت أراضيهم وبيوتهم لليهود المعتدين.

ومما يحز في النفس، ويدمي الفؤاد، إن ما أصاب العرب من خزي وعار، وذل وصغار، لم يكن له من مبرر، فهم أكثر عدداً، واوسع ثروة، واضخم طاقات من اعدائهم من كل الوجوه، فالعرب يبلغون مئة مليون ويملكون من الارض ما مساحته ثلاثة عشر مليون كيلومتر مربع، أي نحو مساحة أوروبا كلها. ولديهم من مصادر الثروة كالأراضي الزراعية والنفط والمعادن والانهار والطرق التجارية البرية والبحرية والجوية ما لا يملك اليهود بعضه، كما ان الأقطار الإسلامية الأخرى التي لا يقل ارتباط أهلها بالارض الفلسطينية المقدسة عن العرب، تزيد اضعافاً مضاعفة عن الأقطار العربية في السعة وكثرة النفوس، فالمسلمون جميعاً يبلغون سبعمائة مليون عدداً، وزياداتهم السنوية عشرون مليوناً أي أكثر من جميع يهود العالم، والعرب وحدهم تبلغ زيادتهم السنوية ثلاثة ملايين أي أكثر من دولة «إسرائيل»!.

فأي عذر لنا عند الله، وعند الناس؟ وماذا يسجل التاريخ عنا للاجيال المقبلة التي ستحمل الجيل الحاضر (جيل الهزيمة) تبعة التفريط في الأمانة المقدسة التي حملها اجدادنا أربعة عشر قرنا؟ على أن كثرة العدد والعُدَدْ، ووفرة المال والثروة، ليست

بمجدية إذا لم تكن القلوب عامرة بالإيمان، والنفوس مفعمة بالتصميم وروح الفداء، فنحن لا ينقصنا سبب من أسباب القوة والمنعة، ولكن الذي أودى بنا هو الخور وروح الهزيمة.

ما الذي منع المسؤولين في البلاد العربية المعنية عن التعبئة الروحية والعسكرية وما تقضي به من تجنيد وتدريب وتسليح، وعن الحصول على الطاقة الذرية كما حصل عليها اليهود الذين أصبحوا اليوم يتحدون الأمة العربية قاطبة ويهددونها بالطاقة الذرية؟ ألم يأمرنا ديننا الحنيف بأن نعد للأعداء ما استطعنا من ﴿قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم، الله يعلمهم﴾.

ولماذا منع الفلسطينيون من التصدي للصهيونيين المعتدين، والاستمرار في مناجزتهم وردهم على اعقابهم خاسرين في المعارك التي تصدى لهم فيها المجاهدون الفلسطينيون من (جيش الجهاد المقدس) حتى اضطروا اليهود المحصورين في مدينة القدس، وهم لا يقلون عن مئة ألف نسمة، في شهر آذار ١٩٤٨، لرفع رايات التسليم وطلب تدخل قناصل الدول الأجنبية وفي مقدمتهم قنصل الولايات المتحدة الأمريكية العام، لرفع الحصار عنهم، وحتى أعلن المندوب الاميركي في الأمم المتحدة في ١٩ آذار، عدول حكومته عن تأييد قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧، واقترح بدلاً منه وضع فلسطين تحت وصاية دولية؟.

ولماذا تبدل الموقف العسكري في فلسطين في أوائل شهر نيسان بسبب حرمان المجاهدين الفلسطينيين من الأسلحة والذخائر؟ ولماذا تركت «إسرائيل» تنمو وتزدهر خلال عشرين عاما، وتعد ما استطاعت من قوة عسكرية دون أن يسمح لاحد بمقاومتها، وقد كانت قبل ذلك لا تملك شيئاً مذكوراً يعتد به من السلاح، ولم يكن لديها طائرات حربية ولا دبابات، ولا مدافع ميدان، وكل ما كان لديها في هذا المجال بعض طائرات التدريب ومدافع مورتر خفيفة.

وهل يحق لأمة واعية أن تمنح الفرصة خصماً لدوداً لها ليتأهب ويتسلح على مهل، ويعد لنفسه كل أسباب القوة، وقد كانت قوة (الجهاد المقدس) الفلسطيني حينئذٍ تناهز الخمسة والعشرين الفاً، كما كان (الإخوان المسلمون) الذين تدربوا واعدوا للمعركة عشرة آلاف مقاتل كما ذكر لي ذلك الشهيد الشيخ حسن البنا رحمه الله، وكما جاء في برقيته التي أرسلها إلى مجلس جامعة الدول العربية الذي إنعقد في صوفر ـ لبنان عام ١٩٤٧.

لقد كان الضغط الأجنبي من الدول الأجنبية الضالعة مع «إسرائيل» السبب الأول لمنح الأعداء الصهيونيين فرصة الاستعداد والتأهب، وزيادة قوتهم أضعافاً مضاعفة وكذلك كانت الغفلة وعدم تقدير العرب للخطر الصهيوني حق قدره، سببا آخر لهذا الاهمال، وكان من نتيجة ذلك أن اجتاحت الولايات المتحدة حملة عارمة من الجهود والمساعي الصهيونية لامداد «إسرائيل» بالمساعدات المالية والعسكرية والتأييد السياسي حتى أنها سمحت لها بطرح سندات قروضها للبيع في الاسواق المالية الأمريكية، وسمحت لمن يشاء من اليهود الاميركيين ان يتبرع لإسرائيل بما يستحق عليه من الضرائب باسم التبرع للمشاريع الخيريه.. وتبلغ حصيلة هذه التبرعات عشرات الملايين من الدولارات كل عام! وأذنت الحكومة الأمريكية لبنك الإصدار بتزويد «إسرائيل» بالقروض الضخمة، وللرجال الرسميين من الاميركيين بالقيام بالدعاية واعمال الجباية للدولة اليهودية كما صنع المستر «باركلي» وهو في منصب نائب رئيس الجمهورية.

وقد أعلن مستر «اندرسون» وكيل وزارة التجارة في حكومة الرئيس ايزنهاور - في ١٥ مارس ١٩٥٣ إن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وشعبها، قدما لليهود في فلسطين في المدة الواقعة بين سنتي ١٩٤٨ - ١٩٥٢ (أي في مدى أربع سنين) من الهبات والعطايا والقروض نحو بليون دولار (أي ألف مليون دولار).

وكذلك كانت الحكومة الأمريكية عاملاً قوياً في حمل حكومة المانيا الغربية على دفع تعويضات مالية عظيمة لليهود بلغت ثلاثة وأربعين ملياراً وخمسمائة مليون مارك أي ما يساوي أحد عشر ألف مليون دولار، أو أربعة آلاف مليون جنيه استرليني (قبل تخفيض قيمته)، أو أربعة وثلاثين ألف مليون ليرة لبنانية!!. ثم زيد هذا المبلغ إلى أن أصبح نحو خمسين مليار مارك، وهذا عدا المبالغ التي ينالها اليهود من التعويضات من مصانع كروب الالمانية، وعدا مبلغ مئتي مليون دولار حصل عليها اليهود من حكومة المانيا النازية!!.

لقد كان معظم العرب يستخف بالمؤامرة الصهيونية والمطامع اليهودية ولا يقيم لها وزناً، وكنت أرى ابتسامة الاستخفاف والاستغراب على أفواه كثير من زعماء العرب وساستهم وكبرائهم عندما كنت احدثهم عن الاخطار اليهودية المقبلة، حتى أن بعضهم صارحني بقوله إنه لا يعقل أن تقدم بريطانيا على المغامرة بعلاقاتها والتفريط في مصالحها الواسعة في العالمين العربي والإسلامي استرضاء لليهود واستخفافا بالعرب والمسلمين، وإنها إنما تخادع اليهود وتماطلهم!!.

واضرب مثلاً على هذا الاستخفاف والتهاون، حديثا دار بيني وبين القائمقام محمد كامل الرحماني من كبار الضباط المصريين، فقد اجتمعت به في بيت اللواء أحمد فؤاد صادق باشا القائد العام للجيش المصري عام ١٩٤٩ (وكان الرحماني رئيس أركان حربه) فلما سمعني الرحماني احذر من الخطر الصهيوني المحدق واشدد على ضرورة المبادرة بصده قبل أن يستفحل، قال لي: ليس هنالك أي خطر من الصهيونيين في المستقبل القريب، لأن «إسرائيل» ابتلعت من الأراضي الفلسطينية ما لا تستطيع هضمه قبل انقضاء زمن طويل! فقلت له: أرجو أن لا تنخدعوا بمثل هذه الآراء، لأن الخطر لا يأتي من معدة «إسرائيل» فحسب، فهناك معدة اليهودية العالمية التي تستطيع أن تهضم أكثر مما تقدرون.

وعلى ذكر اللواء أحمد فؤاد صادق باشا، لقد سبق لي أن اجتمعت به مراراً في القاهرة، فوجدت فيه القائد الكفء والضابط الباسل والوطني الصادق، وقد كان قائد الجيش المصري في حرب فلسطين بعد اللواء المواوي.

/ ومن الخطط التي ضرت العرب ضررا فادحاً، الخطة الشيطانية التي اتبعها الأعداء في بلبلة الافكار، وتشتيت الآراء، في البلاد العربية، وبث روح الخصومات الحزبية والاختلافات بين عناصر الأمة، فاحدثوا خصومات حادة مزقت الصفوف، وفرقت الكلمة حتى بين الآباء والابناء، وأوجدت حرب الطبقات، وحرب الاجيال.

ومنها الحرب النفسية التي قام بها دعاة الأعداء من رجال المخابرات الأجنبية، وعملاء الصهيونية، فأوحوا إلى بعض ضعفاء النفوس ومرضى القلوب من العرب، بأن لا سبيل إلى التغلب على الأعداء ولا وسيلة لصد عدوانهم، لأنهم أعلم (بالتكنولوجيا)، ويجب علينا أن نتريث مدة جيلين أو ثلاثة اجيال إلى أن نبلغ مبلغهم من التكنولوجيا!. وهذا كلام سمعته بأذني من بعضهم، فاجبتهم: اين نسبة التكنولوجيا بين الجزائر وفرنسا، أو بين فيتنام وأمريكا؟!. وادحضت مزاعمهم، وما كانت هذه الحرب النفسية لتترك اثراً في الأمة التي تجد في قرآنها الكريم قوله تعالى... ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ وقوله تعالى: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾، وقوله عز وجل: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة، ثم يغلبون﴾ وغير ذلك كثير مما يقوي النفوس ويشحذ العزائم.

ومن مخادعاتهم دعوتهم الناس للقبول بالأمر الواقع!. وكيف يقبل المظلوم الظلم الواقع عليه ويستخذي له! فالواجب عليه عقلاً وشرعاً أن يقاوم الظلم ولا ينام على الضيم، والأمم التي تحترم نفسها وتعرف صالحها لا تخضع للامر الواقع إذا كان يؤذيها ويقضي بهضم حقوقها ومصالحها.

ومما أساء إلى الأمة العربية تلك الخطة الشيطانية التي وضعت للقضاء على رجال القضية العربية فكان من نتائجها القضاء على رجال هذه القضية، في كثير من الأقطار العربية، وإبعاد الرعيل الأول من رجالها ومن حذا حذوهم، ممن نشأوا مع القضية ورضعوا لبان الاخلاص وصدق الوطنية، ووطنوا نفوسهم على الاستماتة في سبيلها، فابعدوهم عن الحكم والقيادة، وشردوهم وأخلوا البلاد منهم، واحتل مراكزهم في بعض البلاد موظفون أو دخلاء على القضية، وليس لهم اية سابقة أو علاقة بها، أو غيرة عليها، مع أن رجال الصهيونية جميعاً من أمثال هرتسل، ووايزمن، وبن غوريون، وشرتوك، وغولدمان وجابوتنسكي، واشكول، وكيش، وايدر، وروتنبرغ، وبن زفي، وغولداماير، ودايان، والون وغيرهم ممن نشأوا مع القضية الصهيونية وتعاقبوا على سيادتها وزعامتها ظلوا في مراكزهم يعملون باخلاص لقضيتهم، مع أنها قضية عدوانية باطلة، وهم مبطلون معتدون، ولم يأبهوا بكراسي الحكم ومناصب الوزارة.

سردت بعض أخطاء العرب الخطيرة، والمؤامرة الشيطانية الغادرة التي خططتها الصهيونية المجرمة بالتواطؤ مع الدول الاستعمارية المعادية للعرب والمسلمين والضالعة مع الصهيونية واليهود، فاصابت قضية فلسطين في الصميم، واستغلت غفلة الأمة العربية وضعفها وخلافاتها وعبثها وهزلها، دون أن أتقصد لوماً أو تثريباً، بل توخيت منها دعوة امتنا العربية إلى العبرة واليقظة والهدى والرشد لتستطيع المبادرة إلى تدارك ما فات واصلاح ما فسد من امورنا واستنقاذ ما اغتصب من أوطاننا.

وصفوة القول أن هذه المعركة مع الصهيونية هي معركة حاسمة بين فريقين مختلفين في العقيدة والقومية واللغة والمصالح وفي كل شيء، وأن عدونا عنيد ماكر يعمد إلى الحيلة والدهاء، ويؤلب علينا الخصوم، ويخادعنا بالتعايش السلمي والصلح، وهو يوقن أن لا سبيل إلى ذلك، بل لا يريده في قرارة نفسه، وإنما هي سياسة مرحلية خادعة منه لأنه مصمم على إبادة امتنا ومحق ديننا واستئصال جذورنا، وقد نظم خطته وحزم أمره فهو يسير قدماً خطوة فخطوة، ومرحلة فمرحلة، ولا يقتصر خطره على فلسطين وشعبها، بل يتناول العرب والمسلمين عامة.

فيجب علينا أن نكون على مستوى الاحداث، ونقدر الاخطار المحيطة بنا والزاحفة الينا حق قدرها، فنعد لها عدتنا ونواجهها بما تتطلبه من وعي وجد وحزم، فان لكل داء دواء، والدواء الناجع لهذا البلاء إنما هو الايقان من كيد الأعداء ومكرهم، وعدم الارتياب والتردد في سوء نيتهم وخطرهم، ثم مقابلتهم بتصميم أقوى من تصميمهم وعزيمة أمضى من عزيمتهم وفداء أعظم من فدائهم فنحن اقدر منهم على الفداء وأجدر، وأقوى منهم عند اللقاء والصبر، لاننا ندفع عن حقنا عدوانهم الذي هم فيه مبطلون، ونملك من قوة الحق والإيمان ما لا يملكون، ولنا من وفرة ثروتنا وكثرة عددنا وسعة أرضنا ونمو طاقتنا ما يحقق لنا تفوقاً عظيماً على اعدائنا. فعلينا أن نمضي في جهادنا بعزيمة لا يتطرق إليها وهن ولا خور، وقيادة قديرة أمينة حازمة تنتظم المجاهدين الصادقين والمناضلين المخلصين، كتلك التي أشار إليها شاعرنا الايادي قبل أربعة عشر قرنا في قوله:

وقلدوا أمركم، لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

والحرب قد تكون ضرورة لا مناص منها، كالعملية الجراحية التي لا بد من تقبلها لإنقاذ حياة المريض، وقد يوطن المرء نفسه على المكروه عندما يكون الطريق الوحيد للحق والسلم والأمن.

والحربُ لا يبقى لجا - حِمها التخيلُ والمراحُ إلا الفتى الصبّار في النجداتِ والفرسُ الوقاحُ

وسيغلب حقنا باطل أعدائنا، ويفوز إيماننا على دسائسهم وخداعهم وظلمهم ومطامعهم ومؤامراتهم ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

وإن لنا في جهاد الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه، وجهاد صحبه المسلمين الأولين ومن تبعهم من المجاهدين والمرابطين، ما يثبتنا على سبيل الحق ويضمن لنا الفوز في جهادنا وبلوغ غايتنا مهما عظمت الصعاب، وأشتد البلاء، فلا بد للنصر من الصبر، وللسراء من احتمال الضراء ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مستهم الباسأء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله، ألا إن نصر الله قريب﴾. ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾. صدق الله العظيم

لا بد من الصدق والصراحة لادراك حقائق الأمور وإفهامها للناس، ولاسيما الذين يعنيهم شأنها وتتعلق بمصالحهم ومصائرهم، ومن هذه الحقائق التي لا ريب فيها، والتي

ينبغي لاهل فلسطين خاصة، وسائر العرب والمسلمين عامة، أن يوقنوا بها، إن قضية فلسطين، هي في حقيقتها وأساسها قضية دينية قبل أن تكون قضية سياسية أو أي شيء آخر.

فاليهود يعتبرونها قضية دينية، ولا يحاذرون أن يجهروا بذلك على رؤوس الاشهاد، وهم يقومون بعدوانهم بتعصب ديني شديد ووقاحة وانانية لا نظير لها، ويتحدون العالم بصلف وعنف غير مبالين بحق أو عدل، وبميثاق الأمم المتحدة، وبحقوق الانسان، ومستهينين بكل شرع وقانون وعرف لا يجاري أهواءهم ويوافق رغباتهم.

حدثني بهي الدين باشا بركات رئيس مجلس النواب المصري السابق (عضو مجلس الوصاية فيما بعد) أنه لما زار القدس خلال الحرب العالمية الثانية، فاجأه السكرتير السياسي للوكالة اليهودية شرتوك (الذي أصبح فيما بعد وزيرا للخارجية، ثم رئيساً للوزارة) بزيارته وحاول استدراجه لزيارة بعض المستعمرات والمصانع التي انشأها اليهود في فلسطين للدلالة على تقدمهم الزراعي والصناعي، وبما أن بهي الدين بركات ما كان يعرف حقيقة الأهداف اليهودية فقد قال لزائره اليهودي: «يصعب عليّ ان اصدق ما يشاع عن حركتكم الصهيونية وانها مؤسسة على التعصب الديني لأن معظم زعماء الصهيونية متحضرون ومثقفون ثقافة أوروبية أو أمريكية»، فأجابه شرتوك بقوله:

«نحن لا يهمنا ما يقوله الناس عنا ولا نبالي بما ينعتوننا به من ان حركتنا تقوم على أسس دينية أو عنصرية وانها غير عادلة في متطلباتها وأهدافها، فاليهودية هي أساس حركتنا وغاية أهدافنا».. قال لي بهي الدين بركات أنه لم يكن على علم بخطورة الحركة الصهيونية ولم يقدر أضرارها حق قدرها إلا بعدما سمع هذا الكلام من زائره الزعيم اليهودي.

على أن هذه التصريحات من زعيم يهودي ليست رأياً ينفرد به أحد زعمائهم الدينيين أو السياسيين، فالواقع أن هذه هي عقيدة زعماء الصهيونيين من هرتزل ووايزمن وزنكويل والفرد موند، إلى بن غوريون واشكول ومأيير، وديان وييغال الون وابا ايبان وغيرهم من سياسيين ودينيين وعسكريين، فهم ينضحون بما في نفوسهم من تعصب ديني شديد، وأحقاد عميقة الغور من قرون بعيدة زادها ما أصابهم من غرور شدة وعنفاً ﴿قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾.

ولا يتسع المجال للافاضة في سرد ما أعلنه زعماء الصهيونية والصحف اليهودية

وأحبار اليهود ومن إليهم من سياسيين وعسكريين، للاستدلال به على ان حركتهم تقوم على أساس التعصب الديني، وعلى أن مطامعهم لا حد لها في فلسطين والأقطار العربية المجاورة، وأنهم يعتزمون بناء هيكلهم الديني على أنقاض المسجد الأقصى المبارك، فنكتفي في هذا المجال بايراد بعض الحقائق التالية موجهين إليها ابصار العرب والمسلمين وبصائرهم.

الصهيونية فكرة يهودية ذات هدف ديني وسياسي معا، وهي مأخوذة من كلمة «صهيون» أحد الجبال التي تقوم عليها مدينة القدس، وهدف الصهيونية العمل على تحقيق الطموح الديني اليهودي للاستيلاء على فلسطين وإقامة الدولة اليهودية فيها واعادة بناء معبدهم الديني المسمى «هيكل سليمان» على أنقاض المسجد الأقصى المبارك، وممارسة العبادة الدينية فيه!.

فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية (انسيكلوبيديا بريتانيكا)، طبعة عام ١٩٢٦ المجلد ٢٧ و ٢٨ الصفحة ٩٨٦ - ٩٨٧ تحت كلمة «الصهيونية» ما نصه:

«إن اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل واجتماع الشعب في فلسطين، واستعادة الدولة اليهودية، واعادة بناء الهيكل واقامة عرش داوود في القدس ثانية وعليه أمير من نسل داوود».

وجاء في دائرة المعارف اليهودية (جويش انسيكلو بيديا) المطبوعة باللغة الإنكليزية تحت كلمة «الصهيونية»:

«إن اليهود يبغون ان يجمعوا امرهم، وأن يقدموا إلى القدس ويتغلبوا على قوة الأعداء، وأن يعيدوا العبادة إلى الهيكل (أي مكان المسجد الأقصى) ويقيموا ملكهم هناك».

وأعلن الزعيم اليهودي «كلوزنر» رئيس جمعية الدفاع عن المبكى (أي مكان البراق وهو الحائط الغربي للمسجد الأقصى) في جريدة «بالستين ويكلي» اليهودية في أغسطس ١٩٢٩ قوله:

«المسجد الأقصى القائم على قدس الأقداس في الهيكل إنما هو لليهود».

وجاء في كتاب «مطامع اليهود» المطبوع سنة ١٩٤٨ صفحة ٩ ما نصه:

صرح رئيس حاخامي اليهود في فلسطين بأن عاصمة الدولة اليهودية لن تكون تل أبيب بل ستكون القدس، لأن فيها هيكل سليمان، ولان الصهيونية حركة دينية وسياسية معاً، وأن شبان اليهود سيضحون بحياتهم لاسترداد مكانهم المقدس الهيكل (مكان المسجد الأقصى)!.

وأعلن دافيد بن غوريون رئيس وزرائهم في تصريح له:

«انه لا معنى لفلسطين بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل».

وقد تلقيت، بصفتي مفتي فلسطين ورئيس المجلس الشرعي الإسلامي الاعلى، كتاباً من رئيس حاخامي اليهود في رومانيا «ابراهام روزنباخ» بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٣٠ يلح فيه على ضرورة إباحة المسجد الأقصى لليهود ليقيموا فيه الشعائر الدينية اليهودية! وقد كتب الحاخام المذكور بمثل ذلك إلى السكرتير العام البريطاني لحكومة فلسطين تحت رقم ٦٢ - ٤٨٧.

وقد صرح السير الفرد موند الزعيم اليهودي والوزير البريطاني السابق الذي أصبح فيما بعد «لورد ملتشت» تصريحاً خطيراً قال فيه: «إن اليوم الذي سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريباً جداً، وانني اكرس ما بقي من أيام حياتي لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى»!.

فلما اطلعت على هذا التصريح الخطير، استنكرته واحتججت عليه احتجاجاً شديداً، وقابلت حينئذٍ المندوب السامي البريطاني في فلسطين السر هربرت صمويل وطلبت منه أن يبلغ استنكار المسلمين إلى حكومته في لندن، فلم ألبث أن جاءني جواب من السكرتير العام البريطاني هذا نصه:

«حضرة صاحب السماحة السيد أمين الحسيني المفتي الأكبر في فلسطين.

بالإشارة إلى الحديث الذي جرى بينكم وبين فخامة المندوب السامي حول الاعتراض الذي ابديتموه على خطاب السير الفرد موند الذي أعلن فيه صراحة وهو أن يبني الهيكل مكان الصخرة المشرفة (المسجد الأقصى).

إن فخامته خابر المراجع العليا في لندن فتلقى الجواب التالي:

- جواب برقيتكم رقم ٢٤٨ المؤرخة في أول يوليو، إن الكلمات التي فاه بها السير الفرد موند كما يلي:

هو يعتقد أن فلسطين بوسعها أن تخرج إلى العالم ثانية رسالات دينية، وزيادة على هذا فإن السير الفرد موند كان شديد العناية بموضوعه فبين أن رغبته هي تشييد بناء عظيم من جديد تشييداً كاملاً في مكان هيكل سليمان (المسجد الأقصى)!.».

وصرح بمثل ذلك نورمان بنتويش الزعيم اليهودي الذي كان سكرتيراً قضائياً

لحكومة الانتداب البريطاني بفلسطين في كتابه «فلسطين اليهودية» المطبوع في لندن عام ١٩١٩.

ومنذ نحو نصف قرن زعم إسرائيل زانكويل أحد كبار زعماء اليهود «إن فلسطين وطن بلا سكان فيجب أن يعطى لشعب بلا وطن (أي اليهود) وقال ان الواجب الديني على اليهود في المستقبل أن يضيقوا الخناق على عرب فلسطين حتى يضطروهم إلى الخروج منها»!.

فالفكرة الصهيونية التي تعمل لتحقيق الأهداف اليهودية في فلسطين والأقطار العربية المجاورة، هي دينية قبل أي شيء، رغم ان معظم زعماء اليهود نشأوا في أوروبا وأمريكا، سواء في ذلك من نشأ منهم في الدول الرأسمالية، أو الدول الشيوعية، ورغم أن بعضهم شيوعيون ماركسيون ويعيشون في «الكيبوتز»[1] وبعضهم شديدو التعصب لدينهم كجماعة «اغودات إسرائيل» وهم الحزب الديني الذي يشترك في الكنيست بعدد من النواب ويحتفظ دائماً، منذ إنشاء دولتهم الباغية عام ١٩٤٨، بأربعة مقاعد وزارية في كل وزارة إسرائيلية هي وزارات: الاديان، والتربية والتعليم، والإرشاد القومي، والشؤون الاجتماعية.

وقد حدثت أزمة وزارية عام ١٩٥٠ لأن بن غوريون رئيس الوزارة حينئذٍ وافق على فتح مدرسة علمانية «لا بيك» واحدة تلبية لرغبة بعض الاميركيين الذين لهم نفوذ كبير لما يغدقون من أموال طائلة على دولة «إسرائيل»، فقد احتجت جماعة «اغودات إسرائيل» بشدة على ذلك واستقال وزراؤها الأربعة بسبب ذلك وقالت: إنه لا يجوز في إسرائيل السماح لأية مدرسة علمانية لا تعني بتعليم الدين اليهودي مهما كانت الظروف... واستمرت الازمة الوزارية فترة من الزمن، ولم تنته الا برضوخ بن غوريون وسحبه موافقته على فتح المدرسة العلمانية!!.

وفي ١٩٦٢/١٠/٢٨ أصدرت الحكومة الإسرائيلية قانوناً حرمت بموجبه على المدارس المسيحية في إسرائيل قبول أي طالب يهودي!. وقد نص القانون على العقوبات التي يجب أن يعاقب بها كل معهد يخالف أحكام هذا القانون، وكتبت الصحف اليهودية حينئذٍ تعلل القصد من هذا القانون وهو حماية الطالب اليهودي

(١) الكيبوتز: كلمة عبرية تعني (جماعة) وترمز إلى فئة من الناس يعيشون في مزرعة تتصف الحياة فيها بالتقشف وغياب الحياة الخاصة. اعتمدت الصهيونية هذا النظام لجلب يهود العالم وتوطينهم في فلسطين.

، التثقف بأية ثقافة غير الثقافة الدينية اليهودية....

ومما هو جدير بالذكر والعبرة، أنه لم تقم في «إسرائيل» لهذه المناسبة ولا لغيرها أية
ـاية معارضة أو شعارات معادية «لاغودات إسرائيل» ولم ينعتها أحد بالرجعية، ولا
ـت اليهود احداً من رجال الدين عندهم بالرجعية مع أن تعصبهم الديني بلغ حد
عتداء على سيارة سفير تركيا لأنه كان يركبها في يوم السبت فرجموها بالحجارة
ـطموا زجاجها وأصابوا السفير وبعض أفراد عائلته بجراح، وفعلوا مثل ذلك مع غيره
، بعض السفراء الأجانب...

وقد بلغ التعصب الديني من اليهود، حتى بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية التي
ـي حاميتهم وولية نعمتهم، حد الاحتجاج على الحكومة الأمريكية لإصدارها منذ امد
يب طابع بريد لمناسبة عيد الميلاد في العام الماضي يمثل السيد المسيح ووالدته السيدة
ـذراء، وحد إقامتهم قضية على الدولة في المحكمة العليا لأنها تعلم الدين المسيحي
ـي المدارس الحكومية!.

ومن دلائل التعصب الديني عند اليهود أن بعض القوات المسلحة اليهودية عندما
ـحمت سيناء عام ١٩٥٦ كانت تتقدم سيارات الجيش سيارة جيب فيها حاخام
ـودي وقد وضعت على مقدمتها نسخة كبيرة من التوارة. وعندما وطئت اقدامهم
ـض سيناء ترجلوا وقبلوا الثرى وأقاموا صلاتهم.

وعندما أحتل الجيش اليهودي القدس في حزيران ١٩٦٧ كان أول شيء عمله القواد
لضباط اليهود أن ساروا إلى مكان البراق الشريف (المبكى) يتقدمهم الحاخام غورين
ـضابط في الجيش فنفخ في البوق وفقاً لطقوسهم الدينية ثم اقاموا الصلاة هناك.

وقضية فلسطين واستيلاء اليهود عليها هي قضية دينية أيضاً بالنسبة للمستعمرين
ـضالعين معهم وفي مقدمتهم الإنكليز والاميركيون.

فقد أوضح هذا الجانب من القضية حاييم وايزمن الزعيم الصهيوني وأول رئيس
ـولة إسرائيل عندما تحدث في كتابه «التجربة والخطأ» فقال ان السبب الرئيسي لفوز
يهود في الحصول على وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، هو شعور
ـشعب البريطاني المتأثر «بالعهد القديم» أي بالتوراة.. ومعنى هذا ان العقيدة
ـبروتستانتية التي يعتنقها معظم الإنكليز والاميركيين تستند على العهد القديم (التوراة)
ـتي وردت فيها نبوءات فسرها اليهود لصالحهم واستغلوها ليحملوا الإنكليز
ـالاميركيين على أعادتهم إلى فلسطين.

يؤيد ذلك ان تشرشل وصف نفسه بأنه «صهيوني أصيل وأنه يصلي بحرارة لتحقيق أهداف الصهيونية العظيمة».

وقد استغل اليهود هذا الشعور الروحي المتأثر بالتوراة وسعوا جاهدين حتى تمكنوا من حمل نحو خمسة آلاف قسيس يمثلون معظم الكنائس البروتستانتية في الولايات المتحدة الأمريكية، على عقد مؤتمر في عام ١٩٤٤ استمر منعقداً عدة أيام واتخذ قرارات وقام باجراءات لصالح القضية الصهيونية.

يقول حاييم وايزمن في الصفحة ٢٠٠ من كتابه «التجربة والخطأ» في معرض حديثه عن المستر «لوسين وولف» وهو يهودي إنكليزي يعارض الفكرة الصهيونية:

«لم يكن ينطبع في ذهنه أن رجالاً من مثل بلفور وتشرشل ولويد جورج كانوا متدينين من أعماق نفوسهم، وأنهم يؤمنون بالتوراة (العهد القديم) إلى درجة أن عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين كانت بالنسبة إليهم حقيقة، من حيث أننا نحن الصهيونيين نمثل لديهم انتقال المعتقدات من جيل إلى جيل، وهو ما يجلونه كثيراً».

ولهذه المناسبة أذكر حديثاً جرى بيني وبين الجنرال السير وندهام ديدس، الذي كان أميناً عاماً لحكومة الانتداب البريطانية في فلسطين، وكان ينوب عن المندوب السامي البريطاني في غيابه، ففي اجتماع لي به في بعض المناسبات حضرت والدته وكانت سيدة كبيرة السن فاتجهت إليّ وقالت بحماسة: إني أرجوك أن لا تخالف ارادة الرب. فاستغربت قولها وسألتها: وكيف ذلك؟ فقالت: انك تقاوم ارادة الرب بمقاومتك مشروع الوطن القومي اليهودي. فقلت لها: إن الله عادل ولا يقبل الظلم، وأن كل من يخالف الحق والعدل ويعمل على إخراج شعب آمن من بلاده هو الذي يخالف ارادة الرب، فاخذت تجادلني بحماسة دينية حتى غادرت المكان، فعندئذٍ قلت للجنرال، وانا أتوقع أن يكون قد خجل من كلام والدته: أظن أن والدتك متأثرة بدعاية يهودية، الا أنه أجابني جواباً دهشت له وهو: إن ما قالته هو عقيدتها، وهي ليست منفردة فيها فأنا أيضاً اعتنق نفس هذه العقيدة؟!.

فهذه العقيدة الدينية البروتستانتية المتمكنة في الشعبين الإنكليزي والاميركي، كانت من أهم الأسباب التي جعلت دولتي أمريكا وبريطانيا ضالعتين مع اليهود ومتحيزتين لباطلهم في كل المواقف.

ولطالما كنا عرضة للوم بعض الناس ولاسيما المتأثرين بالثقافة الإنكليزية الأمريكية الذين كانوا يتهموننا بجهل العقلية الإنكليزية ولو أننا كنا نعرفها لحلت قضية فلسطين

كما حلت قضية مصر وقضية العراق وغيرهما، ولكن الحقيقة التي خفيت على أولئك اللائمين أنهم لم يتبينوا الفارق بين تلك القضايا وبين قضية فلسطين، وهو الفارق الديني الذي استغله اليهود وجعلوا قضية فلسطين مستعصية على الحل، الا لصالحهم.

أما بالنسبة للمسلمين ففلسطين وطن مقدس وعزيز جداً عليهم، فهي بلد المسجد الأقصى المبارك، والقبلة الأولى، والاسراء والمعراج والبراق الشريف والحرم الابراهيمي بالخليل وتضم الاماكن المقدسة ومراقد كثير من النبيين والصحابة والتابعين والأولياء والشهداء والصالحين، وتحت كل حجر منها شهيد كريم، وهي مباركة بنص القرآن الكريم وقد حفلت الأحاديث النبوية الشريفة والتاريخ الإسلامي بشيء كثير جداً عن قداستها. فالدفاع عن فلسطين والجهاد في سبيلها محتم على السبعمائة مليون من المسلمين. وكل مسلم في العالم يجد نفسه آثماً إذا لم يبذل أقصى جهده لإنقاذ هذه البلاد المقدسة، وكل من زار البلاد الإسلامية بعد نكبة الخامس من حزيران يعلم مدى شعور المسلمين وشدة غضبهم وعظيم استعدادهم للبذل والفداء في سبيلها.

إن ارتباط المسلمين الوثيق بفلسطين هو أقوى سلاح وانفذ سهم في أيدي المجاهدين الصادقين في سبيلها، ولذلك فإن الأعداء الذين يقدرون هذا الأمر حق قدره، يخشونه ويبذلون قصارى جهودهم لإبعاد المسلمين عن قضية فلسطين، ويخطئ العرب خطأ كبيراً إذا جحدوا هذه الحقيقة وكفروا بهذه النعمة ولم يسعوا جادين للافادة منها.

إن الأعداء، من يهود ومستعمرين، وبعض المخدوعين من العرب يحاولون بكل جهودهم إبعاد القضية الفلسطينية عن الإسلام، ويبثون دعايات مسمومة مضللة، فعلينا ان نحذر ذلك كل الحذر، وأن نوقن أن مناصرة المسلمين لنا في هذه المعركة ضرورة قصوى لا غنى لنا عنها إذا كنا نريد النصر.

فاليهود المتدينون انخرطوا في منظمات الهاغانا، والارغون تسفاي ليومي، والبالماخ وغيرها من المنظمات المسلحة اليهودية، وأن الذين انزلوا الضربة الوحشية في دير ياسين وبقروا بطون النساء الحوامل هم من اليهود المتدينين من جماعة «اغودات إسرائيل» الدينية!. ان كل من يحاول إبعاد الإسلام والمسلمين عن معركة فلسطين يقترف اثماً كبيراً ويرتكب خطأ عظيماً ويؤذي قضية فلسطين اذى جسيما. ﴿قل هل ننبئكم بالآخرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾.

أيها الأخوة الفدائيون!

اجمعوا الكلمة، ووحدوا الصفوف، وتعاونوا جميعاً على الجهاد والفداء ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

انا لا ندعو إلى نعرة طائفية، ولا إلى اختلاف، فنحن أهل فلسطين ضربنا المثل لكل البلاد العربية بالتعاون الوثيق بين المواطنين من مسلمين ومسيحيين، وأن كبار أهل الرأي والفكر والوطنية من مواطنينا المسيحيين يقدرون دعم المسلمين لقضية فلسطين حق قدره ويحضون عليه باقوالهم واقلامهم.

وإني أذكر لهذه المناسبة أن الصديق العلامة المرحوم الأستاذ فارس الخوري دعاني في صيف ١٩٥٦ إلى مأدبة غداء اعدها في بلودان تكريماً للدكتور محمد ناصر رئيس وزراء إندونيسيا السابق، فلما حضر الدكتور محمد ناصر ومعه بعض الشخصيات الاندونيسية وبينهم سفيراً إندونيسياً في كل من سورية ولبنان، وكانوا جميعاً يعرفون اللغة العربية استغرب الأستاذ فارس من ذلك وسألهم كيف تعلمتم العربية؟ فقالوا تعلمناها في بلادنا لأن من واجبات المسلمين الدينية أن يتعلموا العربية فهي لغة القرآن، والعبادة، وأن في بلادنا ألوفاً من المدارس التي تعلمها فضلاً عن مدارس الدولة، فقال الأستاذ فارس عندئذٍ: إن مئات الملايين من مسلمي العالم يتعلمون العربية وينشرون ثقافتها ويحجون إلى بلادها ويدعمون سياستها واقتصادها! ان هذا لربح عظيم، ولو كان العرب واعين وحريصين على مصالحهم لافادوا فوائد عظيمة من العالم الإسلامي، ولا شك في ان مصلحة العرب، المسلمين منهم والمسيحيين، تقضي عليهم ببذل قصارى جهودهم لتوثيق الروابط الاخوية بينهم وبين مسلمي العالم.

ذكرت فيما سبق من هذه المذكرات، إن قضية فلسطين هي قضية دينية قبل أن تكون قضية سياسية أو أي شيء آخر، وأن اليهود لم يقبلوا إنشاء وطن لهم الا في فلسطين حيث كان «الهيكل» لأسباب دينية محضة، وقد ورد في مذكرات كل من تيودور هرتسل زعيم الصهيونية الأول، وحاييم وايزمن أول «رئيس» جمهورية لإسرائيل، عن وقائع المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بال «سويسرا» عام ١٨٩٧، أن اقتراحاً عرض على المؤتمر بإنشاء وطن يهودي في اوغندا ومداغشقر بدلاً من فلسطين التي كانت حينئذٍ جزءاً من الدولة العثمانية، فرفض المؤتمرون ذلك رفضاً باتاً وقالوا أن اليهود لا يتجمعون إلا حول الهيكل في اورشليم، وكذلك رفضوا عرضاً آخر من روسيا القيصرية بأن يتخذوا من منطقة بيروديجان وطناً لهم يأوون إليه مع أنها أوسع من فلسطين وأخصب.

وبعد انفضاض المؤتمر توجه هرتسل إلى استانبول حاملاً رسالة المؤتمر إلى المرحوم السلطان عبد الحميد الثاني، وكان في صحبته زعيم اليهود في تركيا «قره صو» الذي أصبح فيما بعد نائب سلانيك في مجلس النواب العثماني، فعرض هرتسل على السلطان عروضاً سخية مغرية كتعهد اليهود بتسديد «الديون العمومية» أي جميع ما على الدولة العثمانية من قروض ضخمة، وتقديم قروض وفيرة للدولة بشروط سهلة لدعم اقتصادها وتنميته، ودفع مبالغ كبيرة سنوياً لقاء منحهم التوطن في فلسطين، ثم عرض مبلغاً ضخماً يقدمه اليهود للسلطان شخصياً!.

لكن السلطان رفض هذا كله وكان جوابه لهم: إني أنصح لكم ان تحتفظوا بهذه الأموال لأنفسكم، فإن جميع أموال اليهود لا تساوي في نظري حفنة واحدة من تراب فلسطين المقدسة، فلما سقط في أيدي هرتسل وقره صو ورفاقهم عادوا خائبين.

لكن هرتسل ورفاقه استمروا في محاولتهم ودفعوا كثيراً من الوسطاء للتأثير على السلطان، وانتهزوا فرصة زيارة قيصر المانيا ويلهلم الثاني القدس عام ١٨٩٨ فبادر هرتسل إليه في القدس مستعطفاً ليتوسط لدى السلطان لتلبية التماس المؤتمر الصهيوني، لكن السلطان ظل مصراً على موقفة الشريف، ولم يلبث أن أمر باتخاذ الوسائل الكفيلة بمنع اليهود من الهجرة أو التسلل إلى فلسطين، ووضعت الدولة نظام «الجواز الأحمر» الخاص بكل يهودي يدخل فلسطين سائحاً أو زائراً حيث تحجز الدولة جواز سفره يعطى بدلاً منه جوازاً أحمر مؤقتاً إلى حين خروجه من البلاد فيسترد عندئذٍ جوازه الأصلي.

وقد أوغر موقف السلطان المشرف هذا صدور اليهود فحقدوا عليه كثيراً، وجهدوا في خصومته وتشويه سمعته ومقاومته بكل وسائل الدعاية، مستخدمين في ذلك الماسونية وغيرها من منظماتهم السرية، وتضافرت منظماتهم مع الدول الاستعمارية على مناوأته خاصة وهدم كيان الدولة العثمانية بصورة عامة، حتى أنهم ارسلوا إليه رسائل تهديد، فرد عليهم بقوله: إني ما دمت حياً فلن افرط في ذرة من تراب الارض المقدسة «وقد ورد هذا النص في مذكرات هرتسل»، وقاموا يحرضون عليه في الداخل والخارج باذلين في سبيل ذلك أموالاً طائلة، واتخذوا من مدينة سلانيك المركز الرئيسي لدسائسهم ومؤامراتهم، لأنها تضم أوفر عدد من اليهود في الدولة العثمانية ولأنها من ناحية أخرى تضم عدداً كبيراً من «الدونمة»، وهي طائفة من اليهود تظاهر افرادها بالإسلام وانتحلوه وتغلغلوا في مناصب الدولة وتمكن بعضهم من بلوغ أعلى المناصب مثل «جاويد» الذي كان وزيراً للمالية، فكان منهم وزراء ونواب واساتذة وصحفيون

وتجار.. إلى أن تمكنوا من حمل بعض وحدات الجيش العثماني، ولاسيما التي كانت مرابطة في سلانيك، على خلع السلطان في ٣١ مارس عام ١٩٠٩.

ومما هو جدير بالذكر في هذا الشأن أن رئيس مجلس المبعوثان «مجلس النواب» أحمد رضا بك كلف مع وفد من النواب بإبلاغ السلطان قرار المجلس بخلعه، فاندس بينهم قره صو اليهودي ليذكر السلطان، بمقابلته السابقة مع هرتسل، فلما قابل الوفد السلطان في قصر «يلدز» خاطبه أحمد رضا قائلاً: يؤسفني يا صاحب الجلالة أن ابلغك أن الأمة قررت عزلك، فاجابه السلطان: يا بني! إن خليفة المسلمين لا يعزل بل يخلع. فقال أحمد رضا إني آسف فإن الأمة قد خلعتك، فقال السلطان: إذا كانت الأمة الإسلامية خلعت خليفتها فما دخل اليهودي القذر في ذلك؟ وأشار بإصبعه إلى قره صو.. فاضطرب اليهودي حين أشار إليه السلطان وتراجع متقهقرا.

وقد أشار إلى هذا الحدث المحزن المرحوم أحمد شوقي في قصيدته حيث يقول:

دخلوا السريرَ عليه يأتمرون في ربِ السريرِ...
قالوا إعْتَزِلْ، قالَ إعْتَزَلْتُ الحكم لله القديرِ
سموه «يلدز» والافول نَهايةَ النجِم النيرِ!

شوه اليهود سمعة السلطان عبد الحميد ونعتوه بالسلطان الأحمر المتعطش إلى الدماء وبالرجعي وبأنه كان يبغض الشبان التقدميين الجامعيين ويأمر باعتقالهم وتكبيلهم باصفاد الحديد ويلقي بهم في بحر مرمرة!؟ وكان الشاعر المرحوم حافظ ابراهيم ممن انطلت عليهم هذه الفرية فقال في ذلك قصيدة مطلعها: «كيف أصبحت يا ابن عبد المجيد».

مشبع الحوت من لحوم البرايا ومجيع الجنود تحت البنود

وهذه كبوة من حافظ إبراهيم الذي سبق له أن مدح السلطان بقصائد كثيرة كان آخرها قصيدته في افتتاح الخط الحديدي الحجازي في المدينة المنورة يوم الاحتفال بعيد جلوس السلطان التي مطلعها:

اثنى الجميع عليك والحرمان ومشى بعيد جلوسك الثقلان

وما كان بين قصيدة حافظ هذه التي بالغ فيها بالثناء على السلطان، وبين قصيدته التي اتهمه فيها بإشباع الحوت من لحوم البرايا، إلا قليل من الزمن؟!.

على أن هذه التهمة لم يكن لها أثر من الصحة بدليل ما حدث بعد ذلك عندما تولى الحكم حزب الائتلاف برئاسة الصدر الأعظم كامل باشا الذي خلف حزب الاتحاد و الترقي فقد نشرت الحكومة حينئذٍ إعلاناً في جميع الصحف طلبت فيه من جميع المواطنين الذين فقدوا احداً من أبنائهم أو اقربائهم في بحر مرمرة بامر السلطان عبد الحميد أن يتقدموا إلى الحكومة لاخذ التعويض، فلم يتقدم احداً مع ان الإعلان ظل منشوراً في الصحف اليومية مدة طويلة، وأيقن الناس عندئذٍ أن هذه التهمة افتراء محض ولا أساس لها من الصحة.

ولمناسبة اشتهار اليهود بتشويه سمعة خصومهم، لقد ورد بحث ما قام به اليهود من افتراءات على السلطان عبد الحميد في اجتماع لي مع الوزير الالماني هملر في مقره العسكري ببزوسيا الشرقية، فقال هملر: «إن هذا ديدن اليهود منذ أقدم عصور التاريخ «وكان هملر واسع الاطلاع في التاريخ» فهم الذين شوهوا سمعة الامبراطور الروماني «نيرون» الذي يؤكد الثقات القدامى من المؤرخين أنه كان من أعظم أباطرة الرومان عدلاً وخلقاً واصلاحاً، وقد غضب عليه اليهود لأنهم في أول عهده كانوا مسيطرين على الاقتصاد والتجارة في روما، وكان الشعب الروماني يئن من سيطرتهم واستغلالهم واحتكارهم، فتصدى لهم نيرون وانقذ الشعب من ظلمهم واستغلالهم، وما أكثر ضحاياهم من الابرياء المخلصين، حتى من الانبياء الصالحين»..

وقد سمعت هملر يشكو من قسوة اليهود، وهو الذي كان وزيراً للداخلية في المانيا، ثم صار مشرفاً على جميع الأقطار التي اجتاحها الالمان في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، وكان معروفاً بحزمه وصرامته فقد قص عليّ أنه زار أحد معتقلات اليهود في المانيا، وكان الالمان يستخدمون بعض الموظفين اليهود لادارتها، فرأى هملر أولئك الموظفين اليهود يقسون قسوة شديدة على أهل دينهم المعتقلين، وشاهد أحد الموظفين يضرب يهودياً ضرباً مبرحاً أثار شفقة هملر فانتهره وأمر بعزله..

ولمناسبة ذكر المعتقلات اليهودية في المانيا، لقد زعم بعض زعماء الصهيونيين أني زرت بعض هذه المعتقلات، واني حرضت الالمان على زيادة اضطهادهم، وهذا افتراء محض فاني لم أزر أي معتقل، ولم احرض احداً، فان الالمان لم يكونوا في حاجة إلى من يحرضهم، كما ان خطتنا وسياستنا لم تكن إبادة اليهود، بل كانت ولا تزال دفع أذاهم عنا وإبعادهم عن بلادنا.

وأضاف هملر قائلا: أننا عند احتلالنا هولنده شرعنا في القبض على اليهود فيها

باستثناء فئة منهم لم نلمس منها أي آذى، فكان افراد الشعب الهولندي يخفونهم، فأعلنا بأن ندفع عشرة فلورينات «والفلورين عملة هولندية» لكل من يدلنا على يهودي، فتقدم عدد غير قليل لمساعدتنا مقابل عشرة فلورينات عن كل شخص، والغريب أن جميع الادلاء كانوا من اليهود ولم يكن بينهم هولندي مسيحي واحد!.

فعندئذٍ ذكرت لهملر ما ورد في القرآن الكريم عن قسوة اليهود ومن ذلك الآية التالية: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وأن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار، وأن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وأن منها لما يهبط من خشية الله، وما الله بغافل عما تعملون﴾.

وكل من رأى قسوة اليهود الهائلة على النساء والأطفال والشيوخ في فلسطين، يشهد بأن وصف القرآن الكريم لقسوتهم حقيقة ساطعة.

وقد سجل التاريخ من قسوتهم وظلمهم شيئاً كثيراً، ومن ذلك ما جاء في الكتب اليهودية نفسها كالتوراة عن حادث احتلال اليهود لمدينة اريحا عام ١١٨٩ قبل الميلاد بقيادة يشوع بن نون وهي أول مدينة من فلسطين دخلها اليهود، فقد جاء في صفحة ٢٦٥ من التوراة في سفر يشوع ـ الاصحاح السادس ما نصه حرفياً عن حادث إحراق أريحا وقتل جميع أهلها:

«وحرموا (قتلوا) كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف».

«واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها، إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب».

ومن هذا القبيل ما جاء في بعض كتبهم الدينية: متى يا اورشليم (أي القدس) نحطم جماجم اطفالك على صخرتك؟

وقصة مقتل الراهب الكاثوليكي البادري توما الذي كان يعالج المرضى والأطفال في دمشق مشهورة وخلاصتها أن عدداً من حاخامي اليهود واحبارهم في دمشق تآمروا على قتل هذا الراهب فاختطفوه وقتلوه بعدما أسالوا دمه في أوعية ليستخدموها في صنع الفطير الذي يصنعونه كل سنة في أحد اعيادهم، وقد شاء الله أن تكتشف جريمتهم وتجري محاكمتهم في دمشق، وكان ذلك عام ١٨٤٠ أيام حكم محمد عليّ باشا لسورية ولبنان وحضر المحاكمة قناصل دولتي بريطانيا وفرنسا وامارة بيامونتي الايطالية، واعترف الحاخامون بجريمتهم ولكنهم برروها بأنهم قاموا بها امتثالاً لأوامر

دينهم وأنهم يأثمون إذا لم يحصلوا على دم أحد الكفرة (الغوييم) ويستخدموه في صنع الفطير...

وقسوة اليهود وفظائعهم لا نظير لها في الأمم والشعوب الأخرى، ولو شئنا أن نسترسل في إيراد أمثلة وشواهد عليها لطال بنا الحديث، وحسبنا شاهداً على ذلك فظائعهم في دير ياسين وكفر قاسم وناصر الدين وسكرير وحواسه وقلامية وخان يونس وغزة وكل مدينة وقرية فلسطينية دخلوها وعاثوا فيها فساداً وإجراماً، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون.

وبعد فان الأقوال الصادرة عن زعماء اليهود التي أوردتها هنا، فضلاً عن التصرفات التي يقوم بها اليهود كل يوم، تؤكد مدى خطورة مطامعهم الدينية، وشدة تعصبهم لعقيدتهم، فمثلاً، هم يسمون دولتهم «إسرائيل» ويسمون مجلس نوابهم «كنيست» ويعنون بتقاليدهم الدينية، ويسنون القوانين بمنع تعليم اطفالهم في غير المدارس اليهودية، ولا يسمحون بإنشاء أية مدرسة علمانية «لاييك». وقد سنوا قانوناً حرموا بموجبه على المدارس المسيحية في إسرائيل قبول أي طالب يهودي، ونصوا على العقوبات عند المخالفة، بينما نلقي نحن بابنائنا وفلذات اكبادنا إلى المدارس الأجنبية ونبذل المال في سبيل تثقيفهم ثقافة أجنبية تفسد عقائدهم وأخلاقهم.

فاليهود منذ عهد بعيد يتبعون خطة مبيتة لاغتصاب بلادنا، وتدمير مقدساتنا، وإبادة شعبنا والتعفية على آثارنا بحافز من تعصبهم الديني، وحقدهم العنصري، ويتخذون جميع الوسائل لتهويد فلسطين عامة، والقدس خاصة.

لقد كانت القدس محرمة على اليهود بنص العهدة العمرية التي اعطاها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لاهل ايلياء (أي القدس) كما كانت تسمى حينئذٍ، وفقاً لطلب البطريرك صفرونيوس عندما قدم عمر رضي الله عنه سنة ١٥ للهجرة النبوية ليتسلم مدينة القدس من أهلها بعدما حاصرتها جيوش المسلمين، فكتب لهم الخليفة عندئذٍ وثيقة الامان الشهيرة التي عرفت بالعهدة العمرية، وفيما يلي نص هذه الوثيقة التاريخية وهي محفوظة حتى الآن في دير الروم الخاص بالطائفة الارثوذكسية بالقدس:

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان.. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا من شيء من

أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما تعطي أهل المدائن، فمن خرج فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فأنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فأنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. كتب سنة ١٥ للهجرة وشهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان».

فهذه العهدة التاريخية الشهيرة التي كتبت على ورق وأمضاها الخليفة وشهد عليها عدد من كبار الصحابة وقواد جيوش المسلمين، وسجلتها كتب التاريخ المعتمدة، والتي نصت نصاً صريحاً على أن لا يسكن بايلياء التي هي القدس أحد من اليهود، ظلت محترمة ومتبعة في عهود الدول الإسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين، فالامويين، فالعباسيين، ولم تنقض الا في عهد محمد عليّ باشا والي مصر الذي ثار على الدولة العثمانية واحتل بلاد الشام، ومنها فلسطين، ففي عهد حكمه لهذه البلاد تمكن اليهود، بوسائلهم المعروفة وأموالهم الوفيرة وبواسطة الزعيمين اليهوديين البارون موشي مونتفيوري من سكان النمسا والموسيو كرومبو من سكان فرنسا، من الحصول على إذن لعشرة عائلات يهودية بدخول القدس والإقامة بها، خلافاً للعهدة العمرية، وقد اختارت القدس: أقدم اسم لها هو «اوروشالم» بنسبها إلى الاله «شالم» أي اله السلام لدى الكنعانيين. وقد وردت باسم «روشاليم» في الكتابات المصرية المعروفة بنصوص اللعنة. وأطلق على القدس اسم «يبوس» نسبة إلى اليبوسيين، وهم بطن من بطون القبائل العربية الذين سكنوا المنطقة في حوالي (٢٥٠٠ ق.م). وقد ورد اسم يبوس في الكتابات المصرية القديمة باسم «يابثي» و «يابتي». وفي أيام حكم الامبرطور الروماني «هادريان» أبدل اسم اوروشليم إلى «ايلياء» وذلك قرابة عام (١٣٥ م).

وقد اختارت هذه العائلات اليهودية سكنى حارة الشرف التي تشرف على المسجد الأقصى وتقع على مقربة من سور المسجد، فأخذ أولئك اليهود يزورون الحائط الغربي لسور المسجد الأقصى ويبكون خلفه، فأنكر أهل القدس ذلك عليهم وقدموا شكواهم إلى محمد عليّ باشا، فأرسل أمراً إلى متسلم القدس أحمد بك الدزدار بمنع اليهود من

«رفع الأصوات بالبكاء وقول المقالات» أي منع الصلاة، والاقتصار على الوقوف أمام الحائط.

فهذه العائلات اليهودية العشر كانت أصل الداء وأساس البلاء لأنها بدء هجرة اليهود إلى القدس «ومعظم النار من مستصغر الشرر».

فما يسميه اليهود حائط المبكى انما هو الجزء الغربي لسور الحرم الشريف وهو ملك إسلامي صريح وقد اعترفت بذلك لجنة البراق الدولية في تقريرها الذي وضعته، وهي لجنة تشكلت بقرار من مجلس عصبة الأمم في ١٩٣٠/١/١٤ على أثر الثورة المعروفة بثورة البراق عام ١٩٢٩، وقد نص التقرير على ما يلي:

«للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من املاك الوقف، وللمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفاً حسب احكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير».

وهنا نقطة أخرى ذات أهمية وهي أن عبارة «حائط المبكى» بدعة ابتدعها زعماء اليهود، ليربطوا اليهود في أنحاء العالم بمركز يبكون على ما وراءه، بغية تجميعهم لاعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى، فبعدما رأى الصهيونيون إن قضية الحائط تجاوزت اهميتها الدينية إلى الناحية السياسية التي يمكنهم استغلالها، ركزوا اهتمامهم عليه حتى أخذ طابعه السياسي، واقوى دليل على ذلك أن الانسكلوبيديا اليهودية التي نشرت عام ١٩٠١ لم تتضمن اية مادة تتعلق بحائط المبكى تحت أي اسم، في حين أن الانسكلوبيديا اليهودية العالمية التي نشرت عام ١٩٣٩ أي بعد عشر سنين من ثورة البراق ـ قد نشرت مادة عن الحائط المذكور مع اسمه اليهودي.

وهكذا فإن أقل تسامح مع العدو الطامع يؤدي إلى الضرر البالغ والخسارة الكبيرة، ولطالما كنت عرضة للوم والنعت بالشدة والتطرف لأنني لم أكن أقبل التفريط للصهيونيين في أي حق من حقوق الأمة مهما كان ضئيلاً، سواء في الشئون الدينية أو الوطنية، كنت اصر على الوقوف عند حدود الحالة الراهنة «الستاتوكو»، وكذلك الحال مع المستعمرين في الشؤون السياسية، لأن التساهل يؤدي إلى التفريط في الأمانة، وإهدار حقوق الأمة.

وكل تساهل مع اليهود يحفزهم إلى طلب المزيد، فان مطامعهم ليس لها حدود، فقد كانت مطالبهم في البدء لا تتجاوز رغبتهم في العيش بسلام، ثم العناية بشؤونهم

الدينية والثقافية، ثم تدرجوا في مطامعهم حتى اغتصبوا البلاد بأسرها، ثم لم يكتفوا بفلسطين وحدها بل تجاوزوها إلى البلاد العربية المجاورة، فهم يطمعون فيما بين النيل والفرات، ويطالبون بكل وقاحة واصرار بالمدينة المنورة وشمال الحجاز، فقد نقل عن موشي دايان أنه قال بعد دخوله القدس: لقد استولينا على اورشليم ونحن الآن في طريقنا إلى يثرب وبابل (أي المدينة المنورة والعراق)!

وأذكر في هذا الشأن أن المرحوم حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطني ووزير العدل السابق بمصر زارني في القاهرة في تشرين الأول من عام ١٩٤٦ وقال لي: إن الرئيس الاميركي روزفلت عند اجتماعه بالمرحوم الملك عبد العزيز آل سعود بفندق الفيوم القائم على بحيرة قارون بالأراضي المصرية عام ١٩٤٥ حمل إليه رغبة اليهود في الاقامة بالمناطق التي كانوا يقيمون بها قديما في شمال الحجاز (وهي مناطق بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع وخيبر وتيماء ووادي القرى) وتقع هذه المناطق في المدينة المنورة وضواحيها وشمالها، وأبلغه أن اليهود مستعدون لتقديم مبالغ كبيرة في سبيل ذلك، ولكن الملك عبد العزيز رفض العرض رفضاً قاطعاً رغم رجاء روزفلت.

وقد سافرت بعد ذلك للحج عام ١٩٤٩ والتقيت بعبد الله فيلبي في مني يوم عيد الاضحى، فحدثته بما رواه لي حافظ رمضان وسألته عما يعلمه من هذا الأمر، فأكّد لي فيلبي الخبر، وزاد على ذلك أن اليهود كلفوه هو أيضاً أن يتوسط لهم بذلك لدى الملك عبد العزيز لكن الملك رفض.

هذا ما سمعته من حافظ رمضان ومن فيلبي، ثم تحققت من أن اليهود لا يزالون على موقفهم ومطامعهم التي يسعون جاهدين لتحقيقها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وقد كنت قرأت تصريحاً في منتهى الوقاحة لأحد زعماء اليهود في أمريكا المدعو «بن هخت» نشره في جريدة نيويورك تايمس عام ١٩٤٨ هدد فيه العرب وقال أنهم لا يرضخون لنا ولا يخضعون الا إذا أرسلنا جيشاً يهودياً قوياً إلى يثرب «المدينة المنورة» وفعلنا كذا وكذا بقبر نبيهم.. وأظهرنا كل قوتنا، وبذلك يخضع العرب ويخرون على أقدامنا خانعين، فحملت معي نسخة النيويورك تايمس التي ورد فيها التصريح وعند مقابلتي للمرحوم الملك عبد العزيز في مكة المكرمة حدثته في أمر التصريح والجريدة، فنادى الشيخ يوسف ياسين قائلاً: يا يوسف هات الجريدة، فبادر الشيخ يوسف رحمه الله - وكان يشغل عندئذٍ منصب مدير الشعبة السياسية في ديوان الملك - وجاء بجريدة نيويورك تايمس فإذا بها نسخة من الجريدة التي أحملها!

فمطامع الصهيونية ووقاحتهم، وأنانيتهم وغرورهم وأحقادهم، تحفزهم إلى اقتراف أعظم الجرائم واقتحام أكبر الآثام، ومما شجعهم على ذلك موقف بعض البلاد العربية التي وقعت تحت ضغط الدول الكبرى الضالعة معهم، فليحذر العرب كل الحذر، وليعلموا أن العدوان اليهودي على العرب والمسلمين سيزداد ويستمر، وسيلقون من غدرهم ومكرهم واذاهم اضعاف ما نزل بهم، ما لم يعودوا إلى رشدهم ويقلعوا عن سياستهم الاستسلامية، ويعمدوا إلى جهاد أعدائهم بإيمان قوي وعزيمة لا تفل ﴿قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾.

وقائع الكفاح في الفترة (١٩٤٧ - ١٩٤٨):

عندما أعيد تأليف الهيئة العربية العليا لفلسطين في حزيران عام ١٩٤٦ كانت استعدادات اليهود العسكرية تنذر بشدة الخطر، لانهم كما سلف القول، كانوا يملكون حرية العمل خلال الحرب العالمية الأخيرة، وبعدما وضعت الحرب أوزارها أيضاً. وقد حصلوا على كثير من مختلف الأسلحة واحدثها، وتدرب كثير منهم جنوداً في الجيش البريطاني في مختلف أسلحته، بالأضافة إلى الفيلق اليهودي الذي سمح تشرشل بتأليفه والتحق، بعد انتهاء الحرب، معظم أفراده بأسلحتهم بقوة الدفاع اليهودية، وتواطأت المنظمات اليهودية مع السلطات البريطانية للحصول على السلاح والعتاد والاجهزة العسكرية الأخرى من مخلفات الجيش بالمجان أو بأثمان بخسة، وكانت لليهود وسائل عديدة للحصول على السلاح والمتطوعين من المجندين الاجانب من اليهود وغيرهم، لصلاتهم الوثقى بكثير من الدول الأجنبية، ولاسيما بريطانيا وأمريكا وعمالتهم لهما، وتواطؤهم معهما على تهويد فلسطين وربطها بعجلة السياسة الانجلو أمريكية، وعملوا على تحصين المدن والمستعمرات وتدريب شبانهم وفتياتهم تدريباً عسكرياً.

وكانت سياسة الإنكليز نحو الفلسطينيين عكس ذلك فقد كانت باكورة أعمالهم منذ احتلالهم فلسطين عام ١٩١٧ - ١٩١٨ جمع السلاح منهم وحظر حيازته عليهم، والحكم باشد الاحكام قسوة وصرامة على كل من يحمل سلاحاً من الفلسطينيين، ونفذوا بالفعل أحكاماً بالاعدام على عدد كبير من الفلسطينيين لحملهم سلاحاً أو ذخيرة ولو لم تكن ذات قيمة عسكرية، وكانت السياسة البريطانية ترمي إلى تجريد العرب من السلاح لاضعاف مقاومتهم، ولحماية اليهود

وتمكينهم من السلطة والسيطرة على فلسطين، واستمرت بريطانيا في سياستها هذه طول مدة انتدابها على فلسطين غير مدخرة وسعا في سبيل تسليح اليهود وتجريد العرب من السلاح.

وسعى الفلسطينيون سعيهم الحثيث للحصول على السلاح ما استطاعوا إليه سبيلا، لكن وسائلهم ومواردهم المالية كانت محدودة ولا تقاس بما كان لليهود من وسائل، لأن السلطات البريطانية كانت تعتبر اليهود أصدقاء وأولياء، وتعتبر العرب أعداء وخصماء، ومع ذلك استطاع الفلسطينيون في جميع ثوراتهم طول عهد الانتداب البريطاني ان يصمدوا في وجه القوات البريطانية، والقوات اليهودية المسلحة، بل ويتغلبوا على اليهود في ثورتهم عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨، في كثير من المواقع ويكبدوهم خسائر فادحة في الاشهر الخمسة الأولى التي اعقبت صدور قرار التقسيم، حتى دخول جيوش الدول العربية فلسطين في ١٥ ايار ١٩٤٨، وقيامها بعزل القوات الفلسطينية عن ميدان المعركة وحرمانهم من المال والسلاح وسائر وسائل الكفاح.

فالهيئة العربية العليا، إلى جانب سعيها الحثيث للحصول على السلاح والعتاد والاجهزة العسكرية، عملت على اعداد المجاهدين الفلسطينيين وتدريبهم، وتنظيم تشكيلاتهم، ووحداتهم ووسائل تموينهم وتعيين أهدافهم وخططهم، وتقوية روح الكفاح والقتال فيهم، واستعانت في ذلك بخبرة عدد من الضباط المتخصصين، فألفت «جيش الجهاد المقدس» بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني ومساعديه من قواد المناطق المشهود لهم بالبسالة والخبرة، وقد سبق لعدد منهم ان قاموا بدورات عسكرية في المانيا والعراق، بالأضافة إلى ما اكتسبوه من خبرة ودراية ومران في الثورات الفلسطينية السابقة التي جابهوا فيها القوات البريطانية واليهودية طول عهدهم بالانتداب البريطاني على فلسطين.

واعدت قيادة «الجهاد المقدس» بمعاونة عدد من ضباط سوريين ومصريين وعراقيين، برنامجاً دقيقاً واختارت الأهداف التي ستنفذ فيها عمليات الجهاد فبلغت (٣٦٠٠) هدف، ووضعت لكل هدف خريطته وتفصيلات تنفيذه وما يحتاج إليه من رجال وأسلحة ونفقات.

وقد نفذ قسم من برنامج هذه الأهداف في منطقة القدس، كنسف دار الوكالة اليهودية، وشارع بن يهودا، وشارع مونتفيوري، واقفال مضيق باب الواد، بين القدس ويافا، وحصار اليهود البالغ عددهم في القدس (١١٥) الفاً وقطع كل اتصال بهم

وكل مدد عنهم، حتى اشتدت بهم الحاجة إلى الطعام والماء والسلاح، وطلبوا التسليم في مظاهرات وقاموا بها حاملين الاعلام البيض.

وكذلك نفذ قسم آخر من هذه الأهداف في منطقة يافا ـ اللد في مراكز عديدة اتخذ منها اليهود قلاعاً وحصوناً لمهاجمة القرى والقوافل العربية وقطع مواصلاتها، كمعمل السبيرتو قرب مستعمرة نيتر اليهودية في مدخل طريق يافا ـ القدس، ومعمل النجارة، وعمارة حزبون على ذلك الطريق، ومعمل النجارة اليهودي الكبير قرب ضاحية أبو كبير في مدخل شارع هرتسل الرئيسي في تل أبيب، والمصنع الكبير للجير والطوب في قرية مجدل الصادق بالقرب من مستعمرة بتاح تكفا، والمركز العسكري اليهودي في مستعمرة هاتكفا وغيرها، فقد نسف المجاهدون الفلسطينيون جميع هذه الحصون والأوكار.

وكذلك نفذ قسم من هذه الأهداف في المنطقة الشمالية، كنسف عمارة المطاحن الكبرى قرب محطة السكك الحديدية بحيفا التي حولها اليهود إلى قلعة محصنة يعتدون منها على العرب، وكنسف دار شركة سوليل بونيه، وحصن يهودي آخر قرب مدرسة البرج، ونسف المركز اليهودي الجديد في حيفا، ومركز عسكري يهودي آخر قرب مستعمرة ياجور وغير ذلك.

وتم تنفيذ قسم آخر من هذه الأهداف في مدينتي صفد وطبرية بنسف عدة أوكار يهودية خطيرة، وانتصر العرب على اليهود في جميع المعارك التي خاضوها.

ولما اشتد خطر الهجوم اليهودي على القدس ومناطق أخرى من فلسطين، واقتضت الحال سرعة إيصال السلاح والعتاد إلى المجاهدين الفلسطينيين، عمدت الهيئة العربية العليا لاستئجار الطائرات ونقل السلاح عليها من القاهرة ودمشق، إلى فلسطين وبذلك تمكن أولئك المجاهدون الأبطال الذين كانوا يدفعون العدو عن اسوار مدينة القدس، من المحافظة عليها وصيانتها من السقوط في أيدي القوات اليهودية، ودفع العدو في الجبهات الأخرى.

ومما هو جدير بالذكر والشكر أن الحكومة المتوكلية اليمنية وضعت ثلاثاً من طائراتها تحت تصرف الهيئة العربية العليا لهذه الغاية.

ولا يفوتني هنا أن أنوّه بالطيار المصري الشاب السيد سوسة وأشكره على شجاعته وشهامته إذ وضع طائرته الخاصة تحت تصرف الهيئة العربية العليا لنقل السلاح والعتاد إلى القدس وتولى قيادتها بنفسه في أشد الأوقات حرجاً عندما كانت القدس مهددة بالسقوط في ايدي الأعداء.

ولو لم تنخدع بعض الجهات الرسمية العربية بوعود المستعمرين وتعمل بوحيهم، ولم تقم عراقيل في سبيل جهاد الفلسطينيين ودفاعهم عن بلادهم، ولم تبذل مساع للتضييق عليهم ومنع السلاح والأموال عنهم، لتمكن المجاهدون من تنفيذ برنامجهم وتحقيق سائر أهدافهم ولما أصبح الوضع في فلسطين على ما هو عليه اليوم، بل لو نفذت الخطة التي وضعتها اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية واقرها مجلس الجامعة في «عاليه» في خريف عام ١٩٤٧ لما قام لليهود هذا الكيان العدواني في فلسطين الذي أصبح بلاء عظيماً وشراً مستطيراً على الأمة العربية.

ولما شرعت اللجنة العسكرية المذكورة في تنفيذ خطتها المبنية على تقريرها الذي وافق عليه مجلس الجامعة والمشتمل على وجوب جعل الفلسطينيين في وضع مماثل لوضع اليهود، من حيث التسلح والتدريب، وتحصين مدنهم وقراهم تحصيناً عسكرياً فنياً، وأن يكونوا الأساس المعول عليه في الدفاع عن بلادهم، ووجوب مرابطة الجيوش النظامية للدول العربية على حدود فلسطين، دون دخولها، لتقوية الفلسطينيين ومساعدة المجاهدين عند الضرورة بالسلاح والعتاد والضباط وبعض الوحدات الفنية ـ عندئذ استدعت الهيئة العربية العليا أكثر من ألف شاب من شبان فلسطين إلى سورية ليتدربوا في معسكر «قطنة» وشرعت اللجنة العسكرية في تنفيذ برنامج التسلح.

وقامت الهيئة العربية العليا من جانبها، بتصنيف المجاهدين الفلسطينيين الذين انضووا تحت لواء جيش الجهاد المقدس إلى ثلاثة اصناف:

الصنف الأول: المجندون تحت السلاح ليكونوا قوة متحركة ضاربة مستعدة للعمل، فهؤلاء كانت الهيئة تقدم اليهم السلاح والعتاد وتدفع اليهم مرتبات شهرية متواضعة.

الصنف الثاني: المجاهدون الذين جهزوا بالسلاح والعتاد، واعدوا للنجدة عند المعارك ليكونوا قوة احتياطية وراء خطوط القتال، فهؤلاء كانت تعطى لهم بعض المخصصات المالية القليلة.

الصنف الثالث: المجاهدون المقيمون في القرى، فهؤلاء يشتركون في المعارك التي تقع في مناطقهم أو في جوارها، وتمدهم الهيئة العربية ببعض الأسلحة والعتاد وفقاً للحاجة والاستطاعة.

ولهذه المناسبة أذاعت القيادة العليا للمجاهدين في فلسطين البلاغ رقم (١) التالي:

بلاغ رقم ١

بلاغ من القيادة العليا لفلسطين

إلى معشر المجاهدين المرابطين

من عرب فلسطين

باسم الله العليّ القدير، واسم هذا الوطن المبارك الذي هددته المطامع الاستعمارية، وعاثت فيه شذاذ الصهيونية، وأصبح على شفا الخطر الشديد من جراثيم الأوبئة اليهودية التي استحلت دماء العرب الزكية وأرواحهم البريئة، وطمعتْ في اغتصاب أرضهم وديارهم وإجلائهم عنها بالقوة الغاشمة المسلحة، حتى بلغ الأمر بأولئك اليهود الصهيونيين الباغين المعتدين حدّ الطمع في قبلة المسلمين الأولى وهي المسجد الأقصى المبارك، وفي مهد المسيح عليه السلام، وتحويل هذا التراث العربي المقدّس الذي دافع عنه العرب ثلاثة عشر قرناً ونيفاً بالمهج والارواح، إلى مملكة يهودية تجمع شذاذ الآفاق وعناصر الفساد والشقاق من كل امة ودولة.

باسم الله والوطن تعلن القيادة العليا لحركة الجهاد العربي في فلسطين، الشعبَ العربي الفلسطيني الباسل، ومن ورائه سائر الشعوب العربية والإسلامية، شروعها في الجهاد المبارك، وتسلمها زمام العمل للدفاع عن حياض هذا الوطن العربي المهدد، بيد مخلصة حازمة، ونفس قوية لا يتطرق إليها الوهن، ولا تستهدف الا إنقاذ هذا الوطن المقدس ودفع الكارثة عنه، مستلهمةً القوة والتأييد من روح الله العليّ القدير القائل في كتابه المنير: ﴿أُذنَ للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وأنّ اللهَ على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفعُ الله الناسَ بعضَهم ببعض لهدِّمت صوامعُ وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسمُ الله كثيرا، ولينصرنَّ اللهُ من ينصرهُ، إن اللهَ لقويٌّ عزيز. الذين إن مكّنّاهم في الارض أقاموا الصلاةَ وآتواُ الزكاةَ وأمروا بالمعروف ونهوْا عن المنكر، ولله عاقبةُ الأمور﴾.

ياعرب فلسطين!

لقد عَدَتْ عليكم وحوش الصهيونية وحثالات الطامعين الغربيين والشرقيين من اليهود الغادرين الذين لا يرقبون فيكم إلاّ ولا ذمة، ولا يرعون لكم عهداً، ولا يحفظون لكم حقاً، والذين اجتمعت كلمتهم على اغتصاب وطنكم،

وانتهاب بلادكم وطمس معالم العروبة والإسلام من دياركم، يمدهم اهل البغي والظلم من الاميركيين والاوروبيين بقصد استعبادكم واذلالكم فثرتم على الظلم وشرعتم تقاتلون البغاة المعتدين بما عرف عنكم من نجدة، وما عهد فيكم من أباءٍ وشمم. أنتم بقية السيوف، وأهل الحتوف، ذاكرين ربكم: ﴿ولَمن انتصرَ بعدَ ظلمة فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين. وثقوا بالفوز والنصر؛ ولا يهولنكم ما أعده الأعداء لقتالكم من الرجال والسلاح والأموال، فسيكون بإذن الله رجالهم للهلاك والوبال؛ وسلاحهم وأموالهم انفالاً. واجعلوا موطئ أقدامكم، ودُبُر آذانكم أراجيفَ المرجفين من أذناب اليهود والمستعمرين، وقولوا كما قال اجدادكم المجاهدون الاولون ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ عندما قال لهم الناسُ إنَّ الناسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ذلك إيماناً وانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء. وإنما ذلكم شيطان اليهود يخوِّف أولياءه ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾.

يامعشر المجاهدين والمرابطين من أهل فلسطين!

اجّمعوا أمركم ووّحدوا صفوفكم، واحذروا كيد اعدائكم، وأطيعوا الله والرسول واولى الأمر منكم، وأعدُّو لهذا اليوم عدتكم، فإنّ عيون ملايين العرب والمسلمين تتطلع نحوكم، وافئدتهم تهوي إليكم، فوالله إنكم لن تغلبوا من قلة، ولا يتربص بكم الأعداء الا أحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وأنتم تتربصون بهم أن يصيبهم الله بعذاب من عنده أو بأيديكم، والله غالب أمره والعاقبة للمتقين، وإنه لا عدوان الا على الظالمين.

١ صفر الخير سنة ١٣٦٧ (١٤/١٢/١٩٤٧)

القيادة العليا لفلسطين

* * *

وقد عمت فلسطين عندئذٍ موجة عارمة من الحماسة والاندفاع للقتال، وأخذت المعارك تتوالى بين الفلسطينيين واعدائهم، وبدت كفة العرب راجحة في اواخر عام ١٩٤٧ والشهور الأول من عام ١٩٤٨، وتفوق العرب في سلسلة من المعارك في مناطق القدس وبيت لحم والخليل كمعارك القدس القديمة والقدس الجديدة، والشيخ جراح، وقالونية، وعين كارم، وباب الواد، ومستعمرات النبي يعقوب، ورامات راحيل،

وميكور حاييم، ومعارك الدهيشة، والخضر، وصوريف، وكفار عصيون، وعرتوف، وبيت اكسا، وبيت سوريك، واغلق المجاهدون مضيق باب الواد نهائياً في وجه القوافل المسلحة اليهودية وبذلك احكموا الحصار على القدس الجديدة التي يسكنها أكثر من مئة ألف يهودي ومنعوا كل اتصال بينها وبين تل أبيب كما احكموه على الحي اليهودي في المدينة القديمة حتى رفع السكان اليهود الرايات البيض طالبين التسليم.

وفي منطقة يافا واللد والرملة التي كانت من أشد المناطق خطراً، قام جيش الجهاد المقدس بقيادة الشهيد الشيخ حسن سلامة باعمال باهرة في المعارك التي نشبت في يافا وحول اللد والرملة ورأس العين وبيت دجن والعباسية ويازور وسلمة وهاتكفا وكانت هذه المعركة الأخيرة من أشهرها، ووقف المجاهدون مواقف عظيمة في مدينة يافا وضواحيها أبو كبير، والمنشية، والعجمي، وتل الريش وغيرها.

وفي المنطقة الشمالية من فلسطين انتصر المجاهدون في معارك الطيرة والياجور وبلد الشيخ والكويكات ومستعمرات مرج ابن عامر ومعارك لوبية وترشيحا ومعليا وصفد والمغار، وكافحوا القوات اليهودية في حيفا وطبرية، وكبدوا الأعداء خسائر فادحة، وحافظوا على الأراضي والممتلكات في تلك المناطق إلى أن تسلمها «جيش الإنقاذ» الذي الفته الجامعة العربية وسبقت الاشارة إليه.

كان اليهود مأخذوين بغرورهم واعتزازهم بقوتهم، فأعلنوا التعبئة العامة وأخذوا يعتدون على العرب ويغدرون بهم، ووجهوا اليهم الانذارات، وفي ذلك الحين كان بعض الفلسطينيين يعتقدون أن لا خلاص لفلسطين إلا بتدخل الجيوش النظامية العربية، لكن المعارك المتوالية التي خاضها الفلسطينيين وانتصروا فيها انتصاراً مبيناً رغم قلة أسلحتهم وضعف وسائلهم، ولاسيما معارك القدس وباب الواد والدهيشة وصوريف وسلمة حطمت عنفوان اليهود وبدلت رأي الضعفاء من العرب وأعادت إليهم الثقة بالنفس والاعتزاز بالكرامة.

فلما رأى الإنكليز انتصار الفلسطينيين في معظم المعارك التي خاضوها وخشوا من تفاقم حرب العصابات أن يحبط مخططهم الرامي إلى القضاء على عروبة فلسطين، ساورهم القلق وبادروا بتقديم مذكرة إلى السلطات العربية الرسمية اعترضوا فيها على تسليح الفلسطينيين وتدريبهم ووصفوه بأنه «عمل غير ودي» Unfriendly act وزعمت المذكرة البريطانية ان الفلسطينيين يقتلون اليهود بقسوة وبدون رحمة، وأن الرأي العام العالمي يعطف على اليهود ولذلك فإن ما يقع عليهم من أعمال القسوة في

فلسطين من شأنه ان يثير الرأي العام على العرب الذين يساعدون الفلسطينيين في موقفهم، ثم تابع الإنكليز اعتراضهم وضغطهم على الحكومات العربية حتى حملوها على تبديل الخطة العسكرية التي تقررت في عاليه وعلى ادخال جيوشها إلى فلسطين.

وهكذا كانت تلك المذكرة وما تبعها من ضغط سياسي السبب الرئيسي في قلب الاوضاع وهدم الركن الأساسي في خطة الدفاع عن فلسطين.

ولم تلبث بعد ذلك أن ظهرت سياسة اقصاء الفلسطينيين عن ميادين المعركة ومنع الأسلحة والأموال عنهم، بل ومهاجمة قوات الجنرال غلوب لقوة الجهاد المقدس في منطقة رام الله وتشتيتها والاستيلاء على سلاحها وعتادها ولوازمها.

/ ومن دواعي الاسف الشديد أن الفريق طه الهاشمي الذي استدعته الحكومة السورية وعهدت إليه أمر الاشراف على التطوع والتدريب والتجهيز، قد شارك في خطة اقصاء الفلسطينيين عن ميدان المعركة، إذ قام بتسريح الالف شاب الذين استقدمناهم من فلسطين للتدريب في معسكر قطنة، فلما بلغني الخبر قابلت الفريق طه وسألته عن سبب تسريح أولئك الشبان، فقال أنهم متمردون ولا يصلحون للجندية، فابديت له استغرابي من ان يكونوا كلهم متمردين وقلت له إنك عسكري كبير وتعلم قوانين الجندية، والجندي المتمرد يعاقب ولا يعقل ان يكون كل هؤلاء الشبان متمردين، فإذا تمرد منهم بضعة افراد فليعاقبوا وفقاً للنظام العسكري، ولا يجوز أن تؤخذ الاكثرية البريئة بجريرة فرد أو افراد متمردين. ولا شك في أن موقف الفريق طه كان نتيجة للضغط البريطاني.

وبرغم سياسة الاقصاء والحرمان هذه فقد ظلت قوات الجهاد المقدس الذي الفته الهيئة العربية العليا وظلت تمده بالأسلحة والأموال تقوم بأعمال رائعة منذ أواخر عام ١٩٤٧، إلى ما بعد انسحاب القوات المصرية من قطاع الخليل ـ بيت لحم وانسحاب القوات العراقية من قطاع جنين ـ طولكرم ـ كما سنبينه فيما بعد.

ولتبرير اقصاء الفلسطينيين عن ميدان المعركة، قامت أجهزة المخابرات البريطانية واليهودية، وغيرها من الدوائر الموالية لها، بدعايات واسعة مضللة، واشاعات كاذبة ومثيرة عن الفلسطينيين تلصق بهم تهماً فظيعة كتجسسهم على الجيوش العربية وبيعهم جنودها وضباطها لليهود الأعداء، مما لا أثر له من الحقيقة ولا يعقل ان يقترفه الفلسطينيون الذين هم أعظم الناس مصيبة باليهود والمستعمرين واشدهم بغضاً لهم وحقداً عليهم.

وبرغم كل التدابير والاجراءات التي اتخذت لاقصاء الفلسطينيين عن ميدان المعركة وحرمانهم من السلاح والمساعدات المالية فقد استمرت قوات الجهاد المقدس في مراكزها شهوراً طوالاً تتصدى للأعداء في مختلف المناطق الفلسطينية، وبين يدي الآن تقارير عديدة من القادة عبد القادر الحسيني قائد جيش الجهاد المقدس وحسن سلامة قائد المنطقة الوسطى يافا ـ اللد ـ الرملة وما يجاورها، والشيخ توفيق ابراهيم قائد منطقة الناصرة ـ طبرية ـ مرج ابن عامر، ومحمد الحمد الحنيطي قائد مدينة حيفا ومنطقتها وغيرها وهي تتحدث عن الوضع الملائم للقوات الفلسطينية وتطالب بمزيد من الدعم بالسلاح والعتاد والنفقات الضرورية للمحافظة على هذا الوضع المتفوق.

وكانت المعلومات عن الوضع العسكري في مناطق القتال تصلنا ليلاً ونهاراً دون انقطاع بواسطة الأجهزة اللاسكلية التي اشتريناها وزودنا بها قيادات المجاهدين في القدس والخليل وبيت لحم وغزة والناصرة ومكاتب الهيئة في القدس ودمشق وبيروت والقاهرة ومرسي مطروح وغيرها، فمن ذلك برقيتان تلقيناهما من القدس بتاريخ ١٧/٥/١٩٤٨ لإعلامنا أن اليهود في المدينة القديمة بالقدس طلبوا الاستسلام عن طريق حارس املاك الأراضي المقدسة، فوضعت القيادة العربية الشروط فقبلها اليهود، وكانت مماثلة لشروط استسلام حامية كفر عصيون[١] اليهودية أي:

١) ـ تسليم جميع الأسلحة.

٢) ـ تسليم جميع الرجال أسرى حرب.

٣) ـ تسليم النساء والأطفال لجمعية الصليب الأحمر.

لكن اليهود نقضوا الوعد فاستؤنف القتال وقامت المدفعية الثقيلة بقصف أحياء اليهود، وأن القائد ابراهيم أبو دية[٢] يقوم بقصف مراكز اليهود في القطمون ومستعمرة رامات راحيل ويتقدم بمساعدة مجاهدي قرية صور باهر.

وأضافت البرقية أن قنصل بلجيكا بالقدس يفاوض الجانب العربي لاستسلام اليهود في القدس القديمة.

وتضيف البرقية أن الذخيرة التي أرسلناها من القاهرة بالطائرة قد وصلت في الوقت

(١) كفر عصيون: مستعمرة يهودية في منطقة استراتيجية تتحكم بطريق القدس ـ بيت لحم ـ الخليل.

(٢) ابراهيم أبو دية: ١٩١٩ ـ ١٩٥١ من قرية صوريف ـ الخليل ـ مجاهد قائد مجموعة من الجهاد المقدس، شارك في ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ومعارك ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ وخاصة معركة القسطل الشهيرة.

المناسب وأن حمولة الطائرة الكبيرة أحيت الآمال، وتلح البرقية على ضرورة إرسال حمولة خمس طائرات غداً لكسب المعركة وإرسال بقية مدافع الميدان وذخيرتها وقنابل ميلز وقنابل هاون بكثرة.

ثم أضافت البرقية أن قنصل بلجيكا بالقدس يفاوض الآن قيادة المجاهدين العرب لقبول استسلام اليهود في المدينة القديمة، وكنت حينئذٍ في دمشق فقابلني قنصل سورية في القدس بالنيابة عن البعثات الدبلوماسية فيها وابلغني رغبة اليهود في الاستسلام وانه جاء دمشق خصيصاً للتفاهم على ذلك.

وتحذيراً للمجاهدين من التعرض للاماكن الدينية على اختلافها ومن قتل النساء والأطفال والشيوخ والاسرى، ومن الإساءة إلى الجاليات الأجنبية والهيئات والمؤسسات السياسية ومعاهدها وممتلكاتها اصدرنا البلاغ رقم (٦) التالي صورته ونصه:

الهيئة العربية العليا
لفلسطين
القاهرة

ديوان الرئيس

بلاغ رقم (٦) الى قادة المجاهدين

١- ينبغي تحذير جميع المجاهدين من التعرض للاماكن الدينية في البلاد على اختلاف الاديان والعقائد، فلا تمس بسوء، ولا تُدخل عنوة، ويجتنب القتال فيها. وكذلك جميع المعاهد التابعة لها من اديرة ومدارس ومؤسسات.

٢- ينبغي تحذير المجاهدين من قتل الاطفال والنساء والشيوخ والاسرى والحيوان، وكل ما لا يتناسب مع تقاليد الشهامة العربية.

٣- اجتناب الاساءة الى الجاليات الاجنبية على اختلاف اجناسها، وكذلك الهيئات والمؤسسات السياسية ومراكزها الرسمية ومساكنها الخاصة ومدارسها وجميع معاهدها وممتلكاتها.

٢٤/١٢/١٩٤٧

رئيس الهيئة العربية العليا

صورة للبلاغ رقم (٦) الموجه إلى قادة المجاهدين

بلاغ رقم (٦)

إلى قادة المجاهدين

١ - ينبغي تحذير جميع المجاهدين من التعرض للاماكن الدينية في البلاد على اختلاف الاديان والعقائد، فلا تمس بسوء، ولا تدخل عنوة، ويجتنب القتال فيها. وكذلك جميع المعاهد التابعة لها من أديرة ومدارس ومؤسسات.

٢ - ينبغي تحذير المجاهدين من قتل الأطفال والنساء والشيوخ والأسرى والحيوان، وكل ما لا يتناسب مع تقاليد الشهامة العربية.

٣ - اجتناب الإساءة إلى الجاليات الأجنبية على اختلاف أجناسها، وكذلك الهيئات والمؤسسات السياسية ومراكزها الرسمية ومساكنها الخاصة ومدارسها وجميع معاهدها وممتلكاتها.

١٩٤٧/١٢/٢٤

رئيس الهيئة العربية العليا

محمد أمين الحسيني

* * *

ثم تلقينا برقية ثالثة في اليوم التالي ١٩٤٨/٥/١٨ جاء فيها: «تعب جنودنا على أثر المعارك لقلة عددهم بالنسبة لليهود ولقلة ذخائرهم فهم لم يستريحوا منذ ثلاثة أيام، بينما يقذف اليهود بأفواج جديدة كل بضع ساعات، وحدثت معركة هائلة ليلة أمس عندما حاولت القوات اليهودية اختراق باب حي النبي داوود للاتصال بيهود المدينة القديمة ففشلوا وردوا على اعقابهم، وجرت محاولة لاقناع قواد الجيش العربي (الأردني) لإرسال مدفعيتهم إلى القدس وأن سرية منهم رابطت حول الحي اليهودي بالقدس القديمة مع رجال الجهاد المقدس».

وفي صباح ١٩٤٨/٥/٢٦ تلقينا برقية من القدس جاء فيها: «علمنا من مصادر موثوق بها في القدس ان اليهود يقاسون من قلة المياه والطعام والمحاربين وأنهم يطلبون انجادهم بالماء والطعام والجنود وهددوا بالتسليم إن لم يلبَّ طلبهم، وقد نزح معظم السكان اليهود إلى قرية قالونية ومستعمرة بيت هاكيرم، وقصفت المدفعية العربية اليوم احياءهم فشبت حرائق كبيرة وكل يوم تتضاءل المساحة التي يحتلونها في البلدة القديمة.

وأضافت البرقية «أن رجال الجهاد المقدس يسيطرون الآن على مستعمرة (رامات راحيل)، وأن ألف يهودي احتشدوا ليلة امس في بلدة «خلدة» وساروا على الاقدام بعتادهم إلى «عرتوف» فداهمهم المجاهدون الفلسطينيون بالتعاون مع الجيش العربي وقتلوا منهم ثلاثمائة شخص واسروا تسعة».

وفي المدة نفسها حدثت معركة مستعمرة كفار عصيون الواقعة على المرتفعات على طريق القدس ـ الخليل وهي من أقوى المستعمرات اليهودية المحصنة ومؤلفة من عدة مستعمرات متجاورة، وقد كان يقوم بحماية هذه المستعمرة عدد من قوات الهاغانا وعصابتي شترن وارغون زفاي لئومي، وكانت تتصدى للقوافل العربية وتقطع الطريق عليها، ولم يكن بد من إزالة هذه العقبة الكؤود من طريق القوافل العربية، ففي يوم ١٩٤٨/٥/١٢ تصدت القوات العربية لهذه المستعمرة وقصفتها بالمدفعية ثم اطبقت عليها بعد مقاومة شديدة واستمرت المعركة يومين ثم اقتحمت المستعمرة وسقط معظم من فيها من المحاربين اليهود قتلى وجرحى وتم أسر الباقين.

وفي ١٩٤٨/٥/١٥ تلقيت برقية من مركز القيادة في القدس هذا نصها:

«انتهت معركة كفار عصيون بمقتل ٢٢٠ يهودياً واستسلام ٣٧٠ من المستعمرات المجاورة أخذوا اسرى واستولى المجاهدون على ست مصفحات وثلاثمائة بندقية وعدد من الرشاشات وكميات من الذخائر، النساء والأطفال والعجزة سيسلمون إلى الصليب الأحمر، احرقت طائرتان للعدو، استشهد من القوات العربية ثلاثون رجلاً، وتم نسف معظم بيوت المستعمرة».

وبعض المصادر العربية ترفع عدد قتلى اليهود في معركة كفار عصيون إلى ما يزيد على خمسمائة جندي».

اتخذت قيادة جيش الجهاد المقدس خطة مهاجمة طرق المواصلات اليهودية وتدمير قوافل العدو المسلحة المحروسة، بوضع الالغام في طريقها ثم مهاجمتها، ولذلك عمد اليهود إلى تصفيح سياراتهم بالدروع حتى لا يخترقها الرصاص، لكن ذلك لم يثن المجاهدين عن مهاجمتها والفتك فيها، ففي ١٩٤٨/٣/٢٧ وقعت معركة الدهيشة وهي نقطة تقع على طريق القدس ـ الخليل قرب بيت لحم عندما كانت تسير قافلة يهودية كبيرة مسلحة ومحروسة بثماني مصفحات، فتربص بها المجاهدون حتى إذا ما عادت من المستعمرات اليهودية متوجهة إلى القدس تصدى لها المجاهدون ونسفوا المصفحة الأولى في مقدمة القافلة والسيارة الأخيرة وبذلك عطلوا حركة القافلة كلها

ثم أطبقوا عليها من عدة جهات ودارت معركة حامية انتهت باستسلام القافلة التي كانت مهددة كلها بالفناء إن لم يتم استسلامها، وغنم المجاهدون جميع أسلحة القافلة وسياراتها، فكان فيها ما يربى على ٣٠٠ رجل سقط منهم مئة واربعون رجلاً بين قتيل وجريح. وسارع الجنود الإنكليز لإنقاذ القافلة لكنهم وصلوا متأخرين بعد الاستسلام.

كانت خطة جيش الجهاد المقدس تقضي بالدفاع عن مدينة القدس التي أحاطها اليهود بعدد من مستعمراتهم الحصينة لأنها هدفهم الديني والسياسي، ولذلك اتخذ القائد الشهيد عبد القادر الحسيني، منذ انطلاقه من مصر ووصوله إلى منطقة القدس، خطة الدفاع عنها عن طريق مهاجمته المستعمرات اليهودية المحيطة بها شمالاً وشرقاً وجنوباً، لتعطيل حركتها، وجعلها غير قادرة على تنفيذ اية خطة عسكرية، فهاجم مستعمرتي (نيفي يعقوب) و (عطاروت) الواقعتين شمالاً على طريق القدس ـ نابلس، وابطل حركتهما، ثم أرسل مفارز إلى المستعمرات الواقعة جنوباً وغرباً، وهي (ميكور حاييم) و(رامات راحيل) و(تل بيوت)، فأخذت تهاجمها حتى اخمدت حركتها، ثم تقدم نحو القدس وهاجم قوة الهاغانا في محلة (سانهدريا) المجاورة لمحلة الشيخ جراح، وأوقع فيها خسائر فادحة، وقام فصيل التدمير الذي يعمل تحت امرته بنسف محلة المونتفيوري وشارع بن يهودا ودار الوكالة اليهودية وعمارة البالستين بوست، وهي أعمال اقضت مضاجع اليهود، واوقعت فيهم الذعر والهلع، وكانت حصيلتها مئات من القتلى والجرحى، وخسارة ما قيمته ملايين الجنيهات من الممتلكات.

وقال في رسالة بعث بها اليَّ في ١٩٤٨/١/٤:

«إن اليهود ينقلون قواتهم من كل مكان إلى القدس، وأن خسائر الهاغاناه في القدس جسيمة جداً، ونحن نحاول قطع جميع طرق المواصلات اليهودية المؤدية إلى القدس، وننتقل من مكان إلى آخر حسب الظروف، ونتصل بالرجال المسؤلين لإعداد نظام ثابت، وتركيز المسؤوليات في مختلف المناطق، وما زال هجومنا دفاعياً لرفع المعنويات وإزالة بعض نقاط يهودية خطرة لا بد من إزالتها لتسهيل مهمة الدفاع»..

وكانت أول رسالة تلقيتها من القائد الشهيد عن دخوله فلسطين ووصوله منطقة القدس مؤرخة في ١٩٤٧/١٢/٢٤. ومما جاء فيها:

«وصلت البلاد منذ يومين، وبدأت اتصالاتي، وقمت بما يأتي:

١ ـ ترتيب حرس قوي للقيادة.

٢ ـ ترتيب قناصة حول المستعمرات.

٣ ـ تنظيم الدفاع في القدس والقرى وترتيب الحرس الليلي.

ثم وصلتني منه رسالة تاريخها ١٩٤٨/١/١ قال فيها: «تسلمنا كتابكم الاخير، وسنعمل حسب توصياتكم القيمة» ثم اوجز الأعمال التي قام بها فقال:

١ ـ أصبح دفاع القدس حسناً، وقد تحول في بعض الأحوال إلى هجوم قوي معاكس.

٢ ـ رأينا ان الهجوم من داخل القدس لا بد منه لتقوية المعنويات، ولازالة بعض النقاط الخطرة، مثل مستشفى الأمراض العقلية في الشيخ جراح ومستشفى هداساً والجامعة العبرية، إذ يكمن الخطر فيها على الاتصال بالمدينة من الشمال والشرق.

٣ ـ سنقوم بهجوم هائل لا بد منه حالما تصلنا الذخائر والمتفجرات، وسنتخذ قضاء رام الله مركزاً للحشد وعمليات الهجوم، وقد انتقلنا إليه بالفعل.

٤ ـ نحن على اتصال بجميع المناطق ومع الأخ أبي علي (حسن سلامة)، ونتخذ الاجراءات السريعة لتقوية الاسس التي اوجدناها في مختلف الأنحاء.

٥ ـ المعنويات قوية جداً وخاصة في المناطق التي حدثت فيها اشتباكات بين العرب واليهود.

ثم تلقيت منه رسالة تاريخها ٤٨/١/٤ يخبرني فيها بوصول كتابي المؤرخ ٣٠/ ٤٧/١٢ يقول:

١ ـ قد أكملنا الأسس اللازمة لتنظيم قرية لفتا والقرى المجاورة لها، وقد عينا السيد يحيى حمودة[١] مسؤولاً عنها.

٢ ـ نحن مهتمون جداً بمنطقة عين كارم، وسننتقل إليها في القريب العاجل.

٣ ـ إن مسألة تأمين الدفاع عن القدس والقرى المحيطة بها هي شغلنا الشاغل، وقد قطعنا شوطاً في هذا السبيل.

٤ ـ نحن يقظون وحذرون، ونحاول الاستفادة من مجهود كل فرد، في سبيل المصلحة العامة.

---

(١) يحيى حمودة: من لفتا ـ الخليل، مناضل فلسطيني شارك في الحركة الوطنية الفلسطسنسة، وثاني رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية بعد استقالة أحمد الشقيري.

٥ ـ نحتاج إلى ميزانية لا تقل عن اربعة آلاف جنيه شهرياً، فالرجاء تزويدنا بها.

٦ ـ وصلنا عريف اللاسلكي وسيبدأ اعماله.

وفي رسالة تالية تلقيتها منه تاريخها ٤٨/١/١٢ جاء فيها:

١ ـ أنا مهتم جداً بدفاع القدس وقد أصبح قوياً، والقدس الآن ساحة حربية، وارفق لكم ما كتبته الصحف اليوم لتروا مقدار قوتنا الدفاعية والهجومية في حي الشيخ جراح وبيت صفافا وغيرها.

٢ ـ أرسلوا إلينا ما لا يقل عن ستة آلاف جنيه شهرياً، لنقوم بجميع الأعمال في القدس وغيرها، ما عدا الشمال.

٣ ـ نحن بحاجة ماسة إلى السلاح، وأكثر حاجة إلى الذخائر.

٤ ـ القدس ساحة حربية.

٥ ـ انا الآن في «جنين» ولي أمل كبير فيها.

٦ ـ ربما سرت إلى حيفا فعكا غداً، والله المستعان.

ومن الأعمال المهمة التي قام بها القائد الشهيد أنه أعد تقريراً عن قوة الجيش البريطاني في فلسطين، ومما جاء فيه أن قوة هذا الجيش مقسومة إلى قسمين: شمالي وجنوبي، وأن القسم الشمالي يتألف من نحو ستة عشر ألف جندي، يحتلون المنطقة الممتدة من بلدة (ناثانيا) الإسرائيلية إلى ضفة نهر الأردن الغربية مارة بمدن طول كرم وجنين وبيسان، وأن هؤلاء الجنود ينتشرون شمالاً حتى الحدود اللبنانية، وأضاف إلى ذلك معلومات عن المعسكرات البريطانية ومطار كفرياسيف الذي اطلق عليه البريطانيون اسم مطار «سانت جين» وما فيه من اوكار، بعضها فوق سطح الارض وبعضها تحت سطحها، وكذلك عن مطار (البصة) الذي يقع على مسافة ثلاثة اميال جنوبي الحدود اللبنانية على طريق الناقورة ـ البصة وعلى مسافة ميلين من الطريق العام (الناقورة ـ عكا)، وأنه رغم اخلائه لا يزال صالحاً للاستعمال.

وأورد أيضاً معلومات عن قوة الجيش العربي التي يقودها أبو حنيك (الجنرال غلوب)، وأن نصف هذه القوة يتألف من رجال قوة الحدود الأردنية المعروفين بأصحاب الزنار الأحمر، وأن قوة الحدود هذه انسحبت من فلسطين نهائياً، ومعظمها يعسكر الآن على الحدود السورية الأردنية.

وأورد في التقرير معلومات قيمة عن العدو اليهودي، وأنه اتخذ مستعمرة «حانوتا»

الواقعة على الحدود اللبنانية الفلسطينية مباشرة شمالي البصة مركزاً لنقل الأسلحة إلى فلسطين من لبنان وتركيا.

وأورد معلومات عن بعض الشركات التي تعمل في تهريب الأسلحة والصهيونيين إلى فلسطين، ومن بينها شركة «ترافا» اليهودية ومركزها الرئيسي بيروت.

وأورد اسماء اشخاص من يهود لبنان يشتغلون بالتهريب والأعمال الارهابية، كما أورد بعض نقاط مهمة خاصة بالأعمال البحرية، وذلك بالتصدي للبواخر التي تحمل المهاجرين اليهود إلى فلسطين ونسفها أو اقتيادها إلى أي مكان آخر، لتقرير مصير الذين هم على ظهورها.

واشتمل التقرير على معلومات أضافية عن استراتيجية القدس والمستعمرات اليهودية المحيطة بها، والتي حصنها اليهود تحصينا قوياً، وقال ان المنافذ الرئيسية للقدس إلى كل من مدن يافا ونابلس والخليل واريحا وعمان يحاول اليهود اغلاقها، بواسطة مستعمراتهم التي كادوا يطوقون بها القدس، وأن أربعة أخماس هذه المستعمرات قد تم القضاء عليها، وأن لليهود مركزين محصنين يسيطران على منفذ القدس إلى الشرق، هما الجامعة العبرية وهداسا، ويساعدان في السيطرة على منفذها إلى الشمال، ولهم على ساحل البحر الميت مستعمرة الكابوتس التي يمكنها السيطرة على جسر اللنبي، أما طريق القدس الغربية إلى يافا فيسيطر عليها اليهود سيطرة تامة، وهي محصنة تحصيناً قوياً، ولا يستطيع العرب أن يطأوها، ولذلك استعاضوا عنها بالطريق الفرعية التي تمتد من رام الله غرباً إلى ان تتصل بطريق يافا. وأن لليهود على طريق يافا مستعمرات «موتزا» وقرية «العنب» و «الخمسة» قرب بيت سوريك ومعامل اليشار.

ثم أوضح التقرير الخطة القوية التي وضعها اليهود للاستيلاء على العمارات الكبرى والمراكز الاستراتيجية لاحتلالها داخل القدس، وعدد اسماءها ومواقعها (٦١) مركزاً، وارفق بالتقرير خريطة تبين هذه المراكز، ثم أورد التقرير خطة كل من العرب واليهود للاستيلاء على القدس، وقال إن محاولات اليهود لاحتلال حي الشيخ جراح استمرت ثلاثة اشهر وما تزال، وأنهم قبل بضعة ايام هاجموا هذا الحي بألف جندي.

وقد بعث اليَّ القائد الشهيد عبد القادر بهذا التقرير، وقال أنه بعث بنسخة مرفقة بكتاب منه إلى اللواء اسماعيل صفوة الذي عينته جامعة الدول العربية قائداً عاماً لحرب فلسطين، وكتابه هذا مؤرخ في ١٩٤٨/٤/٥ أي قبل استشهاده في معركة القسطل بثلاثة ايام، رحمه الله.

وفيما يلي بعض ما جاء في هذا الكتاب:

«سعادة القائد العام

تحية العروبة والجهاد وبعد، نرفق إليكم طيه البيانات التالية كي تشملوها بعين الرعاية والانتباه:

أولاً - كشف باسماء ورتب الجنود النظاميين.

ثانياً - بيان عن حالة منطقة القدس الحربية.

ثالثاً - ميزانية شهرية لنفقات كل سرية على حدة، وميزانية شهرية عامة للمنطقة.

رابعاً - قائمة بما نحتاجه من اعتدة ومهمات حربية.

«هذا ويسرني أن أعلمكم بأنني قد ادرجت في هذه القوائم المجاهدين المنخرطين في السرايا النظامية فقط، وعددها تسعة سرايا، مع العلم بأن بعضها لم يتم بعد طبقاً للأصول لعجز الميزانية، ولكن حالما يتسنى لنا التوسع في التنظيم فإن هذه السرايا وغيرها ستكون كاملة من جميع النواحي، وإنني أبلغكم بأنه يوجد تحت أمرتي مسلحون في قرى لواء القدس المختلفة لا يقل عددهم عن ثلاثة آلاف مسلح، لم اسجل اسماءهم في القوائم المرفقة، إلا أنني استخدمهم للنجدات والمرابطة كلما قضت الضرورة بذلك، فأرجوا أن تخصصوا شيئاً من النفقات لهم..»

وقبل أن أنهي هذا الحديث عن القائد الشهيد عبد القادر الحسيني، أرى من حقه وحق القضية الفلسطينية عليّ أن أضيف ما يلي:

لما وصل الشهيد المرحوم إلى مدينة القاهرة عام ١٩٤٦ كنت في فرنسا، فكتبت إليه مهنئاً بسلامة الوصول، ومشيداً بما تحمله من مشاق الغربة والسجن والاخطار، في سبيل الواجب، فلم ألبث أن تلقيت منه رسالة في ١٤ ربيع الأول ١٣٦٥ هـ دلت على ما كان يتحلى به من قوة الشعور الوطني، بالأضافة إلى استعداده للفداء في سبيل امته ووطنه.

فلما تلقيت رسالته تأثرت بما اشتملت عليه من فيض الشعور، وأجبته عليها برسالة مؤرخة ٢٨ جمادى الأولى ١٣٦٥.

وأرى من المناسب في هذا المقام، الذي هو مقام إبراز صفحات من تاريخ الحركة

الوطنية الفلسطينية، وايراد حقائقها، وتسجيل وقائعها، أن أشير إلى ما كان يتحلى به الفقيد من الاستعداد للفداء، وهي مزية أتمنى أن يتحلى بها جميع شباننا النجباء، الذين هم عماد الوطن وذخر الأمة في الشدائد.



صورة: قادة جيش الجهاد المقدس في ميدان القتال

في منطقة يافا واللد والرملة كان القائد الشهيد الشيخ حسن سلامة (أبو علي)، زميل عبد القادر ورفيقه في الجهاد، يضطلع بعبء كبير، ويدير المعارك بشجاعة وكفاءة ودربة وإخلاص نادر، وكان أحد القواد المبرزين الذين انبتتهم ثورات فلسطين المتعاقبة، وله سابقة جهاد وأعمال جليلة في ثورة ١٩٣٦ وثورة ١٩٣٧ - ١٩٣٩. وكان في عداد المجاهدين الفلسطينيين الذين تلقوا دورة تدريب عسكرية في العراق، عندما كنا فيه عام ١٩٣٩ - ١٩٤٠ ثم سافر سراً عن طريق تركيا إلى أوروبا بعد انتهاء الحرب العراقية البريطانية، وتلقى دورة عسكرية في المانيا اعدت خصيصاً لتدريب الشبان الفلسطينيين والعرب على الفنون العسكرية وحرب العصابات واعمال المغاوير (الكوماندو) والمظليين.

ولما شرع اليهود في اعمالهم الارهابية الفظيعة في العرب، خلال الحرب العالمية الثانية، وقع اختيارنا على حسن سلامة وبعض زملائه، لإرسالهم إلى فلسطين، للتهيئة للثورة على الاستعمار البريطاني والوجود الصهيوني، فتقبل رحمه الله تلك المهمة الشاقة والخطرة، ومعه زميله ذو الكفل عبد اللطيف وثلاثة من الضباط الالمان،

وتوجهوا جميعاً في طائرة عسكرية المانية، كان يقودها طيارون المان، إلى منطقة الغور قرب مدينة اريحا، وكان ذلك في صيف عام ١٩٤٤ في ادق ظروف الحرب العالمية الثانية واشدها خطراً وحرجاً، لكن الطائرة العسكرية ضلت طريقها، ولم يحسن الطيار اختيار المكان المناسب، فهبط حسن سلامة وذو الكفل والضباط الالمان بالمظلات، لكن حسن سلامة أصيب بكسر في ساقه، إلا أنه استطاع النجاة من وجه السلطات البريطانية، وانتقل من الغور إلى منطقة القدس، ثم إلى حيفا، ومنها إلى سورية ولبنان، مختفياً عن اعين الجواسيس ورجال المخابرات الذين كانوا يبحثون عنه. وكتب الله له السلامة حتى كان إعلان الثورة مجدداً في فلسطين اواخر عام ١٩٤٧، بعدما أعادت الهيئة العربية العليا لفلسطين تأليف جيش الجهاد المقدس وقيادته، فكان حسن سلامة أحد اركانها، وتولى قيادة المنطقة الوسطى من فلسطين، التي تضم مدن يافا واللد والرملة والمجدل وما جاورها، وقاد سلسلة من المعارك الضارية التي أوقعت الذعر في قلوب اليهود في مستعمراتهم المحصنة، حتى في تل أبيب نفسها، مما اضطر كثيراً منهم للالتجاء إلى السفن الراسية في مينائها.

وكان من اهم تلك المعارك معركة هاتكفا التي حدثت مساء ١٩٤٧/١٢/٨ وسجل فيها المجاهدون الفلسطينيون صفحة مجيدة في تاريخ العمليات الحربية العربية في عهد الانتداب البريطاني، ففي تلك الليلة قامت كتلة من شبان القرى الواقعة ما بين مدينة اللد وتل أبيب، لا يزيد عددها على مئة مسلح، باقتحام امنع خطوط دفاع العدو عن مستعمرة هاتكفا، التي يبلغ عدد سكانها ثلاثين الفاً، من طرفها الشرقي إلى طرفها الغربي، وهي خطوط الدفاع اليهودية الامامية لمدينة تل أبيب، وكانت ليلة عظيمة في وقائعها ونتائجها، قذف فيها المجاهدون بانفسهم إلى قلب ذلك الحصن اليهودي على سكانه وعلى خمسة آلاف من الجنود اليهود في جواره، تحت نيران المدافع الرشاشة والأسلحة الأوتوماتيكية، فاضطر معظمهم للهرب وهم من الهاغاناه ومنظمتي الارغون وشترن، تحت ضغط الهجوم العربي الصاعق، ركضاً ووثباً من فوق الاسطحة، لاجئين إلى تل أبيب التي اتخذت القوات اليهودية المسلحة فيها خطة الدفاع عنها، وظل المجاهدون العرب يهاجمون تل أبيب حتى منتصف الليل، يجوسون خلالها ناشرين فيها الذعر والرعب، وكان لتلك الواقعة صداها العظيم ووقعها البالغ في نفوس اليهود ذعراً واندحاراً، وفي نفوس العرب فخراً واعتزازاً، وزادهم اعتقاداً بأن الفلسطينيين قادرون على التغلب على اليهود إذا ما توفرت لهم الأسلحة والمساعدات من إخوانهم في الدول المجاورة، ومن اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية...

وتبع معركة هاتكفا سلسلة من المعارك التي خاضها القائد الشهيد حسن سلامة، على رأس مجاهديه الابطال، مسجلين فيها نصراً كبيراً على الأعداء، منها معارك العباسية، ودير محيسن، وأبو شوشة، واللد، والرملة، ورأس العين، وبيت حزبون، والقباب، ووادي الصرار، وغيرها.

ولما استشهد عبد القادر الحسيني اسندت قيادة منطقة القدس إلى الضابط خالد شريف الحسيني، وظل حسن سلامة مواصلاً جهاده في ظروف قاسية، ولم يقف موقف الدفاع كما طلبت منه اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية، بل نقل المعركة إلى داخل معاقل العدو. وكانت آخر المعارك التي قادها معركة رأس العين، وهي من أشد المعارك التي جرت بين العرب واليهود، وقد حشد لها الأعداء قوة كبيرة، وتوالت نجداتهم، وتمكنوا من زحزحة المجاهدين عن رأس العين، التي اخلاها جيش الإنقاذ دون أن يبلغ قيادة جيش الجهاد المقدس (كما سيأتي ذكره)، لكنهم لم يلبثوا إلا قليلاً إذ انقضّ عليهم أبو علي، بعد أن تلقى نجدة من المغاوير والمجاهدين، ونشبت المعركة الرهيبة فجر يوم ٤٨/٥/٢٩، فطردوا العدو عن رأس العين وانتصروا انتصاراً مبيناً، لكنه كان غالي الثمن، إذ أصيب القائد الشهيد بشظية قنبلة في رقبته، ونقل إلى مستشفى اللد العسكري، لكنه لم يلبث بعدها إلا قليلاً حيث وافاه الأجل، واختاره الله إلى جواره يوم ٤٨/٦/٢، وكان فقده خسارة كبيرة لفلسطين ولقضيتها الوطنية، تغمده الله بواسع رحمته، وأجزل له أجر المجاهدين الصادقين.

بعد دفن القائد الشهيد حسن سلامة اجتمعت اللجنتان القوميتان في اللد والرملة مع هيئتي بلديتي اللد والرملة ووجهاء المنطقة وكبار المجاهدين فيها، وتم الاتفاق على اختيار مجلس للقيادة مؤلف من المجاهدين السادة: محمود أبو الخير وصلاح الناظر وحمزة صبح وخليل العامر والحاج محمود درويش وموسى أبو حاشية واسماعيل النحاس، ثم انتخب هذا المجلس هيئة مؤلفة من محمود أبو الخير مسؤولاً عن أعمال القيادة، وصلاح الناظر وحمزة صبح مساعدين له، وبدأ الجميع العمل على هذا الأساس.

بين يدي الآن رسائل وتقارير من القائد الشهيد حسن سلامة، وبرقيات عديدة تلقيناها باللاسلكي في ذلك الحين منه ومن مركز قيادته، وهي تصور الاوضاع على حقيقتها في تلك الظروف الخطيرة التي كانت تجتازها قضيتنا الوطنية، لقد كان الشهيد عبد القادر الحسيني قائد جيش الجهاد المقدس قد أبلغنا، في حديث بالهاتف، أن قوات الجهاد المقدس احتلت معسكر حلحول قرب باب الواد، وأنها وضعت الغاماً

تحت قافلة سيارات العدو فنسفت ست سيارات منها سيارتان للمؤونة، وأن قوات الجهاد المقدس احتلت معسكر رأس العين، وهو يقع بين مدينتي اللد وقلقيلية، وبعد أن استقر المجاهدون فيه ثلاثة ايام سلموه للرئيس مدلول، قائد أحدى قوات جيش الإنقاذ في تلك المنطقة، وأن الرئيس مدلول وضع فيه قوته.

وفيما بعد تلقينا برقية لاسلكية من مركز قيادة القائد الشهيد حسن سلامة في الرملة هذا نصها:

«الرملة ١٩٤٨/٥/٣٠

«خلال هذا الأسبوع انسحب جيش الإنقاذ من معسكر رأس العين، دون أن يتصل بنا لنتخذ التدابير الكافية لحمايته، ومنذ انسحابه ونحن منهمكون في تأمين بقاء هذا المعسكر في ايدي العرب، وفي تمام الساعة الثالثة بعد منتصف ليلة ٢٩ ـ ١٩٤٨/٥/٣٠ هاجم اليهود المعسكر بقوات كبيرة، ومهّدوا لهجومهم بمدفعية استمرت أكثر من ثلاثة ساعات، احتلوا بعدها المعسكر، وحاولوا الامتداد إلى قرية مجدل الصادق المسيطرة على الطريق العام وعدد من القرى العربية، وقد قام القائد أبو علي على رأس قوة كبيرة من المجاهدين بمهاجمة اليهود في المعسكر، وبعد معركة عنيفة جداً دامت ست ساعات تمكن مجاهدونا من طرد العدو وتكبيده خسائر فادحة في الارواح، واستردت قواتنا المعسكر، وغنمت كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر، وتمركزت في المعسكر، ولكننا نتوقع أن تتكرر محاولة العدو، وقد أصيب في اثناء هذه المعركة أبو علي بجراح قنبلة مورتر. ومن المنتظر خروجه من المستشفى قريباً...»

ثم في ١٩٤٨/٥/٣١ تلقينا برقية لاسلكية أخرى جاء فيها:

«قتلى اليهود في معسكر رأس العين يزيدون عن ٢٠٠ قتيل، الغنائم ٩٥ بندقية، و١٣ رشاش برن وهوشكس، و٢ جهاز لاسلكي، شهداؤنا ٣، والجرحى ٢٠، جروح ثلاثة منهم بليغة...»

وفيما يلي خلاصات لبعض البرقيات الرمزية اللاسلكية التي تلقيناها من القائد الشهيد في تلك الفترة:

في ١٩٤٨/٥/١٧

«استولينا على مطار اللد ومعسكر صرفند ومستعمرة ولهلما الالمانية منذ

يومين، وقبل ذلك استولينا على محطة اللد، ولا نزال مرابطين وحدنا في هذه المراكز دون مساعدة أية قوة نظامية. تشددت الهجمات على هذه المراكز وعلى الرملة واللد والقرى المجاورة، وتساقط القتلى والجرحى، وهي مهددة بالسقوط...»

«حسن سلامة»

وفي ٢٠/٥/٤٨

«صدّ اليهود عن مدينة الرملة للمرة الرابعة، بعد أن شنوا عليها سلسلة من الهجمات المستمرة منذ أربعة أيام باعداد كبيرة وبمختلف انواع الأسلحة، وكانوا يمهدون لهجومهم بمدافع الهاون والمورتر والسلابند، وفي جميع هذه المعارك كان المناضلون من مدينة اللد يهبون لنجدة إخوانهم، ويصلون اليهود ناراً حامية من مدافع بعيدة المرمى ومن مختلف الأسلحة، وكانت المصفحات تتوغل في صفوف الأعداء فتوقع الرعب والهلع في نفوسهم، ويضطرون للانهزام غير ملتفتين إلى موتاهم الذين كانوا يملأون الاستحكامات، وفي معركة الليلة الماضية التي استمرت إلى صباح اليوم تكبد اليهود خسائر جسيمة في الارواح والعتاد، أثر الهجمات المعاكسة التي شنها عليهم المجاهدون، ولم يستطع اليهود حتى صباح اليوم نقل موتاهم الذين زادوا على مئة وخمسين، ولا تزال المعركة ناشبة، واستولت قواتنا الآن على مطار اللد ومستعمرة ولهلما الالمانية، وصدت خلال الايام الأخيرة والليلة الماضية عدة هجمات يهودية، خسر فيها العدو بعض القتلى والاسرى، انسحب العرب من معسكر صرفند ليلة امس دون خسائر...»

«حسن سلامة»

من الرملة ٢٢/٥/٤٨

«لا يؤمل أن تدفع اللجنة العسكرية لنا شيئاً من نفقات الشهر الحالي.. المرتبطون بنا لا يزالون يدافعون عن المدن والقرى ويرابطون بيننا، ولا بد من صرف رواتبهم وتأمين نفقاتنا التي تضاعفت كثيراً لمناسبة حرج الأحوال، كما تضاعفت حاجتنا إلى الذخيرة، هل من الممكن إرسال ذخيرة إلى مطار اللد؟ أشعرونا بقيام الطائرات لاستقبالها..

«احتلال اليهود لقرية السافرية ومعسكر صرفند جعلهم متاخمين لمدينة اللد، ومكنهم من تضييق الخناق على الرملة، وأصبحت لا منفذ لها إلا من جهة اللد، وقد استهدفت الليلة لهجوم قوي، ولكن الله اعان على رده، وهي ومحطة اللد في وضع دقيق...

«وصلت الرملة واللد قوات من المتطوعين الأردنيين، وهم مسلحون بالبنادق فقط، وليس لديهم ذخيرة ولا مؤن..»

«حسن سلامة»

وكان القائد الشهيد حسن سلامة قد بعث اليَّ بكتاب في ١٩٤٨/٤/٢٠ تحدث فيه عن الوضع العسكري في المنطقة الوسطى خلال تلك المدة، وأرفق به صوراً من كتاب وعدة تقارير في هذا الشأن، كان هو قد بعث بها إلى اللواء اسماعيل صفوة، بصفته القائد العام للقوات المسلحة، التي الفتها جامعة الدول العربية، وامدتها بالأسلحة والأموال لإنقاذ فلسطين.

أما اللواء اسماعيل صفوة فقد عرفته عندما كنت في بغداد عام ١٩٤٠ في بيت اللواء أمين باشا العمري رئيس أركان الجيش العراقي، وقد أوفدته حكومة العراق إلى اليمن بطلب من أمام اليمن يحي حميد الدين للاستعانة بخبرته على تنظيم جيش اليمن، وكان اللواء اسماعيل عندئذٍ ضابط ركن برتبة عقيد، ومن أبرز الضباط العراقيين، فلما دعته اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية ليكون قائداً للمعركة الناشبة بين العرب واليهود، زارني عند وصوله إلى القاهرة وحدثني عن رأيه ووجهة نظره في معركة فلسطين، وقال: لست ادري كيف استطيع القيام بأعباء هذه المعركة وأنا مقيد بالدول العربية وجامعتها، والاولى ان يكون عملي مع القيادة الفلسطينية، وارتباطي بها وحدها، وهذه القيادة تكون على صلة بجامعة الدول العربية، فاجبته بأن هذا هو رأيي ورأي الهيئة العربية العليا لفلسطين، ثم صحبته إلى حلوان لمقابلة السيد عبد الرحمن باشا عزام الذي كان يومئذٍ مريضاً، وفي هذه الزيارة أعرب اسماعيل صفوة عن رأيه هذا مرة أخرى، لكن ذلك لم ينفذ لأسباب عديدة، أهمها الضغط الذي وقع على بعض الدول العربية من الدول الاستعمارية الكبرى التي كانت وما زالت تتأثر بالضغط اليهودي.

أوردت فيما تقدم الرسالة التي أرسلها اليّ القائد الشهيد حسن سلامة، ورسالته إلى اللواء اسماعيل صفوة باسطاً فيهما الموقف العسكري في المنطقة الوسطى وما يعانيه من

ضغط القوات اليهودية وحاجته إلى المال والسلاح، وأرى استيفاء لهذا البحث أن الخّص بعض رسائله الأخرى التي بعث بها إلى اللواء اسماعيل صفوة في هذا الشأن، فثمة رسالة منه في ١٩٤٨/٤/١٩ خاصة بوضع مستعمرة ويلهلما الالمانية التي تقع على بعد اربعة كيلومترات شمال مدينة اللد وتجاور أيضاً عدة قرى عربية لا تبعد عنها أكثر من كيلومتر واحد وهي العباسية، كفر عانة، رنتية، طيرة دندن، دير طريف، قوله، ومطار اللد، ورسالة ثانية في نفس التاريخ خاصة بوضع معسكر «تل لتفنسكي» البريطاني المتصل بعدة مستعمرات يهودية واهميته العسكرية، وتحفز القوات اليهودية لاحتلاله، واشتباك المجاهدين في معركة ضارية مع قوات العدو لمنعها من الاستيلاء عليه، ورسالة ثالثة في نفس التاريخ خاصة بالنفقات المالية التي طلبها ليتمكن من مضاعفة القوة الضاربة والحاميات، وتنظيم مختلف الأعمال ومساعدة المصابين وذوي الشهداء وتموين المتطوعين.. الخ.

ورسالة رابعة في ٤٨/٤/٢١ خاصة بوضع محطة السكك الحديدية في اللد واهميتها وكونها أكبر محطة للسكك الحديدية في فلسطين والشرق العربي وضرورة حراستها بقوة كافية من الجنود المدربين، أو تزويده بالوسائل الكفيلة بتأليف هذه القوة من المقاتلين الفلسطينيين في المنطقة لمنع استيلاء العدو عليها لأنها الشريان الحيوي للمواصلات وفيها آلات وادوات لا تقل قيمتها عن عدة ملايين الجنيهات.

ومن الحق أن يقال أن اللواء اسماعيل صفوة لم يكن مطلق اليد ليتصرف كما يشاء، ولم تكن لديه الوسائل الكافية لمعالجة الموقف لعدة أسباب اهمها ان معظم دول الجامعة العربية حينئذٍ كان يتأثر إلى حد كبير بضغط بريطانيا وأمريكا، ولم تكن دول الجامعة تملك من القوة والخبرة ووسائل الحرب الحديثة ما تستطيع به معالجة القضية الفلسطينية معالجة جدية، عسكرياً وسياسياً، كما أن بعض الذين كانت في ايديهم مقاليد الأمور حينئذٍ لم يكونوا على مستوى المسؤولية الكبرى التي تسلموا مراكزها والتي فرضها عليهم واجبهم نحو قضيتهم الفلسطينية وامتهم العربية، ولذلك لم يتيسر لحركة الجهاد الفلسطيني ان تحصل الا على القليل، بل على اقل القليل من المعالجة الجدية والمساعدات المالية والعسكرية التي يتطلبها الموقف.

وأذكر لهذه المناسبة أنه على أثر دخول الجيش المصري فلسطين في منتصف أيار (مايو) ١٩٤٨، وازدياد ضغط القوات اليهودية المسلحة على قوات الجهاد المقدس في المنطقة الوسطى التي كان يقودها الشيخ حسن سلامة، طلبت الهيئة العربية العليا لفلسطين من السلطات المصرية ان تعمل على دعم تلك القوات بما يتيسر لها من

الوسائل، وقد لبت السلطات المصرية الطلب واوفدت القيادة المصرية اليوزباشي[1] عبد الحميد صالح زكي إلى مركز الهيئة العربية في حلمية الزيتون أحدى ضواحي القاهرة للحصول على بعض المعلومات الضرورية عن الوضع العسكري في منطقة اللد والرملة، وطلبت من الهيئة توجيه عدة اسئلة إلى الشيخ حسن سلامة والحصول على اجوبتها بأسرع ما يمكن، وفي اليوم نفسه ان امكن (١٩٤٨/٥/٢٦)، فبادرت الهيئة العربية بتوجيه برقية لاسلكية رمزية (شفرة) من مركزها في ضاحية حلمية الزيتون إلى الشيخ حسن في هذا الشأن، ثم لم تلبث أن تلقت الاجوبة عليها ببرقية رمزية منه مساء اليوم نفسه فابلغتها على الفور إلى السلطات المختصة.

أما الأسئلة فهي ستة وتتلخص فيما يلي: الاستعلام عن عدد القوات اليهودية التي تهاجم اللد والرملة؟ وعن الجهة التي يأتي منها الهجوم؟ ومن أي المستعمرات؟ وما هو عدد سكانها، وأهداف الذخيرة والوقود فيها؟ وهل يستعمل العدو في هجومه دبابات أم مصفحات؟ وهل لهم اوقات محددة للهجوم؟ وما هي المستعمرات التي يستفيد العرب من ضربها بالطائرات؟

وكانت الأجوبة كما يلي:

عدد قوات العدو المهاجمة يتراوح بين ألف والفين، الهجوم يأتي من شرق الرملة وغربها وجنوبها ومن غرب اللد. ومن مستعمرات ديران وعيون قارة وبئر يعقوب وبئر سالم، العدو يستعمل المصفحات في هجومه، الهجوم يبدأ الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ثم ينسحب حوالي الخامسة صباحاً، المستعمرات التي يفيدنا ضربها ديران وعيون قارة، وأضافت البرقية ان ضرب الطائرات المصرية لتل أبيب ترك اثراً فعالاً جداً في اليهود كما عرف ذلك من اقوال الاسرى الذين كانوا في تل أبيب، ثم تمت مبادلتهم..

معركة حيفا:

في منطقة حيفا كان يتولى القيادة العسكرية لحركة الجهاد الفلسطيني القائد الشجاع والمجاهد الباسل محمد الحمد الحنيطي بالتعاون مع اللجنة القومية فيها، والحنيطي ضابط سابق تحلى بروح الفداء والاخلاص، وكانت منطقة حيفا من أخطر المناطق الفلسطينية إذ كانت المستعمرات اليهودية المحصنة والمسلحة تحيط بها وتهدد

(١) اليوزباشي: رتبة عسكرية (تركية) تعادل رتبة نقيب.

طرق مواصلاتها، ففي غربي حيفا وعلى الطريق منها إلى تل أبيب جنوباً، كانت مستعمرات بيت غاليم وعتليت وزمارين وقيسارية والخضيرة وبتاح تكوا وسارونا، عدا بعض المستعمرات الصغرى، وشرقي حيفا كان عدد آخر من المستعمرات والمصانع اليهودية الكبرى تهدد طرق المواصلات بينها وبين مدينة جنين اهمها مصانع نيشر الكبرى للاسمنت، ومشمار هايملك، وكفار حاسيدين، وما بين حيفا إلى عكا شمالاً تقع عدة مستعمرات تهدد طرق مواصلاتها إلى الشمال أهمها مستعمرتا حاييم، وموتسكين، ومستعمرتان للكيبوتس.

وكنت تلقيت تقريراً سرياً مفصلاً من القائد الشهيد محمد الحنيطي مؤرخاً في ١٩٤٨/٣/١٦ (أي قبل استشهاده بيوم واحد) سلمني أياه في مدينة بيروت حيث كان يتزود بالسلاح والذخائر، وقد أوضح فيه وضع مدينة حيفا وما حولها من المستعمرات التي تجعل حركة المواصلات إليها عرضة للخطر، فكان مما اقترحه في تقريره جعل قيادة عكا تابعة لقيادة حيفا، وبذلك تستطيع عكا ان تضغط على المستعمرات القريبة منها فلا تظل عقبة في سبيل حرية المواصلات إلى حيفا، وطالب في تقريره بتقوية القرى العربية القريبة من حيفا وامدادها بالسلاح وأهمها: بلد الشيخ، حواسة، الياجور، الطيرة، ام الزينات، الدامون، الشلالة، الخريبة، وكذلك القرى الواقعة غربي حيفا واهمها: جبع، عين غزال، اجزم، الطنطورة، ثم القرى الواقعة شرقها وهي: أبو شوشة، أبو زريق، اللجون.

وقال في تقريره: «إن الصراع عندما بدأ بين العرب واليهود، كاد العرب يكونون عزلاً من السلاح، وكان اليهود مجهزين بأحدث أنواع الأسلحة، وقد وقف العرب موقفاً بطولياً لكنه كان دفاعي لعدم توفر الأسلحة المطلوبة، فلما تألفت القيادة وامدتها الهيئة العربية العليا واللجنة العسكرية بالمال والسلاح والرجال، تحسنت الحال تحسناً ملموساً وتطور موقف العرب من دفاع إلى هجوم، لكن المدينة ما تزال في حاجة إلى أسلحة اوتوماتيكية كثيرة وقطع ثقيلة وذخيرة وافرة».

ثم أوجز التقرير الموقف كما يلي:

«يستخدم العدو ٢٧٠٠ مقاتل من الهاغاناه في حيفا و١٠٠ من عصابة شترن للنسف والتدمير وجميعهم مجهزون بأحدث انواع الأسلحة الاوتوماتيكية والبنادق ولديهم كميات وافرة من العتاد، ولدى العدو مدافع صاروخية ومدافع مورتر عيار ٢ و ٣ بوصة، ومدفعية ميدان، ويملك أكثر انواع القنابل من فرنسية وملز وسلبند

ومولوتوف وغيرها، ولديه كميات هائلة من الألغام والمتفجرات الارضية من جميع الانواع، وهو يحسن استخدامها وقواته مدربة تدريباً حسناً وهم مطيعون للأوامر، وللقيادة العسكرية السلطة الكافية على اليهود في البلد وليس لأحد منهم أن يعترض على اعمالها مهما كانت مكانته.. واشد ما يضايقنا ما لديهم من المصفحات التي يستخدمونها باسم حماية المستعمرات، مع أنها لا تخرج من حيفا وتتجول ليلاً ونهاراً تحت سمع السلطات البريطانية وبصرها، وقد صفحوا معظم الباصات وسيارات الجيب حتى سيارات النقل».

«نستخدم حالياً ٣٢٠ مسلحاً، ومن هذا العدد افراد يقومون بحراسة (حواسة) و(بلد الشيخ) وقد سمح لنا بزيادة ١٥٠ مجاهداً، أما سلاحنا فهو ٣٣٩ بندقية مختلفة الانواع ولكل بندقية مئتا طلقة ولدينا قليل من المسدسات وخمسة رشاشات مختلفة الأنواع وستة مدافع هاون - ٢ بوصة، وكمية ضئيلة من الذخيرة لكل منها، ولدينا نحو ألف قنبلة فرنسية صنع سورية، ونحو قنطارين من المتفجرات وماكنتان لتفجير الالغام.

وليس لدينا أية مصفحات ولا بنادق لمقاومة الدبابات، أما شركات النقل الوطنية فإنها لم تصفح أية سيارة من سياراتها.».

وتحدث التقرير عن هذه الناحية قائلاً: «لاشك في أن الموقع الاستراتيجي الآن هو في أيدي العدو أكثر مما هو في ايدينا لأن مواقع العدو مرتفعة ومستعمراته قوية ومسلطة على طرق المواصلات، غير أن هناك مواقع لو عززناها ونظمناها لافدنا كثيراً ولأصبح الموقف في ايدينا ولتمكنا من محاصرة العدو، وهي: الحليصة، شارع يافا، وادي الجمال، رأس الكرمل، الاسود، حواسة، أبو شوشة، وغيرها، فهذه الاماكن لو عززت لشلت حركة المواصلات اليهودية ولجعلتهم محصورين أي حصار، ولسلموا دون قيد أو شرط، وهذا معلق على تقوية داخل حيفا، ثم الضغط على العدو من الداخل والخارج».

التموين:

«هذا هو الشيء الوحيد الذي نفوق فيه العدو، فليس ثمة ضيق على العرب، من الوجهة الغذائية، لكن اليهود بعكس ذلك في حالة مجاعة وقد ارتفعت اسعار المواد الغذائية عندهم ارتفاعاً عظيماً حتى أصبح ثمن البيضة الواحدة عشرين قرشاً فلسطينياً في محلة هدار كرمل.

وقد أدت هذه المجاعة بهم إلى شغب كبير ومظاهرات عديدة وكادت تنتهي بهم إلى التسليم لولا صد الهاغاناه لهم وضربها إياهم بشدة».

ثم أشار التقرير إلى حالة الأمن في حيفا وقال أنه يتعهد بحماية المدينة وتوفير الأمن بعد زيادة عدد الحرس.

واشار القائد الشهيد إلى ضعف معنويات العدو وقال «إننا بدأنا محاربتهم ببعض المسدسات والعصي بينما هم في أقوى سلاح وأكمل عدة، ورغم هذا لم يجرؤا على القيام بأي هجوم حاسم، وقد بدأ الانشقاق في صفوف العدو ولا سيما على أثر ضربة العرب للمركز التجاري بعد وصول المتفجرات لهم، فقد قام اليهود في اليوم التالي بمظاهرة كبرى أصيب فيها أحد زعمائهم الدكتور ليفتنش.

وتحدث عن قوة المعنويات عند العرب فقال انها جيدة جداً وأنهم رجال إلى أقصى درجات الرجولة، وقد شاهد بنفسه ان بعضهم كانوا يصدون بالعصي هجوم اليهود، وهم متلهفون على وصول الأسلحة إليهم ليضربوا العدو ضربة قاصمة، ومؤمنون أشد الإيمان بحقهم وقضيتهم.

وقال «إن الاصابات في اليهود تفوق كثيراً الإصابات في العرب غير أن اليهود يعرفون كيف يسحبون ضحاياهم ويكتمون اخبارهم، وأكثر ضحايا العرب كانوا برصاص الجند البريطاني». ووصف الجيش البريطاني بأنه الخصم الالد للعرب، وقد أظهر تحيزه إلى اليهود في عدة مناسبات. وأضاف قائلاً: إنني شخصياً لا اؤمن بحسن نوايا دولة عرفنا جوهرها وعسفها وخداعها ثلاثين سنة.

وندد التقرير ببعض المثقفين وقال: أنهم يكتفون باظهار وطنيتهم باقلامهم على صفحات الجرائد والمجلات وبالسنتهم في المآدب والحفلات.. وقال إنني أطلب المعذرة على ما بدر من صراحتي هذه، ولكنني لن اخفي شيئاً يؤنبني عليه ضميري...

واقترح القائد الشهيد في نهاية تقريره زيادة قوة الدفاع عن حيفا وإبلاغ عدد الحرس فيها إلى ألف مقاتل ليتم خلاصها في وقت قريب ولعدم إعطاء اليهود فرصة لحشد قوة كبيرة فيها وابلاغها إلى عشرة آلاف مقاتل كما تدل على ذلك المعلومات التي وصلت إليه، كما طلب امداده بمزيد من الأسلحة والذخائر والالغام والمتفجرات.

وطالب بإصدار بيان من الهيئة العربية العليا بحض أهل حيفا على التزام تعليمات القيادة التزاماً كاملاً، كما طالب بعدم السماح لاحد بالعمل ما لم يكن مرتبطاً بالقيادة، وبالايعاز إلى أرباب الأقلام وذوي المهن والموظفين بدعم القيادة دعماً فعالاً،

وتوقع إذا تحققت هذه المطالب أن تصبح حيفا ومنطقتها عربية محضة في وقت قريب....

مصرع القائد الحنيطي وسرور برهم ورفاقهما الأبطال:

تزود القائد الشهيد محمد الحنيطي بما تيسر له من السلاح والعتاد الذي كان قسم منه من اللجنة العسكرية في دمشق وقسم آخر من معتمدي الهيئة العربية العليا لفلسطين في صيدا ثم توجه عائداً نحو حيفا عن طريق الناقورة فعكا، وكان برفقته نخبة من الحرس المجاهدين الابطال في مقدمتهم المجاهد المؤمن سرور برهم، ووصلت القافلة إلى عكا بسلام وكانت مؤلفة من عدة سيارات منها سيارتان كبيرتان تقلان السلاح والذخيرة وسيارات أخرى تقل القائد الحنيطي وصحبه، ولم يشأ الحنيطي ان يقضي ليله بعكا واستأنف السير إلى حيفا، فلما وصلت القافلة قرب مستعمرة «موتسكن» اليهودية الواقعة في منتصف الطريق بين عكا وحيفا، كان اليهود قد أعدوا كميناً للقافلة ففاجأوها بإطلاق نيران كثيفة على السيارة التي في الطليعة فسقط قائدها شهيداً وعندئذٍ ترجل القائد الحنيطي وعدد من صحبه واستعدوا للقتال، واستطاعت إحدى السيارتين اللتين كانتا تحملان الأسلحة والذخيرة أن ترجع على الأعقاب إلى عكا، والتحم المجاهدون وهم قلائل مع قوى كبيرة من العدو كانت مستعدة ومتحصنة بالمصفحات، فاستشهد القائد الحنيطي وعدد من رفاقه وتمكن الأعداء من الوصول إلى السيارة الأخرى المملوءة بالأسلحة والمتفجرات، وشرعوا يحيطون بها ويتسلقونها، وعندئذٍ أقدم الشهيد البطل سرور برهم على موقف فدائي عظيم إذ قال لمن حوله من الرفاق: يا إخوان تشاهدوا (أي انطقوا بالشهادتين) ثم انتزع من وسطه أحدى القنابل والقاها على السيارة المملوءة بالذخائر والمتفجرات، وعندئذٍ حدث انفجار هائل هز مدينتي عكا وحيفا وسمع دويه من الحدود اللبنانية إذ انفجرت السيارة بما فيها من الالغام والذخائر وبمن كان عليها وحولها من اليهود فسقط عدد كبير منهم ما بين قتيل وجريح، وكذلك استشهد من بقي حياً من رجال القافلة وحرسها باستثناء واحد منهم، وهكذا كانت نهاية القافلة العربية وقائدها ومجاهديها الأبرار، وفجعت حيفا خاصة وفلسطين عامة بهذه الكارثة وتم نقل جثث الشهداء إلى حيفا وجرى لهم مأتم حافل ثم نقل جثمان القائد الشهيد محمد الحنيطي إلى مدينة جنين ومنها إلى بلده في شرق الأردن ليدفن فيها.

وفي اعقاب هذه الكارثة أصدرت اللجنة القومية بحيفا بياناً جاء فيه ما يأتي:

إنا لله وإنا إليه راجعون

في ذمة الله والوطن، هذا الدم الزكي الذي يراق...

وفي سبيل القرار الظالم بتقسيم فلسطين هذه الارواح البريئة، وهذا الشباب الغض..

مرحباً بالموت.. مرحباً بالشهادة..

مرحباً بلقاء الله.. في سبيلك يا فلسطين العزيزة..

في سبيلك يا ثالث الحرمين.. في سبيلك يا مهد السيد المسيح..

هذه قافلة من قوافل شهدائنا الأبرار تلقى ربها، عاملة، مجاهدة، ومع أن اللجنة القومية بحيفا تستعذب الموت وتسترخص في سبيل الوطن التضحيات، فإنه لا يسعها إلا أن تنعي إلى الأمة الكريمة زمرة من خيرة ابنائها، ورهطاً من أعز جنودها هم:

قائد حامية حيفا الباسل محمد بك الحنيطي وإخوانه المجاهدين الأبرار: محمد سرور برهم، فخري عبد الواحد البرد، عمر الخطيب، أحمد خضر موسى، أحمد وجيه رحال، يوسف الطويل، علي كسار، حسن سلامة، عطا الله سلامة، محمد ناظم طرطوسي، محمد مصطفى خليل، علي سجاع.

استشهد جميعهم نتيجة اعتداء غادر اثيم بين حيفا وعكا في الساعة الثالثة من بعد ظهر امس الاربعاء الواقع في ١٩٤٨/٣/١٧.

وفي هذا المقام، تجدر الإشارة إلى معركة أخرى وقعت في حيفا كان بطلها الضابط التركي الشهيد محمد بك فخر الدين اورخان، الذي انضم متطوعاً إلى قوات المجاهدين في حيفا، لقد كان لهذا الضابط الشهم فضل كبير في تنظيم الحاميات العربية وتدريبها وتوزيع المهام على افرادها، كما كان يعين الأهداف ويقود بعض المعارك التي كانت تجري بين العرب واليهود.

وآخر معركة قادها هذا الضابط الشهيد كانت معركة بيت غاليم، حيث جهز لغماً كبيراً حمله مع بعض رفاقه واتجهوا نحو المستعمرة لنسفها، وعند مشارف المستعمرة تصدت لهم كتيبة من الجيش البريطاني واشتبكت مع المجاهدين في معركة ضارية دامت عدة ساعات استشهد فيها البطل التركي رحمه الله.

* * *

على أثر صدور قرار التقسيم وظهور بوادر اندلاع الثورة في فلسطين أصدرت «القيادة العليا للمجاهدين في فلسطين» عدة بلاغات وبيانات اقتضتها الظروف والأحوال كان منها البلاغ رقم (١) معلنا الشروع في الجهاد.

وتلا ذلك بيان رقم (٢) بتاريخ ١٩٤٧/١٢/١٤ اشتمل على تحذير الفلسطينيين من غدر الأعداء وكيدهم لأنهم يتسللون خفية بين صفوف الشعب متنكرين بلباس الجنود البريطانيين تارة وباللباس العربي تارة أخرى ويلقون القنابل والمتفجرات فتفتك بالأبرياء وتدمر البيوت والمنازل وتوقع أضراراً عظيمة في النفس والأموال والممتلكات، واشتمل البيان على تنبيه الشعب إلى تشديد الحراسة في المدن والقرى ليلاً ونهاراً وإلى اجتناب التجمعات والاحتشاد في الساحات والشوارع والاسواق والمحلات العامة، والحذر من الأشخاص غير المعروفين والمشتبه فيهم ولاسيما اليهود الشرقيين كيهود اليمن والأقطار العربية الأخرى الذين اقترفوا فظائع كثيرة. واشتمل البيان في آخره على العبارات التالية: «وحولوا بيقظتكم وانتباهكم دون تكرار المآسي الاليمة التي أوقعوها فيكم في يافا والقدس وحيفا والرملة والطيرة والعباسية ويازور وبلد الشيخ وغيرها، وصونوا انفسكم وأهليكم من كيدهم وغدرهم»

﴿وأن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط﴾.

وتلاه بيان رقم (٣) بتاريخ ١٩٤٧/١٢/١٥ بدعوة الشعب إلى إعداد العدة والاحتفاظ بالأسلحة والاستزادة منها بالمقدار المستطاع والامتناع عن إطلاق النار هدراً في الهواء، ووجوب الحرص عليها لتصويبها إلى صدور الأعداء.

وتبع ذلك بلاغ رقم (٤) بتاريخ ١٩٤٧/١٢/١٦ بعنوان: (جاهدوا في سبيل الله بأموالكم وانفسكم) اشتمل على دعوة عامة للعرب والمسلمين لدعم إخوأنهم المجاهدين في فلسطين، وقد استهل البلاغ بالفقرات التالية:

«إليكم جميعاً نوجه النداء في هذه الآونة العصيبة، التي ظهرت فيها مقاصد اليهود الرهيبة، وانكشف فيها الستار عن تآمرهم في أنحاء الارض على محاربة العرب والمسلمين في كل اقطارهم وسائر اوطانهم وديارهم، وعملهم لإنشاء دولة يهودية في بلاد فلسطين المقدسة التي دافع آباؤكم الكرام عنها في مختلف العصور، وبذلوا في سبيلها ارواح الملايين من الشهداء الأبرار الذين ثوت اجسادهم الطاهرة في أرجاء أراضيها المباركة وقد اختصها الله بالمسجد الأقصى المبارك الذي اسرى إليه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما اختصها بمهد سيدنا عيسى المسيح عليه الصلاة والسلام».

وفي ١٩٤٧/١٢/٢٤، أصدرت بصفتي رئيساً للهيئة العربية العليا لفلسطين، البلاغ رقم (٦) إلى قادة المجاهدين بلزوم تحذير جميع المجاهدين من التعرض للاماكن الدينية، ومن قتل النساء والأطفال ومن الإساءة إلى الجاليات الأجنبية والهيئات والمؤسسات السياسية ومعاهدها وممتلكاتها.

ثم في ١٩٤٨/٣/٢٥ أصدرت بياناً آخر شددت فيه على حماية المقدسات والأماكن الدينية والمؤسسات الانسانية وعدم ايذاء الأطفال والنساء والعزل بالرغم مما يقترفه اعداؤنا الصهيونيون من الجرائم الفظيعة والأعمال التي لا تمت إلى الرحمة والإنسانية بأدنى صلة.

الهيئة العربية العليا لفلسطين

شارع الكمال بحلمية الزيتون - القاهرة

بيـــــان

يهمّني في هذا الظرف الدقيق الذي تجتازه قضية عرب فلسطين، وهم في دور كفاحهم الحاضر في سبيل حريتهم واستقلالهم أن أعلن للرأي العام في العالم المتمدن، بصفتي رئيساً للهيئة العربية العليا الممثلة للشعب العربي الفلسطيني، بالمبادئ الشريفة التي نكافح في سبيلها، ضاربين صفحاً عن الدعايات المغرضة المضللة التي يروجها الصهيونيين وأنصارهم لتشويه جهادنا الوطني المبارك.

- لقد اضطلع عرب فلسطين بعبء حركتهم الاستقلالية منذ ثلاثين عاماً وما زالوا يكافحون في سبيلها، وغايتهم إنشاء دولة مستقلة يتمتع بها جميع سكان البلاد الاصليين بالحريتين المدنية والدينية ويمارسون حقوقهم كاملة. وعرب فلسطين إذ يطالبون بذلك فانما بتحقيق مبدأ أقره ميثاق هيئة الأمم المتحدة والمبادئ السامية التي اشتمل عليها، وباستقلالهم وفقاً لحق تقرير المصير.

- إن عرب فلسطين، مسلمين ومسحيين، يعلنون على رؤوس الاشهاد، بصفتهم حراس الأماكن المقدسة وسدنتها منذ أحقاب متطاولة، أنهم سيحافظون على حرمة هذه الاماكن، تاركين الحرية التامة لجميع الطوائف في شؤونها الدينية. واني لهذه المناسبة اوجّه ندائي إلى الشعب العربي الفلسطيني المجاهد ذي التاريخ المجيد بأن يبرهن من جديد على تقاليده الشريفة الموروثة بالمحافظة على الاماكن المقدسة وصيانتها من كل تجاوز واعتداء.

- وإني أكرر الآن توجيه الندائين اللذين اذاعتهما الهيئة العربية العليا في مستهل حركة الكفاح الحاضرة بتاريخ ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٧ و ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ على الشعب الفلسطيني بأن يبذل جهده للمحافظة على القنصليات الأجنبية بافرادها وعماراتها وأن لا يمسها أحد بسؤ، ولا يتعرض أحد للرعايا الاجانب المسالمين والمحايدين، وأن يتجنب شعبنا النبيل، كما هو شأنه دائماً، أي ازعاج للمستشفيات والمؤسسات الطبية والصحية والاطباء والمرضين، رجالاً ونساء، وكل من يقوم بخدمة انسانية واجتماعية، وأن يحرص على أن لا يلحق أي اذى بسيارات الصليب الأحمر والهلال الأحمر والنجم الأحمر واية مؤسسة طبية.

وإني لواثق أن شعبنا الكريم سيظل اميناً على عهده وتقاليده بأن لا يحيق اذى بالأطفال، والنساء الآمنات، والعجزة من الشيوخ والمرضى، وألا يهاجم أية بيوت آمنة، بل يقتصر على دفع اعتداء الصهيونيين المعتدين.

وإننا بالرغم مما يقترفه خصومنا الصهيونيين من الأعمال المغايرة للانسانية من اعتداء على رجال الدين واماكن العبادة وتهديم المستشفيات والمؤسسات الخيرية والفتك بالابرياء العزّل من النساء والشيوخ والأطفال، واتخاذ المستشفيات والكنائس ودور العلم اوكاراً لإطلاق النار منها على العزّل الأبرياء من العرب، كالجامعة العبرية ومستشفى هداسا على جبل الزيتون، والكنس اليهودي الكبير في المدينة القديمة بالقدس، بالرغم من ذلك كله نحض شعبنا الكريم على ضبط النفس وعدم النزول إلى الدرك الذي نزل إليه الأعداء، وأن يتمسك في جهاده وكفاحه بمثلنا العربية العليا وتقاليدنا الشريفة الموروثة.

١٤ جمادي الأولى ١٣٦٧

٢٥ مارس ١٩٤٨

مفتي فلسطين

رئيس الهيئة العربية العليا

«التوقيع»

* * *

استمرت المعارك بين الفلسطينيين واليهود في جميع أرجاء فلسطين قرابة ستة شهور، بعد صدور قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩، وكان تفوق حركة الجهاد

الفلسطيني واضحاً في الأشهر الأربعة الأولى، على قلة ما في أيديهم من السلاح
ر‌ة والمال، وقد انضم إلى المجاهدين الفلسطينيين جماعات من المتطوعة، من
وسورية والعراق ومصر، ثم دخلت افواج جيش الإنقاذ الذي الفته اللجنة
ـكرية لجامعة الدولة العربية، وكان قسم منهم من الفلسطينيين.

ثم أصبحت الحرب سجالاً بين العرب واليهود في الشهرين الأخيرين آذار (مارس) ونيسان (إبريل) من عام ١٩٤٨ حتى دخول الجيوش العربية في منتصف أيار (مايو)، وكانت المنظمات الصهيونية واليهودية العالمية قد امدت اليهود في فلسطين، خلال هذه الشهور، بكثير من الأسلحة والذخائر الخفيفة والثقيلة، من مخلفات الحرب العالمية الثانية، من البلاد الأوروبية والأمريكية، وكذلك بالضباط والجنود والخبراء والمدربين لتدريب الشبان والفتيات على الأعمال العسكرية.

ولما عمد اليهود إلى أعمال النسف والتدمير لارهاب العرب، قابلتهم فصائل التدمير في جيش الجهاد المقدس بالمثل، بل زادوا عليهم بأن نسفوا شارع بن يهودا، ودار الوكالة اليهودية، وحي المونتفيوري وعمارة بالستين بوست وما جاورها، بالأضافة إلى معظم الحي اليهودي في المدينة القديمة، مما اضطر اليهود للتوقف عن أعمال التدمير، لأنها الحقت بهم وبالاً ونكالاً كبيراً، عندئذٍ عمد اليهود لاقتراف الفظائع في المدن والقرى العربية، فكانت مجازر دير ياسين، وحواسة، وبلد الشيخ، وناصر الدين، والخصاص، وعيلوط، وسكرير، والدوايمة، وكثير غيرها لارهاب العرب وحملهم على الخروج من بلادهم..

بالأضافة إلى ذلك كان الجنود الإنكليز، في معظم الاشتباكات المسلحة التي تقع بين العرب واليهود، يدعمون اليهود وينكلون بالعرب، ولا يحجمون عن نسف منازلهم وإطلاق النار عليهم وتجريدهم من السلاح واعتقالهم، وغير ذلك من أعمال البطش والارهاب.

التواطؤ البريطاني الأمريكي ودور مجلس الأمن:

ولما قررت الحكومة البريطانية وقف الادارة المدنية في فلسطين وتصفيتها من بداية شهر آذار (مارس) ١٩٤٨، واتخذت شكل حكومة عسكرية، وأصبح المندوب السامي حاكماً عسكرياً (وكان عندئذٍ السر الن كاننغهام)، شرع الإنكليز حينئذٍ ينسحبون من المناطق اليهودية، متخلين عن ادارتها لليهود، وسرعان ما بادرت «الوكالة اليهودية» بوضع اليد على تلك المناطق، متخذة لنفسها صفة «حكومة يهودية»،

وجعلت تتصرف فيها تصرفاً مطلقاً، واستولت على ما كان لحكومة فلسطين (البريطانية) من مرافق ومؤسسات وادارات عامة، وبذلك استطاعوا العمل بحرية تامة لجلب الأسلحة والمدربين على القتال من شبان اليهود وغيرهم من الضباط والجنود المرتزقة من خارج فلسطين، وقد اعترف رئيس الوزارة البريطانية مستر اتلي بأن القوات البريطانية لن تدخر وسعاً لمنع القوات العربية من دخول فلسطين.

وهذا الموقف البريطاني المتحيز ساعد اليهود على اتخاذ مواقف مماثلة في اقتراف المذابح والفظائع في المدن التي يسكنها عرب ويهود، مثل طبرية ويافا وحيفا، رغم استماتة أهلها العرب في سبيل حمايتها وحسن بلائهم في الدفاع عنها، وزاد الموقف خطورة ما أعلنته السلطات البريطانية من أن كل تدخل عسكري قبل ١٥ ايار (مايو)، وهو اليوم الذي حددته لانسحابها من فلسطين ستقابله بالقوة، وأنها ستظل مسؤولة عن النظام والامن حتى ذلك التاريخ، لكن الواقع كان خلاف ذلك، إذ أخذت السلطات البريطانية في المدن المختلفة تخلي الاحياء العربية وتترك اهلها فريسة للاعتداءات اليهودية، ثم كانت الخدعة اللئيمة الفظيعة التي اقترفتها تلك السلطات في حيفا، إذ أكدت للمسؤولين العرب من أهلها أنها ستظل قابضة على ناصية الأمر في منطقة حيفا خاصة حتى شهر آب (اغسطس)، ثم لم يلبث الإنكليز أن فاجأوا العرب بانسحابهم بعد ٢٤ ساعة من ذلك التأكيد، وتركوهم عرضة لهجوم يهودي مدبر في أقبح مؤامرة إنكليزية يهودية شهدها تاريخ فلسطين، وسيرد تفصيل ذلك في مكانه من هذه المذكرات.

وكانت حكومة فلسطين (البريطانية) قد منعت لجنة التقسيم، التي أوفدتها الأمم المتحدة إلى فلسطين، من دخول فلسطين قبل أول شهر ايار (مايو) لتقوم بالمهمة المعينة لها وهي تولي الادارة في فلسطين، ولم تسمح إلا لبعض موظفيها بالدخول للقيام باتصالات اولية، ولم تقبل أن تستخدم القوات البريطانية في تنفيذ التقسيم، فأثار ذلك احتجاج لجنة التقسيم وكانت بريطانيا تحاول الاتفاق سراً مع الولايات المتحدة للحصول من مجلس الأمن والجمعية العامة للامم المتحدة على قرار بمنحها الوصاية أو تمديد انتدابها على فلسطين، لكن ممثل الاتحاد السوفياتي في مجلس الأمن ندد بهذه المحاولة، وبذلك احبطت.

وكان مجلس الأمن قد استأنف بحث قضية فلسطين مجدداً في شباط (فبراير) ١٩٤٨، إبان اشتداد الصراع بين العرب واليهود، حتى استحال على لجنة التقسيم أن تقوم بمهمتها، وقرر رئيسها في بيانه في مجلس الأمن استحالة القيام بعمل مفيد في

هذه الظروف الخطيرة التي تسود فلسطين، وإنه لا سبيل لحل المشكلة الا بنبذ التقسيم، أو بإرسال جيش دولي لتنفيذه بالقوة.

وفي ١٩ آذار (مارس) أعلن مندوب أمريكا في بيانه بمجلس الأمن عدول حكومته عن تأييد قرار التقسيم، لأنه لا يمكن تنفيذه إلا بالقوة، واقترح وضع فلسطين تحت وصاية دولية، واعادة القضية إلى هيئة الأمم المتحدة للنظر فيها ثانية، ودعوة العرب واليهود إلى عقد هدنة سياسية وعسكرية، ريثما يتم اتخاذ قرار جديد، وكذلك أعلن مندوب كندا معارضة حكومته لتنفيذ التقسيم بالقوة، وطالب بتفاهم العرب واليهود، وحل مشكلة فلسطين حلاً سلمياً، وقدم مندوب كندا اقتراحاً بأن تتشاور الدول الخمس الكبرى في حل المشكلة دون ارتباط بقرار التقسيم، وابلغت بلجيكا (وهي من الدول التي وافقت على التقسيم) حكومة لبنان انها سحبت تأييدها لقرار التقسيم.

وكان مشروع الوصاية الاميركي بالهدنة، يقضي بوضع فلسطين تحت الوصاية، وأن تعين الأمم المتحدة حاكماً عاماً يدير البلاد تحت اشرافها، يساعده مجلس استشاري منتخب وقوة بوليس مختلطة، وأن يسمح لليهود بهجرة خمسة آلاف شهرياً، ووقف الأعمال العسكرية، ومنع ادخال السلاح والمسلحين، وكل نشاط سياسي، والتعاون مع الدولة المنتدبة على حفظ الأمن العام والأماكن المقدسة، والمرافق العامة.

وقد أغضب هذا الوضع الجديد اليهود، فثاروا عليه وشنوا حملة شديدة على أمريكا، وأعلنوا أنهم مستمرون في إقامة الدولة اليهودية وحمايتها، واستمروا بالفعل في جلب السلاح والذخائر والضباط والمتطوعين من الخارج، وقدمت الوكالة اليهودية شكوى إلى مجلس الأمن متهمة الدول العربية بالتآمر على احباط التقسيم، وطلبت تنفيذه وتطبيق ميثاق الأمم المتحدة على الدول العربية.

ولا شك في أن هذا الوضع الجديد فوز لجهاد العرب ونضالهم الثوري والسياسي، لكن بعض الدول العربية حينئذٍ لم تقف الموقف الصلب الذي من شأنه أن يوصلهم إلى هدفهم، وهو الغاء التقسيم والقضاء على الدولة اليهودية، وحسبت أن دخول عدة الوية من جنودها إلى فلسطين، دون أية خطة عسكرية مدروسة ودون اتفاق سياسي وطيد على مستقبل فلسطين السياسي، كفيل ببلوغ الهدف والقضاء على المخططات الصهيونية إلى غير رجعة..

ولم تفعل الدول العربية شيئاً يعتد به، من حيث زيادة استعدادها العسكري وتقوية

طاقاتها القتالية، للتصدي للاحداث المقبلة على المستوى الذي تتطلبه خطورة قضية فلسطين واندفاع اليهودية العالمية في دعم المطامع الصهيونية[1].

في غضون ذلك، كانت المشاورات تجري في دوائر الأمم المتحدة ومجلس الأمن لاغراء العرب بقبول مشروع «الوصاية الدولية» أو «الدولة الفلسطينية الاتحادية (فيديرالية)» تلافياً لما كان يتوقع من تدخل الدول العربية تدخلاً عسكرياً في فلسطين.

وكانت الهيئة العربية العليا لفلسطين، والوكالة اليهودية، والدول العربية قد تسلمت مذكرات من الحكومة الأمريكية تطالب فيها بإرسال ممثلين للاشتراك في مشاورات الدول الخمس الكبرى للوصول إلى حل لمشكلة فلسطين، وأن على العرب أن يتقدموا بتعديلات لقرار التقسيم ومساحة المناطق التي اشتمل عليها.

وتلقت وزارة الخارجية اللبنانية من الأستاذ كميل شمعون، ممثل لبنان في الأمم المتحدة آنذاك، برقية في ١٢ آذار (مارس) ١٩٤٨ قال فيها «إن مشاورات غير رسمية وسرية قد بدأت، وأنه اجتمع بالخبراء الاميركيين اجتماعاً طويلاً لبحث امكانات الوصول إلى حل غير التقسيم، وأن هذه المباحثات التي تجري على هامش المشاورات المحتملة بين الأعضاء الدائمين والهيئة العربية العليا لفلسطين ستستمر خلال الاسبوع القادم، وأن المقترحات التي يمكن اتخاذها أساساً لمباحثات مقبلة هي:

---

(١) ـ تحدث المؤرخ العربي الأستاذ محمد عزة دروزة في الجزء الثاني من كتابه «القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها» عن تهاون العرب في دعم قضية فلسطين، فقال في الصفحة ١٤٨ ما يلي:

«كررنا تعبير» الامكانيات الميسورة عند العرب عن قصد، ونعني ما عندهم من قوى ووسائل حربية جاهزة. فقد ضنوا بذلك على المناضلين الشعبيين قبل الزحف الرسمي، ولم يرسلوا حين الزحف ما كان في إمكانهم أن يتخذوه من اجراءات وتدابير وتشريعات متصلة بالموقف وداعمة له.

وقيدنا القبول بالامكانيات الميسورة الموجودة لأن الامكانيات العربية أعظم بكثير من ذلك، بل إن العراق أو سورية لو بذلت امكانياتها على وجهها أو قريباً من ذلك ـ بله مصر ـ لكانت قادرة وحدها على الاضطلاع بالعبء. فاليهود في فلسطين أعلنوا حالة الحرب وطبقوها بحذافيرها وبكل جد، فجندوا كل قادر على الحرب والعمل من الرجال والنساء وأصحاب المهن المتنوعة، حتى لم يكد يرى اثناء الحرب أحد من هؤلاء في الشوارع، وحتى بلغ المجندون في الجيش فقط ١٥! من مجموع السكان، وحصروا كل نشاطهم في الحرب ومقتضياتها في الميادين والمصانع والخدمات المتنوعة الأخرى، وفرضوا نظام البطاقات في التموين بكل دقة وشدة، وخاصة في المواد المتصلة بأغراض الحرب، وأخذوا نحو ٧٥! من دخل الناس وطرحوا ضرائب فوق العادة على الثروات إلخ، وفي حين أن العرب لم يكادوا يفعلون شيئاً من هذا. ولم يكن الغريب يحس ان هذه البلاد في حالة حرب، بما كان من حياة عادية في كل شيء، بما في ذلك من اللهو واللعب، حتى كان هذا موضوع تندر مراقبي الهدنة وهم يقايسون بين حالة اليهود وحالة البلاد العربية..»

١ ـ الاقتراح اللبناني المقدم في ١٩٤٧/١١/٢٩ بشأن الدولة الاتحادية.

٢ ـ تقرير لجنة التحقيق الدولية.

٣ ـ وضع فلسطين تحت الوصاية المؤقتة مع مراقبة الهجرة في هذه الفترة.

أما فيما يتعلق بالمشاورات بين الأعضاء الدائمين والهيئة العربية العليا، فهو يرى أنه من الضروري والأفضل أن تلبي الهيئة العربية العليا الدعوة».

ووردت برقية رمزية من الدكتور محمود فوزي، ممثل مصر في الأمم المتحدة حينئذ، بتاريخ ١٩٤٨/٣/١٥ من نيويورك، يشير فيها إلى مباحثاته في الأيام الأخيرة مع عدة وفود وشخصيات مختلفة بشأن الاحتمالات التي قد تواجهها قضية فلسطين وهي:

(١) دولة موحدة ديموقراطية.

(٢) الدولة نفسها مع استقلال ذاتي للبلديات والاقاليم.

(٣) دولة ديموقراطية أو اقليمية على أساس المقاطعات Cantons وإنشاء لجنة من الأمم المتحدة للمراقبة وأن لا تكون لها سلطات ادارية أو سياسية.

(٤) الوصاية.

ومما جاء في البرقية «أما الولايات المتحدة التي تدّعي أنها غير راغبة في الوصاية فهي متهمة بالتحيز إلى جانب اليهود، وهي لهذا السبب لا تعتبر أقل خطراً من الدول الأخرى، وذكر اسم دولة لم يكن الحديث عنها منتظراً وهي تركيا، ويقول فارس بك الخوري انه يميل إلى تفضيلها، وقد أبدى لي مراراً ممثل تركيا اهتماماً كبيراً لقضية فلسطين بوجه عام».

وكانت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية قد اجتمعت وعقدت عدة جلسات بين ١٦ إلى ٢١ آذار (مارس)، بحثت خلالها قضية فلسطين على ضوء التطورات الأخيرة، واتخذت عدة قرارات، كان هدفها (على حد تعبيرها) المعاونة على الوصول إلى حل عادل في فلسطين، يجعل منها بلاداً هادئة آمنة، فأصدرت تعليمات لمندوبي العرب لدى الأمم المتحدة ليبينوا للعالم ان العرب، مع تصميمهم على مقاومة التقسيم بكل الوسائل، فهم مستعدون للتعاون في كل ما من شأنه الوصول بفلسطين إلى الاستقلال ضمن دولة واحدة ديمقراطية، وإقرار السلام والأمن، وأنهم في هذا السبيل يعتبرون اهل فلسطين العرب في حالة دفاع شرعي عن حقهم في تقرير مصيرهم، وحق بلادهم في وحدتها واستقلالها، وأن الأمم المتحدة إذا أرادت إخراج الإرهابيين

من فلسطين وحل جيش الهاغانا الأجنبي، ومنع الهجرة التي تمده بالقوات اللازمة، فإن العرب مستعدون لبذل اقصى جهدهم لنزع السلاح في فلسطين وتحكيم المبادئ الديمقراطية في حل قضيتها.

وإن ما بدأ من عدول الولايات المتحدة وبعض الدول الكبرى عن التقسيم، بعد تجربة أربعة اشهر، دليل على صدق العرب حين انذروا الأمم المتحدة بأن مشروع التقسيم فضلاً عن أنه غير عادل، فإنه غير عملي، وضار بالعرب واليهود، ونتائجه الحتمية سفك الدماء والخراب..

وأرسلت اللجنة السياسية في ١٩٤٨/٣/١٧ برقية إلى الأستاذ فارس الخوري تقول فيها أنها اطلعت على ملخص بيانه في مجلس الأمن يوم ١٥ الجاري، وأن الدول العربية رغبة منها في انتشال فلسطين من الفوضى والدمار وسفك الدماء، ومحافظة منها على السلم الدائم والاستقرار في الشرق الاوسط، تبذل غاية جهدها للوصول إلى حل سلمي عادل للقضية الفلسطينية، يتفق والمبادئ الديمقراطية وحق الشعوب في تقرير مصيرها، وتعمل كذلك على نزع السلاح نزعاً كاملاً من اهالي فلسطين، وعلى حل القوات المنظمة فيها، إذا وافقت هيئة الأمم المتحدة على اخراج الارهابيين من الارض المقدسة، وتجريد الهاغانا وغيرها من المنظمات اليهودية العسكرية من السلاح تجريداً كاملاً، وتدمير ما انشأوا من القلاع والحصون، وبحيث تكون فلسطين بلداً لا يستطيع أحد فيه، تحت تأثير مختلف العواطف أو التدخلات الأجنبية، أن يكون قادراً على الاخلال بالأمن والسلم الخ..

وكانت الهيئة العربية العليا قد انتدبت وفداً إلى الأمم المتحدة، للاشتراك في المباحثات والمشاورات التي ستجري في شأن الاقتراح الأمريكي، لاستبدال الوصاية على فلسطين بقرار التقسيم، وفي ١٩٤٨/٤/٢٨ تلقيت برقية من رئيس الوفد السيد جمال الحسيني جاء فيها: «إن مجلس الوصاية في الأمم المتحدة طلب أن تبحث مسألة استتباب الأمن في القدس، وأن يصدر كل من الهيئة العربية العليا والوكالة اليهودية أمراً بوقف القتال في البلدة القديمة داخل السور، وقد اشترطنا للقبول بذلك اخراج قوة الهاغانا (وهي جيش الدفاع اليهودي) من البلدة القديمة، لكن هذا الشرط لم يقبل، والمجلس يلح علينا بإرسال برقية لوقف القتال». وأضافت البرقية «إنهم يطلبون رأينا حالاً، لأن الجلسة غداً صباحاً».

فكان جوابنا على البرقية: «إن وقف القتال داخل البلدة القديمة لا يفي بالقصد،

وإنه إذا كان لا بد من وقف القتال داخلها فيجب اشتراط المحافظة على الحالة الراهنة فيها، وأن لا يسمح بادخال يهود آخرين بأية صورة، وأن تظل مراقبة المدينة وكل ما يدخل إليها تحت إشراف العرب، خشية ادخال مواد خطرة وغيرها».

وفي اليوم التالي ٢٩/٤/٤٨، تلقينا من الوفد الفلسطيني برقية جاء فها: «إن المجلس قرر التوصية بوقف القتال داخل اسوار القدس، بشرط المحافظة على الحالة الراهنة، مع الإصرار على طلب هدنة بمنطقة القدس وتأمين مواصلاتها، وقد رفضنا ذلك، ووافقنا على البحث في مشروع يرمي إلى إقامة حكومة واحدة ديموقراطية تضم المواطنين الفلسطينيين، واستبعدنا كلمة الوصاية، واليوم أعلن الاميركيون عدم إصرارهم على الوصاية، وكان طلبنا هذا بناء على تعليماتكم».

أما مشروع الوصاية الاميركي فيقضي بفرض وصاية على فلسطين إلى أن يتفق العرب واليهود على شكل الحكومة، وأن يعين حاكم عام ومجلس استشاري لادارة البلاد، وتأليف قوة بوليس عربية ويهودية، وأن تمنح المقاطعات استقلالاً إدارياً، اما الهجرة اليهودية فتتم على أساس خمسة آلاف في الشهر.

ويقضي المشروع أيضاً بوقف الأعمال العسكرية والأعمال المخلة بالامن، وعدم إدخال السلاح والمسلحين إلى البلاد، والتعاون مع الدولة المنتدبة على حفظ الأمن والاماكن المقدسة والمرافق العامة.

وبعد أن بحث مجلس الأمن مشروع الوصاية الاميركي قرر إعادة القضية إلى الجمعية العمومية لاعادة النظر فيها، وقبول اقتراح الهدنة، ودعا العرب واليهود إلى الارتباط به، وقرر تعيين لجنة للاشراف على تنفيذه، مؤلفة من ممثلي أمريكا وبلجيكا وفرنسا في القدس.

وقد وصفت بعض الصحف الإنكليزية قرار مجلس الأمن هذا بأنه حكم بالإعدام على قرار تقسيم فلسطين.....

وجاء في القسم الخاص بفلسطين من تقرير للامين العام لجامعة الدول العربية مؤرخ في ١٩٤٨/٣/٤ ما يأتي:

«علم الأمين العام من مصدر رسمي أن موقف امريكا من القضية الفلسطينية قد طرأ عليه بعض التبدل، بحيث أنها ستصر على عدم الاشتراك في تنفيذ قسمة فلسطين بالقوة، ولو أنها لا تزال تقر مشروع التقسيم. وهي لا ترى إرسال قوة دولية إلى فلسطين إلا في حالة حدوث تهديد للسلم الدولي، وهذا في نظرها يكون بتدخل

جيوش الدول العربية في فلسطين، وهناك محاولات تبذلها أمريكا واضحة الدلالة على رغبتها في استرداد صلاتها الحسنة بالدول العربية وفي تهدئة العالم العربي.

والرأي لدى الامين العام بالنسبة لفلسطين ان يتخذ ممثلو الدول العربية في الأمم المتحدة موقفاً واضحاً في عدم رغبة الدول العربية في استدامة الفوضى في فلسطين، وأن يثبتوا لمحدثيهم وللامم المتحدة والرأي العام مدى استعداد اليهود وقوتهم، وأن الهاغانا هي في الواقع جيش أجنبي من اشتات العالم، مدرب ومسلح داخل فلسطين، فضلاً عن الهيئات الإرهابية الأخرى، وليس لدى العرب في فلسطين قوة مماثلة، وفضلاً عن ذلك فان الهاغانا تمد كل شهر بالف وخمسمائة مهاجر - يسمون شرعيين - بالإضافة إلى ما يدخل البلاد من غير الشرعيين - وأغلبهم من يهود مدربون في الخارج، ولا يتلقى العرب من الخارج مدداً من الرجال أو المال أو السلاح يضارع كل ذلك.

فإذا أراد اليهود وأرادت الأمم المتحدة نزع السلاح في فلسطين وحل القوات المنظمة فيها وإخراج الإرهابيين من الارض المقدسة، فان الدول العربية تشارك في مثل هذا العمل باخلاص وتعمل على نزع السلاح من عرب فلسطين، وتساهم في بذل الجهود الصادقة لاستنباط حل سلمي عادل لقضية فلسطين، يتفق والمبادئ الديمقراطية.

والرأي لدى الامين العام ان مثل هذا الموقف من شأنه الفت في عضد اليهود وتهيئة مخرج لمجلس الأمن من ورطته، فإذا رأت الدول الأعضاء في الجامعة العربية في هذا الرأي فيجب أن يعلنه دولة فارس الخوري بك في مجلس الأمن باسمها جميعاً، بعد أن يكون ممثلو الدول العربية في نيويورك قد هيأوا الصحافة والرأي العام لترقب إذاعته باعتباره موقفاً حاسماً محرجاً للارهابيين اليهود ومؤيديهم، ودالاً على صدق رغبة العرب في حل قضية فلسطين حلاً سلمياً، لم يزل في الامكان، إذا خلصت النوايا وصدقت العزائم.

فمثل هذا الموقف أحرى أن يبطل دعوى اليهود أن العرب سيذبحوهم إذا لم تنشأ لهم دولة في فلسطين، وخليق أن يفقدهم عطف العالم عليهم، ومن شأنه تجريد أنصار التدخل بالقوة في فلسطين من كل سند أو حجة، وقد يفتح السبيل آخر الأمر إلى حل يرتضيه العرب».

في ١٩٤٨/٣/١٨ أبلغت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية الأستاذين كميل شمعون، وشارل مالك، بواسطة القنصلية اللبنانية في نيويورك، أنها اطلعت على

ملخص بيان الأستاذ فارس الخوري في مجلس الأمن يوم ١٩٤٨/٣/١٥، وأنها أقرت بالإجماع ما جاء في مذكرة الأمانة العامة للجامعة العربية المرسلة إليه والمؤرخة في ٤ مارس خاصاً بفلسطين، وكلفتهما ان يعلنا في أول اجتماع لمجلس الأمن باسم حكومات الدول العربية البيان التالي:

«إن الدول العربية تحدوها الرغبة في انتشال فلسطين من الفوضى والدمار وسفك الدماء، والحرص على المحافظة على السلم الدائم في الشرق الاوسط، ولهذه الغاية فهي مستعدة متى وافقت هيئة الأمم على إخراج الارهابيين من الارض المقدسة وعلى تجريد الهاغانا، تلك القوة الأجنبية التي لا يتمتع أكثر أفرادها حتى بالجنسية الفلسطينية، وغيرها من المنظمات اليهودية العسكرية، من السلاح تجريداً كاملاً، ومتى وافقت على تدمير ما أنشأوا من القلاع والحصون، إن الدول العربية تكون مستعدة، في هذه الحالة، لأن تبذل غاية جهدها للوصول إلى حل سلمي عادل للقضية الفلسطينية، متفق والمبادئ الديمقراطية وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، ولأن تعمل مع الأمم المتحدة كذلك على نزع السلاح نزعاً كاملاً من أهالي فلسطين، وعلى حل القوات المنظمة فيها، بحيث تكون فلسطين بلداً لا يستطيع أحد فيه، تحت تأثير مختلف العواطف أو التدخلات الأجنبية، قادراً على الإخلال بالأمن والسلام.

والدول العربية حين تعلن هذا إنما تريد أن يكون واضحاً للعالم ان موقف العرب موقف دفاعي صرف، وأن عرب فلسطين وقعوا فريسة لغزو جماعات أجنبية من مختلف الاقوام تريد السيطرة بجميع الوسائل، بما فيها القوة، على وطنهم، وتمد باستمرار وانتظام شهرياً بالف وخمسمائة من المهاجرين، بموافقة الدولة المنتدبة، فضلاً عن آلاف المهاجرين الذين يدخلون البلاد ضد ارادتها، ويمدون الجيش اليهودي بما يحتاج إليه من المحاربين، فضلاً عن الأسلحة الكثيرة الواردة من الخارج، من بلاد مختلفة، ومن المصانع التي أنشئت داخل فلسطين لتسليح المنظمات الارهابية اليهودية الأجنبية، وترجو الدول العربية ان يكون مفهوماً أن موقفها هذا إنما يوحيه مجرد شعور انساني نبيل، وأن عرب فلسطين لا يفرون ولن يفروا من الميدان، ولا يرفضون ملاقاة التحدي اليهودي بمثله، فإذا ارادت الدول ان تعتبر الحالة في فلسطين حرباً اهلية بين سكانها، كما هو الواقع، وأن تقف تجاهها الموقف الذي تقفه تجاه الحروب الاهلية الواقعة في

جهات أخرى من العالم، فإن الدول العربية مستعدة، إذا تعهدت الأمم المتحدة باتخاذ التدابير التي تكفل عدم ورود إمدادات من الخارج لليهود في شكل مهاجرين وأسلحة أو عتاد، ان تعمل جاهدة على منع انتشار الفوضى في فلسطين التي سببها مشروع التقسيم.

والدول العربية وهي تبدي استعدادها الكامل للسلم، والوصول بفلسطين إلى الاستقلال والحرية والامن، لجميع سكانها في نطاق دولة فلسطينية ديموقراطية واحدة، لن تغير شيئاً من موقفها تجاه مشروع التقسيم أو اقامة دولة يهودية فيها أو استمرار الهجرة إليها، وستعارض كل عمل من شأنه ان يؤدي إلى ذلك، وهي في كل الأحوال لا تقصد إلى التدخل بالقوة في فلسطين ما لم تتدخل قوى أجنبية من خارج فلسطين لمساعدة الصهيونيين».

وفي نفس اليوم تلقت القنصلية اللبنانية في نيويورك البرقية التالية من المراجع الرسمية في القاهرة:

القنصلية اللبنانية ـ نيويورك

أبلغوا ممثلي الدول العربية ما يأتي:

«نظراً لما بدأ يظهر من اتجاهات في مجلس الأمن لرفض مشروع التقسيم وعدم فرضه بالقوة، فإن الهيئة العربية العليا على استعداد للتعاون مع المجلس، وإمداده بالبيانات والمستندات المعينة على استنباط الحل العادل لهذه القضية.

وقد بدأ هذا التعاون باجابة الهيئة على الاسئلة التي وجهها إليها أخيراً سكرتير عام الأمم المتحدة، ولكن تعاون الهيئة معلق على استبعاد مشروع التقسيم، وستصدر الهيئة التعليمات المؤدية لهذه الغاية إلى الأستاذ نخله، وتطلب منه أن يكون دائم الاتصال بالوفود العربية، وأن يوثق اواصر التعاون والتشاور المستمر معها لتحديد خطة العمل، وقد أوصت اللجنة السياسية أن تدعم الهيئة العربية تمثيلها في نيويورك بضم عناصر أخرى إليه، خدمة للقضية، وتحل الهيئة هذه التوصية محلها اللائق من الإهتمام».

أما رأي الهيئة العربية العليا في مسألة الوصاية على فلسطين وموقفها منها فقد اوضحته في مذكرتها المرسلة إلى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية المؤرخة في ٢٥

جمادى الآخرة ١٣٦٧ (٤ ايار مايو ١٩٤٨) وهذا نصها:

«تلاحظ الهيئة العربية العليا أن البحث في موضوع الوصاية، قد اتخذ في الآونة الأخيرة شكلاً جدياً في هيئة الأمم المتحدة، ويبدو أن المشروع الأمريكي للوصاية يكشف عن حقيقة السياسة الأمريكية إزاء الوصاية، وأن كانت الدوائر الأمريكية تنفي أن يكون هذا المشروع معبراً عن موقفها الرسمي.

وخلال البحث في مسألة الوصاية ابدى البعض من ساسة العرب المسؤولين من الآراء والتصريحات ما ينم عن قبول الوصاية، وتخشى الهيئة العربية العليا ان يكون هذا الاتجاه معبراً عن رأي الحكومات العربية أو معظمها، ولهذا فقد بات واجباً على الهيئة العربية أن تبدي رأيها في هذا الموضوع الذي ينطوي على خطورة بالغة، ذات أثر بعيد في مستقبل البلاد.

وتود الهيئة العربية العليا أن تؤكد أنّ رفضها للوصاية لا ينبثق عن فكرة سلبية، وإنما مصدره اعتقاد صادق يقوم على أساس صحيح من الوقائع، ويسنده اختبار طويل لمرامي السياسة الاستعمارية.

والوصاية انما هي صيغة أخرى للانتداب، الذي بلوناه قرابة ربع قرن، فجلب على البلاد الدمار والخراب، وحرمها من مشاركة الأقطار العربية في نعمة الحرية والاستقلال.

ولسنا نغالي في القول إن الوصاية تمر من نظام الانتداب، لأن هيئة الأمم الحاضرة قد تجاوزت حدود عصبة الأمم القديمة في تجافيها عن الحق واستسلامها للقوى الدولية، ولا جدال في أن نظام الوصاية يؤدي إلى ربط مصير بلادنا بمشيئة هيئة الأمم المتحدة، وإنه من الخطورة بمكان عظيم أن نرهن مستقبلنا بهيئة الأمم المتحدة، ولن نرضى بأن نكون موضوعاً للمناقشة الدولية.

وواضح أيضاً أن الوصاية، قصيرة أو طويلة الامد وعلى أي شكل جاءت، نظام من شأنه أن يعطل أو يؤجل وضع حل سياسي سليم للقضية الفلسطينية، وإنه في ظل التأجيل والتسويف يكون للصهيونيين كسب عظيم، سواء في الميادين السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية، يحتمل أن يؤدي إلى اقامة دولة يهودية في رقعة أوسع مدى مما يطمع فيه الصهيونيون في الوقت الحاضر.

ولا شك في أن الصيغ أو النصوص لا تزيل المخاوف وليس من شأنها أن تحافظ على حقوق العرب، فإن صك الانتداب قد احتوى في بعض فقراته

نصوصاً تؤكد صيانة حقوق العرب، فكانت النتيجة هذا المصير الذي صار إليه أمر البلاد.

وعندنا أن الوصاية خطر بذاتها، من غير حاجة إلى الدخول في التفاصيل، وقد يكون من الميسور أن تتفق هيئة الأمم المتحدة في هذه المرحلة على فرضها، ولكن عدم اتفاقها في المستقبل على انهائها، أو على أية مسألة جوهرية من الشؤون العامة، سيجعل البلاد محكومة إلى الأبد بنظام الوصاية، سواء رضيت هيئة الأمم أو لم ترض، ما دام الحكم الذي تفرضه الوصاية مسنوداً من ناحية دولية معينة.

ولم يعد خافياً أن لدى اليهود برامج واسعة لاغراق البلاد بالمهاجرين، والمضاعفة من قواهم العسكرية، وليس لدى هيئة الأمم من دفع هذه الغزوة المتوقعة، فتضطر البلاد العربية مرة أخرى لاعداد العدة العسكرية لمقابلة هذه الطوارئ الخطيرة، ولسنا ندري حينئذٍ مدى الملاءمة العامة للقيام بمثل هذه الحركة.

وقد قيل أن لدى هيئة الأمم امرين، التقسيم أو الوصاية، وأنه لا بد من اختيار الوصاية لدفع التقسيم، وأن ميثاق الأمم المتحدة لا ينص على غير الوصاية في مثل هذه الأحوال، وأن قبول الوصاية خطة حكيمة تؤدي إلى العدول عن الدولة اليهودية.. ومثل هذه المناقشة قد تصح في قضية عادلة أمام محكمة عادلة، دستورها الحق والإنصاف، إلا أنه حينما يتعلق الأمر بقضية عامة مثل قضيتنا، وأمام هيئة الأمم التي عالجت جميع المشاكل الدولية على أساس المصلحة الدولية وليس على أساس الحق والعدل، وذلك باعتراف الدول الكبيرة ذاتها، يجب أن نتوقع أن تكون وصاية الأمم المتحدة مما يقضي بصورة نهائية على عروبة هذه البلاد.

أما القول بأن ميثاق الأمم المتحدة لا ينص على غير الوصاية، فلا يحتاج إلى تفنيد لأن هيئة الأمم نفسها قد أقرت فيما مضى مشروع التقسيم، وليس في ميثاقها أي نص بعيد أو قريب يعطي هيئة الأمم سلطة تقسيم أي بلاد، ومع وجود هذا النص فقد اقدمت هيئة الأمم المتحدة على اقرار التقسيم.

على أنه إذا كان يجب أن يدور البحث حول الميثاق ونصوصه، فهذه جميعها لا تنفي أن يعترف باستقلال فلسطين وسيادتها الوطنية، هذا إذا كانت

النية صادقة في حل هذه القضية حلاً يكون في جانب الحق وصالح العرب.

وترجو الهيئة العربية العليا أن تلفت النظر إلى أن حرج الموقف الدولي في الظروف الحاضرة يجعل الحكومات العربية في مركز تستطيع معه أن تملي رغبتها في حل القضية الفلسطينية.

إزاء هذه الاسباب، وبالنظر إلى المسؤولية الكبرى التي تمليها ظروف البلاد الحاضرة، ترى الهيئة العربية العليا من واجبها أن تعرب عن معارضتها لنظام الوصاية، راجية أن تأخذ الحكومات العربية بهذا الرأي، وأن تصدر التعليمات إلى مندوبيها في هيئة الأمم للعمل بمقتضاه».

ولما اجتمعت الجمعية العمومية للام المتحدة في ١٦ نيسان ١٩٤٨ في دورة استثنائية خاصة لبحث قضية فلسطين، اقترح ممثل أمريكا في بيان ألقاه في اللجنة السياسية ان تقر الجمعية العمومية (وصاية مؤقتة) على فلسطين، وقال إن حكومته مستعدة للمشاركة في حفظ النظام بواسطة قوة بوليسية، إذا وافقت الدول الأخرى على المشاركة فيها.

ولكن ممثل الاتحاد السوفيتي رفض الاقتراح الاميركي وأصرّ على تنفيذ التقسيم، أما ممثل بريطانيا فطالب بتنفيذ الهدنة قبل أي شيء آخر، نظراً إلى خطورة الموقف، وطالب الممثل الفرنسي بهدنة في القدس إذا لم يكن شمول الهدنة لفلسطين كلها.

ووافق ممثلو الدول العربية على الاقتراح الفرنسي، لكن الممثل الاميركي طالب أن تعين الأمم المتحدة وسيطاً يختاره ممثلو الدول الخمس الكبرى، وتتناول مهمته حماية الأماكن المقدسة والشعائر الدينية في فلسطين والتعاون مع لجنة الهدنة القنصلية (التي سبقت الاشارة إليها) وغير ذلك من الشؤون التي تؤدي إلى صالح سكان فلسطين وسعادتهم.. وكان هذا مؤدياً بطبيعة الحال إلى توقف لجنة التقسيم عن القيام باعمالها، ووافقت اللجنة السياسية والجمعية العمومية على الاقتراح الأمريكي، وأخيراً تمّ الاتفاق على تعيين الكونت فولك برنادوت وسيطاً دوليا في ١٩٤٨/٥/٣٠.

وفيما يختص بمشروع الهدنة المقترحة، قدمت الهيئة العربية العليا إلى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية المذكرة التالية المؤرخة في ١٩٤٨/٤/١٥، وهي تشتمل على تحفظاتها على مشروع الهدنة المقترحة:

«١ - في حال قبول اليهود الهدنة، فإن قواهم المنظمة تنسحب إلى ثكناتها بأسلحتها وعتادها، وتظل تتلقى الإمدادات اثناء الهدنة براً وبحراً بوسائل

اليهود المعروفة، هذا بالإضافة إلى ما تنتجه معاملهم ومصانعهم الحربية في تل أبيب وغيرها من المستعمرات التي لا تهيمن عليها أي سُلطة غير سلطة اليهود.

٢ ـ أما من الناحية العربية فان قوات المتطوعين، ولا سيما الوافدين من الأقطار العربية، ستأخذ بالعودة إلى بلادها والتخلي عن أسلحتها، وليس بعيداً أن تفقد أسلحتها أو تعمل السلطات على مصادرتها، أما اليهود فليس في استطاعة هذه السلطات تجريدهم من أسلحتهم.

٣ ـ فإذا ما قام اليهود، بما أعدّوه من الوسائل الكثيرة، بمهاجمة المدن والقرى العربية، فإن البلاد تتعرض لكثير من الفواجع، دون أن يكون في استطاعتنا حشد قوانا المسرحة بسرعة لمواجهة الموقف.

٤ ـ ولذلك ترى الهيئة العربية العليا أنه ما لم تتضمن شروط الهدنة ما يكفل درء هذه المخاطر فإن الخطر على البلاد سيكون عظيماً، وتترتب على ذلك مسؤوليات خطيرة.

٥ ـ إزاء هذه المخاوف ترى الهيئة العربية العليا أنها لا تستطيع أن تتحمل مسؤولية ما ينجم من نتائج الهدنة المقترحة، وترجو اللجنة السياسية أن تعيد النظر في موقفها على ضوء الاعتبارات الآنفة الذكر).

لمناسبة ذكر الهدنة للمرة الأولى في جلسة عقدتها اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في دار وزارة الخارجية في القاهرة، وقد كنت عضواً في هذه اللجنة، حبذ المرحوم النقراشي باشا الهدنة، لكنني كنت معارضاً لرأيه، وبينت أن الهدنة فرصة سانحة للأعداء للاستعداد وجلب المزيد من الأسلحة والرجال المحاربين من الخارج، بينما نحن الآن أكثر منهم عدداً وسلاحاً، وطالت المناقشة في هذا الموضوع، وأيّدني في رأيي بعض أعضاء اللجنة، فاحتد النقراشي، وكان رحمه الله سريع الغضب، وارتفعت الاصوات.. فلما خرجنا من الاجتماع بعد انتهاء الجلسة وجدنا عدداً من الصحفيين في الباب، فأخذوا يسألونني بلهفة: ايه الخناقة بينك وبين النقراشي!!

* * *

منذ أوائل شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ أخذت المعارك تشتد في حيفا بين العرب واليهود، وكانت اللجنة القومية قررت في اجتماع عقدته يوم ١٩٤٧/١٢/٢٧ تقسيم حيفا إلى عشر مناطق عسكرية يتولى قيادتها محمد الحمد الحنيطي ويساعده

الضابط أمين عز الدين ومساعده السيد يونس نفاع من رجال حامية حيفا، وكانت معارك حيفا أكثر المعارك انطباقاً على (حرب الشوارع) واستعمل فيها الجانبان الأسلحة الحديثة والمتفجرات، وكان اليهود قد انشأوا لهم مكامن من الاسمنت المسلح في منطقة (الحليصة) ليقتنصوا المارة من العرب ويلقوا بالمتفجرات على المنازل العربية المجاورة.

أما السلطات البريطانية، العسكرية والمدنية، فقد قامت بدورها كاملاً في حيفا بدعم اليهود والاعتداء على العرب مما اضطر المرحوم رشيد الحاج ابراهيم رئيس اللجنة القومية ان يبعث برسالة إلى السكرتير العام لحكومة فلسطين (البريطانية) بواسطة حاكم اللواء الإنكليزي بتاريخ ١٩٤٨/٢/٥، عدد فيها الحوادث التي تحيزت فيها قوى الجيش البريطاني لليهود وشاركتهم في قتال العرب، وكذلك اقتحامهم المنازل العربية دون سابق انذار وترويع النساء والأطفال وتطويق الأحياء بذريعة التفتيش عن الأسلحة، ومن أساليبهم الوضيعة أنهم كانوا يخطفون افراداً من اليهود ثم يتركونهم في الأحياء العربية مما يجعلهم عرضة للقتل، وكذلك كانوا يخطفون افراداً من العرب فيلقونهم في الأحياء اليهودية ليفتك فيهم اليهود.. وبذلك يزيدون النار ضراماً.

لقد شهدت حيفا أربعة أشهر كاملة من المعارك بين العرب واليهود لم يحقق الأعداء خلالها أي تفوق على العرب لصمودهم الرائع برغم المساعدات العسكرية الكبيرة التي قدمها لهم الجيش البريطاني، وأخذ الجنود البريطانيون يقيمون الحواجز العسكرية لمنع مجيء نجدات عربية من الناحية الغربية إلى المناطق التي هي عرضة للقصف اليهودي، وهكذا أصبحت الاحياء العربية مطوقة من جميع جهاتها، وأصبح العرب في حيفا وجهاً لوجه أمام مؤامرة بريطانية يهودية واضحة كل الوضوح، ثم أخذت السلطة البريطانية تنسحب من المباني الحكومية ذات القيمة العسكرية وتسلمها لليهود ولاسيما مبنى البريد والهاتف المطل على شارع ستانتون فقد سلمته إلى الهاغانا وبذلك انكشف معظم المواقع العربية وأصبحت هدفاً لقصف المدافع اليهودية.

وفي ١٩٤٨/٤/٢١ دعا الميجر جنرال ستوكويل (قائد الفرقة العسكرية البريطانية في شمال فلسطين، ومن ضمنها حيفا)، بعض المسؤولين العرب إلى مقر قيادته في جبل الكرمل وكان من بينهم الضابط أمين عز الدين، الذي تسلم قيادة حامية حيفا بعد استشهاد القائد محمد الحنيطي، ومساعده يونس نفاع وسلمهم بياناً مكتوباً باللغة الإنكليزية عن توالي الاصطدامات بين العرب واليهود التي كثرت في الأسبوعين الأخيرين ولزوم وقفها لاستتباب الأمن والنظام، وإنه لا يريد زج الجنود ولا البوليس في

هذه الاصطدامات لكنه يريد تأمين سلامة الطرق والأماكن الضرورية لجلاء الجيش البريطاني عن فلسطين خلال الأشهر الثلاثة القادمة عن طريق ميناء حيفا وأن قصده إقرار الأمن والسلام في هذه المنطقة.

واشتمل بيان الجنرال ستوكويل على ذكر الطرق التي سيسلكها الجيش البريطاني في الإنسحاب وطالب بأن تظل بعيدة عن الاشتباكات العربية اليهودية وأن تتم عملية الجلاء بسهولة وسرعة مؤكداً رغبته في استمرار علاقات بريطانيا بالفريقين طيبة في المستقبل مع استمرار صداقتها واحترامها لكل منهما.

وعلى هذا لم يكن العرب يتوقعون ان يتم جلاء القوات البريطانية عن فلسطين عن طريق ميناء حيفا قبل شهرين على الاقل من تاريخ بيان الجنرال ستوكويل في ٢١ نيسان ١٩٤٨، وأنهم يستطيعون خلال هذه المدة أن يحصلوا على ما هم في حاجة إليه من السلاح ووسائل القتال لحماية حيفا وتأمين الاتصال بينها وبين عكا وغيرها من المدن والقرى العربية المجاورة.

ولم يكونوا يتوقعون ان يقع الغدر على اقبح صوره واشكاله وأن يشرع اليهود بهجومهم على حيفا بالتواطؤ مع السلطات البريطانية التي كانت تضمر جلاءها عن حيفا بعد ثلاثة اسابيع من ذلك التاريخ.

أما الطرق والمناطق التي أعلن بيان الجنرال ستوكويل أنه سيحافظ عليها لتأمين مواصلات الجلاء للقوات البريطانية فاهمها المنطقة المحمية في جبل الكرمل، والكولونية الالمانية، وبيت غاليم وهي مستعمرة يهودية، ومنطقة المرفأ، ومحطة سكك الحديد الشرقية، ومنطقة الزيوت والمطار.

وكانت بداية الكارثة، أن اليهود الذين كانوا يعلمون كل تفاصيل خطة الجيش البريطاني الجديدة لأنهم أحد الفريقين في هذه المؤامرة وهذا التواطؤ، شنوا هجومهم منذ صباح ١٩٤٨/٤/٢١، وكان آمر الحامية أمين عز الدين قد غادر حيفا متجهاً إلى دمشق ليجلب أسلحة وعتاداً وجنوداً لتعزيز الموقف.

وكانت المعركة تسير سيراً طبيعياً حتى الساعة الثالثة بعد الظهر، وبعد ساعة احتل رجال الجهاد المقدس عدة أماكن في المدينة كانت ضرورية لتحسين الموقف.

وظل الموقف حسناً بالنسبة للعرب في جميع المراكز حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل عندما أخذت مدافع العدو الصاروخية تقذف صواريخها بشدة، وشن العدو هجوماً قوياً اشترك فيه ما لا يقل عن خمسة آلاف مقاتل باعتراف المصادر

اليهودية مستعملين أحدث الأسلحة الاوتوماتيكية حتى أنهم لم يكونوا يستعملون البنادق إلا نادراً.

«أما الجيش البريطاني (المحايد!) فقد شطر المدينة شطرين فمنع بذلك النجدات الداخلية من مفرزة إلى أخرى واغلق مداخل المدينة وحال دون وصول النجدة العربية التي أتت من قرية الطيرة القريبة من حيفا وكان عددها نحو ٣٠٠ رجل وثلاث سيارات مصفحة، وعلاوة على ذلك ساهمت السيارات المصفحة للجيش البريطاني بقصف المراكز العربية المحصنة في الخطوط الامامية..

وفي الساعة الرابعة من صباح ذلك اليوم بدأ الموقف يتحول لصالح العدو نتيجة ضغطهم المتواصل وتفوق أسلحتهم ووفرة ذخائرهم، وعندئذٍ أخذ الاهلون بالنزوح من المدينة، وبصورة خاصة من البلدة القديمة..

... وفي الساعة العاشرة من صباح ٢١ نيسان (أبريل) تألفت لجنة من بعض وجوه حيفا، وتوجهوا إلى مركز قيادة الجيش البريطاني في (هادارا كرمل) وقابلوا القائد البريطاني ومعاونيه وبسطوا له الأمر وطلبوا منه التوسط لوقف المجزرة، فاجابهم «بأنه غير مستعد للتدخل وليس في وسعه أن يقاوم اليهود كما لا يسمح للعرب بأن يستنجدوا بالمسلحين العرب من الخارج لمساعدتهم وأن همه الأول هو المحافظة على الطرق والمناطق التي يحتلها الجيش»

وقال القائد البريطاني انه يستطيع القيام بوساطة لدى السلطات اليهودية لعقد هدنة إذا قبل بها العرب، فطلب منه أعضاء اللجنة ان يعرفوا شروط الهدنة، فاستمهلهم القائد البريطاني ريثما ذهب لمقابلة زعماء اليهود وعاد بعد ١٥ دقيقة حاملاً (١٥ شرطاً) مطبوعة على اوراق الجيش البريطاني وتلاها عليهم فاحتجوا عليها ورفضوا معظمها، فعاد القائد البريطاني واجتمع بالزعماء اليهود مرة ثانية.

وبعد الظهر اجتمع وجوه المدينة وتداولوا الرأي ثم اجتمعوا بالقائد البريطاني وحاكم اللواء ورئيس بلدية حيفا اليهودي وآخرين من اليهود يمثلون مختلف الاتجاهات، ونوقشت بنود الهدنة القاسية فرأى العرب أنهم لا يستطيعون القبول بها لاجحافها لأنها أشبه بشروط دولة منتصرة على أخرى منكسرة وطلبوا تأجيل المباحثات إلى غد، فرفض القائد التأجيل واصر على التوقيع فوراً وقال لهم: «إذا لم توقع هذه الشروط حتى الساعة السادسة والنصف مساء فلن أكون مسؤولاً عن ذبح ألوف من العرب»!!.

أما شروط الهدنة التي اشترطها اليهود فتتلخص فيما يلي:

- تسلم الأسلحة والسيارات العسكرية وكل أدوات القتال في مدة لا تتجاوز ثلاث ساعات إلى الجيش البريطاني تحت إشراف الهاغانا على أن يسلمها الجيش قبل ١٥ ايار ١٩٤٨ إلى الهاغانا.
- تسليم جميع الذكور من الغرباء لترحيلهم تحت إشراف الهاغانا خلال ٢٤ ساعة.
- تسليم جميع الاوربيين الموجودين في صفوف العرب.
- تفتيش المنازل العربية بحثاً عن السلاح وللتمكن من ذلك يعلن نظام منع التجول مدة ٢٤ ساعة.
- محاكمة كل من توجد بعد ذلك أسلحة في حيازته.
- إزالة الحواجز المقامة في الشوارع المؤدية إلى الاحياء العربية.

لكن العرب في حيفا رفضوا التوقيع على هذه الشروط المهينة فانسحب الوفد العربي وتفرق الناس واستأنف اليهود إطلاق النار والقنابل طول الليل، وفي اليوم التالي (الجمعة) ١٩٤٨/٤/٢٣ استباح اليهود حيفا قتلاً ونهباً وامعاناً في الجرائم الوحشية.

وكانت حيفا مطوقة من البحر ومن الناحيتين الشرقية والغربية من الجيش البريطاني الذي كان يمنع دخول العرب إلى حيفا، المسلحين منهم وغير المسلحين على سواء، ولكنه كان يساعدهم على الخروج منها ويفتح لهم الأبواب لتخلو حيفا من اهلها العرب وتصبح يهودية.

وكان الجيش البريطاني قد احتل منطقة الميناء وأعلن استعداده لحماية من يلجأ إليها فكان الناس يتزاحمون على الوصول إليها للنجاة بانفسهم واطفالهم، وأخذ رجال البوليس الإنكليز يساعدون الناس على نقلهم إلى القوارب الراسية في الميناء، ولشدة الزحام كان كثيرون يسقطون في الماء، وأخذت القوارب تقلع من حيفا إلى عكا في حالة يرثى لها.

روعت الاهلين المذابح الوحشية المدبرة التي اقترفتها العصابات الصهيونية المسلحة كمذابح دير ياسين وناصر الدين وحواسة وعيلوط وسكرير والدوايمة وبلد الشيخ وغيرها، لخروجها عن كل شعور انساني، وكل عرف اجتماعي وقانون دولي، وأخذ بعض الناس يغادرون بيوتهم ومساكنهم إلى بلدان عربية مجاورة،

ورافقت ذلك دعاية استعمارية وصهيونية واسعة تحض الناس على هجرة موقتة إلى البلاد المجاورة ريثما تصل الجيوش العربية إلى فلسطين، فتصد المعتدين وتعيد المهاجرين إلى منازلهم آمنين كما وعد المسؤولين من حكام الدول العربية وقادتها حينئذٍ في خطبهم وتصريحاتهم!!

وكان من أكبر الاخطاء التي وقعت فيها الحكومات العربية المجاورة ان فتحت بلادها لتسهيل هجرة الفلسطينيين إليها. ولما كنا شديدي الحرص على بقاء الفلسطينيين في بلادهم مهما كانت الظروف واشتدت الاخطار، فقد بادرت الهيئة العربية العليا لفلسطين بنشر بيان في شهر شباط (فبراير) ١٩٤٨ على الشعب الفلسطيني، دعته فيه للبقاء في بلاده وأن لا يجلو عنها لأي سبب، وأن يدافع عنها حتى النفس الاخير، وكذلك أرسلت الهيئة العربية بياناً إلى جميع اللجان القومية، وهي الهيئات الوطنية الممثلة للشعب الفلسطيني في كافة المدن والقرى، وإلى قيادة جيش الجهاد المقدس وقواد المناطق، للعمل على منع الأهلين من مغادرة البلاد، الا الطلاب المسافرين للالتحاق بالمدارس والجامعات، والمرضى المضطرين للمعالجة الضرورية في الخارج.

وأذكر مثلاً على ذلك أن سيادة المطران جاورجيوس حكيم مطران الروم الكاثوليك في حيفا وعكا وسائر الجليل (غبطة البطريرك مكسيموس الخامس حكيم فيما بعد) لما رأى اشتداد المعركة بين العرب واليهود في حيفا أبرق اليّ بصفتي رئيساً للهيئة العربية العليا طالباً السماح له بنقل اطفال طائفته إلى بيروت، فاجبته برقياً بأن لا ينقلهم إلى خارج فلسطين وإذا كان لا بد من النقل فليكن إلى مدن فلسطين الداخلية الخالية من اليهود.

وكان رئيس اللجنة القومية بحيفا السيد رشيد الحاج ابراهيم قد بعث اليّ برسالة في ١٣ آذار (مارس) ١٩٤٨ يخبرني فيها بأن سيادة المطران حكيم قام بمساع لدى السلطات السورية واللبنانية لايواء العائلات النازحة عن بعض مدن فلسطين وتهيئة ما يلزمها من طعام ومقام، فأبرقت إلى السيد رشيد بأن الهجرة ضارة جداً بصالح البلاد، ثم اتبعت البرقية برسالة بتاريخ ٣ اذار/ مارس جاء فيها «... إننا نقدر العاطفة التي حملت سيادة المطران على القيام بهذا المسعى الانساني، كما نقدر العطف الكريم الذي حمل كلاً من رئيس الجمهورية السورية ورئيس الجمهورية اللبنانية على تلبية طلب سيادته ولكننا نخشى ان يكون نزوح العائلات عن فلسطين إلى خارجها سبباً في اضعاف معنويات امتنا المجاهدة، ولذلك نرى أن الأفضل السعي لنقل ما تدعو

الضرورة الماسة لنقله من العائلات من الاماكن الشديدة الخطر، إلى الاماكن المأمونة في المدن والقرى الداخلية الفلسطينية وبذلك تحافظ البلاد على سمعتها الطيبة وتظل الروح المعنوية قوية سليمة...»

(وفيما يلي نص هذه الرسالة وصورة البرقية إلى اللجنة القومية):

الهيئة العربية العليا لفلسطين

ديوان الرسائل - القاهرة

التاريخ ٢ جمادي الأول ١٣٦٧ (١٣ مارس ١٩٤٨) الرقم ٨٦٥

رقم الملف ع/٢٢٧

الدائرة: الشؤون العامة

حضرة الاخ المفضال السيد رشيد الحاج ابراهيم المحترم رئيس اللجنة القومية - حيفا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد تلقينا كتابكم المؤرخ في ٣/٣/١٩٤٨ المشتمل تفصيل المساعي التي قام بها سيادة المطران حكيم في سوريا ولبنان بشأن إيواء العائلات النازحة عن بعض مدن فلسطين وتهيئة ما يلزم من طعام ومقام.

وإننا لنقدر العاطفة التي حملت سيادة المطران على القيام بهذا المسعى الانساني، كما أننا نقدر كل التقدير العطف الكريم الذي حمل كلاً من فخامة رئيس الجمهورية السورية وفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية على تلبية طلب سيادته، ولكننا نخشى أن يكون نزوح العائلات عن فلسطين إلى خارجها سبباً في إضعاف معنويات امتنا المجاهدة، ولذلك نرى أن الأفضل في هذا الموضوع السعي لنقل ما تدعو الضرورة الماسة لنقله من العائلات في الأماكن الشديدة الخطر، إلى الأماكن المأمونة في المدن والقرى الداخلية الفلسطينية وبذلك تحافظ البلاد على سمعتها الطيبة وتظل الروح المعنوية قوية سليمة.

والله يحفظكم ويرعاكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الهيئة العربية العليا

«التوقيع»

* * *

وفي الوقت نفسه أبرقت إلى السيد كمال حداد مدير مكتب الهيئة العربية العليا في بيروت البرقية التالية:

«هجرة الأطفال وغيرهم من فلسطين للشام وبيروت ضارة بالمصلحة، راجعوا الجهات المختصة بدمشق وبيروت بمنعها وتيلونا».

EGYPTIAN STATE TELEGRAPHS مصلحة التلغرافات المصرية

٨٨٧
١٨/٣/١٢

TO إلى كمال حداد
عمارة ترسيطو رأس بيروت بيروت

هجرة الأطفال وغيرهم من فلسطين للشام وبيروت ضارة بالمصلحة راجعوا الجهات المختصة بدمشق وبيروت بمنعها وتيلونا

صورة برقية رئيس الهيئة بشأن وقف هجرة الأطفال من حيفا

EGYPTIAN STATE TELEGRAPHS مصلحة التلغرافات المصرية

٨٨٨
١٨/٣/١٢

TO إلى اللجنة القومية
حيفا

هجرة الأطفال ضارة بالمصلحة الرجاء التريث إلى الأمر ... وإخطارنا

رئيس الهيئة

صورة برقية الهيئة إلى مكتبها في بيروت لوقف هجرة الأطفال

هذا ولم تقصر الهيئة العربية مساعيها على محاولة منع الفلسطينيين من الهجرة إلى الخارج بل قدمت رسائل إلى الحكومات العربية في ٨ مارس ١٩٤٨ ألتمست فيها أن لا تعطي تأشيرات دخول لأي فلسطيني إلا في حالة الضرورة القصوى كأن يكون الراغب في السفر مريضاً يذهب للاستشفاء أو تلميذاً يسافر للدراسة بعد التثبت من ذلك من اللجان القومية، وقد حمل مندوبون من الهيئة العربية العليا تلك الرسائل إلى العواصم العربية وسلموها إلى الرجال المسؤولين موضحين لهم الأسباب الموجبة لذلك.

ومن دواعي الأسف انه لم يعمل برأي الهيئة العربية العليا في هذا الأمر حينئذٍ.

وفيما يلي نص الرسالة المقدمة إلى صاحب الدولة رئيس الوزارة المصرية:

الهيئة العربية العليا لفلسطين

ديوان الرسائل - القاهرة

التاريخ ٢٧ ربيع الاخر ١٣٦٧ (٨ مارس ١٩٤٨) الرقم ٨٠٨

رقم الملف س/ ١٣٢ - الدائرة: ......

حضرة صاحب الدولة رئيس الوزارة المصرية الافخم - القاهرة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فإن الهيئة العربية العليا لفلسطين تتشرف برفع ما يلي إلى حكومتكم الموقرة.

لمناسبة الأحوال الحاضرة التي تسود فلسطين، أخذ عدد من ابنائها يغادرون البلاد للإقامة بالأقطار العربية الشقيقة المجاورة، ولا يخفى على دولتكم إن مثل هذا العمل يشوه جلال حركة النضال العربية الشريفة، ويسيء إلى سمعة الشعب العربي في فلسطين ويخلق احتمالاً لإضعاف معنويات الشعوب العربية، التي يؤم هؤلاء الفلسطينيون بلادها للإقامة بها، نحو جهاد فلسطين. وقد كان سلوك بعض هؤلاء سبباً للانتقاد والشكوى في الأقطار العربية.

وقد درست الهيئة العربية العليا لفلسطين هذا الموضوع الخطير، فقررت أن من مصلحة القضية الفلسطينية أن لا يغادر فلسطين أحد من أبنائها إلا في الحالات الاضطرارية والضرورية، كالمهام السياسية أو التجارية أو الضرورات الصحية. وهذه الحالات تقررها الهيئة العربية العليا لفلسطين، باستشارة اللجان القومية في مختلف البلاد الفلسطينية، وتقدم بها توصية كتابية إلى ممثل حكومتكم الموقرة في فلسطين للتفضل بإعطاء التأشيرة اللازمة. وأن الهيئة

العربية العليا ترجو من حكومتكم المحترمة إصدار التعليمات اللازمة لقناصلكم في فلسطين، ليتكرموا بمساعدتنا في هذا الموضوع.

ويقيم الآن في الأقطار الشقيقة عدد من الفلسطينيين غادر البلاد على أثر قيام حركة الجهاد، وهؤلاء الاشخاص تحتم المصلحة القومية أن يعودوا إلى فلسطين للقيام بواجباتهم فيها على النحو المستطاع، كل في ناحية عمله. وقد تكرمت حكومتكم الموقرة بإعطاء اذن للاقامة لهؤلاء الفلسطينيين، والهيئة العربية العليا التي تقدر لحكومتكم هذا العطف وتشكركم عليه جزيل الشكر، ترجو أن لا تجدد حكومتكم اذن الاقامة المعطى للفلسطينيين إلا بعد موافقة الهيئة العربية العليا بمصر أو القدس وأن تأمر باعادتهم إلى بلادهم، بعد التثبت من عدم وجود أي اضطرار صحي، أو سبب معقول لبقائهم في القطر الشقيق، وأن الهيئة العربية العليا مستعدة لمعاونة الدوائر المختصة في حكومتكم للتثبت من حالات الفلسطينيين المقيمين ببلادكم العزيزة.

وتفضلوا يا صاحب الدولة بقبول اخلص التحية واوفر الاحترام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الهيئة العربية العليا

«التوقيع»

* * *

ولكن المستعمرون والصهيونيين وعملاءهم ما انفكوا يروجون دعايتهم الكاذبة المضللة بأن خروج الفلسطينيين من بلادهم لم يكن سببه المذابح الوحشية الفظيعة التي اقترفتها العصابات اليهودية المسلحة فيهم، بل كان خروجهم تلبية منهم لنداءات وتوجيهات صدرت اليهم من الهيئة العربية العليا لفلسطين ومن الدول العربية!!

واذكر لهذه المناسبة ان الأستاذ وليد الخالدي زارني عندما كنت في القاهرة وحدثني عن هذه الدعاية الصهيونية والأجنبية وما تتركه من آثار وانطباعات ضارة في نفوس الذين لا يعرفون الحقيقة والواقع، فاكدت له كذب هذه الافتراءات التي يروجها الأعداء، وأن الحقيقة والواقع هما نقيض ذلك لأن الهيئة العربية العليا عارضت خروج الفلسطينيين من بلادهم واذاعت عليهم بياناً في هذا الشأن في شهر شباط (فبراير) ١٩٤٨، كما ارسلت مذكرات إلى الحكومات العربية في ٨ آذار (مارس) ١٩٤٨

التمست فيها أن لا تعطي تأشيرات سفر لأي فلسطيني إلا في حالات الضرورة القصوى كالحاجة إلى المعالجة أو اتمام الدراسة.

هذا ولم تقتصر الهيئة في مساعيها هذه، على العمل لمنع هجرة الفلسطينيين إلى الخارج بل طالبت في مذكرتها الحكومات المصرية واللبنانية والسورية وغيرها باعادة الفلسطينيين الذين غادروا بلادهم إلى الأقطار العربية، لكي يقوموا بواجبهم في فلسطين، كل في ناحية عمله.

ثم إن اليهود أنفسهم ولاسيما الذين اقترفوا منهم جرائم الارهاب المنكرة كالسفاح مناحم بيغن، وكالكاتب اليهودي ليرمان هال، اعترفوا بصراحة بأن الجرائم الفظيعة التي اقترفت في الفلسطينيين كانت السبب المباشر لخروجهم من بلادهم والتجائهم إلى الأقطار العربية المجاورة.

ولقد أشرت في مكان سابق من هذه المذكرات إلى تقرير الكونت برنادوت المرفوع إلى الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ رقم ٦٤٨/١ ملحق رقم ١١ صفحة ٦ و ٧ و ١٤: (بأن خروج عرب فلسطين نجم عن الرعب الذي نشأ عن الإرهاب والطرد والنهب والسلب وتخريب قرى وتدميرها دون أية ضرورة عسكرية).

وأشير الآن إلى ما جاء في تقرير لجنة التوفيق الدولية عام ١٩٥١ في باريس: (وثيقة ام متحدة ١٩٠٥/١ ملحق رقم ١٦) صفحة ٣ فقرة ١٦ وهو: «إن ممثلي اللاجئين نفوا أن يكون للدول العربية أو للهيئة العربية العليا أية دعاية ذات تأثير على قرارهم بالجلاء عن بيوتهم...»

سقوط عكا:

قبل تأليف اللجنة القومية بعكا، كان العمل الوطني فيها موزعاً بين فروع الأحزاب والاندية وأهمها فرع الحزب العربي الفلسطيني، والنادي الرياضي القومي العربي، والنادي الثقافي العربي، ونادي اسامة، ونادي عمر بن الخطاب، والنادي الارثوذكسي، وشباب الفتوة. وكانت هذه الاندية تتدرب على السلاح سراً وبقدر استطاعتها داخل عكا، أو خارجها، في الجبال والأودية بين القرى، لأن سلطات الانتداب البريطاني كانت تتشدد كثيراً في أمر العرب الذين يحوزون سلاحاً أو يتدربون عليه.

فلما تألفت اللجنة القومية بعكا أنشأت حرساً وطنياً انضم إليه معظم الشبان المدربين، واستعانت على تسليحه بما قدمته إليها الهيئة العربية العليا لفلسطين، وبما

اشترته من أسلحة وذخائر مما جمعته من أموال شعبية من المدن والقرى، وبدأت المصادمات مع مستعمرات خليج عكا ـ حيفا بعدما تصدت العصابات اليهودية للقافلة العربية التي كانت تنقل السلاح من سورية ولبنان إلى حيفا ونصبت لها كميناً عند مستعمرة موتسكين كما فصلناه في مكان سابق وقد ذهب ضحية الحادث القائد محمد الحنيطي وعدد من رفاقه المجاهدين الشهداء الذين كانوا يرافقون القافلة سرور برهم وفخري البرد وعمر الخطيب وبقية رفاقهم، فقد نصب الحرس الوطني العكي ولفيف من شبان حيفا الذين نجوا من كمين القافلة، كميناً لجماعة من العمال اليهود تصحبهم مفرزة عسكرية بريطانية عند وصولهم لمفرق طرق عكا ـ حيفا ـ صفد وصبوا عليه نيران بنادقهم فقتلوا اربعة من اليهود وخمسة من الجنود البريطانيين وغنموا مصفحة استخدموها فيما بعد في المعارك، ثم استعارها منهم الضابط السوري خليل الكلاس أحد ضباط جيش الإنقاذ بتكليف من المقدم أديب الشيشكلي (رئيس جمهورية سورية فيما بعد) الذي كان مسؤولاً عن العمل في منطقة الجليل الغربي التي تشمل عكا وصفد وما يتبعهما.

وكانت اللجنة العسكرية للدول العربية برئاسة اللواء اسماعيل صفوة قد جعلت الدفاع عن هذه المنطقة من اختصاص جيش الإنقاذ فجاء المرحوم اديب الشيشكلي إلى تلك المنطقة يرافقه عدد من الضباط منهم الملازم عدنان مراد والملازم خليل الكلاس على رأس مفرزة تتراوح بين ١٥ ـ ٢٠ رجلاً من متطوعي مدينة حماة.

وممن جاء بصحبة الشيشكلي من المتطوعين بحافز من وطنيتهم وحميتهم للدفاع عن فلسطين الدكتور عبد السلام العجيلي والأستاذ عبد الكريم زهور والدكتور فيصل الركبي والأستاذ اكرم الحوراني (جميعهم من مدينة حماه) والأستاذ أحمد حسين رئيس جمعية مصر الفتاة، ووضع الشيشكلي الضابط فؤاد جديد في منطقة بين ترشيحا ـ عكا وسلم منطقة شفا عمرو للرئيس الأول شكيب وهاب وأخذ هو يتنقل بين عكا وصفد.

أما الحرس الوطني بعكا وشبان الاندية فلم يقتصر عملهم على منطقة عكا بل كانوا يهبون للنجدة في كل معركة يشتبك فيها العرب واليهود في المناطق المجاورة واشتركوا في معركة الكساير قرب شفا عمرو التي استشهد فيها عدد من العرب وقتل كثير من رجال الهاغانا اليهود، وكذلك في نجدة القرى العربية التي كان اليهود يهاجمونها كقرى السميرية والمزرعة والحميمة وام الفرج والنهر والكابري.

ولما اشتد الضغط اليهودي على حيفا بمساعدة القوات البريطانية في أوائل شهر نيسان ١٩٤٨ وأخذ اهلها ينزحون عنها بعضهم بطريق البر إلى جبل الكرمل ومنه إلى مدينة جنين واكثرهم بالبحر إلى عكا بعوامات كبيرة هيأها الجيش البريطاني لتفريغ حيفا من أهلها العرب، امتلأت بهم في عكا الدور والمساجد والكنائس والساحات، فكان هذا النزوح عبئاً جديداً على اللجنة القومية قابلته بالترحيب والقيام بالواجب بالقدر المستطاع، لكن أكثر هؤلاء لم يلبثو أن واصلوا سفرهم إلى لبنان.

وكان من النازحين إلى عكا الضابط أمين عز الدين آمر حامية حيفا ونحو ٢٥ رجلاً من المسلحين الذين كانوا يقاتلون في حيفا فابلغ اللجنة القومية انه في انتظار تعليمات من قيادة جيش الإنقاذ ليتصرف بموجبها لكنه لم يلبث أن انسحب من عكا إلى دمشق، أما الضابط خليل الكلاس فانسحب بعدما أبلغ اللجنة القومية انه يفعل ذلك امتثالاً لأمر قيادته فكان لهذا الموقف أثر سيء في نفوس أعضاء اللجنة والحرس القومي وسائر المجاهدين واهل البلدة، وكانت مع السيد يونس نفاع مساعد آمر حامية حيفا مجموعة صغيرة من المجاهدين قبلت مشاركة عكا في جهادها لكنهم لم يلبثوا أن انسحبوا إلى الشمال من قرية كفر ياسيف التي استقروا فيها، وكان ممن جاء إلى عكا لنجدتهم المجاهد محمد محمود الصفوري من قادة الجهاد المقدس مع مفرزة من رجاله وتعاون مع الحرس القومي على بث الالغام حول مداخل عكا وعلى توزيع القوات في الداخل وفوق الاسوار والأبراج من ناحيتي البر والبحر.

وفي الأسبوع الثاني من شهر أيار اشتد الهجوم اليهودي على عكا براً وبحراً وتواصل ليلاً ونهاراً، وهب للنجدة عدد من أهل القرى المجاورة بينهم بعض رجال البوليس الفلسطيني الذين انضموا إلى الحرس الوطني بعد ١٩٤٨/٥/١٥ بقيادة الضابط عبد المعطي مراد واستمروا يدافعون عن عكا حتى آخر أيامها.

وفي ١٩٤٨/٥/١١ اشتد الهجوم اليهودي على تل الفخار المعروف بتل نابليون فكان يسقط حيناً بيد الأعداء ثم يسترده المجاهدون وكانت إذاعة لندن تذيع تفاصيل هذه المعارك التي استبسل فيها شبان صغار السن من الحرس الوطني لا تزيد اعمارهم على ١٨ سنة.

كان المجاهدون في عكا على قلة عددهم واسلحتهم يقاتلون قوات كبيرة من العدو لا تقل عن ٢٥٠٠ جندي، مزودين بأسلحة حديثة ومصفحات وآليات، يقابلها مصفحتان عند المجاهدين غنموا إحداهما من بوليس عكا.

وأخيراً استولى العدو على تل نابليون بما حشد من قوة كبيرة مدعومة بالآليات فتحولت المعارك إلى مواقع عين الست ومقبرة الارثوذكس فمقبرة اللاتين فعين البقرة فشارع عكا ـ بيروت فشوارع عكا الجديدة، شارعا شارعاً وبيتاً بيتاً، وشن العدو هجوماً بحرياً بزوارق مصفحة فكان يرد على اعقابه دون ان تتمكن زوارقه من الوصول إلى ميناء عكا.

استمرت هذه المعركة ثمانية أيام بلياليها حتى كادت ذخائر المجاهدين تنفذ، وكانوا يتوقعون دخول الجيوش العربية يوم ١٥ أيار لتدعمهم في عكا التي ما زالت صامدة. وحل يوم ١٧ أيار لكن النجدة لم تأت لا من الجيوش العربية ولا من جيش الإنقاذ، وضاعف العدو قوة هجومه فاضطر المجاهدون للانسحاب من ناحية الشمال الغربي على محاذاة الشاطئ وهو الطريق الوحيد الذي لم يتمكن العدو من تطويقه.

وفي ١٨ ايار ١٩٤٨ وفي منتصف نهار ذلك اليوم سقطت عكا التاريخية في يد العدو، ومن عكا انسحب المجاهدون نحو قريتي كفر ياسيف ويركا والقرى الجبلية الأخرى منتظرين وصول الجيوش العربية ليكونوا أدلّاء لها في مقدمتها لكن هذا لم يحدث.

روى عدد من أهل عكا الذين تخلفوا في المدينة القديمة وشاهدوا دخول العدو إليها بعد سقوط عكا الجديدة، إن العدو لم يصدق أن المقاومة التي قوبل بها في عكا كانت صادرة عن مئة وخمسين مقاتلاً فقد كان يقدرهم بالفي مقاتل، وأكد هؤلاء الرواة أن خسائر العدو كانت فادحة في البر والبحر وتقدر بخمسمائة وكانت جثث القتلى تشاهد في البحر لعدة ايام وهي طافية على سطح الماء وعلى الشاطئ الشرقي.

ولما دخلت قوات العدو المدينة القديمة أوسعت اهلها ضرباً وتعذيباً وقتلاً وسجنت نحو ألف رجل منهم رهن التحقيق، ونهبت المؤن من الحوانيت ومحتويات المنازل ونقلتها بسيارات الشحن إلى المستعمرات اليهودية القريبة من خليج عكا.

ومن البيوت المنسوفة منزل الوجيه المرحوم أحمد العكي الذي تبرع بسخاء لاشتراء الأسلحة للمجاهدين، ونسفت كذلك منزل المجاهد السيد موسى النجمي أمين سر اللجنة القومية والمسؤول عن الحرس الوطني ومدير مكتب مقاطعة البضائع اليهودية لمنطقة عكا، ومما وجده العدو في منزل السيد النجمي قبل نسفه صندوقاً خشبياً كبيراً يحتوي على كمية من الكمامات للوقاية من الغازات السامة كانت الهيئة العربية العليا قد أرسلتها بواسطة مكتبها في بيروت لايصالها إلى القائد الشهيد

الشيخ حسن سلامة لكن نشوب المعارك وانقطاع المواصلات حال دون ايصالها إليه في حينها.

وحق علينا لهذه المناسبة أن ننوه بالعمل المشكور والمساعدة القيمة اللذين قامت بهما البعثة الطبية اللبنانية برئاسة الدكتور بشاره دهان التي تم إرسالها إلى عكا بواسطة مكتب فلسطين الدائم الذي الفته الهيئة العربية العليا لفلسطين في بيروت فقد قامت البعثة باسعاف مئات من الجرحى في مدينة عكا ومنطقتها، وكتب الدكتور دهان حينئذٍ مقالات في بعض الصحف متحدثاً عن أعمال البعثة وواصفاً المقاومة الباسلة التي ابدتها حامية عكا ومعدداً الأعمال الفظيعة التي اقترفها العدو في عكا بعد احتلالها.

خلال هذه الايام التي كان الوضع العسكري فيها في أدق حالاته في عكا وجوارها، أرسل الضابط الرئيس أمين عز الدين، الذي تسلم قيادة حامية عكا بعد خروجه من حيفا، عدة رسائل إلى مرجعه في جيش الإنقاذ، يشكو فيها سوء الحالة ويطلب إمداده بالرجال والسلاح، فقال في رسالة وجهها في ١٩٤٨/٥/١ إلى القائد العام لجيش الإنقاذ: «إن الحالة في عكا تستدعي اهتماماً كبيراً وقوة ذات قيمة للدفاع عنها وأن القوة الموجودة حالياً تبلغ المائة والسبعين جندياً وهذا العدد يشمل ١١٠ من حامية حيفا و٣٠ هم من حامية عكا الأساسية و٣٠ جندياً القوة الموجودة مع محمد محمود الصفوري وهذه القوى بكاملها غير كافية وأن عكا في حاجة إلى سرية أخرى مسلحة ومجهزة تجهيزاً كاملاً للدفاع عنها دفاعاً قوياً...»

وأرفق آمر الحامية برسالته كشفاً بما هو في حاجة إليه من قوى وسلاح وعتاد.

وفي ١٩٤٨/٥/٣ أرسل آمر الحامية المذكور رسالة ثانية إلى القائد العام لجيش الإنقاذ أشار فيها إلى كتابه الاخير مؤكداً وراجياً تلبية طلباته بالنظر لخطورة الحالة في مدينة عكا...

وأضاف آمر الحامية أنه طلب من الملازم خليل الكلاس أن يجهز بعض الجنود ليشتركوا في الحراسة على تل نابليون لكن الكلاس رفض تلبية طلبه وقال ان الجنود الموجودين معه قد حضروا معه من حماه بسلاحهم وأنه هو الذي اختارهم ولا يمكن أن يعملوا بأمر آمر الحامية..

وطلب آمر الحامية دفع رواتب الجنود المتأخرة ومطالب أخرى اعتبر تلبيتها ضرورية لحفظ كرامته وتأمين مصلحة المدينة وفرض النظام، وطلب اعتباره مستقيلاً إذا لم يلب طلبه خلال ٤٨ ساعة..

وفي ١٩٤٨/٥/٥ أرسل آمر الحامية رسالة ثالثة إلى القائد العام لجيش الإنقاذ بواسطة المقدم أديب الشيشكلي أشار فيها إلى كتابه المؤرخ في ١٩٤٨/٥/١ وشكا من أن البنزين المرسل لحامية عكا لم يصل مما أدى إلى تعطيل جهاز اللاسلكي والسيارات الموجودة لديه.

وأضاف قائلاً ان روح التذمر قد عمت الجنود لعدم تسلمهم رواتبهم التي هم في حاجة قصوى إليها، وقال إن حماية مدينة عكا تتطلب قوة أضافية لا تقل عن ٢٠٠ جندي علاوة على الجنود الموجودين، بالنسبة إلى القوى التي يحشدها العدو في هذه المنطقة، وأكد ضرورة الاسراع بإرسال التجهيزات والملابس للجنود.

وفي ١٩٤٨/٥/١٠ أرسل آمر الحامية رسالتين أيضاً بواسطة قائد اللواء الشمالي مطالباً في الأولى بإرسال رواتب الجنود وتجهيزه بأسلحة واعتدة اوردها في كتابه وتزويده بفصيلين مسلحين لتعزيز الحامية.

وتحدث في الرسالة الأخرى عن قلة عدد حامية عكا وأنها حالياً ١٣٥ منها مئة جنود والبقية كتبة وسواقون ومرضى، وطلب إبلاغ عدد الحامية إلى ٣٠٠ جندي، وقال: «انني بكل اسف لا اتمكن من متابعة عملي في الحامية إذا لم ترسل هذه القوة».

وفي ١٩٤٨/٥/١٥ أرسل يونس نفاع مساعد آمر حامية عكا تقريراً مطولاً إلى القائد العام لجيش الإنقاذ تحدث فيه عن معركة عكا التي جرت بالامس وقال إن العدو أخذ يحشد قواته بكثرة منذ ٥/٩، أما مجموع جنود الحامية في عكا فكان ١٣٦ جندياً منهم ٤٤ في منطقة تل نابليون والآخرون في مناطق أخرى ذكرها في التقرير. وأضاف ان ثمانية جنود رافقوا آمر الحامية عندما ذهب في ١٩٤٨/٥/١١ لمقابلة المقدم اديب الشيشكلي وواصلوا سفرهم معه إلى دمشق.

وبعد أن تحدث عن السلاح الموجود قال أنه أرسل يوم ٤٨/٥/١٣ مع أحد رجال الحامية رسالة إلى الرئيس الأول شكيب وهاب يستنجد به لتعزيز الحامية فاعتذر قائلاً إنه لا يتمكن من ذلك.

ثم تحدث عن هجوم العدو منذ مساء ٤٨/٥/١٣ على منطقتي تل نابليون وعين الست مستعملاً الأسلحة السريعة ومدافع الهاون والسيارات المصفحة، وانسحبت القوة العربية إلى داخل المدينة حتى مقر قيادة الحامية، وأن القوة الاحتياطية زحفت إلى التل الذي احتله العدو، ثم قام العدو بزحف بسياراته المصفحة البالغة ثمانين مصفحة من طريق صفد، اما المشاة فزحفوا نحوها من طريق حيفا، وبذلك أصبحت قواتنا

مطوقة ولم يبق امامها الا الانسحاب من الجهة الغربية بعد أن استشهد قسم من جنودنا، أما العدو فواصل قسم من مصفحاته زحفه نحو مستعمرة نهاريا وتركز القسم الثاني على تل نابليون وطريقي حيفا وصفد وبذلك أصبحت عكا في قبضة يده، وقال إن حالة المدينة أصبحت حرجة بعد سقوط مدينة صفد، وانسحاب الملازم خليل الكلاس آمر الحامية السابق مع فصيله من عكا، وقد سبقه أيضاً بالانسحاب فوج ابي محمود الصفوري، وبانسحابهما أصبح خط كبير يحيط بالمدينة دون حراسة، وأخذ اهل عكا يتحدثون عن ضعف قوة حاميتها وعن هرب آمرها أمين عز الدين حتى أنهم تطاولوا علينا بالشتم وحاولوا الاعتداء علينا اثناء مرورنا بالقرى لولا انتصار السيد محمد محمود الصفوري ومساعدته لنا.

وقال إنه نظراً إلى قلة الجنود الذين بقوا معه بسلاحهم الضئيل وللعقبات التي ذكرها لم يجد أي فائدة في البقاء في عكا خوفاً من قيام العدو بهجوم آخر على المدينة التي امست في قبضة يده مطوقة من كل جهاتها تكون نتيجته الاكيدة فناء الجنود الباقين أو تسليمهم احياء للعدو، ولذلك قام قسم من جنود الحامية بالانسحاب في أحد المراكب وظل القسم الأكبر معه على الشاطئ فانسحبوا بطريق البر إلى الحدود اللبنانية ووصلوا مدينة بنت جبيل مساء ٤٨/٥/١٤ حيث تلاقوا فيها مع الرئيس أمين عز الدين عائداً من دمشق..

وكان الضابط أمين عز الدين، الذي عهد إليه بالدفاع عن عكا، قد زارني في دار الهيئة العربية العليا لفلسطين بدمشق وحدثني عن حاجة عكا الشديدة إلى السلاح والذخيرة والرجال المقاتلين، وعن وضعها الدقيق وما لاقاه من اللجنة العسكرية بدمشق من استهانة إلى ان تمكن بشق النفس من تسلم مئة بندقية، ولكن هذه اللجنة التي كان يشرف عليها المشير طه الهاشمي قال له أنه غير مسؤول عن النقليات! فكان أمين عز الدين مضطراً للانتظار في دمشق رغم خطورة الوضع في عكا، ريثما يتدبر أمر نقل البنادق والذخيرة، فقلت له لا يجوز لك الانتظار وحال عكا على ما تعرف من الخطورة ودفعت إليه من صندوق الهيئة العربية المبلغ اللازم وطلبت منه ان يسارع بالسفر إلى عكا فسافر في تلك الليلة، لكن عكا كانت قد سقطت في يد العدو..

في غضون معركتي عكا وحيفا والوقائع الجارية حدثت محاولات من الهيئات اليهودية والسلطة البريطانية لعقد هدنة بين العرب واليهود في المدينتين لفتح الطريق بين حيفا وعكا إلى رأس الناقورة وهي نقطة الحدود بين فلسطين ولبنان.

فبعد ظهر يوم الجمعة في ١٩٤٨/٤/٣٠ حضر إلى عكا حاكم لواء الجليل مستر ايفانس ومدير بوليس اللواء مستر جيمس واجتمعا بمساعد حاكم اللواء مستر كيفون وقائمقام عكا السيد بدر الفاهوم ومساعد مدير البوليس مستر هاينز ورئيس بلدية عكا الأستاذ حسني خليفة وحضر الاجتماع المقدم أديب الشيشكلي قائد فوج اليرموك الثاني التابع لجيش الإنقاذ، فبدأ الحديث حاكم لواء الجليل قائلاً أن يهود حيفا طلبوا منه أن يتوسط لدى المسؤولين من أهل عكا، مدنيين وعسكريين لطلب عقد هدنة تشمل حيفا وعكا وأن تفتح الطريق بينهما إلى رأس الناقورة لسير السيارات العربية واليهودية دون أي اعتداء من أحد الطرفين على الآخر مدة عقد الهدنة، وأضاف أنه استطلع رأي المقدم الشيشكلي في هذا الشأن فاجاب بأنه رجل عسكري وقد جاء فلسطين ليقاتل الصهيونيين فقط وليس له علاقة بالأمور السياسية وأن البحث في هذه المسألة هو من اختصاص الهيئات المدنية في عكا، على أنه سيخابر القيادة بذلك.

وطلب حاكم اللواء من الأستاذ حسني خليفة بصفته رئيس بلدية عكا وممثلها ابداء رأيه في الموضوع، فأجابه بأن مسألة توقيع الهدنة ولو كانت محلية، فانها من حق الهيئة العربية العليا التي تدير سياسة البلاد إدارياً وعسكرياً، وأنه لا يستطيع ان يقول شيئاً في الموضوع قبل استشارة هذه الهيئة، وعلى ضوء توجيهها سيكون جوابه سلباً أو ايجاباً.

وبعد المداولة تقرر أن تكون مدة الاستشارة خمسة أيام اعتباراً من ١٩٤٨/٥/١ وأن تبقى الحال خلالها على ما هي عليه ثم انفض الاجتماع.

وعرض الأستاذ خليفة في تقريره الذي قدمه في هذا الشأن، حالة عكا بعد اعتداء اليهود عليها وعلى حيفا وقال ان عكا تعيش في حالة ضنك لأن فاجعة حيفا قلبت الوضع رأساً على عقب وأن أكثر من خمسة وعشرين ألف لاجيء اضطرتهم السياسة الغادرة للمجيء إلى عكا والاقامة بها ريثما يرحلون إلى البلاد الشقيقة المجاورة.

وبعد أن أشار إلى قلة الأسلحة والذخائر في ايدي المقاتلين، وقارن بين حسنات الهدنة ومساوئها قال انه يفضل عدم قبول الهدنة لأن الهدنة تمكن اليهود من الاتصال بمستعمراتهم الواقعة شمالي عكا وعلى حدود لبنان اتصالاً مباشراً يمكنهم من امداد مستعمراتهم بالمؤن والمقاتلين والسلاح والعتاد.

وأضاف انه لقلة وسائل الحماية في عكا يخشى أن ينكث اليهود بوعدهم فيعمدوا إلى مهاجمة عكا خلال ذهابهم إلى مستعمراتهم أو إيابهم منها، كما أنه يخشى أن يستغل اليهود الهدنة فيزرعوا الالغام في الطرق وعلى الحدود.

عكا ذات الحصون المنيعة، والشهرة التاريخية، التي صمدت لهجمات جيش نابليون وصدته عنها، ببسالة نادرة ودفاع مستميت، والتي اضطرته، وهو القائد الشهير الذي طبقت شهرته الآفاق، للانسحاب فاشلاً مقهوراً حتى قال المؤرخون: إن نابليون مات وفي نفسه شيء من عكا.. عكا هذه سقطت بثمن بخس في أيدي الأعداء الصهيونيين، كما سقطت المدن الفلسطينية واحدة أثر الأخرى، بسبب تهاون بعض المسؤولين، الذين انتزعوا زمام قضية فلسطين من ايدي اهلها، وتولوا شؤونها، ثم لم يلبثوا أن ألقوا السلاح وولوا مدبرين أمام شراذم الصهيونيين.

لقد أحبطت عكا في تاريخها الماضي المجيد خطة نابليون، التي كان قد اختطها لاقتحام الشرق في طريقه إلى الهند، وكان اليهود، كما ذكر بعض المؤرخين، قد شجعوه عليها، ودفعوا إليه أموالاً وفيرة للمضي فيها، وكان نابليون بعدما احتل مصر عام ١٧٩٧ ولى وجهه نحو عكا، وكانت لنابليون شهرة وهيبة ورهبة مكنته في بعض الظروف من فتح البلاد بالرعب، فلما وصل عكا، كان أحمد باشا الجزار والياً عليها من قبل الدولة العثمانية، وهو من أصل بشناقي، ولم يكن يعرف شيئاً عن نابليون، إلا أنه عدو أجنبي طامع، فلا بد من صده ودحره عن أرض الوطن، ولم تكن حينئذٍ اذاعات ولا تلفزيونات وصحافة، يستعملها الأعداء في الحرب النفسية لتوهين العزائم، وإضعاف النفوس، وإيقاع أسباب التخاذل بين خصومهم، ولذلك لم يتأثر الجزار بشهرة القائد الفرنسي ومقدرته العسكرية، فثبت في وجهه وقاتله مع رجال الحامية بجرأة وشجاعة، وكان نابليون لما أعجزته عكا قد أمر جنوده باقامة التل المعروف بتل نابليون، ونصب عليه مدافعه ليتمكن من الاشراف على قلعة عكا وضربها بالقنابل، لكن هذه المحاولة لم تجد نفعاً، واضطر بعد حصار طويل ومعارك دامية أن ييأس من الاستيلاء عليها، وينكفئ راجعاً إلى مصر، وهكذا حطم أحمد باشا الجزار وحطمت عكا كبرياء نابليون.

فالحرب النفسية التي يشنها الأعداء علينا في ظروفنا الحاضرة تؤثر في أمتنا، وتلقي الرعب والوهن واليأس في كثيرين. ولقد سمعت رجلاً عربياً مثقفاً لا ينقصه الاخلاص يقول بحسن نية: لقد شهدنا نحن العرب الهزيمة ثلاث مرات متواليات، لأننا لسنا على مستوى اليهود في التكنولوجيا، فليس في استطاعتنا أن نتغلب عليهم

الآن، ولنبذل أقصى الجهود خلال عشرين سنة لنصل إلى مستوى اليهود. فقلت له: هل ينتظرنا الأعداء عشرين سنة لنصل إلى مستواهم؟ وما هي نسبة التكنولوجيا بين الجزائر وفرنسا، وبين فيتنام والولايات المتحدة الأمريكية؟

ثم أن الزعم بأننا غلبنا ثلاث مرات هو من آثار الحرب النفسية التي يمارسها الأعداء فينا، فالصهيونيون في حرب ١٩٤٨ لم يكونوا يملكون سلاحاً ثقيلاً، ولا طائرات حربية، وكل ما كان لديهم قليل من طائرات مدنية للتدريب، وكانوا في بعض الظروف يلقون بعض القنابل باليد من الطائرات المدنية، وكان لدى بعض الدول العربية كمصر والعراق قوات جوية، بقيادة طيارين عرباً، وكان فريق منهم من متخرجي المعهد الجوي الذي انشأه الرجل العظيم طلعت حرب، وقد علمت يومئذٍ من مصدر رسمي أن سرباً من الطيارات الحربية المصرية قصف بعض الأهداف العسكرية في ميناء تل أبيب، فأوقع الذعر والهلع في نفوس سكانها، وفر عدد كبير منهم يقدر بعشرات الألوف إلى «ناثانيا» و «الخضيرة» وحيفا، واستمرت هذه حالهم عدة ايام، وقد تدخل الإنكليز والاميركيون منذ اليوم الأول محتجين على قصف الطائرات المصرية «لإسرائيل» التي لا تملك طائرات حربية، وطالبين من الدول العربية أن تكون مهمة جيوشها بوليسية لا حربية، وكان الجيش البريطاني حينئذٍ مؤلفاً من نحو مئة ألف جندي يتربصون في قناة السويس.

وكما ان الصهيونيين لم يكن لديهم حينئذٍ طائرات حربية، لم يكن لديهم أيضاً دبابات، ولا مدافع ميدان، وإنما كانوا يستعملون مدافع المورتر فقط.

سقوط طبريا:

في ١٩٤٨/٤/١٨ سقطت مدينة طبرية في أيدي اليهود، أي قبل موعد انسحاب حكومة الاستعمار البريطاني من فلسطين بنحو شهر.

بدأت الوقائع بين العرب واليهود في منطقة طبرية منذ أوائل شهر نيسان (إبريل) ١٩٤٨، وكان اليهود في طبرية قد أنشأوا على المرتفعات المطلة على البلدة عدة مستعمرات، وزودوها بالسلاح والشرطة، بالتعاون مع السلطة البريطانية.

وفي أوائل الشهر المذكور شرع رجال البوليس في المستعمرات اليهودية يعترضون العرب، في طريقهم إلى طبرية وفي خروجهم منها، بحثاً عن السلاح، وحدثت لهذا السبب في يومي ١١ و ١٩٤٨/٤/١٢ اشتباكات بين العرب واليهود، اطلق فيها

الرصاص وسقط بعض القتلى والجرحى، وتدخل الجيش البريطاني في الأمر، وأخذ يطلق النار على العرب بشدة، فأصاب عدداً منهم، وفي الأيام الثلاثة دارت رحى القتال بين العرب واليهود، وتدخل الجيش البريطاني مرة أخرى آمراً بوقف القتال، فتوقف العرب عن الإطلاق، لكن اليهود استمروا ولم يتوقفوا إلا بعد حين، وكانت خسائر اليهود كبيرة، واستبسل العرب في طبرية، فهاجموا المصفحات اليهودية التي كانت تمطرهم برصاص الرشاشات، وعطلوا بعضها عن العمل، ووقع من العرب نحو عشرين شهيداً من الرجال والنساء، وكان اكثرهم برصاص الجيش البريطاني، وكان هذا خلافاً لمزاعم السلطات البريطانية أنها تقف موقف الحياد، وقتل من اليهود ما لا يقل عن خمسة وثلاثين، وأكثر من سبعين من الجرحى.

وفي يوم ٤٨/٤/١٢ حضر إلى قيادة الجهاد المقدس في الناصرة، المرحوم الشيخ نايف الطبري، وأبلغها أنباء القتال في طبرية، وأن اليهود قطعوا جميع طرق المواصلات بين العرب في طبرية والقرى المجاورة، وحالوا بذلك دون إيصال أية مساعدة لهم. وعلى أثر ذلك قام قائد قوة الجهاد المقدس بالناصرة، الشيخ توفيق ابراهيم، بإمداد طبرية بقوة من المجاهدين، واستطاعت الوصول إلى طبرية ودعمت المقاتلين فيها، واستمر القتال حتى يوم ١٩٤٨/٤/١٨، وقد استعمل اليهود في معركة طبرية مدافع هاون وراجمات الالغام، وقذفوا بها مراكز العرب الدفاعية، ورغم ذلك ثبتت المراكز العربية، لكن اليهود احكموا، بمساعدة القوات البريطانية، طوق الحصار على طبرية، وبذلك منعوا كل مدد عن العرب.

ولما ساء الوضع في طبرية اضطر أهلها للانسحاب منها، لأن القوة العربية فيها غير كافية لحمايتها.

وحض القائد البريطاني العرب على إخلاء طبرية، وحاول اليهود نزع سلاح العرب، فرفضوا ذلك، وأخيراً أبلغ القائد البريطاني العرب أنهم يستطيعون الخروج بكامل أسلحتهم، وتم إخلاء طبرية في ١٩٤٨/٤/١٨. وسارعت المناطق العربية بنقل العرب بسياراتها من طبرية إلى المناطق العربية بحجة حمايتهم من بطش اليهود في طبرية، وهكذا سعى الإنكليز جاهدين لاجلاء العرب عن طبرية، كما فعلوا بعد ذلك في إجلاء أهل حيفا عنها.

ولهذه المناسبة نورد هنا ما رواه مصدر عسكري بريطاني من أن خسائر اليهود في معركة طبرية أربت على مئتي قتيل..

وهكذا لم يبق من العرب في طبرية ولا في القرى المجاورة لها أحد من العرب، فقد أخرجهم اليهود من ديارهم، بمساعدة السلطة البريطانية الغاشمة، واستولوا على مساكنهم وأراضيهم وسائر ممتلكاتهم، وعلى مساجدهم ومعابدهم، وقد كان في طبرية مسجدان للمسلمين، استولى اليهود عليهما، وأخذوا يفتحونهما للسائحين، لا للمصلين. ولهذه المناسبة نذكر أن اليهود استولوا على مئات من المساجد وعلى بعض الكنائس أيضاً، فهدموا بعض هذه المعابد، وحولوا بعضها إلى أماكن للهو والفجور، وما فعلوه في طبرية فعلوه في كثير من المدن والقرى الفلسطينية.

سقوط يافا:

كان سقوط مدينة يافا في ايدي اليهود كارثة من أشد كوراث الحرب الفلسطينية إيلاماً للنفوس، ويافا هي المدينة الباسلة التي طالما اقضت مضاجع الصهيونيين، وردت قواتهم وعصاباتهم المسلحة على اعقابهم خاسرين، بل طالما توغل مجاهدوها في أحياء تل أبيب والمستعمرات اليهودية المجاورة، موقعين الرعب في قلوب الأعداء، ومبرهنين على أن في سويداء فلسطين رجالاً، وفي ربوعها ابطالاً، وقد استمرت يافا بعد صدور قرار تقسيم فلسطين في ١٩٤٧/١١/٢٩ أكثر من اربعة اشهر وهي تقارع القوات اليهودية المسلحة، فتكبدها الخسائر العظيمة، إلى ما قبل دخول الجماعات المتطوعة لجيش الإنقاذ.. ومن هنا بدأت عوامل الانهيار في البلد المجاهد.

وفيما يلي بعض الايضاحات التي ينبغي ايرداها بإيجاز:

كانت اللجنة العسكرية بدمشق ـ التي ألفتها جامعة الدول العربية، وناطت بها أمر تنظيم الدفاع عن المدن الفلسطينية، وصد الخطر اليهودي عنها، ريثما ينتهي الانتداب البريطاني على فلسطين ـ قد عهدت أمر الدفاع عن فلسطين إلى جماعات متطوعة من بعض الأقطار العربية، تألف منهم جيش الإنقاذ بالويته المتعددة، وبقيادة عدد من الضباط الذين سبقت لهم بعض الممارسات العسكرية، وكان المفروض في هؤلاء المتطوعين وضباطهم أن يتعاونوا تعاوناً وثيقاً مع إخوأنهم المجاهدين الفلسطينيين. وكانت اللجنة العسكرية المذكورة قد اختارت الضابط العراقي الرئيس عبد الوهاب الشيخ علي، من افاضل العراقيين المعروفين بالاخلاص والمشهود لهم بالكفاءة، ليكون أمراً عسكرياً على حامية يافا، من المتطوعين القادمين من الخارج ومن المناضلين من أهل يافا وما جاورها، لتتكون منهم حامية المدينة، وزودته ببعض الأسلحة الخفيفة، من بنادق ومسدسات وقليل من الذخيرة، لم تكن تغني في حماية المدينة من هجمات

اليهود المتوالية بأسلحتهم المتفوقة وذخائرها المتوفرة فلما وصل الرئيس عبد الوهاب ودرس وضع مدينة يافا العسكري وما يفتقر إليه الدفاع عنها من سلاح وعتاد، وأحس بثقل المسؤولية التي ألقتها اللجنة العسكرية على عاتقه وبضآلة السلاح الذي زودته به، مما ينذر بسوء العاقبة وعظم الخطر الذي تواجهه مدينة يافا ومنطقتها، لم يلبث أن عاد ادراجه إلى دمشق، لمصارحة اللجنة العسكرية بخطورة الوضع، وضرورة تأمين السلاح ووسائل الدفاع الكافية، وكتب بذلك تقريراً ضافياً إلى الفريق طه الهاشمي، المشرف على جميع الشؤون العسكرية، لكن الهاشمي لم يستجب لمطالبه، وأصرّ عليه بالعودة إلى يافا ثانية، دون أن يزوده بشيء جديد، فاضطر الرئيس عبد الوهاب لتقديم استقالته والعودة إلى بغداد، والأسى يملأ قلبه لما سيؤدي إليه تهاون اللجنة العسكرية في الدفاع عن يافا من سوء العاقبة.

وكان أن عمدت اللجنة العسكرية بعد استقالة عبد الوهاب، إلى اختيار المقدم العراقي عادل نجم الدين آمراً لحامية يافا، فلم يلبث أن جاءها على رأس قوة من المتطوعين، لكن هؤلاء لم يكونوا على شيء مما ينبغي ان يتحلى به الجندي من الطاعة والانضباط والخلق القويم، بل كانوا خلال الأيام القليلة التي قضوها في يافا مثالاً سيئاً للجندي الشريف، ولم يكن الانهيار الذي أصاب يافا وادى إلى سقوطها في ايدي العصابات اليهودية انهياراً مفاجئاً، بل كانت له أسباب سأوردها موجزة من تقرير مفصل، بعث به اليّ الضابط المجاهد الباسل صلاح الناظر، آمر قوة «الجهاد المقدس» وكان يساعده المجاهدان حسن حسونة وعبد الله الناقة وغيرهما.

جاء في التقرير أن بعض أولئك المتطوعة تطلعوا منذ دخولهم يافا إلى سلب أسلحة الأهليين ومصادرتها وبيعها للانتفاع باثمانها، فحمل هذا العمل الأهليين على إخفاء أسلحتهم، ونتج عن ذلك تقاعس عن نجدة الجبهات عند اشتداد المعارك، خوفاً على الأسلحة من المصادرة.

وحاول المتطوعة السيطرة على المجاهدين في يافا، وإخضاعهم لترتيبات لم تكن في صالح الدفاع عن البلد، متجاهلين أعمال الجهاد والفداء التي حمل أعباءها أولئك المجاهدون طيلة الشهور الاربعة التي سبقت مجيء المتطوعة، حتى أنهم حاولوا تنحية عدد منهم بينما كانت الحاجة تدعو إلى زيادة عدد المسلحين للدفاع عن المدينة، فحمل ذلك التصرف السيء بعض أولئك المجاهدين على مغادرتها.

ولم يهتم أولئك المتطوعة الاهتمام الواجب للدفاع عن المدينة، وعندما كانت رحى

المعارك دائرة، كان ضباطهم يقضون وقتاً طويلاً في ارتياد أماكن اللهو بدلاً من أن يكونوا في مراكز القيادة أو جبهات القتال.

ولم يكن قائد الحامية عادل نجم الدين وضباطه يستطيعون السيطرة على جنودهم، حتى أن هؤلاء هاجموا مقر القيادة، واطلقوا النار عليها، ولم يستطع قائد الحامية معاقبة أحد منهم بالسجن أو بالنقل إلى مناطق أخرى، وأصر الجنود على الانفراد بالعمل، ومنعوا المجاهدين من أهل المدينة من الاشتراك معهم، لينفردوا وحدهم بالمكاسب والأسلاب! ولم يتمكن الضباط العراقيون وقائد الحامية من إجبار جنودهم على المرابطة في الاستحكامات والخنادق، والوقوف على حدود المدينة لمجابهة اليهود، وكان عملهم الأساسي التجول في الطرقات والمحلات العامة.

ورفض الجنود العمل بأوامر قوادهم بتقسيمهم على جبهات القتال، وكذلك رفضت قوة من متطوعي مدينة حماه مؤلفة من ٢٧ شخصاً أوامر قيادتها بأن تعمل في المدينة الا في جبهة واحدة، بينما كانت الحاجة تقضي بتقسيمها على عدة جبهات وبعدما عملت مدة يومين وزودتها اللجنة القومية بالملابس وبرشاشات وذخيرة وسيارات واطعمة، خرجت من المدينة حاملة معها كل ما تزودت به رافضة اطاعة آمر الحامية!

(ذكر العميد محمد فائز القصري[1]، الذي كان من ضباط جيش الإنقاذ، في الجزء الثاني من كتابه «حرب فلسطين» في الصفحة ١١٦، أن الملازم الأول عبد الجبار القيسي، حرض جنود الملازم حمود الخطيب في يافا على قائدهم، ودعاهم إلى العصيان ومغادرة مواقعهم...)

والخلاصة إن القوة التي دخلت يافا للدفاع عنها لم يكن لها أي أثر في الهدف الذي جاءت من أجله، بل كانت اداة هدم لجهاز الدفاع السابق، وسبباً لحمل كثير من الناس على الخروج من المدينة، لعدم وثوقهم بقدرتها على الدفاع عن يافا، وحفظها من السقوط في أيدي الأعداء.

وفي ٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ أرسلت اللجنة القومية بيافا، رسالة إلى قيادة جيش الإنقاذ، طالبة أن تولي القيادة مدينة يافا ما تستحقه من الأهمية، وقد استهلت اللجنة كتابها بالإشارة إلى أهمية موقع مدينة يافا، لأنها مجاورة لمدينة تل أبيب التي

(١) العميد محمد فائز القصري: ضابط مدفعية من الجيش العربي السوري تطوّع للدفاع عن فلسطين مع العديد من أمثاله من أبطال الجيش العربي السوري.

هي العاصمة الصناعية والفكرية للصهيونية، ولما يحيط بها من المستعمرات الصهيونية من الشمال والشرق والجنوب، ولأن عدد سكان تل أبيب والمستعمرات المجاورة لها يزيد على نصف مجموع اليهود في فلسطين، وهذا النصف يقرب من اربعمائة ألف نسمة، يسكنون أماكن سهلية ومتصلة ببعضها بشبكة من المواصلات».

وأشارت اللجنة إلى أن اليهود أعدوا في تل أبيب والمستعمرات المجاورة قوة عسكرية هجومية ودفاعية لا تقل عن عشرة آلاف مقاتل، وهي مزودة بسيارات مصفحة وأسلحة حديثة، عدا الزوارق المصفحة لحماية ميناء تل أبيب ومهاجمة يافا من البحر، وأن اليهود الذين اشترك قسم منهم في الحرب العالمية الثانية قد اكتسبوا خبرة واسعة في الصناعات الحربية، وبذلك حولوا كثير من مصانعهم العادية إلى مصانع حربية، افاد منها الجيش البريطاني نفسه، وتمرس فيها كثير من الشبان الصهيونيين، وأنهم استخدموا في معركتهم هذه أسلحة حديثة مصنوعة محلياً.

(تأكيداً لذلك أشير هنا إلى ما سبق ليّ أن أوردته في هذه المذكرات وهو أن اليهود انتهزوا فرصة نشوب الحرب العالمية الثانية لتقوية أنفسهم، وتعزيز أسلحتهم، ومضاعفة قواتهم العسكرية، وأن السلطات العسكرية البريطانية جندت خلال الحرب الوفاً من شبانهم في الجيش البريطاني، فدربتهم وسلحتهم واشركتهم في بعض العمليات الحربية، واستخدمت عدداً كبيراً منهم في مصانع الجيش البريطاني وثكناته ومستودعاته، وفي الوظائف الفنية والرئيسية، وأنها اعتمدت بعض المصانع اليهودية لإنتاج الذخائر والمتفجرات وغيرها من اللوازم العسكرية، وأن عدد الذين دربهم الإنكليز وجندوهم في الجيش البريطاني ثلاثة وثلاثون الفا، وأن هذا الرقم لا يشمل عدد المجندين منهم في قوات الشرطة والدفاع السلبي ولا قوة الهاغانا، وأن اليهود نقلوا بمساعدة الإنكليز كميات عظيمة من مختلف الأسلحة إلى فلسطين، ووزعوها على مدنهم ومستعمراتهم ومنظماتهم العسكرية والإرهابية..)

وأشارت اللجنة في كتابها إلى أن مدينة يافا، تجاه استعداد العدو الضخم، وقفت صامدة مدة طويلة تدرأ عنها عدوان الصهيونيين وهجومهم، وقد جندت ٥٠٠ رجل من أهل المدينة، ثم امدتها قيادة جيش الإنقاذ بثلاثمائة رجل كانت البنادق أغلب سلاحهم، وأكدت اللجنة أن الدفاع الحالي لا يستطيع أن يصد هجوماً يهودياً كبيراً معززاً بالأسلحة التي أشارت إليها، وقالت ان السلطة البريطانية ستنسحب من يافا يوم ١٩٤٨/٥/٧، وأن اليهود سينتهزون الفرصة لاحتلال دوائر الحكومة ومكاتبها المشرفة

على المدينة، ويخشى ان تقع في أيديهم وتصاب يافا من جراء ذلك بضربة شديدة. وقالت إن سكان يافا الثمانين الفاً يعيشون أملين أن تعمل الجامعة العربية على القضاء على المطامع الصهيونية، ومعتمدين على أكبر هيئة عسكرية عربية لإنقاذ يافا من الدمار والفناء.

كان اليهود يملكون أعداداً كبيرة من مدافع الهاون والمورتر، ويقذفون يافا بالألغام الطائرة، التي يزيد طول الواحد منها على المتر، فهدموا بذلك معظم استحكامات محلات ابي كبير، والمنشية، والجبالية، وتل الريش، والبصة وكثيراً من المباني فيها، وقد ذهب آمر حامية الجهاد المقدس صلاح الناظر ومحمد سليم أبو لبن وعبد الله الناقة من أعضاء جبهة الدفاع عن المدينة إلى دمشق، حاملين معهم أحد هذه الالغام، وعرضوها على الفريق طه الهاشمي المشرف على اللجنة العسكرية، فكان عمله قاصراً على تسليم اللغم إلى مخزن الجيش السوري، دون تزويد جبهة الدفاع عن يافا بمدفع واحد للرد على هذه الالغام الطائرة، وكانت حجته في ذلك ان لا مدافع لديه..

وكان المقاتلون الفلسطينيون في يافا يقومون بمواجهة الأعداء في جميع الجبهات، دون أن يكون لديهم قوة احتياطية لتعزيز الجبهة أو استبدال الجنود أو شن هجوم تدعو إليه الضرورة، كما حدث عندما هاجمت قوة العدو محلتي تل الريش والمنشية، فاخذ عدد المقاتلين ينقص، إذ كانوا يقضون ليلة كاملة أو ما يزيد في قتال ضار، وذلك ما يسر للعدو احتلال المواقع المهمة في تل الريش والتوغل في المنشية. لكن نجدة بقيادة الرائد ميشال العيسى مكنت المقاتلين من إنجاد تل الريش والمنشية، واخراج العدو من الأولى وصد زحفه على الثانية.

وعلى أثر ذلك تعددت الوفود من مدينة يافا، ممثلة المجلس البلدي، واللجنة القومية، ووجوه البلد، والمسؤولين عن شؤون الدفاع، إلى اللجنة العسكرية بدمشق، مظهرة لرئيسها واعضائها خطورة وضع مدينة يافا، وعدم التكافؤ بين قوى الدفاع عنها وقوى العدو المهاجم، والمصير السيء الذي ستؤول إليه المدينة إن لم يتم تزويدها بالأسلحة الخفيفة والثقيلة. فكانت الوفود تعود فاشلة، إذ لم توافق اللجنة العسكرية على إرسال مدافع إلى يافا، ووصلت برقية من طه باشا إلى آمر الحامية قال فيها: (ان فوجاً كاملاً مع مدفعيته ومصفحاته قد غادر دمشق للانضمام إلى حاميتكم). لكن ما وصل مما تحدثت عنه البرقية لم يكن الا ثلث فوج، أما المدفعية فتوقفت في الطريق، ولم تدخل يافا رغم الحاح رجال الحامية على دخولها، وعادت إلى مدينة رام الله بدعوى أن واجبها ليس إلا تأمين دخول المشاة بقيادة الرائد ميشيل العيسى إلى يافا، ولو دخلت

هذه المدفعية، التي كانت بقيادة المقدم مهدي، إلى يافا لتغير الموقف تغيراً تاماً لصالح حامية يافا، ولم يسمع رجال الحامية عن مدفعية القائد فوزي القاوقجي، التي أمرتها اللجنة العسكرية بتعزيز حامية يافا، إلا إذاعات من محطة جيش الإنقاذ بأنها دكت حصون «نيتر» اليهودية وجعلتها أطلالاً، واشعلت الحرائق في تل أبيب، دون أن يكون لذلك أي أثر من الواقع مما اضطر عادل نجم الدين آمر حامية يافا أن يبرق إلى اللجنة العسكرية بدمشق مكذباً هذه الاخبار والاذاعات...

وعندما شعر اليهود بأن الدول العربية جادة في إدخال جيوشها إلى فلسطين، قرروا احتلال يافا قبل أن يحل موعد الجلاء البريطاني، فركزوا قواتهم وشددوا إطلاق مدافعهم وهجومهم على يافا تشديداً حمل البقية الباقية من سكانها على الجلاء عنها، واستمر قصف المدافع اليهودية ليافا ثلاثة أيام متوالية.

وكانت الكارثة التي حلت بيافا أخيراً، نتيجة أمر لاسلكي اصدره القاوقجي لآمر الحامية عادل نجم الدين بالانسحاب من المدينة وتسليم الحامية للرائد ميشيل العيسى، فاغضب ذلك عادل نجم الدين، فأراد أن يسيء إلى القاوقجي بمثل ما أساء هذا إليه، لكن الإساءة كانت على حساب مدينة يافا إذ جمع عادل ضباط الحامية ودعاهم إلى الانسحاب مع جنودهم، فنزل الجنود من الجبهات إلى أسواق المدينة، ودهموا الحوانيت وحطموا اقفالها ونهبوها، وصادروا السيارات وملأوها بأسلحتهم، وبالأسلحة التي صادروها من الأهالي ومن المناضلين، وبالذخائر التي كانت في مستودعات القيادة وانطلقوا خارج يافا، أما عادل نجم الدين فلم يتمكن من مغادرة يافا براً فغادرها بحراً، دون أن يلبي طلب أعضاء اللجنة القومية ورئيس البلدية وأعضاءها بالبقاء في يافا، وقال على مسمع من الناس: سأري فوزي القاوقجي نتيجة أمره، وليتقدم هو للدفاع عن المدينة!

وقد عمت الفوضى المدينة أثر انسحاب نجم الدين وقوة الحامية، وحل الذعر في من بقي من الأهليين، فسارعوا بهجرها، حتى أصبحت أجرة سيارة النقل إلى خارج يافا مئتي جنيه.

أما قوة الرائد ميشيل العيسى فقد تضاءلت حتى الربع بعد أن اعمل هؤلاء أيضاً ايديهم بالنهب والسلب في المدينة، وهكذا بقيت يافا دون قوة دفاعية، وفي الفترة ما بين الخامس والخامس عشر من شهر أيار (مايو) عانت المدينة من اللصوص الذين أخذوا يسطون عليها من البر والبحر.

ووجد ميشيل العيسى نفسه مضطراً لمغادرة المدينة مع البقية الباقية من الجنود، بعد انسحاب نجم الدين ببضعة أيام، وبعدما أرسل عدة برقيات إلى اللجنة العسكرية باسطاً حالة المدينة وما يحدق بها من خطر، دون أن يتلقى أي جواب عليها.

وبعد انسحاب نجم الدين استدعى مستر فولر حاكم يافا الإنكليزي عدداً من وجوه يافا وهيئة البلدية واللجنة القومية وميشيل العيسى، وتحدث معهم في وضع يافا، وطلب منهم أن يسعوا جهدهم (لإنقاذ هذه المدينة التاريخية الجميلة والميناء العربي من الدمار، إذا دخلها اليهود عنوة، واقترح عليهم لصيانة المدينة ولضعف وسائل الدفاع عنها أن يعلنوا يافا مدينة غير مدافع عنها «مفتوحة»..)

فخرج المدعوون من عنده، وتداولوا في الأمر وقال ميشيل العيسى أنه بعد أن عجز عن تلقي أي رد على برقياته التي أرسلها إلى اللجنة العسكرية، يحمل على عاتقه مسؤولية إعلان يافا مدينة غير مدافع عنها، وعلى أثر ذلك نزح عن يافا رئيس البلدية وأعضاؤها وأعضاء اللجنة القومية ورئيس الحامية، وسادت الفوضى المدينة والبقية الباقية من سكانها، وقام بعض الفوضويين بمهاجمة مستودعات المؤونة على البحر ونهبوا قسماً منها، لكن الجيش الإنكليزي عاد فاستولى عليها، وكان ذلك يوم ٨ ايار (مايو) وأخذ الجنود الإنكليز أنفسهم ينهبون ما فيها ويبيعونه للصوص والفوضويين باثمان بخسة، وأخيراً جاء جواب اليهود طالبين المفاوضة مع لجنة من اهل يافا، لاعتبارها مدينة غير مدافع عنها.

وانتخبت لجنة طوارئ من الحاج أحمد أبو لبن وصلاح الناظر وأمين أندراوس للتفاهم على ذلك، وتم الاتفاق على ابلاغ الأمر إلى هيئة الأمم والمندوب السامي البريطاني، وكان عبد الرحمن عزام باشا قد أعلن بالإذاعة الموافقة على اعتبار يافا مدينة غير مدافع عنها، وفي ١٩٤٨/٥/١٣ استدعى حاكم اللواء لجنة الطوارئ وبعض وجوه المدينة إلى مكتبه، وكذلك ممثلي اليهود، وقابل كل وفد على حدة، وكان وفد يافا مؤلفاً من السادة محمد عبد الرحيم، وأحمد أبو لبن وصلاح الناظر وامين اندرواس وخليل أبو الهدى وغيرهم، وابلغهم ان مجلس الأمن انتدب شخصاً سويدياً ليكون المراقب لشرط جعل يافا مدينة غير مدافع عنها، وانه سيحضر قريباً.

وفي صباح اليوم التالي غادر يافا حاكم اللواء الإنكليزي مع قافلة الجيش، بعد أن سلم مفاتيح الدوائر والبنايات الحكومية إلى السيد أحمد أبو لبن، وبعد ذلك بساعتين دخل اليهود مدينة يافا.

وتمكن السيد صلاح الناظر من أن يحمل من يافا، قبل أن يدخلها اليهود، ما كان لديه من المتفجرات والذخائر والبنادق والرشاشات ومدافع المورتر وبعض مواد التموين، وأن يشحنها إلى مركز قيادة الشيخ حسن سلامة قائد المنطقة.

أذكر لهذه المناسبة الاليمة، وهي سقوط يافا في يد العدو، حديثاً دار بين الفريق طه الهاشمي وبيني، في اجتماع مع اللجنة العسكرية في دار وزارة الخارجية السورية بدمشق، وكان الفريق طه هو المشرف على هذه اللجنة.

فقد كنت طلبت من اللجنة المذكورة ايضاح الأسباب التي تجعلها تهمل أمر الدفاع عن المدن الثلاث الكبرى، وهي القدس ويافا وحيفا، وعدم إمدادها بما تقضي به الضرورة من الجنود والأسلحة. فأجابني الفريق طه بأن مشروع التقسيم الذي وضعه الإنكليز، يقضي بأن تكون يافا من حصة العرب أما حيفا فستكون ميناء دولياً حراً، وأما القدس فليست موقعاً استراتيجياً، وإذا استولى عليها اليهود فإننا نستطيع أن نستردها منهم في أي وقت!!

فدهشت مما قاله طه باشا، وقلت له إن مشروع التقسيم الذي تشير إليه كانت اللجنة الملكية البريطانية وضعته عام ١٩٣٧، وهو يقضي بأن تكون يافا (البلد والميناء فقط) داخلة في منطقة الانتداب البريطانية، لكن هذا التقسيم قد ألغي، وسحبته الحكومة البريطانية منذ عشرة اعوام، وجاء بعده تقسيم ١٩٤٧ الذي اقرته الأمم المتحدة، وجعل مدينة يافا ومنطقتها من حصة اليهود، وهل لنا أن نطمئن إلى مشروع تقسيم يضعه الإنكليز المتواطئون مع اليهود على سياسة وعد بلفور وتحويل فلسطين إلى وطن يهودي؟

أما القدس فذات موقع استراتيجي عظيم الأهمية، لوقوعها في أعلى سلسلة الجبال التي تشرف على سهول فلسطين الساحلية حتى ساحل البحر المتوسط غرباً، وعلى منطقة الاغوار وجبال شرق الأردن شرقاً، ولكونها ملتقى الطرق التي تصل بين جميع أنحاء فلسطين، مما يجعل الذي يستولي عليها مسيطراً على الجزء الأكبر من فلسطين، وفيها مواقع عالية مشرفة على كل من البحر الأبيض المتوسط غرباً، والبحر الميت وسلسلة جبال الأردن شرقاً، كجبل الطور وجبل النبي شمويل، وفي ساحة المسجد الأقصى المبارك مصطبة تعرف بمصطبة الكرك، لأن الواقف عليها يستطيع ان يشاهد منها مدينة الكرك في شرق الأردن، الواقعة على بعد نحو مئة كيلو متر على خط مستقيم.

وبالأضافة إلى هذا فان منزلة القدس الدينية في نفوس العرب، مسلمين ومسيحيين، ذات أثر معنوي كبير في الدفاع عنها، ومقاتلة كل من يعتدي عليها.

وفيما بعد برهنت الاحداث الاليمة على أن الفريق طه باشا كان بعيداً جداً عن واقع الأمر، وغير ملم بعظم الخطر اليهودي والمطامع الصهيونية، وهو لم يزر فلسطين ولا تعرف على بلادها ومواقعها، وها هم اليهود الآن، وقد أصبحت القدس في أيديهم بعد كارثة ١٩٦٧، يستقتلون في سبيل بقائها في حوزتهم، وعاصمة لدولتهم، القائمة على الغصب والعدوان، وعلى دعم الدول الاستعمارية لهم، وفي طليعتها بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

وفيما عدا هذا فان المرحوم الفريق طه الهاشمي كان رجلاً فاضلاً عفيف اليد واللسان، ومستقيماً في جميع المناصب التي تقلدها في العراق، في رئاسة أركان الجيش وفي وزارة الدفاع وفي رئاسة الوزارة، وقد كانت تربطني به صداقة شخصية.

سقوط الناصرة:

في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ انسحبت القوات البريطانية من مدينة الناصرة، وكانت لجيش الجهاد المقدس في منطقة الناصرة وطبرية قيادة يتولاها الشيخ توفيق ابراهيم، ومنذ مطلع عام ١٩٤٨، وعلى أثر قرار تقسيم فلسطين في ٢٩/١١/١٩٤٧ أخذت تقع في هذه المنطقة، مناوشات بين العرب واليهود لم تلبث أن اتسعت واتخذت شكل معارك حربية، وكان مركز القيادة مدينة الناصرة حيث كانت سرية عسكرية لجيش الجهاد المقدس، وكان أهل القرى المحيطة بالناصرة مزودين باعداد غير كافية من البنادق ولم تكن لديهم أسلحة اوتوماتيكية، فجرى تنظيم جماعات مسلحة في القرى وتدريبهم ليصبحوا قادرين على حماية أنفسهم وقراهم إذا ما هاجمهم العدو. وتم وضع حظيرة في قرية معلول، وأخرى في اكسال، وثالثة في دبورية وحظيرتين أخريين في عرب الصبيح وفي قرية الشجرة، وهكذا انتشرت قوات الجهاد المقدس حول مدينة الناصرة في شكل دائرة حتى كان من الصعب على قوات العدو ان تصل إليها.

وفي داخل الناصرة اتخذت تدابير للحراسة واعداد المقاتلين لمواجهة الطوارئ، وتم عمل بعض التحصينات الضرورية وإنشاء قوة ضاربة لإنجاد القرى التي قد يهاجمها العدو.

وكان بدء العمليات في أواخر شهر آذار (مارس) ١٩٤٨ عندما اشتبكت الحظيرة العربية في الشجرة بقوة للعدو تقدمت بمصفحتين لمهاجمة القرية العربية فصدتها الحظيرة العربية في الشجرة ريثما وصلتها نجدة عربية فهاجمت اليهود واضطرتهم للانسحاب إلى القلعة التي كانوا يعتصمون بها في موقع حصين واسفرت المعركة عن شهيدين وخمسة جرحى من العرب وعشرة قتلى من اليهود ونحو أحد عشر جريحاً.

وفي ١٩٤٨/٤/٨ هاجمت سرية يهودية لا تقل عن مئة جندي، عرب الصبيح، واحتلت معظم منازلهم فالتجأ الباقون منهم إلى قرية عين ماهل، لكن فصيلاً من الجهاد المقدس بقيادة الشهيد «ابي عاطف» تصدى لليهود والتف حولهم فصيل آخر ففروا نحو مستعمرتهم تاركين سلاحهم وعتادهم ورشاشاتهم واجهزة اللاسلكي التي معهم وعدداً كبيراً من القتلى.

وفي ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ انسحبت القوات العسكرية البريطانية من مدينة الناصرة، فانتقلت القوة العربية إلى سراي الشرطة واتخذت منها مقر قيادة لها، وأخذت قوة صغيرة من العدو تكمن في المرتفعات تطلق النار لاستطلاع مدى قوة المجاهدين ولاستنفاذ ذخيرتهم لكن هؤلاء هاجموها ثم ابادوا بعضها وقطعوا عليها خط الرجعة إلى مستعمرة بلفوريا. وعلى أثر ذلك لم يحاول اليهود مهاجمة القرى المحيطة بالناصرة.

وفي ٢٥ ايار (مايو) تقدمت مصفحات يهودية آتية من مستعمرة (نهلال) نحو قرية المجيدل فتصدى لها المجاهدون وعطلوا احداها فانسحبت.

كان الموقف الحربي في ذلك الحين كما يلي:

كانت طبرية والعفولة في يد اليهود، وكانت قوة الجهاد المقدس تتوقع أن يتبع اليهود خطة مهاجمة الناصرة من عدة جهات: أما من طبرية أو مستعمرة (الشجرة اليهودية) لاحتلال قرية لوبية والسيطرة على مفرق الطرق المؤدي إلى قريتي عيلبون والمغار لعزل الناصرة وقضائها عن بقية المناطق العربية، أو أن يهاجمها العدو رأساً من جهة العفولة أو من مستعمرة نهلال، أو من جهة شفا عمرو ثم صفورية.

أما القوات العربية الموجودة في منطقة الجليل فكانت كما يأتي:

١ ـ حامية الجهاد المقدس ومركزها الناصرة.

٢ ـ سرية محمد محمود الصفوري ومركزها صفورية.

٣ ـ طلائع جيش الإنقاذ التي بدأت تدخل فلسطين من لبنان ووصلت إلى ترشيحا ومجد الكروم. وبالأضافة إلى ذلك كانت حاميات محلية من القرى العربية اهمها في قرية لوبية التي كانت مزودة بنحو ٣٠٠ بندقية وعشرة رشاشات وترشيحا التي كان فيها مئة بندقية ورشاشان.

عندما شعر اليهود بدخول قوات جيش الإنقاذ إلى فلسطين، من الحدود اللبنانية، اعتقدوا أن مركزها سيكون مدينة الناصرة وأنهم سيتخذونها قاعدة لعملياتهم لقطع طريق (العفولة ـ بيسان) وعزل الجليل الشرقي عن بقية اجزاء فلسطين لذلك صمم اليهود على احباط هذه الخطة مهما كلفهم الأمر فقرروا مهاجمة قرية لوبية والاستيلاء على مفرق طريق (الناصرة ـ عيلبون) لمنع قوات الإنقاذ من الوصول إلى الناصرة، لكن لوبية كانت قوية وكان معظم المجاهدين الذين فيها من الجنود المدربين، وبدأ اليهود هجومهم برتلين من المصفحات إحدهما من طبرية والآخر من «الشجرة» تسندهم مدافع هاون عيار ٦ بوصة من قرية «معذر» واستمر هجومهم عشر ساعات دون أن يتمكنوا من الحصول على نقاط استناد حول القرية، وجاءت نجدات عربية من القرى لمساعدة لوبية بالأضافة إلى فصيلين من سرية الناصرة بقيادة الملازم محمد العورتاني وفصيل من «صفورية» بقيادة الرائد نمر محمود. وفي المساء انتهت المعركة وانسحب اليهود وغنم المجاهدون منهم ثلاث مصفحات سلموها إلى جيش الإنقاذ، وفي ذلك اليوم وصلت سرية من جيش الإنقاذ بقيادة الرائد سعدون فطاردت فلول اليهود المنسحبين حتى مستعمرة الشجرة وكان في الامكان دخولها لولا صدور الأمر له بالتوقف لأن الهدنة أعلنت مساء اليوم نفسه.

وفي صباح أول ايام الهدنة تقدمت قوات الإنقاذ إلى الناصرة التي اعتبرت فيما بعد مقراً لقيادة القطاع الجنوبي من الجليل وتركزت فيها قيادة الفوج الثالث بإمرة الرائد العراقي مدلول عباس ومساعدة الرائد كمال عبد الله وأركان حرب الفوج الملازم أول أكرم الديري، من الجيش السوري، واقتضى الوضع العسكري أن تكون سرية الجهاد المقدس مرتبطة من حيث العمليات الحربية بقيادة الفوج الثالث مع استقلالها ادارياً، وأن يكون مقرها مدرسة «شنللر الالمانية» المقابلة لمستعمرة «كفار هاحورش» اليهودية لمنع تسلل اليهود منها إلى الناصرة، وأصبح الرائد مدلول مسؤولاً عن حماية طريق الناصرة ـ العفولة، وطريق الناصرة ـ شفا عمرو والمرابطة مقابل الخطوط اليهودية الممتدة على سفح جبال مستعمرة الشجرة اليهودية.

خلال أيام الهدنة الأولى انصرف كل من العرب واليهود إلى تقوية الخطوط

الدفاعية، وبينما كان قادة الوحدات العربية منصرفين إلى إقامة الولائم هنا وهناك، كان القادة اليهود يقومون بدراسة الجبهة دراسة تعبئة وتخطيط مفصلة.

وفي الليلة السابقة ليوم انتهاء الهدنة قام اليهود بهجوم مفاجئ من مراكزهم في مستعمرة الشجرة على المراكز العربية المقابلة التي كانت تحتلها سرية من قوات الإنقاذ بقيادة الضابط العراقي الملازم «حمودة» واستطاعوا دفعها إلى الخلف واحتلوا بعض مراكزها الدفاعية، وفي الصباح قرر قائد الفوج الرائد مدلول القيام بهجوم مركز على مستعمرة الشجرة لاحتلالها فدفع بسريتين من المشاة تساندهما ثلاث مصفحات وثلاثة مدافع هاون ونصف بطارية مدفعية عيار ٧٥ ملم من الجيش السوري بقيادة الملازم «قدسي». لكن العملية كانت مثلاً على الفوضى إذ لم يكن يشرف على العملية قائد معين بل كان العمل متروكاً للقضاء والقدر، ولم يكن ثمة عدد كافٍ من الضباط الذين يستطيعون قيادة فصائلهم قيادة حربية صالحة، وبينما كان المفروض أن يكون لكل فصيل ضابط، لم يكن مع السريتين سوى ضابط واحد، وكان ضباط الصف لا يملكون السيطرة على جنودهم ودفعهم للهجوم على مراكز العدو، وكان الجنود بالأضافة إلى عدم تدربهم خليطاً من متطوعة سوريين وعراقيين ومصريين لم يسبق لهم أن خدموا في جيوش نظامية فكان ضبطهم في الميدان صعباً.

لهذه الأسباب لم تستطع القوة العربية المهاجمة الاستيلاء على مراكز العدو، واستمرت العملية بضعة أيام دون ان تتمكن من التقدم ووقعت فيها خسائر فادحة فاستشهد الملازم حمودة وحل محله الملازم عبد الرحيم محمود[1] فاستشهد هذا أيضاً في اليوم التالي، وجرح القائد مدلول بشظية هاون وحل مكانه الرائد عامر، وهو ضابط ركن، فأرسل الملازم أكرم الديري من الجيش السوري ليشرف على سير المعركة ويزوده بالمعلومات على ضوئها، وفي اليوم التالي جرح الملازم أكرم الديري فبقيت المعركة بلا ضابط، وفي اليوم نفسه حدثت كارثة عندما تقدم أحد الفصائل نحو مئة متر دون علم القيادة، فلما شرعت مدفعية الجيش السوري تقصف المراكز اليهودية سقطت قنبلتان منها على الفصيل المتقدم فقتل جميع أفراده وأثار هذا الحادث ضجة في صفوف المدنيين والعسكريين وكاد زمام الأمر يفلت من يد الرائد عامر، ولم يكن لدى القيادة ضباط لاستخدامهم في المعركة، وفي اليوم التالي قام اليهود بقصف المراكز العربية في

(١) عبد الرحيم محمود: ١٩١٣ - ١٩٤٨، شاعر ومناضل فلسطيني من عنبتا قضاء طولكرم، شارك في ثورة ١٩٣٧ وثورة رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١ في العراق واستشهد في معركة الشجرة.

«المجيدل» بمدافع الهاون ٦ بوصة لتجميع القوات العربية المرابطة فيها ومنعها من إرسال نجدات إلى «الشجرة». وفي ذلك اليوم قام اليهود بهجوم بالمدرعات على «شفا عمرو» فاحتلوها خلال ساعتين دون مقاومة لأن «فوج العرب» التابع لجيش الإنقاذ الذي كان مرابطاً فيها بقيادة شكيب وهاب انسحب منها، وفي اليوم التالي تقدمت مدرعات العدو نحو صفورية وقامت بالاستكشاف طول النهار.

وفي فجر اليوم التالي ١٩٤٨/٧/١٦ فاجأ اليهود المراكز العربية في «المجيدل» واحتلوا بعضها ولغموا الطريق العام بين الناصرة والمجيدل لمنع وصول النجدات وانسحب العرب من بقية المراكز وفي الصباح كان اليهود قد احتلوا القرية لكن العرب اعادوا تنظيم قواتهم واستعادوها بهجوم معاكس. وقامت بعض الطائرات اليهودية بغارات ليلية وبعمليات استكشاف، ليلة ١٨/١٧ هاجم اليهود بالمدرعات ومدافع الهاون «قرية صفورية» واحتلوها واستمرت طائراتهم بغاراتها ليلاً على «الناصرة» وبقصفها بمدافع الهاون من مستعمرة «كفار هاحورش» فكان ذلك دليلاً على أنهم قرروا مهاجمتها في وقت قريب.

كانت القوة الموجودة في الناصرة سرية من جيش الجهاد المقدس وسرية من جيش الإنقاذ وست مصفحات صغيرة تركزت على مفرق الناصرة ـ صفورية وهي مزودة برشاشات خفيفة ليس فيها مدافع مضادة، وفي صباح ٤٨/٧/١٨ ركز العدو نيران مدافعه على مدينة الناصرة وعلى سراي البوليس مركز قيادة قوات الإنقاذ، وعلى مدرسة شنللر مركز قيادة قوة الجهاد المقدس، وبعد الظهر تقدم اليهود من صفورية إلى الناصرة في رتل من المدرعات (شيرمان) ومدرعات دملر فقابلتها مدرعات جيش الإنقاذ برشاشاتها فلم تؤثر فيها واستطاعت مدرعات العدو أن تعطب المدرعات العربية واحدة بعد الأخرى، ثم دخلت مدينة الناصرة بعد معركة لم تستمر أكثر من عشرين دقيقة وبذلك عزلت القوات العربية الموجودة في الناصرة والمجيدل عن بقية القطاعات العربية وأصبح القطاع الجنوبي من الجليل الممتد من لوبية إلى كفر كنا ساقطاً عسكرياً وغير صالح للدفاع ولا يجوز بقاء قوات فيه، ولذلك انسحبت القوات العربية الموجودة في الناصرة مع أسلحتها الخفيفة. وقررت قيادة المنطقة ان تجعل خط الدفاع الثاني على سلسلة الجبال المحاذية لمرج الذهب وهي منطقة دفاع صالحة. ولا شك في أن القيادة كانت مسؤولة إلى حد كبير عن كارثة سقوط الناصرة ومنطقة الجليل الجنوبي لسوء تصرفها، كما أن نقص القوات والأسلحة عجل بوقوع الكارثة.

وفي ٤٨/٧/٢٠ وصلت القوات المنسحبة إلى خط الدفاع الجديد لكن القيادة

العليا لم تدر كيف تصرف الأمور مما أدى إلى وضع شديد الاضطراب، ويبدو أن القيادة لم تكن تتوقع اضطرارها للانسحاب من الناصرة بدليل عدم اعدادها مستودعات أمامية لتموين الجنود بالطعام والتجهيزات العسكرية والسيارات بدلاً من التي استولى عليها العدو أو التي فقدت في الانسحاب فاضطر الجنود للاعتماد على اهل القرى لاطعامهم، وللمبيت في العراء لعدم وجود اغطية لهم، واضطرت القوات المنسحبة بأسلحتها ولوازمها أن تسير مسافات طويلة على الأقدام لعدم وجود سيارات فكان ذلك سبباً للتذمر والفوضى وفقدان الضبط والربط بين الجنود واعتدائهم على الأهليين وسلبهم دوابهم ليركبوها، ومهاجمتهم المزارع والبيوت للحصول على الطعام، وكان الضباط عرضة لنقمة الجنود، وقد استمرت هذه الفوضى نحو ثلاثة أسابيع ريثما أعيد تنظيم الوحدات وتوزيعها وتعيين المناطق الدفاعية على الشكل الآتي:

١ ـ اللواء الأول بقيادة الرائد عامر ومركزه قرية «الرامة» وهو مسؤول عن حماية مجد الكروم ومعه قوة احتياطية في وسط القطاع.

٢ ـ اللواء الثالث بقيادة المقدم مهدي صالح ومركزه «ترشيحا» ومسؤول عن حماية خط ترشيحا ـ نهاريا.

٣ ـ الفوج الرابع بقيادة الرئيس وصفي التل ومركزه قرية «المغار» ومسؤول عن الجبهة الجنوبية المقابلة لخط لوبية ـ الناصرة.

٤ ـ الفوج السوري العلوي بقيادة الرئيس غسان جديد ومركزه قرية الصفصاف ومسؤول عن حماية الخط المواجه لمدينة صفد.

وريثما استطاعت هذه القوات إعادة تنظيمها وتدريبها إلى حد ما كانت الهدنة الثانية قد فرضت وهدأت الحال في جبهات القتال عدا مصادمات قليلة بين الدوريات العربية واليهودية بين حين وآخر.

وحوالي اواخر تشرين الأول ١٩٤٨ فاجأ اليهود أحد فصائل السرية اليمانية بقيادة الملازم إبراهيم الأعظمي في التل الأحمر قرب قرية «معلية» بستار كثيف من النار تبعه هجوم استمر ساعة وأسفر عن القضاء على الفصيل اليماني الذي استبسل في الدفاع، واحتل العدو التل وكان هذا خرقاً منه للهدنة، لكن هذا التل استعيد بهجوم معاكس قامت به قوة من اللواء الثالث بعد قصف بالمدفعية وهجوم مركز اسفر عن القضاء على قوة العدو.

ثم قام العدو بهجمات فاشلة على مجد الكروم وطربيخا وعرابة، واستمر الوضع بعد ذلك هادئاً لا يعدو مناوشات بسيطة.

ومما يؤسف له ان القيادة العسكرية لم تحاول في هذه الفترة الإفادة من عامل الزمن فلم تضع خطة لتدريب الوحدات ولا لتخزين الذخائر الكافية في المستودعات الامامية، وكانت القيادة تفتقر إلى الجهاز العسكري الكافي، وكان النقص الكبير في الضباط حائلاً دون التنظيم والاصلاح الضروري. وظل الوضع العسكري في الجبهة على هذه الحال، وكان الضباط في الخطوط الأمامية يتوقعون قيام العدو بهجوم عام على جميع خطوط الجبهة.

وفي أوائل كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨ أخذ العدو يحشد قواته مقابل الخطوط العربية ولم يلبث أن فاجأ جميع قطاعات الجبهة بهجوم مركز بالمشاة والمدرعات والمدفعية والطائرات وقاذفات القنابل، وكان واضحاً أن العدو في هذه المرة يعتزم الاستيلاء على الجليل كله وطرد قوات الإنقاذ من الأراضي الفلسطينية مهما كلفه الأمر، فمهد لهجومه بقصف جوي على مراكز ترشيحا والمغار ومجد الكروم والصفصاف وبنت جبيل مدة ٤٨ ساعة ثم تقدم برتل من المدرعات على كل هذه المراكز (عدا بنت جبيل) الذي كان فيه الفوج السوري العلوي بقيادة الرئيس غسان جديد، وقد سهل على العدو بعد ذلك التقدم إلى مركز سعسع والاستيلاء عليه دون مقاومة وحصر القوات التي في الداخل وإبادتها أو إرغامها على التسليم.

فحاولت القيادة العسكرية إنقاذ ما يمكنها إنقاذه وأصدرت الأمر إلى الفوج اللبناني بقيادة الملازم دميرجيان بالمبادرة إلى سعسع من الرامة لمنع العدو من الاستيلاء عليها. ولما لم تكن ثمة وسائل كافية لنقل هذا الفوج اضطر لقطع المسافة سيراً على الاقدام، وهذا أتاح الفرصة للعدو للوصول قبله إلى سعسع والتركز فيها، وحينئذٍ اضطرت القيادة لإصدار أوامر عامة لجميع الوحدات بالانسحاب على كل الطرق إلى الأراضي اللبنانية والتركز في «بنت جبيل» وبذلك فقدت قوات الإنقاذ كثيراً من أسلحتها وسياراتها وذخائرها وبطارية مدافع ميدان تابعة للجيش السوري، وتمكن العدو من القضاء على نصف الفوج العلوي، وعلى جميع الفوج السوري الثالث الذي حاول نجدة الفوج العلوي خلال المعركة.

وقد ظهرت في هذه المعركة كل دلائل الضعف وسوء الإدارة وسوء القيادة، التي بدت واضحة جلية في نقطتي الضعف التاليتين:

١ ـ لم يكن بين القيادة والوحدات شبكة مواصلات لاسلكية منتظمة، تمكن القيادة من الاشراف على حركة الوحدات في العمليات والسيطرة عليها.

٢ ـ لم تكن وسائل النقل كافية ولولا ذلك لتمكنت القيادة من الاستيلاء على نقطة سعسع قبل وصول العدو إليها ولتغير وجه المعركة.

وبهذه الصورة المروعة والكارثة المحزنة تم للأعداء الاستيلاء على لواء الجليل بأجمعه بعد أن اضطروا قوات جيش الإنقاذ للتقهقر نحو ٢٠٠ كيلو متر دون أن يتكبد الأعداء خسائر مذكورة ودون أن يدفعوا ثمناً غالياً لهذا الانتصار، ويتضح للمراقب العسكري الخبير ان القيام بمحاولة للاحتفاظ بالقسم الأكبر من الجليل كان ممكناً لو صحت العزيمة على القتال وتم إعداد جهاز عسكري صالح.

عندما تجمعت القوات المنسحبة من الجليل في منطقة بنت جبيل على الحدود اللبنانية، وعلى أثر اتصالات بين جامعة الدول العربية وحكومتي لبنان وسورية، تم الاتفاق على النقاط الثلاث الآتية:

١ ـ بالنظر إلى قلة عدد الجيش اللبناني تقوم قوات الإنقاذ بالمرابطة على حدود لبنان الجنوبية والدفاع عنها إذا ما وقع عليها اعتداء من القوات اليهودية.

٢ ـ تقوم الحكومة اللبنانية بدفع مرتبات هذه القوات.

٣ ـ تكون القوات مرتبطة بقيادة الجيش السوري، وتكون هذه القيادة مسؤولة عن وجود الجهاز العسكري وما يحتاجه من تموين وآليات.

وعلى هذا الأساس، استدعى السيد عبد الرحمن عزام الامين العام لجامعة الدول العربية، السيد فوزي القاوقجي إلى القاهرة يوم ٤٨/١١/٢٢، وبعد أن شكره على جهوده أبلغه انتهاء مهمة جيش الإنقاذ، وعلى هذا الأساس عين العقيد انور بنود قائداً لقوات الإنقاذ، وعين القائد شوكت شقير مديراً لادارة هذه القوات في قيادة الجيش السوري بدمشق. وعين القائد محمد ناصر أركان حرب لقوات الإنقاذ، وأعيد تنظيم الوحدات على أساس الجيش السوري وتوحيد الزي والسلاح والذخيرة، وسحبت الوحدات بالتتالي إلى معسكرات قطنة قرب دمشق لإعادة تنظيمها وإرجاعها إلى الجبهة. وكانت النية تتجه إلى تأليف فوج فلسطين وشرع في ذلك بالفعل، ثم عدل عن ذلك وحلت السرايا التي تألف منها هذا الفوج وانهيت خدمات ضباطه عند عقد الهدنة بين السلطات السورية والعدو الإسرائيلي في تموز ١٩٤٩.

* * *

بعد ظهر الخميس ٢٨/١٠/١٩٤٨ أغارت ثلاث طائرات يهودية على قرى الصفصاف وميرون والجش وسعسع وصالحة وأمطرتها وابلاً من القنابل شديدة الانفجار، وعند المساء زحفت القوات اليهودية متجهة إلى هذه القرى بمصفحاتها ومدافعها وبعد معارك استمرت حتى الساعة الرابعة صباحاً احتلت هذه القرى التي أصابتها خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات.

ولم يكف هذه القرى ما أصابها من الهجوم اليهودي وقذف القنابل إذ أصاب ثلاثاً منها ما هو أدهى وأمرّ من فظائع الأعداء، فأما أهل قريتي الجش وميرون فقد تمكنوا من النجاة بالتجائهم إلى الأراضي اللبنانية، وفي اليوم التالي نسفت القوات اليهودية مستشفى الصليب الأحمر ومدرسة الجش الوطنية.

وأما قرية الصفصاف فلم يستطع النجاة من أهلها إلا القليل لأنها مكشوفة ومحاطة بالسهول، ففي اليوم التالي طوق الأعداء القرية وجمعوا السكان على البيادر وفرزوا الرجال والشبان والشابات الذين سنهم فوق العاشرة، وبعد أن استخدموهم في نقل المواشي والحبوب والمواد الغذائية إلى سياراتهم لشحنها إلى مراكزهم اوقفوهم صفاً واحداً واطلقوا عليهم النار فقتلوهم جميعاً وكان عددهم ٤٣ شخصاً تتراوح اعمارهم بين ٢٠ ـ ٦٠ عاماً.

وقتلوا قسماً من الرجال بضرب الهراوات على رؤوسهم وصدورهم وبطونهم، وكذلك المصابون من الغارات الجوية وعددهم ١٧ شخصاً فقد أجهزوا عليهم بهذه الطريقة.

ومبالغة منهم بالوحشية داسوا خمسة من الأطفال بمصفحاتهم الثقيلة التي سيروها فوق اجسادهم.

وقتل أولئك المجرمون ١١ شيخاً أعمارهم تزيد على الستين.

ثم قاموا بتعذيب الذين سجنوهم من النساء والأطفال وهم نحو ١٥٠ شخصاً ومنعوا عنهم الطعام والماء، ثم تركوا جثث القتلى في العراء طعاماً للوحوش المفترسة وكواسر الطير.

واما قرية سعسع التي تقع على بعد ١٧ كيلومتر من صفد فقد دمرتها قنابل الطائرات والرشاشات ففر قسم من سكانها إلى الحدود اللبنانية تاركين كل ما يملكون وقتل من سكانها ٢١ وجرح خمسون.

وأما قرية صالحة التي تقع على بعد ٣٢ كيلومتراً شمال غربي صفد، فقد هاجمها

اليهود ودخلوها دون مقاومة. وبعد أن طمأن الأعداء أهل القرية طلبوا منهم تسليم سلاحهم ثم تخيروا سبعين شخصاً من أهل القرية تتراوح اعمارهم بين ١٥ ـ ٦٠ وقتلوهم بالرصاص، ومن بقي حياً من الأهليين أرغم على الجلاء عن القرية إلى الحدود اللبنانية.

ومن الفظائع التي اقترفها الجنود اليهود في قرى شمال فلسطين عند احتلالها أنهم في قرية «نحف» اطلقوا النار على ستة من خيرة الشبان على مشهد من أهل القرية فقتلوهم.

وفي قرية «الرامة» طلب جنود العدو من اهل القرية تسليم السلاح فسلموهم ٢٢ بندقية كانت لديهم، وعلى أثر ذلك اطلق الجنود النار على ٢٢ شخصاً من أهل القرية فقتلوهم.

وفي قرية «المغار» أطلق جنود العدو النار على أكثر من عشرين شاباً من شبان القرية فقتلوهم.

وفي قرية عين السهلة الواقعة بين قريتي الرامة والبقيعة قتلوا أكثر من خمسين شخصاً.

وفي بلدة ترشيحا دمرت الطائرات اليهودية بقنابلها قسماً كبيراً من البلدة على رؤوس سكانها فظلوا تحت الأنقاض، عدا نحو خمسين جثة انتشلت قبل هجرة اهل البلد وظلت مطروحة في الجامع الكبير.

هذه نماذج من وحشية الأعداء واحقادهم التي لا حد لها، ولا يبلغ شأوهم في هذا الإجرام والوحشية أي مخلوق، إنساناً كان أو حيواناً.

سقوط صفد:

صفد، عاصمة القسم الشمالي من فلسطين، والمدينة التاريخية التي استخلصها السلطان صلاح الدين من ايدي الصليبيين، سقطت في ايدي اليهود الصهيونيين صبيحة اليوم الثاني من شهر رجب ١٣٦٧ هجرية (العاشر من شهر ايار ١٩٤٨م).

تقع صفد على جبل كنعان، معتلية عن سطح البحر بما يزيد على ٨٠٠ متر، ومشرفة على بحيرة طبرية وسهل الحولة. وقد روت لنا كتب التاريخ الإسلامي ان السلطان صلاح الدين الايوبي افتتحها سنة ٥٧٥ هجرية، ويعود بناؤها إلى عهد الصليبيين سنة ٤٩٥ هجرية وكانوا يسمونها (صفت) أي «العطية».

وأقام السلطان على حمايتها الأمير طغرل الخازندار على رأس خمسمائة فارس، ثم استردها الصليبيون فظلت في ايديهم ٢٦ سنة، إلى ان افتتحها الملك الظاهر بيبرس بعد حصار شديد اشترك فيه بنفسه، حتى أنه كان يحمل التراب والحجارة ويجر الأخشاب بيديه، ولما افتتحها عمّر قلعتها وأنشأ فيها جامعاً.

وفي أواخر عهد الاحتلال البريطاني لفلسطين كان عدد سكان صفد ١١,٩٣٠ منهم ٩,١٠٠ مسلمون و٤٣٠ مسيحيون، و٢,٤٠٠ يهود.

كانت منطقة مدينة صفد داخلة ضمن اختصاص فوج اليرموك الثاني بقيادة المقدم أديب الشيشكلي، وكان المقاتلون السوريون الداخلون ضمن هذا الفوج قد اجتازوا حدود لبنان مع الشيشكلي في ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨، وتوزعت قوة هذا الفوج في حدود ٨٠٠ من المجاهدين والمتطوعين المسلحين، انتشروا فيما بعد من صفد شرقاً إلى عكا غرباً، ومن قرية المغار جنوباً إلى الحدود اللبنانية شمالاً، وكان الملازم الأول «إحسان كم الماز»، وهو ضابط سوري متطوع ومتحمس، قد ترك الجيش السوري وجاء صفد مع بضع رتباء من الجيش السوري وعدد من تلامذته، ونظراً إلى ما فطر عليه من الجرأة والمغامرة وحب القتال استطاع أن يكون موضع ثقة الصفديين، وكان في صفد، بالإضافة إلى الذين صحبوا إحساناً المذكور، قوة مسلحة من ثلاثمائة مجاهد من أهل صفد، تتولى أمرهم اللجنة القومية باسم الهيئة العربية العليا للدفاع عن المدينة.

وفي ١٩٤٨/٤/١٨ وصلت صفد سرية اردنية بقيادة النقيب ساري الفنيش ومساعده الملازم أول أميل جميعان، ويبدو أن الملك عبد الله كان يرى أن صفد داخلة في حصة اليهود بموجب التقسيم، وكان الشيشكلي معروفاً بنزعته السورية المعارضة للملك عبد الله وأهدافه السياسية، وكان البعض يعزو للشيشكلي الانتماء للحزب القومي السوري، على أن إحسان كم الماز لم يعترف بقيادة الشيشكلي للمنطقة، ولا بصفة «ساري الفنيش» قائداً لحامية صفد، وبقي منفرداً يتولى قيادة الحامية المؤلفة من المجاهدين الفلسطينيين والمتطوعين السوريين الذين تحت قيادته، ويباشر تنظيم وسائل الدفاع وحفر الخنادق والقيام بهجمات على المراكز البريطانية واليهودية بين حين وآخر، وكان أهمها الاستيلاء على مركز البوليس الإنكليزي في صفد أثناء انسحاب الإنكليز في ١٩٤٨/٤/١٦.

وعلى أثر وصول السرية الأردنية إلى صفد، بقيادة ساري الفنيش ومساعده أميل جميعان لتتولى القيادة في صفد، استاء إحسان من ذلك وعاد إلى دمشق، لكنه قبل انسحابه هاجم المراكز اليهودية يوم ١٩٤٨/٤/٢٨ وأوقع فيها خسائر فادحة، ثم غادر

صفد في ١٩٤٨/٥/١٠ إلى دمشق، حيث انضم إلى الجيش السوري واشترك معه في معركة سمخ واستشهد فيها، رحمه الله[1].

---

(١) - نرى من المفيد ان نثبت هنا ما أورده العقيد المتقاعد السيد محمد هشام العظم عن المرحوم إحسان كم الماز من معلومات، في مقال قيم له عن سقوط صفد نشرته مجلة (شؤون فلسطينية) في عددها ٣٣ (ايار ١٩٧٤)، وكان العقيد العظم قد اشترك في معركة صفد عندما كان ضابطاً برتبة ملازم في جيش الإنقاذ عام ١٩٤٨.

«كان الملازم الأول إحسان كم الماز (من الجيش السوري) في صفد، فقد هرب من الجيش حماسة ونخوة، واصطحب معه عدة عناصر من رتباء الجيش ومن تلامذته، ودخل مدينة صفد، فأحبه الأهلون وتسلم قيادتهم، فكان يقود في المدينة جميع المناوشات والاشتباكات المستمرة مع اليهود من جهة، ومع الإنكليز من جهة ثانية في بعض الاحيان، ولكن هذه المناوشات لم تكن إلا لإثبات الوجود العربي في المدينة، ولم يكن لها تأثير حاسم ولم تحقق أي غرض عسكري سوى احتلال مركز البوليس.

وفجأة أعلن الإنكليز اخلاءهم لمدينة صفد، وبدأوا بإغراء الفريقين العرب واليهود للتسابق إلى احتلال المركز واختطافه من الآخر، فقامت عناصر التغطية الإنكليزية (حسب الرواية العربية المتواترة) تضرب الفريقين معاً في آن واحد حماية لانسحابها، ولكن الرواية العربية تضيف بأن الجيش الإنكليزي كان يركز في ضربه على العرب أكثر من اليهود، حتى يتاح لليهود السبق في الاحتلال، ولكن الملازم الأول إحسان كم الماز استطاع بحيويته وشجاعته وما جمعه حوله من المجاهدين الصفديين إن يسبق إلى الاحتلال والتمركز، وأن يدافع عن المركز ضد الفريقين في البدء ثم ضد اليهود في النهاية، وبقي المركز بيد العرب، فاكسبهم ميزة دفاعية جيدة، وحسن كثيراً من قوة دفاعهم، لأن مركز البوليس كان يشرف على الحي العربي أكثر من إشرافه على الحي اليهودي وأن بقي جبل كنعان مشرفاً عليه، وبهذا الاحتلال فاتت على اليهود فرصة ثمينة جداً في كسب المعركة بل في تأخير هذا الكسب مدة اطول». وتحدث العقيد هشام العظم في مكان آخر من مقاله عن تعيين النقيب ساري الفنيش قائداً للحامية فقال:

«وكان من آثار تعيينه كقائد للحامية خسارة الحامية للملازم الأول إحسان كم الماز، ولم يكن الملازم الأول كم الماز تابعاً لقيادة الشيشكلي آنذاك، وإنما كان حراً يتصرف بالقتال في المدينة كيفما شاء، وعندما اقتضت الضرورة إدخال التعزيزات من قيادة منطقة الجليل في أعقاب جلاء الإنكليز عن المدينة كان الملازم الأول مسروراً بهذه التعزيزات ولاسيما أن عناصرها الأولى كانت سورية وضباطها من تلامذته، ولكن ما إن دخلت العناصر الأردنية على رأسها من هو أعلى منه رتبه حتى تبدلت نفسيته بعض الشيء، إذ كان يقدر أن يكون قائد الحامية، وكان معه الحق بذلك، لأنه كان أعرف بالمدينة عسكرياً واجتماعياً، فقد احبه الاهلون وشاهدوا من شجاعته واندفاعه ما زادهم حباً وإعجاباً به، وقد توج اعماله القتالية في صفد باحتلال مركز البوليس وانتزاعه عنوة من أيدي اليهود، ولكنه كان حاد الطبع عصبي المزاج، فلم يرق له البقاء في صفد تحت امرة غيره فغادرها غاضباً، لقد أثر ذهابه على الروح المعنوية الصفدية، ولمسنا ذلك ظاهراً على نفوس الصفديين، وتردت الروح أكثر من ذلك عندما لاحظوا تبدل المعاملة والانتقال فيها من صعيد المساواة والأخوّة على صعيد الحاكم والمحكوم، مما كان له أسوأ الأثر على دوافع القتال والروح المعنوية. وقد كان من الممكن، بل من الأولى، إبقاء الملازم أول كم الماز في صفد استفادة من عدة ميزات حققها بها وكما تقضي الحاجة الملحة والضرورات العسكرية».

وكان المقدم الشيشكلي اعتزم في ١٩٤٨/٤/١١ أن يهاجم المواقع اليهودية في صفد ومستعمرة عين زيتم اليهودية الواقعة شمال صفد، وطلب من الكولونيل وطسن قائد منطقة صفد البريطاني أن لا يتدخل في الأمر، فأجابه هذا إنه سيعرض الأمر على الجنرال ستوكويل قائد المنطقة الشمالية، وفي اليوم التالي عقد اجتماع بين الشيشكلي والجنرال ستوكويل والبريغادير والكهند قائد منطقة الجليل والكولونيل وطسن قائد منطقة صفد، في منزل محمد يوسف الخضرا في صفد، وبعد المناقشة في الوضع اتفق على أرجاء الهجوم العربي ريثما تنسحب القوات البريطانية بعد ١٩٤٨/٤/١٦. وقد أحاط الإنكليز اليهود علماً بأنهم سينسحبون من صفد صباح ذلك اليوم. وبعد انسحابهم تسلم العرب قلعة صفد ومركز رئاسة البوليس على جبل كنعان، ومركز بوليس صفد ومحلات أخرى كان الإنكليز يشغلونها، وباشر العرب الهجوم على المراكز اليهودية واحتلوا بعضها، وقام إحسان كم الماز بنسف بعض المواقع اليهودية، واخترق سياج الاسلاك الشائكة حول مواقعهم، وقتل من اليهود ١٨ شخصاً وجرح ٤٠ باعتراف اليهود انفسهم، وفي اليوم التالي أرسل الشيشكلي إلى صفد سرية مشاة متطوعين سوريين وعراقيين، بقيادة الملازم عبد الحميد السراج[1] والملازم محمد هشام العظم، وقام العرب بنسف بعض العمارات اليهودية.

وفي تلك الأثناء وصلت صفد سرية يهودية من البالماخ، وقامت بنسف فندق صفد الذي احتله العرب، وفي أواخر شهر نيسان اشتدت المعارك بين الفريقين فهاجم اليهود قرية عين الزيتون العربية وبيرية، وهاجم العرب مستعمرة عين زيتم اليهودية، وطلب الصفديون من ساري الفنيش أن ينجد العرب الذين يهاجمون مستعمرة عين زيتم، فلم يلب طلبهم، وقال إن اختصاصه لا يتعدى حدود مدينة صفد، وكان موقفه هذا سبباً في احتلال اليهود قرية عين الزيتون وتدميرها تدميراً كلياً، وقطع كل اتصال لصفد بالقرى العربية الواقعة في شمالها، كما أنهم حققوا الاتصال بالحي اليهودي بصفد، وهي ميزة استراتيجية عظيمة الأهمية.

ونظراً لخطورة الموقف طلب الشيشكلي من قيادة جيش الإنقاذ إرسال مدد إلى صفد فاعتذرت هذه بأن ليس لديها قوة احتياطية، وتم اتصال مع الملك عبد الله، فوعد

(١) الملازم عبد الحميد السراج: من ضباط الجيش العربي السوري، تسلّم في عهد الوحدة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ حكم الإقليم الشمالي.

بإرسال سريتين، لكن هاتين السريتين لم تصلا بدعوى أن صفد سقطت في يد اليهود، مع أن هذا لم يكن قد وقع.

وفي ٥ و ٦ ايار وصلت إلى اليهود نجدات قوية من البالماخ، لكن الشيشكلي استدعى فصيل مدفعية بقيادة الملازم الأول فايز القصري، فقصفت المدفعية بعض المراكز اليهودية، وشدد العرب الضغط عليهم، فقام هؤلاء بمهاجمة الاحياء العربية بمدافع الهاون وراجمات الالغام، لكن العرب صدوهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً واشتدت معنويات العرب.

وبعد هذا الهجوم اليهودي الشديد والفاشل، تغيب ساري الفنيش قائد حامية صفد ومساعده الملازم أميل جميعان، بدعوى مباحثة القيادة في الوضع العسكري ولطلب النجدات والمعونات، وتسلم الملازم هشام العظم قيادة صفد لمدة أربع وعشرين ساعة.

وقبيل منتصف ليلة ٩ ـ ١٩٤٨/٥/١٠، جدد اليهود هجومهم، معززاً بنجدات من البالماخ ومدافع الهاون وراجمات الالغام، وكان يرابط في مركز البوليس الحصين عدد من الجنود الأردنيين والمجاهدين الصفديين، وكان يرابط في قلعة صفد جنود السرية الجديدة التابعة لفوج اليرموك الرابع، والمؤلفة من شبان لبنانيين متطوعين في أول عهدهم بالخدمة العسكرية ولم يتدربوا بعد على القتال، وكانت لديهم بنادق كندية جديدة لم تستعمل، حتى قيل أنها لم تنظف من الشحم الذي كان عالقاً بها وكان أولئك الشبان ما يزالون تحت تأثير الطعوم التي حقنوا بها للوقاية من بعض الأمراض، فلم يكد العدو يشن هجومه ليلاً على قلعة صفد، مدعوماً بنيران حامية من قذائف الهاون وراجمات الألغام، حتى تضعضعت السرية الجديدة، فلم تثبت في المعركة، وتفرقت وتشتت شملها واحتل العدو القلعة، ثم تقدم منها إلى عمارة الحاج فؤاد وغيرها من المراكز التي كانت في ايدي العرب فاحتلها، (وقد ذكر الشيشكلي هذا الحادث في تقريره إلى القيادة العسكرية)، وعلى أثر ذلك أمر الشيشكلي قواته بالانسحاب من صفد استجابة لأمر رئيس اللجنة العسكرية اللواء الركن اسماعيل صفوة المسؤول عن جيش الإنقاذ، فكان لذلك وقع سيء في اهل المدينة اضطرهم للجلاء عنها.

وجاء في تقرير الشيشكلي إلى القيادة العسكرية أن اليهود بدأوا هجومهم على صفد ليلة ٩ـ ١٩٤٨/٥/١٠، وأن جنود السرية الجديدة التابعة لفوج اليرموك الرابع قد

أخلت القلعة، وأنه تلقى إشارة لاسلكية من أميل جميعان وكيل آمر الحامية قال فيها أنه لم يبق في صفد إلا هو وهشام العظم، وأن ذخيرته نفدت، فامره الشيشكلي بالانسحاب.

وظل اليهود مدة يومين بعد انسحاب العرب، مندهشين وغير مصدقين أن العرب انسحبوا من صفد، إذ كانت لديهم أسلحة وذخائر تمكنهم من متابعة القتال، وقال السيد زكي قدورة رئيس بلدية صفد أنه لما ذهب إلى دمشق، بعد كارثة صفد، لقي فيها أميل جميعان، وأن هذا روى له الحادث على الصورة التالية، وهي أنه ذهب إلى صفد على رأس ٢٠٠ جندي من جنود الجيش الأردني مع أسلحتهم واعتدتهم، لكن العقيد عبد القادر الجندي مساعد رئيس أركان الجيش الأردني، الذي يتولى قيادته البريغادير غلوب، جاءه وأمره ألا يعود إلى صفد، لأن المدينة داخلة في القطاعين السوري واللبناني.

وأضاف جميعان أنه ذاهب إلى صفد ليسحب القوة منها، وقد حاول رئيس البلدية السيد قدورة أن يقنعه بالعدول عن ذلك فلم يقبل، وقال إن هذه هي أوامر رؤسائه في عمان ولابد من اطاعتها..

(سئل العقيد السيد هشام العظم الذي كان برتبة ملازم في جيش الإنقاذ في ذلك الحين، عن صحة هذه الحادثة فقال: إن أميل جميعان كان يومئذٍ في صفد على رأس ٢٠٠ جندي اردني، ولم يكن خارجها.. وأضاف العقيد العظم قائلاً: إذا كانت لدى الملازم أوامر من رؤسائه فهي حتماً أوامر سرية، ولا يجوز أن يذيعها بمثل هذه البساطة كما قال رئيس بلدية صفد، ولكن الحقيقة أن جميعان جاء صفد ليلة الثامن من أيار، وشهد مجيء السرية الجديدة، وهو الذي سلمها مراكزها الامامية، وحدث الهجوم الساعة ١٥ر١٠ من ليلة ٩ - ١٩٤٨/٥/١٠، وكنت أنا وجميعان واقفين عند مدفع الهاون بجوار الجبانة، فمر بنا الملازم حافظ منسحباً من مركز البوليس مع جنوده الأردنيين.)

وصرح جميعان لبعض الصفديين عند رجوعه أنه قابل الملك عبد الله وغلوب باشا وأن الملك قال له: أنت أصبحت رئيساً (أي نقيب) فخذ الجنود الأردنيين من صفد والتحق بالجيش الأردني.

وكان الجنود الأردنيون يحتلون العمارة الحصينة التي كانت مركزاً للبوليس البريطاني، وهي أحدى العمارات التي انشأها الخبير البريطاني (تيغارت) لصد

هجمات المجاهدين الفلسطينيين على المراكز البريطانية واليهودية خلال ثوراتهم على الحكم البريطاني، وهذه العمارة اقيمت على أعلى نقطة في مدينة صفد، وتشرف على المدينة كلها، فسحب أميل جميعان الجنود الأردنيين اثناء الهجوم دون مبرر لسحبهم، ولاسيما أن اليهود لم يهاجموا تلك القلعة خلال الأيام التي دارت فيها معركة صفد.

ولما اشتدت المعركة، وكان اليهود خلالها يتلقون نجدات من البالماخ، ذهب وفد من صفد إلى دمشق، فقابل اللجنة العسكرية، وطلب امداد صفد بالأسلحة والمقاتلين، لكنه لم يحظ منها بطائل، وعلى أثر ذلك ذهب السيد زكي قدورة رئيس البلدية إلى عمان مصطحباً معه أميل جميعان، فقابل الملك عبد الله ملتمساً منه إنقاذ المدينة التي يوشك اليهود أن يحتلوها، فاعتذر الملك بعدم استطاعته دخول فلسطين قبل انتهاء الانتداب البريطاني، وأن الإنكليز انذروه بذلك. فسافر السيد قدورة إلى دمشق حيث قابل الرئيس شكري القوتلي، وبسط له خطورة الموقف، فوعده بالمساعدة، وأرسل فعلاً قوة مؤلفة من خمسين جندياً نظامياً وسرية من فوج اليرموك الرابع، لكنهم لم يكونوا مدربين، فلم يكن لإرسالهم كبير فائدة إذ فروا من القلعة عندما هاجمها اليهود مساء ١٩٤٨/٥/٩.

أما جميعان فعاد إلى صفد وسحب الجنود الأردنيين منها إلى عمان، وكان عددهم ٢٠٠ جندي ومعهم أسلحتهم وعتادهم، وأما ساري الفنيش فكان قد غادر صفد إلى دمشق دون أن يستأذن قائده أديب الشيشكلي، فلما وصلها أمرت وزارة الدفاع بالقاء القبض عليه لمحاكمته، لكن المقامات العليا تدخلت في أمره فأخلي سبيله.

وقد أورد المقدم الشيشكلي أسباب الهزيمة في تقريره الذي رفعه بتاريخ ١١/٥/١٩٤٨، رقم ٤٨ إلى قيادة جيش الإنقاذ، وفيما يلي خلاصتها:

١ ـ انسحاب ساري الفنيش آمر الحامية بصورة غير مشروعة (ترك صفد صباح يوم ٩/٥/ وكان يتغيب عن كل هجوم).

٢ ـ انتشار سرية فوج اليرموك الرابع بصورة واسعة، وعدم معرفة الجنود بمواقع القتال.

٣ ـ عدم تدريب السرية المذكورة على أعمال القتال وعلى استعمال السلاح.

وذكر من الأسباب استعمال اليهود للأسلحة الاوتوماتيكية ومدافع الهاون وقاذفات الصواريخ بكثرة وحرقهم مراكز الحرس في القلعة.

وذكر أخيراً من الاسباب: (عدم عمل آمر الحامية بالوكالة الملازم أميل جميعان على الصمود، فقد كان موقفه ظاهر الضعف منذ ابتداء الهجوم، وأضاف قائلاً: ولا أدري هل كان ذلك بسبب انهياره المعنوي أو بسبب مقصود بعد رجوعه من عمان).

* * *

انتهت مذكرات المغفور له الحاج محمد أمين الحسيني بوفاته، ففي يوم ١٩٧٤/٧/٤ توقف عن الوجيب قلباً ما خفق إلّا لقضية الوطن ولقضايا العروبة والإسلام، مات شيخ المجاهدين الذي قضى عمره في منافحة الاستعمار والحركة الصهيونية.

(ذهب الحاج محمد أمين الحسيني وبقيت ذكراه. ظلّ يقول «لا» طوال خمسين عاماً من الجهاد «لا» للمساومة والتفريط في حقوق الوطن والمواطن).

○ ○ ○

فهرس الأعلام

- ح -

- خ -

- د -

- ذ -

- ر -

- ز -

- س -

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- ي -

فهرس الأماكن والمعارك والمذابح



سماحة السيد محمد أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى لفلسطين يتحدث إلى الملك فيصل الأول ملك العراق عن شؤون فلسطين، وذلك على ظهر الباخرة في ميناء يافا في آب (أغسطس) ١٩٢٥ والملك في طريقه إلى فرنسا



صُورَة تَاريخيَّة للمؤتَمر الفلسْطيني الثَّالِث بحيَفَا عَام ١٩٢١

ننشر هذه الصورة للتاريخ مع العلم أن أكثر شخصياتها قد توفاهم الله. ويبدو في الصف الأول من اليمين السادة: حافظ طوقان، امين نور الله، توفيق حماد، حيدر عبد الهادي، الشيخ سليمان التاجى الفاروقي، الشيخ احمد النحوي، عارف باشا الدجاني، موسى كاظم باشا الحسيني، الشيخ محمد مراد (مفتي حيفا)، الشيخ عبد اللطيف الحاج ابراهيم، أبو الخير الموقع.

وفي الصف الثاني من اليمين السادة: وديع البستاني، الدكتور جمال عز الدين قدورة، معين الماضي، الدكتور مصطفى بوشناق، امين النميمي، ......،......، ......، ابراهيم شماس، شكري التاجي الفاروقي، الياس برتقش.

وفي الصف الثالث من اليمين السادة: فؤاد النشاشيبي، رشدي الشوا، محمد امين الحسيني (مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا) جميل البحري، احمد الامام، رشيد الحاج ابراهيم، رفيق التميمي، بولس شحاده، حمدي النابلسي، تيوفيل بوتاجي، نجيب نصار، ......، عبد الله مخلص، ......



السادة أعضاء المؤتمر الفلسطيني الرابع المنعقد في ٢٥ أيار (مايو) ١٩٢١ في مدينة القدس

في الصف الأول: ١ - شبلي الجمل (القدس) ٢ - جميل البحري (حيفا) ٣ - ابراهيم شماس (القدس) ٤ - جميل الحسيني (القدس) ٥ - عبد السلام البرقاوي (برقه) ٦ - حسن صدقي الدجاني (القدس) ٧ - عبد الله السمارة (طول كرم) ٨ - الحاج فياض العبد الخضر (طول كرم).

وفي الصف الثاني: ١ - الحاج طاهر كمال (نابلس) ٢ - الشيخ محي الدين الحسيني (القدس) ٣ - الحاج حيدر عبد الهادي (جنين) ٤ - الشيخ شكري الحسيني (غزة) ٥ - الحاج توفيق حماد (نابلس) ٦ - الحاج سعيد الشوا (غزة) ٧ - الشيخ محمد مراد (حيفا) ٨ - موسى كاظم الحسيني (القدس) ٩ - محمد الصوراني (غزة) ١٠ - الشيخ سليمان التاجي (الرملة) ١١ - الحاج شافع عبد الهادي (نابلس) ١٢ - عبد الله مخلص (حيفا) ١٣ - اسماعيل آغا النمر (نابلس) ١٤ - علي رضا النحوي (صفد)

وفي الصف الثالث: ١ - نجيب نصار (حيفا) ٢ - جورج عبد النور (نابلس) ٣ - رشيد الرياحي (يافا) ٤ - سليم عبد الرحمن (طول كرم) ٥ - علي النقيب الحسيني (القدس) ٦ - سعيد ابو خضرة (يافا) ٧ - الدكتور مصطفى البوشناق (نابلس) ٨ - فارس المسعود (برقة) ٩ - عادل زعيتر (نابلس) ١٠ - روحي عبد الهادي (نابلس) ١١ - الدكتور صدقي ملحس (نابلس) ١٢ - كامل البديري (القدس) ١٣ - هاشم الجبوسي (طول كرم) ١٤ - فريد العنبتاوي (نابلس) ١٥ - طاهر حنون (طول كرم) ١٦ - الشيخ مصطفى عبسية (القدس) ١٧ - معين الماضي (حيفا) ١٨ - الشيخ محمد علي الديسي (القدس) ١٩ - فؤاد سعد (عكا).

وفي الصف الرابع: ١ - نقولا شاهين (بيت لحم) ٢ - اسكندر كساب (حيفا) ٣ - عبد الحميد أبو غوش (القدس) ٤ - عبد الفتاح درويش (القدس) ٥ - يوسف الصايغ (غزة) ٦ - مصباح فرح (غزة) ٧ - خليل الصباغ (طول كرم) ٨ - .... ٩ - احمد الامام (حيفا) ١٠ - رشيد الحاج ابراهيم (حيفا) ١١ - اسحق درويش (القدس) ١٢ - جمال الحسيني (القدس) ١٣ - رفيق التميمي (نابلس) ١٤ - شكري التاجى (الرملة) ١٥ - الدكتور يعقوب برتقش (يافا).



صُوَرة تَاريخيَّة للمُؤتَمر العَرَبي الفلسطيني الخامِس سَنَة ١٩٢٢

صورة تاريخية للمؤتمر العربي الفلسطيني الخامس الذي انعقد في مدينة نابلس على أثر عودة الوفد الفلسطيني من لندن، وذلك في ٢٢ آب (اغسطس) عام ١٩٢٢ . وقد وضع المؤتمرون الميثاق التالي: «نحن ممثلي فلسطين، أعضاء المؤتمر الفلسطيني الخامس، نقسم امام الله والامة والتاريخ بأن نواصل المساعي المشروعة لتحقيق الاستقلال والاتحاد العربي ورفض الوطن القومي اليهودي والهجرة الصهيونية».

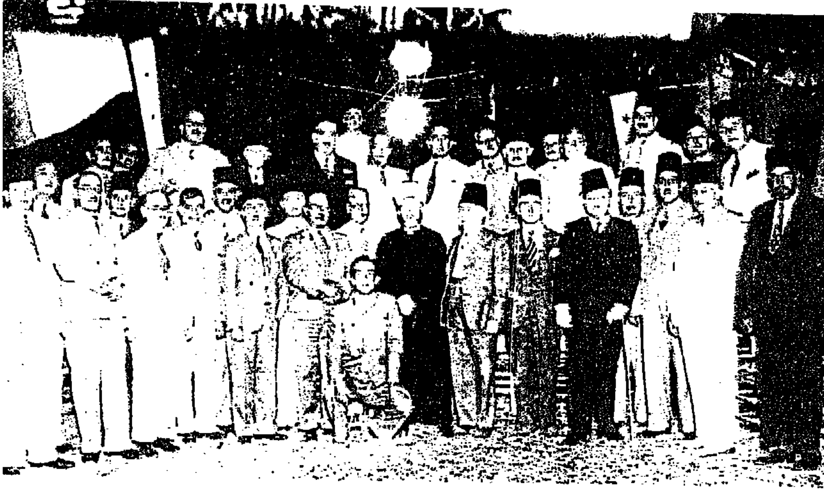
ويظهر في الصورة في الصف الأول من اليمين، الجلوس على الأرض: ١ ـ الشيخ احمد الزبيدات ٢ ـ عبد الله سماره ٣ ـ الشيخ ابراهيم ابو رقيق ٤ ـ جميل الحسيني ٥ ـ الشيخ فريح ابو مدين ٦ ـ شبلي الجمل ٧ ـ سليم عبد الرحمن ٨ ـ الشيخ حمد الصانع ٩ ....

الصف الثاني من اليمين على الكراسي: ١ ـ الشيخ سعيد مراد ٢ ـ حسن بدر ٣ ـ عبد القادر يوسف عبد الهادي ٤ ـ امين نور الله ٥ ـ الشيخ بدر يونس ٦ ـ عبد اللطيف صلاح ٧ ـ الشيخ سليمان التاجي الفاروقي ٨ ـ الشيخ عبد القادر المظفر ٩ ـ موسى كاظم باشا الحسيني ١٠ ـ الحاج توفيق حماد ١١ ـ الحاج سعيد الشوا ١٢ ـ الشيخ محمد مراد ١٣ ـ محمد الصوراني ١٤ ـ الحاج شافع عبد الهادي ١٥ ـ الشيخ عبد الله طهبوب ١٦ ـ يوسف ضيا الدجاني.

الصف الثالث من اليمين، الوقوف: ١ ـ ابراهيم الشماس ٢ ـ الشيخ فهمي بسيسو ٣ ـ جورج عبد النور ٤ ـ معين الماضي ٥ ـ اسماعيل آغا النمر ٦ ـ الشيخ سعيد الخطيب ٧ ـ شكري التاجي الفاروقي ٨ ـ حسين العبيد ٩ ـ حسني خيال ١٠ ـ خليل بسيسو ١١ ـ رفيق التميم ١٢ ـ الدكتور صدقي ملحس ١٣ ـ الشيخ يوسف امين ١٤ ـ عفيف عبد الهادي ١٥ ـ صالح الصفدي ١٦ ـ عليان أبو غربية ١٧ ـ عاصم بسيسو ١٨ ـ انطوني الغوري ١٩ ـ امين التميمي.

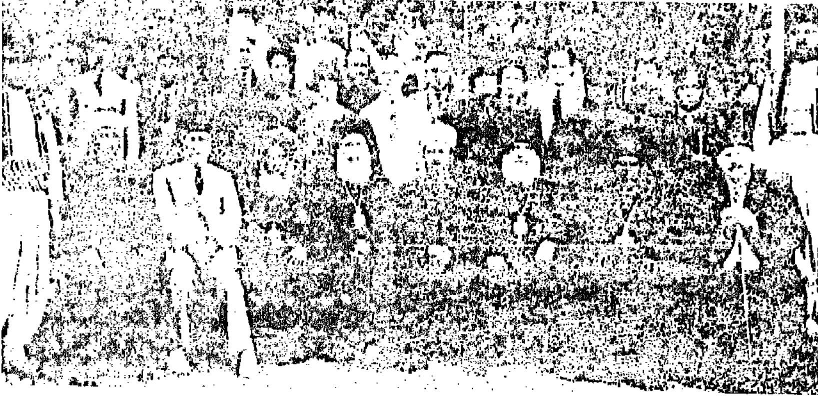
الصف الرابع من اليمين، الوقوف: ١ ـ صدقي الطبري ٢ ـ محمد عزة دروزة ٣ ـ مصطفى أبو حجلة ٤ ـ عبد الرؤوف درويش احمد ٥ ـ احمد الشكعة ٦ ـ علي النقيب الحسيني ٧ ـ عيسى العيسى ٨ ـ يوسف الغماشي ٩ ـ فهمي العبوشي ١٠ ـ عبد الله مخلص ١١ ـ احمد الامام ١٢ ـ يوسف ياسين ١٣ ـ سليمان طنوس ١٤ ـ حنا البحري ١٥ ـ الشيخ حسن أبو السعود ١٦ ـ اديب أبو ضبة ١٧ ـ موسى سحويل ١٨ ـ الدكتور مصطفى بشناق.

الصف الخامس، الوقوف من اليمين: ١ ـ فريد فخر الدين ٢ ـ جبران قوزما ٣ ـ الشيخ حسين أبو ستة ٤ ـ جمال الحسيني ٥ ـ الحاج ابراهيم الصانع ٦ ـ رشيد الحاج ابراهيم ٧ ـ الشيخ محمد الصقر ٨ ـ أمين جرجورة ٩ ـ كامل الدجاني ١٠ ـ خليل السكاكيني ١١ ـ .... ١٢ ـ هاشم الجيوسي ١٣ ـ اسحق درويش.



الصف الأول: عارف الجاعوني، احسان الشريف، الرئيس شكري القوتلي، رياض الصلح، احسان الجابري، فارس الخوري، الحاج أمين الحسيني، جميل المدفعجي، سعد الله الجابري، جميل مردم، ساطع الحصري وعادل العظمة.

الصف الثاني: توفيق الحياني، عفيف الصلح، مظهر البكري، توفيق السويدي، عبد الرحمن الكيالي، نبيه العظمة، فايز خوري، نسيب البكري وفوزي الكيالي.



أخذت الصورة في احدى المهرجانات الوطنية التي اقيمت في القدس سنة ١٩٢٢ والتي يشارك فيها عرب فلسطين، مسلمين ومسيحيين، جنباً إلى جنب، بدون تفرقة أو تمييز.

وقد أيدت الندوة العالمية للمسيحيين من أجل فلسطين المعقودة في بيروت قرار الاتحاد المسيحي الفلسطيني المتخذ في عام ١٩٤٨ الذي ينص: «يرغب الاتحاد المسيحي في أن يعلن بصورة قاطعة انه يشجب مشروع التقسيم ويؤمن إيماناً راسخاً بأن هذا المشروع يتضمن انتهاكاً لقدسية الأماكن المقدسة التي هي بطبيعتها وتاريخها لا تقبل التجزئة وبأنه يمثل انتهاكاً للحقوق الطبيعية للعرب سكان البلاد».



أعضاء الوفد الفلسطيني الذي قصد إلى لندن في آذار ١٩٣٠ للمطالبة بحقوق فلسطين كاملة. ويبدو إلى اليسار سماحة السيد محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر ورئيس المجلس الإسلامي الاعلى. فالمغفور له موسى كاظم باشا فالاستاذ راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس. فالاستاذ الفريد روك. والاستاذ عز الذين الشوا سكرتير سماحته.



السيد محمد أمين الحسيني يستعرض فرقة (خنجر) البوسنوية ويرافقه قائدها الالماني وبعض الضباط البوسنويين .



وفد السلام إلى المملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية. وقد اخذت الصورة في الطائف سنة ١٩٣٤ ، ويبدو من اليمين الأمير شكيب ارسلان وسماحة السيد محمد امين الحسيني والسيد هاشم الاتاسي والدكتور محمد اديب الجبال رئيس الصحة بمكة المكرمة



السيد محمد أمين الحسيني مع رشيد عالي الكيلاني رئيس الوزارة العراقية خلال الأزمة

דרכו, רבת המככים וההרפתקאות של חג' אמין אל־חוסייני, אויבו המושבע ביותר של הישוב היהודי בארץ במשך ארבעים וחמש שנה, שירד החודש סופית מגדולתו

עלייתו ונפילתו של המופתי



أول لقاء بين الحاج محمد أيمن الحسيني وأدولف هتلر

جامعة الدول العربية

الأمانة العامة

عزيزي صاحب السماحة السيد أمين

السلام عليك . وصلني كتابك ، أما المساعي الحثيثة فلم أدخر في سبيلها وسعاً سواء مع البريطانيين أو بالنسبة لليوغوسلافيين وطلبهم وقد بلغت الحكومة اليوغسلافية أسف العرب على تدخلها لطلب محاكمتكم كمجرم حرب وأن العرب يعتبرون عملها أكبر إساءة لهم وقد أيدتني الحكومة المصرية في ذلك .
وقد بلغني اليوم تلغرافياً غير رسمي أنها لم تطلب شيئاً بعد . وأن كل ما في يدي لمعاونتك على ما أنت فيه مبذول والله يرعاك . وتقبل وافر احترامي

عبد الرحمن عزام

٢٥/٩/٤٥

وقد استلمت خطابك ١٦ سبتمبر المرسل لسامي الصلح وسلمت مذكرة الدفاع للحكومة المصرية لتوضح وجهة نظرنا في حالة تحرك اليوغسلافية في ما قيل من المطالبة .. مرة أخرى . [illegible] ما طلبناه سابقاً منها من عدم التعرض لكم .

عزام

SAVOY HOTEL LONDON

TELEPHONE, TEMPLE BAR 4313 : TELEGRAMS, SAVOY HOTEL LONDON

عزيزي الأخ الحاج أمين

السلام عليك. وصلتني خطاباتك وإذا
لم أجبك في الحين فليس ذلك إهمالا
لشيء مما أشرت إليه.
إن المعركة مع اليهود حامية جدا ووسائلنا
محدودة ولكن عناية الله أعظم من كل شيء
وبهذه العناية رد كثير من الكيد وأخذت
تضعف تشكيلات ودوائر عديدة
إنني أوافقه تماما على أن الأمر ليس أمر ١٥٠٠
يهودي ولكنه المبدأ وقد أثرت الحرب
اليهودية وعلى بريطانيا أن تثبت وتقوم بعهدها

سأسافر لأمريكا وسيعمل اليهود جهدهم
لإحباط مساعي ولكن الله معنا
ورضاؤه الذي نرجو أن يمنحنا أعظم
من كل القوى.
أيها الأخ أعلم أنه ليس في يدي شيء
أستطيع لا أفعله لإنقاذ أي عربي
صغير ومجهول بل أي مسلم فإذا
لم أوفقه فاعلم أن الطاقة بذلت. ولا أريد
أن أقص عليك أنواع الوسائل التي ألجأ إليها
ولا تستغرب من هذا أن الأمور لا تسير
في الأسباب الذي نرجوه ولكن تقصيري في
الكتابة قد يثير في النفس أنني أهملت.

كلمت أمس وزير المستعمرات طويلا في شأنه
جمال وكل الأخوان في كل الأقطار ووعد
بالنظر وقلت له أن أحسن صفات البريطانيين
هي سعة الصدر وأنهم استطاعوا أن يجعلوا
من أعدائهم أصدقاء فضلا عمن لم يقصدوا
إلى عدائهم مطلقا ولكن كل عداوتهم موجه
لليهود الصهيونيين

وإني أعتقد أن الله سيعينك وأن تحل
مسألتك في القريب بالكيفية المرضية لنا
جميعا.
قابلت بيفن عدة مرات ووجدت فيه
رجلا عاقلا ظريفا وقد نصح بتأجيل سفري
لباريس شهرا آخر بسبب الانتخابات
ولذلك لا أدري متى يكون ممكنا بعد عودتي
من أمريكا.
أدعو الله أن يرعاك وأن يوفقك والسلام
عبد الرحمن عزام

الهيئة العربية العليا
لفلسطين

السيد الرئيس جمال عبد الناصر
رئيس الحكومة المصرية
القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فان الهيئة العربية العليا لفلسطين تقدم الى سيادتكم، باسم الشعب العربي الفلسطيني، خالص الشكر والتقدير لما تقوم به مصر الشقيقة الكبرى من فسح المجال أمام الفلسطينيين في منطقة غزة، للتطوع في الجندية وحمل السلاح والتدرب استعدادا للقيام بواجبهم نحو وطنهم الذى يجد في مصر العزيزة خير ذخر واقوى سند، وهي تعرب عن اغتباطها لتمكين الفلسطينيين من القيام بهذا الواجب الوطني الذى هم اولى الناس بالقيام به.

وبالنظر الى التطورات الاخيرة، وتصميم اليهود على اعتداءاتهم الغادرة، وللبقظة والانتباه اللذين يسودان الرأى العام العربي، تسترعي الهيئة العربية نظر سيادتكم الى ضرورة التوسع في تجنيد الفلسطينيين وتدريبهم وتسليحهم، واتخاذ الاجراءات التي تتبع عادة في حالات الطوارئ لجعل تجنيد الفلسطينيين عاما، وتدريب الذين هم في سن الجندية منهم، واعدادهم للدفاع وشد أزر القوات النظامية المصرية، والقيام بجميع الاعمال التي يتطلبها الوضع العسكري وتطوراته المختلفة. وتعتقد الهيئة العربية ان الموقف يقضي بأن تطبق الحكومة المصرية الموقرة على الفلسطينيين انظمة التجنيد والقوانين العسكرية المعمول بها في مصر.

وفي الوقت نفسه فان الهيئات الرسمية والشعبية في منطقة غزة، كالمجلس الاسلامي الاعلى والمجالس البلدية والغرف التجارية واللجنة التنفيذية لمؤتمر اللاجئين، تشارك الهيئة العربية في هذا الرأى وترجو العمل على تنفيذه. وقد راجعنا ممثلون عن تلك الهيئات في هذا الشأن لابلاغ رغبتهم الى الحكومة المصرية الموقرة.

وتفضلوا بقبول خالص التحية ووافر الاحترام ...

١٩ شعبان ١٣٧٥
١ ابريل ١٩٥٦

رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين
[توقيع]

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الوزراء

السيد رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين

تحية طيبة وبعد

لقد وافاني كتابك الكريم الذى تنهون الى فيه تأييد الشعب العربي الفلسطيني للخطوة التي خطتها قيادة الجيش المصري بتدريب الشباب الفلسطيني القادر على حمل السلاح تدريبا عسكريا تأهيلا له للقيام بواجبه فى تحرير بلاده العربية .

وترغب الهيئة فى أن يتسع هذا التدريب حتى يشمل جميع الشباب الفلسطيني وأن تطبق الحكومة المصرية على الفلسطينيين أنظمة التجنيد أستجابة لرغبات الهيئات الفلسطينية المختلفة .

وأني سأضع هذه الرغبة موضع الدراسة والنظر

وفق الله الامة العربية الى مافيه مجدها ورفعتها

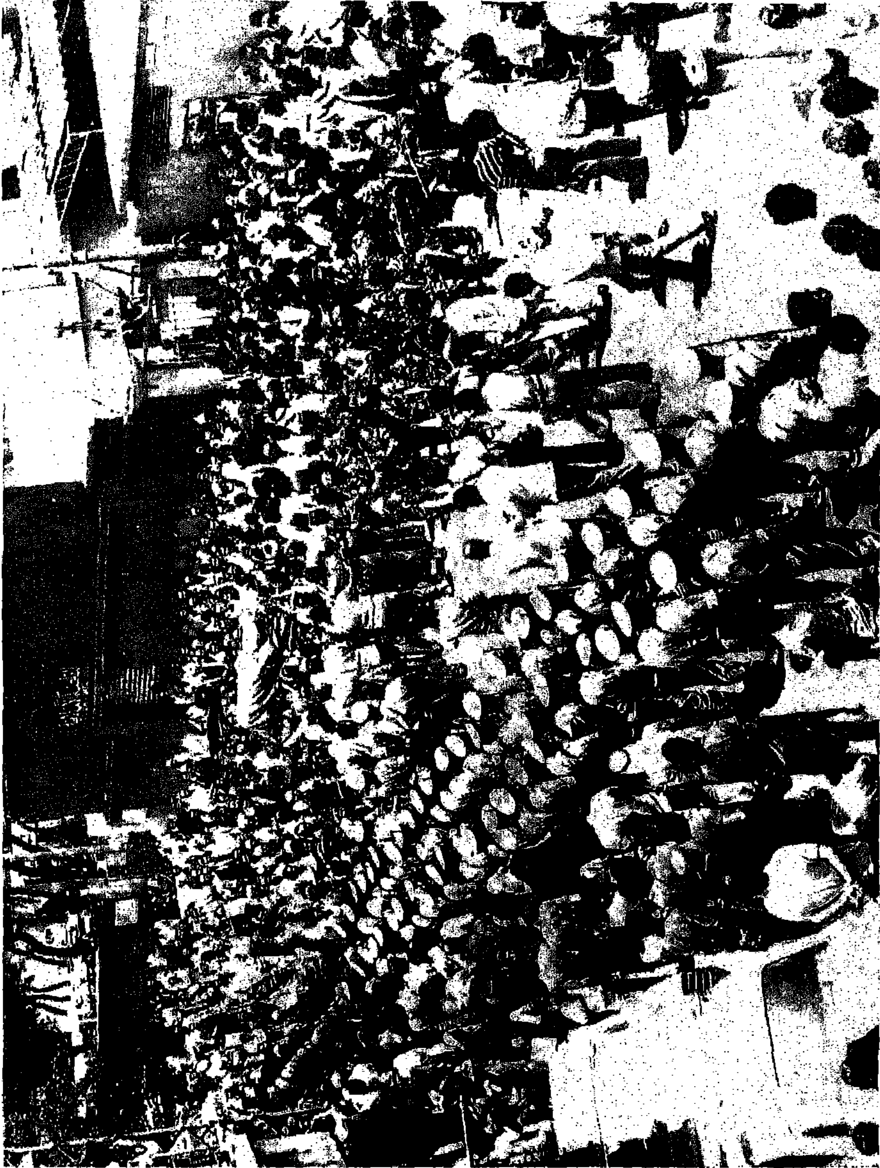
والله اكبر والعزة للعرب

القاهرة فى ١١ /٦ / ١٩٥٦ .

رئيس مجلس الوزراء



حديث بين الرئيس جمال عبد الناصر والسيد محمد أمين الحسيني



وداع الحاج محمد أمين الحسيني إلى مثواه الأخير

المحتويات